

تفسير أبي السعود

أو

إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم

تأليف

القاضي أبي السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي
المتوفى ٩٨٢ سنة

تحقيق

خالد عبد الغني محفوظ

الجزء الثامن

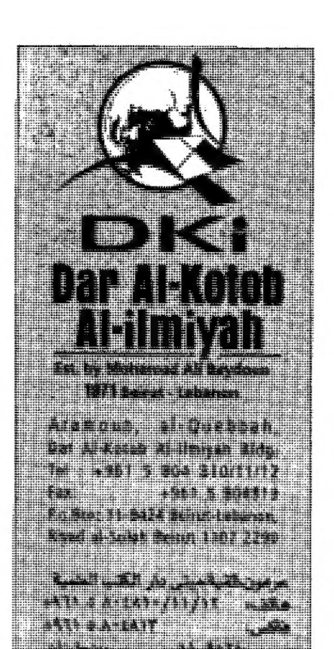
المحتوى:

أول سورة النجم - آخر سورة الناس

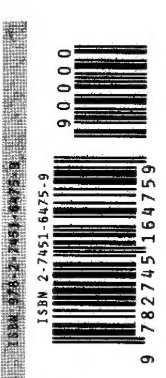


دار الكتب العلمية
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
DKi
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان
Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon
Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban

Title :	**THE EXEGESIS OF THE HOLY QUR'AN**	**تفسير أبي السعود** :	**الكتاب**
Classification:	Exegesis of The Qur'an	تفسير قرآن :	**التصنيف**
Author	: Al-qādi Abu al-Suʿūd al-ʿImādi	أبو السعودمحمد بن محمد العمادي:	**المؤلف**
Editor	: Ḫālid Abdul-Ğani Maḥfūẓ	خالد عبد الغني محفوظ :	**المحقق**
Publisher	: Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah	دار الكتب العلميــــة - بيروت :	**الناشر**
Pages	: 4160 (8 volumes)	4160 (8 أجزاء) :	**عدد الصفحات**
Size	: 17*24	17*24 :	**قياس الصفحات**
Year	: 2010	2010 :	**سنة الطباعة**
Printed in	: Lebanon	لبنـــان :	**بلد الطباعة**
Edition	: 1st	الأولى (لونان) :	**الطبعة**



ISBN 978-2-7451-6475-9



سورة والنجم

مكيةٌ وآيُها إحدَى أو اثنتانِ وستونَ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ (٢) وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ (٣) إِنۡ هُوَ إِلَّا
وَحۡيٞ يُوحَىٰ (٤) عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ (٥) ذُو مِرَّةٖ فَٱسۡتَوَىٰ (٦) وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ (٧) ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ
(٨) فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ (٩) فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ (١٠) مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ
(١١) أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ (١٢) وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ (١٣) عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ (١٤) عِندَهَا جَنَّةُ
ٱلۡمَأۡوَىٰٓ (١٥) إِذۡ يَغۡشَى ٱلسِّدۡرَةَ مَا يَغۡشَىٰ (١٦) مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ (١٧) لَقَدۡ رَأَىٰ مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ
ٱلۡكُبۡرَىٰٓ (١٨) أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ (١٩) وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ (٢٠) أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلۡأُنثَىٰ (٢١)
تِلۡكَ إِذٗا قِسۡمَةٞ ضِيزَىٰٓ (٢٢) إِنۡ هِيَ إِلَّآ أَسۡمَآءٞ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِن
يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهۡوَى ٱلۡأَنفُسُۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلۡهُدَىٰٓ (٢٣) أَمۡ لِلۡإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ (٢٤)
فَلِلَّهِ ٱلۡأٓخِرَةُ وَٱلۡأُولَىٰ (٢٥) ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن
يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ (٢٦) إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ تَسۡمِيَةَ ٱلۡأُنثَىٰ (٢٧) وَمَا
لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـٔٗا (٢٨) فَأَعۡرِضۡ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن
ذِكۡرِنَا وَلَمۡ يُرِدۡ إِلَّا ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا (٢٩) ذَٰلِكَ مَبۡلَغُهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ
وَهُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱهۡتَدَىٰ (٣٠) وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجۡزِيَ
ٱلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ بِٱلۡحُسۡنَى (٣١) ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِۚ هُوَ
أَعۡلَمُ بِكُمۡ إِذۡ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَإِذۡ أَنتُمۡ أَجِنَّةٞ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡۖ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ
ٱتَّقَىٰٓ (٣٢) أَفَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي تَوَلَّىٰ (٣٣) وَأَعۡطَىٰ قَلِيلٗا وَأَكۡدَىٰٓ (٣٤) أَعِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡغَيۡبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ (٣٥) أَمۡ
لَمۡ يُنَبَّأۡ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ (٣٦) وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ (٣٧) أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰ (٣٨) وَأَن
لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ (٣٩) وَأَنَّ سَعۡيَهُۥ سَوۡفَ يُرَىٰ (٤٠) ثُمَّ يُجۡزَىٰهُ ٱلۡجَزَآءَ ٱلۡأَوۡفَىٰ (٤١) وَأَنَّ إِلَىٰ
رَبِّكَ ٱلۡمُنتَهَىٰ (٤٢) وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضۡحَكَ وَأَبۡكَىٰ (٤٣) وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحۡيَا (٤٤) وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوۡجَيۡنِ
ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰ (٤٥) مِن نُّطۡفَةٍ إِذَا تُمۡنَىٰ (٤٦) وَأَنَّ عَلَيۡهِ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰ (٤٧) وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغۡنَىٰ وَأَقۡنَىٰ (٤٨)

وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾ أَزِفَتِ ٱلْءَازِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩ ﴿٦٢﴾

﴿والنجم إذَا هَوَى﴾ المرادُ بالنجم إمَّا الثُّريَّا فإنَّه اسمٌ غالبٌ لَهُ، أو جنسُ النجوم. وبهَوِيّه غروبُه، وقيلَ: طلوعُه، يقالُ هَوَى هَوِيا بوزن قبول إذا غربَ وهُوِيًّا بوزنِ دخول[١] إذا علا وصعِد. وأما النجمُ من نجوم القُرآنِ فهَوِيهُ نزولُه، والعاملُ في إذَا فعلُ القسم فإنَّه بمعنى مطلقِ الوقتِ منسلخٌ من مَعْنى الاستقبالِ كَما في قولِك آتيكَ إذَا احمرَّ البُسْرُ[٢]. وفي الإقسامِ بذلكَ على نزاهتِه عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ عن شائبة الضلال والغوايةِ من البراعةِ البديعةِ وحسنِ الموقعِ ما لا غايةَ وراءَهُ، أما على الأولينِ فلأنَّ النجمَ شأنُه أنْ يهتدِيَ بِهِ السَّارِي إلى مسالكِ الدُّنيا كأنَّه قيلَ والنجمِ الذي يَهتدِي به السابلةُ[٣] إلى سواءِ السبيلِ.

﴿ما ضَلَّ صاحبُكم﴾ أيْ ما عدَلَ عن طريقِ الحقِّ الذي هُو مسلكُ الآخرةِ. ﴿وما غوَى﴾ أيْ وما اعتقدَ باطلًا قطُّ أيْ هُو في غايةِ الهُدى والرُّشدِ وليسَ مما تتوهمونَهُ من الضلالِ والغَوايةِ في شيءٍ أصلًا، وأما على الثالثِ فلأنَّه تنويهٌ بشأنِ القُرآنِ كما أشيرَ إليه في مطلعِ سورةِ يس وسورةِ الزخرفِ وتنبيهٌ على مناطِ اهتدائِه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ ومدارِ رشادِه، كأنَّه قيلَ والقرآنِ الذي هُو عَلَمٌ في الهدايةِ إلى مناهجِ الدِّينِ ومسالكِ الحقِّ ما ضلَّ عنها محمدٌ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ وما غَوى. والخطابُ لقريشٍ، وإيرادُه عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ بعنوانِ صاحبيتِه لهم للإيذانِ بوقوفِهم على تفاصيلِ أحوالِه [الشريفةِ وإحاطتِهم خُبرًا ببراءتِه][٤] [عليهِ الصلاةُ والسَّلامُ][٥] مما نُفي عنه بالكليةِ وباتصافِه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ بغايةِ الهُدَى والرشادِ فإنَّ طولَ صُحبتِهم له

(١) في خ: غروب.
(٢) البُسْرُ: ما لوَّن ولم ينضج، وإذا نضج فقد أرطب قال الأصمعي: إذا اخضرَّ حبه واستدار فهو خلال فإذا عظم فهو البُسْرُ، فإذا احمرَّت فهي شقحة وقال الجوهري: البُسْرُ أوله طلع ثم خلال ثم بلح ثم بسر ثم رطب ثم تمر... إلخ.
(٣) في خ: السائلة.
(٤) سقط في خ.
(٥) في خ: صلى الله عليه وسلم.

[عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ][1] ومشاهدتَهم لمحاسنِ شؤونه العظيمةِ مقتضيةٌ لذلكَ حتْما. وتقييدُ القسم بوقت الهَوِيِّ على الوجهِ الأخيرِ ظاهرٌ وأمَّا على الأولينِ فلأنَّ النجمَ لا يهتدِي به السَّارِي عندَ كونِه في وسطِ السماءِ ولا يعلمُ المشرقَ من المغربِ ولا الشمال من الجنوبِ وإنما يهتدِي بهِ عندَ هبوطِه أو صعودِه معَ ما فيهِ من كمالِ المناسبةِ لما سيُحكى من تدلِّي جبريلَ من الأفقِ الأَعْلى ودنوِّه منْهُ عليهما السَّلامُ، هذا هو اللائقُ بشأنِ التنزيلِ الجليلِ. وأما حملُ هَويّهِ على انتثارِه يومَ القيامةِ أو على انقضاضِ النجمِ الذي يرجمُ بهِ أو حملُ النجمِ على النباتِ[2] وحملُ هويهِ على سقوطِه على الأرضِ أو على ظهورِه منها فمما لا يناسبُ المقامَ.

﴿وما ينطقُ عنِ الهَوَى﴾ أي وما يصدرُ نطقُه بالقرآنِ عن هَوَاهُ ورأيهِ أصلًا فإنَّ المرادَ استمرارُ نفي النطقِ عن الهوى لا نَفيُ استمرارِ النطقِ عنْهُ كما مرَّ مِرارًا.

﴿إنْ هُو﴾ أي مَا الذي ينطقُ به من القرآنِ ﴿إلا وحيٌ﴾ من الله تعالى. وقولُه تعالى: ﴿يُوحى﴾ صفةٌ مؤكدةٌ لوحي رافعةٌ لاحتمالِ المجازِ مفيدةٌ للاستمرارِ التجدديِّ[3] ﴿علَّمه شديدُ القُوَى﴾ أي مَلَكٌ شديدٌ قُواهُ وهو جبريلُ عليهِ السَّلامُ فإنَّه الواسطةُ في إبداءِ الخوارقِ وناهيكَ دليلًا على شدةِ قوتِه أنه قلعَ قُرَى قومِ لوطٍ من الماءِ الأسودِ الذي هو تحتَ الثَّرى وحملَها على جناحِه ورفعَها إلى السماءِ ثم قلبَها وصاحَ بثمودَ صيحةً فأصبحُوا جاثمينَ وكانَ هبوطُه على الأنبياءِ وصعودُه في أسرعَ منْ رجعةِ الطرفِ ﴿ذُو مرةٍ﴾ أي حصافةٍ في عقلِه ورأيِه ومتانةٍ في دينِه ﴿فاستوى﴾ عطفٌ على علَّمه بطريقِ التفسير فإنَّه إلى قولِه تعالى ما أَوْحَى بيانٌ لكيفيةِ التعليم أي فاستقامَ على صورتِه التي[4] كانَ يتمثلُ بها كلما هبطَ بالوحي وذلكَ أنَّ رسولَ الله ﷺ [أحبَّ أنْ يراهُ في صورتِه التي جُبلَ عليها وكانَ رسولُ الله ﷺ][5] بحراءَ فطلعَ له جبريلُ عليهِ السَّلامُ من المشرقِ فسدَّ الأرضَ من المغربِ وملأَ الأفقَ فخرَّ رسولُ الله ﷺ فنزلَ جبريلُ عليهِ السَّلامُ في صورةِ الآدميينَ فضمَّهُ إلى نفسِه وجعلَ يمسحُ الغُبارَ عن وجهه[6] قيلَ: ما رآهُ أحدٌ من الأنبياءِ في صورتِه غيرُ النبيِّ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ فإنَّهُ رآهُ فيهَا مرتينِ مرةً في الأرضِ ومرةً في السماءِ وقيلَ: استوَى بقوتِه على ما جُعلَ له من الأمرِ.

---

(١) في خ: صلى الله عليه وسلم.
(٢) في خ: الثبات.
(٣) في خ: التجديدي.
(٤) زاد في خ: خلق الله تعالى عليها دون الصورة التي.
(٥) في خ: كان.
(٦) ذكره الثعلبي في تفسيره (٩/ ١٣٧).

وقولُه تعالَى: ﴿وهو بالأفقِ الأعْلى﴾ أي: أفقِ الشمسِ حالٌ منْ فاعلِ استوى ﴿ثمَّ دَنَا﴾ أي أرادَ الدنوَّ من النبيِّ عليهما الصَّلاةُ والسَّلامُ ﴿فتدلَّى﴾ أي استرسلَ من الأفقِ الأعْلى مع تعلقٍ بهِ فدنَا من النبيِّ، يقالُ تدلّت الثمرةُ ودلَّى رجليهِ من السريرِ وأدلَى دلْوَهُ والدَّوالي الثمرُ المعلقُ ﴿فكانَ﴾ أي مقدارُ امتدادِ ما بينَهما ﴿قابَ قوسينِ﴾ أي مقدارَهُما فإنَّ القابَ والقِيبَ والقادَ والقِيْدَ والقِيسَ المقدارُ، وقيلَ: فكانَ جبريلُ عليهِ السَّلامُ كَما في قولكَ هو مِنِّي معقدُ[1] الإزارِ. ﴿أو أدنى﴾ أيْ عَلى تقديركم كَما في قولِه تعالى: ﴿أو يزيدونَ﴾ [سورة الصافات، الآية ١٤٧] والمرادُ تمثيلُ ملَكةِ الاتصالِ وتحقيقُ استماعِه لما أُوحيَ إليه بنفِي البُعدِ المُلبسِ.

﴿فأَوْحَى﴾ أي جبريلُ عليهِ السَّلامُ ﴿إلى عبدِه﴾ عبدِ الله تعالَى، وإضمارُه قبلَ الذكرِ لغايةِ ظُهورِه كَما في قولِه تعالَى: ﴿ما تركَ على ظهرِها﴾ [سورة فاطر، الآية ٤٥] ﴿مَا أَوْحَى﴾ أيْ من الأمورِ العظيمةِ التي لا تَفِي بها العبارةُ أو فأَوْحَى الله تعالى حينئذٍ بواسطةِ جبريلَ ما أَوْحى، قيلَ أَوْحى إليهِ أنَّ الجنةَ محرمةٌ على الأنبياءِ حتى تدخلَها وعلى الأمم حتى تدخلَها أمتكَ ﴿ما كذبَ الفؤادُ﴾ أي فؤادُ محمدٍ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ﴿ما رَأَى﴾ أي ما رآهُ ببصرِه من صورةِ جبريلَ عليهما السَّلامُ أي ما قالَ فؤادُه لما رآهُ لم أعرفْكَ ولو قالَ ذلكَ لكانَ كاذبًا لأنه عرفَهُ بقلبِه كما رآهُ ببصرِه وقرئَ ما كذَّبَ[2] أي صدَّقَهُ ولم يشكَّ أنه جبريلُ بصورتِه ﴿أفتمارونه على ما يَرَى﴾ أي أتكذبونَهُ فتجادلونه على ما يراهُ مُعاينةً، أو أبعدَ ما ذُكِرَ من أحوالِه المنافيةِ للمماراةِ تمارونَهُ، من المراءِ وهو الملاحاةُ والمجادلةُ[3] واشتقاقُه من مَرَى الناقةَ كأنَّ كلاً من المتجادلينَ يمرِي ما عندَ صاحبِهِ، وقرئَ أفتمْرونَهُ[4] أي أفتغلبونَهُ في المراءِ

---

(١) في خ: مقعد.

(٢) قرأ بها: ابن عامر، وأبو جعفر، والحسن، وقتادة، ويزيد بن القعقاع، وعاصم، والجحدري، وهشام، وأبو رجاء، وخالد بن إلياس.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٠٢)، والإعراب للنحاس (٣/ ٢٦٣، ٢٦٤)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٣٢)، والبحر المحيط (٨/ ١٥٩)، والتيسير للداني ص (٢٠٤)، والسبعة لابن مجاهد ص (٦١٤)، والغيث للصفاقسي ص (٣٥٩).

(٣) زاد في خ: وهو.

(٤) قرأ بها: حمزة، والكسائي، ويعقوب، وخلف، والأعمش، وعلي، وعبد الله، وابن عباس، والجحدري، وابن سعدان، ومسروق.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٠٢)، والإعراب للنحاس (٣/ ٢٦٥)، والبحر المحيط (٨/ ١٥٩)، والتبيان للطوسي (٩/ ٤٢٣)، والتيسير للداني ص (٢٠٤)، وتفسير الطبري (٢٧/ ٢٩)، والسبعة لابن مجاهد ص (٦١٤)، والكشف للقيسي (٢/ ٢٩٤).

منْ ماريتُه فمريته ولِما فيهِ من مَعْنى الغلبةِ عُدِّيَ بـ (عَلَى)[١] كما يقالُ غلبتُه عَلى كَذَا وقيلَ: أفتمرونَهُ أفتجحدونَهُ من مَراهُ حقَّهُ إذَا جحدَهُ ﴿ولقدْ رآهُ نزلةً أُخْرى﴾ أي وبالله لقَدْ رأى جبريلَ[٢] في صورتِه مرةً أُخرى من النزولِ نصبت النزلة نصبَ الظرفِ الذي هو مرةٌ لأن الفَعْلَةَ اسمٌ للمرةِ من الفعلِ فكانتْ في حُكْمِها، وقيلَ: تقديرُه ولقد رآهُ نازلًا نزلةً أُخْرى فنصبُها على المصدرِ.

﴿عند سدرةِ المُنتهى﴾ هي شجرةُ نبْقٍ في السماءِ السابعةِ عن يمينِ العرشِ ثمرُها كقِلال هَجَرَ، وورقُها كآذانِ الفيولِ تنبعُ من أصلِها الأنهارُ التي ذكرَهَا الله تعالَى في كتابِه يسيرُ الراكبُ في ظلِّها سبعينَ عامًا لا يقطعُها، والمُنْتهى موضعُ الانتهاءِ أو الانتهاءُ كأنَّها في مُنْتَهى الجنةِ وقيلَ: إليها يَنْتهي[٣] علمُ الخلائقِ وأعمالُهم ولا يعلمُ أحدٌ ما وراءَها، وقيلَ ينتهِي إليها أرواحُ الشهداءِ، وقيلَ ينتهي إليها ما يهبطُ من فوقِها ويصعدُ من تحتِها قيل: إضافةُ السدرةِ إلى المُنْتهى إما إضافةُ الشيءِ إلى مكانِه كقولِك أشجارُ البستانِ أو إضافةُ المحلِّ إلى الحالِّ كقولك كتابُ الفقهِ، والتقديرُ سدرةٌ عندَها مُنتهى علوم الخلائقِ أو إضافةُ الملكَ إلى المالك على حذفِ الجارِّ والمجرورِ أي سدرةُ المُنْتَهى إليهِ وهُو الله عزَّ وجلَّ قالَ تعالَى إلى ربِّكَ المُنْتهى ﴿عندَها جنَّةُ المَأْوى﴾ أي الجنةُ التي يأوِي إليها المتقونَ أو أرواحُ الشهداءِ، والجملةُ حاليةٌ[٤]، وقيلَ: الأحسنُ أن يكونَ الحالُ هُو الظرفَ وجنةُ المَأْوى مرتفعٌ به على الفاعليةِ.

وقولُه تعالى: ﴿إذْ يغشَى السدرةَ ما يغشَى﴾ ظرفُ زمانٍ لـ (رآهُ) لا لِما بعَدُه من الجملةِ المنفيةِ كما قيلَ: فإنَّ مَا النافيةَ لا يعملُ ما بعدَها فيما قبلَها، والغشيانُ بمعنى التغطيةِ والسترِ ومنه الغَوَاشِي أو بمَعْنى الإتيانِ يقالُ فلانٌ يغشَانِي كلَّ حينٍ، أيْ يأتينِي، والأولُ هو الأليقُ بالمقامِ وفي إبهامِ ما يغشَى من التفخيمِ ما لا يخفى، وتأخيرُه عن المفعولِ للتشويقِ إليهِ أي ولقد رآهُ عندَ السدرةِ وقتَ غشِيَهَا ما غشِيَها مما لا يكتنههُ الوصفُ ولا يَفي به البيانُ كيفًا ولا كمًّا. وصيغةُ المضارعِ لحكايةِ الحالِ الماضيةِ استحضارًا لصورتِها البديعةِ وللإيذانِ باستمرار الغشيانِ بطريقِ التجددِ وقيلَ: يغشاهَا الجمُّ الغفيرُ من الملائكةِ يعبدونَ الله تعالَى عندَها، وقيلَ: يزورُونها متبرّكينَ بها كما يزورُ الناسُ الكعبةَ وقيلَ: يغشاهَا سبحاتُ أنوارِ الله عزَّ وجلَّ حين يتجلَّى لها كما تجلَّى للجبلِ لكنها كانتْ أقوى من الجبلِ وأثبتَ حيثُ لم يُصبْها ما أصابَهُ من

---

(١) في خ: بعدي.
(٢) زاد في خ: عليه السلام.
(٣) في خ: منتهى.
(٤) في خ: حال.

الدكِّ وقيلَ: يغشاهَا [فَراشٌ][١] أو جرادٌ من ذهبٍ، وهو قولُ ابنِ عباسٍ وابن مسعودٍ والضحَّاكِ. ورُويَ عنِ النبيِّ ﷺ أنَّه قالَ: «**رأيتُ السدرةَ يغشاها فَراشٌ من ذهبٍ ورأيتُ على كلِّ ورقةٍ مَلَكًا [قائمًا][٢] يسبحُ الله تعالَى**»[٣]، وعنْهُ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ «**يغشاهَا رفرف من طيرٍ خُضرٍ**»[٤].﴿ما زاغَ البصرُ﴾ أي ما مالَ بصرُ رسولِ الله ﷺ عما رآهُ ﴿**وما طَغَى**﴾ وما تجاوزُه مع ما شاهدَ هناكَ من الأمورِ العجيبةِ المُذهلةِ ما لا يُحصَى بل أثبتَهُ إثباتًا صحيحًا مُتيقنًا أو ما عدلَ عن رؤيةِ العجائبِ التي أُمرَ برؤيتِها ومُكنَ منهَا وما جاوزَها.

﴿**لقد رَأَى من آياتِ ربِّه الكُبرى**﴾ أيْ والله لقدْ رَأَى الآياتِ التي هي كُبراهَا وعُظماهَا حين عُرجَ به إلى السماءِ فأُرِيَ من عجائبِ الملكِ والملكوتِ ما لا يحيطُ به نطاقُ العبارةِ، ويجوزُ أنْ تكونَ الكُبرى صفةً للآياتِ والمفعولُ محذوفٌ أي شيئًا عظيمًا من آياتِ ربِّه وأن تكونَ مِنْ مزيدةً.

توبيخ الكفار

﴿**أفرأيتُم اللَّات والعُزَّى * ومناةَ الثالثةَ الأُخْرى**﴾ هي أصنامٌ كانتْ لهم، فاللاتُ كانتْ لثقيفٍ بالطائفِ وقيلَ لقريشٍ بنخلةَ. وهيَ فعَلة من لَوَى لأنَّهم كانُوا يلوُون عليها ويطوفُونَ بها. وقرئ[٥] بتشديدِ التاءِ على أنَّه اسمُ فاعلٍ اشتُهِرَ به رجلٌ كانَ يلتُّ السمنَ بالزيتِ ويطعمُه الحاجَّ [وقيلَ كان يلتُّ السويقَ بالطائفِ ويطعمُه الحاجَّ فلمَّا ماتَ عكفُوا على قبرِه يعبدونَهُ][٦] وقيلَ كانَ يجلسُ على حجرٍ فلما ماتَ سُمِّيَ الحجرُ

---

(١) سقط في خ. (٢) سقط في خ.

(٣) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١١/٥١٨) (٣٢٥١٩) حدثني يونس قال: أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿إذ يغشى السدرة ما يغشى﴾ قيل: يا رسول الله، أي شيء رأيت؟... وفيه: «ورأيت على كل ورقة من ورقها ملكًا قائمًا يسبح الله».
وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم العدوي ضعيف كما في التقريب (١/ ٤٨٠)، والحديث معضل.

(٤) قال الزيلعي في تخريج الكشاف (٣/ ٣٨١): غريب.

(٥) قرأ بها: ابن كثير، وابن عباس، ورويس، ومجاهد، وطلحة، ومنصور بن المعتمر، وأبو صالح، وأبو الجوزاء، ويعقوب، وابن الزبير، وحميد.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٠٢)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٣٣)، والمجمع للطبرسي (٩/ ١٧٤)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٢٩٤)، والمعاني للأخفش (٢/ ٤٨٦).

(٦) سقط في خ.

باسمِه وعُبدَ منْ دونِ الله وقيلَ: كانَ الحجرُ على صورتِه. والعُزَّى[١] تأنيثُ الأعزِّ كانتْ لغطفانَ وهي سَمُرةٌ كانُوا يعبدونَها فبعثَ رسولُ الله ﷺ خالدَ بنَ الوليدِ فقطعَها فخرجتْ منها شيطانةٌ ناشرة شعرَها واضعة يدَها على رأسِها وهي تُوَلْوِلُ فجعلَ خالدٌ يضربُها بالسيفِ حتى قتلَها فأخبرَ رسولَ الله ﷺ فقالَ: «**تلكَ العُزَّى ولنْ تُعبد أبدًا**»[٢]. ومناةُ صخرةٌ لهُذَيلٍ وخُزاعةَ وقيلَ لثقيفٍ وكأنَّها سميتْ مناةَ لأنَّ دماءَ النسائِكَ تُمْنَى عندَها أي تُراقُ. وقُرئ[٣] ومناءة وهي مفعلة من النَّوءِ كأنَّهم[٤] كانُوا يستمطرونَ عندَها الأنواءَ تبركًا بها، و(الأُخْرى) صفةُ ذمٍّ لهَا وهي المتأخرةُ الوضيعةُ المقدارِ. وقدْ جُوِّزَ أنْ تكونَ الأوليةَ والتقدمَ عندهم للاتِ والعُزَّى. ثمَّ إنَّهم كانُوا معَ ما ذُكِرَ من عبادتِهم لها يقولونَ إنَّ الملائكةَ وتلكَ الأصنامَ بناتُ الله تعالَى الله عن ذلكَ عُلوًّا كبيرًا فقيلَ لهم توبيخًا وتبكيتًا أفرأيتُم... إلخ. والهمزةُ للإنكارِ، والفاءُ لتوجيهه إلى ترتيب الرؤيةِ على ما ذُكِرَ من شؤونِ الله تعالى المنافيةِ لها غايةَ المُنافاةِ، وهي قلبيةٌ ومفعولُها الثَّانِي محذوفٌ لدلالةِ الحال عليهِ فالمَعْنى أعَقيبَ ما سمعتُم من آثارِ كمالِ عظمةِ الله عزَّ وجلَّ في مُلكِه وملكوتِه وجلالِه وجبروتِه وأحكام قدرتِه ونفاذِ أمرِه في الملأ الأَعْلى وما تحتَ الثَّرى وما بينهما رأيتُم هذهِ الأصنَامَ مع غايةِ حقارتِها وقماءَتِها بناتٍ له تعالَى وقيلَ المعَنْى أفرأيتُم هذِه الأصنامَ مع حقارتِها وذلَّتِها شركاءَ الله تعالَى معَ ما تقدمَ من عظمتِه وقيلَ أخبرونِي عن آلهتِكم هلْ لهَا شيءٌ من القُدرةِ والعظمةِ التي وُصفَ [بها][٥] ربُّ العزةِ في الآيِ السابقةِ وقيلَ المَعْنى أظننتُم أنَّ هذه الأصنامَ التي تعبدونها تنفعُكم وقيل أظننتُم أنَّها تشفعُ لكُم في الآخرةِ وقيل أفرأيتُم إلى هذهِ الأصنام إنْ عبدتُموها لا تنفعْكُم وإنْ تركتُموَها لا تضرَّكم والأولُ هو الحقُّ كما يشهدُ به قولُه تعالَى:

﴿**ألكم الذكرُ ولهُ الأُنثى**﴾ شهادةٌ بينةً فإنَّه توبيخٌ [مبنيٌّ][٦] على التوبيخِ الأولِ

---

(١) زاد في خ: لا.

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٢/ ١١٠، ١١١)، (٧/ ٢٧٨)، والنسائي في الكبرى (٦/ ٤٧٤)، كتاب التفسير (١١٥٤٧).

(٣) قرأ بها: ابن كثير، وابن محيصن، وحميد، ومجاهد، والسلمي، والأعمش.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٠٣)، والبحر المحيط (٨/ ١٦١)، والتبيان للطوسي (٩/ ٣٢٣)، والتيسير للداني ص (٢٠٤)، والحجة لابن خالويه ص (٣٣٦)، والغيث للصفاقسي ص (٣٥٩)، والكشف للقيسي (٢/ ٢٩٦).

(٤) في خ: لأنهم.

(٥) سقط في خ.

(٦) سقط في خ.

وحيثُ كانَ مدارُه تفضيلَ جانبِ أنفسِهم على جنابِهِ تعالى بنسبتِهم إليه تعالى الإناثَ مع اختيارِهم لأنفسِهم الذكورَ وجبَ أن يكون مناطُ الأولِ نفسَ تلك النسبةِ حتَّى يتسنَّى بناءُ التوبيخِ الثاني عليهِ، وظاهرٌ أنْ ليسَ في شيءٍ من التقديراتِ المذكورةِ من تلكَ النسبةِ [عينٌ ولا أثرٌ وأما ما قيلَ من أنَّ هذه الجملةَ](١) مفعولٌ ثانٍ للرؤيةِ وخلوها عن العائدِ إلى المفعولِ الأولِ [لما أنَّ](٢) الأصلَ أخبروني أن اللاتَ والعُزَّى ومناةَ ألكُم الذكرُ وله [هُنَّ](٣) أي تلكَ الأصنامُ فوضعَ موضَعها الأُنثى لمراعاةِ الفواصلِ وتحقيقِ مناطِ التوبيخِ فمعَ ما فيه من التمحلاتِ التي ينبغي تنزيهُ ساحةِ التنزيلِ عن أمثالها يقتضِي اقتصارَ التوبيخِ على ترجيحِ جانبِهم الحقير على جنابِ الله العزيز الجليلِ من غيرِ تعرضٍ للتوبيخِ على نسبةِ الولدِ إليه سبحانَهُ.

﴿تلكَ﴾ إشارةٌ إلى القسمةِ المنفهمةِ من الجملةِ الاستفهاميةِ ﴿إذًا قسمةٌ ضيزى﴾ أي جائرةً حيثُ جعلتُم له تعالَى ما تستنكفونَ منه وهي فُعْلَى من الضيزِ وهُو الجورُ لكنَّه كُسرَ فاؤُه لتسلمَ الياءُ كما فُعلَ في بِيْضٍ فإنَّ فِعْلى بالكسرِ لم يأتِ في الوصفِ، وقرئ ضِئْزَى(٤) بالهمزةِ من ضأَزَهُ إذا ظلَمَهُ على أنه مصدرٌ نُعتَ، وقرئ ضَيزى(٥) إما على أنه مصدرٌ وصف به كدعوى أو على أنه صفة كسَكْرى وعطشى ﴿إنْ هيَ﴾ الضميرُ للأصنامِ أيْ ما الأصنامُ باعتبار الألوهيةِ التي يدَّعُونها ﴿إلا أسماءٌ﴾ محضةٌ ليسَ تحتَها مما تنبئ هي عنْهُ من معنى الألوهيةِ شيءٌ ما أصلًا. وقوله تعالى ﴿سميتموها﴾ صفة لأسماء وضميرها لها لا للأصنام والمعنى جعلتمُوها أسماءً لا جعلتُم لها أسماءً فإنَّ التسميةَ نسبة بين الاسمِ والمُسمَّى فإذا قيستْ إلى الاسم فمعناهَا جعلُه اسمًا للمسمَّى وإن قيستْ إلى المسمَّى فمعناهَا جعلُه مسمى للاسمِ، وإنما اختيرَ [هاهنا](٦) المعنَى الأولُ من غيرِ تعرضٍ للمسمَّى لتحقيق أن تلكَ الأصنامَ التي يسمُّونها آلهةً أسماء مجردةٌ ليسَ لها مسمياتٌ قطعًا كما في قولِه تعالى: ﴿ما تعبدونَ

---

(١) سقط في خ.
(٢) في خ: لأن.
(٣) في خ: الأنثى.
(٤) قرأ بها: ابن كثير.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٠٣)، والبحر المحيط (٨/ ١٦٢)، والتبيان للطوسي (٩/ ٤٢٦)، والسبعة لابن مجاهد ص (٦١٥)، والغيث للصفاقسي ص (٣٥٩)، والمجمع للطبرسي (٩/ ١٧٦)، وتفسير الرازي (٢٨/ ٢٩٨).
(٥) قرأ بها: زيد بن علي.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ١٦٢).
(٦) سقط في خ.

من دونِه إلا أسماءً سميتُموها﴾ [سورة يوسف، الآية ٤٠] الآيةَ لا أنَّ هناكَ مسمياتٍ لكنَّها لا تستحقُ التسميةَ وقيلَ هي للأسماءِ الثلاثةِ المذكورةِ حيثُ كانُوا يطلقونَها على تلك الأصنامِ لاعتقادِهم أنَّها تستحقُّ العكوفَ على عبادتِها والإعزازَ والتقربَ إليها بالقرابينِ وأنتَ خبيرٌ بأنَّه لو سُلِّم دلالةُ الأسماءِ المذكورةِ على ثبوت تلك المعانِي الخاصَّةِ للأصنامِ فليسَ في سلبِها عنها مزيدُ فائدةٍ بل إنَّما هي في سلبِ الألوهيةِ عنها كما هو زعمُهم المشهورُ في حقِّ جميعِ الأصنامِ على وجهٍ برهانيٍّ، فإنَّ انتفاءَ الموصوفِ يقتضِي انتفاءَ الوصفِ بطريقِ الأولويةِ أيْ ما هيَ إلا أسماءٌ خاليةٌ عنِ المسمياتِ وضعتموها ﴿أنتُم وآباؤُكم﴾ بمقتضَى أهوائِكم الباطلةِ ﴿ما أنزلَ الله بها مِنْ سلطانٍ﴾ برهانٍ تتعلقونَ به ﴿إن يتبعونَ﴾ التفاتٌ إلى الغَيبةِ للإيذانِ بأنَّ تعدادَ قبائحِهم اقتضَى الإعراضَ عنهم وحكايةَ جناياتِهم لغيرِهم أي ما يتبعونَ فيما ذُكرَ من التسميةِ والعملِ بموجبِها ﴿إلا الظنَّ﴾ إلا توهم أَن ما هُم عليهِ حقٌّ توهمًا باطلًا ﴿وما تَهوى الأنفسُ﴾ أي تشتهيه أنفسُهم الأمارةُ بالسُّوءِ ﴿ولقد جاءَهُم من ربِّهم الهُدى﴾ قيلَ هي حالٌ من فاعلِ يتبعونَ أو اعتراضٌ وأيًا ما كان ففيهِ تأكيدٌ لبطلانِ اتباعِ الظنِّ وهو النفسُ وزيادةُ تقبيحٍ لحالِهم فإنَّ اتباعهما من أيِّ شخصٍ كان قبيحٌ وممن هداهُ الله تعالَى بإرسالِ الرسولِ ﷺ وإنزالِ الكتابِ أقبحُ.

﴿أمْ للإنسانِ مَا تمنَّى﴾ أمْ منقطعةٌ وما فيها من بلْ للانتقالِ من بيانِ أنَّ ما هُم عليهِ غيرُ مستندٍ إلا إلى توهمِهم وهَوَى أنفسِهم إلى بيانِ أنَّ ذلكَ ممَّا لا يُجدي نفعًا أصلًا. والهمزةُ للإنكارِ والنَّفي، أي ليسَ للإنسانِ كلُّ ما يتمنَّاهُ وتشتهيه نفُسه من الأمورِ التي من جُمْلتِها أطماعُهم الفارغةُ في شفاعةِ الآلهةِ ونظائرِها التي لا تكادُ تدخلُ تحتَ الوجودِ ﴿فللهِ الآخرةُ والأُولى﴾ تعليلٌ لانتفاءِ أنْ يكونَ للإنسانِ ما يتمنَّاهُ حتمًا فإنَّ اختصاصَ أمورِ الآخرةِ والأُولى جميعًا بهِ تعالى مقتضٍ لانتفاءِ أن يكونَ له أمرٌ من الأمور.

وقولُه تعالى: ﴿وكم من ملكٍ في السمواتِ لا تُغنِي شفاعتُهم شيئًا﴾ إقناطٌ لهم عمَّا علَّقُوا به أطماعَهم من شفاعةِ الملائكةِ لهم موجبٌ لإقناطِهم من شفاعةِ الأصنامِ بطريقِ الأولويةِ وكم خبريةٌ مفيدةٌ للتكثيرِ محلُّها الرفعُ على الابتداءِ، والخبرُ هي الجملةُ المنفيةُ وجمعُ الضميرِ في شفاعتِهم مع إفرادِ المَلكِ باعتبارِ المَعْنى أي وكثيرٌ من الملائكةِ لا تُغني شفاعتُهم عند الله تعالى شيئًا من الإغناءِ في وقتٍ من الأوقاتِ ﴿إلا منْ بعدِ أنْ يأذن الله﴾ لهمُ في الشفاعةِ ﴿لمن يشاءُ﴾ أنْ يشفعوا له ﴿وَيَرضَى﴾ ويراهُ أهلًا للشفاعةِ من أهلِ التوحيدِ والإيمانِ، وأمَّا من عداهُم من أهلِ

الكفرِ والطغيانِ فهمُ من إذنِ الله تعالى بمعزلٍ من الشفاعةِ [بألفِ منزلٍ][١]، فإذا كانَ حالُ الملائكةِ في بابِ الشفاعةِ كما ذُكِرَ فما ظنُّهم بحالِ الأصنامِ **﴿إنَّ الذينَ لا يؤمنونَ بالآخرةِ﴾** وبما فيها من العقابِ على ما يتعاطَونه من الكفرِ والمعاصي **﴿ليسمُّون الملائكةَ﴾** المنزهينَ عن سماتِ النقصانِ على الإطلاقِ أي يسمون كلَّ واحدٍ منهم **﴿تسميةَ الأُنثى﴾** فإن قولَهم الملائكةُ بناتُ الله قول منهُم بأنَّ كلا منهم بنتُه سبحانَهُ، وهي التسميةُ بالأُنثى، وفي تعليقِها بعدمِ الإيمانِ بالآخرةِ إشعارٌ بأنَّها في الشناعةِ والفظاعةِ[٢] واستتباعِ العقوبةِ في الآخرةِ بحيثُ لا يجترئ عليها إلا مَنْ لا يؤمنُ بها رأسًا.

وقولُه تعالى: **﴿وما لَهُم بهِ من علمٍ﴾** حالٌ من فاعِلِ يسمُّون أي يسمونَهم والحالُ أنَّه لا علمَ لهم بما يقولونَ أصلًا، وقُرئ بها[٣] أي بالملائكةِ أو بالتسميةِ. **﴿إن يتبعونَ﴾** في ذلكَ **﴿إلا الظنَّ﴾** الفاسدَ **﴿وإنَّ الظنَّ﴾** أي جنسَ الظنِّ كما يلوحُ به الإظهارُ في موقعِ الإضمارِ **﴿لا يُغني من الحقِّ شيئًا﴾** من الإغناءِ، فإن الحقَّ الذي هو عبارةٌ عن حقيقةِ الشيءِ لا يُدرك إلا بالعلمِ، والظنُّ لا اعتدادَ به في شأنِ المعارفِ الحقيقيةِ وإنما يعتدُّ به في العملياتِ وما يؤدِّي إليها. **﴿فأعرضْ عمَّن تولَّى عن ذكرِنا﴾** أي عنْهم. ووضعُ الموصولِ موضعَ ضميرِهم للتوسلِ بهِ، أي وصفُهم بما في حيزِ صلتِه من الأوصافِ[٤] القبيحةِ وتعليلِ الحكم بهَا أيْ فأعرضْ عمَّن أعرضَ عن ذكرِنا المفيدِ للعلمِ اليقينيِّ وهو القُرآنُ المُنطوي عَلَى علومِ الأولينَ والآخرينَ المذكرِ لأمورِ الآخرةِ أو عَن ذكرِنا كما ينبغِي فإنَّ ذلكَ مستتبعٌ لَذكرِ الآخرة وما فيها من الأمور المرغوبِ فيها والمرهوبِ عنها. **﴿ولم يُردْ إلَّا الحياةَ الدُّنيا﴾** راضيًا بها قاصرًا نظرَهُ عليها، والمرادُ النهيُ عن دعوتِه والاعتناءُ بشأنِه فإنَّ من أعرضَ عمَّا ذُكرَ وانهمكَ في الدُّنيا بحيثُ كانتْ هي مُنتهَى همتِه وقُصارَى سعيِه[٥] لا تزيدُه الدعوةُ إلى خلافِها إلا عنادًا وإصرارًا على الباطلِ. **﴿ذلكَ﴾** أي ما أدَّاهم فيهِ من التولِّي وقصْرِ الإرادةِ على الحياةِ الدُّنيا **﴿مبلغُهم من العلمِ﴾** لا [يكادونَ][٦] يجاوزونَهُ إلى غيرهِ حتَّى تُجديهم الدعوةُ والإرشادُ وجمعُ الضميرِ في مبلغُهم باعتبارِ مَعْنى منْ كَما أنَّ إفراده فيمَا سبقَ

---

(١) سقط في خ.
(٢) في خ: والغلظة.
(٣) قرأ بها: أبي.
ينظر: الكشاف للزمخشري (٤/ ٣٢).
(٤) في خ: أوصافها.
(٥) في خ: تبعيته.
(٦) سقط في خ.

باعتبارِ لفظِها، والمرادُ بالعلم مطلقُ الإدراكِ المنتظم للظنِّ الفاسدِ والجملةُ اعتراضٌ مقررٌ لمضمونِ ما قبلَها من قصرِ الإرادةِ على الحياةِ الدُّنيا.

وقولُه تعالَى: ﴿إنَّ ربَّك هُو أعلمُ بمَنْ ضلَّ عن سبيلِه وهُو أعلمُ بَمنِ اهتَدَى﴾ تعليلٌ للأمرِ بالإعراضِ وتكريرُ قولِه تعالى هو أعلمُ لزيادةِ التقريرِ والإيذانِ بكمالِ تباينِ المعلومَينِ والمرادُ بمَنْ ضَلَّ منْ أصرَّ عليهِ ولم يرجعْ إلى الهُدَى أصلًا وبمَنْ اهتدَى مَنْ شأنُه الاهتداءُ في الجملةِ أي هو المبالغُ في العلمِ بمن لا يرعوِي عنِ الضلالِ أبدًا وبمن يقبلُ الاهتداءَ في الجملةِ لا غيرُه فلا تُتعبْ نفسَك في دعوتِهم فإنَّهم من القبيلِ الأولِ، وفي تعليلِ الأمرِ بإعراضِه عليهِ السلامُ عن الاعتناءِ بأمرِهم باقتصارِ العلمِ بأحوالِ الفريقينِ عليهِ تعالَى رمزٌ إلى أنَّه تعالَى يعاملُهم [بموجبِ علمِه][1] بهم فيجزى كلًا منْهم بما يليقُ بهِ من الجزاءِ ففيهِ وعيدٌ ووعدٌ ضِمنًا كما سيأتي صَريحًا.

﴿ولله مَا في السمواتِ ومَا في الأرضِ﴾ أي خَلقًا ومُلكًا لا لغيرِه أصلًا لا استقلالًا ولا اشتراكًا. وقوله تعالى: ﴿ليجزيَ﴾... إلخ متعلقٌ بما دلَّ عليهِ أعلمُ... إلخ وما بينهما اعتراضٌ مقررٌ لما قبلَهُ فإنَّ كونَ الكُلِّ مخلوقًا له تعالى ممَّا يقررُ علمَهُ تعالَى بأحوالِهم ﴿ألا يعلمُ منْ خلقَ﴾ [سورة الملك، الآية ١٤] كأنَّه قيلَ فيعلمُ ضلالَ من ضلَّ واهتداءَ من اهتدَى ويحفظُهما ليجزيَ ﴿الذينَ أساءُوا بَما عملُوا﴾ أي بعقابِ ما عملُوا من الضلالِ الذي عبَّر عنْهُ بالإساءةِ بيانًا لحالهِ أو بسببِ ما عملوا.

﴿ويجزيَ الذين أحسنُوا﴾ أي اهتدوا ﴿بالحُسْنَى﴾ أي بالمثوبةِ الحسْنَى التي هي الجنةُ أو بسببِ أعمالِهم الحُسْنَى، وقيلَ متعلقٌ بما دلَّ عليهِ قولُه تعالى: ﴿ولله مَا في السمواتِ ومَا في الأرضِ﴾ [سورة آل عمران، الآيات ١٠٩ و١٢٩ وسورة النساء، الآيات ١٢٦ و١٣١] كأنَّه قيلَ خلقَ ما فيهمَا ليجزيَ... إلخ، وقيلَ: متعلقٌ بضلَّ واهتدَى على أن اللامَ للعاقبةِ أي هُو أعلمُ بمن ضلَّ ليؤولَ أمرُه إلى أنْ يجزيَهُ الله تعالى بعملِه وبمنِ اهتدَى ليؤولَ أمرُهُ إلى أنْ يجزيَهُ بالحُسْنَى وفيهِ من البُعدِ ما لا يَخْفى، وتكريرُ الفعلِ لإبرازِ كمالِ الاعتناءِ بأمرِ الجزاءِ والتنبيهِ على تباينِ الجزاءينِ. ﴿الذينَ يجتنبونَ كبائرَ الإثمِ﴾ بدلٌ من الموصولِ الثَّاني. وصيغةُ الاستقبال في صلتِه للدلالةِ على تجددِ الاجتنابِ واستمرارِه، أو بيانٌ أو نعتٌ أو منصوبٌ على المدحِ،

---

(١) في خ: على موجب.

وكبائرُ الإثم ما يكبرُ عقابُه من الذنوبِ وهو ما رتبَ عليه الوعيدُ بخصوصِه. وقرىء كبيرَ[1] الإثم، على إرادةِ الجنسِ أو الشركِ ﴿والفواحشَ﴾ وما فُحش من الكبائرِ خُصُوصًا ﴿إلَّا اللممَ﴾ أي إلا ما قلَّ وصغُرَ فإنَّه مغفورٌ ممَّن يجتنبُ الكبائرَ قيلَ هي النظرةُ والغمزةُ والقبلةُ وقيلَ هي الخطرةُ من الذنبِ وقيلَ كلُّ ذنبٍ لم يذكرِ الله عليهِ حدا ولا عذابًا، وقيلَ عادةُ النفسِ الحينِ بعد الحينِ والاستثناءُ منقطعٌ ﴿إنَّ ربَّكَ واسعُ المغفرةِ﴾ حيث يغفرُ الصغائرَ باجتنابِ الكبائرِ، فالجملةُ تعليلٌ لاستثناءِ اللمم وتنبيهٌ على أنَّ إخراجَهُ عن حُكمِ المؤاخذةِ به ليسَ لخلوهِ عن الذنبِ في نفسِه بل لسَعةِ المغفرةِ الربانيةِ وقيلَ المَعْنى له أن يغفرَ لمن يشاءُ من المؤمنينَ ما يشاءُ من الذنوبِ صغيرِها وكبيرِها، ولعلَّ تعقيبَ وعيدِ المسيئينَ ووعدِ المحسنينَ بذلكَ حينئذٍ لئلاَّ ييأسَ صاحبُ الكبيرةِ من رحمتِه تعالى ولا يتوهم وجوبَ العقابِ عليه تعالى.

﴿هو أعلمُ بكُم﴾ أي بأحوالِكم يعلمُها ﴿إذْ أنشأكُم﴾ في ضمنِ إنشاءِ أبيكم آدمَ عليهِ السَّلامُ ﴿من الأرضِ﴾ إنشاءً إجماليًا حسبَما مرَّ تقريرُه مرارًا ﴿وإذْ أنتُم أجنَّةٌ﴾ أي ووقتَ كونِكم أجنةً ﴿في بطونِ أمَّهاتِكم﴾ على أطوارٍ مختلفةٍ مترتبةٍ لا يخفى عليه حالٌ من أحوالِكم وعملٌ من أعمالِكم التي منْ جُملتِها اللممُ الذي لولا المغفرةُ الواسعةُ لأصابكُم وبالُه فالجملةُ استئنافٌ مقررٌ لما قبلَها والفاءُ في قولِه تعالى ﴿فلا تزكُّوا أنفسَكُم﴾ لترتيبِ النَّهي عن تزكيةِ النفسِ على ما سبقَ منْ أنَّ عدمَ المؤاخذةِ باللمم ليسَ لعدمِ كونِه من قبيلِ الذنوبِ بلْ لمحضِ مغفرتِه تعالى مع علمِه بصدورِه عنكُم أي إذَا كانَ الأمرُ كذلكَ فلا تُثنوا عليها بالطهارةِ عن المعاصِي بالكليةِ أو بما يستلزمُها من زكاءِ العملِ ونماءِ الخير بلِ اشكرُوا الله تعالى على فضلِهِ ومغفرتِه. ﴿هو أعلمُ بمنِ اتَّقى﴾ المعاصيَ جميعًا، وهو استئنافٌ مقررٌ للنَّهي ومشعرٌ بأنَّ فيهم منْ يتقيها بأسرِها، وقيلَ كانَ ناسٌ يعملونَ أعمالًا حسنةً ثم يقولونَ صلاتُنا وصيامُنا وحجُّنا فنزلتْ وهَذا إذا كانَ بطريقِ الإعجابِ أو الرياءِ فأمَّا منِ اعتقدَ أنَّ ما عملَهُ من الأعمالِ الصالحةِ من الله تعالى وبتوفيقِه وتأييدِه ولم يقصدْ بهِ التمدحَ لم يكنْ من المزكينَ أنفسَهُم فإن المسرةَ بالطاعةِ طاعةٌ وذكرَهَا شكرٌ.

﴿أفرأيتَ الذي تولَّى﴾ أي عنِ اتباعِ الحقِّ والثباتِ عليهِ ﴿وأَعْطَى قليلًا﴾ أي

---

(١) قرأ بها: حمزة، والكسائي، وخلف، والأعمش، ويحيى بن وثاب، وعبد الله.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٠٣)، والإعراب للنحاس (٣/ ٦٥)، والتبيان للطوسي (٩/ ٤٣٠)، والسبعة لابن مجاهد ص (٦١٥)، والغيث للصفاقسي (٣٥٩، ٣٦٠)، والكشف للقيسي (٢/ ٢٥٣)، والمعاني للفراء (٣/ ١٠٠)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٣٦٧).

شيئًا قليلًا أو إعطاءً قليلًا ﴿وأكدى﴾ أي قطعَ العطاءَ من قولِهم أكدَى الحافرُ إذا بلغَ الكُديةَ أي الصَّلابةَ كالصَّخرةِ فلا يمكنه أنْ يحفرَ قالُوا نزلتْ في الوليدِ بنِ المغيرةَ كانَ يتبعُ رسول الله ﷺ فعيَّره بعضُ المشركينَ، وقالَ له تركتَ دينَ الأشياخِ وضلَّلتَهم فقالَ أخشَى عذابَ الله فضمن أنْ يتحملَ عنه العذابَ إن أعطاهُ بعضَ مالِه فارتدَّ وأعطاهُ بعضَ المشروطِ وبخلَ بالباقِي وقيلَ نزلتْ في العاصِ بنِ وائلِ السَّهميِّ لما أنَّه كانَ يوافقُ النبيَّ ﷺ في بعضِ الأمورِ، وقيلَ في أبي جهلٍ كان رُبَّما يوافقُ الرسولُ[١] ﷺ في بعضِ الأمورِ، وكان يقولُ والله ما يأمرُنا محمدٌ إلا بمكارمِ الأخلاقِ وذلكَ قولُه تعالى: ﴿وأعطَى قليلًا وأكْدَى﴾ والأولُ هو الأشهرُ المناسبُ لما بعدَهُ من قولِه تعالى: ﴿أعندَهُ علمُ الغيبِ فهو يُرَى﴾... إلخ أي أعندَهُ علمٌ بالأمورِ الغيبيةِ التي منْ جُملتِها تحمّلُ صاحبِه عنه يومَ القيامةِ. ﴿أم لَم ينبأْ بما في صحفِ مُوسى﴾ ﴿وإبراهيمَ الذي وفَّى﴾ أيْ وفَّر وأتمَّ ما ابتُلي به من الكلماتِ أو أُمرَ به أو بالغَ في الوفاءِ بما عاهدَ الله وتخصيصُه بذلكَ لاحتمالِه ما لم يحتملْهُ غيرُه كالصبرِ على نارِ نمرودَ حتَّى إنه أتاهُ جبريلُ عليهِ السَّلامُ حينَ يُلقى في النَّارِ فقالَ ألكَ حاجةٌ فقالَ أمَّا إليكَ فَلاَ وعلى ذبحِ الولدِ ويُروَى أنَّه كانَ يمشِي كلَّ يوم فرسخًا يرتادُ ضيفًا فإنْ وافقَهُ أكرمَهُ وإلا نَوَى الصومَ وتقديمُ مُوسى لما أنَّ صحفَهُ التي هي التوراةُ أشهرُ عندَهُم وأكثرُ. ﴿ألا تزرُ وازرةٌ وزرَ أُخْرى﴾ أي أنهُ لا تحملُ نفسٌ من شأنِها الحملُ حِملَ نفسٍ أُخرَى على أنَّ «أن» هيَ المخففةُ منَ الثقيلةِ وضميرُ الشأنِ الذي هو اسمُها محذوفٌ [والجملةُ المنفيةُ خبرُها ومحلُّ الجملةُ الجرُّ على أنَّها بدلٌ ممَّا في صحفِ مُوسى أو الرفعُ على أنَّها خبرُ مبتدأٍ محذوفٍ كأنَّهُ قيلَ: ما في صحفِهما فقيلَ هو ألا تزرُ.. إلخ والمَعْنى أنَّه لا يُؤاخذُ أحدٌ بذنبِ غيرِه ليتخلصَ الثَّانِي عن عقابِهِ][٢] ولا يقدحُ في ذلك قولُه عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ «**مَنْ سَنَّ سُنَّةً سيئةً فعليهِ**[٣] **وزرُهَا ووزرُ مَنْ عمِلَ بها إلى يومِ القيامةِ**»[٤] فإنَّ ذلكَ وزرُ الإضلالِ الذي هُو وزرُهُ».

مسؤولية الإنسان

وقولُه تعالَى: ﴿وأنْ ليسَ للإنسانِ إلا ما سَعَى﴾ بيانٌ لعدمِ انتفاعِ الإنسانِ

---

(١) في خ: النبي. (٢) سقط في خ.

(٣) في خ: فله.

(٤) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٥٩) كتاب العلم، باب: من سن سنة حسنة أو سيئة، برقم (١٥/ ١٠١٧)، من حديث جرير بن عبد الله -رضي الله عنه- بلفظ: «من سن في الإسلام سنة سيئة، فعمل بها بعده؛ كتب عليه مثل وزر من عمل بها، ولا ينقص من أوزارهم شيء».

بعملِ غيرِه من حيثُ جلبُ النفعِ إليهِ إثرَ بيانِ عدمِ انتفاعِه بهِ منْ حيثُ دفعُ الضررِ عنْهُ.

وأما شفاعةُ الأنبياءِ عليهم[(١)] السَّلامُ واستغفارُ الملائكةِ عليهم السَّلامُ ودعاءُ الأحياءِ للأمواتِ وصدقتُهم عنهم وغيرُ ذلكَ ممَّا لا يكادُ يُحصَى من الأمورِ النافعةِ للإنسانِ مع أنَّها ليستْ من عملِه قطعًا فحيثُ كان مناطُ منفعةِ كلٍّ منهَا عمله الذي هو الإيمانُ والصَّلاحُ[(٢)] ولم يكن لشيءٍ منها نفعٌ مَا بدونِه جُعل النافعُ نفسَ عملِه وإنْ كان بانضمامِ عملِ غيرِه إليهِ وأنْ مخففةٌ كأختِها معطوفةٌ عليهَا.

وكَذا قولُه تعالَى: ﴿وأنَّ سعيَهُ سوفَ يُرى﴾ أي يُعرضُ عليهِ ويكشفُ له يومَ القيامةِ في صحيفتِهِ وميزانِه من أريتُه الشيءَ ﴿ثم يُجزاه﴾ أي يُجزى الإنسانُ سعيَهُ يقالُ جزاهُ الله[(٣)] بعملِه وجَزَاهُ على عملِه بحذفِ الجارِّ وإيصالِ الفعلِ ويجوزُ أن يُجعلَ الضميرُ للجزاءِ ثم يُفسَّرَ بقولِه تعالى: ﴿الجزاءَ الأوْفَى﴾ أو يبدلُ هو عنْهُ كما في قولِه تعالى: ﴿وأسرُّوا النجوى الذينَ ظلمُوا﴾ [سورة الأنبياء، الآية ٣] ﴿وأنَّ إلى ربِّك المُنتهى﴾ أي انتهاءَ[(٤)] الخلقِ ورجوعَهم إليهِ تعالى لا إلى غيرِه استقلالًا ولا اشتراكًا وقرئ بكسرِ[(٥)] إنَّ على الابتداءِ ﴿وأنه هُو أضحكَ وأبكى﴾ أي هو خلقَ قُوتَي الضحكِ والبكاءِ ﴿وأنه هو أماتَ وأحيى﴾ لا يقدرُ على الإماتةِ والإحياءِ غيرُه فإنَّ أثرَ القاتلِ نقضُ البنيةِ وتفريقُ الاتصالِ وإنما يحصلُ الموتُ عندَهُ بفعلِ الله تعالَى على العادةِ ﴿وأنه خلقَ الزوجينِ الذكرَ والأُنثى من نطفةٍ إذَا تُمنى﴾ تدفقُ في الرحمِ أو تخلقُ أو يقدرُ منها الولدُ من مَنَى بمعنى قَدر ﴿وأنَّ عليه النشأةَ الأُخرى﴾ أَيَ الإحياءَ بعد الموتِ [وفاءً بوعدِه][(٦)] وقُرئ النشاءةَ[(٧)] بالمدِّ وهي أيضًا مصدرُ نشأَهُ. ﴿وأنَّه هو أَغْنَى وأَقْنى﴾ وأعطَى القُنيةَ وهي ما يُتأثلُ من الأموالِ وأفردَها بالذكرِ لأنَّها أشرفُ الأموالِ أو أَرْضى، وتحقيقُه جعلُ الرِّضا له قنيةً ﴿وأنَّه هُو ربُّ

---

(١) زاد في خ: والصلاة و.
(٢) في خ: والفلاح.
(٣) زاد في خ: تعالى.
(٤) في خ: منتهى.
(٥) قرأ بها: أبو السمال.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ١٦٨)، والمعاني للفراء (٣/ ١٠١)، وتفسير الرازي (٢٩/ ١٧).
(٦) سقط في خ.
(٧) قرأ بها: ابن كثير، وأبو عمرو.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٠٣)، والتيسير للداني ص (١٧٣)، والغيث للصفاقسي ص (٣٦٠)، والكشف للقيسي (٢/ ١٧٨)، وتفسير الرازي (٢٩/ ٢٢)، والنشر لابن الجزري (١/ ٤٦٠، ٢/ ٣٤٣).

﴿الشِّعرى﴾ أي ربُّ معبودِهم وهي العبورُ وهي أشدُّ ضياءً من الغميصاءِ[١] وكانتْ خزاعةُ تعبدُها سنَّ لهم ذلكَ أبو كبشةَ رجلٌ من أشرافِهم وكانتْ قريشٌ تقولُ لرسولِ الله ﷺ: أبو كبشةَ تشبيهًا له عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ به لمخالفتِه إيَّاهم في دينِهم.

﴿وأنه أهلك عادًا الأولى﴾ هي قومُ هودٍ عليه السلامُ وعادٌ الأُخرى إرامُ، وقيلَ: الأُولى القدماءُ لأنَّهم أُوْلى الأممِ هلاكًا بعدَ قومِ نوحٍ، وقرئَ عاد الاولى بحذف الهمزةِ ونقل ضمتها إلى اللام وعادًا[٢] لُّولى بإدغام التنوين في اللام وطرح همزة أولى ونقل حركتها إلى لام التعريف ﴿وثمودَ﴾ عطفٌ عَلى عادًا لأنَّ ما بعدَهُ لا يعملُ فيهِ وقرئ وثمودًا[٣] بالتنوينِ ﴿فما أبقى﴾ أي أحدًا من الفريقينِ ﴿وقومَ نوحٍ﴾ عطفٌ عليهِ أَيْضًا ﴿من قبل﴾ أي من قبلِ إهلاكِ عادٍ وثمودَ﴿إنهم كانوا هم أظلم وأطغى﴾ من الفريقينِ حيثُ[٤] كانُوا يؤذونَهُ وينفِّرون الناسَ عنْهُ وكانُوا يحذرونَ صبيانَهُم أن يسمعُوا منه وكانوا يضربونَهُ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ حتَّى لا[٥] يكونُ به حَراكٌ وما أثر فيهم دُعاؤُه قريبًا من ألفِ سنةٍ ﴿والمؤتفكة﴾ هي قُرَى قوم لوطٍ ائتفكتْ بأهلِها أي انقلبتْ بِهم ﴿أهوى﴾ أي أسقطَها إلى الأرضِ بعد أنْ رفعَها على جناحِ جبريلَ عليهِ السلامُ إلى السماءِ ﴿فغشَّاها ما غشَّى﴾ من فنونِ العذابِ وفيه منَ التهويلِ والتفظيع ما لا غايةَ وراءَهُ ﴿فبأي آلاءِ ربِّكَ تتمارى﴾ تتشكك. والخطابُ للرسولِ عليهِ الصَّلاةُ

---

(١) العبور والغميصاء هما الشِّعريان، قال ابن دريد: تزعم العرب أن الشِّعريين أختا سهيل وأنَّها كانت مجتمعة، فانحدر سهيل فصار يمانيا وتبعته الشعرى اليمانية فعبرت البحر فسميت عبوراً وأقامت الغميصاء مكانها فبكت لفقدهما حتى غمصت عينها.
وقيل إن العبور ترى سهيلاً إذا طلع فكأنها تستعبر والغميصاء لا تراه فقد بكت حتى غمصت.
وتقول العرب في أحاديثها: إن الشِّعرى العبور قطعت المجرَّة فسميت عبوراً وبكت الأخرى على إثرها حتى غمصت، فسميت الغميصاء.

(٢) قرأ بها: نافع، وأبو عمرو، وأبو جعفر، ويعقوب، وابن محيصن، وابن جماز، ومحمد بن إسحاق، والمسيبي، وورش، والأعمش، وقالون.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٠٣)، والإعراب للنحاس (٣/ ٢٧٦)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٣٣)، والبحر المحيط (٨/ ١٦٩)، والتيسير للداني ص (٢٠٤)، وتفسير الطبري (٢٧/ ٤٦)، والسبعة لابن مجاهد ص (٦١٥).

(٣) قرأ بها: نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، والكسائي، وأبو جعفر، وخلف.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٠٤)، والتبيان للطوسي (٩/ ٤٣٦)، والحجة لابن خالويه ص (٣٣٧)، والحجة لأبي زرعة ص (٦٨٨)، والغيث للصفاقسي ص (٣٦٠)، والكشف للقيسي (٢/ ٢٩٦)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٢٨٩).

(٤) في خ: حين. (٥) في خ: ما.

والسَّلامُ على طريقةِ قولِه تعالى: ﴿لئِن أشركتَ ليحبطنَّ عملُك﴾ [سورة الزمر، الآية ٦٥] أو لكلِّ أحدٍ، وإسنادُ فعلِ التَّمارِي إلى الواحدِ باعتبارِ تعددِه بحسبِ تعددِ متعلقِه فإنَّ صيغةَ التفاعلِ وإن كانتْ موضوعةً لإفادةِ صدورِ الفعلِ عن المتعدد ووقوعِه عليهِ بحيث يكونُ كلٌّ منْ ذلكَ فاعلًا ومفعولًا معًا لكنَّها قد تجردُ عن المَعْنى الثانِي فيرادُ بها المَعْنى الأولَ فقط كما في يتداعونهم أي يدعونهم وقد تجرّد عنهم أيضًا فيُكتفى بتعدد الفعل بتعدد متعلّقه كما فيما نحن فيه فإن المِراء متعددٌ بتعدد الآلاء فتدبر، وتسمية الأمور المعدودة آلاءَ مع أن بعضها نِقمٌ لِما أنها أيضًا نعم من حيث إنها نُصرة للأنبياءِ والمؤمنين وانتقام لهم وفيها عظاتَ وعِبر للمعتبرين.

﴿هذا نذيرٌ من النذرِ الأُولى﴾ هَذا إمَّا إشارةٌ إلى القُرآنِ، والنذيرُ مصدرٌ، أو إلى الرسولِ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ والنذيرُ بمَعْنى المُنذرِ، وأيًا ما كانَ فالتنوينُ للتفخيمِ ومِنْ متعلقةٌ بمحذوفٍ هو نعتٌ لنذيرٌ مقررٌ له ومتضمنٌ للوعيدِ أي هَذا القرآنُ الذي تشاهدونَهُ نذيرٌ من قبيلِ الإنذاراتِ المتقدمةِ التي سمعتُم عاقبتَها، أو هذا الرسولُ منذرٌ من جنسِ المنذرينَ الأولينَ والأُولى على تأويلِ الجماعةِ لمراعاةِ الفواصلِ وقد علمتُم أحوالَ قومِهم المنذرين وفي تعقيبِهِ بقولِه تعالى: ﴿أزفتِ الآزفةُ﴾ إشعارٌ بأنَّ تعذيبَهُم مؤخرٌ إلى يومِ القيامةِ أي دنتِ الساعةُ الموصوفةُ بالدنوِّ في نحوِ قولِه تعالى: ﴿اقتربتِ الساعةُ﴾ [سورة القمر، الآية ١] ﴿ليسَ لها من دونِ الله كاشفةٌ﴾ أي ليسَ لها نفسٌ قادرةٌ على كشفِها عندَ وقوعِها إلا الله تعالَى لكنَّه لا يكشفُهَا أو ليسَ لها الآنَ نفسٌ كاشفةٌ بتأخيرِها إلا الله تعالَى فإنَّه المؤخِّرُ لَها أو ليسَ لها كاشفةٌ لوقتِها إلا الله تعالَى كقولِه تعالَى: ﴿لا يُجلِّيها لوقتِها إلا هُو﴾ [سورة الأعراف، الآية ١٨٧] أو ليسَ لها من غيرِ[1] الله تعالى كشفٌ على أنَّ كاشفةٌ مصدرٌ كالعافيةِ ﴿أفمنْ هَذا الحديثِ﴾ أي القرآنِ ﴿تعجبونَ﴾ إنكارًا ﴿وتضحكونَ﴾ استهزاءً مع كونِه أبعدَ شيءٍ من ذلكَ ﴿ولا تبكونَ﴾ حُزنًا على ما فرَّطْتم في شأنِه وخوفًا من أنْ يَحيقَ بكُم ما حاقَ بالأمم المذكورةِ ﴿وأنتم سامدونَ﴾ أي لاهونَ أو مستكبرونَ من سَمد البعيرُ إذا رفعَ رأسَهُ أو مغنونَ لتشغَلوا النَّاسَ عن استماعِه من السمودِ بمَعْنى الغناءِ على لغةِ[2] حِمْيرَ أو خاشعونَ جامدونَ[3] من السمودِ بمَعْنى الجمودِ والخشوعِ كما في قولِ مَنْ قالَ: [الوافر]

رَمَى الحِدْثانُ نِسْوةَ آلِ سَعْدٍ ... بِمقْدارٍ سَمَدْنَ لَهُ سُمُودا

(١) في خ: دون.
(٢) زاد في خ: تميم.
(٣) في خ: خامدون.

فـردَّ شعـورَهُـنَّ الـسـودَ بِـيْـضَـا   وردَّ وجـوهُـنَّ الـبـيـضَ سُـودا(١)

والجملةُ حالٌ مِنْ فاعلِ لا تبكونَ خَلاَ أنَّ مضمونَها على الوجهِ الأخيرِ قيدٌ للنفي(٢) والإنكارُ واردٌ على نَفي البكاءِ والسمودِ معًا، وعلى الوجوهِ الأُولِ قيدٌ للنفي والإنكارُ متوجهٌ إلى نفي البكاءِ ووجودِ السمودِ والأولُ أوفَى بحقِّ المقامِ فتدبرْ.

والفاءُ في قولِه تعالى ﴿فاسجدُوا لله واعبدُوا﴾ لترتيبِ الأمرِ أو موجبهِ على ما تقررَ من بُطلانِ مقابلةِ القرآنِ بالإنكارِ والاستهزاءِ ووجوبِ تلقيهِ بالإيمانِ مع كمالِ الخضوعِ والخشوعِ أي وإذَا كانَ الأمرُ كذلِكَ فاسجدُوا لله الذي أنزلَهُ واعبدُوه.

عن النبيِّ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ: **«مَنْ قرأَ سورةَ والنجمِ أعطاهُ الله تعالَى عشرَ حسناتَ بعددِ منْ صدَّقَ بمحمدٍ وجحدَ به بمكةَ شرَّفها الله تعالَى»**(٣).

---

(١) تقدم.

(٢) في ط: للمنفي.

(٣) تقدم تخريجه، وزاد في خ: والله الموفق بمنه وكرمه.

سُورَةُ القَمَرِ

مَكيةٌ وآيُها خمسٌ وخمسونَ آيةً

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾
وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ
مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ﴿٥﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ۘ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ
نُّكُرٍ ﴿٦﴾ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ ۖ يَقُولُ
ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾ ۞ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا
رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ
عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾
وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ
مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِى يَوْمِ نَحْسٍ
مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا
ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى
ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ
ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ ۖ كُلُّ شِرْبٍ
مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾ فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً
وَٰحِدَةً فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍۭ
بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ ۖ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى
مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا۟ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ
فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ
يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَٰهُمْ
أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُو۟لَٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ

مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ إِنَّ
ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ
شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ
مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ إِنَّ
ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾

﴿اقتربتِ الساعةُ وانشقَّ القمرُ﴾ رُوِيَ أَنَّ الكُفَّارَ سألُوا رسولَ الله ﷺ آيةً، فانشقَّ القمرُ[1].

---

(١) ورد انشقاق القمر عن جماعة من أصحاب النبي ﷺ، وهم: أنس بن مالك، وابن مسعود، وابن عمر، وجبير بن مطعم، وابن عباس.
- حديث أنس بن مالك:
أخرجه البخاري (٦/ ٧٣٠) كتاب المناقب، باب: سؤال المشركين أن يريهم النبي ﷺ آية فأراهم انشقاق القمر، حديث (٣٦٣٧)، وفي (٧/ ٢٢١) كتاب مناقب الأنصار، باب: انشقاق القمر، حديث (٣٨٦٨)، وفي (٨/ ٤٨٤) كتاب التفسير، باب: ﴿وانشق القمر﴾ حديث (٤٨٦٧، ٤٨٦٨)، ومسلم (٤/ ٢١٥٩) كتاب صفات المنافقين، باب: انشقاق القمر، حديث (٤٦/ ٢٨٠٢)، والترمذي (٥/ ٣٩٧) كتاب التفسير، باب: ومن سورة القمر، حديث (٣٢٨٦)، وأحمد (٣/ ٢٧٥، ٢٧٨)، وأبو داود الطيالسي (٢/ ١٢٣) رقم (٢٤٤٩)، والطبري في تفسيره (١١/ ٥٤٤، ٥٤٥) رقم (٣٢٦٨٨، ٣٢٦٩٣)، وأبو يعلى (٥/ ٣٠٦) رقم (٢٩٢٩)، والطحاوي في مشكل الآثار (١/ ٣٠٣)، والبيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٢٦٢، ٢٦٣)، من طرق عن قتادة عن أنس بن مالك أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يُريهم آية فأراهم انشقاق القمر مرتين.
وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.
- حديث عبد الله بن مسعود:
أخرجه البخاري (٦/ ٧٣٠) كتاب المناقب، باب: سؤال المشركين أن يريهم النبي ﷺ آية فأراهم انشقاق القمر، حديث (٣٦٣٦)، وفي (٧/ ٢٢١) كتاب مناقب الأنصار، باب: انشقاق القمر، حديث (٣٨٦٩، ٣٨٧١)، وفي (٨/ ٤٨٣، ٤٨٤) كتاب التفسير، باب: ﴿وانشق القمر﴾ حديث (٤٧٦٤، ٤٧٦٥)، ومسلم (٤/ ٢١٥٨، ٢١٥٩) كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب: انشقاق القمر، حديث (٤٣، ٤٤، ٤٥/ ٢٨٠٠)، والترمذي (٥/ ٣٩٨) كتاب التفسير، باب: ومن سورة القمر، حديث (٣٢٨٧)، والطبري في تفسيره (١١/ ٥٤٥) رقم (٣٢٦٩٤، ٣٢٦٩٥)، والحاكم (٢/ ٤٧١، ٤٧٢)، والبيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٢٦٥) كلهم من طريق أبي معمر عن عبد الله بن مسعود قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فقال لنا النبي ﷺ: «اشهدوا».
وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.
وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذه السياقة إنما اتفقا على حديث أبي معمر عن عبد الله بن مسعود مختصرًا، وهذا حديث لا نستغني فيه عن متابعة الصحابة بعضهم لبعض لمغايظة أهل الإلحاد فإنه أول آيات الشريعة. =

....

= وللحديث طرق أخرى عن ابن مسعود:
فأخرجه الحاكم (٢/ ٤٧١)، والطبري في تفسيره (١١/ ٥٤٥) رقم (٣٢٦٩٨) من طريق الأسود عن ابن مسعود، وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه بهذه السياقة وبهذا اللفظ.
ووافقه الذهبي.
وهذا الطريق ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١٧٦) وزاد نسبته إلى عبد بن حميد وابن مردويه وأبي نعيم في «الدلائل».
وأخرجه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٥٤٥) رقم (٣٢٦٩٩)، وأبو نعيم في «دلائل النبوة»، ص (٢٠٢)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٢٦٦) من طريق أبي الضحى عن مسروق عن ابن مسعود به.
وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١٧٦) وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن مردويه.
- حديث ابن عمر:
أخرجه مسلم (٤/ ٢١٥٩) كتاب صفات المنافقين، باب: انشقاق القمر، حديث (٢٨٠١)، والترمذي (٥/ ٣٩٨) كتاب التفسير، باب: ومن سورة القمر، حديث (٣٢٨٨)، والطبري في تفسيره (١١/ ٥٤٥)، رقم (٣٢٦٩٦)، والحاكم (٢/ ٤٧٢)، وأبو نعيم في الدلائل، ص (٢٠١)، والبيهقي (٢/ ٢٦٧)، كلهم من طريق شعبة عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عمر بمثل حديث ابن مسعود المتفق على صحته.
وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.
- حديث جبير بن مطعم:
أخرجه الترمذي (٥/ ٣٩٨) كتاب التفسير، باب: ومن سورة القمر، حديث (٣٢٨٩)، والطبري في تفسيره (١١/ ٥٤٦) رقم (٣٢٧٠٥) من طريق حصين عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه، قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ صار فرقتين على هذا الجبل وعلى هذا الجبل، فقالوا: سحرنا محمد، فقال بعضهم: لئن كان سحرنا ما يستطيع أن يسحر الناس كلهم.
وقال الترمذي: وقد روى بعضهم هذا الحديث عن حصين عن جبير بن محمد بن جبير ابن مطعم عن أبيه عن جده جبير بن مطعم بنحوه.
قلت: والطريق الذي أشار إليه الترمذي -رحمه الله- أخرجه الحاكم (٢/ ٤٧٢)، والبيهقي في «الدلائل» (٢/ ٢٦٨).
وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. والحديث ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١٧٦) وزاد نسبته إلى عبد بن حميد وأبي نعيم في «الدلائل».
- حديث ابن عباس:
أخرجه البخاري (٦/ ٧٣٠) كتاب المناقب، باب: سؤال المشركين أن يريهم النبي ﷺ آية فأراهم انشقاق القمر، حديث (٣٦٣٨)، وفي (٨/ ٤٨٤) كتاب التفسير، باب: ﴿وانشق القمر﴾ حديث (٤٨٦٦)، ومسلم (٤/ ٢١٥٩) كتاب صفات المنافقين، باب: انشقاق القمر، حديث (٤٨/ ٢٨٠٣)، والحاكم (٢/ ٤٧٢)، والطبري في تفسيره (١١/ ٥٤٦)، رقم (٣٢٧٠٧) من طريق عراك بن مالك عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال: انشق القمر في عهد رسول الله ﷺ.

قالَ ابنُ عبَّاسٍ رضيَ الله عنهُمَا: انفلقَ فلقتينِ فلقةٌ ذهبتْ وفلقةٌ بقيتْ[١]. وقالَ ابنُ مسعودٍ رأيتُ حِراءَ بينَ فلقتَيْ القمرِ[٢]. وعنْ عثمانَ بنِ عطاءٍ عنْ أبيهِ أنَّ معناهُ سينشقُّ يومَ القيامةِ ويردُّه قولُه تعالى: ﴿وإنْ يَرَوا آيةً يُعرضُوا ويقولُوا سحرٌ مستمرٌّ﴾ فإنَّه ناطقٌ بأنَّه قدْ وقعَ وأنَّهم قدْ شاهدُوا بعدَ مُشاهدةِ نظائره. وقرئَ[٣] [و][٤] قَدِ انشقَّ القمرُ. أي اقتربتِ[٥] الساعةُ وقد حصلَ منْ آياتِ اقترابِها أنَّ القَمرَ قدِ انشقَّ ومَعْنى الاستمرارِ الاطرادُ أو[٦] الاستحكامُ أيْ وإنْ يَرَوا آيةً من آياتِ الله يُعرضُوا عنِ التأملِ فيها ليقفُوا على حقِّيتها وعلوِّ طبقتِها ويقولُوا سحرٌ مطردٌ دائمٌ يأتِي به محمدٌ عَلى مرِّ الزمانِ لا يكادُ يختلفُ بحالٍ كسائرِ أنواعِ السحرِ، أو قويٌّ مستحكمٌ لا يمكنُ إزالتُه وقيلَ: مستمرٌّ[٧]: ذاهبٌ يزولُ ولا يَبْقى تمنيةً لأنفسِهم، وتعليلًا وهو الأنسبُ بغلوِّهم في العِنادِ والمُكابرةِ ويؤيدُه ما سيأتِي لردِّه. وقرئ وإنْ يُرَوا[٨] على البناءِ للمفعولِ منَ الإراءةِ ﴿وكذَّبُوا﴾ أي بالنبيِّ ﷺ وما عاينُوه مما أظهرَهُ الله تعالَى على يدِه من المعجزاتِ ﴿واتَّبعُوا أهواءَهُم﴾ التي زيَّنها الشيطانُ لهم أو كذَّبُوا الآيةَ التي هيَ انشقاقُ القمرِ واتَّبعُوا أهواءَهُم وقالُوا سحرَ القمرَ أو سحرَ أَعْيُننا والقمرُ بحالِه. وصيغةُ الماضِي للدلالةِ على التحققِ[٩].

وقولُه تعالى: ﴿وكلُّ أمرٍ مستقرٌّ﴾ استئنافٌ مسوقٌ لإقناطِهم عمَّا علَّقوا به أمانيَّهم الفارغةَ من عدم استقرارِ أمرِه عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ حسبمَا[١٠] قالُوا سحرٌ مستمرٌّ ببيانِ ثباتِه ورسوخِه أي وكلُّ أمرٍ من الأمورِ مستقرٌّ أي مُنتهٍ [إلى غايةٍ][١١] يستقرُّ عليها لا محالةَ، ومن جُملتِها أمرُ النبيِّ ﷺ فسيصيرُ إلى غايةٍ يتبينُ عندَها حقِّيتُه وعلو شأنِه، وإبهامُ المستقَرِّ عليهِ للتنبيهِ على كمالِ ظهورِ الحالِ وعدم الحاجةِ إلى التصريحِ بهِ، وقيلَ: المَعْنى كلُّ أمرٍ من أمرِهم وأمرِه عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ مستقرٌّ أي سيثبتُ ويستقرُّ على حالةِ خذلانٍ أو نصرةٍ في الدُّنيا وشقاوةٍ أو سعادةٍ في الآخرةِ. وقرئ بالفتحِ[١٢]

---

(١) ينظر الحديث السابق. (٢) ينظر الحديث السابق.

(٣) قرأ بها: حذيفة.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ١٧٣)، وتفسير القرطبي (١٧/ ١٢٥)، والمجمع للطبرسي (٩/ ١٨٤، ١٨٥)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٢٩٧).

(٤) سقط في خ. (٥) في خ: اقترعت.

(٦) في خ: و. (٧) زاد في خ: زايق.

(٨) ينظر: البحر المحيط (٨/ ١٧٣). (٩) في خ: التحقيق.

(١٠) في خ: حيث. (١١) سقط في خ.

(١٢) قرأ بها: نافع، وشيبة.
ينظر: الإملاء للعكبري (٢/ ١٣٤)، والبحر المحيط (٨/ ١٧٤)، وتفسير القرطبي (١٧/ ١٢٨)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٣٦).

على أنَّه مصدرٌ أو اسمُ مكانٍ أو [اسمُ][١] زمانٍ أي ذُو استقرارٍ أو ذُو موضعَ استقرارٍ أو ذُو زمانِ استقرارٍ، وبالكسرِ والجرِّ عَلى أنَّه صفة أمر، وكلٌّ عطفٌ على الساعةُ أي اقتربتِ الساعةُ وكلُّ أمرٍ مستقرٌّ، ﴿ولقد جاءهُم﴾ أي في القُرآنِ.

وقولُه تعالَى: ﴿من الأنباءِ﴾ أي أنباءِ القرونِ الخاليةِ أو أنباءِ الآخرةِ، متعلقٌ بمحذوفٍ هو حالٌ مما بعدَهُ أيْ وبالله لقد جاءهُم كائنًا من الأنباءِ ﴿مَا فيهِ مزدجرٌ﴾ أي ازدجارٌ من تعذيبٍ أو وعيدٍ، أو موضعُ ازدجارٍ على أنَّ في تجريديةٌ والمَعْنى أنَّه في نفسِه موضعُ ازدجارٍ، وتاءُ الافتعالِ تقلبُ دالًا مع الدالِ والذالِ والزَّاي للتناسبِ، وقرئَ[٢] مُزَّجَرٌ[٣] بقلبِها زاء وإدغامِها.

﴿حكمةٌ بالغةٌ﴾ غايتها لا خللَ فيها وهي بدلٌ منْ مَا أو خبرٌ لمحذوفٍ. وقرئ بالنصبِ[٤] حالًا منَها فإنَّها موصولةٌ أو موصوفةٌ تخصصتْ بصفتِها فساغَ نصبُ الحالِ عنها. ﴿فما تُغْنِي النذرُ﴾ نفيٌ للإغناءِ، [أو إنكارٌ لهُ. والفاءُ لترتيبِ عدمِ الإغناءِ على مجيءِ الحكمةِ البالغةِ مع كونِه مظنَّة للإغناءِ وصيغةُ المُضارعِ للدلالةِ على تجددِ عدم الإغناءِ][٥] واستمرارِه حسبَ تجددِ مجيءِ الزواجرِ واستمرارِه، وما [على الوجهِ الثانِي][٦] منصوبةٌ أي فأيُّ إغناء تُغني النذرُ وهو جمعُ نذيرٍ بمعنى المنذرِ أو مصدرٌ بمَعْنى الإنذارِ.

من أهوال البعث ونظائره في الدنيا

﴿فتولَّ عنْهم﴾ لعلمكَ بأنَّ الإنذارَ لا يُؤثرُ فيهم ألبتةَ ﴿يومَ يدعُ الداعِ﴾ منصوبٌ بـ (يخرُجونَ) أو باذكُرْ. والدَّاعِي إسرافيلُ عليهِ السَّلامُ ويجوزُ أنْ يكونَ الدعاءُ فيهِ كالأمرِ في قولِه تعالى: ﴿كُن فيكونُ﴾ [سورة آل عمران، الآية ٥٩] وإسقاطُ الياءِ للاكتفاءِ بالكسرِ تخفيفًا ﴿إلى شيءٍ نُكُرٍ﴾ أي منكرٍ فظيعٍ تنكرُه النفوسُ لعدم العهدِ بمثلِه وهو هَولُ القيامةِ وقرئ نُكْرٍ[٧] بالتخفيفِ ونكر بمَعْنى أنكر ﴿خُشعًا أبصارُهم﴾

(١) سقط في خ.
(٢) ينظر: البحر المحيط (٨/ ١٧٤)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٣٦).
(٣) في خ: مزدجر.
(٤) قرأ بها: اليماني.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ١٧٤)، وتفسير الرازي (٢٩/ ٣٢).
(٥) سقط في خ. (٦) سقط في خ.
(٧) قرأ بها: ابن كثير، والحسن، وشبل.

=

حالٌ من فاعلِ ﴿يخرجونَ﴾ والتقديمُ لأنَّ العاملَ متصرفٌ أي يخرجونَ ﴿من الأجداثِ﴾ أذلةً أبصارُهم من شدةِ الهولِ وقرئ خاشعًا[١] والإفرادُ والتذكيرُ لأنَّ فاعلَه ظاهرٌ غيرُ حقيقيِّ التأنيثِ. وقرئ خاشعةً[٢] على الأصلِ، وقرئ خُشَّعٌ[٣] أبصارُهم عَلَى الابتداءِ والخبرِ على أنَّ الجملةَ حالٌ ﴿كأنَّهم جرادٌ مُنتشرٌ﴾ في الكثرةِ والتموجِ والتفرق في الأقطارِ ﴿مُهطعينَ إلى الداعِ﴾ مسرعينَ مادِّي أعناقِهُم إليهِ أو ناظرينَ إليهِ ﴿يقولُ الكافرونَ﴾ استئنافٌ وقعَ جوابًا عمَّا نشأَ من وصفِ اليوم بالأهوالِ وأهلِه بسوءِ الحالِ كأنَّه قيلَ فماذا يكونُ حينئذٍ فقيلَ يقولُ الكافرونَ ﴿هذا يومٌ عسرٌ﴾ أي صعبٌ شديدٌ، وفي إسنادِ القولِ المذكورِ إلى الكفارِ تلويحٌ بأنَّ المؤمنينَ ليسُوا في تلكَ المرتبةِ من الشدةِ ﴿كذبتْ قبلَهم قومُ نوحٍ﴾ شروعٌ في تعدادِ بعضِ ما ذُكِرَ منَ الأنباءِ الموجبةِ للازدجارِ، ونوعُ تفصيلٍ لها وبيانٌ لعدمِ تأثرِهم بها تقريرًا لفحْوَى قولِه تعالى: ﴿فما تُغني النذرُ﴾ [سورة القمر، الآية ٥] أي فعلَ التكذيبَ قبلَ تكذيبِ قومِك قومُ نوح وقولُه تعالَى: ﴿فكذَّبُوا عبدنَا﴾ تفسيرٌ لذلكَ التكذيبِ المبهمِ كما في قولِه تعالى: ﴿ونادى نوحٍ ربَّه فقالَ ربِّ﴾ [سورة هود، الآية ٤٥]... إلخ، وفيه مزيدُ تقريرٍ وتحقيقٍ للتكذيبِ وقيلَ: معناهُ كذَّبوه تكذيبًا إثرَ تكذيبٍ كلَما خَلاَ منهم قرنٌ مكذبٌ جاءَ عقيبَه قرنٌ آخر مكذبٌ مثلُه.

وقيلَ: كذبتْ قومُ نوحٍ الرسلَ فكذبُوا عبدنَا لأنَّه من جُملتِهم وفي ذِكرِه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ بعنوانِ العبوديةِ مع الإضافةِ إلى نونِ العظمةِ تفخيمٌ له عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ ورفعٌ لمحلِّه وزيادةُ تشنيعٍ لمكذبيهِ ﴿وقالُوا مجنونٌ﴾ أي لم يقتصرُوا على

= ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٠٤)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٣٤)، والبحر المحيط (٨/ ١٧٥)، والتبيان للطوسي (٩/ ٤٤٣)، والتيسير للداني ص (٢٠٥)، وتفسير القرطبي (١٧/ ١٢٩)، والغيث للصفاقسي ص (٣٦١).

(١) قرأ بها: أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، ويعقوب، وخلف، وابن عباس، وابن جبير، ومجاهد، والجحدري، واليزيدي، والحسن، والأعمش.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٠٤)، والإعراب للنحاس (٣/ ٢٨٣)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٣٤)، والتيسير للداني ص (٢٠٥)، والسبعة لابن مجاهد ص (٦١٨)، والغيث للصفاقسي ص (٣٦١)، والمعاني للأخفش (٢/ ٤٨٨).

(٢) قرأ بها: ابن مسعود، وأبي.
ينظر: الإعراب للنحاس (٣/ ٢٨٣)، والبحر المحيط (٨/ ١٧٥)، وتفسير الطبري (٢٧/ ٥٣)، والحجة لأبي زرعة ص (٦٨٨)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٣٦)، والمعاني للفراء (٣/ ١٠٥)، وتفسير الرازي (٢٩/ ٣٣).

(٣) ينظر: البحر المحيط (٨/ ١٧٦)، وتفسير القرطبي (١٧/ ١٣٠)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٣٦).

مجردِ التكذيبِ بل نسبُوه إلى الجنونِ ﴿وازدُجِرَ﴾ عطفٌ على قالُوا أي وزُجِرَ عن التبليغِ بأنواعِ الأذيةِ وقيلَ: هو من جُملةِ ما قالُوه أي هُو مجنونٌ وقد ازدجرتْهُ الجِنُّ وتخبطتهُ ﴿فدعَا ربَّه أنِّي﴾ أي بأَنِّي وقرئَ[١] بالكسرِ على إرادةِ القولِ ﴿مغلوبٌ﴾ أي من جهةِ قومِي ما لي قدرةٌ على الانتقامِ منْهم ﴿فانتصِرْ﴾ أي فانتقِمْ لِي منُهم وذلكَ بعد تقررِ يأسِه منُهم بعد اللَّتيا والتي فقدْ رُوِيَ أنَّ الواحدَ منْهم كان يلقاهُ فيخنقُه حتَّى يخِرَّ مغشيًا عليهِ ويقولَ[٢] اللهمَّ اغفر لقومِي فإنَّهم لا يعلمونَ ﴿ففتَحنا أبوابَ السماءِ بماءٍ منهمرٍ﴾ منصبٌّ وهُو تمثيلٌ لكثرةِ الأمطارِ وشدةِ انصبابِها وقرئَ ففتَّحنا[٣] بالتشديدِ لكثرةِ الأبوابِ ﴿وفجرنَا الأرضَ عيونًا﴾ أي جعلنَا الأرض كُلَّها كأنَّها عيونٌ متفجرةٌ وأصلُه وفجرنَا عيونَ الأرضِ فغُيرَ قضاءً لحقِّ المقامِ ﴿فالتقى الماءُ﴾ أي ماءُ السماءِ وماءُ الأرضِ والإفرادُ لتحقيقِ أنَّ التقاءَ الماءينِ لم يكُنْ بطريقِ المجاورةِ والتقاربِ بلْ بطريقِ الاختلاطِ والاتحادِ وقرئَ المَاءانِ لاختلافِ[٤] النوعينِ والماوانِ[٥] بقلبِ الهمزةِ واوًا. ﴿على أمرٍ قدْ قُدِرَ﴾ أي كائنًا على حالٍ قد قدَّرَها الله تعالَى من غيرِ تفاوتٍ أو على حالٍ قدرتْ وسويتْ وهو أنَّ قدرَ ما أُنزلَ على قدرِ ما أُخرجَ أو على أمرٍ[٦] قدرَهُ الله تعالَى وهو هلاكُ قومِ نوحٍ بالطُّوفانِ ﴿وحملنَاهُ﴾ أي نوحًا عليهِ السَّلامُ ﴿على ذاتِ ألواحٍ﴾ أي أخشابٍ عريضةٍ ﴿ودُسُرٍ﴾ ومساميرَ جمعُ دِسارٍ من الدَّسرِ وهو الدفعُ وهي صفةٌ للسفينةِ أقيمتْ مقامَها من حيثُ إنَّها كالشرح لها تؤدِّي مُؤدَّاها[٧] ﴿تَجْرِي بأعْيُننا﴾ بمرأى منَّا أي محفوظةً بحفظِنا ﴿جزاءً لمن كانَ كُفِرَ﴾ أي فعلنَا ذلكَ جزاء لنوحٍ عليهِ السَّلامُ لأنَّه كانَ نعمةً كفرُوها فإنَّ كلَّ نبيٍّ نعمةٌ

---

(١) قرأ بها: عاصم، وابن أبي إسحاق، وعيسى بن عمر، والأعمش، وزيد بن علي.
ينظر: الإعراب للنحاس (٣/ ٢٨٤)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٣٤)، والبحر المحيط (٨/ ١٧٦)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٣٧)، وتفسير الرازي (٢٩/ ٣٦).

(٢) زاد في خ: نوح.

(٣) قرأ بها: ابن عامر، وأبو جعفر، وروح، ورويس، والأعرج، ويعقوب، وابن وردان، وابن جماز.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٠٤)، والبحر المحيط (٨/ ١٧٧)، والتبيان للطوسي (٩/ ٤٤٥)، والتيسير للداني ص (١٠٢)، والسبعة لابن مجاهد ص (٦١٨)، والغيث للصفاقسي ص (٣٦١)، والمجمع للطبرسي (٩/ ١٨٨).

(٤) في خ: لاختلاط.

(٥) قرأ بها: الحسن.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ١٧٧)، وتفسير القرطبي (١٧/ ١٣٢).

(٦) زاد في خ: قد.

(٧) في خ: قرارها.

من الله تعالَى على أمتِهِ ورحمةٌ وأيُّ نعمةٍ ورحمةٍ وقد جُوِّزَ أن يكونَ على حذفِ الجارِّ وإيصالِ الفعلِ إلى الضميرِ واستتارِه[١] في الفعلِ بعد انقلابِه مرفوعًا وقرئ لِمنْ[٢] كَفَرَ. أي: للكافرينَ.

﴿ولقد تركنَاها﴾ أي السفينةَ أو الفعلةَ ﴿آيةً﴾ يعتبرُ بَها من يقفُ على خَبرِها. وقالَ قَتَادةُ أبقاهَا الله تعالَى بأرضِ الجزيرة، وقيلَ: على الجُوديِّ دَهْرًا طويلًا حتى نظرَ إليها أوائلُ هذه الأمةِ. ﴿فهلْ من مدَّكرٍ﴾ أي معتبرٍ بتلكَ الآيةِ الحقيقةِ بالاعتبارِ وقرئ مُذْتكرٍ[٣] على الأصلِ ومُذَّكرٍ[٤] بقلبِ التاءِ ذالًا والإدغام فيها ﴿فكيفَ كانَ عذابِي ونذرِ﴾ استفهامُ تعظيمٍ وتعجيبٍ أيْ كانا على كيفيةٍ هائلةٍ لا يُحيطُ بها الوصفُ، والنذرُ جمعُ نذيرٍ بمَعْنَى الإنذارِ. ﴿ولقد يسرنَا القُرآنَ﴾.. .إلخ جملةٌ قسميةٌ وردتْ في أواخرِ القصصِ الأربعِ تقريرًا لمضمونِ ما سبقَ من قولِه تعالى: ﴿ولقد جاءهُم من الأنباءِ ما فيهِ مزدجرٌ * حكمةٌ بالغةٌ فما تُغْنِي النذرُ﴾ [سورة القمر، الآيتان ٤، ٥] وتنبيهًا على أنَّ كلَّ قصةٍ منها مستقلةٌ بإيجابِ الادّكارِ كافيةٌ في الازدجارِ ومع ذلكَ لم تقعْ واحدةٌ في حيزِ الاعتبارِ، أي وبالله لقد سهَّلْنا القرآنَ لقومِكَ بأنْ أنزلناهُ على لغتِهم وشحنَّاهُ بأنواعِ المواعظِ والعبرِ وصرَّفنا فيهِ من الوعيدِ والوعدِ ﴿للذكرِ﴾ أي للتذكرِ والاتعاظِ ﴿فهلْ منْ مدَّكرٍ﴾ إنكارٌ ونفيٌ للمتعظِ على أبلغِ وجهٍ وآكدِه حيثُ يدلُّ على أنَّه لا يقدرُ أحدٌ أنْ يجيبَ المستفهَم بنَعَمْ وحَملُ تيسيرِه على تسهيلِ حفظِه بجزالةِ نظمِه وعذوبة ألفاظِه وعباراتِه مما لا يساعدُه المقامُ.

﴿كذبتْ عادٌ﴾ أي هودًا عليهِ السَّلامُ ولم يتعرضْ لكيفيةِ تكذيبِهم له رَوْمًا للاختصارِ ومُسارعةً إلى بيانِ ما فيه الازدجارُ من العذابِ.

وقولُه تعالَى: ﴿فكيفَ كانَ عَذَابِي ونُذُرِ﴾ لتوجيهِ قلوبِ السامعينَ نحوَ الإصغاءِ إلى ما يُلقى إليهم قبلَ ذكرِه لا لتهويلِه وتعظيمِه وتعجيبِهم من حالةٍ بعدَ بيانِه كما قبلَه وما

---

(١) زاد في خ: لما.

(٢) قرأ بها: يزيد بن رومان، وقتادة، وعيسى، ومجاهد، وحميد.
ينظر: الإملاء للعكبري (٢/ ١٣٤)، والبحر المحيط (٨/ ١٧٨)، وتفسير القرطبي (١٧/ ١٣٣)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٣٨)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٢٩٨).

(٣) ينظر: البحر المحيط (٨/ ١٧٨)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٣٨).

(٤) قرأ بها: قتادة.
ينظر: الإعراب للنحاس (٣/ ٢٨٦)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٣٤)، والبحر المحيط (٨/ ١٧٨)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٣٨).

بعدَهُ كأنَّه قيلَ كذبتْ عادٌ فهل سمعتُم أو فاسمعُوا كيفَ كانَ عذابِي وإنذاراتِي لهم.

وقولُه تعالَى: ﴿إنا أَرْسلنا عليهم ريحًا صَرصرًا﴾ استئنافٌ ببيانِ ما أُجملَ أولًا أيْ أرسلنَا عليهم ريحًا باردةً أو شديدةَ الصوتِ ﴿في يومِ نحسٍ﴾ شؤمٍ ﴿مُستمرٍّ﴾ أي شؤمُه أو مستمرٌّ عليهم إلى أنْ أهلكهُم أو شاملٌ لجميعِهم كبيرِهم وصغيرِهم أو مشتدٌّ مرارتُه، وكانَ يومَ الأربعاءِ آخرَ الشهرِ. ﴿تنزِعُ النَّاسَ﴾ تقلعُهم رُويَ أنَّهم دخلُوا الشعابَ والحفرَ وتمسَّكَ بعضُهم ببعضٍ فنزعتْهم الريحُ وصرعتْهم مَوْتى ﴿كأنَّهم أعجازُ نخلٍ منقعرٍ﴾ أي منقلعٍ عن مغارسِه قيل: شُبهوا بأعجازِ النخلِ وهيَ أصولُها بلا فروعٍ لأنَّ الريحَ كانتْ تقلعُ رؤوسَهُم [فتُبقِي][١] أجسادًا وجثثًا بلا رؤوسٍ، وتذكيرُ صفةِ نخلٍ للنظرِ إلى[٢] اللفظِ كما أنَّ تأنيثَها في قولِه تعالى: ﴿أعجازُ نخلٍ خاويةٍ﴾ [سورة الحاقة، الآية ٧] للنظرِ إلى المَعْنى.

وقولُه تعالَى ﴿فكيفَ كانَ عذابِي ونُذُرِ﴾ تهويلٌ لهما وتعجيبٌ من أمرِهما بعد بيانِهما فليسَ فيه شائبةُ تكرارٍ وما قيلَ من أنَّ الأولَ لِما حاقَ بهم في الدُّنيا والثانِي لما يحيقُ بهم في الآخرةِ[٣] يردُّه ترتيبُ الثَّانِي على العذابِ الدنيويِّ ﴿ولقد يسرنا القرآنَ للذكرِ فهل من مدكرٍ﴾ الكلامُ فيهِ كالذي مرَّ فيما سبقَ.

﴿كذبتْ ثمودُ بالنذرِ﴾ أي الإنذاراتِ والمواعظِ التي سمعُوها من صالحٍ أو بالرسلِ عليهم السَّلامُ فإنَّ تكذيبَ أحدِهم تكذيبٌ للكلِّ لاتفاقِهم على أصولِ الشرائعِ ﴿فقالُوا أبشرًا مِنَّا﴾ أي كائنًا من جنسِنا، وانتصابُه بفعلٍ[٤] يفسرُه ما بعدَهُ ﴿واحدًا﴾ أي منفردًا لا تبعَ له أو واحدًا من آحادِهم لا من أشرافِهم وهو صفةٌ أُخرى لبشرًا وتأخيرُه عن الصفةِ المؤولةِ للتنبيهِ على أنَّ كلًا من الجنسيةِ والوحدةِ مما يمنعُ الاتباعَ ولو قُدِّمَ عليهَا لفاتتِ هذه النكتةُ وقرئَ أبشرٌ[٥] منَّا واحدٌ على الابتداءِ. وقولُه تعالَى: ﴿نتَّبِعُهُ﴾ خبرُهُ والأولُ أوجهُ للاستفهام ﴿إنَّا إذًا﴾ أي على تقديرِ اتباعِنا له وهو منفردٌ ونحن أُمَّةٌ جَمَّةٌ ﴿لفي ضَلالٍ﴾ عن[٦] الصوابِ ﴿وسُعُرٍ﴾ أي جنونٍ فإنَّ ذلكَ بمعزلٍ من مُقتَضى العقلِ وقيلَ: كان يقولُ لهم إن لم تتبعونِي كنتُم في ضلالٍ عن الحقِّ وسعرٍ

---

(١) سقط في خ.
(٢) زاد في خ: النخل و.
(٣) زاد في خ: و.
(٤) زاد في خ: مضمر.
(٥) قرأ بها: أبو السمال، والداني، وأبو الأشهب، وابن السميفع.
ينظر: الإملاء للعكبري (٢/ ١٣٤)، والبحر المحيط (٨/ ١٧٩)، وتفسير القرطبي (١٧/ ١٣٧)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٣٩)، والمجمع للطبرسي (٩/ ١٩٠)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٢٩٨).
(٦) في خ: من.

أي نيرانٍ جمعُ سعيرٍ فعكسُوا عليهِ عليهِ السَّلامُ لغايةِ عتوهِم فقالُوا إنِ اتبعناكَ كُنَّا إذن كَما تقولُ ﴿أَأُلقيَ الذكرُ﴾ أي الكتابُ والوحيُ ﴿عليهِ من بينِنَا﴾ وفينَا من هو أحقُّ منه بذلكَ ﴿بَلْ هو كذَّابٌ أَشِرٌ﴾ أي ليسَ الأمرُ كذلكَ بل هو كَذا وكَذا حملَهُ بطرُه على الترفعِ علينا بما ادَّعاهُ.

وقولُه تعالَى: ﴿سيعلمونَ غدًا من الكذابُ الأشرُ﴾ حكايةٌ لما قالَهُ تعالَى لصالحٍ عليهِ السَّلامُ وعدًا لهُ ووعيدًا لقومِه، والسينُ لتقريبِ مضمونِ الجملةِ وتأكيدِه والمرادُ بالغدِ وقتُ نزولِ العذابِ أي سيعلمونَ ألبتةَ عن قريبٍ من الكذابُ الأشرُ الذي حملَهُ أشرُه وبطرُه على الترفعِ أصالحٌ هو أم مَنْ كذبَهُ. وقرئَ ستعلمونَ[١]، على الالتفاتِ لتشديدِ التوبيخِ، أو على حكايةِ ما أجابَهُم به صالحٌ. وقرئَ الأَشر[٢] كقولِهم حذر في حذر. وقرئَ الأشرُّ[٣] أي الأبلغُ في الشرارةِ وهو أصلٌ مرفوضٌ كالأخيرِ، وقيلَ: المرادُ بالغدِ يومُ القيامةِ ويأباهُ قولُه تعالَى:

﴿إِنَّا مُرسلُو الناقةِ﴾[٤] . . . إلخ، فإنَّه استئنافٌ مسوقٌ لبيانِ مبادِي الموعودِ حتْمًا أي مخرجُوها من الهضبةِ حسبمَا سألُوا[٥] ﴿فتنةً لَهُم﴾ أي امتحانًا ﴿فارتقبْهُم﴾ أي فانتظرْهُم وتبصرْ ما يصنعونَ ﴿واصطبرْ﴾ على أذيتِهم ﴿ونبئهم أنَّ الماءَ قسمةٌ بينَهُم﴾ مقسومٌ، لها يومٌ ولهم يومٌ. وبينهُم لتغليبِ العُقَلاءِ ﴿كلُّ شِرْبٍ محتضرٌ﴾ يحضرُه صاحبُه في نوبتِه ﴿فنادَوا صاحبَهُم﴾ هو قُدارُ بنُ سالفٍ، أُحيمرُ ثمودَ ﴿فتعاطى فعقرَ﴾ فاجترأ على تعاطي الأمر العظيم غير مكترث له فأحدث العقرَ بالناقةِ، وقيل: فتعاطَى الناقةَ فعقرَها، أو فتعاطَى السيفَ فقتلَها، والتَّعاطِي تناولُ الشيءِ بتكلفٍ. ﴿فكيفَ كانَ عذابِي ونُذُرِ﴾ الكلامُ فيهِ كالذي مرَّ في صدرِ قصةِ عادٍ ﴿إنا أرسلنَا

(١) قرأ بها: ابن عامر، وحمزة، وعاصم، ويحيى بن وثاب، وطلحة، وهبيرة، وحفص، والأعمش.
ينظر: تفسير الطبري (٢٧/ ٥٩)، وتفسير القرطبي (١٧/ ١٣٩)، والحجة لابن خالويه ص (٣٣٨)، والحجة لأبي زرعة ص (٦٨٩)، والسبعة لابن مجاهد ص (٦١٨)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٣٩)، والكشف للقيسي (٢/ ٢٩٧).

(٢) قرأ بها: مجاهد، وابن جبير.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ١٨٠)، وتفسير القرطبي (١٧/ ١٤٠)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٣٩)، والمجمع للطبرسي (٩/ ١٩٠)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٢٩٩).

(٣) قرأ بها: قتادة، وأبو قلابة، وأبو حيوة.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ١٨٠)، والتبيان للطوسي (٩/ ٤٥١)، وتفسير القرطبي (١٧/ ١٣٩)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٣٩)، والمجمع للطبرسي (٩/ ١٩٠)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٢٩٩).

(٤) زاد في خ: فتنة لهم. (٥) زاد في خ: قوله تعالى.

عليهم صيحةً واحدةً﴾ هي صيحةُ جبريلَ عليهِ السَّلامُ ﴿فكانُوا﴾ أي فصارُوا ﴿كهشيمِ المُحتظرِ﴾ أي كالشجرِ اليابسِ الذي يتخذُه من يعملُ الحظيرةَ لأجلِها أو كالحشيشِ اليابسِ الذي يجمعُه صاحبُ الحظيرةِ لماشيتِه في الشتاءِ. وقرئ بفتحِ[1] الظاءِ أي كهشيمِ الحظيرةِ أو الشجرِ المتخذِ لَها ﴿ولقدْ يسرنَا القرآنَ للذكرِ فهلْ منْ مدكرٍ كذبتْ قومُ لوطٍ بالنذرِ إنا أرسلنَا عليهم حَاصبًا﴾ أي ريحًا تحصبُهم أي ترميهم بالحصباءِ ﴿إلا آلَ لوطٍ نجيناهُم بسحرٍ﴾ في سحرٍ وهو آخرُ الليلِ وقيلَ: هو السدسُ الأخيرُ منْهُ أي ملتبسينَ بسحرٍ ﴿نعمةً من عندِنا﴾ أي إنعامًا منَّا وهو علةٌ لنجينا ﴿كذلكَ﴾ أي مثلَ ذلك الجزاءِ العجيبِ ﴿نَجْزي مَنْ شكَرَ﴾ نعمتَنا بالإيمانِ والطاعةِ ﴿ولقد أنذرهُم﴾ لوطٌ عليهِ السَّلامُ ﴿بطشتَنا﴾ أي أخذتَنَا الشديدةَ بالعذابِ ﴿فتمارَوا﴾ فكذَّبوا ﴿بالنذرِ﴾ متشاكينَ ﴿ولقد راودُوه عن ضيفِهِ﴾ قصدُوا الفجورَ بهم ﴿فطمسنا أعينَهم﴾ فمسحنَاها وسوَّيناها كسائرِ الوجهِ. رُويَ أنَّهم لَمَّا دخلُوا دارَهُ عنوةً صفقَهُم جبريلُ عليهِ السَّلامُ صفقةً فتركهُم يترددونَ لا يهتدونَ إلى البابِ حتَّى أخرجُهم لوطٌ عليه السَّلامُ ﴿فذوقُوا عذابِي ونُذُرِ﴾ أي فقلْنَا لهُم ذُوقوا على ألسنةِ الملائكةِ أو ظاهرُ الحالِ والمرادُ به الطمسُ فإنَّه من جملةِ ما أُنذرُوه من العذابِ ﴿ولقد صبَّحهم بُكرةً﴾ وقرئ بكرةَ[2] غيرَ مصروفةٍ على أنَّ المرادَ بها أولُ نهارٍ مخصوصٍ ﴿عذابٌ مستقرٌّ﴾ لا يفارقُهم حتَّى يُسلمَهُم إلى النارِ، وفي[3] وصفِه بالاستقرارِ إيماءٌ إلى أنَّ ما قبلَهُ من عذابِ الطمسِ ينتهِي إليهِ ﴿فذوقُوا عذابِي ونُذُرِ﴾ حكايةٌ لما قيلَ لهم حينئذٍ من جهتِه تعالى تشديدًا للعذابِ ﴿ولقد يسرنا القرآنَ للذكرِ فهل منْ مدَّكرٍ﴾ مرّ ما فيهِ من الكلامِ.

﴿ولقد جاءَ آلَ فرعونَ النذرُ﴾ صُدِّرتْ قصتُهم بالتوكيدِ القسمِي لإبرازِ كمالِ الاعتناءِ بشأنِها لغايةِ عظمِ ما فيها من الآياتِ وكثرتِها وهولِ ما لاقَوه منَ العذابِ وقوةِ إيجابِها للاتعاظِ. والاكتفاءُ بذكرِ آلِ فرعونَ للعلمِ بأنَّ نفسَه أَوْلى بذلكَ أي وباللهِ لقد

(١) قرأ بها: الحسن، وأبو حيوة، وأبو السمال، وأبو رجاء، وأبو عمرو بن عبيد، وقتادة، وأبو العالية.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٠٥)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٣٤)، والبحر المحيط (٨/ ١٨١)، والتبيان للطوسي (٩/ ٤٥٣)، وتفسير الطبري (٢٧/ ١٤٢)، والمجمع للطبرسي (٩/ ١٩٠)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٢٩٩).

(٢) قرأ بها: زيد بن علي.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ١٨٢)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٤٠).

(٣) زاد في خ: صيغة.

جاءهُم الإنذاراتُ.

وقولُه تعالَى ﴿كذَّبوا بآياتِنا كلِّها﴾ استئنافٌ مبنيٌّ على سؤالٍ نشأَ من حكايةِ مجيءِ النذرِ كأنَّه قيلَ: فمَاذا فعلُوا حينئذٍ فقيلَ: كذَّبُوا بجميعِ آياتِنا، وهي الآياتُ التسعُ ﴿فأخذناهُم أخذَ عزيزٍ﴾ لا يُغالبُ ﴿مقتدرٍ﴾ لا يُعجزه شيءٌ.

﴿أَكُفَّارُكُم﴾ يا معشرَ العربِ ﴿خيرٌ﴾ قوةً وشدةً وعُدّةً وعدةً أو مكانةً ﴿من أولئِكم﴾ الكفارِ المعدودينَ والمَعنى أنه أصابَهُم مَا أصابَهُم مع ظهورِ خيريتِهم منكُم فيما ذُكِرَ من الأمورِ فهلْ تطمعونَ ألا يصيبَكُم مثلُ ذلكَ وأنتُم شرٌّ منهم مكانًا وأسوأُ حالًا.

وقولُه تعالَى: ﴿أم لكُم براءةٌ في الزبرِ﴾ إضرابٌ وانتقالٌ من التبكيتِ بما ذُكِرَ إلى التبكيتِ بوجهٍ آخرَ أيْ بلْ ألكم براءةٌ وأمنٌ من تبعاتِ ما تعملونَ من الكفرِ والمعاصِي وغوائلِهما في الكتبِ السماويةِ فلذلكَ تصرونَ على ما أنتُم عليهِ. وقولُه تعالى: ﴿أم يقولونَ نحنُ جميعٌ منتصرٌ﴾ إضرابٌ من التبكيتِ المذكورِ إلى وجهٍ آخرَ من التبكيتِ. والالتفاتُ للإيذانِ باقتضاءِ حالِهم للإعراضِ عنهُم وإسقاطِهم عن رتبةِ الخطابِ وحكايةِ قبائِحهم لغيرِهم أي بلْ أيقولونَ واثقينَ بشوكتِهم نحنُ أولُو حزمٍ ورأيٍ أمرُنا مجتمعٌ لا نُرامُ ولا نُضامُ أو منتصرٌ من الأعداءِ لا نُغلبُ أو متناصرٌ ينصر بعضُنا بعضًا. والإفرادُ [باعتبارِ][1] لفظِ الجميعِ.

وقولُه تعالَى: ﴿سيهزمُ الجمعُ﴾ ردٌّ وإبطالٌ لذلكَ، والسينُ للتأكيدِ أي يُهزم جمعُهم ألبتةَ ﴿ويولون الدبرَ﴾ أي الأدبارَ وقد قرئ كذلكَ[2]، والتوحيدُ[3] لإرادةِ الجنسِ أو إرادةِ أن كلّ واحدٍ منهم يولِّي دبرَه وقد كان كذلكَ يومَ بدرٍ. (قال سعيدُ بنُ المسيِّبِ: سمعتُ عمَر بنَ الخطابِ رضيَ الله عنه يقولُ: لما نزلتْ (سُيهزمُ الجمعُ ويولونَ الدبرَ) كنتَ لا أدرِي أيَّ جمعٍ يُهزمُ فلمَّا كانَ يومَ بدرٍ رأيتُ رسولَ الله ﷺ يلبسُ الدرعَ ويقولُ: «سيُهزمُ الجمعُ ويولونَ الدبرَ» فعرفتُ تأويلَها[4]. وقرئ سَيهزمُ

---

(١) سقط في خ.

(٢) ينظر: البحر المحيط (٨/ ١٨٣).

(٣) في خ: والتوجه.

(٤) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣/ ٢٥٩)، وابن جرير الطبري (١١/ ٥٦٧) (٣٢٨٢٣) كلاهما من طريق معمر عن أيوب قال: لا أعلمه إلا عن عكرمة أن عمر قال لما نزلت: «سيهزم الجمع».
قلت: وهذا إسناد منقطع، فإن عكرمة لم يسمع من عمر.
لكن للحديث شاهد من حديث ابن عباس.
أخرجه البخاري في صحيحه (١٣١٨) كتاب المغازي (٦٤)- حديث رقم (٣٩٥٣) وأحمد في =

الجمعَ[(١)] أي الله عزَّ وعَلا ﴿بلِ الساعةُ موعدُهُم﴾ أي ليسَ هَذا تمامَ عقوبتِهم، بلِ الساعةُ موعدُ أصلِ عذابِهم وهَذا من طلائعِه ﴿والساعةُ أَدْهى وأمرُّ﴾ أي في أقصى غايةٍ من الفظاعةِ والمرارةِ. والداهيةُ الأمرُ الفظيعُ الذي لا يُهتدَى إلى الخلاصِ عنْهُ. وإظهارُ الساعةِ في موقعِ إضمارِها لتربيةِ[(٢)] تهويلها.

﴿إنَّ المجرمينَ﴾ من الأولينَ والآخرينَ ﴿في ضلالٍ وسُعُرٍ﴾ أي في هلاكٍ ونيرانٍ مسعرةٍ وقيلَ: في ضلال عن الحقِّ في الدُّنيا، ونيرانٍ في الآخرةِ. وقولُه تعالَى: ﴿يومَ يسحبونَ﴾. . .إلخ منصوبٌ إمَّا بما يُفهمُ من قولِه تعالَى في ضلالٍ أي كائنونَ في ضلالٍ وسعرٍ يومَ يجرونَ ﴿في النارِ على وجوهِهم﴾ وإما بقول مقدر بعده أي يوم يسحبون يقال لهم ﴿ذوقوا مسَّ سقرَ﴾ أي قاسُوا حرَّها وألمَها. وسقرُ علمُ جهنَّم ولذلكَ لم يُصرفْ منْ سقرتْهُ النارُ وصقرتْهُ إذا لوَّحتْهُ. والقولُ المقدرُ على الوجهِ الأولِ حالٌ من ضميرِ يسحبونَ. ﴿إنا كلَّ شيءٍ﴾ من الأشياءِ ﴿خلقناهُ بقدرٍ﴾ أي ملتبسًا بقدرٍ معينٍ اقتضْتُه الحكمةُ التي عليَها يدورُ أمرُ التكوينِ أو مقدرًا مكتوبًا في اللوحِ قبلَ وقوعِه. وكلَّ شيءٍ منصوبٌ بفعلٍ يفسرُه ما بعَدُه وقرئ بالرفعِ[(٣)] على أنَّه مبتدأٌ وخلقناهُ خبرُهُ ﴿وما أَمْرُنَا إلا واحدةٌ﴾ أي كلمةٌ واحدةٌ سريعةُ التكوينِ وهُو قولُه تعالَى: (كُنْ) أو إلا فعلةٌ واحدةٌ هو الإيجادُ بلا معالجةٍ ﴿كلمحٍ بالبصرِ﴾ في اليُسرِ والسرعةِ وقيلَ: معناهُ قولُه تعالَى: ﴿وما أمرُ الساعةِ إلا كلمحِ البَصرِ﴾ [سورة النحل، الآية ٧٧] ﴿ولقد أهلكنَا أشياعَكُم﴾ أي أشباهَكُم في الكفرِ من الأممِ وقيل: أتباعَكُم ﴿فهلْ منْ مدكرٍ﴾ يتعظُ بذلكَ ﴿وكلُّ شيءٍ فعلُوه﴾ من الكفرِ والمعاصِي مكتوبٌ على

= مسنده (١/ ٣٢٩)، والطبراني في الكبير (١١/ ٣٤٨)، (١١٩٧٦) عن عكرمة عن ابن عباس قال: قال النبي ﷺ يوم بدر «اللهم أنشدك عهدك ووعدك اللهم إن شئت لم تعبد» فأخذ أبو بكر بيده فقال: حسبك، فخرج وهو يقول «سيهزم الجمع ويولون الدبر» وحديث عمر عزاه الهيثمي في المجمع (٦/ ٨١)، للطبراني في الأوسط وقال فيه محمد بن إسماعيل الأنصاري ولم أعرفه.

وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٦/ ١٨٤)، لابن أبي شيبة وابن راهويه وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه.

(١) قرأ بها: أبو حيوة، وابن أبي عبلة.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ١٣٨).

(٢) في خ: لترتيب.

(٣) قرأ بها: أبو السمال.
ينظر: الإملاء للعكبري (٢/ ١٣٤)، والبحر المحيط (٨/ ١٨٣)، والتبيان للطوسي (٩/ ٤٥٦)، وتفسير القرطبي (١٧/ ١٤٥)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٤١)، والمجمع للطبرسي (٩/ ١٩٣).

التفصيلِ ﴿في الزبرِ﴾ أي في ديوانِ الحفظةِ ﴿وكلٌّ صغيرٍ وكبيرٍ﴾ من الأعمالِ ﴿مستطرٌ﴾ مسطورٌ في اللوحِ المحفوظِ بتفاصيلِه، ولما كانَ بيانُ سوءِ حالِ الكفرةِ بقولِه تعالى: ﴿إن المجرمينَ﴾... إلخ مِمَّا يستدعِي بيانَ حُسنِ حالِ المؤمنينَ ليتكافأَ الترهيبُ والترغيبُ بين ما لَهُم من حسنِ الحالِ بطريقِ الإجمالِ فقيلَ: ﴿إن المتقينَ﴾ بالإيمانِ أي منَ الكفرِ والمعاصِي ﴿في جناتٍ﴾ عظيمةِ الشأنِ ﴿ونهرٍ﴾ أي أنهارٍ. كذلكَ والإفرادُ للاكتفاءِ باسمِ الجنسِ مراعاةً للفواصلِ، وقرئَ نُهُر[١] جمعُ نَهَرٍ كأُسدٍ وأَسدٍ ﴿في مقعد صدقٍ﴾ في مكانٍ مرضيٍّ، وقرئَ في مقاعدِ[٢] صدقٍ ﴿عند مليكٍ مقتدرٍ﴾ أي مقربينَ عند مليكٍ لا يُقادَرُ قدرُ ملكِه وسلطانِه فلا شيءَ إلاَّ وهو تحتَ ملكوتِه سبحانَهُ ما أعظمَ شأنَهُ.

عنْ رسولِ الله ﷺ: «**مَنْ قرأَ سورةَ القمرِ في كلِّ غِبٍّ بعثَهُ الله تعالى يومَ القيامةِ ووجهُه مثلُ القمرِ ليلةَ البدرِ**»[٣].

---

(١) قرأ بها: ابن محيصن، وزهير العرقبي، والأعمش، وأبو نهيك، وأبو مجلز، واليماني.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٠٥)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٣٥)، والبحر المحيط (٨/ ١٨٤)، والمجمع للطبرسي (٩/ ١٩٣)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٣٠٠)، وتفسير الرازي (٢٩/ ٧٩).

(٢) قرأ بها: عثمان البتي.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ١٨٤)، وتفسير القرطبي (١٧/ ١٥٠)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٤٢).

(٣) حديث موضوع وتقدم الكلام عليه، وزاد في خ: والله الموفق بمنه وكرمه.

سورةُ الرحمٰن

مَكِّيةٌ، أَو مَدَنيةٌ أو مُتبعضةٌ وآيُها ثمان وسبعون

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلرَّحۡمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ﴿٤﴾ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ
بِحُسۡبَانٖ ﴿٥﴾ وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ﴿٦﴾ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي
ٱلۡمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ ﴿٩﴾ وَٱلۡأَرۡضَ وَضَعَهَا لِلۡأَنَامِ ﴿١٠﴾
فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَٱلنَّخۡلُ ذَاتُ ٱلۡأَكۡمَامِ ﴿١١﴾ وَٱلۡحَبُّ ذُو ٱلۡعَصۡفِ وَٱلرَّيۡحَانُ ﴿١٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ كَٱلۡفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلۡجَآنَّ مِن مَّارِجٖ مِّن نَّارٖ
﴿١٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾ رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ وَرَبُّ ٱلۡمَغۡرِبَيۡنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾
مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ يَلۡتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٞ لَّا يَبۡغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخۡرُجُ مِنۡهُمَا
ٱللُّؤۡلُؤُ وَٱلۡمَرۡجَانُ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ وَلَهُ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡمُنشَـَٔاتُ فِي ٱلۡبَحۡرِ كَٱلۡأَعۡلَٰمِ ﴿٢٤﴾
فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾ كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ ﴿٢٦﴾ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴿٢٧﴾ فَبِأَيِّ
ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾ يَسۡـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ ﴿٢٩﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾ سَنَفۡرُغُ لَكُمۡ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ
ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ ﴿٣٣﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ
رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرۡسَلُ عَلَيۡكُمَا شُوَاظٞ مِّن نَّارٖ وَنُحَاسٞ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
﴿٣٦﴾ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ وَرۡدَةٗ كَٱلدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوۡمَئِذٖ لَّا
يُسۡـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٞ وَلَا جَآنّٞ ﴿٣٩﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾ يُعۡرَفُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ بِسِيمَٰهُمۡ
فَيُؤۡخَذُ بِٱلنَّوَٰصِي وَٱلۡأَقۡدَامِ ﴿٤١﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ
﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَ حَمِيمٍ ءَانٖ ﴿٤٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾ وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ
﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفۡنَانٖ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيۡنَانِ تَجۡرِيَانِ
﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٖ زَوۡجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾

مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشِۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَـٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَـٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَـٰنُ ﴿٦٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فَـٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِىٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ تَبَـٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾

لَمَّا عدَّد في السورةِ السابقةِ ما نزلَ بالأمم السالفةِ من ضروبِ نقم الله عزَّ وجلَّ وبيّن عَقيبَ كلِّ ضربٍ منها أنَّ القرآنَ قدْ يُسِّر لحملِ النَّاسِ عَلى التذكرِ والاتعاظِ ونَعَى عليهم إعراضَهُم عن ذلكَ عدَّدَ في هذه السورةِ الكريمةِ ما أفاضَ على كافَّةِ الأنام من فنونِ نِعَمِه الدينيةِ والدنيويةِ الأنفسيةِ والآفاقيةِ، وأنكرَ عليهم إِثْرَ كلِّ فنٍ منها إخلالَهُم بمواجبِ شُكرِها، وبُدئ بتعليم القُرآنِ فقيلَ: ﴿الرحمنُ * علَّم القرآنَ﴾ لأنَّه أعظمُ النعم شأنًا وأرفعُها مكانًا كيفَ لا وهُو مدارٌ للسعادةِ الدينيةِ والدنيويةِ عيارٌ[1] على سائرِ الكتبِ السماويةِ، ما منْ مرصدٍ[2] يرنُو إليه أحداقُ الأممِ إلا وهُو منشؤُه ومناطُه، ولا مقصدٍ يمتدُّ إليه أعناقُ الهممِ إلا وهُو منهجُه وصراطُه، وإسنادُ تعليمِه إلى اسم الرَّحمنِ للإيذانِ بأنَّه من آثارِ الرحمةِ الواسعةِ وأحكامِها، وقد اقتُصرَ على ذكرِه تنبيهًا على أصالتِه وجلالةِ قدرِه، ثمَّ قيلَ: ﴿خلقَ الإنسانَ * علَّمه البيانَ﴾ تعيينًا للمعلَّم وتبيينًا لكيفيةِ التعليم، والمرادُ بخلقِ الإنسانِ إنشاؤُه على ما هُو عليه منَ القُوى الظاهرةِ والباطنةِ، والبيانُ هو التعبيرُ عمَّا في الضميرِ وليسَ المرادُ بتعليمِه مجردَ تمكينِ الإنسانِ من بيانِ نفسِه بل منْهُ ومنْ فهم بيانِ غيرِه أيضًا إذْ هُو الذي يدورُ عليه تعليمُ القُرآنِ. والجملُ الثلاثُ أخبارٌ مترادفةٌ للرَّحمنُ، وإخلاءُ الأخيرتينِ عن العاطفِ لورودِها على منهاجِ التعديدِ.

﴿الشمسُ والقمرُ بحسبانٍ﴾ أي يجريانِ بحسابٍ مقدرٍ في بروجِهما ومنازلِهما بحيثُ ينتظمُ بذلكَ أمورُ الكائناتِ السفليةِ وتختلفُ الفصولُ والأوقاتُ وتُعلمُ السنونَ

(١) في خ: عبارة.
(٢) في خ: وعيد.

والحسابُ.

﴿والنجمُ﴾ أي النباتُ الذي ينجُم أي يطلُع من الأرضِ ولا ساقَ لهُ ﴿والشجرُ﴾ أي الذي له ساقٌ ﴿يسجدانِ﴾ أي ينقادانِ له تعالَى فيمَا يريدُ بهما[1] طبعًا انقيادَ الساجدينَ من المكلفينَ طوعًا. والجملتانِ خبرانِ آخرانِ للرَّحمنُ جُردتا عن الرابطِ اللفظيِّ تعويلًا على كمالِ قوةِ الارتباطِ المعنويِّ إذ لا يتوهمُ ذهابُ الوهمِ إلى كونِ حالِ الشمسِ والقمرِ بتسخيرِ غيرِه تعالى ولا إلى كونِ سجودِ النجمِ والشجرِ لما سواهُ تعالى كأنَّه قيلَ: الشمسُ والقمرُ بحسبانِه والنجمُ والشجرُ يسجدانِ لَهُ، وإخلاءُ الجملةِ الأُولى عن العاطفِ لما ذُكِرَ من قبلُ وتوسيطُ العاطفِ بينَها وبينَ الثانيةِ لتناسبِهما من حيثُ التقابلُ لما أنَّ الشمسَ والقمرَ علويانِ والنجمَ والشجرَ سفليانِ ومن حيثُ إنَّ كلاًّ من حالِ العلويينِ وحالِ السفليينِ من بابِ الانقيادِ لأمرِ الله عزَّ وجلَّ.

﴿وَالسَّماءَ رفعَها﴾ أي خلقَها مرفوعةً محلا ورتبةً[2] حيثُ جعلَها منشأَ أحكامِه وقضاياهُ ومتنزَّلَ أوامرِه ومَحَلَّ ملائكتِه، وفيهِ من التنبيهِ على كبرياءِ شأنِه وعظمِ ملكِه وسلطانِه ما لا يَخْفى، وقرئ بالرفعِ[3] على الابتداءِ. ﴿ووضعَ الميزانَ﴾ أيْ شرعَ العدلَ وأمرَ بهِ بأنْ وفَّرَ كلَّ مستحقٍّ ما استحقَّهُ ووفَّى كلَّ ذِي حقٍّ حقَّهُ حتى انتظَمَ به أمرُ العالمِ واستقامَ، كَما قالَ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ: «**بالعدلِ قامتِ السمواتُ والأرضُ**»[4] قيلَ: فَعلى هذا الميزانُ: القرآنُ، وهو قولُ الحسينِ بنِ الفضلِ، كما في قولِه تعالى: ﴿وأنزلنَا معَهُم الكتابَ والميزانَ﴾ [سورة الحديد، الآية ٢٥] وقيلَ: هو ما يُعرفُ به مقاديرُ الأشياءِ من ميزانٍ ومكيالٍ ونحوِهما، وهو قولُ الحسنِ وقتادةَ والضَّحاكِ[5] فالمَعْنى خلقَه موضوعًا مخفوضًا على الأرضِ[6] حيثُ علقَ به أحكامَ عبادِهِ وقضايَاهُم ومَا تعبدهُم بهِ من التسويةِ والتعديلِ في أخذِهم وإعطائِهم. ﴿ألا تطغَوا في الميزانِ﴾ [أيْ: لئلا تطغَوا فيهِ على أنَّ «أنْ» ناصبةٌ ولا نافيةٌ ولامَ العلةِ مقدرةٌ متعلقةٌ بقولِه تعالى: ﴿ووضعَ الميزانَ﴾ أو أي لا تطغَوا][7] على أنَّها مفسرةٌ لما

---

(١) في خ: منهما.
(٢) في خ: وزينة.
(٣) قرأ بها: أبو السمال.
ينظر: الإملاء للعكبري (٢/ ١٣٥)، والبحر المحيط (٨/ ١٨٩)، وتفسير القرطبي (١٧/ ١٥٤)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٤٤)، والمجمع للطبرسي (٩/ ١٩٦)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٣٠٢).
(٤) ينظر: «اللباب في علوم الكتاب» (١٨/ ٣٠٠).
(٥) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٤/ ٢٦٧)، وابن عادل في «اللباب في علوم الكتاب» (١٨/ ٣٠٠).
(٦) زاد في خ: من.
(٧) سقط في خ.

في الشرعِ من مَعْنى القولِ ولا ناهيةٌ أي لا تعتدُوا ولا تتجاوزُوا الإنصافَ. وقرئ لا تطغَوا[١] على إرادةِ القولِ. **﴿وأقيمُوا الوزنَ بالقسطِ﴾** قوِّموا وزنَكُم بالعدلِ وقيلَ: أقيمُوا لسانَ الميزانِ بالقسطِ والعدلِ[٢]، وقيلَ: الإقامةُ باليدِ والقسطُ بالقلبِ، **﴿ولا تُخسروا الميزانَ﴾** أي لا تُنقصُوه، أمرَ أولًا بالتسويةِ ثمَّ نهَى عن الطغيانِ الذي هو اعتداءٌ وزيادةٌ ثمَّ عن الخسران الذي هو تطفيفٌ ونقصانٌ وكررَ لفظَ **الميزانِ** تشديدًا للتوصية به وتأكيدًا للأمرِ باستعمالِه والحثِ عليهِ. وقرئ ولا تَخسُروا[٣] بفتح التاء وضم السين وكسرها[٤] يقال: خسر الميزان يخسره وبفتح السينِ[٥] أيضًا على أنَّ الأصلَ ولا تخسَروا في الميزانِ فَحُذِفَ الجارُّ وأوصلَ الفعلُ.

﴿والأرضَ وضعَها﴾ أي خفضَها مدحوَّةً على الماءِ **﴿للأنامِ﴾** أي الخلقِ، قيلَ: المرادُ به كلُّ ذِي رُوحٍ وقيلَ: كلُّ ما على ظهرِ الأرضِ من دابَّةٍ وقيلَ: الثقلان.

وقوله تعالى: **﴿فيها فاكهة﴾** . . . إلخ. استئناف مسوق لتقرير ما أفاده الجملة السابقةُ من كونِ الأرضِ موضوعةً لمنافعِ الأنامِ وتفصيلِ المنافعِ العائدةِ إلى البشرِ، وقيلَ: حالٌ مقدرةٌ من الأرضِ، فالأحسنُ حينئذٍ أنْ يكونَ الحالُ هو الجارَّ والمجرورَ، وفاكهةٌ رفعَ على الفاعليةِ أي فيها ضروبٌ كثيرةٌ مما يُتفكَّه بِهِ. **﴿والنخلُ ذاتُ الأكمامِ﴾** هي أوعيةُ الثمرِ جَمعُ كمٍّ أو كلُّ ما يُكَمّ أي يُغطَّى من ليفٍ وسعفٍ وكُفُرَّى[٦] فإنَّه ما ينتفعُ به كالمكموم من ثمرهِ وجُمَّارهِ وجذوعِه. **﴿والحبُّ﴾** هو ما يُتغذَّى بِهِ كالحنطةِ والشعيرِ. **﴿ذُو العصفِ﴾** هو ورقُ الزرعِ، وقيل: التبنُ **﴿والريحانُ﴾** قيلَ: هو الرزقُ أريدَ به اللبُّ أي فيها ما يتلذذ به من الفواكه والجامع بين التلذذ والتغذي وهو ثمر النخل وما يُتغذَّى بِهِ وهو الحبُّ الذي له عصفٌ هو علفُ

---

(١) قرأ بها: عبد الله بن مسعود.
ينظر: الكشاف للزمخشري (٤/ ٤٤)، والمعاني للفراء (٣/ ١١٢).

(٢) ينظر الجامع لأحكام القرآن (١٧/ ١٠١-١٠٢) «واللباب في علوم الكتاب» (١٨/ ٣٠٢).

(٣) ينظر: البحر المحيط (٨/ ١٩٨).

(٤) قرأ بها: بلال بن أبي بردة، وزيد بن علي.
ينظر: الإعراب للنحاس (٣/ ٣٠٢)، والبحر المحيط (٨/ ١٨٩)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٤٤)، والمجمع للطبرسي (٩/ ١٩٦)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٣٠٣).

(٥) قرأ بها: بلال بن أبي بردة، وأبان، وعثمان.
ينظر: الإملاء للعكبري (٢/ ١٣٥)، والبحر المحيط (٨/ ١٨٩)، والتبيان للطوسي (٩/ ٤٦٤)، وتفسير القرطبي (١٧/ ١٥٥)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٣٠٣).

(٦) الكفرَّى: وعاء طَلْعِ النخل وقشره الأعلى.

الأنعام وريحانٌ هو مطعم الناسِ. وقرئ[١] والحبَّ ذا العصفِ والريحانَ أي خلقَ الحبَّ والريحانَ أو أَخصُّ، ويجوزُ أنْ يرادَ وذَا الريحانِ فحُذفَ المضافُ وأُقيمَ المضافُ إليهِ مُقامَهُ. والريحانُ إمَّا فيعلانٌ من رَوَح فقلبتْ واوُه ياءً وأُدغمَ ثمَّ خففَ، أو فعلانٌ قلبتْ واوُه ياءً للتخفيفِ أو للفرقِ بينَهُ وبين الرَّوحانِ وهو ما لَه روحٌ قاله القرطبيُّ ﴿فبأيِّ آلاءِ ربِّكما تكذبانِ﴾ الخطابُ للثقلينِ المدلولِ عليهما بقولِه تعالى للأنام، وسينطقُ به قولُه تعالى أيُّها الثقلانِ والفاءُ لترتيبِ الإنكارِ والتوبيخِ على ما فُصِّلَ من فنونِ النعماءِ وصنوفِ الآلاءِ الموجبةِ للإيمانِ والشكرِ حتمًا، والتعرضُ لعنوانِ الربوبيةِ المنبئةِ عن المالكيةِ الكلِّيةِ والتربيةِ مع الإضافةِ إلى ضميرِهم لتأكيدِ النكيرِ وتشديدِ التوبيخِ ومعنى تكذيبِهم بآلائِه تعالى كفرُهم بها إما بإنكارِ كونِه نعمةً في نفسهِ كتعليمِ القرآنِ وما يستندُ إليهِ من النعم الدينيةِ [وإما بإنكارِ كونِه من الله تعالى مع الاعترافِ بكونِه نعمةً في نفسِه كالنعمِ الدنيويةِ][٢] الواصلةِ إليهم بإسنادِه إلى غيرِه تعالَى استقلالًا أو اشتراكًا صريحًا أو دَلالةً فإنَّ إشراكَهُم لآلهتِهم به تعالَى في العبادةِ من دواعِي إشراكِهم [لها به][٣] تعالى فيما يُوجبها، والتعبيرُ عن كفرِهم المذكورِ بالتكذيبِ لما أنَّ دلالةَ الآلاءِ المذكورةِ على وجوبِ الإيمانِ والشكرِ شهادةٌ منها بذلك فكفرُهم بها تكذيبٌ بها لا محالةَ أي فإذا كان الأمرُ كما فُصِّلَ فبأيِّ فردٍ من أفرادِ آلاءِ مالكِكُما ومربِّيكُما بتلكَ الآلاءِ تكذبانِ مع أنَّ كلًا منها ناطقٌ بالحقِّ شاهدٌ بالصدقِ.

﴿خلقَ الإنسانُ من صلصالٍ كالفخارِ﴾ تمهيدٌ للتوبيخِ على إخلالِهم[٤] بمواجبِ شكرِ النعمةِ المتعلقةِ بذواتِ كلٍّ واحدٍ من الثقلينِ. والصلصالُ الطينُ اليابسُ الذي له صلصلةٌ، والفخَّارُ الخزفُ. وقد خلقَ الله تعالى آدمَ عليهِ السلامُ من ترابٍ جعلَهُ طينًا ثم حمأً مسنونًا ثم صلصالًا فلا تنافيَ بين الآيةِ الناطقةِ بأحدِها وبينَ ما نطقَ بأحدِ الآخرينِ[٥]. ﴿وخلق الجانَّ﴾ أي الجنَّ أو أبَا الجنِّ. ﴿من مارجٍ﴾ من لهبٍ صافٍ﴿من نارٍ﴾ بيانٌ لمارجٍ فإنَّه في الأصلِ للمضطربِ، منْ مَرَجَ إذا اضطربَ.

﴿فبأيِّ آلاءِ ربِّكما تكذبانِ﴾ مما أفاضَ عليكُما في تضاعيفِ خلقِكما من سوابغِ

---

(١) قرأ بها: ابن عامر، وأبو حيوة، وابن أبي عبلة، والمغيرة.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٠٥)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٣٥)، والبحر المحيط (٨/ ١٩٠)، والتيسير للداني ص (٢٠٦)، والسبعة لابن مجاهد ص (٦١٩)، والغيث للصفاقسي ص (٣٦١)، والكشف للقيسي (٢/ ٢٩٩).

(٢) سقط في خ.

(٣) في خ: له.

(٤) في خ: اختلالهم.

(٥) في خ: الأخرون.

النعم ﴿ربُّ المشرقينِ وربُّ المغربينِ﴾ بالرفعِ على خبريَّة مبتدأٍ محذوفٍ أي الذي فعلَ[١] ما ذُكِرَ من الأفاعيلِ البديعةِ ربُّ مشرقي الصيفِ والشتاءِ ومغربيهما، ومن قضيتِه أن يكونَ ربَّ ما بينهما منَ الموجوداتِ قاطبةً، وقيلَ على الابتداءِ والخبرُ قولُه تعالى مرجَ الخ. وقرئ بالجرِّ[٢] على أنَّه بدلٌ من ربِّكما.

﴿فبأيِّ آلاءِ ربِّكُما تكذبانِ﴾ ممَّا في ذلكَ من فوائدَ لا تُحصى من اعتدالِ الهواءِ واختلافِ الفصولِ وحدوثِ ما يناسبُ كلَّ فصلٍ في وقتِه إلى غيرِ ذلكَ. ﴿مرجَ البحرينِ﴾ أي أرسلَهُما منْ مرجت الدابَّةَ إذا أرسلتُها والمَعْنى أرسلَ البحرَ المِلْحَ والبحرَ العذبَ ﴿يلتقيانِ﴾ أي يتجاورانِ ويتماسُّ سطوحُهما لا فصلَ بينَهما في مرأى العينِ وقيلَ: أرسلَ بحرَيْ فارسَ والرومِ يلتقيانِ في المحيطِ لأنهما خليجانِ [يتشعبانِ منه][٣] ﴿بينهُمَا برزخٌ﴾ أي حاجزٌ من قُدرةِ الله عزَّ وجَلَّ أو منَ الأرضِ ﴿لا يبغيانِ﴾ أي لا يبغِي أحدُهما على الآخرِ بالممازجةِ وإبطالِ الخاصِّيةِ أو[٤] لا يتجاوزانِ حدَّيهما[٥] بإغراقِ ما بينهُما.

﴿فبأيِّ آلاءِ ربِّكما تكذبانِ﴾ وليسَ منهُما شيءٌ يقبلُ التكذيبَ.

﴿يخرجُ منهُمَا اللؤلؤُ﴾ الدرُّ ﴿والمرجانُ﴾ الخرزُ الأحمرُ المشهورُ وقيلَ: اللؤلؤُ كبارُ الدرِّ والمرجانُ صغارُه فنسبةُ خروجِهما حينئذٍ إلى البحرينِ معَ أنَّهما إنما يخرجانِ من المِلْح على ما قالُوا، لما قيلَ: إنَّهما لا يخرجانِ إلا من مُلتقى المِلْحِ والعذبِ، أو لأنَّهما[٦] لما التقيا وصارا كالشيء الواحد ساغ أن يقال يخرجان [منهما كما يقال يخرجان][٧] من البحرِ مع أنهما لا يخرجانِ من جميعِ البحرِ، ولكنْ من بعضِه وهو الأظهرُ.

وقُرِئ يُخرَجُ[٨] مبنيًّا للمفعولِ من الإخراجِ ومبنيًّا للفاعلِ بنصبِ اللؤلؤ والمرجان

---

(١) في خ: فصل.
(٢) قرأ بها: أبو حيوة، وابن أبي عبلة.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ١٩١).
(٣) سقط في خ.
(٤) في خ: أي.
(٥) في خ: أحدهما.
(٦) في خ: أنهما.
(٧) سقط في خ.
(٨) قرأ بها: نافع، وأبو عمرو، وأبو جعفر، ويعقوب، واليزيدي.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٠٥)، والإعراب للنحاس (٣/ ٣٠٥)، والبحر المحيط (٨/ ١٩١)، والتبيان للطوسي (٩/ ٤٦٨)، والتيسير للداني ص (٢٠٦)، وتفسير القرطبي (١٧/ ١٦٣)، والغيث للصفاقسي ص (٣٦١).

وبنونِ العظمةِ.

﴿فبأيِّ آلاءِ ربِّكما تكذبانِ ولهُ الجوارِ﴾ أي السفنُ جمعُ جاريةٍ.

وقرئ برفعِ الراءِ وبحذفِ الياءِ كقولِ منْ قال: [الرجز]

لَهَا ثَنَايَا أَرْبَعٌ حِسَانُ وَأَرْبَعٌ فَكُلُّهَا ثَمَانُ[١]

﴿المنشآتُ﴾ المرفوعاتُ الشُّرع، أو المصنوعاتُ، وقرئ بكسرِ[٢] الشينِ. أيْ الرافعاتُ الشرعِ، أو اللاتِي ينشئنَ الأمواجَ بجريهنَّ ﴿في البحرِ كالأعلامِ﴾ كالجبالِ الشاهقةِ جمعُ عَلَم وهو الجبلُ الطويلُ.

﴿فبأيِّ آلاءِ ربِّكما تكذبانِ﴾ من خلقِ موادِّ السفنِ والإرشادِ إلى أخذِها وكيفيةِ تركيبِها وإجرائِها في البحرِ بأسبابٍ لا يقدرُ على خلقِها وجمعِها وترتيبِها غيره سبحانَهُ ﴿كلُّ مَنْ عليها﴾ أي على الأرضِ من الحيواناتِ أو المركباتِ ومَنْ للتغليبِ أو من الثقلينِ[٣] ﴿فانٍ﴾ هالكٌ لا محالةَ ﴿ويبقى وجهُ ربِّك﴾ أي ذاتُه عزَّ وجلَّ ﴿ذُو الجلالِ والإكرامِ﴾ أي ذُو الاستغناءِ المطبقِ والفضلِ التامِ وقيلَ: الذي عندَهُ الجلالُ والإكرامُ للمخلصينَ من عبادِه وهذهِ من عظائم صفاتِه تعالى، ولقدْ قالَ ﷺ: «**ألظُّوا بيا ذَا الجلالِ والإكرامِ**»[٤] وعنْهُ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ: «**أنَّه مرَّ برجلٍ وهُو يُصلِّي ويقولُ**

---

(١) الرجز بلا نسبة في خزانة الأدب (٧/ ٣٦٥)، وشرح الأشموني (٣/ ٦٢٧)، وشرح التصريح (٢/ ٢٧٤)، ولسان العرب (ثغر)، (ثمن)، وتاج العروس (ثغر)، (ثمن)، وتهذيب اللغة (١٥/ ١٠٧).

(٢) قرأ بها: حمزة، وعاصم، والأعمش، وزيد بن علي، وطلحة، وشعبة، ويحيى بن وثاب.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٠٦)، والإعراب للنحاس (٣/ ٣٠٦)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٣٥)، والبحر المحيط (٨/ ١٩٢)، والتيسير للداني ص (٢٠٦)، والسبعة لابن مجاهد ص (٦٢٠)، والغيث للصفاقسي ص (٣٦١).

(٣) في خ: الفعلين.

(٤) ورد هذا الحديث عن جماعة من الصحابة هم أنس بن مالك،وأبو هريرة، وربيعة بن عامر، وعبد الله بن عمر.
أما حديث أنس بن مالك:
فأخرجه الترمذي (٥/ ٥٤٠) كتاب الدعوات (٤٩) باب (٩٢) (٣٥٢٥) وأبو يعلى الموصلي في مسنده (٦/ ٤٤٥) (٣٧٣٣).
كلاهما من طريق مؤمل بن إسماعيل حدثنا حماد بن سلمة حدثنا حميد الطويل عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال... فذكر الحديث.
قلت: ومؤمل بن إسماعيل تكلم فيه البخاري ووثقه جماعة.
فقال فيه البخاري، منكر الحديث وقال أبو حاتم: شديد في السنة كثير الخطأ ووثقه يحيى بن معين، وقال أبو عبيد الآجري: سألت أبا داود عن مؤمل بن إسماعيل فعظمه ورفع شأنه إلا أنه يهم في الشيء. =

يا ذا الجلالِ والإكرامِ، فقالَ قد استُجيبَ لكَ»(١).

= قلت: وقد عد هذا الحديث من أوهامه.

فقال الترمذي على الحديث السابق: حديث غريب وليس بمحفوظ، وإنما يروى هذا عن حماد بن سلمة عن حميد عن الحسن عن النبي ﷺ وهذا أصح ومؤمل غلط فيه فقال: عن حماد عن حميد عن أنس ولا يتابع فيه.

وأما قول الترمذي «لا يتابع فيه» ففيه نظر.

فقال ابن أبي حاتم في العلل (٢/ ١٧٠، ١٩٢)، سألت أبي عن حديث رواه مؤمل بن إسماعيل عن حماد بن سلمة عن حميد عن أنس ورواه روح بن عبادة عن حماد عن ثابت وحميد عن أنس عن النبي ﷺ قال: «ألظوا بذي الجلال والإكرام» قال أبي، هذا خطأ حماد يرويه عن أبان بن أبي عياش عن أنس.

وأخرجه الترمذي أيضًا (٥/ ٥٣٩) (٣٥٢٤) من طريق يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ.

ويزيد بن أبان الرقاشي وهو أبو عمرو البصري ضعيف كما في التقريب (٢/ ٣٦١).

وأما حديث أبي هريرة:

فأخرجه الحاكم في مستدركه (١/ ٤٩٩) من طريق رشدين بن سعد ثنا موسى بن حبيب عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعًا «ألظوا...».

وسكت عنه ولم يتعقبه الذهبي.

قلت، وفيه رشدين بن سعد وهو أبو الحجاج المصري ضعيف كما في التقريب (١/ ٢٥١).

وأما حديث ربيعة بن عامر:

أخرجه النسائي في الكبرى (٤/ ٤٠٩)- كتاب النعوت: باب «ذو الجلال والإكرام» (٧٧١٦) وفي التفسير (٦/ ٤٧٩) (١١٥٦٣).

وأحمد في مسنده (٤/ ١٧٧) والحاكم في مستدركه (٥/ ٦٤) (٤٥٩٤) والبخاري في التاريخ الكبير (٢/ ١/ ٢٨٠)، والقضاعي في مسند الشهاب (١/ ٤٩٢) (٤٤٢) كلهم من طريق ابن المبارك أخبرني يحيى بن حسان عن ربيعة بن عامر مرفوعًا.

وقال الحاكم، صحيح الإسناد ووافقه الذهبي.

وأما حديث ابن عمر:

عزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٣/ ٣٩٦) لابن مردويه في تفسيره.

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٥٤١)، كتاب الدعوات (٤٩) - باب (٣٥٢٧) والبخاري في الأدب المفرد (ص٢١٣/ ٧٣٢)، وأحمد في المسند (٥/ ٢٣١، ٢٣٥) والطبراني في الكبير (٢٠/ ٥٥) (٩٧).

كلهم من طريق سفيان عن سعيد الجريري عن أبي الورد عن اللجلاج عن معاذ بن جبل قال: مر النبي ﷺ برجل وهو يقول...»

قلت: وسعيد بن إياس الجريري أبو مسعود البصري ثقة إلا أنه اختلط قبل موته- ولكن روى عنه سفيان الثوري قبل الاختلاط.

فقال العجلي في ثقاته (ص١٨١/ ٥٣١) سعيد بن إياس- ثقة واختلط بأخرة روى عنه في الاختلاط: يزيد بن هارون وابن المبارك..وكل ما روى عنه مثل هؤلاء فهو مختلط، إنما الصحيح عنه: حماد بن =

وقرئ ذِي الجلالِ[1] والإكرام على أنه صفةُ ربِّك، وأيًا ما كانَ ففي وصفهِ تعالَى بذلكَ بعدَ ذكرِ فناءِ الخلقِ وبقائِه تعالى يفيضُ عليهم بعد فنائِهم أيضًا آثارَ لطفِه وكرمِه حسبَما ينبئ عنه قولُه تعالَى: ﴿فبأيِّ آلاءِ ربِّكما تكذبانِ﴾ فإنَّ إحياءَهُم بالحياةِ الأبديةِ وإثابتَهم بالنعيمِ المقيم أجلُّ النعماءِ وأعظمُ الآلاءِ ﴿يسأله مَنْ في السمواتِ والأرضِ﴾ قاطبةً ما يحتاجونَ إليه في ذواتِهم ووجوداتِهم حدوثًا وبقاءً وسائرِ أحوالِهم سؤالًا مستمرًا بلسانِ المقالِ أو بلسانِ الحالِ فإنَّهم كافةً من حيثُ حقائقُهم الممكنةُ

= سلمة وإسماعيل ابن علية وعبد الأعلى من أصحهم سماعًا، سمع منه قبل أن يختلط بثمان سنين وسفيان الثوري وشعبة صحيح. ا هـ.

وأما أبو الورد وهو ابن ثمامة بن حزن القشيري، قال ابن أبي حاتم في العلل: قال أبو زرعة وأبو الورد: لا يسمى، وقال ابن سعد في طبقاته (٧/ ٢٢٦) كان معروفًا قليل الحديث. وقال الحافظ في التقريب (٢/ ٤٨٦): مقبول.

وقال الترمذي عقب الحديث: حسن.

قلت: ونحن نتوقف في تصحيحه حتى نجد له متابعات وشواهد.

عن ابن عمر عن النبي ﷺ ولم يقل فيه «ويرفع قومًا».

ومحمد بن عبد الرحمن البيلماني... قال الحافظ في التقريب (٢/ ١٨٢) (٤٤٢): ضعيف، وقد اتهمه ابن عدي وابن حبان. ا هـ.

ووقع في المطبوع من تخريج الكشاف للزيلعي (٣/ ٣٩٨)، ومحمد بن عبد الرحمن بن السليماني... والصواب ما أثبتناه والله المستعان.

وأما حديث عبد الله بن منيب الأزدي.

أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١١/ ٥٩٢) (٣٣٠١٢)، والبزار في مسنده (٢٢٦٦) كلاهما من طريق عمرو بن بكر السكسكي، قال ثنا الحارث بن عبدة بن رباح الغساني عن أبيه عبدة بن رباح عن منيب بن عبد الله الأزدي عن أبيه قال: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية «كل يوم هو في شأن».

وعمرو بن بكر السكسكي، قال ثنا الحارث بن عبدة بن رباح الغساني عن أبيه عبدة بن رباح عن منيب بن عبد الله الأزدي عن أبيه قال: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية «كل يوم هو في شأن».

وعمرو بن بكر السكسكي الشامي، متروك كما في التقريب (٢/ ٦٦).

والحديث علقه البخاري على أبي الدرداء موقوفًا (٩/ ٦٠٥)، كتاب التفسير (٦٥) باب سورة الرحمن وقال الحافظ في الفتح (٩/ ٦٠٩):

وصله المصنف في التاريخ وابن حبان في «الصحيح» وابن ماجه وابن أبي عاصم والطبراني عن أبي الدرداء مرفوعًا، وأخرجه البيهقي في «الشعب» من طريق أم الدرداء عن أبي الدرداء موقوفًا، وللمرفوع شاهد آخر عن ابن عمر أخرجه البزار وآخر عن عبد الله بن منيب أخرجه الحسن بن سفيان والبزار وابن جرير والطبراني.

(١) قرأ بها: أبي، وعبد الله.

ينظر: البحر المحيط (٨/ ١٩٢)، وتفسير الطبري (٢٧/ ٧٨)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٤٦)، والمعاني للفراء (٣/ ١١٦)، وتفسير الرازي (٢٩/ ١٠٧).

بمعزلٍ من استحقاقِ الوجودِ وما يتفرعُ عليه من الكمالاتِ بالمرةِ بحيثُ لو انقطعَ ما بينَهم وبين العنايةِ الإلٰهيةِ من العلاقةِ لم يشمُّوا رائحةَ الوجودِ أصلًا فهم في كلِّ آنٍ مستمرونَ على الاستدعاءِ والسؤالِ وقد مرَّ في تفسيرِ قولِه تعالى: ﴿وإن تعدُّوا نعمةَ الله لا تُحصوها﴾ [سورة إبراهيم، الآية ٣٤ والنحل، الآية ١٨] من سورةِ إبراهيمَ عليهِ السَّلامُ ﴿كلَّ يومٍ﴾ أي كلَّ وقتٍ من الأوقاتِ. ﴿هو في شأنٍ﴾ من الشؤونِ التي من جُمْلتها إعطاءُ ما سألُوا فإنَّه تعالى لا يزالُ ينشئ أشخاصًا ويُفني آخرينَ ويأتِي بأحوالٍ ويذهبُ بأحوالٍ حسبَما تقتضيهِ مشيئتُه المبنيةُ على الحِكم البالغةِ، وفي الحديثِ: «**من شأنِه أنْ يغفرَ ذنبًا ويفرّجَ كربًا ويرفعَ قومًا ويضعَ آخرينَ**»(١) قيل: وفيه ردٌّ على اليهودِ حيثُ يقولونَ إنَّ الله لا يقضِي يومَ السبتِ شيئًا(٢) ﴿فبأيِّ آلاءِ ربِّكما تكذبانِ﴾ مع مشاهدتِكم(٣) لما ذُكِرَ من إحسانِه.

﴿سنفرغُ لكُم﴾ أي سنتجردُ لحسابِكم وجزائِكم وذلكَ يومَ القيامةِ عندَ انتهاءِ شؤونِ الخلقِ(٤) المشارِ إليَها بقولِه تعالى: ﴿كلَّ يومٍ هُو في شأنٍ﴾ [سورة الرحمٰن، الآية ٢٩] فلا يَبْقى حينئذٍ إلا شأنٌ واحدٌ هو الجزاءُ فعبرَ عنْهُ بالفراغِ لهم بطريقِ التمثيلِ وقيلَ: [هو](٥) مستعارٌ من قولِ المتهدِّدِ لصاحبِهِ؛ سأفرُغُ لكَ أي سأتجردُ للإيقاعِ بكَ من كلِّ ما يشغلنِي عنْهُ والمرادُ التوفرُ على النِّكايةِ فيهِ والانتقامِ منْهُ. وقُرئ سَيفرُغُ مبنيًا

---

(١) ورد هذا الحديث عن جماعة من الصحابة هم أبو الدرداء وابن عمر وعبد الله بن منيب.
أما حديث أبي الدرداء:
أخرجه ابن ماجه (١/ ٧٣)، والمقدمة حديث رقم (٢٠٢)، وابن أبي عاصم في السنة حديث رقم (٣٠١)، وابن حبان في صحيحه (٢/ ٤٦٤) (٦٨٩) والواحدي في الوسيط (٤/ ٢٢١)، وابن عساكر في التاريخ (٢/ ٢/ ٢، ١٥/ ١٢٦/ ١) كلهم من طريق هشام بن عمار ثنا الوزير بن صبيح، حدثنا يونس بن ميسرة بن حلبس عن أم الدرداء عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ في قوله «كل يوم هو في شأن»... قال البوصيري في الزوائد (١/ ٨٨) هذا إسناد حسن لتقاصر الوزير عن درجة الحفظ والإتقان، قال فيه أبو حاتم: صالح. وقال دحيم: ليس بشيء، وقال أبو نعيم، وكان يعد من الأبدال، ربما أخطأ، وذكره ابن حبان في الثقات... لكن لم ينفرد به الوزير بن صبيح، فقد رواه أبو يعلى الموصلي في مسنده ثنا عبد الله بن أبان الكوفي ثنا إسحاق بن سليمان عن معاوية بن يحيى عن يونس بن ميسرة عن أبي إدريس الخولاني عن أبي الدرداء موقوفًا.
وأما حديث ابن عمر.
فأخرجه البزار في مسنده (٢٢٦٧) من طريق محمد بن عبد الرحمن البيلماني عن أبيه.

(٢) وهو قول مقاتل، ذكره البغوي في معالم التنزيل (٤/ ٢٧٠)، وينظر: اللباب في علوم الكتاب (١٨/ ٣١٨).

(٣) في خ: شهاداتكم.

(٤) في خ: الخلائق.

(٥) سقط في خ.

للفاعلِ[١] وللمفعولِ[٢]، وقرئ سَنفرُغُ[٣] إليكُم أي سنقصدُ إليكُم. ﴿أيها الثقلان﴾ هما الإنسُ والجنُّ سُمِّيا بذلكَ لثقلِهما على الأرضِ أو لرزانةِ آرائِهما أو لأنَّهما مثقلانِ بالتكليفِ ﴿فبأيِّ آلاءِ ربِّكما﴾ التي من جُمْلتِها التنبيهُ على ما سيلقَونَهُ يومَ القيامةِ للتحذيرِ عمَّا يُؤدِّي إلى سوءِ الحسابِ ﴿تكذبانِ﴾ بأقوالِكما وأعمالِكما.

﴿يا معشرَ الجنِّ والإنسِ﴾ هما الثقلانِ خوطِبا باسمِ جنسِهما لزيادةِ التقريرِ ولأنَّ الجنَّ مشهورونَ بالقدرةِ على الأفاعيلِ الشاقةِ فخُوطبوا بما ينبئ عن ذلكَ لبيانِ أن قدرتَهُم لا تَفِي بما كُلِّفُوه. ﴿إنِ استطعتُم﴾ إنْ قدرتُم عَلى ﴿أنْ تنفذُوا من أقطارِ السمواتِ والأرضِ﴾ أي أن تهربُوا من قضائِي وتخرجُوا من ملكوتِي ومن أقطارِ سماواتِي وأرضِي ﴿فانفذُوا﴾ منها وخلِّصُوا أنفسَكُم من عقابِي ﴿لا تنفذونَ﴾ لا تقدرونَ عل النفوذِ ﴿إلا بسلطانٍ﴾ أي بقوةٍ وقهرٍ، وأنتُم من ذلكَ بمعزلٍ بعيدٍ. رُويَ أن الملائكةَ تنزلُ فتحيطُ بجميعِ الخلائقِ فإذا رآهُم الجنُّ والإنسُ هربُوا فلا يأتونَ وجهًا إلا وجدُوا الملائكةَ أحاطتْ بهِ.

﴿فبأيِّ آلاءِ ربِّكما تكذبانِ﴾ أي من التنبيهِ والتحذيرِ والمساهلةِ والعفوِ مع كمالِ القدرةِ على العقوبةِ.

﴿يُرسَلُ عليكُما شُوَاظٌ﴾ قيلَ: هو اللهبُ الخالصُ وقيلَ: المختلطُ بالدخانِ وقيل: اللهبُ[٤] الأخضرُ المنقطعُ من النارِ وقيل: هو الدخانُ الخارجُ [من اللهبِ وقيلَ: هو النارُ والدخانُ][٥] جميعًا. وقرئ شِواظٌ بكسرِ الشينِ ﴿من نارٍ﴾ متعلقٌ [بـ(يرسلُ) أو][٦] بمضمرٍ هو صفةٌ لـ (شواظٌ) أي كائنٌ من نارٍ، والتنوينُ للتفخيمِ ﴿ونُحاسٌ﴾[٧] أي دُخانٌ وقيلَ: صُفرٌ مذابٌ يصبُّ على رؤوسِهم، وقرئ بكسرِ

(١) قرأ بها: حمزة، والكسائي، وخلف، والأعمش، وطلحة، ويحيى بن وثاب، وزيد بن علي، وأبو حيوة.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٠٦)، والإعراب للنحاس (٣/ ٣٠٧)، والتيسير للداني ص (٢٠٦)، والغيث للصفاقسي ص (٣٦١)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٣٨١).

(٢) قرأ بها: الأعمش، وأبو حيوة، الزعفراني، وابن أبي عبلة.
ينظر: الإعراب للنحاس (٣/ ٣٠٧)، والبحر المحيط (٨/ ١٩٤)، وتفسير القرطبي (١٧/ ١٦٩)، والحجة لابن خالويه ص (٣٣٩)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٣٠٤)، والمعاني للفراء (٣/ ١١٦).

(٣) قرأ بها: عبد الله، وأبي.
ينظر: تفسير القرطبي (١٧/ ١٦٨).

(٤) زاد في خ: الأحمر.

(٥) سقط في خ.

(٦) سقط في خ.

(٧) في خ: أي: ونحاس أي.

النُّونِ(١)، وقرئ بالجرِّ عطفًا على نارٍ(٢)، وقرئ نُرسلُ بنونِ العظمةِ، ونصبِ شُواظًا ونحاسًا، وقرئ (نُحُس)(٣) جمعُ نِحاس مثلُ لِحافِ ولُحُفٍ، وقرئ (ونَحُسُّ)(٤) أي نقتلُ بالعذابِ. ﴿فلا تنتصرانِ﴾ أي لا تمتنعانِ ﴿فبأيِّ آلاءِ ربِّكُما تُكذبانِ﴾ فإنَّ بيانَ عاقبةِ ما هُم عليهِ من الكفرِ والمَعَاصِي لطفٌ وأيُّ لُطفٍ ونعمةٌ وأيُّ نعمةٍ. ﴿فإذَا انشقتِ السماءُ﴾ أي انصدعتْ يومَ القيامةِ ﴿فكانتْ وردةً﴾ كوردةٍ حمراءَ وقرئ (وردةٌ)(٥) بالرفعِ على أنَّ كان تامةٌ أيَّ: حصلتْ(٦) سماءٌ وردةٌ فيكونُ من بابِ التجريدِ كقولِ منْ قالَ: [الكامل]

وَلَئِنْ بَقِيْتُ لأَرْحَلَنَّ بغزوةٍ تَحوِي الغنائمَ أَوْ يموتَ كريمُ(٧)

﴿كالدِّهانِ﴾ خبرٌ ثانٍ لكانَتْ، أو نعتٌ لوردةً أو حالٌ من اسمِ كانتْ، أي كدُهنِ الزيتِ، وهو إمَّا جمعُ دُهنٍ، أو اسمٌ لَما يُدهنُ بهِ كالحِزامِ والأدامِ، وقيلَ: هو الأديمُ الأحمرُ. وجوابُ إذَا(٨) محذوفٌ أي يكونُ من الأحوالِ والأهوالِ ما لا يحيطُ بهِ دائرةُ المقالِ. ﴿فبأيِّ آلاءِ ربِّكُما تكذبانِ﴾ مع عظمِ شأنِها ﴿فيومئذٍ﴾ أي يومَ إذ تنشقُ السماءُ حسبَما ذُكِرَ. ﴿لا يُسألُ عن ذنبهِ إنسٌ ولاَ جانٌّ﴾ لأنَّهم يُعرفونَ بسيماهُم

---

(١) قرأ بها: مجاهد، والكلبي، وطلحة.
ينظر: الإعراب للنحاس (٣/ ٣٠٩)، والبحر المحيط (٨/ ١٩٥)، وتفسير القرطبي (١٧/ ١٧٢).

(٢) قرأ بها: ابن كثير، وأبو عمرو، وروح، وابن محيصن، واليزيدي، والحسن، وابن أبي إسحاق، والنخعي، ومجاهد.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٠٦)، والإعراب للنحاس (٣/ ٣٠٩)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٣٥)، والتيسير للداني ص (٢٠٦)، والسبعة لابن مجاهد ص (٦٢١)، والكشف للقيسي (٢/ ٣٠٢)، وتفسير الرازي (٢٩/ ١١٥).

(٣) قرأ بها: الحسن، وإسماعيل.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ١٩٥)، وتفسير القرطبي (١٧/ ١٧٢)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٤٧).

(٤) قرأ بها: عبد الرحمن بن أبي بكرة، وابن أبي إسحاق.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ١٩٥)، وتفسير القرطبي (١٧/ ١٧٢)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٤٧)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٣٠٤).

(٥) قرأ بها: عبيد بن عمير، وعمرو بن عبيد.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ١٩٥)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٤٨).

(٦) في خ: جعلت.

(٧) البيت لقتادة بن مسلمة الحنفي.
ينظر: شرح ديوان الحماسة للتبريزي (١/ ٢٢)، ومعاهد التنصيص (١/ ٢٥٣)، والكشاف (٤/ ٤٨)، والبحر المحيط (٨/ ١٩٤)، والدر المصون (٦/ ٢٤٤)، واللباب (١٨/ ٣٣٤).

(٨) في خ: لو.

وذلكَ أول ما يخرجونَ من القبورِ ويحشرونَ إلى الموقفِ [ذَوْدًا ذَودًا](١) على اختلافِ مراتبِهم، وأما قولُه تعالى: ﴿فوربِّك لنسألنَّهم أجمعينَ﴾ [سورة الحجر، الآية ٩٢] ونحُوه ففي موقفِ المناقشةِ والحسابِ، وضميرُ ذنبه للإنسِ لتقدمِه رتبةً، وإفرادُه لما أنَّ المرادَ فردٌ من الإنسِ كأنَّه قيلَ: لا يُسألُ عن ذنبهِ إنسيٌّ ولا جنيٌّ. ﴿فبأيِّ آلاءِ ربِّكُما تكذبانِ﴾ معَ كثرةِ منافعِها، فإنَّ الإخبارَ بما ذُكِرَ ممَّا يزجرُكُم عن الشرِّ المؤدِّي إليهِ، وأما ما قيلَ: ممَّا أنعمَ الله على عبادِه المؤمنينَ في هذا اليومِ فلا تعلقَ لهُ بالمقامِ.

وقولُه تعالَى: ﴿يُعرفُ المجرمونَ بسيماهُم﴾ استئنافٌ يَجْرِي مَجْرى التعليلِ لعدمِ السؤالِ، قيلَ: يُعرفونَ بسوادِ الوجوهِ وزرقةِ العُيونِ، وقيلَ: بما يعلُوهم منَ الكآبَةِ والحُزنِ ﴿فيُؤخذُ بالنَّواصِي والأقدامِ﴾ الجارُّ والمجرورُ هُو القائمُ مقامَ الفاعلِ، يُقَالُ أخذَهُ إِذَا كانَ المأخوذُ مقصودًا بالأخذِ، ومنه قولُه تعالى: ﴿خُذوا حِذْرَكم﴾ [سورة النساء، الآية ٧١] ونحُوه. وأخذَ بهِ إِذَا كانَ المأخوذُ شيئًا من ملابساتِ المقصودِ بالأخذِ ومنه قولُه تعالى: ﴿لا تَأْخُذ بلحيتِي ولا برَأسِي﴾ [سورة طٰه، الآية ٩٤] وقولُ المستغيثِ خُذْ بيدِي أخذَ الله بيدِك. أيْ يُجمعُ بين نواصِيهم وأقدامِهم في سلسلةٍ من وراءِ ظُهورِهم، وقيلَ: تسحبُهم الملائكةُ، تارةً تأخذُ بالنَّواصِي وتارةً تأخذُ بالأقدامِ. ﴿فبأيِّ آلاءِ ربِّكُما تكذبانِ﴾.

وقولُه تعالَى: ﴿هذهِ جهنَّم التي يكذِّبُ بها المجرمونَ﴾ على إرادةِ القولِ، أيْ يقالُ لهُم ذلكَ بطريقِ التوبيخِ على أنَّ الجملةَ إمَّااستئنافٌ وقعَ جوابًا عن سؤالٍ ناشئٍ من حكايةِ الأخذِ بالنَّواصِي والأقدامِ، كأنَّه قيلَ: فماذا يفعلُ بهِم عندَ ذلكَ فقيلَ يقالُ إلخ. أو حالٌ من أصحابِ النواصِي والأقدامِ، لأنَّ الألفَ واللامَ عوضٌ عن المضافِ إليهِ وما بينَهما اعتراضٌ. ﴿يطوفُون بينَها﴾ أي بينَ النَّارِ يُحرقُون بها ﴿وبينَ حميمٍ آنٍ﴾ ماءٍ بالغٍ من الحرارةِ أقصَاها يُصبُّ عليهم أو يُسقون منْهُ، وقيلَ: إِذَا استغاثُوا من النارِ أغيثُوا بالحميمِ. ﴿فبأيِّ آلاءِ ربِّكُما تكذبانِ﴾ وقد أُشيرَ إلى سرِّ كونِ بيانِ أمثالِ هذه الأمورِ من قبيلِ الآلاءِ مِرارًا.

﴿ولمن خافَ مقامَ ربِّه﴾ شروعٌ في تعدادِ الآلاءِ الفائضةِ(٢) عليهم في الآخرةِ بعدَ تعدادِ ما وصلَ إليهم في الدُّنيا من الآلاءِ الدينيةِ والدنيويةِ واعلمْ أنَّ ما عُدِّدَ فيمَا بينَ هذه الآيةِ وبين خاتمةِ السورةِ الكريمةِ من فنونِ الكراماتِ كَما أنَّ أنفسَها [آلاءٌ جليلةٌ](٣) واصلةٌ إليهمْ في الآخرةِ، كذلكَ حكاياتُها الواصلةُ إليهم في الدُّنيا آلاءٌ

---

(١) سقط في خ.
(٢) في خ: المفاوضة.
(٣) في خ: الجليلة.

عظيمةٌ لكونِها داعيةً لهم[١] إلى السَّعي في تحصيلِ ما يُؤدِّي إلى نيلِها منَ الإيمانِ والطَّاعةِ وأنَّ ما فُصِّلَ من فاتحةِ السُّورةِ الكريمةِ إلى قولِه تعالى: ﴿كل يوم هُو في شأنٍ﴾ [سورة الرحمٰن، الآية ٢٩] من النعم الدينيةِ والدنيويةِ والأنفسيةِ والآفاقيةِ آلاءٌ جليلةٌ واصلةٌ إليهم في الدُّنيا وكذلكَ حكاياتُها منْ حيثُ إيجابُها للشكرِ والمثابرةِ على ما يُؤدِّي إلى استدامتِها، وأمَّا مَا عُدِّدَ فيمَا بينَ قولِه تعالى سنفرغُ لكُم وبين هذهِ الآيةِ من الأحوالِ الهائلةِ التي ستقعُ في الآخرةِ فليستْ هيَ من قبيلِ الآلاءِ وإنَّما الآلاءُ حكاياتُها الموجبةُ للانزجارِ عمَّا يُؤدِّي إلى الابتلاءِ بها من الكفرِ والمعاصِي كَما أُشيرَ إليهِ في تضاعيفِ تعدادِها. ومقامُه تعالَى موقفُه الذي يقفُ فيه العبادُ للحسابِ يومَ يقومُ النَّاسُ لربِّ العالمينَ، أو قيامُه تعالَى على أحوالِه من قامَ عليهِ إذا راقبَهُ، أو مقامُ الخائفِ عندَ ربِّه للحسابِ بأحدِ المعنيينَ. وإضافتُه إلى الربِّ للتفخيمِ والتهويلِ أو هو مقحمٌ[٢] للتعظيمِ.

﴿جنتانِ﴾ جنةٌ للخائفِ الإنسيِّ وجنةٌ للخائفِ الجنيِّ فإنَّ الخطابَ للفريقينِ فالمَعْنى لكلِّ خائفينِ منكُما أو لكُلِّ واحدٍ جنةٌ لعقيدتِه وأُخرى لعملِه، أو جنةٌ لفعلِ الطاعاتِ وأُخرى لتركِ المعاصِي، أو جنةٌ يثابُ بها وأُخرى يتفضلُ بها عليهِ أو روحانيةٌ وجسمانيةٌ وكذا ما جَاء مثنى بعدُ ﴿فبأيِّ آلاءِ ربكُما تكذبانِ﴾ وقولُه تعالَى:

﴿ذَوَاتا أفنانٍ﴾ صفةٌ لجنَّتانِ وما بينهُمَا اعتراضٌ وُسّطَ بينهُمَا [تنبيهًا][٣] على أنَّ تكذيبَ كلٍّ من الموصوفِ والصفةِ موجبٌ للإنكارِ والتوبيخِ والأفنانُ إمَّا جمعُ فَنٍّ أيْ ذَوَاتا أنواعٍ من الأشجارِ والثمارِ، أو جمعُ فَنَنٍ أي ذَوَاتا أغصانٍ متشعّبةٍ من فروعِ[٤] الشجرِ وتخصيصُها بالذكرِ لأنها التي تورقُ وتثمرُ وتمد الظلَّ ﴿فبأيِّ آلاءِ ربكُما تكذبانِ﴾ وليسَ فيها شيءٌ يقبلُ التكذيبَ.

﴿فيهما عينانِ تجريانِ﴾ صفةٌ أخرى لجنتانِ أي في كلِّ واحدةٍ منهما عينٌ تجري كيفَ يشاءُ صاحبُها في الأعالي والأسافلِ، وقيلَ: تجريانِ من جبلٍ من مسكٍ، وعن ابنِ عبَّاسٍ والحسنِ: تجريانِ بالماءِ الزلالِ إحداهُما التسنيمُ والأُخرى السلسبيلُ[٥]، وقيلَ: إحداهُما من ماءٍ غيرِ آسنٍ والأُخرى من خمرٍ لذةٍ للشاربينَ[٦]، قالَ أبو بكرٍ

---

(١) في خ: إليهم.
(٢) في خ: مفخم.
(٣) سقط في خ.
(٤) في خ: جذوع.
(٥) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٤/ ٢٧٤) عن الحسن وكذا ذكره الزمخشري في «الكشاف» (٦/ ١٧)
(٦) ينظر «اللباب في علوم الكتاب» (١٨/ ٣٤٤).

الورَّاقُ: فيهما عينانِ تجريانِ لمن كانتْ عيناهُ في الدُّنيا تجريانِ من مخافةِ الله عزَّ وجلَّ[١] ﴿فبأيِّ آلاءِ ربِّكُما تكذبانِ﴾.

وقولُه تعالَى ﴿فيهما من كلِّ فاكهةٍ زوجانِ﴾ أي: صنفانِ[٢]: معروفٌ وغريبٌ أو رطبٌ ويابسٌ، صفةٌ أُخرى لجنَّتانِ.

وتوسيطُ الاعتراضِ بينَ الصفاتِ[٣] لمَا مرَّ آنِفًا ﴿فبأيِّ آلاءِ ربكما تكذبانِ﴾ وقولُه تعالَى: ﴿متكئينَ﴾ حالٌ من الخائفينَ لأنَّ منْ خافَ في مَعْنى الجمعِ، أو نصبٌ على المدحِ ﴿على فُرُشٍ بطائنُهَا منْ إستبرقٍ﴾ من ديباجٍ ثخينٍ، وحيثُ كانَتْ بطائنُها كذلكَ فما ظَنُّكَ بظهائرِها[٤]، وقيل: ظهائرُها من سندسٍ وقيل: من نورٍ ﴿وجَنَى الجنَّتينِ دانٍ﴾ أيْ مَا يُجتنَى من أشجارِها من الثمارِ قريبٌ ينالُه القائمُ والقاعدُ والمضطجعُ. قالَ ابنُ عبَّاسٍ رضيَ الله عنهُمَا: تدنُو الشجرةُ حتى يجتنيَها وليُّ الله إنْ شاءَ قائمًا وإنْ شاءَ قاعدًا وإن شاءَ مُضطجعًا[٥]. وقرئ (جِنَى)[٦] بكسرِ الجيمِ. ﴿فبأيِّ آلاءِ رَبكُما تكذبانِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فيهنَّ﴾ أيْ في الجنانِ المَدلُولِ عليها بقولِه تعالَى: ﴿جَنَّتانِ﴾ [سورة سبأ، الآية ١٥. وسورة الرحمٰن، الآية ٤٦ و٦٢] لِما عرفتَ أنَّهما لكلِّ خائفينِ منَ الثقلينِ أوْ لكلِّ خائفٍ حسبَ تعددِ عملِه، وقد اعتبرَ الجمعيةُ في قولِه تعالَى متكئينَ وقيلَ فيما فيهما من الأماكنِ والقصورِ وقيلَ في هذِه الآلاءِ المعدودةِ من الجنتينِ والعينينِ والفاكهةِ والفرشِ. ﴿قاصراتُ الطرفِ﴾ نساءٌ يقصُرنَ أبصارَهُنَّ على أزواجِهنَّ لا ينظرنَ إلى غيرِهم ﴿لم يَطْمِثْهُنَّ إنسٌ قبلَهُم ولا جَانٌّ﴾ أي لم يَمسَّ الإنسياتِ أحدٌ من الإنسِ ولا الجنياتِ أحدٌ من الجنِّ قبلَ أزواجِهنَّ المدلول عليهم بقاصراتُ الطرفِ، وقيلَ: بقولِه تعالى متكئينَ، وفيه دليلٌ على أنَّ الجِنَّ يطمثُونَ. وقرئ (يَطْمُثْهنَّ)[٧] بضمِّ الميمِ. والجملةُ صفةٌ لـ (قاصراتُ الطرفِ)، لأنَّ إضافتَها

---

(١) المصدر السابق.

(٢) في خ: صفة بإن.

(٣) في خ: الصفتين.

(٤) في خ: بظواهرها.

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١١/ ٦٥) عن ابن عباس وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٢٠٤) وزاد نسبته إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في البعث.

(٦) ينظر: البحر المحيط (٨/١٩٧)، وتفسير القرطبي (١٧/ ١٨٠)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٤٩).

(٧) قرأ بها: الكسائي، والدوري، وأبو الحارث، وابن مجاهد، وطلحة، وعيسى، وعلي، وعبد الله، وسلمة بن عاصم.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٠٦) التيسير للداني ص (٢٠٧)، والسبعة لابن مجاهد ص (٦٢١)، والكشف للقيسي (٢/٣٠٣)، والمجمع للطبرسي (٩/ ٢٠٧)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٣٨١، ٣٨٢).

لفظيةٌ، أو حالٌ منَها لتخصصِها بالإضافةِ. ﴿فبأيِّ آلاءِ ربكما تكذبانِ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿كَأنَّهن الياقوتُ والمَرْجانُ﴾ إمَّا صفةٌ لقاصراتُ الطرفِ، أو حالٌ منها كالتي قبلَها أي مشبهاتٌ بالياقوتِ في حُمرةِ الوجنةِ(١)، والمرجان أي صغار الدرِّ(٢) في بياضِ البشرةِ وصفائِها،، فإنَّ صغارَ الدرِّ أنصعُ بياضًا من كبارِه قيل: إنَّ الحوراءَ تلبَسُ سبعينَ حُلَّة فيُرى مخُّ ساقِها منْ ورائِها كما يُرى الشرابُ الأحمرُ في الزجاجةِ البيضاءِ ﴿فبأيِّ آلاءِ ربكما تكذبانِ﴾.

وقولُه تعالَى: ﴿هلْ جزاءُ الإحسٰنِ إلا الإحسٰنُ﴾ استئنافٌ مقررٌ لمضمونِ ما فُصِّل قبلَهُ أي ما جزاءُ الإحسانِ في العملِ إلا الإحسانُ في الثوابِ. ﴿فبأيِّ آلاءِ ربِّكُما تكذبانِ﴾.

وقولُه تعالَى: ﴿ومن دُونهما جنتانِ﴾ مبتدأٌ وَخبرٌ، أيْ ومنْ دونِ تينكَ الجنَّتينِ الموعودتينِ للخائفين المقربين جنتانِ أخريان لمن دُونَهُم من أصحابِ اليمينِ ﴿فبأيِّ آلاءِ ربكُما تكذبانِ﴾. وقولُه تعالَى ﴿مُدْهَامتَّانِ﴾ صِفةٌ لجنَّتانِ وسِّط بينهُمَا الاعتراضُ لما ذُكِرَ من التنبيهِ على أنَّ ما ذكر من تكذيب كلٍّ من الموصوفِ والصفةِ حقيقٌ بالإنكارِ والتوبيخِ أيْ خضراوانِ تضربانِ إلى السوادِ من شدةِ الخُضرةِ، وفيه إشعارٌ بأنَّ الغالبَ على هاتينِ الجنتينِ النباتُ والرياحينُ المنبسطةُ على وجهِ الأرضِ وعلى الأُوليينِ الأشجارُ والفواكهُ. ﴿فبأيِّ آلاءِ ربكما تكذبانِ فيهما عينانِ نضاختانِ﴾ أيْ فوَّارتانِ بالماءِ. [والنضخُ أكثرُ من النضح](٣) بالحاءِ المهملةِ، وهُو الرَّشُّ ﴿فبأيِّ آلاءِ رَبِّكُما تكذبانِ فيهمَا فَاكِهةٌ ونخلٌ ورُمَّانٌ﴾ عُطفَ الأخيرانِ على الفاكهةِ عطفَ جبريلَ وميكالَ على الملائكةِ بيانًا لفضلِهما فإنَّ ثمرةَ النخل فاكهةٌ وغذاءٌ والرمانُ فاكهةٌ ودواءٌ وعنْ هَذا قالَ أبُو حنيفةَ رحمَهُ الله: منْ حلفَ لا يأكلُ فاكهةً فأكلَ رمَّانًا أو رُطبًا لم يحنثْ ﴿فبأيِّ آلاءِ ربكُما تكذبانِ﴾.

وقولُه تعالَى: ﴿فيهنَّ خيراتٌ﴾ صفةٌ أُخرى لجنتانِ كالجُملةِ التي قبلَها. والكلامُ في جمعِ الضميرِ كالَّذي مرَّ فيمَا مرَّ. وخيراتٌ مخففةٌ من خَيِّراتٍ لأنَّ خَيْرًا الذي بَمعْنى أخيرَ لا يجمعُ. وقد قرئَ(٤) على الأصلِ ﴿حسانٌ﴾ أي حسانُ الخَلْقِ

---

(١) في خ: الوجه.
(٢) في خ: اللؤلؤ.
(٣) في خ: والنضح.
(٤) قرأ بها: بكر بن حبيب، أبو عثمان النهدي، وابن مقسم، وقتادة، وابن السميفع، وأبو رجاء العطاردي. ينظر: الإملاء للعكبري (٢/ ١٣٦)، والبحر المحيط (٨/ ١٩٨)، وتفسير القرطبي (١٧/ ١٨٧)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٥٠)، والمعاني للفراء (٣/ ١٢٠).

والخُلُقِ. ﴿فبأيِّ آلاءِ ربكُما تكذبانِ﴾.

[وقولُه تعالَى: ﴿حُورٌ﴾ بدلٌ من خيراتٌ ﴿مقصوراتٌ في الخيامِ﴾ قُصرنَ في خُدورِهنَّ، يقالُ امرأةٌ قصيرةٌ وقَصورةٌ، أيْ مُخدَّرةٌ أو مَقْصُوراتُ الطرفِ عَلَى أَزْواجِهنَّ، وقيلَ إنَّ الخيمةَ من خيامِهنَّ درَّةٌ مجوَّفةٌ. ﴿فبأيِّ آلاءِ ربِّكما تكذبانِ﴾][(١)].

وقولُه تعالَى: ﴿لَمْ يَطْمِثْهنَّ إنسٌ قبلَهُم وَلاَ جانٌّ﴾ كالذي مرَّ في نظيرِه من جميعِ الوجوهِ. ﴿فبأيِّ آلاءِ ربكُما تكذبانِ﴾ وقوله تعالى: (متكئين) نُصبَ على الاختصاصِ ﴿على رفرفٍ خُضْرٍ﴾ الرفرفُ إمَّا اسمُ جنسٍ أو اسمُ جمعٍ وَاحِدُهُ رفرفةٌ قيلَ هُو ما تدلَّى من الأسرّةِ من أَعَالِي الثيابِ وقيلَ هو ضربٌ منَ البُسطِ، أو البُسُطُ، وقيلَ الوسائدُ وقيل: النمارقُ وقيل: كلُّ ثوبٍ عريضٍ رفرفٌ ويقالُ لأطرافِ البسطِ وفضولِ الفُسطاطِ رفارفُ ورفرفُ السحابِ هيدبُهُ ﴿وعبقريٍّ حسانٍ﴾ العبقريُّ منسوبٌ إلى عبقرٍ، تزعمُ العربُ أنَّه اسمُ بلدِ الجِنِّ فينسبونَ إليهِ كلَّ شيءٍ عجيبٍ، والمرادُ [به الجنسُ][(٢)]، ولذلكَ وصفَ بالجمعِ حَمْلًا على المَعْنى كَما في رفرفٍ على أحدِ الوجهينِ، وقرئ عَلَى رَفَارِفَ[(٣)] خُضُرٍ[(٤)] بضمَّتينِ وعَبَاقريٍّ[(٥)] كمدائِني نسبة إلى عباقرَ [في][(٦)] اسمِ البلدِ ﴿فبأيِّ آلاءِ ربكُما تكذبانِ﴾.

وقولُه تعالَى: ﴿تباركَ اسمُ ربِّكَ﴾ تنزيهٌ وتقديسٌ له تعالَى فيه تقريرٌ لما ذُكِرَ في السورةِ الكريمةِ من آلائِه الفائضةِ على الأنامِ أي تعالَى اسمه الجليلُ الذي من جُمْلتِه

---

(١) سقط في خ.

(٢) في خ: بالجنس.

(٣) قرأ بها: ابن محيصن، وعاصم الجحدري، وعثمان بن عفان، ونصر بن عاصم، ومالك بن دينار، وزهير العرقبي، وابن مصرف، وابن مقسم، وشبل، وأبو حيوة، والزعفراني، والحسن، ونصر بن علي، وأبو الجلد، وأبو طعمة.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٠٧)، والبحر المحيط (٨/ ١٩٩)، وتفسير الطبري (٢٧/ ٩٥)، وتفسير القرطبي (١٧/ ١٩١)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٥٠)، والمجمع للطبرسي (٩/ ٢٠٩) والمعاني للفراء (٣/ ١٢٠).

(٤) قرأ بها: عثمان بن عفان، ونصر بن عاصم، وعاصم الجحدري، ومالك بن دينار، وابن محيصن، وزهير العرقبي، وابن هرمز.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ١٩٩)، وتفسير القرطبي (١٧/ ١٩٣).

(٥) قرأ بها: ابن محيصن، وعاصم الجحدري، وعثمان بن عفان، ونصر بن عاصم، ومالك بن دينار، وزهير العرقبي، وابن مقسم.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ١٩٩)، والتبيان للطوسي (٩/ ٤٨٤)، وتفسير القرطبي (١٧/ ١٩٢).

(٦) سقط في خ.

ما صُدِّرتْ به السورةُ [الكريمة](١) من اسم الرحمٰن المنبئ عن إفاضتِه الآلاءَ المُفصَّلةَ وارتفعَ عمَّا لاَ يليقُ بشأنِه من الأمور التي منْ جُمْلتها جحودُ نعمائِه وتكذيبُها، وإذا كانَ حالُ اسمِه بملابسةِ دلالتِه عليهِ فما ظنُّك بذاتِه الأقدسِ الأَعْلى، وقيل: الاسمُ بمَعْنى الصفةِ وقيلَ مقحمٌ كما في قولِ منْ قالَ: [الطويل]

إِلى الحَوْلِ ثُمَّ اسمُ السَّلامِ عَلَيْكُمَا ....(٢)

﴿ذِي الجلالِ والإكرامِ﴾ وصفَ به الربُّ تكميلًا لما ذُكِرَ من التنزيهِ والتقريرِ. وقرئ(٣) ذُو الجلال على أنَّه نعتٌ للاسم.

عنِ النبيِّ ﷺ: «مَنْ قرأَ سورةَ الرحمٰنِ أدَّى شكرَ ما أنعمَ الله(٤) عليهِ»(٥) والله تعالى أعلم.

---

(١) سقط في خ. (٢) تقدم.

(٣) قرأ بها: ابن عامر.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٠٧)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٣٥)، والبحر المحيط (٨/ ١٩٩)، والحجة لأبي زرعة ص (٦٩٤)، والسبعة لابن مجاهد ص (٦٢١)، والكشف للقيسي (٢/ ٣٠٣)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٣٨٢).

(٤) زاد في خ: سبحانه وتعالى.

(٥) حديث موضوع وقد تقدم الكلام عليه.

سُورَةُ الواقعةِ

[مَكِّيةٌ][1] وَهيَ [ستٌّ وتسعونَ آيةً][2]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ (١) لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ (٢) خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ (٣) إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا (٤)
وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا (٥) فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا (٦) وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً (٧) فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ
أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ (٨) وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ (٩) وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ (١٠) أُوْلَٰٓئِكَ
ٱلْمُقَرَّبُونَ (١١) فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ (١٢) ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ (١٣) وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ (١٤) عَلَىٰ سُرُرٍ
مَّوْضُونَةٍ (١٥) مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ (١٦) يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ (١٧) بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن
مَّعِينٍ (١٨) لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ (١٩) وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ (٢٠) وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ
(٢١) وَحُورٌ عِينٌ (٢٢) كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ (٢٣) جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ (٢٤) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا
وَلَا تَأْثِيمًا (٢٥) إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا (٢٦) وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ (٢٧) فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ
(٢٨) وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ (٢٩) وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ (٣٠) وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ (٣١) وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ (٣٢) لَّا مَقْطُوعَةٍ
وَلَا مَمْنُوعَةٍ (٣٣) وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ (٣٤) إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً (٣٥) فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا (٣٦) عُرُبًا أَتْرَابًا (٣٧)
لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ (٣٨) ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ (٣٩) وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ (٤٠) وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ
ٱلشِّمَالِ (٤١) فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ (٤٢) وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ (٤٣) لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ (٤٤) إِنَّهُمْ كَانُواْ قَبْلَ ذَٰلِكَ
مُتْرَفِينَ (٤٥) وَكَانُواْ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ (٤٦) وَكَانُواْ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا
لَمَبْعُوثُونَ (٤٧) أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ (٤٨) قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْءَاخِرِينَ (٤٩) لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ
مَّعْلُومٍ (٥٠) ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ (٥١) لَءَاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ (٥٢) فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ
(٥٣) فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ (٥٤) فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ (٥٥) هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ (٥٦) نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ
فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ (٥٧) أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ (٥٨) ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ (٥٩) نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ
ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (٦٠) عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ (٦١) وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ

---

(١) سقط في خ.

(٢) في خ: سبعون وسبع آيات.

ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأُولَىٰ فَلَوۡلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَحۡرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمۡ تَزۡرَعُونَهُۥٓ أَمۡ نَحۡنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوۡ
نَشَآءُ لَجَعَلۡنَٰهُ حُطَٰمٗا فَظَلۡتُمۡ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغۡرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلۡ نَحۡنُ مَحۡرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيۡتُمُ ٱلۡمَآءَ
ٱلَّذِي تَشۡرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمۡ أَنزَلۡتُمُوهُ مِنَ ٱلۡمُزۡنِ أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوۡ نَشَآءُ جَعَلۡنَٰهُ أُجَاجٗا فَلَوۡلَا
تَشۡكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَءَيۡتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمۡ أَنشَأۡتُمۡ شَجَرَتَهَآ أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحۡنُ
جَعَلۡنَٰهَا تَذۡكِرَةٗ وَمَتَٰعٗا لِّلۡمُقۡوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ۞ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ
ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ﴿٧٨﴾
لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَنتُم مُّدۡهِنُونَ ﴿٨١﴾
وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَوۡلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلۡحُلۡقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمۡ حِينَئِذٖ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحۡنُ
أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنكُمۡ وَلَٰكِن لَّا تُبۡصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوۡلَآ إِن كُنتُمۡ غَيۡرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرۡجِعُونَهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ
﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوۡحٞ وَرَيۡحَانٞ وَجَنَّتُ نَعِيمٖ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ
ٱلۡيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٞ لَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٞ مِّنۡ
حَمِيمٖ ﴿٩٣﴾ وَتَصۡلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلۡيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٩٦﴾

﴿**إذَا وقعتِ الواقعةُ**﴾ أيْ إذَا قامتِ القيامةُ، وذلكَ عندَ النفخةِ الثانيةِ. والتعبيرُ عنها بالواقعةِ للإيذانِ بتحققِ وقوعِها لا محالةَ كأنَّها واقعةٌ في نفسِها معَ قطعِ النظرِ عن الوقوعِ الواقعِ في حيزِ الشرطِ كأنَّه قيلَ كانتِ الكائنةُ وحدثتِ الحادثةُ. وانتصابُ[(١)] إذَا بمضمرٍ ينبئ[(٢)] عن الهولِ والفظاعةِ، كأنَّه قيلَ إذَا وقعتِ الواقعةُ يكونُ من[(٣)] الأهوالِ ما لا يفي به المقالُ، وقيلَ بالنَّفي المفهوم من قولِه تعالى: ﴿**ليسَ لوقعتِها كاذبةٌ**﴾ أيْ لا يكونُ عندَ وقوعِها نفسٌ تكذبُ على الله تعالَى أو تكذبُ في نفيها[(٤)] كما تكذبُ اليومَ واللامُ كهيَ في قولِه تعالى: ﴿ياليتني قدمتُ لحياتِي﴾ [سورة الفجر، الآية ٢٤] وهذهِ الجملةُ على الوجهِ الأولِ اعتراضٌ مقررٌ لمضمونِ الشرطِ على أنَّ الكاذبةَ مصدرٌ كالعافيةِ أي ليسَ لأجلِ وقعتِها وفي حقِّها كذبٌ أصْلًا بلْ كلُّ ما رودَ في شأنِها من الأخبارِ حقٌّ صادقٌ لا ريبَ فيهِ.

وقوله تعالى: ﴿**خافضةٌ رافعةٌ**﴾ خبرُ مبتدأٍ محذوفٍ أيْ هيَ خافضةٌ لأقوام رافعةٌ لآخرينَ وهو تقريرٌ لعظمتِها وتهويلٌ لأمرِها، فإنَّ الوقائعَ العظام شأنُها كذلكَ، أو بيانٌ لمَا يكونُ يومئذٍ من حطِّ الأشقياءِ إلى الدركاتِ، ورفعِ السعداءِ إلى الدرجاتِ، ومن زلزلةِ الأشياءِ وإزالةِ الأجرام عن مقارِّها بنثرِ الكواكبِ وإسقاطِ السماءِ كسفًا وتسييرِ الجبالِ في الجوِّ كالسحابِ. وتقديمُ الخفضِ على الرفعِ للتشديدِ في التهويل. وقرئ

---

(١) في خ: انتظار.
(٢) في خ: مبني.
(٣) زاد في خ: الأحوال.
(٤) في خ: نفسها.

(خافضةً رافعةً)[١] بالنصبِ على الحالِ من الواقعة. وقولُه تعالَى: ﴿إِذَا رُجَّتِ الأَرْضُ رَجًّا﴾ أيْ زلزلتْ زلزالًا شديدًا بحيثُ ينهدمُ ما فوقَها من بناءٍ وجبلٍ، متعلقٌ[٢] بـ(خافضةٌ رافعةٌ) أي تخفضُ وترفعُ وقتَ رجِّ الأرضِ إذْ عندَ ذلكَ ينخفضُ ما هُو مرتفعٌ ويرتفعُ ما هو منخفضٌ، أو بدلٌ منْ إذَا وقعتِ. ﴿وَبُسَّتِ الجِبالُ بَسًّا﴾ أيْ: فُتِّتتْ حتَّى صارتْ مثلَ السويقِ الملتوتِ من بسَّ السويقَ إذا لتَّه أو سِيقتْ وسيرتْ من أماكنِها من بسِّ الغنَم إذَا ساقَها كقولِه تعالَى ﴿وَسُيِّرتِ الجبالُ﴾ [سورة النبأ، الآية ٢٠]. وقرئ (رَجتْ)[٣] و(بَستْ)[٤] أيْ ارتجتْ وذهبتْ ﴿فكانتْ﴾ أي فصارتْ بسببِ ذلك ﴿هباءً﴾ غبارًا ﴿منبثًا﴾ منتشرًا ﴿وكنتُم﴾ إما خطابٌ للأمةِ[٥] الحاضرةِ والأممِ السالفةِ تغليبًا أو للحاضرةِ فقط ﴿أزواجًا﴾ أي أصنافًا ﴿ثلاثةً﴾ فكلُّ صنفٍ يكونُ معَ صنفٍ آخرَ في الوجودِ أو في الذكرِ فهو زوجٌ. وقولُه تعالى: ﴿فأصحابُ الميمنةِ ما أصحابُ الميمنةِ * وأصحابُ المشأمةِ ما أصحابُ المشأمةِ﴾ تقسيمٌ وتنويعٌ للأزواجِ الثلاثةِ معَ الإشارةِ الإجماليةِ إلى أحوالِهم قبلَ[٦] تفصيلِها. فقولُه تعالَى فأصحابُ الميمنةِ مبتدأٌ وقولُه (ما أصحابُ الميمنةِ) خبرُه[٧] على أنَّ ما الاستفهاميةَ مبتدأٌ[٨] ثانٍ ما بعده خبرُهُ والجملةُ خبرُ الأولِ، والأصلُ ما هُم أيْ أيُّ شيءٍ هم في حالِهم وصفتِهم؟ فإنَّ ما وإنْ شاعتْ في طلبِ مفهومِ الاسمِ والحقيقةِ لكنَّها قد يُطلبُ بها الصفةُ والحالُ، وتقولُ ما زيدٌ فيقالُ عالمٌ أو طبيبٌ فوضعُ الظاهرِ موضعَ الضميرِ لكونِه أدخلَ في التفخيم، وكذا الكلامُ في قولِه تعالى: ﴿وأصحابُ المشأمةِ ما أصحابُ المشأمةِ﴾ والمرادُ تعجيبُ السامعِ من شأنِ الفريقينِ في الفخامةِ والفظاعةِ كأنَّه قيلَ فأصحابُ الميمنةِ في غاية حسنِ الحالِ وأصحابُ المشأمةِ في نهاية سوءِ

---

(١) قرأ بها: اليزيدي، وزيد بن علي، والحسن، وعيسى، والثقفي، وأبو حيوة، وابن أبي عبلة، وابن مقسم، والزعفراني.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٠٧)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٣٦)، وتفسير القرطبي (١٧/ ١٩٦)، والمجمع للطبرسي (٩/ ٢١٣)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٣٠٧)، والمعاني للفراء (٣/ ١٢١).

(٢) في خ: متعلقة.

(٣) قرأ بها: زيد بن علي.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٢٠٤).

(٤) قرأ بها: زيد بن علي
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٢٠٤).

(٥) في خ: للأمم.

(٦) في خ: قبيل.

(٧) في خ: خبر.

(٨) في خ: خبر.

الحالِ. وتكلمُوا في الفريقينِ، فقيلَ أصحابُ الميمنةِ أصحابُ المنزلةِ السنيةِ وأصحابُ المشأمةِ أصحابُ المنزلةِ الدنيةِ أخذًا من تيمُّنهم بالميامنِ وتشاؤمِهم بالشمائلِ، وقيلَ الذينَ يُؤتَون صحائفهم بأيمانِهم والذينَ يُؤتونها بشمائِلهم، وقيلَ الذينَ يُؤخذُ بِهم ذاتَ اليمينِ إلى الجنَّةِ والذينَ يؤخذُ بهم ذاتَ الشمالِ إلى النارِ، وقيلَ: أصحابُ اليُمنِ وأصحابُ الشؤمِ فإن السعداءَ ميامين على أنفسِهم بطاعاتِهم والأشقياء مشائيمُ عليها بمعاصِيهم.

وقولُه تعالَى: ﴿والسابقونَ السابقونَ﴾ هُو القِسمُ الثالثُ من الأزواجِ الثلاثةِ ولعلَّ تأخيرَ ذكرِهم مع كونِهم أسبقَ [الأقسامِ وأقدمَهم][١] في الفضلِ ليقترنَ ذكرُهم ببيانِ محاسنِ أحوالِهم، على أنَّ إيرادَهُم بعنوانِ السبقِ مُطلقًا معربٌ عن إحرازِهم لقصبِ السبقِ من جميعِ الوجوهِ وتكلمُوا[٢] فيهم أيضًا فقيلَ هم الذينَ سبقُوا[٣] إلى الإيمانِ والطاعةِ عند ظهورِ الحقِّ من غير تلعثمٍ وتوانٍ، وقيلَ: الذينَ سبقوا في حيازةِ الفضائلِ والكمالاتِ، وقيلَ هُم الذينَ صلوا إلى القبلتينِ كما قالَ تعالى: ﴿والسابقونَ الأولونَ من المهاجرينَ والأنصارِ﴾ [سورة التوبة، الآية ١٠٠] وقيلَ هم السابقونَ إلى الصلواتِ الخمسِ، وقيل: المسارعونَ في الخيراتِ. وأيا ما كانَ فالجملةُ مبتدأٌ وخبرٌ. والمَعْنى والسابقونَ هم الذينَ اشتهرتْ أحوالُهم وعرفتْ محاسنُهم، كقولِ أبي النَّجم: [الرجز]

أنَا أبُو النَّجْمِ وشِعْرِي شِعْرِي[٤]

وفيهِ من تفخيم شأنِهم والإيذانِ بشيوعِ فضلِهم واستغنائِهم عن[٥] الوصفِ بالجميلِ ما لا يَخْفى، وقيلَ والسابقونَ إلى طاعةِ الله تعالى السابقونَ إلى رحمتِه أو السابقونَ إلى الخيرِ السابقونَ إلى الجنةِ.

وقولُه تعالى: ﴿أولئكَ﴾ إشارةٌ إلى السابقينَ، وما فيهِ من مَعْنى البُعدِ مع قُربِ

---

(١) سقط في خ.
(٢) في خ: تحكموا.
(٣) في خ: سيقوا.
(٤) الرجز لأبي النجم في أمالي المرتضى (١/ ٣٥٠)، وخزانة الأدب (١/ ٤٣٩)، والخصائص (٣/ ٣٣٧)، والدرر (١/ ١٨٥)، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص(١٦١٠)، وشرح شواهد المغني (٢/ ٩٤٧)، وشرح المفصل (١/ ٩٨، ٩/ ٨٣)، والمنصف (١/ ١٠)، وهمع الهوامع (١/ ٦٠)، وبلا نسبة في خزانة الأدب (٨/ ٣٠٧، ٩/ ٤١٢)، والدرر (٥/ ٧٩)، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي (١٠٣، ٢٩٠)، ومغني اللبيب (١/ ٣٢٩، ٢/ ٤٣٥، ٤٣٧)، وهمع الهوامع (٢/ ٥٩).
(٥) في خ: من.

العهدِ بالمشارِ إليهِ للإيذانِ ببُعدِ منزلتِهم في الفضل ومحلُّه الرفعُ على الابتداءِ، خبرُهُ ما بعدَهُ أيْ أولئكَ الموصوفونَ بذلكَ النعتِ الجليلِ ﴿**المقربونَ**﴾ أي الذينَ قُرّبتْ إلى العرشِ العظيمِ درجاتُهم وأعليتْ مراتبهُم ورُقِّيتْ إلى حظائرِ القدسِ نفوسُهم الزكيةُ هذا أظهرُ ما ذُكِرَ في إعرابِ هذه الجملِ وأشهرُه والذي تقتضيهِ جزالةُ التنزيلِ أنَّ قولَه تعالَى: ﴿فأصحابُ الميمنةِ﴾ [سورة الواقعة، الآية ٨] خبرُ مبتدأٍ محذوفٍ، وكذَا قولُه تعالى: ﴿والسابقون﴾ إلى الخير السابقون إلى الجنة، وقوله تعالى: ﴿ذلك﴾ إشارة إلى السابقين لما كان المعنى [﴿وأصحابُ المشأمةِ﴾ [سورة الواقعة، الآية ٩]، وقولُه تعالَى: ﴿والسابقونَ﴾ [سورة الواقعة، الآية ١٠] فإن المترقَّبَ][(١)] عند بيانِ انقسام الناسِ إلى الأقسامِ الثلاثةِ بيانُ أنفَسِ الأقسام الثلاثةِ وأمَّا أوصافُها وأحوالُها فحقُّها أنْ تبينَ بعد ذلكَ بإسنادِها إليها، والتقديرُ فأحدُها أصحابُ الميمنةِ والآخرُ[(٢)] أصحابُ المشأمةِ والثالثُ السابقونَ، خَلاَ أنَّه لما أُخرَ بيانُ أحوالِ القسمينِ الأولينِ [عُقّبَ كلٌّ منهُما بجملةٍ معترضةٍ بين القسمينِ منبئةٍ عن تَرَامي أحوالِهما في الخيرِ والشرِّ إنباءً إجماليا مشعرًا بأنَّ لأحوالِ][(٣)] كلٍّ منهُمَا تفصيلًا مترقبًا لكنْ لا على أنَّ مَا الاستفهاميةَ مبتدأٌ وما بعدها خبرٌ على ما رآهُ[(٤)] سيبويهِ في أمثالِه بلْ على أنَّها خبرٌ لما بعدَها فإنَّ مناطَ الإفادةِ بيانُ أنَّ أصحابَ الميمنةِ أمرٌ بديعٌ كما يفيدهُ كونُ ما خبرًا لا بيانُ أنَّ أمرًا بديعًا أصحابُ الميمنةِ كما يفيدُه كونُها مبتدأً وكذا الحالُ في ما أصحابُ المشأمة وأما القسمُ الأخيرُ فحيثُ قُرنَ بيانُ محاسنِ أحوالِه بذكرِه لم يُحتجْ فيهِ إلى تقديمِ الأنموذجِ فقولُه تعالى السابقونَ مبتدأٌ والإظهارُ في مقامِ الإضمارِ للتفخيمِ وأولئكَ مبتدأٌ ثانٍ أو بدلٌ من الأولِ وما بعدَهُ خبرٌ له أو للثاني والجملةُ خبرٌ للأولِ.

وقولُه تعالى: ﴿**في جنَّاتِ النعيم**﴾ متعلقٌ بالمقربونَ أو بمضمرٍ هو حالٌ من ضميرِه[(٥)] أي كائنين في جنَّاتِ النعيمِ وقيلَ خبرٌ ثانٍ لاسمِ الإشارةِ وفيه [أنَّ الإخبارَ][(٦)] بكونهم [فيها بعد الإخبارِ بكونِهم][(٧)] مقربين ليس فيه مزيدُ مزيةٍ[(٨)] وقرئ (في جنةِ النعيمِ)[(٩)].

---

(١) في خ: الترقب.
(٢) في خ: وآخر.
(٣) سقط في خ.
(٤) في خ: رواه.
(٥) في خ: ضمير.
(٦) في خ: إخبار.
(٧) سقط في خ.
(٨) في خ: كزيد.
(٩) قرأ بها: طلحة.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٢٠٥).

نعيم المتقين

وقولُه تعالى: ﴿ثلةٌ من الأولينَ﴾ خبرُ مبتدأٍ محذوفٍ أيْ هُم أمةٌ جمةٌ من الأولينَ، وهم الأممُ السالفةُ من لدن آدم إلى نبيِّنا عليهما الصَّلاةُ والسَّلامُ وعَلى من بينهُمَا منَ الأنبياءِ العظام. ﴿وقليلٌ من الآخرينَ﴾ أي من هذه الأمةِ ولا يخالفه قولُه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «إنَّ أمتِي يكثرونَ سائرَ الأممِ»[1] فإنَّ أكثريةَ سابقي الأممِ السالفةِ[2] من سابقي هذه الأمة لا تمنعُ أكثريةَ تابعي هؤلاءِ من تابعي أولئكَ، ولاَ يردُّه قولُه تعالى في أصحابِ اليمينِ ﴿ثلةٌ من الأولينَ * وثلةٌ من الآخرينَ﴾ [سورة الواقعة، الآية ٣٩، ٤٠] لأنَّ كثرةَ كلٍّ من الفريقينِ في أنفسِهما لا تُنافِي[3] أكثريةَ أحدِهما من الآخرِ وسيأتِي أن الثلثينِ من هذهِ الأمةِ وقد رُوِيَ مرفوعًا أن الأولينَ والآخرينَ هاهنا أيضًا متقدمُو هذه الأمةِ ومتأخرُوهم واشتقاقُ الثلةِ من الثِّل وهو الكسرُ.

﴿على سررٍ موضونةٍ﴾ حالٌ أُخرى من المقربينَ أو من ضميرِهم في الحالِ الأُولى وقيلَ: خبرٌ آخرُ للضميرِ والموضونةُ المنسوجةُ بالذهبِ مشبكةٌ بالدرِّ والياقوتِ أو المتواصلةُ من الوضنِ وهو النسجُ ﴿متكئينَ عليها متقابلينَ﴾ حِالانِ]ِ[4] من الضميرِ المستكنِّ فيما تعلقَ بِهِ على سررٍ أي مستقرينَ على سررٍ متكئينَ عليها متقابلينَ لا ينظرُ بعضُهم من أقفاءِ بعضٍ وهو وصفٌ لهم بحسنِ العشرةِ وتهذيبِ الأخلاقِ والآدابِ. ﴿يطوفُ عليهم﴾ حالٌ أُخرى أو استئنافٌ أي يدورُ حولَهُم للخدمةِ ﴿ولدانٌ مخلدونَ﴾ أي مبقونَ أبدًا على شكلِ الولدانِ وطراوتِهم لا يتحولونَ عنها وقيلَ مقرطونَ والخُلد القِرطُ قيلَ: هم أولادُ أهلِ الدُّنيا لم يكُن لهم حسناتٌ فيثابُوا عليها ولا سيئاتٌ فيعاقبُوا عليها، رُوِيَ ذلكَ عن عليٍّ رضيَ الله عنه وعنِ الحسنِ[5] رحمَهُ الله.

وفي الحديثِ «أولادُ الكفارِ خدامُ أهلِ الجنةِ»[6] ﴿بأكوابٍ﴾ بآنيةٍ لا عُرَى لها ولا

---

(١) قال المناوي في «الفتح السماوي» (٣/ ١٠٢٢): لم أقف عليه ا.هـ. وهذا الحديث بهذا اللفظ لا أصل له.

(٢) في خ: السابقة.

(٣) في خ: ينافي.

(٤) في خ: حال.

(٥) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٦٢٦) عن الحسن.
وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٢١٧) وزاد نسبته إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

(٦) أخرجه الطبراني في الكبير (٧/ ٢٩٥) رقم (٦٩٩٣) عن عيسى بن شعيب عن عباد بن منصور عن أبي رجاء عن سمرة بن جندب قال: سألنا رسول الله ﷺ عن أطفال المشركين فقال: «هم خدم أهل الجنة».

=

خَراطيمُ. ﴿وأباريقَ﴾ أي آنيةٌ ذاتُ عُرى وخَراطيمَ ﴿وكأسٍ من معينٍ﴾ أي خمرٍ جاريةٍ منِ العُيونِ قيلَ: إنما أفردَ الكأسَ لأنها لا تسمَّى كأسًا إلا إذا كانتْ مملوءةً ﴿لا يُصَدَّعونَ عنها﴾ أيْ بسببها. وحقيقتُه لا يصدرُ صداعُهم عنْهَا. وقرئ (لا يصَّدَّعُون)[١] أي لا يتصدَّعُون ولا يتفرقونَ، كقولِه تعالى: ﴿يومئذٍ يصدعون﴾ [سورة الروم، الآية ٤٣] وقرئ (لا يَصْدَعونَ)[٢] أي لا يفرقُ بعضُهم بعضًا ﴿ولا يُنْزِفُونَ﴾ أي لا يسكرُون من أُنزِفَ الشاربُ إذا نفدَ عقلُه أو شرابُه ﴿وفاكهة مما يتخيرون﴾ أي يختارونه ويأخذون خيره وأفضله.

﴿ولحم طيرٍ ممَّا يشتهونَ﴾ أي يتمنونَ وقُرئ (ولحوم طيرٍ)[٣] ﴿وحورٌ عينٌ﴾ بالرفعِ عطفٌ على (ولدانٌ) أو مبتدأٌ محذوفُ الخبرِ أيْ وفيهَا أو لَهُم حورٌ. وقرئَ بالجرِّ عطفًا[٤] على جنات النعيم، كأنَّه قيلَ هم في جناتٍ وفاكهةٍ ولحم ومصاحبة [حورٍ أو][٥] على أكوابٍ لأنَّ معنى يطوفُ عليهم ولدانٌ مخلدونَ بأكوابٍ يُنعَّمونَ بأكوابٍ وبالنصبِ[٦] أي ويُؤتونَ حُورًا. ﴿كأمثالِ اللؤلؤِ المكنونِ﴾ صفةٌ لحور أو

=وذكره الهيثمي في «المجمع» (٧/ ٢٢٢)، وقال: رواه الطبراني في الكبير والأوسط- والبزار في مسنده، وفيه عباد بن منصور ووثقه يحيى القطان وفيه ضعف وبقية رجاله ثقات.

وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٣٠٨) من طريق سفيان الثوري عن الربيع بن صبيح عن يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك قال: سألت رسول الله ﷺ عن ذراري المشركين لم يكن لهم ذنوب يعاقبون فيها فيدخلون النار ولم تكن لهم حسنة يجازون بها، فيكونوا من ملوك الجنة؟ فقال النبي ﷺ «هم خدم أهل الجنة».

(١) قرأ بها: مجاهد.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٢٠٥)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٥٤).

(٢) قرأ بها: حمزة، والكسائي، وعاصم، والحسن، والسلمي، وعمرو، عبيد، وشيبة، وطلحة، والمفضل، وأبان، وعصمة، وأبو جعفر، وعبد الله.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٠٧)، والإعراب للنحاس (٣/ ٣٢٤)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٣٦)، والبحر المحيط (٨/ ٢٠٦)، والتيسير للداني ص (٢٠٧)، والسبعة لابن مجاهد ص (٦٢٢)، والغيث للصفاقسي ص (٣٦٣).

(٣) ينظر: الكشاف للزمخشري (٤/ ٥٤).

(٤) قرأ بها: حمزة، والكسائي، وعاصم، والحسن، والسلمي، وعمرو بن عبيد، وشيبة، وطلحة، والمفضل، وأبان، وعصمة، وأبو جعفر، وعبد الله.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٠٧)، والإعراب للنحاس (٣/ ٣٢٤)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٣٦)، والبحر المحيط (٨/ ٢٠٦)، والتيسير للداني ص (٢٠٧)، والسبعة لابن مجاهد ص (٦٢٢)، والغيث للصفاقسي ص (٣٦٣).

(٥) في خ: وحور و.

(٦) قرأ بها: أبي، وعبد الله، والأشهب العقيلي، والنخعي، وعيسى بن عمر. =

حال. ﴿جزاءً بما كانوا يعملون﴾ مفعول له أي يفعل بهم ذلكَ كلُّه جزاءً بأعمالِهم، أو مصدرٌ مؤكِدٌ أي يُجزونَ جزاءً. ﴿لا يسمعونَ فيها لغوًا﴾ أي باطلًا ﴿ولا تأثيمًا﴾ أيْ ولا نسبةً إلى الإثمِ أيْ لا لغوَ فيهَا ولا تأثيمَ ولا سماعَ كقولِه: [السريع]

.... ولاَ تَرَى الضبَّ بها ينجحِرُ[١]

﴿إلا قيلًا﴾ أي قولًا ﴿سلامًا سلامًا﴾ بدلٌ من قيلًا كقوله تعالَى: ﴿لا يسمعونَ فيها لغوًا إلا سلامًا﴾ [سورة مريم، الآية ٦٢]، أو صفتُه أو مفعولُه بمَعْنى لا يسمعونَ فيها إلا أنْ يقولُوا سلامًا سلامًا والمَعْنى أنهم يُفشونَ السلامَ فيسلمونَ سلامًا بعدَ سلام أو لا يسمعُ كلٌّ من المسلِّمِ والمسلَّمِ عليهِ إلا سلامَ الآخرِ بدءًا أو ردا. وقرئ (سلامٌ سلامٌ)[٢] على الحكايةِ.

وقولُه تعالَى: ﴿وأصحابُ اليمينِ﴾ [شروعٌ في تفصيلِ ما أُجملَ عند التقسيم من شؤونِهم الفاضلةِ إثرَ تفصيلِ شؤونِ السابقينَ وهو مبتدأٌ وقولُه تعالى:][٣] ﴿ما أصحابُ اليمينِ﴾ جملةٌ استفهاميةٌ مسوقةٌ لتفخيمِهم والتعجيبِ من حالِهم وقد عرفتَ كيفيةَ سبكِها، محلُّها إما الرفعُ على أنَّها خبرٌ للمبتدأِ أو معترضةٌ لا محلَّ لها. والخبرُ قولُه تعالى: ﴿في سِدْرٍ مخضودٍ﴾ وهو على الأولِ خبرٌ ثانٍ للمبتدأِ أو خبرٌ لمبتدأٍ محذوفٍ، والجملةُ استئنافٌ لبيانِ ما أُبهمَ في قولِه تعالى: ﴿ما أصحابُ اليمينِ﴾ من علوِّ الشأنِ أي[٤] هم في سدرٍ غيرِ ذي شوكٍ لا كسِدْرِ الدُّنيا وهو شجرُ النبقِ كأنَّه خُضِّدَ شوكُه أي قطعَ وقيل: مخضودٌ أي مثنيٌّ أغصانُه لكثرةِ حملِه من خضَدَ الغصن إذا ثناهُ وهو رطبٌ ﴿وطلحٍ منضودٍ﴾ قد نُضّد حملُه من أسفلِه إلى أعلاهُ ليستْ له ساقٌ بارزة وهو شجرُ الموزِ أو أمُّ غيلانَ وله أنوارٌ كثيرةٌ منتظمةٌ طيبةُ الرائحةِ وعن السُّدِّيِّ: شجرٌ يُشبهُ طلحَ الدُّنيا ولكنْ [له][٥] ثمرٌ أَحْلى من العسلِ[٦]. وعن عليٍّ رضيَ الله عنهُ أنه قرأَ (وطلعٍ)[٧] وما شأنُ الطلحِ وقرأَ قولَه تعالى: ﴿لها طلعٌ نضيدٌ﴾

= ينظر: الإعراب للنحاس (٣/ ٣٢٤)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٣٦)، والبحر المحيط (٨/ ٢٠٦)، والمجمع للطبرسي (٩/ ٢١٥)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٣٠٩)، والمعاني للفراء (٣/ ١٢٤).

(١) تقدم.

(٢) ينظر: الكشاف (٤/ ٤٦٠)، والدر المصون (٦/ ٢٥٩).

(٣) سقط في خ.

(٤) في خ: و.

(٥) سقط في خ.

(٦) ينظر «الجامع لأحكام القرآن» (١٧/ ١٣٥) و«اللباب في علوم الكتاب» (١٨/ ٣٩٧).

(٧) قرأ بها أيضًا: جعفر بن محمد، وعبد الله.

[سورة ق، الآية ١٠] فقيلَ أَوَ نُحوِّلُها قال: آي القرآنِ لا تُهاجُ ولا تحولُ[١] وعن ابنِ عباسٍ نحوُه[٢] ﴿وظلٍّ ممدودٍ﴾ ممتدٍّ منبسطٍ لا يتقلصُ ولا يتفاوتُ كظلٍّ ما بينَ طلوعِ الفجرِ وطلوعِ الشمسِ ﴿وماءٍ مسكوبٍ﴾ يُسكبُ لهُم أينما شاءُوا وكيفَما أرادُوا بلا تعبٍ أو مصبوبٍ سائلٍ يجري على الأرضِ في[٣] غير أخدودٍ، كأنَّه مثّل[٤] حالَ السابقينَ بأقصى ما يتصورُ لأهلِ المدنِ وحالَ أصحابِ اليمينِ بأكملِ ما يتصورُ لأهلِ البوادِي إيذانًا بالتفاوتِ بينَ الحالينِ ﴿وفاكهةٍ كثيرةٍ﴾ بحسبِ الأنواعِ والأجناسِ ﴿لا مقطوعةٍ﴾ في وقتٍ من الأوقاتِ كفواكهِ الدُّنيا ﴿ولا ممنوعةٍ﴾ عن مُتناوليها بوجهٍ من الوجوهِ لا يُحظر عليها كما يُحظر على بساتينِ الدُّنيا. وقرئ (فاكهةٌ كثيرةٌ)[٥] بالرَّفعِ عَلى وهُناكَ فاكهةٌ . . .إلخ. كقولِه تعالى و(حورٌ عينٌ).

﴿وفرشٍ مرفوعةٍ﴾ أي رفيعةِ القدرِ أو منضدةٍ مرتفعةٍ أو مرفوعةٍ على الأسرّة وقيل الفرشُ النساءُ حيثُ يُكْنَى بالفراشِ عن المرأةِ وارتفاعُها كونُهنَّ على الأرائكِ. قالَ تعالَى: ﴿هم وأزواجهُم في ظلالٍ على الأرائكِ متكئونَ﴾ [سورة يس، الآية ٥٦] ويدلُّ عليهِ قولُه تعالى: ﴿إنا أنشأنهنَّ إنشاءً﴾ وعلى التفسيرِ الأولِ أضمر[٦] لهن لدلالةِ ذكرِ الفُرشِ التي هي المضاجعُ عليهن دلالةً بينةً والمعنى ابتدأنَا خلقهنَّ ابتداءً جديدًا أو أبدعناهنَّ من غيرِ ولادٍ إبداءً أو إعادةً وفي[٧] الحديثِ: «هُنَّ اللواتِي قُبضن في دارِ الدنيا عجائزَ شُمطًا رُمْصًا جعلهنَّ الله تعالَى بعدَ الكبرِ أترابًا على ميلادٍ واحدٍ في الاستواءِ كلما أتاهنَّ أزواجُهنَّ وجدوهنَّ أبكارًا»[٨]، وذلكَ قولُه تعالى: ﴿فجعلناهنَّ أبكارًا﴾.

= ينظر: البحر المحيط (٨/ ٢٠٦)، والتبيان للطوسي (٩/ ٤٩٣)، وتفسير القرطبي (١٧/ ٢٠٨)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٥٤).

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٦٣٦) عن علي وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٢٢٢-٢٢٣) وزاد نسبته إلى ابن الأنباري في «المصاحف».
وينظر «معالم التنزيل» (٤/ ٢٨٢).

(٢) ينظر «اللباب في علوم الكتاب» (١٨/ ٣٩٧).

(٣) في خ: من.

(٤) في خ: قيل.

(٥) ينظر: البحر المحيط (٨/ ٢٠٧)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٥٤).

(٦) في خ: لمن الضمير.

(٧) في خ: وهي في.

(٨) أخرجه الطبراني في معجمه الكبير: (٢٣/ ٣٦٧) رقم (٨٧٠)، والطبري في تفسيره (١١/ ٦٤٠) رقم (٣٣٤٠٢)؛ كلاهما من حديث عمرو بن هاشم البيروتي عن سليمان بن أبي كريمة عن هشام بن حسان، عن الحسن عن أمه عن أم سلمة قالت: قلت: يا رسول الله، أخبرني عن قوله تعالى: ﴿فجعلناهن أبكارا﴾ إلى آخره.
وقال الهيثمي (٧/ ١٢٢): وفيه سليمان بن أبي كريمة ضعفه أبو حاتم وابن عدي. وعزاه الزيلعي في =

وقوله تعالى: ﴿عُرُبًا﴾ جمعُ عروبٍ وهي المتحببةُ[١] إلى زوجِها الحسنةُ التبعلِ. وقرئ (عُرْبًا)[٢] بسكونِ الراءِ ﴿أترابًا﴾ مستوياتٍ في السنِّ بناتِ ثلاثٍ وثلاثين سنةً وكذا أزواجُهنَّ واللامُ في قولِه تعالى: ﴿لأصحابِ اليمينِ﴾ متعلقةٌ بـ (أنشأنَا) أو (جعلنَا) أو بـ (أترابًا) كقولِك هَذا تِربٌ لهَذا أي مساوٍ له في السنِّ وقيل: بمحذوفٍ هو صفةٌ لـ (أبكارًا) أي كائناتٍ لأصحابِ اليمينِ أو خبرُ مبتدأٍ محذوفٍ أي هُنَّ لأصحابِ اليمينِ وقيل: خبرٌ لقولـهِ تعالى: ﴿ثلّةٌ من الأولين * وثلّةٌ من الآخرين﴾ وهو بعيد بل هو خبر مبتدأ محذوف ختمت به قصة أصحاب اليمين أي هم أمة من الأولين وأمة من الآخرين وقد مرّ الكلام فيهما، وعن أبي العالية ومجاهد وعطاء والضحاك ثلةٌ من الأولينَ أي من سابقِي هذه الأمةِ وثلةٌ من الآخرينَ من هذه الأمةِ في آخرِ الزمانِ[٣]. وعن سعيدِ بن جُبيرٍ عن ابن عباسٍ رضيَ الله عنهُمَا في هذه الآيةِ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «هم جَميعًا[٤] منْ أمّتي»[٥].

عقاب الكافرين

﴿وأصحابُ الشمالِ﴾ [شروعٌ في تفصيلِ أحوالِهم التي أُشير عند التنويعِ إلى هولِها وفظاعتِها بعدَ تفصيلِ حسنِ حالِ أصحابِ اليمينِ. والكلامُ في قولِه تعالى:][٦]

= تخريج الكشاف (٣/ ٤٠٦) إلى ابن مردويه في تفسيره، والثعلبي في تفسيره.
وله شاهد من حديث أنس:
أخرجه الترمذي (٥/ ٤٠٢): كتاب تفسير القرآن: باب ومن سورة الحديد، حديث (٣٢٩٦)، وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعًا إلا من حديث موسى بن عبيدة، وموسى بن عبيدة ويزيد بن أبان الرقاشي يضعفان في الحديث.

(١) في خ: المتجلية.
(٢) قرأ بها: حمزة، وعاصم، وأبو عمرو، ونافع، وخلف، وشجاع، وعباس، والأصمعي، وخارجة، وكردم، وحماد، وأبان، وأبو خليد، وشعبة.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٠٨)، والبحر المحيط (٨/ ٢٠٧)، والسبعة لابن مجاهد ص (٦٢٢)، والغيث للصفاقسي ص (٣٦٣)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٥٥)، والمجمع للطبرسي (٩/ ٢١٧).
(٣) ينظر الجامع لأحكام القرآن (١٧/ ١٣٧) و «اللباب في علوم الكتاب» (١٨/ ٤٠٤).
(٤) في خ: جمعًا.
(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١١/ ٦٤٦) وابن عدي في «الكامل» (١/ ٣٧١) وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٢٢٧) وزاد نسبته إلى الفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه عن ابن عباس بسند ضعيف.
(٦) سقط في خ.

﴿ما أصحابُ الشمالِ﴾ عينُ ما فُصِّلَ في نظيرِه وكذا في قولِه تعالى ﴿في سموم وحميمٍ﴾ والسَّمومُ حرُّ نارٍ ينفذُ في المسامِّ والحميمُ المُتناهِي في الحرارةِ. ﴿وظِلٍّ من يحمومٍ﴾ منْ دُخانٍ أسودَ بهيمٍ ﴿لا باردٍ﴾ كسائرِ الظلالِ ﴿ولا كريمٍ﴾ فيه خير ما في الجملة سُمِّيَ ذلكَ ظلًا ثم نُفي عنه وصفاهُ البردُ والكرمُ الذي عبرَ به عن دفع أذى الحر لتحقيقِ أنه ليس بظلٍّ وقرئ (لا باردٌ ولا كريمٌ)[1] بالرفعِ أي لا هُو باردٌ ولا كريمٌ.

وقولُه تعالى: ﴿إنَّهم كانوا قبلَ ذلكَ مُترفين﴾ تعليلٌ لابتلائِهم بما ذُكِرَ من العذابِ أي إنَّهم كانُوا قبلَ ما ذُكِرَ من سُوءِ العذابِ في الدُّنيا منعّمينَ بأنواعِ النعمِ من المآكلِ والمشاربِ والمساكنِ الطيبةِ والمقاماتِ الكريمةِ منهمكينَ في الشهواتِ فلا جرمَ عُذبُوا بنقائضِها ﴿وكانُوا يُصرون على الحنثِ العظيمِ﴾ أي الذنبِ العظيمِ الذي هو الشركُ ومنه قولُهم بلغَ الغلامُ الحنثَ أي الحُلُمَ وقتَ المؤاخذةِ بالذنبِ ﴿وكانُوا يقولونَ﴾ لغايةِ عُتوِّهم وعنادِهم ﴿أئذا متنا وكنا ترابًا وعظامًا﴾ أي كانَ بعضُ أجزائِنا من اللحمِ والجلدِ ترابًا وبعضُها عظامًا نخرةً وتقديمُ الترابِ لعراقتهِ في الاستبعادِ وانقلابه من الأجزاء البادية، وإذا متمحّضة للظرفية والعامل فيها ما دل عليه قوله تعالى ﴿أئنا لمبعوثون﴾ لا نفسه لأن مَا بعد أنَّ واللام والهمزةِ لا يعملُ فيما قبلَها وهو نُبعثُ وهو المرجعُ للإنكارِ، وتقييدُه بالوقتِ المذكورِ ليس لتخصيصِ إنكارِه به فإنَّهم منكرون للإحياءِ بعد الموتِ وإن كان البدنُ على حالِه بل لتقويةِ الإنكارِ للبعثِ بتوجيهه إليه في حالةٍ منافيةٍ له بالكليةِ، وتكريرُ الهمزةِ لتأكيدِ النكيرِ [وتحليةُ الجملةِ بـ (أنَّ) لتأكيدِ الإنكارِ][2] لا لإنكارِ التأكيدِ كما عسى يتوهمُ من ظاهرِ النظمِ فإن تقديمَ[3] الهمزةِ لاقتضائِها الصدارةَ كما في مثلِ قولِه تعالى: ﴿أفلا تعقلونَ﴾ [سورة البقرة، الآية ٤٤] على رأي الجمهورِ فإن المعنى عندهم تعقيبُ الإنكارِ لا إنكارُ التعقيبِ كما هو المشهورُ وليس مدارُ إنكارِهم كونَهم ثابتينَ في المبعوثية بالفعل في حال كونِهم ترابًا وعظامًا بل كونِهم بعرضيةِ ذلك واستعدادِهم ومرجعُه إلى إنكارِ البعثِ بعد تلك الحالةِ، وفيه من الدلالة على غلوهم في الكفر وتماديهم في الضلال ما لا مزيدَ عليه وتكريرُ الهمزةِ فِي قولِه تعالى: ﴿أو آباؤنا الأولون﴾ لتأكيد النكيرِ والواوُ للعطفِ

---

(١) قرأ بها: ابن أبي عبلة.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٢٠٩)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٥٥).

(٢) سقط في خ. (٣) في خ: اقتضاء.

على المستكنّ في (لمبعوثونَ)[١] وحسُن ذلك الفصلُ بالهمزة يعنون أنَّ بعثَ آبائهم الأولينَ أبعدُ من الوقوعِ وقرئ (أو آباؤنا)[٢] ﴿قُلْ﴾ ردًا لإنكارِهم وتحقيقًا للحقِّ ﴿إنَّ الأولينَ والآخرينَ﴾ من الأمم الذين منْ جُملتهم أنتُم وآباؤكم وفي تقديم الأولينَ مبالغةٌ في الردِّ حيث كان إنكارُهم لبعث آبائِهم أشدَّ من إنكارِهم لبعثهم مع مراعاةِ الترتيبِ الوجوديِّ ﴿لمجموعونَ﴾ بعد البعثِ وقُرئ (لمُجمَعون[٣])[٤] ﴿إلى ميقاتِ يوم معلوم﴾ إلى ما وُقتت به الدُّنيا من يوم معلومٍ والإضافةُ بمعنى منْ كخاتم فضةٍ ﴿ثم إنكم أَيُّها الضالون﴾ عطفٌ على إن الأَولين داخلٌ تحت القولِ وثم للتراخِي زمانًا أو رتبةً ﴿المكذبون﴾ أي بالبعث والخطابُ لأهلِ مكةَ وأضرابِهم ﴿لآكلونَ﴾ بعد البعثِ والجمعِ ودخولِ جهنم ﴿منْ شجرٍ منْ زقُّوم﴾ من الأُولى لابتداء الغايةِ والثانيةُ لبيان الشجرِ وتفسيرِه أي مبتدئون الأكلَ من شجرٍ هو زقومٌ وقيل: من الثانيةُ متعلقةٌ بمضمرٍ هو وصفٌ لشجرٍ أي كائنٍ من زقوم ﴿فمالئون منها البطونَ﴾ أي بطونكُم من شدةِ الجوع ﴿فشاربون عليه﴾ عَقيبَ ذلكَ بلا ريثٍ ﴿من الحميم﴾ أي الماءِ الحارِّ في الغايةِ وتأنيثُ ضميرِ الشجرِ أولًا وتذكيرُه ثانيًا باعتبارِ المعنى واللفظِ وقُرئ (من شجرةٍ)[٥] فضمير عليه حينئذٍ للزقومِ وقيل: للأكلِ وقولُه تعالى: ﴿فشاربون شربَ الهيم﴾ كالتفسيرِ لما قبله على طريقة قولِه تعالى: ﴿فكذبوا عبدَنا﴾ [سورة القمر، الآية ٩] أي لا يكونُ شربُكم شربًا معتادًا بل يكونُ مثلَ شربِ الهيم وهي الإبلُ التي بها الهيامُ وهو داءٌ يصيبها فتشربُ ولا تروىٰ جمعُ أهيمَ وهيماءَ وقيلَ: الهِيمُ الرمالُ على أنه جمعُ الهَيَام بفتحِ الهاءِ وهو الرملُ الذي لا يتماسكُ جُمعَ على فُعُلٍ كسحابٍ وسُحُبٍ ثم خفف وفُعل به ما فُعل بجمعِ أبيضَ والمعنى أنه يسلطُ عليهم من الجوعِ والتهابِ النارِ في أحشائِهم ما يَضطرّهم إلى أكلِ الزقومِ الذي هو كالمهلِ فإذا ملئوا منه بطونَهم وهو في غايةِ الحرارةِ والمرارةِ سلط عليهم من العطشِ ما يضطرهم إلى شربِ الحميمِ الذي يقطعُ أمعاءَهم فيشربونه شربَ الهيمِ وقرئ (شَربَ الهيمِ)[٦] بالفتحِ

---

(١) في خ: المبعوثين.

(٢) قرأ بها: ابن عامر، وقالون، وأبو جعفر.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٠٨)، والتيسير للداني ص (١٨٦)، والحجة لأبي زرعة ص (٦٩٦)، والغيث للصفاقسي ص (٣٦٤)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٣٥٧).

(٣) ينظر: مختصر شواذ القراءات (١٥٢). (٤) في خ: المجتمعون.

(٥) قرأ بها: عبد الله.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٢١٠)، والمعاني للفراء (٣/ ١٢٧).

(٦) قرأ بها: ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، والكسائي، والأعرج، وابن المسيب، وشعيب ابن =

وهو أيضًا مصدرٌ وقرئ بالكسرِ[(١)] على أنه اسمُ المشروبِ.

﴿هذا﴾ الذي ذُكرَ من أنواعِ العذابِ ﴿نزلهم يومَ الدينِ﴾ أي يومَ الجزاءِ فإذا كان ذلك نزلَهُم وهو ما يعد للنازلِ مما حضر فما ظنُّك بما لهم بعدما استقرَّ لهم القرارُ واطمأنتْ بهم الدارُ في النارِ وفيه من التهكم بهم ما لا يَخفَى وقرئ (نُزْلهم)[(٢)] بسكونِ الزاي تخفيفًا والجملةُ مسوقةٌ من جهته تعالى بطريقِ الفذلكةِ مقررةٌ لمضونِ الكلامِ الملقن غيرُ داخلةٍ تحتَ القولِ. وقوله تعالى: ﴿**نحن خلقناكم فلولا تصدقونَ**﴾ تلوينٌ للخطابِ وتوجيهٌ له إلى الكفرةِ بطريقِ الإلزامِ والتبكيتِ. والفاءُ لترتيبِ التحضيضِ على ما قبلَها أي فهلَّا تصدقونَ بالخلقِ فإن ما لا يحققه العملُ ولا يساعده بل ينبئ عن خلافه ليس من التصديق في شيءٍ وقيل: بالبعث استدلالا عليه بالإنشاء فإن من قدرَ عليه قدرَ على الإعادةِ حتمًا والأولُ هو الوجهُ كما ستحيطُ به خُبْرًا.

حجة الله على الكفار

﴿**أفرأيتُم ما تُمنونَ**﴾ أي تقذفونَ في الأرحامِ من النطفِ وقرئ بفتحِ التاءِ[(٣)] من مَنَى النطفةَ بمعنى أمنَاها ﴿**أأنتم تخلقونَهُ**﴾ أي تقدرونَهُ وتصورونَهُ بشرًا سويا ﴿**أم نحنُ الخالقونَ**﴾ له من غيرِ دخلِ شيءٍ فيه، وأم قيل: منقطعةٌ لأن ما بعدها جملةٌ فالمعنى بل أنحنُ الخالقونَ على أنَّ الاستفهامَ للتقريرِ وقيل: متصلة ومجيءُ الخالقونَ بعد نحن بطريقِ التأكيد لا بطريقِ الخبريةِ أصالةً ﴿**نحنُ قدَّرنا بينكُم الموتَ**﴾ أي قسمنَاهُ عليكم ووقتنا موتَ كلِّ أحدٍ بوقتٍ معينٍ حسبما تقتضيهِ مشيئتنا المبنيةُ على الحكم البالغةِ وقرئ (قدَرْنا)[(٤)] مخففًا ﴿**وما نحنُ بمسبوقينَ**﴾ أي إنا قادرونَ ﴿**على أن نبدلَ**

= الحبحاب، ومالك بن دينار، وابن جريج، وخلف، ويعقوب.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٠٨)، والإعراب للنحاس (٣/ ٣٣٥)، والبحر المحيط (٨/ ٢١٠)، والتيسير للداني ص (٢٠٧)، والسبعة لابن مجاهد ص (٦٢٣)، والغيث للصفاقسي ص (٣٦٢).

(١) قرأ بها: مجاهد، وأبو عثمان النهدي.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٢١٠)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٥٦).

(٢) قرأ بها: نافع، وأبو عمرو، وابن محيصن، وخارجة، ونعيم، ومحبوب، وأبو زيد.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٢١٠)، وتفسير القرطبي (٢٧/ ٢١٥)، والسبعة لابن مجاهد ص (٦٢٣).

(٣) قرأ بها: ابن عباس، وأبو السمال، والأشهب العقيلي، وابن السميفع.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٢١١)، وتفسير القرطبي (١٧/ ٢١٦)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٥٦).

(٤) قرأ بها: ابن كثير، وابن محيصن، ومجاهد، وحميد.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٠٨)، والتيسير للداني ص (٢٠٧)، والغيث للصفاقسي ص (٣٦٤)، والسبعة لابن مجاهد ص (٦٢٣)، والكشف للقيسي (٢/ ٣٠٥).

أمثالكم﴾ لا يغلبنا أحدٌ على أن نُذهبكم ونأتي مكانَكم بأشباهِكم من الخلقِ ﴿وننشئكم فيما لا تعلمونَ﴾ من الخلقِ والأطوارِ ولا تعهدون بمثلها قال الحسنُ رحمه الله أي نجعلكم قردةً وخنازير[١]، وقيل: المَعْنى وننشئكم في البعثِ على غيرِ صوركم في الدُّنيا فيمن هذا شأنُه كيف يعجزُ عن إعادتِكم وقيلَ: المعنى وما يسبقنا أحدٌ فيهرب من الموت أو يغير وقته وعلى أن نبدل إلخ إما حالٌ من فاعل قدرنا أو علةٌ للتقديرِ وعلى بمعنى اللام وما بينهما اعتراضٌ.

﴿ولقد علمتم النشأة الأولى﴾ هي[٢] خلقُهم من نطفةٍ ثم من علقةٍ ثم من مضغةٍ وقيل: هي فطرةُ آدمَ عليه السلامُ من الترابِ ﴿فلولا تذكرون﴾ فهلا تتذكرون أنَّ من قدرَ عليها قدر على النشأةِ الأُخرى حتمًا فإنه أقلُّ صنعًا لحصولِ الموادِّ وتخصيصِ الأجزاءِ وسبقِ المثالِ وفيه دليلٌ على صحةِ القياسِ وقرئ (فَلْولا [تذكُرُون][٣])[٤] من الثلاثيِّ[٥] وفي الخبرِ عجبًا كلَّ العجبِ للمكذبِ بالنشأةِ الآخرةِ وهو يرى النشأةَ الأولى وعجبًا للمصدق بالنشأة الآخرةِ وهو يسعى لدار الغرور.

﴿أفرأيتم ما تحرثون﴾ أي تبذرونَ حبَّه وتعملونَ في أرضِه ﴿أأنتم تزرعونه﴾ تنبتونَهُ وتردونه نباتًا يرفّ ﴿أم نحنُ الزارعون﴾ أي المنبتونَ لا أنتمُ والكلامُ في أم كما مر آنفًا ﴿لو نشاء لجعلناه حطامًا﴾ هشيمًا متكسرًا متفتتًا بعد ما أنبتناهُ وصارَ بحيثُ طمعتم في حيازة غلالِه ﴿فظلتُم﴾ بسبب ذلك ﴿تفكهون﴾ تتعجبونَ من سوءِ حالِه إثر ما شاهدتُموه على أحسن ما يكون من الحالِ أو تندمونَ على ما تعبتُم فيه وأنفقتُم عليه أو على ما اقترفتُم لأجله من المعاصِي فتتحدثون فيه والتفكّه التنقلُ بصنوفِ الفاكهةِ وقد استعير للتنقلِ بالحديثِ وقرئ تفكَّنُون[٦] أي تتندمونَ وقرئ فظِلتم[٧] بالكسرِ وفظَلِلْتُم[٨] على الأصل ﴿إنا لمغرمونَ﴾ أي لملزَمون غرامةَ ما

---

(١) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٤/ ٢٨٧) عن الحسن.

(٢) في خ: أي. (٣) في خ: تتذكرون.

(٤) قرأ بها: طلحة.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٢١١).

(٥) في خ: التلاقي.

(٦) قرأ بها: أبو حرام.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٢١٢)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٥٧).

(٧) قرأ بها: شعبة، وأبو حيوة، والثوري، وابن مسعود، والأعمش، وهارون.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٢١١)، وتفسير القرطبي (١٧/ ٢١٩).

(٨) قرأ بها: المطوعي، وعبد الله، والجحدري.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٠٨)، والبحر المحيط (٨/ ٢١٢).

أنفقنا أو مهلكونَ بهلاكِ رزقِنا من الغَرام وهو الهلاكُ وقرئَ أَئِنَّا[١] على الاستفهامِ والجملةُ على القراءتينِ مقدرة بقول هو في حيز النصبِ على الحاليةِ من فاعل تفكهونَ أي قائلين أو تقولون إنا لمغرمون ﴿بل نحن محرومون﴾ حُرمنا رزقَنا أو محارَفون محدودون لا حظَّ لنا ولا بختَ لا مجدودون.

﴿أفرأيتم الماءَ الذي تشربونَ﴾ عذبًا فراتًا، وتخصيصُ هذا الوصفِ بالذكرِ مع كثرة منافعهِ لأن الشربَ أهم المقاصدِ المنوطةِ به ﴿أأنتم أنزلتموه من المزن﴾ أي من السحابِ واحدُه مُزْنَةٌ وقيل: هو السحابُ الأبيضُ وماؤه أعذبُ ﴿أم نحن المنزلون﴾ له بقدرتنا ﴿لو نشاء جعلناه أجاجًا﴾ مِلْحًا زُعاقًا لا يمكن شربُه وحذفُ اللام هاهنا مع إثباتِها في الشرطيةِ الأولى[٢] للتعويلِ على علم السامعِ أو الفرقِ بين المطعوم والمشروبِ في الأهميةِ وصعوبةِ الفقدِ والشرطيتانِ مستأنفتان مسوقتانِ لبيانِ أن عصمتَهُ تعالى للزرعِ والماءِ عما يُخلُّ بالتمتعِ بهما نعمةٌ أخرى بعد نعمةِ الإنباتِ والإنزالِ مستوجبةٌ للشكرِ فقوله تعالى: ﴿فلولا تشكرون﴾ تحضيضٌ على شكرِ الكلِّ ﴿أفرأيتم النار التي تورون﴾ أي تقدحونها وتستخرجونَها من الزنادِ ﴿أأنتم أنشأتم شجرتها﴾ التي منها الزنادُ وهي المَرخُ والعَفارُ[٣] ﴿أم نحن المنشئون﴾ لها بقدرتنا والتعبيرُ عن خلقِها بالإنشاءِ المنبئِ عن بديعِ الصنعِ المعربِ عن كمالِ القدرةِ والحكمةِ لما فيه من الغرابةِ الفارقةِ بينها وبين [سائرِ الشجرِ][٤] التي لا تخلُو عن النارِ حتى قيل: في كل شجرٍ نارٌ واستَمجد المرخَ والعَفار كما أن التعبيرَ عن نفخ الروحِ بالإنشاءِ في قوله تعالى: ﴿ثم أنشأناه خلقًا آخر﴾ [سورة المؤمنون، الآية ١٤] وقوله تعالى: ﴿نحن جعلناها تذكرةً﴾ استئنافٌ مبينٌ لمنافعِها أي جعلناها تذكيرًا لنارِ جهنَم حيثُ علقنا بها أسبابَ المعاشِ لينظروا إليها ويذكروا ما أوعدوا به من نارِ جهنَم أو تذكرةً وأنموذجًا من نارِ جهنَم لما رُويَ عن النبيِّ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**ناركم هذه التي يوقِدها بنُو آدمَ جزءٌ من سبعين جُزءًا من حرِّ جهنَم**»[٥] وقيل: تبصرةً في أمرِ البعثِ فإنه ليسَ بأبدعَ

---

(١) قرأ بها: عاصم، والمفضل، وزر بن حبيش، وشعبة، والأعمش، والجحدري.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر، ص (٤٠٩)، والتيسير للداني، ص (٢٠٧).

(٢) زاد في خ: مع.

(٣) العفار والمرخ شجرتان فيهما نار ليس في غيرهما من الشجر ويُسوَّى من أغصانها الزِّناد فيقتدح بها وفي المثل اقدح بعفارٍ أو مرخ ثم اشْدُدْ إن شئتَ أو أرخِ.

(٤) في خ: الأشجار سائر الأشجار.

(٥) أخرجه البخاري (٦/ ٤٨١): كتاب بدء الخلق: باب صفة النار وأنها مخلوقة، حديث (٣٢٦٥)، ومسلم (٩/ ١٩٦-النووي) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها: باب في شدة حر نار جهنم، حديث (٣٠/ ٢٨٤٣) من طريق أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة فذكره.

من إخراجِ النار من الشيءِ الرطبِ ﴿ومتاعًا﴾ ومنفعةً ﴿للمقوين﴾ للذين ينزلونَ القَواءَ وهي القفر(١) وتخصيصُهم بذلك لأنهم أحوجُ إليها فإن المقيمينَ أو النازلينَ بقرب منهم ليسوا بمضطرين إلى الاقتداحِ بالزنادِ، وقد جُوز أن يرادَ بالمقوين الذين خلتْ(٢) بطونُهم ومزاودُهم من الطعامِ وهو بعيدٌ لعدم انحصارِ ما يهمهم [ويسدُّ خللَهم](٣) فيما لا يؤكلُ إلا بالطبخِ وتأخيرُ هذه المنفعةِ للتنبيهِ على أن الأهم هو النفعُ الأخروي.

والفاءُ في قوله تعالى ﴿فسبح باسم ربِّك العظيم﴾ لترتيبِ ما بعدَها على عددٍ(٤) من بدائعِ صنعهِ تعالَى وروائعِ نعمِه الموجبةِ لتسبيحِهِ تعالى إما تنزيهًا له تعالى عما يقوله الجاحدون(٥) بوحدانيته تعالى الكافرون بنعمتِه مع عظمِها وكثرتِها أو تعجبًا من أمرِهم في غمطِ(٦) تلك النعم الباهرةِ مع جلالةِ قدرِها وظهورِ أمرِها أو شكرًا على تلك النعم السابقة أي فأحدِثْ التسبيحَ بذكرِ اسمِه تعالى أو بذكرِه فإن إطلاقَ الاسم للشيءِ ذكرٌ له والعظيمُ صفةٌ للاسمِ أو الربِّ ﴿فلا أقسم﴾ أي: فأقسمُ ولا مزيدةٌ للتأكيد كما في قوله تعالى: ﴿لئلا يعلم﴾ [سورة الحديد، الآية ٢٩] أو فَلأنا أقسمُ فحذف المبتدأ وأُشبع فتحةَ لام الابتداء، ويعضده قراءةُ من قرأَ (فلأقسمُ)(٧) أو فلا ردَّ لكلام يخالفُ المقسمَ عليه، وأما ما قيلَ: من أنَّ المعنى فلا أقسمُ إذًا لأمرٍ أوضحَ من أنْ يحتاجَ إلى قسمٍ فيأباه تعيينُ المقسَم به وتفخيمُ شأنِ القسمِ به ﴿بمواقعِ النجومِ﴾ أي بمساقطِها وهي مغاربُها وتخصيصُها بالقسم لما في غروبها من زوالِ أثرِها والدلالةِ على وجودِ مؤثرٍ دائم لا يتغيرُ أو لأن ذلكَ وقتُ قيامِ المتهجدينَ والمبتهلينَ إليه تعالى وأوانُ نزولِ الرحمةِ والرضوانِ عليهم أو بمنازلها ومجاريها فإنَّ له تعالَى في ذلك من الدليلِ على عظمِ قُدرتِه وكمالِ حكمتِه ما لا يحيطُ به البيانُ وقيل: النجومُ نجومُ القرآنِ ومواقعُها أوقاتُ نزولِها وقوله تعالى: ﴿وإنه لقسمٌ لو تعلمونَ عظيمٌ﴾ اعتراضٌ في اعتراضٍ قُصدَ به المبالغةُ في تحقيقِ مضمونِ الجملةِ القسميةِ وتأكيده حيث اعترضَ بقوله وإنه لقسمٌ بين القسمِ وجوابِه الذي هُو قولُه تعالى: ﴿إنه لقرآنٌ كريمٌ﴾ أي كثيرُ النفعِ لاشتمالِه على أصولِ العلومِ المهمةِ في

---

(١) في خ: العشر.
(٢) زاد في خ: أو ديتهم.
(٣) في خ: ويشهرهم وسيدخلهم.
(٤) في خ: ما أعد.
(٥) في خ: الجاهلون.
(٦) في خ: غبط.
(٧) قرأ بها: الحسن، وعيسى بن عمر، وحميد.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٢١٣)، وتفسير القرطبي (١٧/ ١٢٣)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٥٨)، والمجمع للطبرسي (٩/ ٢٢٤)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٣٠٩).

صلاحِ المعاشِ والمعادِ أو حسنٌ مرضيٌّ أو كريمٌ عند الله تعالى، وقوله تعالى: ﴿لو تعلمونَ﴾ وُسّط بينَ الموصوفِ وصفتِه[١]، وجوابُ لو إما متروكٌ أريدَ به نفيُ علمِهم أو محذوفٌ ثقة بظهورِه أي لعظمتموه أو لعملتُم بموجبِهِ ﴿في كتابٍ مكنونٍ﴾ أي مصونٍ من غيرِ المقربين من الملائكةِ لا يطلعُ عليه مَنْ سواهم وهو اللوحُ ﴿لا يمسه إلا المطهرونَ﴾ إمَّا صفةٌ أخرى لكتاب فالمرادُ بالمطهرين الملائكةُ المنزهون عن الكدوراتِ الجُسمانيةِ وأوضارِ الأوزارِ أو للقرآنِ فالمرادُ بهم المطهرون من الأحداثِ فيكون نفيًا بمعنى النهي أي لا ينبغي أنْ يمسَّه إلا من كان على طهارةٍ من الناسِ على طريقةِ قولِه عليه الصلاةُ والسلامُ: «**المسلمُ أخُو المسلمِ لا يظلمُه ولا يُسلمه**»[٢] أي لا ينبغي له أن يظلَمه أو يُسلَمه إلى مَنْ يظلمُه وقيلَ: لا يطلبه إلا المطهرون من الكفرِ وقرئ المُتطهرونَ[٣] والمُطَّهِّرُونَ[٤] بالإدغام والمُطْهَرون[٥] من أطهرَهُ بمعنى طهَّره والمطَهِّرون[٦] أي أنفسهَم أو غيرَهم بالاستغفارِ أو غيرِه ﴿تنزيلٌ من ربِّ العالمينَ﴾ صفةٌ أخرى للقرآن وهو مصدرٌ نعت به حتى جرى مجرى اسمِه وقُرئ تنزيلًا[٧] ﴿أفبهذا الحديثِ﴾ الذي ذكرت نعوتُه الجليلةُ الموجبةُ لإعظامِه وإجلالِه وهو القرآنُ الكريمُ ﴿أنتم مُدهنونَ﴾ أي متهاونونَ به كمن يُدْهِنُ في الأمرِ أي يُلينُ جانبه ولا يتصلبُ فيه تهاونًا به ﴿وتجعلون رزقكم﴾ أي شكرَ رزقكم[٨] ﴿أنكم تكذبونَ﴾ أي تضعونَ التكذيبَ موضعَ الشكرِ وقرئ[٩] (وتجعلون [شُكركم أنَّكم تكذبونَ) أي

---

(١) في خ: الصفة.

(٢) أخرجه البخاري (٥/ ٣٨٥-٣٨٦): كتاب المظالم: باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه، حديث (٢٤٤٢)، وطرفه في (٦٩٥١)، ومسلم (٨/ ٣٧٧-النووي): كتاب البر والصلة والآداب، حديث (٥٨/ ٢٥٨٠)، وأبو داود (٤/ ٢٧٣): كتاب الأدب: باب المؤاخاة، حديث (٤٨٩٣)، والترمذي (٤/ ٣٤، ٣٥): كتاب الحدود: باب ما جاء في الستر على المسلم، حديث (١٤٢٦).
كلهم من طريق الزهري عن سالم بن عمر عن أبيه به.

(٣) ينظر: البحر المحيط (٨/ ٢١٥)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٥٩).

(٤) قرأ بها: سلمان الفارسي، والحسن، وعبد الله بن عوف.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٢١٤)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٥٩).

(٥) قرأ بها: نافع، وأبو عمرو، وعيسى.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٢١٤).

(٦) قرأ بها: سلمان الفارسي.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٢١٤).

(٧) ينظر: البحر المحيط (٨/ ٢١٥)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٥٩).

(٨) في خ: رزقه.

(٩) قرأ بها: علي، وابن عباس. =

تجعلون شكركم لنعمةِ القرآن أنكم تكذبونَ به وقيل: الرزقُ المطرُ والمعنى: وتجعلونَ][1] شكرَ ما يرزقكم الله تعالى من الغيثِ أنكم تكذبونَ بكونِه من الله تعالى حيثُ تنسبونه إلى الأنواءِ والأولُ هو الأوفقُ لسباق النظم الكريمِ وسياقهِ فإنَّ قولَه عزَّ وجلَّ: ﴿فلولا إذَا بلغتِ الحلقومَ﴾ إلخ تبكيتٌ مبنيٌّ على تكذيبِهم بالقرآنِ فيما نطقَ به قولُه تعالى نحنُ خلقناكُم إلى هُنا من القوارعِ الدالةِ على كونِهم تحتَ ملكوتِه تعالى من حيثُ ذواتُهم ومن حيث طعامُهم وشرابُهم[2] وسائرُ أسبابِ معايشِهم كما ستقفُ عليه، ولولا للتحضيضِ لإظهارِ عجزِهم وإذَا ظرفيةٌ أي فهلاَّ إذَا بلغتْ النفسُ أي الروحُ وقيل: نفسُ أحدِكم الحلقومِ وتداعتْ إلى الخروجِ.

﴿وأنتمُ حينئذٍ﴾ [أيها الحاضرونَ حولَ صاحبِها][3] ﴿تنظرونَ﴾ إلى ما هُو فيه من الغمراتِ[4] ﴿ونحن أقربُ إليه﴾ علمًا وقدرةً وتصرفًا ﴿منكُم﴾ حيثُ لا تعرفون من حالِه إلا ما تشاهدونَهُ من آثارِ الشدةِ من غيرِ أن تقفوا على كُنهِها وكيفيتِها وأسبابِها ولا أنْ تقدرُوا على دفع أدنى شيءٍ منها ونحنُ المتولونَ لتفاصيل أحوالِه بعلمنا وقدرتنا أو بملائكة الموتِ ﴿ولكن لا تبصرون﴾ لا تدركونَ ذلكَ لجهلِكم بشؤونِنا.

وقولُه تعالى: ﴿فلولا إنْ كنتُم غيرَ مدينين﴾ أي غيرَ مربوبينَ من دانَ السلطانُ رعيتَهُ إذا ساسَهم واستعبدَهم ناظرٌ إلى قولِه تعالى نحن خلقناكُم فلولا تصدقونَ فإن التحضيضَ يستدعي عدمَ المحضض عليه حتمًا وقوله تعالى: ﴿تَرْجعونها﴾ أي النفسُ إلى مقرِّها هو العاملُ في [إذَا والمحضض][5] عليه [بـ (لولا][6] الأُولى والثانيةُ مكررةٌ للتأكيد وهيَ مع ما في حيزها دليلُ جوابِ الشرطِ والمعنى إنْ كنتُم غير مربوبينَ كما ينبئ عنه عدمُ تصديقِكم بخلقنا إياكم فهلا ترجعونَ النفسَ إلى مقرِّها عند بلوغِها الحلقومَ ﴿إن كنتمُ صادقينَ﴾ في اعتقادكم فإن عدمَ تصديقِهم بخالقيتِه تعالى لهم عبارةٌ عن تصديقِهم بعدمِ خالقيتِه تعالى بموجبِ مذهبِهم.

وقوله تعالى: ﴿فأما إنْ كانَ من المقربينَ﴾ إلخ شروعٌ في بيان حالِ المُتوفَّى بعد المماتِ إثرَ بيانِ حالِه عند الوفاةِ أي فأما إن كانَ الذي بُيِّن حالُه من السابقينَ من

= ينظر: الإعراب للنحاس (٣/ ٣٤٢)، والبحر المحيط (٨/ ٢١٥)، وتفسير القرطبي (١٧/ ٢٢٨)، والمجمع للطبرسي (٩/ ٢٢٤)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٣١٠).

(١) سقط في خ.
(٢) في خ: ومن حيث شرابهم.
(٣) سقط في خ.
(٤) في خ: الثمرات.
(٥) في خ: إفادة والمخصص.
(٦) في خ: قبله.

الأزواج[١] الثلاثةِ عبر عنهم بأجلِّ أوصافِهم ﴿فروحٌ﴾ أي فله استراحةٌ وقرئ فرُوحٌ[٢] بضمِّ الراء وفسِّر بالرحمة لأنها سببٌ لحياة المرحومِ وبالحياة الدائمةِ ﴿وريحانٌ﴾ ورزقٌ ﴿وجنةُ نعيمٍ﴾ أي ذاتُ تنعمٍ ﴿وأما إنْ كانَ من أصحابِ اليمينِ﴾ عبر عنهم بالعنوانِ السابقِ إذ لم يذكر لهم فيما سبقَ وصفٌ واحدٌ ينبئ عن شأنِهم سواهُ كما ذكرَ للفريقينِ الآخرينِ.

وقوله تعالى: ﴿فسلامٌ لك من أصحابِ اليمين﴾ إخبارٌ من جهته تعالى بتسليمِ بعضهم على بعضٍ كما يُفصح عنه اللامُ لا حكايةُ إنشاءِ سلامِ بعضِهم على بعض وإلا لقيل عليك والالتفاتُ إلى خطاب كل واحدٍ منهم للتشريفِ ﴿وأما إنْ كانَ من المكذبينَ الضالينَ﴾ وهم أصحابُ الشمال عبر عنهم بذلكَ حسبما وصفوا به عند بيانِ أحوالِهم بقوله تعالى: ﴿ثم إنكم أيها الضالونَ المكذبون﴾ [سورة الواقعة، الآية ٥١] ذما لهم بذلك وإشعارًا بسببِ ما ابتُلوا به من العذابِ ﴿فنزلٌ﴾ أي فله نزلٌ كائنٌ ﴿من حميمٍ﴾ يُشرب بعد أكل الزقومِ كما فُصل فيما قبلُ.

﴿وتصليةُ جحيمٍ﴾ أي إدخالٌ في النارِ وقيل: إقامةٌ فيها ومقاساةٌ لألوان عذابها وقيل: ذلك ما يجده في القبر من سَمومِ النارِ ودخانِها ﴿إنَّ هَذا﴾ أي الذي ذُكرَ في السورةِ الكريمةِ ﴿لهو حقُّ اليقينِ﴾ أي: حقُّ الخبر اليقينِ.

وقيل: الحقُّ الثابتُ من اليقين والفاء في قوله تعالى: ﴿فسبح باسمِ ربِّك العظيمِ﴾ لترتيبِ التسبيحِ أو الأمر به على ما قبلها فإن حقيةَ ما فُصل في تضاعيفِ السورةِ الكريمةِ ممَّا يوجبُ تنزيهَه تعالى عمَّا لا يليقُ بشأنه الجليلِ من الأمورِ التي من جُملتِها الإشراكُ به والتكذيبُ بآياتِه الناطقةِ بالحقِّ.

---

(١) في خ: الأرواح.

(٢) قرأ بها: أبو عمرو، وابن عباس، ورويس، وروح، والحسن البصري، وعائشة، وقتادة، ونوح القارئ، والضحاك، والأشهب، وشعيب بن الحبحاب، وسليمان التيمي، والربيع بن خثيم، ومحمد بن علي، وأبو عمران الجوني، والكلبي، وفياض، وعبيد، وعبد الوارث، ويعقوب بن صيان، وزيد، ونصر بن عاصم، والجحدري، وشعيب بن الحارث، وابن مهران.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٠٩)، والإعراب للنحاس (٣/ ٣٤٥)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٣٧)، والبحر المحيط (٨/ ٢١٥)، والتبيان للطوسي (٩/ ٥٠٩)، وتفسير الطبري (٢٧/ ١٢١)، والمجمع للطبرسي (٩/ ٢٢٧).

عنِ النبيِّ ﷺ: «مَنْ قرأَ سُورةَ الواقعةِ في كلِّ[(١)] ليلةٍ لم تُصبْهُ فاقةٌ أبدًا»[(٢)] والله الموفق بمنه وكرمه للصواب.

---

(١) زاد في خ: يوم.

(٢) أخرجه الحارث بن أبي أسامة (١٧٨ - بغية الباحث) وابن السني (في عمل اليوم والليلة) رقم (٦٧٤) والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤٩٧٢) رقم (٢/ ٤٩٧) من طريق شجاع عن أبي فاطمة عن ابن مسعود به.

وإسناده ضعيف.

قال الذهبي في الميزان (١٠٢٩٢): أبو شجاع نكرة لا يعرف عن أبي طيبة، ومن أبي طيبة عن ابن مسعود.

وقال أيضًا (١٠٣٤١) أبو طيبة عن ابن مسعود وغيره وعنه أبو شجاع سعيد مجهول ا.هـ.

فالإسناد فيه مجهولان.

وأخرجه أيضًا أحمد في «الفضائل» (١٢٤٧) وابن عبد البر في «التمهيد» (٥/ ٢٦٩) والبغوي في «معالم التنزيل» (٤/ ٢٩٢) وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٣/ ١٨٦، ١٨٧) وأبو يعلى كما في المطالب العالية (٣٧٤٢).

والحديث أخرجه ابن الجوزي في العلل المتناهية (١٥١) ثم قال: قال أحمد بن حنبل: هذا حديث منكر وشجاع والسري لم أعرفهما. ا هـ.

وقال الذهبي في «تلخيص الواهيات» (٩٣) فيه شجاع لا يدري من هو.

والحديث ذكره الألباني في الضعيفة (٢٩٠) وقال: ضعيف.

سُورَةُ الحَدِيدِ

مَكِّيةٌ، [وَقيلَ مدنيةٌ وآيُها تسعٌ وعشرونَ][1]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١) لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ
وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢) هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٣) هُوَ
الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ
مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٤) لَهُ مُلْكُ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (٥) يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ
بِذَاتِ الصُّدُورِ (٦) آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ
وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ (٧) وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ
إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٨) هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ
وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ (٩) وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا
يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا
وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١٠) مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ
وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ (١١) يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ
تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢) يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ
آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ
الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ (١٣) يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ
وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ (١٤) فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ
فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٥)

﴿سبَّحَ لله مَا في السمواتِ والأرضِ﴾ التَّسبيحُ تنزيهُ الله تعالى اعتِقادًا وقولًا

---

(١) في خ: عشرون وثلاث آيات.

وعملًا عمَّا لا يليقُ بجنابه سُبحانَهُ منْ سبَحَ في الأرضِ والماء إذا ذهبَ وأبعدَ فيهمَا وحيثُ أُسندَ هَهُنا إلى غيرِ العُقلاءِ أيضًا فإنَّ ما في السمواتِ والأرضِ يعمُّ جميعَ ما فيهمَا سواءً كانَ مستقرًا فيهما أو جُزءًا منهما كما مرَّ في آيةِ الكرسيِّ. أُريدَ به مَعْنى عامٌّ مجازيٌّ شاملٌ لما نطقَ به لسانُ المقالِ كتسبيح الملائكة، والمؤمنين من الثقلين، ولسان الحال كتسبيح غيرهم فإنَّ كلَّ فردٍ من أفرادِ الموجوداتِ يدلُّ بإمكانِه وحدوثِه على الصانعِ القديم الواجبِ الوجودِ المُتَّصفِ بالكمالِ المُنزهِ عن النُّقصانِ وهُو المرادُ بقولِه تعالى: ﴿وإنْ منْ شيءٍ إلَّا يسبحُ بحمدِه﴾ [سورة الإسراء، الآية ٤٤] وهُو متعدٍّ بنفسِه كما في قولِه تعالَى: وسبِّحُوه. واللامُ إمَّا مَزيدةٌ للتأكيدِ كما في نصحتُ لَهُ [وشكرتُ لَهُ][1] أو للتعليلِ أي فَعَل التسبيحَ لأجلِ الله تعالَى وخَالِصًا لوجهِه، ومجيئُه في بعضِ الفواتح ماضيًا وفي البعضِ مضارعًا للإيذانِ بتحقّقِه في جميعِ الأوقاتِ، وفيهِ تنبيهٌ على أنَّ حقَّ مَنْ شأنُه التسبيحُ الاختياريُّ أنْ يُسبِّحَهُ تعالَى في جميعِ أوقاتِه كما عليهِ الملأُ الأعلى حيثُ يُسبحونَ الليلَ والنهارَ لا يفترُونَ ﴿وَهُو العزيزُ﴾ القادرُ الغالبُ الذي لاَ يُمانعُه ولا يُنازِعُه شيءٌ ﴿الحكيمُ﴾ الذي لا يفعلُ إلا ما تقتضيهِ الحكمةُ والمصلحةُ، والجملةُ اعتراضٌ تذييليٌّ مقررٌ لمضمون ما قبلَهُ مشعرٌ بعلة الحكمِ وكَذا قولُه تعالَى: ﴿له مُلكُ السمواتِ والأرضِ﴾ أي التصرفُ الكليُّ فيهما وفيمَا فيهما مِنَ الموجوداتِ من حيثُ الإيجادُ والإعدامُ وسائرُ التصرفاتِ مما نعلمُه وما لا نعلمُه. وقولُه تعالَى:

﴿يُحيي ويُميت﴾ استئنافٌ مبينٌ لبعضِ أحكام المُلكِ و[التصرفِ][2]، وجعلُه حالًا من ضميرِ لهُ ليسَ كَما ينبغِي ﴿وهُو عَلى كُلِّ شيءٍ﴾ مِنَ الأشياءِ التي مِنْ جُمْلتها ما ذكِرَ منَ الإحياءِ والإماتِه ﴿قديرٌ﴾ مُبالغٌ في القُدرةِ ﴿هُو الأولُ﴾ السابقُ على سائرِ الموجُوداتِ لِما أنَّه مُبدئها ومُبدعُها ﴿وَالآخِرُ﴾ الباقي بعدَ فنائِها حقيقةً أوْ نظرًا إلى ذاتها مع قطعِ النَّظرِ عن مُبقيها فإن جميعَ الموجوداتِ المُمكنةِ إذا قُطعَ النظرُ عن علتِها فهيَ فانيةٌ ﴿والظاهرُ﴾ وجُودًا لكثرة دلائلِه الواضحةِ ﴿والباطنُ﴾ حقيقةً فلا تحومُ حولَهُ العقولُ. والواوُ الأُولى والأخيرةُ للجمعِ بينَ الوصفينِ المُكتنفينِ بهمَا والوُسطى للجمعِ بين المجموعينَ فهو متصفٌ باستمرارِ الوجودِ في جميعِ الأوقاتِ والظهورِ والخفاءِ ﴿وهُو بكلِّ شيءٍ عليمٌ﴾ لاَ يعزُبُ عنْ علمِه شيءٌ منَ الظَّاهرِ وَالخفيِّ.

﴿هُو الذي خلقَ السمواتِ والارضَ في ستةِ أيامٍ ثم استوى على العرشِ﴾ بيانٌ

---

(١) سقط في خ

(٢) سقط في خ.

لبعضِ أحكامِ ملكِهما وقد مرَّ تفسيرُه مِرارًا ﴿يعلمُ ما يلجُ في الأرضِ وما يخرجُ منها وما ينزلُ من السماءِ وما يعرجُ فيها﴾ مرَّ بيانُه في سورةِ سبأ ﴿وهو معكُم أينما كُنتم﴾ تمثيلٌ لإحاطة علمِه تعالى بهم وتصويرٌ لعدمِ خروجِهم عنه أينما دارُوا. وقولُه تعالى: ﴿واللهُ بَما تعملونَ بصيرٌ﴾ عبارةٌ عن إحاطتِه بأعمالِهم فتأخيرُه عن الخلقِ لما أنَّ المرادَ به ما يدورُ عليه الجزاءُ من العلم التابعِ للمعلوم لا لما قيلَ من أنه دليلٌ عليه. وقولُه تعالى:

﴿لهُ ملكُ السمواتِ والأرضِ﴾ تكريرٌ للتأكيدِ وتمهيدٌ لقولِه تعالى: ﴿وإلى اللهِ تُرجعُ الأمورُ﴾ أي إليهِ وَحْدَهُ لا إلى غيرِه استقلالًا أو اشتراكًا ترجعُ جميعُ الأمورِ، على البناءِ للمفعولِ من رجَعَ رَجْعًا. وقرئَ على[١] البناءِ للفاعلِ منْ رجعَ رُجُوعًا. ﴿يولجُ الليلَ في النَّهارِ ويولجُ النَّهارَ في الليلِ﴾ مرَّ تفسيرُه مرارًا. وقولُه تعالى:

﴿وَهُو عَليمٌ﴾ أيْ مُبالِغٌ في العلمِ ﴿بذاتِ الصدورِ﴾ أي بمكنوناتِها اللازمةِ لها، بيانٌ لإحاطةِ علمِه تعالَى بمَا يُضمرونَهُ من نيَّاتِهم بعدَ بيانِ إحاطتِه بأعمالِهم التي يُظهرونَها.

﴿آمنُوا باللهِ ورسولِه وأنفقُوا ممَّا جعلكُم مستخلفينَ فيهِ﴾ أي جعلكم خلفاءَ في التصرفِ فيهِ من غيرِ أنْ تملكوه حقيقةً عبر عمَّا بأيديهم من الأموالِ والأرزاقِ بذلكَ تحقيقًا للحقِّ وترغيبًا لهم في الإنفاقِ، [فإنَّ من علم أنَّها لله عزَّ وجلَّ وإنَّما هُو بمنزلةِ الوكيلِ يَصرفها إلى ما عيّنه الله تعالى من المصارفِ هانَ عليه الإنفاقُ][٢] أو جعلكم خلفاءَ ممَّن[٣] قبلكَم فيما كَانَ بأيديهم بتوريثِه إيَّاكُم فاعتبرُوا بحالِهم حيثُ انتقلَ منهم إليكُم وسينتقلُ منكُم إلى مَنْ بعدكُم فلا تبخلُوا به ﴿فالذينَ آمنُوا منكُم وأنفقُوا﴾ حسبَمَا أُمروا به ﴿لَهُم﴾ بسببِ ذلكَ ﴿أجرٌ كبيرٌ﴾ وفيه من المُبالغاتِ ما لا يَخفَى حيثُ جعلَ الجملةَ اسميةً، وأُعيدَ ذكرُ الإيمانِ والإنفاقِ وكُررَ الإسنادُ وفُخم الأجرُ بالتنكير ووصفَ بالكبيرِ[٤].

وقولُه عزَّ وجلَّ: ﴿وما لكُم لا تؤمنونَ باللهِ﴾ استئنافٌ مسوقٌ لتوبيخِهم على ترك

---

(١) قرأ بها: ابن عامر، وحمزة، والكسائي، وخلف، ويعقوب، والحسن، والأعرج، وأبو حيوة، وحميد، وابن محيصن، والأعمش.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٠٩)، والبحر المحيط (٨/ ٢١٧)، وتفسير القرطبي (١٧/ ٢٣٧)، والغيث للصفاقسي ص (٣٦٤)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٢٠٨، ٢٠٩).

(٢) سقط في خ.

(٣) في خ: ممن كان.

(٤) في خ: بالكثير.

الإيمانِ حسبَما أمروا به بإنكارِ أنْ يكونَ لَهمُ في ذلك عذرٌ ما في الجملةِ على أنَّ لا تؤمنونَ حالٌ من الضميرِ في لكُم والعاملُ ما[١] فيه من مَعْنى الاستقرارِ أيْ أيُّ شيءٍ حصلَ لكُم غيرَ مؤمنينَ، على توجيه الإنكارِ والنفي إلى السببِ فقطْ مع تحقق المسببِ لا إلى السببِ والمسببِ جميعًا كَما في قولِه تعالى: ﴿وما لي لا أعبدُ الذي فطرني﴾ [سورة يس، الآية ٢٢] فإنَّ همزةَ الاستفهامِ كَما تكونُ تارةً لإنكارِ الواقعِ كَما في أتضربُ أباكَ وأخرى لإنكار الوقوعِ كما في أأضربُ أبي كذلكَ ما الاستفهاميةُ قد تكونُ لإنكارِ سببِ الواقعِ ونفيِهِ فقطْ كما فيما نحنُ فيهِ.

وفي قولِه تعالى: ﴿ما لكُم لا ترجُونَ لله وقارًا﴾ [سورة نوح، الآية ١٣] فيكونُ مضمونُ الجملةِ الحاليةِ [محُققًا فإنَّ كلا من عدمِ الإيمانِ وعدمِ الرجاءِ أمرٌ محققٌ قد أنكرَ ونفيَ سببُه وقد تكونُ لإنكارِ سببِ الوقوعِ ونفيِهِ فيسريانِ إلى المسببِ أيضًا كَما في قولِه تعالى: ﴿وما لي لا أعبدُ﴾ [سورة يس، الآية ٢٢] إلى آخرِهِ فيكونُ مضمونُ الجملةِ الحاليةِ][٢] مفروضًا قطعًا فإنَّ عدمَ[٣] العبادةِ أمرٌ مفروضٌ حتمًا قد أنكرَ ونُفيَ سببُه فانتفَى نفسُه[٤] أيضًا. وقوله تعالى: ﴿والرسولُ يدعُوكم لتُؤمنوا بربِّكم﴾ حالٌ من ضميرِ لا تُؤمنون مفيدةٌ لتوبيخِهم على الكُفرِ معَ تحققِ ما يُوجبُ عدمَهُ بعدَ توبيخِهم عليهِ مع عدمِ ما يُوجبه، أيْ وأيُّ عذرٍ في تركِ الإيمانِ والرسولُ يدعُوكم إليهِ وينبهكم عليهِ. وقولُه تعالى: ﴿وقد أخذَ ميثاقَكُم﴾ حالٌ من مفعولِ يدعُوكم أيْ وقد أخذَ الله تعالَى ميثاقَكُم بالإيمانِ من قبلُ وذلك بنصب الأدلةِ والتمكينِ من النظرِ. وقُرئ[٥] وقَدْ أُخذَ مبنيا للمفعولِ برفعِ ميثاقكُم ﴿إنْ كنتُم مؤمنينَ﴾ لموجبٍ ما فإنَّ هذَا موجبٌ لا موجبَ وراءَهُ. ﴿هُو الذي ينزلُ على عبدِه﴾ حسبَما يعنُّ لكُم منَ المصالحِ ﴿آياتٍ بيناتٍ﴾ واضحاتٍ ﴿ليُخرجَكم﴾ أي الله تعالَى أو [العبدُ بها][٦] ﴿من الظلماتِ إلى النورِ﴾ من ظلمات الكفرِ إلى نور الإيمانِ ﴿وإنَّ الله بكُم لرءوفٌ رحيمٌ﴾ حيثُ يهديكُم إلى سعادةِ الدارينِ بإرسالِ الرسولِ وتنزيلِ الآياتِ بعد نصبِ الحُججِ العقليةِ.

(١) زاد في خ: والقاعدة.
(٢) سقط في خ.
(٣) في خ: أمر.
(٤) في خ: سببه.
(٥) قرأ بها: أبو عمرو، واليزيدي، والحسن.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٠٩)، والإعراب للنحاس (٣/ ٣٥١)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٣٧)، والبحر المحيط (٨/ ٢١٨)، والتيسير للداني ص (٢٠٨)، والسبعة لابن مجاهد ص (٦٢٥)، والغيث للصفاقسي ص (٣٦٤).
(٦) في خ: والقيد بهما.

دعوة إلى الإنفاق

وقولُه تعالَى: ﴿وما لكُم أَلَّا تنفقُوا في سبيلِ الله﴾ توبيخٌ لهم على تركِ الإنفاقِ المأمورِ به بعدَ توبيخِهم على ترك الإيمانِ بإنكار أنْ يكونَ لهم في ذلكَ أيضًا عذرٌ من الأعذارِ. وحذف المفعول لظهورِ أنَّه الذي بُيِّنَ حالُه فيما سبقَ وتعيينُ المُنفَقِ فيهِ لتشديدِ التوبيخِ، أيْ وأيُّ شيءٍ لكُم في ألا تنفقُوا فيمَا هُو قربةٌ إلى الله تعالَى ما هُو له في الحقيقةِ وإنَّما أنتُم خلفاؤُه في صرفِه إلى ما عيَّنهُ من المصارفِ. وقولُه: ﴿ولله ميراثُ السمواتِ والأرضِ﴾ حالٌ من فاعلِ لا تنفقُوا ومفعولِه مؤكدةٌ للتوبيخِ فإنَّ تركَ الإنفاقِ بغير سببٍ قبيحٌ منكرٌ ومع تحقق ما يوجبُ الإنفاقَ[١] أشدُّ في القبحِ وأدخلُ في الإنكارِ، فإنَّ بيانَ بقاءِ جميع ما في السمواتِ والأرضِ من الأموالِ بالآخرةِ لله عزَّ وجلَّ من غيرِ أنْ (يبقَى)[٢] من أصحابِها أحدٌ أقوى في إيجابِ الإنفاقِ عليهم من بيان أنَّها لله تعالى في الحقيقةِ وهم خُلفاؤه في التصرف فيها كأَنَّه قيلَ وما لكُم في ترك إنفاقِها في سبيلِ الله والحالُ أنَّه لا يبقَى لكُم منها شيءٌ بل تَبْقى كلُّها لله تعالَى، وإظهارُ الاسمِ الجليلِ في موقع الإضمارِ لزيادة التقريرِ وتربية المهابةِ.

وقولُه تعالى: ﴿لا يستوي منكُم من أنفقَ من قبلِ الفتحِ وقاتلَ﴾ بيانٌ لتفاوت درجاتِ المنفقينِ [حسبَ تفاوتِ أحوالِهم في الإنفاقِ بعدَ بيانِ أنَّ لهم أجرًا كبيرًا على الإطلاقِ حثا لهم على تحرِّي الأفضلِ، وعطفُ القتالِ على][٣] الإنفاقِ[٤] للإيذانِ بأنَّه من أهمِّ موادِّ الإنفاقِ مع كونِه في نفسِه من أفضلِ العباداتِ وأنه لا يخلُو من الإنفاقِ أصلًا. وقسيمُ مَنْ أنفقَ محذوفٌ لظهورِه ودلالةِ ما بعدَهُ عليهِ وقُرئ قبلَ[٥] الفتحِ بغير مِنْ والفتحُ فتحُ مكَة ﴿أولئكَ﴾ إشارةٌ إلى مَنْ أنفقَ والجمعُ بالنظرِ إلى مَعْنى منْ كما أنَّ أفرادَ الضميرينِ السابقينِ بالنظرِ إلى لفظِها، وما فيهِ من مَعْنى البُعد مع قُربِ العهدِ بالمشارِ إليهِ للإشعارِ ببُعدِ منزلتِهم وعلوِّ طبقاتِهم في الفضلِ، ومحلُّه الرفعُ على الابتداءِ أي أولئكَ المنعوتونَ بذينكَ النعتينِ الجميلينِ ﴿أعظمُ درجةً﴾ وأرفعُ منزلةً ﴿من الذينَ أنفقُوا من بعدُ وقاتلوا﴾ لأنَّهم إنما فعلُوا ما فعلُوا من الإنفاق والقتالِ قبل عزةِ الإسلامِ وقوةِ أهلِه عند كمالِ الحاجةِ إلى النصرة بالنفسِ والمالِ وهم السابقونَ

---

(١) في خ: الإنكار.
(٢) في خ: يقوى.
(٣) سقط في خ.
(٤) في خ: المنافقين.
(٥) قرأ بها: زيد بن علي.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٢١٩)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٦٣).

الأولونَ من المهاجرينَ والأنصارِ الذينَ قالَ فيهم النبيُّ ﷺ: «**لو أنفقَ أحدُكم مثلَ أحدٍ ذهبًا ما بلغَ مُدَّ أحدِهم ولا نصيفَهُ**»[١] وهؤلاءِ فعلُوا ما فعلُوا بعد ظهورِ الدينِ ودخولِ الناسِ فيه أفواجًا وقلةِ الحاجةِ إلى الإنفاقِ[٢] والقتالِ ﴿**وكلًّا**﴾ أي وكلَّ واحدٍ من الفريقينِ ﴿**وعدَ الله الحُسنى**﴾ أي المثوبةَ الحُسنى وهي الجنةُ لا الأولينَ فقطْ. وقرئَ وكلٌّ[٣] بالرفعِ على الابتداءِ أي وكلٌّ وعدَهُ الله تعالَى ﴿**والله بمَا تعملونَ خبيرٌ**﴾ بظواهرِه وبواطنِه فيجازيكُم بحسبِه وقيلَ نزلتْ الآيةُ في أبي بكرٍ الصديق رضيَ الله تعالَى عنه فإنَّه أولُ مَنْ آمنَ وأولُ من أنفقَ في سبيلِ الله وخاصمَ الكفَّارَ حتى ضُربَ ضربًا أشرفَ به على الهلاكِ[٤].

وقولُه تعالَى: ﴿**مَنْ ذَا الذي يُقرضُ الله قرضًا حسنًا**﴾ ندبٌ بليغٌ من الله تعالى إلى الإنفاقِ في سبيلِه بعد الأمرِ به والتوبيخِ على تركِه وبيانِ درجاتِ المنفقينَ أي مَنْ ذَا الذي ينفقَ مالَه في سبيلِه[٥] تعالَى رجاءَ أنْ يعوضَهُ فإنَّه كمنْ يُقرضُه وحُسنُ الإنفاقِ

---

(١) أخرجه البخاري (٢٥١٧) في فضائل الصحابة، باب: قول النبي ﷺ «لو كنت متخذا خليلًا» (٣٦٠٣)، ومسلم (٤/ ١٩٦٧) في فضائل الصحابة: باب تحريم سب الصحابة (٢٢٢/ ٢٥٤١)، وأبو داود (٢/ ٦٢٩) في السنة: باب في النهي عن سب أصحاب رسول الله ﷺ (٤٦٥٨)، والترمذي (٥/ ٦٥٣) في المناقب (٣٨٦١)، وأحمد (٣/ ١١، ٥٤، ٦٣)، وابن أبي عاصم في السنة (٢/ ٤٧٨-٤٧٩) (٩٩٠-٩٩١)، والبيهقي (١٠/ ٢٠٩)، والخطيب في التاريخ (٧/ ١٤٤) من الأعمش عن أبي صالح، عن أبي سعيد مرفوعًا: لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أدهم ولا نصيفه».

وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

وأما حديث أبي هريرة، فرواه مسلم (٢٢١-٢٥٤٠)، وابن ماجه (١/ ٥٧) في المقدمة: باب فضل أهل بدر (١٦١) عن الأعمش عن أبي صالح عنه مرفوعًا به.

وأما حديث أنس فرواه أحمد (٣/ ٢٦٦).

ولأنس حديث آخر في هذا الباب، رواه ابن ماجه (٣٩٨٧)، والخطيب في التاريخ (١٢/ ٢٥٧).

وحسن إسناده البوصيري في الزوائد (٣/ ٢٣٧).

وفي الباب كذلك عن ابن عباس رواه الطبراني في الكبير (١١/ ٧٠) (١١٠٧٤) عن ليث عن مجاهد عنه.

وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ٢٨١): رواه الطبراني في الأوسط والكبير، وفيه ليث بن أبي سليم وهو ثقة.

(٢) في خ: الناس.

(٣) قرأ بها: ابن عامر، وعبد الوارث.

ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٠٩)، والإعراب للنحاس (٣/ ٣٥٣)، والتيسير للداني ص (٢٠٨)، والسبعة لابن مجاهد ص (٦٢٥)، والغيث للصفاقسي (٣٦٤، ٣٦٥)، والكشف للقيسي (٢/ ٣٠٧)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٣٨٤).

(٤) ينظر: تفسير البيضاوي (٥/ ٢٩٨). (٥) في خ: سبيل الله.

بالإخلاصِ فيه وتحرِّي أكرم المالِ وأفضلِ الجهاتِ ﴿فيضاعفَه له﴾ بالنصب على جوابِ الاستفهام باعتبارِ المَعْنى كأنَّه قيلَ أيقرضُ[١] الله أحدٌ فيضاعفَهُ له أي فيعطيهِ أجرَهُ أضعافًا ﴿وله أجرٌ كريمٌ﴾ أي وذلكَ الأجرُ المضمومُ إليهِ الأضعافُ كريمٌ في نفسِه حقيقٌ بأنْ يتنافسَ فيه المتنافسونَ وإنْ لم يُضاعفْ فكيفَ وقد ضُوعفَ أضعافًا كثيرة. وقرئ بالرفع[٢] عطفًا على يقرضُ أو حملًا على تقديرِ مبتدإٍ أيْ فهُو يضاعفُه، وقرئَ يُضعفَهُ بالرفعِ[٣] والنصبِ[٤]. ﴿يومَ تَرَى المؤمنينَ والمؤمناتِ﴾ ظرفٌ لقولِه تعالَى وله أجرٌ كريمٌ أو لقوله تعالى فيضاعفَهُ أو منصوبٌ بإضمارِ اذكُرْ تفخيمًا لذلك اليوم. وقولُه تعالى: ﴿يسعَى نورُهم﴾ حالٌ من مفعولِ تَرَى قيلَ نورَهم الضياءُ الذي يُرَى ﴿بينَ أيديِهم وبأيمانِهم﴾ وقيلَ: هو هُداهُم وبأيمانِهم كتبَهم أي يسعَى إيمانُهم وعملهم الصالُح بينَ أيديِهم وفي أيمانِهم كتبُ أعمالِهم، وقيلَ هو القرآنُ وعنِ ابنِ مسعودٍ رضيَ الله تعالَى عنْهُ: (يُؤتَون نورَهُم على قدرِ أعمالهم فمنهُم مَنْ يُؤتى نوره كالنخلة ومنهم مَن يُؤتَى كالرجل القائمِ وأدناهُم نورًا مَنْ نورُه على إبهامِ رجلهِ ينطفىءُ تارةً ويلمعُ أُخرَى)[٥].

قالَ الحسنُ: يستضيئونَ به على الصراطِ[٦]. وقال مقاتلٌ: يكونُ لهم دليلًا إلى الجنَّةِ ﴿بُشراكُم اليومَ جنَّاتٌ﴾ مقدرٌ بقولٍ هو حالٌ أو استئنافٌ أيْ يقالُ لهم بُشراكُم

---

(١) في خ: يقرض.

(٢) قرأ بها: نافع، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وخلف.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤١٠)، والإعراب للنحاس (٣/ ٣٥٤)، والتيسير للداني ص (٨١)، والسبعة لابن مجاهد ص (٦٢٥)، والغيث للصفاقسي (٣٦٤، ٣٦٥)، والكشف للقيسي (٢/ ٣٠٨).

(٣) قرأ بها: ابن كثير، وأبو جعفر.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤١٠)، والتبيان للطوسي (٩/ ٥٢٢)، والسبعة لابن مجاهد ص (٦٢٥)، والغيث للصفاقسي (٣٦٤، ٣٦٥)، والكشف للقيسي (١/ ٣٠٠)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٢٨٨).

(٤) قرأ بها: ابن عامر، ويعقوب.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤١٠)، والتبيان للطوسي (٩/ ٥٢٢)، والتيسير للداني ص (٨١)، والسبعة لابن مجاهد ص (٦٢٥)، والغيث للصفاقسي (٣٦٤، ٣٦٥)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٢٨٨).

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ١٠٧) رقم (٣٤٥٥٨) والطبري في «تفسيره» (٢٧/ ٢٣٣) والحاكم (٢/ ٥٢٠) عن ابن مسعود موقوفًا.
وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(٦) ذكره القرطبي في «الجامع لأحكام القرآن» (١٧/ ١٥٨).

أي ما تبشرونَ بهِ جنَّاتٌ أو بُشراكم دخولُ جنَّاتٍ ﴿تجري منْ تحتِها الأنهارُ خالدينَ فيَها ذلكَ﴾ أي ما ذُكرَ من النُّورِ والبُشرى بالجناتِ المخلدةِ ﴿هُو الفوزُ العظيمُ﴾ الذي لا غايةَ وراءَهُ وقرئَ ذلكَ الفوز[1] العظيمُ.

بين المؤمنين والكافرين

﴿يومَ يقولُ المنافقونَ والمنافقاتُ﴾ بدلٌ مِن يومَ تَرَى ﴿للذينَ آمنُوا انظرونا﴾ أي انتظرونَا يقولونَ ذلكَ لما أنَّ المؤمنينَ يُسرَع بِهم إلى الجنَّةِ كالبرقِ الخاطفِ على ركابٍ تزفُّ بهم وهؤلاءِ مشاةٌ أو انظروا إلينَا فإنَّهم إذا نظرُوا إليهم استقبلُوهم بوجوهِهم فيستضيئونَ بالنُّورِ الذي بينَ أيديهم. وقرئَ أَنظرُونا[2] من النَّظِرةِ وهي الإمهالُ [جعلَ اتئادَهم][3] في المُضيِّ[4] إلى أنْ يلحقُوا بهم [إنظارًا لهم ﴿نقتبسْ من نورِكم﴾ أي نستضيءُ منه وأصلُه اتخاذُ القبسِ. ﴿قيلَ﴾ طَردًا لهم وتهكمًا بهِم][5] من جهة المؤمنينَ أو من جهة الملائكةِ ﴿ارجعُوا وراءكم﴾ أي إلى الموقف ﴿فالتمسُوا نورًا﴾ فإنَّه من ثَمَّ يُقتبسُ أو إلى الدُّنيا فالتمسُوا النورَ بتحصيل مباديه من الإيمان والأعمالِ الصالحةِ أو ارجعوا خائبينَ خاسئينَ فالتمسُوا نورًا آخرَ وقد علمُوا ألا نورَ وراءَهُم وإنما قالُوه تخييبًا لهم أَوْ أرادُوا بالنورِ ما وراءَهُم من الظُّلمةِ الكثيفةِ تهكمًا بهم ﴿فضُربَ بينَهم﴾ بينَ الفريقينِ ﴿بسورٍ﴾ أي حائطٍ، والباءُ زائدةٌ ﴿له بابٌ باطنُه﴾ أي باطنُ السُّورِ أو البابِ وهو الجانبُ الذي يلي[6] الجنَّةَ ﴿فيه الرحمةُ وظاهرُه﴾ وهو الطرفُ الذي يَلي النَّارَ ﴿مِنْ قبلِه﴾ من جهتِه ﴿العذابُ﴾ وقرئَ فضَرَبَ[7] على البناءِ للفاعلِ ﴿ينادونَهم﴾ استئنافٌ مبنيٌّ على السؤالِ كأنَّه قيلَ فماذَا يفعلونَ بعد ضربِ السُّورِ ومشاهدةِ العذابِ فقيلَ يُنادونَهم ﴿ألم نكُنْ﴾ في الدُّنيا ﴿معكُم﴾ يريدونَ به موافقتَهم لهُم في الظَّاهرِ ﴿قالُوا بَلَى﴾ كنتُم معنَا بحسبِ الظاهرِ ﴿ولكنَّكُم فتنتُم

---

(١) قرأ بها: عبد الله.
ينظر: الإعراب للنحاس (٣/ ٣٥٦)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٦٣)، والمعاني للفراء (٣/ ١٣٣)، وتفسير الرازي (٢٩/ ٢٢٣).
(٢) قرأ بها: حمزة، والمطوعي، وزيد بن علي، وابن وثاب، والأعمش، وطلحة.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤١٠)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٣٧)، والسبعة لابن مجاهد ص (٦٢٥)، والغيث للصفاقسي ص (٣٦٥)، والكشف للقيسي (٢/ ٣٠٩)، والمجمع للطبرسي (٩/ ٢٣٣).
(٣) في خ: الجعل إنارهم.
(٤) في خ: المعنى.
(٥) سقط في خ.
(٦) في خ: على.
(٧) قرأ بها: زيد بن علي، وعبيد بن عمير.
ينظر: الكشاف للزمخشري (٤/ ٦٣).

﴿أنفسَكُم﴾ محتنمُوها بالنفاقِ وأهلكتمُوها ﴿وتربَّصتُم﴾ بالمؤمنينَ الدوائرَ ﴿وارتبتُم﴾ في أمرِ الدِّينِ ﴿وغرَّتكُم الأمانيُّ﴾ الفارغةُ التي من جُمْلتها الطمعُ في انتكاس أمرِ الإسلام ﴿حتَّى جاءَ أمرُ الله﴾ أي الموتُ ﴿وغرَّكُم بالله﴾ الكريم ﴿الغَرورُ﴾ أي غرَّكُم الشيطانُ بأنَّ الله عفوٌّ كريمٌ لا يُعذبكم، وقرئَ الغُرورُ[1] بالضمِّ ﴿فاليومَ لا يؤخذُ منكُم فديةٌ﴾ فداءٌ وقُرِئ تُؤخذُ[2] بالتاءِ ﴿ولا منَ الذينَ كفرُوا﴾ أي ظاهرًا وباطنًا ﴿مأْواكُم النَّارُ﴾ لا تبرحُونَها أبدًا ﴿هيَ مَولاكُم﴾ أي أَوْلَى بكُم وحقيقتُه مكانُكم الذي يُقالُ فيهِ هو أَوْلى بكُم كما يقالُ هو مِئنةُ[3] الكرم أي مكانٌ لقولِ القائلِ إنَّه لكريمٌ أو مكانُكم عن قريبٍ من الولِي وهو القُربُ أو ناصركُم على طريقةِ قولِه: [الوافر]

.... تـحـيَّـةُ بـيـنِـهـم ضَـربٌ وَجِـيْـعُ[4]

أو متوليكُم تتولاَّكم كَما توليتُم موجباتِها ﴿وبئسَ المصيرُ﴾ أي النَّارُ.

۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٩﴾ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ

---

(١) قرأ بها: سماك بن حرب، وأبو حيوة، ومحمد بن السميفع.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٢٢٢)، وتفسير القرطبي (١٧/ ٢٤٧)، والمجمع للطبرسي (٩/ ٢٣٣)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٣١١)، وتفسير الرازي (٢٩/ ٢٢٧).

(٢) قرأ بها: ابن عامر، وأبو عمر، ويعقوب، والحسن، وابن أبي إسحاق، والأعرج، وهارون، وأبو جعفر، وسهل، وأبو حاتم.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤١٠)، والإعراب للنحاس (٣/ ٣٥٩)، والبحر المحيط (٨/ ٢٢٢)، والتبيان للطوسي (٩/ ٥٢٢)، والتيسير للداني ص (٢٠٨)، والسبعة لابن مجاهد ص (٦٢٦)، والغيث للصفاقسي ص (٣٦٥).

(٣) في خ: منَّة. (٤) تقدم.

إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ ۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ۖ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ ۖ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾

تقويم المؤمنين

﴿ألم يأنِ للذينَ آمنُوا أنْ تخشعَ قلوبُهم لذكرِ اللهِ﴾ استئنافٌ ناعٍ عليهم تثاقلَهُم في أمورِ الدِّينِ ورخاوةِ عقدِهم فيها واستبطاءٌ لانتدابِهم لما نُدبوا إليهِ بالترغيبِ والترهيبِ. ورُويَ أنَّ المؤمنينَ كانُوا مُجدبين بمكةَ فلمَّا هاجرُوا أصابُوا الرزقَ والنعمةَ وفترُوا عمَّا كانُوا عليهِ فنزلتْ[1]. وعن ابنِ مسعودٍ رضيَ الله عنهُ: ما كانَ بينَ إسلامِنا وبينَ أنْ عُوتبنا بهذهِ الآيةِ إلا أربعُ سنينَ[2]. وعنِ ابنِ عبّاسٍ رضيَ الله تعالَى عنهُمَا أنَّ الله استبطأَ قلوبَ المؤمنينَ فعاتَبهُم على رأسِ ثلاثَ عشرةَ سنةً من نزولِ القُرآنِ[3] أيْ ألم يجئ وقتُ أنْ تخشعَ قلوبُهم لذكرِه تعالَى وتطمئنَ به ويسارعُوا إلى طاعتِه بالامتثال بأوامره والانتهاءِ عمَّا نُهوا عنهُ منْ غير توانٍ ولا فتورٍ منْ أنى الأمرُ

(١) ينظر الكشاف (٤/ ٤٧٥) تفسير البيضاوي (٥/ ٣٠٠)، «تفسير النسفي» (٤/ ٢١٧).

(٢) أخرجه مسلم (٩/ ٣٨٤-النووي) كتاب التفسير: باب في قوله تعالى: ﴿ألم يأن للذين ءامنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله﴾ حديث (٢٤/ ٣٠٢٧)، والنسائي في التفسير (٢/ ٣٨٨) رقم (٥٨٨) كلاهما من طريق سعيد بن أبي هلال عن عون بن عبد الله بن عتبة عن أبيه أن ابن مسعود قال: «ما كان بين إسلامنا... الحديث» موقوفًا على ابن مسعود قال الزيلعي في تخريج الكشاف (٣/ ٤١٨) ووهم الحاكم فرواه في المستدرك وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ا هـ.

(٣) ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٢٥٤) وعزاه لابن أبي حاتم وابن مردويه.

إذَا جاءَ أناهُ أي وقته. وقرئ ألم يئِنْ[١] من آنَ يئينُ بمعنى أنى، وقرئ ألما يأنِ[٢]، وفيهِ دلالةٌ على أنَّ المنفي متوقع. ﴿وما نزلَ من الحقِّ﴾ أي القرآنِ وهو عطفٌ على ذكرِ الله فإنْ كانَ هُو المرادَ به أيضًا فالعطفُ لتغايرِ العُنوانينِ فإنَّه ذكرٌ وموعظةٌ كما أنَّه حقٌّ نازلٌ منَ السماءِ، وإلا[٣] فالعطفُ كما في قولِه تعالى: ﴿إنَّما المؤمنونَ الذينَ إذَا ذُكِرَ الله وجلتْ قلوبُهم وإذَا تليتْ عليهم آياتُه زادتْهُم إيمانًا﴾ [سورة الأنفال، الآية ٢] ومَعْنى الخشوعِ له الانقيادُ التامُّ لأوامره ونواهيِه والعكوفُ على العملِ بما فيهِ من الأحكامِ التي من جُمْلتها ما سبقَ وما لحقَ من الإنفاقِ في سبيلِ الله تعالى. وقرئ نزل[٤] من التنزيلِ مبنيًا للفاعلِ وأنزلَ[٥] ﴿ولا يكونُوا كالذينَ أوتُوا الكتابَ من قبلُ﴾ عطفٌ على تخشعَ. وقرئ بالتاءِ[٦] على الالتفاتِ؛ للاعتناءِ بالتحذيرِ، وقيلَ: هو نهيٌ عن مماثلةِ أهلِ الكتابِ في قسوةِ القلوبِ بعد أنْ وبخوا[٧] وذلك أنَّ بني إسرائيلَ كانَ الحقُّ يحولُ بينَهُم وبينَ شهواتِهم وإذَا سمعُوا التوراةَ والإنجيلَ خشعُوا لله ورقَّتْ قلوبُهم ﴿فطالَ عليهم الأمدُ﴾ أي الأجلُ. وقرئ الأمدُّ[٨] بتشديدِ الدالِ، أي الوقتُ الأطولُ وغلبهم الجفاءُ وزالتْ عنْهم الروعةُ التي كانتْ تأتيهُم من الكتابينِ ﴿فقستْ

---

(١) قرأ بها: الحسن.
ينظر: الإعراب للنحاس (٣/ ٣٥٩)، والبحر المحيط (٨/ ٢٢٢)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٦٤).

(٢) قرأ بها: الحسن، وأبو السمال.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤١٠)، والبحر المحيط (٨/ ٢٢٢)، وتفسير القرطبي (١٧/ ٢٤٨)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٣١٢)، وتفسير الرازي (٢٩/ ٢٢٨).

(٣) في خ: والأرض.

(٤) قرأ بها: أبو عمرو، وابن كثير، وعاصم، وحمزة، والكسائي، وابن عامر، وخلف، ويعقوب، وأبو جعفر، ورويس، وشعبة.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤١٠)، والإعراب للنحاس (٣/ ٣٥٩)، والبحر المحيط (٨/ ٢٢٣)، والتيسير للداني ص (٢٠٨)، والغيث للصفاقسي ص (٣٦٥)، والكشف للقيسي (٢/ ٣١٠).

(٥) قرأ بها: ابن مسعود.
ينظر: الإعراب للنحاس (٣/ ٣٥٩)، والبحر المحيط (٨/ ٢٢٣)، والمعاني للفراء (٣/ ١٣٤).

(٦) قرأ بها: حمزة، ويعقوب، وسليم، ورويس، وأبو حيوة، وابن أبي عبلة، وأبو جعفر، وإسماعيل، وشيبة، وعيسى، وابن أبي إسحاق.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤١٠)، والغيث للصفاقسي ص (٣٦٥)، والغيث للصفاقسي ص (٣٦٥).

(٧) في خ: ونحو.

(٨) قرأ بها: ابن كثير.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٢٢٣)، وتفسير الرازي (٢٩/ ٢٣٠).

قلوبُهم﴾ فهيَ كالحجارةِ أو أشدُّ قسوةً ﴿وكثيرٌ منهم فاسقونَ﴾ أي خارجونَ عن حدودِ دينهم رافضونَ لما في كتابِهم بالكُلِّيةِ.

﴿اعلمُوا أنَّ الله يُحيي الأرضَ بعدَ موتِها﴾ تمثيلٌ لإحياءِ القلوبِ القاسيةِ بالذكرِ والتلاوةِ بإحياءِ الأرضِ الميتةِ بالغيثِ للترغيبِ في الخشوعِ والتحذيرِ عن القساوةِ ﴿قد بيَّنا لكُم الآياتِ﴾ التي من جُمْلتِها هذهِ الآياتُ ﴿لعلَّكُم تعقلونَ﴾ كي تعقلُوا ما فيهَا وتعملُوا بموجبِها فتفوزُوا بسعادةِ الدارينِ.

﴿إنَّ المُصدِّقينَ والمُصدِّقاتِ﴾ أي المتصدقينَ والمتصدقاتِ وقد قرئَ[1] كذلكَ، وقرئَ بتخفيفِ[2] الصادِ من التصديقِ، أي الذينَ صدقُوا الله ورسولَه ﴿وأقرضُوا الله قرضًا حسنًا﴾ قيلَ: هُو عطفٌ على ما في المصدقينَ من مَعْنى الفعلِ فإنَّه في حُكمِ الذين اصدَّقُوا أو صَدَقُوا عَلى القراءتينِ وعُقبَ بأنَّ فيهِ فصلًا بين أجزاءِ الصلةِ بأجنبيٍّ وهو المُصدِّقاتِ وأُجيبَ بأنَّ المَعْنى [أنَّ الناسَ الذينَ تصدَّقُوا وتصدَّقنَ وأقرضُوا فهو عطفٌ على الصلةِ من حيثُ المَعْنى][3] من غيرِ فصلٍ، وقيلَ إنَّ المُصدِّقاتِ ليسَ بعطفٍ على المُصدِّقينِ بل هُو منصوبٌ على الاختصاصِ كأنه قيلَ إنَّ المصدقينَ على العموم تغليبًا وأخصُّ المصدقاتِ من بينهُم كما تقولُ إنَّ الذينَ آمنُوا ولا سيَّما العلماء منهُم وعملُوا الصالحاتِ لهم كَذا لكنْ [لا على][4] أنَّ مدارَ[5] التخصيصِ مزيدُ استحقاقِهنَّ لمضاعفةِ الأجرِ كما في المثالِ المذكورِ بل زيادةُ احتياجهنَّ إلى التصدقِ الداعيةُ إلى الاعتناءِ بحثهنَّ على التصدقِ لما رُويَ أنَّه عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ قالَ: «يا معشرَ النِّساءِ تصدَّقن فإنِّي أُريتُكنَّ أكثرَ أهلِ النَّارِ»[6]، وقيلَ: هو صلةٌ لموصولٍ محذوفٍ معطوفٍ على المصدقينَ كأنَّه قيلَ والذينَ أقرضُوا. والقرضُ الحسنُ عبارةٌ عنِ التصدقِ من الطيبِ عن طيبةِ النفسِ وخلوصِ النيةِ على المستحقِّ للصدقةِ.

---

(١) قرأ بها: أبي.
ينظر: الإعراب للنحاس (٣/ ٣٦٠)، والبحر المحيط (٨/ ٢٢٣)، والمعاني للفراء (٣/ ١٣٥).

(٢) قرأ بها: ابن كثير، وعاصم، وأبو عمرو، وابن محيصن، والمفضل، وأبان، وشعبة، وهارون.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤١٠)، والإعراب للنحاس (٣/ ٣٦٠)، والبحر المحيط (٨/ ٢٢٣)، والتبيان للطوسي (٩/ ٥٢٦)، والسبعة لابن مجاهد ص (٦٢٦)، والغيث للصفاقسي ص (٣٦٥)، والكشف للقيسي (٢/ ٣١٠).

(٣) سقط في خ.

(٤) في خ: إلى المصدقين في أن.

(٥) في خ: المراد.

(٦) أخرجه البخاري (١/ ٤٠٥) كتاب الحيض: باب ترك الحائض الصوم حديث (٣٠٤) ومسلم (١/ ٨٧) كتاب الإيمان: باب بيان نقصان الإيمان حديث (١٣٢/ ٨٠) من حديث أبي سعيد الخدري.

﴿يُضاعَفُ لهمُ﴾ على البناءِ للمفعول مُسندًا إلى ما بعدَهُ من الجارِّ والمجرورِ، وقيلَ: إلى مصدرِ مَا في حيز الصِّلةِ على حذفِ مضافٍ أيْ ثوابُ التصدقِ. وقرئ[1] على البناء للفاعلِ أي يُضاعِفُ الله تعالَى، وقرئ[2] يُضعَّفُ بتشديدِ العينِ وفتحِها ﴿وَلَهُم أَجرٌ كريمٌ﴾ مرَّ ما فيهِ من الكلامِ.

﴿والذينَ آمنُوا بالله ورُسلِه﴾ كافةً وقد مرَّ بيانُ كيفيةِ الإيمانِ بهم في خاتمةِ سورةِ البقرةِ.

﴿أولئكَ﴾ إشارةٌ إلى الموصولِ الذي هُو مبتدأٌ وما فيهِ من مَعْنى البُعدِ مع قُربِ العهدِ بالمشارِ إليهِ قد مرَّ سرُّه مرارًا، وهو مبتدأٌ ثانٍ. وقولُه تعالَى: ﴿هُم﴾ مبتدأ ثالث[3] خبره ﴿الصِّدِّيقُون والشهداءُ﴾ وهُو معَ خبرِه خبرٌ [للثانِي وهو معَ خبره خبر للأول أو هم][4] ضمير الفصل، وما بعده خبر لأولئك والجملة خبر للموصولِ أي أُولئكَ ﴿عندَ ربِّهم﴾ بمنزلة الصديقينَ والشهداءِ المشهورينَ بعلوِّ الرُّتبةِ ورفعةِ المحلِّ وهُم الذينَ سبقُوا إلى التصديقِ واستُشْهِدوا في سبيلِ الله تعالى أو هم المبالغونَ في الصدقِ حيثُ آمنُوا وصدَّقُوا جميعَ أخبارِهِ تعالَى ورسلِه والقائمونَ بالشهادةِ لله تعالى بالوحدانيةِ ولهم بالإيمانِ أو على الأممِ يومَ القيامةِ وقولُه تعالى: ﴿لهم أجرُهم ونورُهم﴾ بيانٌ لثمراتِ ما وُصفُوا بهِ من نَعوتِ الكمالِ على أنَّه جملةٌ من مبتدأٍ وخبرٍ محلُّها الرفعُ على أنَّه خبرٌ ثانٍ للموصولِ أو الخبرُ هو الجارُّ وما بعدَهُ مرتفع بهِ على الفاعليةِ والضميرُ الأولُ على الوجهِ الأولِ للموصولِ والأخيرانِ للصديقينَ والشهداءُ أيْ لَهُم مثلُ أجرِهم ونورِهم المعروفينِ. بغايةِ الكمالِ وعزةِ المنالِ وقد حذفَ أداةَ التشبيهِ تنبيهًا على قوةِ المماثلةِ وبلوغِها حدَّ الاتحادِ كما فعلَ ذلكَ حيثُ قيل هم الصديقونَ والشهداءُ، وليستِ المماثلةُ بين ما للفريقِ الأولِ من الأجرِ والنورِ وبينَ تمام ما للفريقين الأخيرين بل بين تمام ما للأول من الأصل والأضعاف وبين ما للآخرين [من الأصل][5] بدون الأضعافِ وأمَّا على الوجهِ الثاني فمرجعُ الكلّ واحدٌ

---

(١) قرأ بها: الأعمش.
ينظر: تفسير القرطبي (١٧/ ٢٥٢).

(٢) قرأ بها: ابن كثير، وابن عامر، وأبو جعفر، ويعقوب.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤١٠)، والتبيان للطوسي (٩/ ٥٢٨)، وتفسير القرطبي (١٧/ ٢٥٢)، والغيث للصفاقسي ص (٣٦٥)، والكشف للقيسي (٤/ ٦٥)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٢٢٨).

(٣) في خ: ثانٍ.

(٤) في خ: للأول وهو.

(٥) سقط في خ.

والمَعْنى لهمُ الأجرُ والنورُ الموعودان لهم[١]، هَذا هو الذي تقتضيه جزالةُ النظمِ الكريم وقد قيلَ والشهداءُ مبتدأٌ وعندَ ربِّهم خبرُهُ وقيلُ: الخبرُ لَهُم أجرُهم. . .إلخ ﴿والذينَ كفرُوا وكذَّبوا بآياتِنا أولئكَ﴾ الموصوفون بتلك الصفةِ القبيحةِ ﴿أصحابُ الجحيمِ﴾ بحيثُ لا يفارقونَها أبدًا.

تزهيد في الدنيا

﴿اعلمُوا أنَّما الحياةُ الدُّنيا لعبٌ ولهوٌ وزينةٌ وتفاخرٌ بينكُم وتكاثرٌ في الأموالِ والأولادِ﴾ بعدَ ما بُيِّنَ حالُ الفريقينِ في الآخرةِ، شُرحَ حالُ الحياةِ الدُّنيا التي اطمأنَّ بها الفريقُ الثَّاني، وأُشيرَ إلى أنَّها من محقرات الأمورِ التي لا يركنُ إليها العقلاءُ فضلًا عن الاطمئنانِ بها وأنَّها مع ذلكَ سريعةُ[٢] الزوالِ وشيكةُ الاضمحلالِ حيثُ قيلَ: ﴿كمثلِ غيثٍ أعجبَ الكفَّارَ﴾ أي الحُرَّاثَ ﴿نباتُه﴾ أي النباتُ الحاصلُ بهِ ﴿ثُمَّ يهيجُ﴾ أي يجفُّ بعدَ خضرتِه ونضارتِه ﴿فتراهُ مُصفرا﴾ بعدَ ما رأيتَهُ ناضرًا مُونِقًا[٣]. وقُرِئَ مُصفارا[٤] وإنما لم يقلْ فيصفرُّ إيذانًا بأنَّ اصفرارَهُ مقارنٌ لجفافِه وإنما المترتبُ عليه رؤيتُه كذلكَ ﴿ثمَّ يكونُ حُطامًا﴾ هشيمًا مُتكسرًا ومحلُّ الكافِ. قيلَ: النصبُ على الحاليةِ من الضميرِ في لعبٌ لأنَّه في معنى الوصف، وقيل الرفع على أنه خبر للحياة الدنيا بتقدير المضاف أي مثل الحياةِ الدُّنيا كمثلِ. . .إلخ وبعدَ ما بُيِّن حقارةُ أمرِ الدُّنيا تزهيدًا فيها وتنفيرًا عن العكوفِ عليها أُشيرَ إلى فخامة شأنِ الآخرةِ وعظمِ ما فيها من اللذاتِ والآلام ترغيبًا في تحصيلِ نعيمِها المقيم وتحذيرًا من عذابِها الأليم، وقُدِّمَ ذكرُ العذابِ فقيلَ ﴿وَفي الآخرةِ عذابٌ شديدٌ﴾ لأنَّه من نتائجِ الانهماكِ فيما فُصِّلَ من أحوالِ[٥] الدُّنيا ﴿ومغفرةٌ﴾ عظيمة ﴿من الله ورضوانٌ﴾ عظيمٌ لا يُقادرُ قَدرُه. ﴿وما الحياةُ الدُّنيا إلا متاعُ الغرُورِ﴾ أي لمن اطمأنَّ بها ولم يجعلْها ذريعةً إلى الآخرةِ. عن سعيدِ بنِ جُبيرِ: الدُّنيا متاعُ الغرورِ إنْ ألهتكَ عن طلب الآخرةِ فأمَّا إذَا دعتكَ إلى طلبِ رضوانِ الله تعالَى فنعمَ المتاعُ ونعمَ الوسيلةُ[٦] ﴿سابِقُوا﴾ أي سارِعُوا مسارعةَ المسابقينَ لأقرانِهم في المضمار ﴿إلى مغفرةٍ﴾ عظيمةٍ كائنةٍ ﴿من ربِّكم﴾ أي إلى موجباتِها من الأعمال الصَّالحةِ ﴿وجنةٍ عرضُها كعرضِ السماءِ والأرضِ﴾ أي كعرضِهما جميعًا وإذا كانَ عرضُها كذلكَ فما ظنُّك بطولِها، وقيلَ: المرادُ بالعرضِ البسطةُ.

---

(١) زاد في خ: ذلك.
(٢) في خ: رفعة.
(٣) في خ: مونعًا.
(٤) ينظر: البحر المحيط (٨/ ٢٢٤).
(٥) زاد في خ: الحياة.
(٦) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٤/ ٢٩٨).

وتقديمُ المغفرةِ على الجنةِ لتقديم[1] التخليةِ على التحليةِ. ﴿أعدتْ للذينَ آمنُوا باللهِ ورسلِهِ﴾ فيه دليلٌ على أنَّ الجنَةَ مخلوقةٌ بالفعلِ وأنَّ الإيمانَ وحدَهُ كافٍ في استحقاقِها ﴿ذلكَ﴾ الذي وعدَ من المغفرةِ والجنةِ ﴿فضلُ اللهِ﴾ عطاؤُه ﴿يؤتيهِ﴾ تفضلًا وإحسانًا ﴿مَنْ يشاءُ﴾ إيتاءَهُ إيَّاهُ من غيرِ إيجابٍ ﴿واللهُ ذو الفضلِ العظيمِ﴾ ولذلكَ[2] يُؤتي مَن يشاءُ مثلَ ذلكَ الفضلِ[3] الذي لا غايةَ وراءَهُ.

﴿ما أصابَ من مصيبةٍ في الأرضِ﴾ كجدبٍ وعاهةٍ في الزرعِ والثمارِ ﴿ولا في أنفسِكم﴾ كمرضٍ وآفةٍ ﴿إلا في كتابٍ﴾ أي إلا مكتوبةً مثبتةً في علم الله تعالى أو في اللَّوحِ ﴿من قبلِ أَنْ نبرأَها﴾ أي نخلقَ الأنفسَ أو المصائبَ أو الأرضَ ﴿إنَّ ذلكَ﴾ أي إثباتَها في كتابٍ ﴿على اللهِ يسيرٌ﴾ لاستغنائِه فيهِ عن العُدَّةِ والمدةِ. ﴿لكيلا تأسَوا﴾ أي أخبرناكُم بذلكَ لئلاَّ تحزنُوا ﴿على ما فاتكُم﴾ من نعمِ الدُّنيا ﴿ولا تفرحُوا بِمَا آتاكُم﴾ أي أعطاكُم اللهُ تعالَى منها، فإنَّ من علمَ أنَّ الكلَّ مقدرٌ يفوتُ ما قُدِّرَ فواتُه ويأتي ما قُدِّرَ إتيانُه لا محالةَ لا يعظُم جزعُه على ما فاتَ ولا فرحُه بما هُو آتٍ، وقرئ بما[4] أَتاكُم من الإتيانِ. وفي القراءةِ الأُولى إشعارٌ بأنَّ فواتَ النعمِ يلحقُها إذا خُلِّيَتْ وطباعَها وأمَّا حصولُها وبقاؤُها فلا بُدَّ لهما من سببٍ يُوجدها ويُبقيها، وقرئ بما أُوتيتُم[5]. والمرادُ بهِ نفيُ الأَسَى[6] المانعِ عن التسليمِ لأمرِ اللهِ تعالى والفرحِ الموجبِ [للبطرِ والاختيالِ][7]، ولذلكَ عقبَ بقولِه تعالى: ﴿واللهُ لا يحبُّ كلَّ مختالٍ فخورٍ﴾ فإنَّ من فرحَ بالحظوظِ الدنيويةِ وعظُمتْ في نفسه اختالَ وافتخَر بها لا محالةَ، وفي تخصيصِ التذييلِ بالنَّهي عن الفرحِ المذكورِ إيذانٌ بأنَّه أقبحُ من الأَسَى ﴿الذين يبخلونَ ويأمرونَ النَّاسَ بالبخلِ﴾ بدلٌ من كلِّ مختالٍ، فإنَّ المختالَ بالمالِ يضنُّ به غالبًا ويأمرُ غيرَهُ به. أو مبتدأٌ خبرُهُ محذوفٌ يدلُّ عليه قولُه تعالَى: ﴿ومَنْ

(١) في ط: لتقدم. (٢) في خ: وكذلك.
(٣) في خ: التفضل.
(٤) قرأ بها: أبو عمرو، والحسن، وأبو العالية، ونصر بن عاصم، وأبو عبيد.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤١١)، والإعراب للنحاس (٣/ ٣٦٦)، والبحر المحيط (٨/ ٢٢٥)، والتبيان للطوسي (٩/ ٥٣٠)، والتيسير للداني ص (٢٠٨)، والسبعة لابن مجاهد ص (٦٢٢)، والغيث للصفاقسي ص (٣٦٥).
(٥) قرأ بها: عبد الله.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٢٢٥)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٦٦).
(٦) في خ: الأمر.
(٧) في خ: للنظر والاحتمال.

يتولَّ فإنَّ الله هُو الغنيُّ الحميد﴾ فإنَّ معناهُ ومَنْ يُعرضُ عن الإنفاقِ فإنَّ الله غنيٌّ عنْهُ وعنْ إنفاقه محمودٌ في ذاتِه لا يضرُّه الإعراضُ عن شكرهِ بالتقربِ إليهِ بشيءٍ من نعمهِ، وفيه تهديدٌ وإشعارٌ بأنَّ الأمرَ بالإنفاقِ لمصلحةِ المُنفقِ. وقرئ[١] فإنَّ الله الغنيُّ.

﴿لقد أرسلنَا رُسلنَا﴾ أي الملائكةَ إلى الأنبياءِ أو الأنبياءَ إلى الأممِ وهُو الأظهرُ ﴿بالبيناتِ﴾ أي الحججِ والمعجزاتِ ﴿وأنزلنَا معهُم الكتابَ﴾ أي جنسَ الكتابِ الشاملِ للكُلِّ ﴿والميزانَ ليقومَ النَّاسُ بالقسطِ﴾ أي بالعدلِ. رُويَ (أنَّ جبريلَ عليهِ السَّلامُ نزلَ بالميزانِ فدفعَهُ إلى نوحٍ عليهِ السَّلامُ وقالَ مُرْ قومَكَ يزنُوا بهِ).

وقيلَ أُريدَ به العدلُ ليقامَ بهِ السياسةُ ويدفعَ به العُدوانُ[٢]. ﴿وأنزلنَا الحديدَ﴾ قيلَ: نزلَ آدمُ عليهِ السلام من الجنَّةِ ومعَهُ خمسةُ أشياءَ منْ حديدٍ: السندانُ والكلبتانِ والميقعةُ[٣] والمطرقةُ والإبرةُ[٤]، ورُويَ ومعَهُ المرُّ[٥] والمِسحاتُ[٦]. وعنِ الحسنِ: وأنزلنَا الحديدَ خلقنَاهُ[٧] كقولِه تعالَى وأنزلَ لكُم من الأنعامِ وذلكَ أنَّ أوامرَهُ تعالَى وقضايَاهُ وأحكامَهُ تنزل[٨] من السماءِ.

وقولُه تعالَى: ﴿فيه بأسٌ شديدٌ﴾ لأنَّ آلاتِ الحروبِ إنَّما تتخذُ منْهُ ﴿ومنافعُ للناسِ﴾ إذْ مَا من صنعةٍ إلاَّ والحديدُ أو ما يُعملُ بالحديدِ آلتُها. والجملةُ حالٌ من الحديدِ. وقولُه تعالَى: ﴿وليعلمَ الله مَنْ ينصرُه ورسلَهُ﴾ عطفٌ على محذوفٍ يدلُّ عليه ما قبلَهُ فإنَّه حالٌ متضمنةٌ للتعليلِ كأنَّه قيلَ ليستعملُوه وليعلمَ الله علمًا يتعلقُ به الجزاءُ من ينصرُه ورسلَهُ باستعمالِ السيوفِ والرماحِ وسائرِ الأسلحةِ في مجاهدةِ أعدائِه أو متعلقٌ بمحذوفٍ مؤخرٍ والواوُ اعتراضيةٌ أي وليعلمَ الله مَنْ ينصرُه ورسلَهُ أنزلَه وقيلَ

---

(١) قرأ بها: نافع، وابن عامر، وأبو جعفر.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤١١)، والبحر المحيط (٨/ ٢٢٦)، والتبيان للطوسي (٩/ ٥٣٠)، السبعة لابن مجاهد ص (٦٢٧)، والغيث للصفاقسي ص (٣٦٥)، والكشف للقيسي (٢/ ٣١٢).

(٢) ينظر «التفسير الكبير» للفخر الرازي (٢٩/ ٢١٠) «واللباب في علوم الكتاب» (١٨/ ٤٩٨).

(٣) الميقعة: المسنُّ الطويل، وقيل المطرقة.

(٤) ذكره القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١٧/ ١٦٩) وعزاه للثعلبي عن ابن عباس.
وينظر: «اللباب في علوم الكتاب» لابن عادل (١٨/ ٤٩٩).

(٥) المرُّ: المسحاة وقيل مقبضها، وكذلك هو من المحراث.

(٦) المسحات: المجرفة من الحديد والميم زائدة، لأنه من السحو الكشف والإزالة.

(٧) ينظر «معالم التنزيل» (٤/ ٣٠٠) و«اللباب في علوم الكتاب» (١٨/ ٥٠٠).

(٨) في خ: نزل.

عطفٌ على قولِه تعالَى ليقومَ النَّاسُ بالقسطِ. وقولُه تعالى: [﴿بالغيب﴾ حالٌ من فاعلِ ينصرُ أو مفعولِه أي غائبًا عنْهم أو غائبينَ عنه. وقولُه تعالى][1]: ﴿إنَّ الله قويٌّ عزيزٌ﴾ اعتراضُ تذييليٌّ جيء به تحقيقًا للحقِّ وتنبيهًا على أنَّ تكليفَهُم الجهادَ وتعريضَهُم للقتالِ ليسَ لحاجتِه في إعلاءِ كلمتِه وإظهارِ دينِه إلى نصرتِهم بلْ إنَّما هُو لينتفعُوا [بهِ ويصلُوا][2] بامتثال الأمر فيه إلى الثوابِ وإلاَّ فهُو غنيٌّ بقدرتِه وعزتِه عنهُم في كلِّ ما يريدُه.

﴿ولقد أرسلنَا نوحًا وإبراهيمَ﴾ نوعُ تفصيلٍ لما أُجملَ في قولِه تعالَى لقد أرسلنَا رسلنَا . . . إلخ. وتكريرُ القسمِ لإظهار مزيدِ الاعتناءِ بالأمر أيْ وبالله لَقَدْ أرسلناهُمَا ﴿وجعلنَا في ذريتِهما النبوةَ والكتابَ﴾ بأن استنبأناهُم وأوحينَا إليهم الكتبَ وقيلَ المرادُ بالكتابِ الخطُّ بالقلم ﴿فمنهُم﴾ أي من الذرية أو من المرسل إليهم المدلولِ عليهم بذكر الإرسالِ والمرسَلِينَ ﴿مهتدٍ﴾ إلى الحقِّ ﴿وكثيرٌ منهم فاسقونَ﴾ خارجونَ عن الطريق المستقيم، والعدولُ عن سنن المقابلةِ للمبالغةِ في الذمِّ والإيذانِ بغلبةِ الضُّلالِ وكثرتِهم ﴿ثمَّ قفينا على آثارِهم برسلنا﴾ أي ثُمَّ أرسلنَا بعدَهُم رسلنَا ﴿وقفينا بعيسَى ابنِ مريمَ﴾ أي أرسلنَا رسولًا بعد رسولٍ حتَّى انتهى إلى عيسَى ابنِ مريمَ عليه السَّلامُ والضميرُ لنوحٍ وإبراهيمَ ومَنْ أُرسِلا إليهم، أو مَنْ عاصرهُما من الرُّسلِ لا للذريةِ فإنَّ الرسلَ المُقفَّى بهم من الذريةِ ﴿وآتيناهُ الإنجيلَ﴾ وقرئ بفتحِ[3] الهمزةِ فإنَّه أعجميٌّ لا يلزمُ فيه مراعاةُ أبنيةِ العرب ﴿وجعلنَا في قلوبِ الذينَ اتبعُوه رأفةً﴾ وقرئ رآفةً[4] على فَعَالةٍ. ﴿ورحمةً﴾ أي وفَّقناهُم[5] للتراحم والتعاطفِ بينهُم ونحوه في شأن أصحابِ النبيِّ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ﴿رحماءُ بينهُم﴾ [سورة الفتح، الآية ٢٩] ﴿ورهبانيةً﴾ منصوبٌ إمَّا بفعلٍ مضمرٍ يفسرُه الظاهرُ أيْ وابتدعُوا رهبانيةً ﴿ابتدعُوها﴾ وإمَّا بالعطفِ على ما قبلهَا وابتدعُوها صفةٌ لها أي وجعلنَا في قلوبِهم رأفةً ورحمةً ورهبانيةً مبتدعة من عندهم أي وفَّقناهُم للتراحم بينهُم ولابتداعِ الرهبانيةِ واستحداثِها

---

(١) سقط في خ.
(٢) في خ: أو يتصلوا.
(٣) قرأ بها: الحسن.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٢٢٨)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٦٧)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٣١٣)، وتفسير الرازي (٢٩/ ٢٤٢).
(٤) قرأ بها: قنبل، وابن شنبوذ.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤١١)، والبحر المحيط (٨/ ٢٢٨)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٦٧)، وتفسير الرازي (٢٩/ ٢٤٥)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٢٣٠).
(٥) في خ: وقفينا.

وهي المبالغةُ في العبادةِ بالرياضةِ والانقطاع عن النَّاسِ ومعناهَا الفعلةُ المنسوبةُ إلى الرَّهبانِ[1] وهو الخائفُ فَعْلانُ من رَهِبَ كخشيانَ من خَشِيَ، وقرئ[2] بضمِّ الراءِ كأنَّها نسبةٌ إلى الرُّهبانِ وهو جمعُ راهبٍ كراكبٍ ورُكبان وسببُ ابتداعِهم إيَّاها أنَّ الجبابرةَ ظهروُا على المؤمنينَ بعدَ رفع عيسَى عليهِ السَّلامُ فقاتلُوهم ثلاثَ مراتٍ فقُتلوا حتَّى لم يبقَ منُهم إلا قليلٌ فخافُوا أنْ يُفتتنُوا في دينِهم فاختارُوا الرَّهبانيةَ في قُللِ[3] الجبالِ فارِّينَ بدينِهم مُخلصينَ أنفسَهُم للعبادةِ.

وقولُه تعالَى: ﴿ما كتبناهَا عليهِم﴾ جملةٌ مستأنفةٌ، وقيلَ صفةٌ أُخْرى لـ (رهبانيةٍ) والنفيُ على الوجهِ الأولِ متوجهٌ إلى أصلِ الفعلِ. وقوله تعالى: ﴿إلا ابتغاءَ رضوانِ اللهِ﴾ استثناءٌ منقطعٌ أي ما فرضناهَا نحنُ عليهم رأسًا ولكنُهم ابتدعُوها ابتغاءَ رضوانِ الله فذمَّهم حينئذٍ بقولِه تعالى: ﴿فما رَعَوها حقَّ رعايتِها﴾ من حيثُ إنَّ النذرَ عهدٌ مع الله لا يحلُّ نكثُه لا سيَّما إذَا قُصدَ به رضاهُ تعالَى وعلى الوجهِ الثانِي متوجهٌ إلى قيدِه لا إلى نفسِه. والاستثناءُ متصلٌ من أعمِّ العللِ أي ما كتبنَاها عليهم بأنْ وفقناهُم لابتداعِها لشيءٍ من الأشياءِ إلا ليبتغُوا بها رضوانَ الله ويستحقُّوا بها الثوابَ ومن ضرورةِ ذلكَ أن يحافظُوا عليَها ويراعُوها حقَّ رعايتها فما رَعَاها كلُّهم بلْ بعضُهم ﴿فآتينَا الذينَ آمنُوا منهم﴾ إيمانًا صحيحًا وهو الأيمانُ برسول الله ﷺ بعدَ رعايةِ رهبانيتِهم لا مجردَ رعايتِها فإنَّها بعدَ البعثةِ لغوٌ مَحضٌ وكفرٌ بَحْتٌ وأنَّى لها استتباعُ الأجرِ ﴿أجرَهُم﴾ أي ما يخُصُّ بهم من الأجرِ ﴿وكثيرٌ منهم فاسقونَ﴾ خارجونَ عن حدِّ الاتباعِ، وحملُ الفريقين على منِ مضَى من المراعينَ لحقوقِ الرَّهبانيةِ من قبل النسخِ والمخلينَ بها إذْ ذاكَ بالتثليثِ والقولِ بالاتحادِ وقصدِ السمعةِ من غيرِ تعرضٍ لإيمانِهم برسولِ الله ﷺ وكفرِهم به ممَّا لا يساعدُه المقامُ.

﴿يا أيُّها الذينَ آمنُوا﴾ أي بالرسلِ المتقدمةِ ﴿اتَّقُوا اللهَ﴾ فيما نهاكُم عنْهُ ﴿وآمنُوا برسولِه﴾ أي بمحمدٍ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ وفي إطلاقهِ[4] إيذانٌ بأنَّه عَلَمٌ فَردٌ في الرسالةِ لا يذهبُ الوهمُ إلى غيره ﴿يُؤتِكُم كفلينِ﴾ نصيبينِ ﴿منْ رحمتِه﴾ لإيمانِكم بالرسولِ وبمَنْ قبلَهُ من الرسلِ عليهم الصَّلاةُ والسَّلامُ لكنْ لا على مَعْنى أنَّ شريعتَهُم باقيةٌ بعد البعثةِ بلْ على أنَّها كانتْ حقَّة قبلَ النسخ ﴿ويجعلْ لكُم نورًا تمشونَ بِهِ﴾ يومَ القيامةِ حسبَما نطقَ به قولُه تعالى: ﴿يسعَى نورُهم بين أيديِهم وبأيمانِهم﴾ [سورة

---

(١) في خ: الرهبانية.

(٢) ينظر: البحر المحيط (٨/ ٢٢٨)، وتفسير القرطبي (١٧/ ٢٦٣)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٦٧).

(٣) في خ: ظل.

(٤) في خ: الخلافة.

الحديد، الآية ١٢] ﴿ويغفرْ لكُم﴾ ما أسلفتُم من الكُفر والمَعَاصِي ﴿والله غفورٌ رحيمٌ﴾ أي مبالغٌ في المغفرةِ والرحمةِ.

وقولُه تعالَى: ﴿لئلا يعلمَ أهلُ الكتابِ﴾ متعلقٌ بمضمونِ الجملةِ الطلبيةِ المتضمنةِ لمَعْنى الشرطِ إذِ التقديرُ إنْ تتقُوا الله وتُؤمنوا برسوله يُؤتكم كَذَا وكَذَا لئلا يعلمَ الذينَ لم يُسلموا من أهلِ الكتابِ أي ليعلمُوا ولا مزيدةٌ كما ينبئ عنه قراءةُ ليعلَم[(١)] ولكي[(٢)] يعلَمَ ولأن[(٣)] يعلمَ بإدغامِ النونِ في الياءِ وأنْ في قولِه تعالَى: ﴿ألا يقدرونَ على شيءٍ من فضلِ الله﴾ مخففةٌ من الثقيلةِ واسمُها الذي هُو ضميرُ الشأنِ محذوفٌ والجملةُ في حيزِ النصبِ على أنَّها مفعولُ يعلمَ أيْ ليعلمُوا أنَّه لا ينالونَ[(٤)] شيئًا مما ذُكِرَ من فضله من الكفلين والنورِ والمغفرةِ ولا يتمكنون من نيله حيثُ لم يأتُوا بشرطه الذي هُو الإيمانُ برسوله.

وقولُه تعالَى: ﴿وأنَّ الفضلَ بيدِ اللهِ﴾ عطفٌ على ألا يقدرونَ. وقولُه تعالَى: ﴿يؤتيه مَنْ يشاءُ﴾ خبرٌ ثانٍ لأنَّ، وقيلَ: هُو الخبرُ والجارُّ حالٌ لازمةٌ. وقولُه تعالَى: ﴿والله ذُو الفضلِ العظيمِ﴾ اعتراضٌ تذييليّ مقررٌ لمضمون ما قبلَهُ وقد جُوِّزَ أنْ يكونَ الأمرُ بالتقوى والإيمانِ لغيرِ أهلِ الكتابِ فالمَعْنى اتقُوا الله واثبتُوا على إيمانكم برسول الله ﷺ يُؤتكُم ما وعدَ مَنْ آمنَ مِنْ أهلِ الكتابِ من الكفلينِ في قولِه تعالَى: ﴿أولئكَ يُؤتَون أجرَهُم مرتينِ﴾ [سورة القصص، الآية ٥٤] ولا ينقصكُم من مثلِ أجرِهم لأنَّكُم مثلُهم في الإيمانينِ لا تفرقون بين أحدٍ من رسلِه. ورُوِيَ أنَّ مُؤمني أهلِ الكتابِ افتخرُوا على سائرِ المؤمنينَ بأنَّهم يُؤتون أجرَهُم مرتين وادَّعوا الفضلَ عليهم فنزلت. وقرئَ لِيَلاَ[(٥)] بقلب الهمزة ياءً

---

(١) قرأ بها: عبد الله، وابن عباس، وعكرمة، والجحدري، وعبد الله بن مسلمة.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٢٢٩)، وتفسير القرطبي (١٧/ ٢٦٨)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٦٨)، وتفسير الرازي (٢٩/ ٢٤٨).

(٢) قرأ بها: عبد الله، وابن جبير، وعكرمة.
ينظر: الإعراب للنحاس (٣/ ٣٧٠)، والبحر المحيط (٨/ ٢٢٩)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٦٨)، والمعاني للفراء (٣/ ١٣٧).

(٣) قرأ بها: ابن عباس، والجحدري، وحطان بن عبد الله.
ينظر: الإعراب للنحاس (٣/ ٣٧٠)، وتفسير القرطبي (١٧/ ٢٦٨)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٦٨)، وتفسير الرازي (٢٩/ ٢٤٨).

(٤) في خ: أن لا ينالوا.

(٥) قرأ بها: الحسن، وقطرب.
ينظر: تفسير القرطبي (١٧/ ٢٦٨)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٦٩)، والمحتسب لابن جني (٢/ =

لانفتاحها بعد كسرةٍ، وقرئ بسكونِ[(١)] الياءِ وفتحِ اللامِ كاسمِ المرأةِ، وبكسرِ اللامِ مع[(٢)] سكونِ الياءِ، وقرئ ألا يقدرُوا[(٣)]. هَذا وقد قيلَ: لاَ غَيرُ مزيدةٍ وضميرُ لا يقدرونَ للنبيِّ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ وأصحابِه والمَعْنى لئلا يعتقدَ أهلُ الكتابِ أنَّه لا يقدرُ النبيُّ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ والمؤمنونَ به على شيءٍ من فضلِ الله الذي هو عبارةٌ عمَّا أُوتُوه من سعادةِ الدارينِ على أنَّ عدمَ علمِهم بعدمِ قُدرتِهم على ذلكَ كنايةٌ عن علمِهم بقدرتِهم عليه فيكونُ قولُه تعالَى: ﴿وأنَّ الفضلَ بيدِ اللهَ﴾ . . . إلخ عطفًا على ألا يعلمَ.

عنِ النبيِّ صلَّى الله عليهِ وسلَّم: **«مَنْ قرأَ سورةَ الحديدِ كُتبَ من الذينَ آمنُوا بالله ورسلِه»**[(٤)(٥)].

= ٣١٣)، وتفسير الرازي (٢٤٨/٢٩).

(١) قرأ بها: الحسن، وابن مجاهد.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٢٢٩)، وتفسير القرطبي (١٧/ ٢٦٨)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٦٨)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٣١٣).

(٢) قرأ بها: الحسن.
ينظر: المحرر الوجيز (٥/ ٢٧١)، والبحر المحيط (٨/ ٢٢٧)، والدر المصون (٦/ ٢٨٣).

(٣) قرأ بها: عبد الله بن مسعود.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٢٢٩)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٦٩).

(٤) حديث موضوع وتقدم الكلام عليه.

(٥) زاد في خ: والصديقين والله الموفق.

سُورَةُ المجَادلةِ

[مدنيةٌ، وَقيلَ العشرُ الأُولُ مَكيٌّ والباقِي مَدَنيٌّ][1]

وَآيُهَا ثنتانِ وعشرونَ[2]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ
بَصِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ ۚ
وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ
يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾
فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ۚ ذَٰلِكَ
لِتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ
كُبِتُوا۟ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ
ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ
يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ
سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ
ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ
وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ
بِمَا نَقُولُ ۚ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْا۟
بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ
مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ
﴿١٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ
ٱنشُزُوا۟ فَٱنشُزُوا۟ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾

---

(١) سقط في خ.

(٢) زاد في خ: مدنية.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَـٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ فَإِن لَّمْ
تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَـٰتٍ ۚ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ
عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى
ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ
ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَـٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ
فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٦﴾ لَّن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا
خَـٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ
ٱلْكَـٰذِبُونَ ﴿١٨﴾ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَـٰنِ
هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَـٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠
وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ
ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى
قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ
رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾

﴿قَدْ سمعَ اللهُ﴾ بإظهارِ الدالِ وقرئَ[١] بإدغامِهَا في السِّينِ ﴿قولَ التي تُجادِلُك في زوجِها﴾ أيْ تراجعكَ الكلامَ في شأنِهِ وفيمَا صدرَ عنْهُ في حَقِّهَا من الظهارِ وقرئَ[٢] تُحاوركَ وَتُحاولكَ أَيْ تسائلكَ ﴿وتَشْتكي إلى الله﴾ عطفٌ عَلَى تجادلك أيْ تتضرعُ إليهِ تعَالَى وَقيلَ حالٌ منْ فاعله أيْ تجادلكَ وَهيَ مُتضرعةٌ إليهِ تعَالَى وَهِيَ خَوْلَة بنتُ ثَعْلبةَ بنِ مالكِ بنِ خُزامةَ الخزرجيةُ، ظاهرَ عنْهَا زوجُهَا أَوْسُ بْنُ الصامتِ أخُو عُبادةَ ثُمَّ ندمَ عَلَى مَا قالَ فقالَ[٣] لَها مَا أظنكَ إلاَّ قَدْ حرمتِ عليَّ فشقَّ عَلَيْهَا ذلكَ فاستفتتْ رسولَ الله ﷺ فقالَ حرُمتِ عليهِ فقالتْ يا رسولَ الله ما ذكَرَ طَلاقًا فقالَ حرمتِ عليهِ. وَفي روايةٍ: مَا أُراكِ إلا قدْ حرمتِ عليه في المرارِ كُلِّها فقالتْ أشكُو إِلى الله فَاقتِي وَوَجْدِي وجعلتْ تراجعُ رسولَ الله ﷺ وَكُلَّما قالَ عليه الصلاةُ والسلامُ حرمتِ عليهِ هتفتْ وشكتْ إِلَى الله تَعَالَى فنزلتْ[٤] وَفي كلمةِ قَدْ إشعارٌ بأنَّ الرسولَ عليهِ الصلاةُ

---

(١) قرأ بها: أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وهشام، وخلف، وابن محيصن.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤١١)، والبحر المحيط (٨/ ٢٣٢)، وتفسير القرطبي (١٧/ ٢٧٢)، والغيث للصفاقسي ص (٣٦٦)، وتفسير الرازي (٢٩/ ٢٥٠)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٣، ٤).

(٢) قرأ بها: عبد الله.
ينظر: تفسير القرطبي (١٧/ ٢٧٢)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٦٩)، والمعاني للفراء (٣/ ١٣٨).

(٣) في خ: ثم قال.

(٤) أخرجه الطبري (٢٨/ ٦) من طريق أبي معشر عن محمد بن كعب القرظي وروي ذلك أيضًا عن =

والسلامُ والمجادلةَ كانَا يتوقعانِ أنْ يُنزلَ الله تعالَى حكم الحادثةِ ويفرجَ عَنْهَا كَرْبَهَا كَمَا يلوحُ بهِ مَا رُويَ أنَّه عليه الصلاةُ والسلامُ قالَ لها عندَ استفتائِها مَا عندِي في أمركِ شيءٌ وَأنَّها كانتْ ترفعُ رأْسَهَا إلى السماءِ وتقولُ: اللهم إني أشكُو إليكَ فأنزلْ عَلى لسانِ نبيكَ ومَعنَى سَمْعِهِ تَعَالَى لقولِهَا إجابةُ دُعائِها لاَ مجردَ علمِهِ تَعَالى بذلكَ[1] كما هُوَ المَعْنِيُّ بقولِهِ تَعَالَى: ﴿والله يسمعُ تَحَاورَكُما﴾ أيْ يعلَم تراجعَكُمَا الكلامَ وَصيغةُ المضارعِ للدلالةِ على استمرارِ السمعِ حسب استمرارِ التحاورِ وتجددِهِ وَفي نَظْمِها في سلكِ الخطابِ تغليبًا تشريفٌ لَهَا منْ جهتينِ وَالجملةُ استئنافٌ جارٍ مَجْرَى التعليلِ لِمَا قبلَهُ فإنَّ إلحافَهَا[2] في المسألةِ ومبالغَتَها في التضرعِ إلى الله تَعَالَى ومدافعتَهُ عليهِ الصلاةُ والسلامُ إيَّاهَا بجوابٍ منبئٍ عنِ التوقفِ وترقبِ الوحيِ وَعِلمَهُ تَعَالَى بحالِهِمَا منْ دَواعي الإجابةِ وَقيلَ هيَ حالٌ وهُوَ بعيدٌ وَقَولُهُ عزَّ وَجلَّ: ﴿إنَّ الله سميعٌ بصيرٌ﴾ تعليلٌ لِمَا قبلَهُ بطريق التحقيقِ أيْ مبالغٌ في العلم بالمسموعات والمبصَراتِ وَمنْ قضيتِهِ أنْ يسمعَ تحاورَهُمَا[3] ويَرَى ما يقارنُهُ منَ الهيئاتِ التي منْ جُملتِها رفعُ رأسِهَا إلى السماءِ وسائرُ آثارِ التضرعِ. وإظهارُ الاسم الجليلِ في الموقعينِ لتربيةِ المهابةِ وتعليلِ الحكمِ بوصفِ الألوهيةِ وتأكيدِ استقلالِ الجملتينِ.

حكم الظهار

وقوله تعالى: ﴿الذينَ يُظَاهِرونَ منكُم منْ نسائِهم﴾ شروعٌ في بيانِ شأنِ الظهارِ في

= خولة نفسها.

أخرجه أحمد (٦/ ٤١٠).

وروي أيضًا نحوه من حديث عائشة:

أخرجه البخاري تعليقًا (١٣/ ٣٨٤) كتاب الوحيد: باب (وكان الله سميعًا بصيرًا).

وأخرجه النسائي (٦/ ١٦٨) كتاب الطلاق: باب الظهار حديث (٣٤٦٠)، وابن ماجه (١/ ٦٧) المقدمة: باب فيما أنكرت الجهمية حديث (١٨٨)، وأحمد (٦/ ٤٦) وعبد بن حميد في المنتخب من المسند» رقم (١٥١٤)، والطبري في «تفسيره» (٢٨/ ٥-٦)، وابن أبي عاصم في السنة (٦٢٥)، والحاكم (٢/ ٤٨١)، والبيهقي (٧/ ٣٨٢) كلهم من طريق الأعمش عن تميم بن سلمة عن عروة عن عائشة به.

وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي.

وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١٧٩) وزاد نسبته إلى سعيد بن منصور، وابن المنذر، وابن مردويه، وابن أبي حاتم.

(١) في خ: لقولها. (٢) في خ: إلحاقها.

(٣) في خ: تحاوركما.

نفسِهِ وتكذيب حكمِه المترتبُ عليه شَرْعًا بطريقِ الاستئنافِ والظهارُ أنْ يقولَ الرجلُ لامرأتِهِ أنتِ عليَّ كظهرِ أُمِّي مشتقٌ منَ الظهرِ وَقدْ مرَّ تفصيلُهُ في الأحزابِ وألحقَ بهِ الفقهاءُ [تشبيهَها][١] بجزءٍ مُحرمٍ. وَفي منكُمْ مزيدُ توبيخٍ للعربِ وتهجينٌ لعادتهمْ فيه فإنَّهُ كانَ منْ أيمانِ أهلِ جاهليتِهِمْ[٢] خَاصَّة دونَ سائرِ الأممِ وقرئَ يَظَّاهرونَ[٣] منْ اظَّاهرَ ويتظاهرونَ[٤] ويظَّهرونَ[٥] وقولُه تَعَالَى: ﴿مَا هُنَّ أُمهَّاتِهم﴾ خبرٌ للموصولِ أيْ ما نساؤُهم أمهاتُهُم عَلَى الحقيقةِ فهُوَ كذبٌ بحتٌ وَقرئَ أمهاتُهم[٦] بالرفعِ عَلى لُغةِ تميمٍ وبأمهاتِهِم[٧] ﴿إنْ أُمَّهاتُهم﴾ أيْ مَا هُنَّ ﴿إلا اللائِي ولدنَهُم﴾ فَلاَ تشبَّهُ[٨] بهنَّ فِي الحُرمةِ إلا منْ ألحقَهَا الشرعُ بهنَّ منَ المرضعاتِ وأزواجِ النبيِّ عليهِ الصلاةُ والسلامُ فدخلنَ بذلكَ في حُكمِ الأمهاتِ وَأمَّا الزوجاتُ فأبعدُ شيءٍ منَ الأُمومةِ ﴿وَإنَّهم ليقولُونَ﴾ بقولِهم ذلكَ ﴿مُنْكرًا من القولِ﴾ عَلى أنَّ مناطَ التأكيدِ ليسَ صدورَ القولِ عنهمْ فإنَّه أمرٌ محققٌ بلْ كونَهُ منكرًا أيْ عندَ الشرعِ وعندَ العقلِ والطبعِ أيضًا كما يشعرُ بِهِ تنكيره ونظيرُهِ قَولُهُ تعالَى إنكُمْ لتقولونَ قولًا عظيمًا ﴿وزُورًا﴾ أيْ محرفًا عنِ الحَقِّ ﴿وإنَّ الله لعفوٌّ غفورٌ﴾ أيْ مبالغٌ في العفو والمغفرةِ فيغفرُ لمَا سلفَ منْهُ

---

(١) سقط في خ.
(٢) في خ: الجاهلية.
(٣) قرأ بها: ابن عامر، وحمزة، والكسائي، والأعمش، وأبو جعفر، وخلف، وشيبة، ويحيى بن وثاب.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤١١)، والإعراب للنحاس (٣/ ٣٧١)، والبحر المحيط (٨/ ٢٣٢)، والتيسير للداني ص (٢٠٨)، والسبعة لابن مجاهد ص (٦٢٨)، والغيث للصفاقسي ص (٣٦٥)، والكشف للقيسي (٢/ ٣١٣).
(٤) قرأ بها: أبي.
ينظر: الإعراب للنحاس (٣/ ٣٧١). والبحر المحيط (٨/ ٢٣٢)، وتفسير الطبري (٢٨/ ٦)، وتفسير القرطبي (١٧/ ٢٧٣)، والمعاني للفراء (٣/ ١٣٩).
(٥) قرأ بها: نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب، والحسن.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤١١)، والإعراب للنحاس (٣/ ٣٧١)، والبحر المحيط (٨/ ٢٣٢)، والسبعة لابن مجاهد ص (٦٢٨)، والغيث للصفاقسي ص (٣٦٥)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٣٨٥).
(٦) قرأ بها: عاصم، والمفضل، وأبو معمر، والسلمي.
ينظر: الإملاء للعكبري (٢/ ١٣٨)، والبحر المحيط (٨/ ٢٣٢)، والتبيان للطوسي (٩/ ٥٣٨)، وتفسير القرطبي (١٧/ ٢٧٩)، والسبعة لابن مجاهد ص (٦٢٨)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٧٠)، وتفسير الرازي (٢٩/ ٢٥٤).
(٧) قرأ بها: ابن مسعود.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٢٣٢)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٧٠)، والمعاني للفراء (٣/ ١٣٩).
(٨) زاد في خ: لهم.

عَلَى الإطلاقِ أَوْ بالمتابِ عنْهُ.

وقولُه تَعَالَى: ﴿والذينَ يُظاهرونَ من نسائِهم ثمَّ يعُودونَ لما قَالُوا﴾ تفصيلٌ لحكم الظهارِ بعدَ بيانِ كونِهِ أمرًا منكرًا بطريقِ التشريعِ الكليِّ المنتظم لحكم الحادثةِ انتظامًا أوليًا أيْ والذينَ يقولونَ ذلكَ القولَ المنكرَ ثمَّ يعودونَ لما قالُوا أَيْ إلى مَا قالُوا بالتداركِ والتلافِي لاَ بالتقريرِ والتكريرِ كَما في قولِه تَعالَى: ﴿أن تعودوا لمثله أبدًا﴾ [سورة النور، الآية ١٧] فإنَّ اللامَ وإِلى تتعاقبان كَثيرًا كَما في قولِهِ تَعالَى: ﴿هدانا لهذا﴾ [سورة الأعراف، الآية ٤٣] وقولِهِ تَعَالَى: ﴿فاهدوهم إلى صراط الجحيم﴾ [سورة الصافات، الآية ٢٣] وقوله تعالى: ﴿بأن ربك أوحى لها﴾ [سورة الزمر، الآية ٥] وقوله تعالى: ﴿وأوحى إلى نوح﴾ [سورة هود، الآية ٣٦].

﴿فتحرير رقبةٍ﴾ أي: فتداركُهُ أو [فعليهِ أوْ](١) فالواجبُ إعتاقُ رقبةٍ أيَّ رقبةٍ كانتْ وعندَ الشافعيِّ رحمَهُ الله تَعَالَى يشترطُ الإيمانُ، والفاءُ للسببيةِ ومن فوائدِها الدلالةُ على تكررِ وجوبِ التحريرِ بتكررِ الظهارِ وَقيلَ: (ما قالُوا) عبارةٌ عَمَّا حرَّمُوهُ عَلى أنفسِهِمْ بلفظِ الظهارِ تنزيلًا للقولِ منزلةَ المقُولِ فيهِ كَما ذُكرَ في قولِهِ تَعالَى: ﴿ونرثه ما يقول﴾ [سورة مريم، الآية ٨٠] أي المقولُ فيهِ منَ المالِ والولدِ فالمَعْنَى ثُمَّ يريدونَ العودَ للاستمتاع فتحريرُ رقبةٍ ﴿مِنْ قبلِ أنْ يتماسَّا﴾ أيْ مِنْ قبلِ(٢) أنْ يستمتعَ كلٌ منَ المُظاهِرِ(٣) وَالمُظاهَرِ منْهَا بالآخرِ جماعًا وَلَمسًا ونظرًا إلى الفرجِ بشهوةٍ وإنْ وقعَ شيءٌ من ذلكَ قبلَ التكفيرِ يجبُ عليهِ أنْ يستغفرَ ولا يعودَ حتَّى يكفرَ وإنْ أعتقَ بعضَ الرقبةِ ثمَّ مسَّ عليهِ أنْ يستأنفَ عندَ أبي حنيفةَ رحمَهُ الله تَعَالَى ﴿ذلكُم﴾ إشارةٌ إلى الحكمِ المذكورِ وَهُوَ مبتدأٌ خبرُهُ ﴿تُوعظونَ بهِ﴾ أيْ تزجرونَ بهِ عنِ ارتكابِ المنكرِ المذكورِ [فإنَّ الغراماتِ](٤) مزاجرٌ عنْ تعاطِي الجناياتِ والمرادُ بذكرِهِ بيانُ أنَّ المقصودَ منْ شرعِ هَذَا الحكمِ ليسَ تعريضكُمْ للثوابِ بمباشرتكُمْ لتحريرِ الرقبةِ الذِي هُوَ علمٌ في استتباعِ الثوابِ العظيمِ بلْ هُوَ ردعُكم وزجرُكم عنَ مباشرةِ ما يوجبُهُ ﴿والله بمَا تعملُونَ﴾ منَ الأعمالِ التي منْ جُملتِها التكفيرُ ومَا يوجبُهُ من جنايةِ الظهارُ ﴿خَبيرٌ﴾ أَيْ عالمٌ بظواهِرِهَا وبواطِنَها ومجازيكُم بهَا فحافظُوا على [حدود ما شرعَ لكُمْ](٥) وَلاَ تُخلُّوا بشيءٍ منْهَا ﴿فَمَنْ لَم يجدْ﴾ أيْ الرقبةَ ﴿فصيامُ شهرينِ﴾ أيْ فعليهِ صيامُ شهرينِ ﴿مُتتَابعينِ من قبلِ أنْ يتماسَّا﴾ ليلًا أوْ نهارًا عمدًا أَوْ خطأً ﴿فَمَنْ لَمْ

---

(١) في خ: فعله أي.
(٢) في خ: قبيل.
(٣) في خ: الظاهر.
(٤) سقط في خ.
(٥) في خ: حدودها.

يستطعْ﴾ أيْ الصيامَ لسببٍ منَ الأسبابِ **﴿فإطعامُ ستينَ مسكينًا﴾** لكُلِّ مسكينٍ نصفُ صاعٍ منْ بُرٍّ أَوْ صاعٌ منْ غيرِهِ ويجبُ تقديمُهُ عَلَى المسيسِ لكن لا يستأنفُ إنْ مسَّ في خلالِ الإطعامِ **﴿ذلكَ﴾** إشارةٌ إلى مَا مرَّ من البيانِ والتعليمِ للأحكامِ والتنبيهُ عليهَا وَمَا فيهِ منْ معنى البُعدِ قَد مَرَّ سرُّهُ مِرارًا ومحلُّه إمَّا الرفعُ عَلَى الابتداءِ أو النصبُ بمضمرٍ معللٌ بَما بعدَهُ أيْ ذلكَ واقعٌ أو فعلنَا ذلكَ **﴿لتُؤمنوا باللهِ ورسولِه﴾** وتعملُوا بشرائعِهِ التي شرعَهَا لكُم وترفضُوا ما كنتُم عليه في جاهليتِكُم **﴿وتلكَ﴾** إشارةٌ إلى الأحكامِ المذكورةِ وما فيه من مَعْنى البُعدِ لتعظيمِها كما مَرَّ غيرَ مرةٍ **﴿حدودُ اللهِ﴾** التِي لا يجوزُ تعدِّيهَا **﴿وللكافرينَ﴾** أي الذينَ لا يعملونَ بها **﴿عذابٌ أليمٌ﴾** عبرَ عنْهُ بذلكَ للتغليظِ عَلَى طريقةِ قولِهِ تَعالَى: ﴿ومَنْ كفرَ فإنَّ اللهَ غنيٌّ عنِ العالمينَ﴾ [سورة آل عمران. الآية ٩٧].

﴿إنَّ الذينَ يُحادُّونَ اللهَ ورسولَهُ﴾-أيْ يعادونَهُمَا ويشاقونهُمَا فإنَّ كلاً منَ المتعاديينِ كَما أنَّه يكونُ في عُدوةٍ وشقٍ غيرِ عُدوةِ الآخرِ وشقِّهِ كذلكَ يكونُ في حدٍّ غيرِ حَدِّ الآخرِ [غيرَ أنَّ][1] لورودِ المحادّةِ في أثناءِ ذكرِ حدودِ اللهِ دونَ المعاداةِ والمشاقةِ من [حسنِ الموقعِ][2] ما لا غايةَ وراءَهُ **﴿كُبِتُوا﴾** أيْ أخزُوا وَقيلَ خُذِلُوا وقيلَ أذلُّوا وقيل أهلكُوا وقيلَ لُعنُوا وقيلَ غِيظُوا وهُوَ ما وقعَ يومَ الخندقِ قالُوا معنى كُبتوا سيكبتونَ عَلَى طريقةِ قولِه تَعالَى: ﴿أتى أمر اللهِ﴾ [سورة النحل، الآية ١] وقيلَ: أصلُ الكبتِ الكبُّ **﴿كَما كُبتَ الذينَ منْ قبلِهم﴾** منْ كُفَّارِ الأممِ الماضيةِ المعادينَ للرسلِ عليهمْ الصلاةُ والسلامُ **﴿وَقَدْ أنزلنَا آياتٍ بيناتٍ﴾** حالٌ منْ [واوِ كُبتوا][3] أيْ كُبتوا لمحادّتِهم والحالُ أنا قدْ أنزلنا آياتٍ واضحاتٍ فيمنَ حادَّ اللهَ ورسولَهُ ممنْ قبلَهُم من الأممِ وفيمَا فعلْنَا بهمْ وقيلَ: آياتٌ تدلُّ عَلى صدقِ الرسولِ ﷺ وصحةِ ما جَاء بِهِ **﴿وللكافرينَ﴾** أيْ بتلكَ الآياتِ أو بكلِّ ما يجبُ الإيمانُ بِهِ فيدخلُ فيهِ تلكَ الآياتُ دُخولًا أوليا **﴿عَذابٌ مهينٌ﴾** يذهبُ بعزِّهم[4] وَكِبْرِهم **﴿يومَ يبعثُهم اللهُ﴾** منصوبٌ بمَا تعلقَ بهِ اللامُ منَ الاستقرارِ أوْ بمهينٍ أو بإضمارِ اذكُرْ تعظيمًا لليومِ وتهويلًا لَهُ **﴿جميعًا﴾** أيْ كُلهم بحيثُ لاَ يَبْقَى منهُمْ أحدٌ غيرُ مبعوثٍ أوْ مجتمعينَ في حالةٍ واحدةٍ **﴿فينبئُهُم بمَا عمِلُوا﴾** منَ القبائحِ ببيانِ صُدورِها عنهُمْ أوْ بتصويرِهَا في تلكَ النشأةِ بما يليقُ بَها منَ الصورِ الهائلةِ عَلى رؤوسِ الأشهادِ تخجيلًا لهُم وتشهيرًا بحالِهم وتشديدًا

---

(١) سقط في خ.
(٢) في خ: جنس المواقع.
(٣) في خ: الواو في كتبوا.
(٤) في خ: بعزمهم.

لعذابهم وَقولُه تعالَى: ﴿أحصاهُ الله﴾ استئنافٌ وقعَ جَوابًا عمَّا نشأَ ممَّا قبلَهُ منَ السؤالِ إمَّا عنْ كيفيةِ التنبئةِ أو عنْ سببِهَا كأنَّه قيلَ كيفَ ينبئُهمْ بأعمالِهم وهيَ أعراضٌ متقضيةٌ متلاشيةٌ فقيلَ أحصاهُ الله عددًا لمْ يفُتْهُ منْهُ شيءٌ فقولُه تعالَى: ﴿ونسُوه﴾ حينئذٍ حالٌ من مفعولِ أَحْصَى بإضمار قد أو بدونه على الخلاف المشهور أو قيل لم ينبئهم بذلك فقيل أحصاه الله ونسوهُ فينبئهمْ بِهِ ليعرفُوا أنَّ مَا عاينُوه منَ العذابِ إنما حاقَ بهمْ لأجلِهِ فيهِ مزيدُ توبيخٍ وتنديمٍ لهُم غيرِ التخجيلِ والتشهير ﴿والله على كلِّ شيءٍ شهيدٌ﴾ لا يغيبُ عنهُ أمرٌ منَ الأمورِ قطُّ[1] والجملةُ اعتراضُ تذييليٌّ مقررٌ لإحصائِهِ تعَالَى.

وَقولُه تَعَالَى: ﴿ألم ترَ أنَّ الله يعلمُ ما في السمواتِ ومَا في الأرضِ﴾ استشهادٌ على شمولِ شهادتِهِ تَعَالَى كَمَا فِي قولِهِ تَعَالَى: ﴿ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه﴾ [سورة البقرة، الآية ٢٥٨] وَفِي قَوْلِهِ تَعَالى: ﴿ألم تر أنهم في كل واد يهيمون﴾ [سورة الشعراء، الآية ٢٢٥] أي ألمْ تَعلَمْ علمًا يقينيًا متاخمًا للمشاهدةِ بأنَّه تَعَالى يعلمُ مَا فِيهمَا مِنَ الموجوداتِ سواءٌ كانَ ذلكَ بالاستقرارِ فيهمَا أو بالجزئيةِ[2] منهُمَا.

وقوله تعالى: ﴿ما يكونُ مِنْ نَجْوَى ثلاثةٍ﴾ . . . إلخ استئنافٌ مقررٌ لِمَا قَبْلَهُ من سعةِ علمِهِ تَعَالى وَمُبينٌ لكيفيتِهِ ويكونُ منْ كانَ التامةِ وقُرئَ تكونُ بالتاءِ[3] اعتبارًا لتأنيثِ النَّجوى وإنْ كانَ غَيْرَ حقيقيٍّ أيْ ما يقعُ[4] من تناجي ثلاثةِ نفرٍ أي منْ مسارتهم على أنَّ نَجْوى مضافةٌ إلى ثلاثةٍ أوْ عَلَى أَنَّها موصوفةٌ بِها إمَّا بتقديرِ مضافٍ أيْ منْ أهلِ نَجْوى ثلاثةٍ أو يجعلهُمْ نَجْوى فِي أنفسِهِم مبالغةً ﴿إلَّا هُوَ﴾ أي الله عزَّ وجلَّ: ﴿رَابِعُهم﴾ أي: جاعلُهم أربعةً منْ حيثُ إنَّه تعالَى يشاركهُمْ فِي الاطلاعِ عَلَيها وهُوَ استثناءٌ مفرغٌ مِنْ أعمِّ الأحوالِ ﴿ولا خمسةٍ﴾ ولا نجوَى خمسةٍ ﴿إلاَّ هُوَ سَادِسُهم﴾ وتخصيصُ العدَدينِ بالذكرِ إما لخصوصِ الواقعةِ فإنَّ الآيَةَ نزلتْ في تناجي المنافقينَ وإمَّا لِبناءِ الكلام عَلى أغلبِ عاداتِ المتناجينَ وقد عممَ الحكمَ بعدَ ذلكَ فقيلَ: ﴿ولا أَدْنَى منْ ذلكَ﴾ أيْ ممَّا ذُكرَ كالواحدِ والاثنينِ ﴿ولا أكثر﴾ كالستةِ وما فوقَها ﴿إلاَّ هو مَعَهُم﴾ يعلمُ مَا يَجْرِي بينَهم وقرئ ولاَ أكثرُ[5] بالرفعِ عطفًا عَلى محلِ منْ نَجْوى أو

---

(١) في خ: فقط. (٢) في خ: الحرية.

(٣) قرأ بها: أبو جعفر، ويزيد بن القعقاع، وأبو حيوة، وشيبة، والأعرج، وعيسى.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤١٢)، والإعراب للنحاس (٣/ ٣٧٥)، والبحر المحيط (٨/ ٢٣٤)، والتبيان للطوسي (٩/ ٥٤٤)، والمجمع للطبرسي (٩/ ٢٤٩)، والمعاني للفراء (٣/ ١٤٠)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٣٨٥).

(٤) في خ: تبع.

(٥) قرأ بها: يعقوب، والحسن، وهارون، وعمرو، وابن أبي إسحاق، والأعمش، وأبو حيوة، وسلام، =

محلِ ولا أدْنَى بأنْ جُعِلَ لاَ لنفي الجِنْسَ ﴿أينما كَانُوا﴾ من الأماكنِ ولو كانُوا تحتَ الأرضِ فإنَّ علمَهُ تعالىَ بالأشياءِ ليسَ لقربِ مكانيٍّ حتَّى يتفاوت باختلافِ[١] الأمكنةِ قُربًا وبُعدًا ﴿ثم يُنبئهم﴾ وقرئ يُنْبِئُهُمْ[٢] بالتَّخفيفِ ﴿بما عملُوا يومَ القيامةِ﴾ تفضيحًا لَهُمْ وَإِظهارًا لما يوجبُ عذابَهُم ﴿إنَّ الله بكلِّ شيءٍ عليمٌ﴾ لأنَّ نسبةَ ذاتِهِ المقتضيةِ للعلمِ إلى الكُلِّ سواءٌ.

﴿ألم تَرَ إلى الذينَ نُهُوا عن النَّجوى ثُمَّ يعودونَ لما نُهوا عَنْهُ﴾ نزلتْ في اليهودِ والمنافقين كانوا يتناجَونَ فيما بينهُمْ ويتغامزونَ بأعينِهِمْ إذَا رأَوْا المؤمنينَ فنهاهُمْ رسولُ الله ﷺ ثمَّ عادُوا لمثلِ فعلِهِمْ[٣] والخطابُ للرسولِ عليه الصلاةُ والسَّلامُ والهمزةُ للتعجيبِ مِنْ حالهِمْ وصيغةُ المضارعِ للدلالةِ عَلَى [تكررِ عَودِهِمْ][٤] وتجددِهِ واستحضارِ صورتِهِ العجيبةِ وقولِهِ تَعَالى: ﴿ويتناجَونَ بالإِثْمِ والعدوانِ ومعصيةِ الرَّسولِ﴾ عطفٌ عليهِ داخلٌ في حُكمهِ أيْ بِمَا هُوَ إثمٌ في نفسِهِ وعدوانٌ للمؤمنينَ وتواصٍ بمعصيةِ الرسولِ عليهِ الصلاةُ والسَّلامُ وذكرُهُ عليهِ الصلاةُ والسلامُ بعنوانِ الرسالةِ بينَ الخطابينِ المتوجهينِ إليهِ عليهِ الصلاةُ والسلامُ لزيادةِ تشنيعِهِم واستعظامِ معصيتِهِم وقرئ وينتجونَ[٥] بالإثم والعِدْوَانِ[٦] بكسر العَين (ومعصياتِ الرسولِ)[٧]، ﴿وإذَا جاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ الله﴾ فيقولونَ: السامُ عليكمْ. أو أنعِمْ صَباحًا والله سبحانَهُ يقولُ: ﴿وسلام على المرسلين﴾ [سورة الصافات، الآية ١٨١]

= وأبو العالية، ونصر، وعيسى، وسهل.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤١٢)، والإعراب للنحاس (٣/ ٣٧٦)، والمجمع للطبرسي (٩/ ٢٤٩)، وتفسير الرازي (٢٩/ ٢٦٥)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٣٨٥).

(١) في خ: بقرب.
(٢) ينظر: تفسير الرازي (٢٩/ ٢٦٥).
(٣) ينظر: «معالم التنزيل» (٤/ ٣٠٧-٣٠٨) و«اللباب في علوم الكتاب» (١٨/ ٥٣٦).
(٤) في خ: تمكن بعواهم.
(٥) قرأ بها: حمزة، ورويس، والأعمش، ويحيى بن وثاب، وطلحة، وابن مسعود، وخلف، ويعقوب.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤١٢)، والإعراب للنحاس (٣/ ٣٧٦)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٣٨)، والبحر المحيط (٨/ ٢٣٦)، والتيسير للداني ص (٢٠٩)، والسبعة لابن مجاهد ص (٦٢٨)، والكشف للقيسي (٢/ ٣١٤).
(٦) قرأ بها: أبو حيوة.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٢٣٦)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٧٤).
(٧) قرأ بها: الضحاك، ومجاهد، وحميد.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٢٣٦)، وتفسير القرطبي (١٧/ ٢٩١)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٧٤)، وتفسير الرازي (٢٩/ ٢٦٦).

﴿ويقولونَ في أنفسِهم﴾ أيْ فِيمَا بينهُمْ **﴿لولاَ يُعَذبنا الله بما نقولُ﴾** أيْ هلاَّ يعذبُنَا الله بذلكَ لوْ كانَ محمدٌ نبيا **﴿حسبُهم جهنمُ﴾** عذابًا **﴿يصلونَها﴾** يدخلونَها **﴿فبئسَ المصيرُ﴾** أيْ جهنمُ **﴿يَا أيُّهَا الذينَ آمَنوا إِذَا تناجيتمْ﴾** فِي أنديتِكُمْ وَفِي خلواتِكم **﴿فلا تتناجَوا بالإثمِ والعدوانِ ومعصيةِ الرسولِ﴾** كما يفعلُه المنافقونَ وقرئ (فلا تنتجُوا)[١] وقرئ (فلا تنَاجَوا)[٢] بحذفِ إحدَى التاءين **﴿وتناجَوا بالبرِّ والتَّقوى﴾** أيْ بما يتضمنُ خيرَ المؤمنين والاتقاءَ عن معصيةِ الرسولِ عليهِ الصلاةُ والسلامُ.

﴿واتَّقوا الله الذي إليه تُحشرونَ﴾ وحْدَهُ لاَ إلى غَيْرِهِ استقلالًا أوِ اشتراكًا فيجازيكُم بكُلِّ ما تأتونَ وما تذرونَ **﴿إنَّما النَّجوى﴾** المعهودةُ التِي هِيَ التناجِي بالإثمِ وَالعدوانِ **﴿منَ الشيطانِ﴾** لاَ مِنْ غَيْرِهِ فإنَّه المزينُ لَها والحاملُ عَليهَا وقولِهِ تَعَالى: **﴿ليحزنَ الذينَ آمنُوا﴾** خبرٌ آخرُ أيْ إنَّما هِيَ ليحزنَ المؤمنينَ بتوهمهمْ أنَّها فِي نكبةٍ أصابتهُمْ **﴿وليس بضارِّهم﴾** أي الشيطانُ أو التناجِي بضارٍّ المؤمنينَ **﴿شيئًا﴾** مِنَ الأشياءِ أو شيئًا منَ الضررِ **﴿إلا بإذنِ الله﴾** أيْ بمشيئتِه **﴿وعلى الله فليتوكلِ المؤمنونَ﴾** ولا يبالُوا بنجواهُم فإنَّه تعالى يعصمُهم منْ شرِّهِ وضرِّهِ.

من آداب الإسلام

﴿يَا أيُّهَا الذينَ آمنُوا إِذَا قيلَ لكُم تَفسَّحُوا﴾ أيْ توسعُوا وليفسحْ بعضُكُمْ عنْ بعض ولا تتضامُّوا منْ قولِهم أفسحْ عَنِّي أيْ تنحَّ وقرئ (تفاسحُوا)[٣] وقوله تَعَالى: **﴿في المجالسِ﴾** متعلقٌ بـ (قيلَ) وقرئ (في المجلسِ)[٤] عَلى أنَّ المرادَ بِهِ الجنسُ وقيلَ: مجلسُ الرسولِ عليهِ الصلاةُ والسلامُ وكانُوا يتضامُّون تنافسًا في القُربِ منهُ عليهِ

(١) قرأ بها: عاصم، وحمزة، ويعقوب، ورويس، والأعمش، وأبو حيوة، وابن مسعود، ويحيى بن وثاب. ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤١٢)، والبحر المحيط (٨/ ٢٣٦)، وتفسير القرطبي (١٧/ ٢٩٤)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٧٤)، والمجمع للطبرسي (٩/ ٢٤٩)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٣٨٥).

(٢) قرأ بها: ابن محيصن.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤١٢)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٧٤).

(٣) قرأ بها: عيسى، والحسن، وقتادة، وداود بن أبي هند.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤١٢)، والإعراب للنحاس (٣/ ٣٧٨)، والبحر المحيط (٨/ ٢٣٦)، وتفسير القرطبي (١٧/ ٢٩٧)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٧٥)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٣١٥)، والمعاني للفراء (٣/ ١٤١).

(٤) قرأ بها: أبو عمرو، وابن كثير، ونافع، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، وأبو جعفر، ويعقوب، وخلف. ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤١٢)، والإعراب للنحاس (٣/ ٣٧٨)، والبحر المحيط (٨/ ٢٣٦)، والتبيان للطوسي (٩/ ٥٤٨)، والسبعة لابن مجاهد ص (٦٢٩)، والغيث للصفاقسي ص (٣٦٦).

الصلاةُ والسَّلامُ وحِرْصًا على استماعِ كلامِهِ وقيلَ: هو المجلسُ منْ مجالسِ القتالِ وهيَ مراكزُ الغُزاةِ كقولِهِ تَعَالى: ﴿مَقاعدَ للقتالِ﴾ [سورة آل عمران، الآية ١٢١] قيلَ: كانَ[١] الرجلُ يأتي الصفَّ ويقولُ: تفسحُوا فيأبَونَ لِحرصِهم عَلى الشهادةِ وقرئَ (فِي المجلَسِ)[٢] بفتح اللامِ فَهُو متعلقٌ بـ (تفسحُوا) قطعًا أيْ توسعُوا فِي جلوسِكم ولا تتضايقُوا فيه ﴿فافسحُوا يفسحِ الله لكُم﴾ أي فِي كلِّ ما تريدونَ التفسحَ فيهِ منَ المكانِ والرزقِ [والصدرِ][٣] والقَبرِ وغيرِهَا ﴿وإذا قيلَ انشزُوا﴾ أي انهضُوا للتوسعةِ عَلى المقبلينَ[٤] أوْ لِمَا أمرتمْ بِهِ منْ صلاةٍ أو جهادٍ أو غَيرِهِمَا منْ أعمالِ الخيرِ ﴿فانشزُوا﴾ فانهضُوا ولا تتثبطُوا ولا تفرطُوا وقرئَ بكسرِ الشينِ[٥] ﴿يرفعِ الله الذينَ آمنُوا منكُم﴾ بالنصرِ وحسنِ الذكرِ في الدُّنيا والإيواءِ إلى غُرفِ الجنانِ في الآخرةِ ﴿والذينَ أُوتوا العلم﴾ منهُمْ خصوصًا ﴿درجاتٍ﴾ عالية بما جمعُوا منْ أثرتي[٦] العلم والعملِ فإنَّ العلمَ معَ علوِّ رتبتِه يقتضِي العملُ المقرونُ بِهِ مزيدَ رفعةٍ لا يدركُ شأْوَهُ العملُ العاريُّ عَنْهُ وإنْ كانَ في غايةِ الصلاحِ ولذلكَ يقتدي بالعالمِ [في أفعالِه][٧] ولا يقتدى بغيرِهِ وفي الحديثِ: «فضلُ العالمِ عَلى العابدِ كفضلِ القمرِ ليلة البدرِ عَلى سائرِ الكواكبِ»[٨] ﴿والله بما تعملونَ خبيرٌ﴾ تهديدٌ لمنْ [لَمْ يمتثلْ][٩] بالأمرِ وقرئَ (يعملونَ)[١٠] بالياءِ التحتانيةِ.

﴿يَا أيُّهَا الذِينَ آمَنُوا إذَا ناجيتُم الرسولَ﴾ في بعضِ شؤونكُم المهمةِ الداعية إلى مناجاتِهِ عليهِ الصلاةُ والسَّلامُ: ﴿فقدِّمُوا بينَ يدي نجواكُم صدقةً﴾ أيْ فتصدقُوا قبلَها مستعارٌ ممنْ لهُ يدانِ وفي هذا الأمرِ تعظيمُ الرسولِ ﷺ وإنفاعُ الفقراءِ والزجرُ عنِ الإفراطِ في السؤالِ والتمييزُ بينَ المخلصِ والمنافقِ ومحبِّ الآخرةِ ومحبِّ الدُّنيا

---

(١) في خ: فإن.
(٢) ينظر: البحر المحيط (٨/ ٢٣٦).
(٣) سقط في خ.
(٤) في خ: المصلين.
(٥) قرأ بها: ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وحمزة، والكسائي، وشعبة، والحسن، والأعمش، وطلحة، وحماد، ويحيى.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤١٢)، والإعراب للنحاس (٣/ ٣٧٩)، والحجة لابن خالويه ص (٣٤٤)، والغيث للصفاقسي ص (٣٦٦)، والمجمع للطبرسي (٩/ ٢٥١)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٣٨٥).
(٦) في خ: أولي.
(٧) سقط في خ.
(٨) تقدم تخريجه في سورة النمل.
(٩) في خ: يتمثل.
(١٠) قرأ بها: أبو عمرو، وعباس.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٢٣٧).

واختلفَ في أنَّه للندبِ أو للوجوبِ لكنهُ نُسِخَ بقولِهِ تَعَالى: ﴿أأشفقتُم﴾ [سورة المجادلة، الآية ١٣] وهُوَ وإنْ كَان متصلًا بِهِ تلاوةً لكنَّه متراخٍ عَنْهُ نزولًا وَعَنْ عليٍّ رضيَ الله عنهُ: «إنَّ فِي كتابِ الله آيةً ما عَمِلَ بِهَا أحدٌ غَيْرِي كَانَ لي دينارٌ فصرفتُه فكنتُ إذَا ناجيتُه عليهِ الصلاةُ والسلامُ تصدقتُ بدرهم»[١] وهُوَ على القولِ بالوجوبِ محمولٌ على أنَّه لمْ يتفقْ للأغنياءِ مناجاةٌ في مدةِ بقائِه إذْ رُوي أنَّه لمْ يَبقَ إلاَّ عشرًا وقيل: إلاَّ ساعةً ﴿ذلكَ﴾ أي التصدق ﴿خيرٌ لكُمْ وأطهرُ﴾ أيْ لأنفسكم منَ الريبةِ وحبِّ المَالِ وهذا يشعرُ بالندبِ لكنَّ قولَهُ تَعَالى: ﴿فإنْ لم تجدُوا فإنَّ الله غفورٌ رحيمٌ﴾ منبئٌ[٢] عنِ الوجوبِ لأنَّه ترخيصٌ لمنْ لَمْ يجدْ فِي المناجَاةِ بلا تصدقٍ ﴿أأشفقتُم أنْ تقدِّموا بينَ يدي نجواكُم صدقاتٍ﴾ أيْ أخفتمْ الفقرَ منْ تقديمِ الصدقاتِ أو أخفتمْ التقديمَ لما يعدكُم الشيطانُ عليهِ منَ الفقرِ وجمعَ صدقاتٍ لجمعِ المخاطبينَ ﴿فإذْ لم تفعلُوا﴾ ما أمرتمْ بهِ وشَقَّ عَليكُمْ ذلكَ ﴿وتابَ الله عليكُم﴾ بأنْ رخصَ لكُم ألا تفعلُوه وفيه إشعارٌ بأنَّ إشفاقَهُم ذنبٌ تجاوزَ الله عنْهُ لما رأى منهم منَ الانفعالِ مَا قامَ مقَام توبتهِم وإذْ عَلى بابِهَا مِنَ المُضيِّ وقيلَ: بِمَعْنى إذَا كَمَا في قولِهِ تَعَالى: ﴿إذ الأغلالُ في أعناقِهِم﴾ [سورة غافر، الآية ٧١] وقيلَ: بمعنى إنْ: ﴿فأقيمُوا الصلاة وآتُوا الزكاةَ﴾ أيْ فإذْ فرطتُم فِيمَا أُمِرتُمْ بهِ منْ تقديمِ الصدقاتِ فتداركُوه بالمثابرةِ[٣] عَلى إقامةِ الصلاةِ وإيتاءِ الزكاةِ ﴿وأطيعُوا الله ورسولَه﴾ في سائرِ الأوامرِ فإنَّ القيامَ بِها [كالجابرِ][٤] لما وقعَ في ذلكَ من التفريطِ ﴿والله خبيرٌ بما تعملونَ﴾ ظاهرًا وباطنًا ﴿ألم ترَ﴾ تعجيب منْ حالِ المنافقينَ الذين كانُوا يتخذونَ اليهودَ أولياءَ ويناصحونَهُم وينقلونَ إليهم أسرارَ المؤمنينَ أيْ ألَمْ تنظُرْ ﴿إلى الذينَ تولَّوا﴾ أيْ: [والوْا][٥] ﴿قومًا غضبَ الله عليهم﴾ وَهُمْ[٦] اليهودُ كَمَا أنبأ عَنْهُ قوله تَعَالى: ﴿منْ لَعَنَهُ الله وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾ [سورة المائدة الآية٦٠] ﴿ما هُم منكُم ولا منْهُم﴾ لأنهم منافقونَ مذبذبونَ بينَ ذلكَ والجملةُ مستأنفةٌ أو حالٌ منْ فاعِلِ تولُوا ﴿ويحلفونَ على الكذبِ﴾ أي يقولونَ والله إنَّا لمسلمونَ وهو عطفٌ عَلى تولَّوا داخلٌ في حُكم التعجيبِ وصيغةُ المضارعِ للدلالةِ على تكرر[٧] الحلفِ وتجددِهِ حسبَ تكررِ ما يقتضيهِ وقوله تَعَالى: ﴿وهُم يعلمونَ﴾ حالٌ منْ فاعِلِ يحلفونَ مفيدةٌ لكمال شناعةِ ما فعلُوا فإنَّ الحلفَ عَلى مَا

---

(١) أخرجه الحاكم (٢/ ٤٨٢) من طريق عبد الرحمن بن أبي ليلى عن علي به.
(٢) في خ: مبني.
(٣) في خ: بالمبادرة.
(٤) في خ: ظاهر.
(٥) في خ: ولو.
(٦) في خ: أي.
(٧) في خ: تكرار.

يُعلمُ أنَّه كذبٌ في غايةِ القُبحِ وفيهِ دلالةٌ على أنَّ الكذبَ يعمُّ ما يعلمُ المخبرُ عدمَ مطابقتِهِ للواقعِ وما لا يعلمُه. رُوي أنَّه عليهِ الصلاةُ والسَّلامُ كانَ في حجرةٍ من حجراتِهِ فقال: «يدخلُ عليكُم الآن رجلٌ قلبُه قلبُ جبارٍ، وينظرُ بعينِ شيطانٍ، فدخلَ عبدُ اللَّهِ بن نَبْتَل المنافقُ، وكان أزرقَ، فَقَالَ له رسولُ الله ﷺ: «**علامَ**[١] **تشتمني أنت وأصحابُك**» فحلفَ بالله ما فعلَ فقالَ عليهِ الصلاة والسلامُ: «**فعلتَ**» فانطلق فجاءَ بأصحابه فحلفُوا بالله ما سبُّوه فنزلتْ[٢].

﴿**أعدَّ الله لَهُم**﴾ بسببِ ذلكَ ﴿عذابًا شديدًا﴾ نوعًا من العذابِ متفاقمًا ﴿إنهم ساء ما كانوا يعملون﴾ فيما مَضَى منَ الزمانِ المتطاولِ فتمرنُوا على سوءِ العمل وضرُوْا به وأصرُّوا عليه ﴿اتخذُوا أيمانَهم﴾ الفاجرةَ التي يحلفونَ بِهَا عندَ الحاجَةِ وقرئ بكسرِ الهمزةِ[٣] أيْ إيمانُهُم الذي أظهروه لأهل الإسلامِ ﴿جُنَّةً﴾ وقايةً وسترةً دونَ دمائِهم وأموالِهم فالاتخاذُ على هذهِ القراءةِ عبارةٌ عن التسترِ بما أظهروه بالفعلِ وأمَّا عَلى القراءةِ الأولى فهو عبارةٌ عن إعدادِهم لأيمانِهم الكاذبةِ وتهيئتِهم لَها إلى وقتِ الحاجةِ ليحلفوا بِهَا ويتخلصُوا من المؤاخذةِ لا عنِ استعمالِها بالفعلِ فإنَّ ذلك متأخرٌ عنِ المؤاخذة المسبوقةِ بوقوعِ الجنايةِ والخيانةِ، واتخاذُ الجُنَّةِ لاَ بُدَّ أنْ يكونَ قبلَ المؤاخذةِ وعن سبَبِها أيضًا كَمَا يعربُ عنْهُ الفاءُ في قولِهِ تَعالى: ﴿فصدُّوا﴾ أي الناس ﴿عن سبيلِ الله﴾ في خلالِ أمنهِم بتثبيطِ من لقوْا عنِ الدخولِ في الإسلامِ وتضعيفِ أمرِ المسلمينَ عندهُمْ ﴿فَلهم عذابٌ مهينٌ﴾ وعيدٌ ثانٍ بوصفٍ آخرَ لعذابِهم وقيلَ: الأولُ عذابُ القبرِ وَهَذا[٤] عذابُ الآخرةِ. ﴿لنْ تُغْني عنهُم أموالُهم ولا أولادُهم من الله﴾ أي منْ عذابِه تَعالى ﴿شيئًا﴾ منَ الإغناءِ رُوي أنَّ رجلًا منهم قالَ: لنُنصَرَنَّ[٥]

---

(١) في خ: على ما.

(٢) أخرجه الحاكم (٢/ ٤٨٢)، كتاب: التفسير، باب: «إذا ترك الصلاة أهل قرية...»، وأحمد (١/ ٢٤٠)، والطبري في تفسيره (١٢/ ٢٥)، رقم (٣٣٨٠٨)، مقطوعًا، والطبراني في الكبير (١٢/ ٧)، رقم (١٢٣٠٧).
والواحدي في أسباب النزول ص (٤٣٣).
وذكره الهيثمي في المجمع (٧/ ١٢٥)، وقال: رواه أحمد والبزار ورجال الجميع رجال الصحيح.
وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٣/ ٤٣٢) لابن مردويه.

(٣) قرأ بها: الحسن، وأبو العالية.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٢٣٨)، وتفسير القرطبي (١٧/ ٣٠٤)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٧٧)، والمجمع للطبرسي (٩/ ٢٥٤)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٣١٥)، وتفسير الرازي (٢٩/ ٢٧٤)

(٤) في خ: هو. (٥) في خ: لنصرف.

يومَ القيامَةِ بأنفسنا وأموالِنا وأولادِنا ﴿أُولئكَ﴾ الموصوفونَ بما ذكرَ منَ الصفاتِ القبيحةِ ﴿أَصحابُ النَّارِ﴾ أيْ ملازمُوهَا ومقارنُوهَا ﴿هُم فِيهَا خالدونَ﴾ لا يخرجونَ منها أبدًا ﴿يومَ يبعثُهم الله جميعًا﴾ قيلَ: هو ظرفٌ لقولِهِ تَعالى: ﴿لهم عذابٌ مهينٌ﴾ ﴿فيحلفونَ لَهُ﴾ أيْ لله تعالى يومئذٍ على أنهُمْ مسلمونَ ﴿كَمَا يحلفونَ لكُم﴾ فِي الدُّنيا ﴿ويحسبونَ﴾ في الآخرةِ ﴿أنَّهم﴾ بتلكَ الأيمانِ الفاجرةِ ﴿على شيءٍ﴾ من جلبِ منفعةٍ أو دفعِ مضرةٍ كما كانُوا عليهِ في الدُّنيا حيثُ كانوا يدفعونَ بِهَا عنْ أرواحِهم وأموالِهم ويستجرونَ بها فوائدَ دنيويةً ﴿ألا إنَّهم هُم الكاذبونَ﴾ البالغونَ في الكذبِ إلى غايةٍ لا مطمحَ وراءَها حيثُ تجاسرُوا عَلى الكذبِ بينَ يَدي علاَّمِ الغيوبِ وزعمُوا أنَّ أيمانَهُم الفاجرةَ تروجُ الكذبَ لديهِ كَمَا تروجُهُ عندَ الغافلينَ.

﴿استحوذَ عليهم الشيطانُ﴾ أي استولى عليهمْ منْ حُذتُ الإبلَ إذَا استوليتُ علَيها وجمعتها وهوَ مما جاء على الأصلِ [كاستصوبَ][(١)] واستنوقَ أي ملَكهُم ﴿فأنساهُم ذكرَ الله﴾ بحيثُ لم يذكرُوه بقلوبِهم ولا بألسنتِهم ﴿أولئكَ﴾ الموصوفونَ بما ذكرَ من القبائحِ ﴿حزبُ الشيطانِ﴾ [أيْ: جنودُهُ وأتباعُهُ ﴿ألاَ إنَّ حزبَ الشيطانِ هُم الخاسرونَ﴾ أي الموصوفونَ بالخُسرانِ الذي لا غايةَ وراءَهُ حيثُ فوتُوا على أنفسِهم النعيمَ المقيمَ وأخذُوا بدَلَهُ العذابَ الأليمَ، وفي تصديرِ الجملةِ بحرفي التنبيهِ والتحقيقِ وإظهارِ المضافينِ معًا في موقعِ الإضمارِ بأحدِ الوجهينِ وتوسيطِ ضميرِ الفصلِ منْ فنونِ التأكيد ما لا يَخْفَى.

﴿إنَّ الذينَ يُحادُّون الله ورسولَه﴾ استئنافٌ مسوقٌ لتعليلِ ما قبلَهُ من خسرانِ حزبِ الشيطانِ][(٢)] عبرَ عنهُمْ بالموصولِ للتنبيهِ بما في حيزِ الصلةِ عَلى أنَّ مُوادةَ مَنْ حَادَّ الله ورسولَهُ محادّةٌ لَهُمَا والإشعارِ بعلةِ الحُكم ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون إن الذين يحادون الله ورسوله ﴿أُولئكَ﴾ بما فَعلُوا منَ التولِي والموادةِ ﴿فِي الأذلينَ﴾ أيْ في جُملةِ منْ هُو أذلُّ خلقِ الله منَ الأولينَ والآخرينَ لأنَّ ذلةَ أحدِ المتخاصمين على مقدارِ عزةِ الآخرِ وحيثُ كانتْ عزةُ الله عزَّ وجلَّ غير متناهيةٍ كانتُ ذلة من يحادُّهُ كذلك.

﴿كتبَ الله﴾ استئنافٌ واردٌ لتعليلِ كونِهمْ في الأذلينَ أيْ قَضَى وأثبتَ في اللوحِ وحيثُ جَرَى ذلكَ مَجرى القسمِ[(٣)] أجيبَ بما يجابُ به فقيلَ: ﴿لأغلبنَّ أَنَا ورُسلي﴾

---

(١) في خ: كما سيصوب. (٢) سقط في خ.
(٣) في خ: أنفسهم.

أيْ بالحجةِ والسيفِ وما يجري مجراهُ أو بأحدِهِمَا ونظيرُهُ قولُه تعالى: ﴿ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين * إنهم لهم المنصورون * وإن جندنا لهم الغالبون﴾ [سورة الصافات، الآية ١٧١ ـ ١٧٣]. وقُرِئَ (ورسليَ)[1] بفتح الياء ﴿إنَّ الله قويٌّ﴾ عَلَى نصرِ أنبيائِهِ ﴿عَزيزٌ﴾ لا يُغلب عليهِ في مرادِهِ.

﴿لا تجدُ قومًا يؤمنونَ بالله واليومِ الآخرِ﴾ الخطابُ للنبيِّ عليهِ الصلاةُ والسَّلامُ أوْ لكُلِّ أحدٍ وتجدُ إمَّا متعدٍ إلى اثنينِ فقوله تَعالى: ﴿يُوادُّون مَنْ حادَّ الله ورسولَهُ﴾ مفعولُه الثاني أوْ إلى واحدٍ فهو حالٌ من مفعولِه لتخصصه[2] بالصفةِ وقيلَ: صفةٌ أُخرى لَهُ أيْ قومًا جامعينَ بينَ الإيمانِ باللهِ واليومِ الآخرِ وبينَ موادةِ أعداءِ الله ورسولِه والمرادُ بنفيِ الوجدانِ نفيُ الموادةِ عَلى مَعْنَى أنهُ لا ينبغي أنْ يتحققَ ذلكَ وحقُّه أن يمتنعَ ولا يوجد بحالٍ وإنْ جدَّ[3] في طلبهِ كلُّ أحدٍ ﴿وَلَو كَانُوا﴾ أيْ مَنْ حادَّ الله ورسولَهُ والجمعُ باعتبارِ معنَى مَنْ كَمَا أنَّ الإفرادَ فيما قبلَهُ باعتبارِ لفظها ﴿آباءَهُم﴾ آباء الموادِّينَ ﴿أو أبناءَهُم أو إخوانَهُم أو عشيرتَهُم﴾ فإنَّ قضيةَ الإيمانِ بالله تعالى أَنْ يهجرَ الجميعَ بالمرةِ والكلامُ في لَوْ قَدْ مرَّ على التفصيل مرارًا.

﴿أولئكَ﴾ إشارةٌ إلى الذينَ لا يوادونهم وإنْ[4] كانُوا أقربَ النَّاسِ إليهم وأمسَّ رحمًا وما فيه من معَنى البعدِ لرفعةِ درجتهم في الفضلِ وهُوَ مبتدأ خبرُهُ ﴿كتبَ في قلوبِهم الإيمانَ﴾ أي أثبتَهُ فيها وفيهِ دلالةٌ عل خروجِ العملِ منْ مفهومِ الإيمانِ فإنَّ جزءَ الثابتِ في القلبِ ثابتٌ فيهِ قَطْعًا ولا شيءَ من أعمالِ الجوارحِ يثبتُ فيهِ ﴿وأيَّدهُم﴾ أيْ قوَّاهُم ﴿بروحٍ منهُ﴾ أيْ مِنْ عندِ الله تعالى وهُوَ نورُ القلبِ أوِ القرآنُ أو النصرُ على العدوِّ وقيلَ: الضميرُ للإيمانِ لحياةِ القلوبِ بهِ فمنْ تجريديةٌ وقولُهُ تعالَى: ﴿ويُدخلهم﴾ . . .إلخ بيانٌ لآثارِ رحمتِهِ الأخرويةِ إثرَ بيانِ ألطافِهِ الدنيويةِ أيْ ويدخلهُم في الآخرةِ ﴿جنَّات تَجْري منْ تحتِها الأنهارُ خالدِينَ فيها﴾ أبدَ الآبدينَ وقولُه تَعالى: ﴿رَضِيَ الله عنهُم﴾ استئنافٌ جارٍ مَجْرَى التعليلِ لما أفاضَ عليهمْ مِنْ آثارِ رحمتِهِ العاجلةِ والآجلةِ وقولُه تَعالَى: ﴿ورضُوا عنْهُ﴾ بيانٌ لابتهاجِهم بما أوتُوه

---

(١) قرأ بها: نافع، وابن عامر، وأبو جعفر.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤١٢)، والتيسير للداني ص (٢٠٩)، والسبعة لابن مجاهد ص (٦٢٩)، والغيث للصفاقسي ص (٣٦٦)، والكشف للقيسي (٢/ ٣١٥)، وتفسير الرازي (٢٩/ ٢٧٥)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٣٨٦).

(٢) في خ: لتخصيصه.

(٣) في خ: وجد.

(٤) في خ: ولو.

عاجلًا وآجلًا وقولُه تَعَالَى: ﴿أولئكَ حزبُ الله﴾ تشريفٌ لهُمْ ببيانِ اختصاصِهم بهِ عزَّ وجلَّ وقولُه تعالَى: ﴿ألا إنَّ حزبَ الله هُم المُفْلحونَ﴾ بيانٌ لاختصاصهم بالفوزِ بسعادةِ الدارينِ والفوزِ بسعادةِ النشأتينِ والكلامُ في تحليةِ الجملةِ بفنونِ التأكيدِ كَمَا مَرَّ فِي مثلِها والله أعلم.

عن النبيِّ عليه الصلاةُ والسَّلامُ: «**مَنْ قَرَأَ سورةَ المجادلةِ كتبَ منْ حزبِ الله يومَ القيامةِ**»[1] والله الموفق بمنه وكرمه.

(١) حديث موضوع من حديث أبي بن كعب وهو حديث فضائل القرآن وقد تقدم الكلام عليه.

سُورَةُ الحَشرِ

مدنيةٌ وآيُها أربعٌ وعشرونَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ (١) هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ
مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُواْ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ
ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي
ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ (٢) وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا وَلَهُمْ
فِي ٱلْأٓخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ (٣) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ
(٤) مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِيَ ٱلْفَٰسِقِينَ (٥) وَمَآ
أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن
يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٦) مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي
ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةَۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ
فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ (٧) لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ
أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ
ٱلصَّٰدِقُونَ (٨) وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي
صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ
فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ (٩) وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا
ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١٠) ۞
أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ
لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ (١١) لَئِنْ
أُخْرِجُواْ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُواْ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ
(١٢) لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ (١٣) لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ
جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ

ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ۖ ذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ
﴿١٥﴾ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ
رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾
وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ
وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا
مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى
لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا
هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا
يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾

﴿سبَّحَ لله مَا فِي السَّمواتِ ومَا في الأرضِ وهُو العزيزُ الحكيمُ﴾ مرَّ ما فيه من الكلامِ في صدرِ سورةِ الحديدِ وقد كُررَ الموصولُ هاهنا لزيادةِ التقريرِ والتنبيهِ على استقلالِ كلٍّ من الفريقين بالتسبيح. روي أنه عليه الصلاة والسلام لما قدم المدينة صالحَ بني النضير وهُم رهطٌ من اليهودِ من ذريةِ هارون عليه السلام نزلوا المدينةَ في فتن بني إسرائيلَ انتظارًا لبعثِه عليه الصلاة والسلام وعاهدَهُم ألا يكونُوا لهُ ولا عليهِ فلما ظهرَ عليه الصلاةُ والسلامُ يومَ بدرٍ قالُوا هو النبيُّ الذي نعتُه في التوراةِ لا تردُّ له رايةٌ فلما كان يومُ أحدٍ ما كان ارتابُوا ونكثُوا فخرجَ كعبُ بن الأشرفِ في الأربعينَ راكبًا إلى مكةَ فحالفُوا قريشًا عند الكعبةِ على قتالِه عليه الصلاةُ والسلامُ فأمرَ عليه الصلاةُ والسلامُ محمدَ بنَ مَسْلَمَةَ الأنصاريَّ فقتلَ كعبًا غِيلةً وكان أخاهُ من الرضاعَةِ ثم صبَّحهم بالكتائبِ فقال لهم: اخرُجوا من المدينةِ فاستمهلُوه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ عشرةَ أيامٍ ليتجهزُوا للخروجِ فدسَّ عبدُ اللَّهِ بنُ أُبي المنافقُ وأصحابُه إليهم لا تخرجوا من الحصنِ فإن قاتلوكم فنحنُ معكم لا نخذلُكم ولئن خرجتُم لنخرجَنَّ معكم فدربوا على الأزقَّةِ وحصَّنُوها فحاصرَهُم النبيّ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ إحدى وعشرينَ ليلةً فلما قذفَ الله في قلوبهم الرعبَ وأيسُوا من نصرِ المنافقين طلبُوا الصلح فأبى عليهم إلا الجلاءَ على أن يَحمِلَ كلُّ ثلاثةِ أبياتٍ على بعيرٍ ما شاءُوا من متاعِهم فجلوا إلى الشأم إلى أريحا وأذرعاتٍ إلا أهلَ بيتينِ منهم آلُ أبي الحقيقِ وآلُ حُيي بنِ أخطبَ فإنَّهم لحقُوا بخيبرَ ولحقتْ طائفةٌ منهم بالحيرةِ فأنزلَ الله تعالى: ﴿سبحَ لله مَا في

السمواتِ﴾ [سورة الحشر، الآية ١] إلى قوله تعالى: ﴿والله على كُلِّ شيءٍ قديرٌ﴾[(١)] [سورة الحشر، الآية ٦].

طرد اليهود من المدينة

وقولُه تعالى: **﴿هُو الذي أخرجَ الذينَ كفروا من أهلِ الكتابِ من ديارِهم﴾** بيانٌ لبعضِ آثارِ عزته تعالى وأحكام حكمتِه إثرَ وصفِه تعالى بالعزةِ القاهرةِ والحكمةِ الباهرةِ على الإطلاقِ. والضميرُ راجعٌ إليه تعالى بذلك العنوانِ إما بناءً على كمالِ ظهورِ اتصافه تعالى بهما مع مساعدةٍ تامةٍ من المقامِ أو على جعلِه مُستعارًا لاسمِ الإشارةِ كما في قوله تعالى: ﴿قلْ أرأيتُم إنْ أخذَ الله سَمعكم وأبصارَكم وختمَ علىَ قلوبِكم منْ إلٰهٌ غيرُ الله يأتيكُم بهِ﴾ [سورة الأنعام، الآية ٤٦] أي بذلك وعليهِ قولُ رُؤْبَةَ بن العجاجِ: [الرجز]

.... كـأنَّـهُ فِي الـجـلـدِ تَـوْلـيـعُ الـبَـهَـقْ[(٢)]

كما هُو المشهورُ كأنه قيلَ: ذلك المنعوتُ بالعزةِ والحكمةِ الذي أخرجَ. . .إلخ ففيهِ إشعارٌ بأن في الإخراجِ حكمةً باهرةً وقوله تعالَى: **﴿لأولِ الحشرِ﴾** أيْ في أولِ حشرِهم إلى الشأم وكانوا مِن سبطٍ لم يصبهم جلاءٌ قط وهم أولُ من أخرجَ من جزيرةِ العربِ إلى الشام أو هذا أولُ حشرِهم وآخرُ حشرِهم إجلاءُ عمرَ رضي الله عنه إيَّاهم من خيبرَ إلى الشامِ وقيلَ: آخر حشرِهم حشرُ يومِ القيامةِ لأنَّ المحشرَ يكونُ بالشامِ.

﴿ما ظننتم﴾ أيها المسلمون **﴿أنْ يخرجُوا﴾** من ديارِهم بهذا الذلِّ والهوانِ لشدةِ بأسِهم وقوةِ منعتِهم **﴿وظنُّوا أنهم مانعتُهم حصونُهم من الله﴾** أيْ ظنوا أنَّ حصونهم تمنعُهم أو مانعتُهم من بأس الله تعالى. وتغييرُ النظم بتقديم الخبر وإسنادُ الجملةِ إلى ضميرِهم للدلالةِ على كمالِ وثوقِهم بحصانةِ حصونِهم واعتقادهم في أنفسهم أنهم في عزة ومنعةٍ لا يُبَالي معها بأحدٍ يتعرضُ لهم أو يطمعُ في مُعازّتهم[(٣)]، ويجوزُ أن يكونَ مانعتُهم خبرًا لأنَّ وحصونُهم مرتفعًا على الفاعليةِ **﴿فأتاهم الله﴾** أي أمرُ الله تعالى وقدرُه المقدورُ لهم **﴿من حيثُ لم يحتسبُوا﴾** ولم يخطرْ ببالِهم وهو قتلُ رئيسهم كعبِ بنِ الأشرفِ فإنه مما أضعفَ قوتَهم وفلَّ شوكتَهم وسلب قلوبَهم الأمنَ والطمأنينة. وقيل: الضميرُ في أتاهُم ولم يحتسبوا للمؤمنينَ فأتاهم نصرُ الله وقرىء فآتاهُم[(٤)] أي فآتاهُم الله العذابَ أو النصرَ **﴿وقذفَ في قلوبهم الرعب﴾** أيْ أثبتَ فيها

---

(١) ذكر هكذا بدون إسناد الواحدي في «أسباب النزول»، ص (٢٧٨).

(٢) تقدم.

(٣) في خ: مفارتهم.

(٤) ينظر: الكشاف للزمخشري (٤/ ٨٠)، وتفسير الرازي (٢٩/ ٢٨٠).

الخوفَ الذي يرعبُها أي يملؤُها ﴿يخربونَ بيوتَهم بأيديهم﴾ ليسدُّوا بما نقضُوا منها من الخشبِ والحجارةِ أفواهَ الأزقةِ ولئلا يبقى بعد جلائهم مساكنُ للمسلمينَ ولينقلُوا معهم بعضَ آلاتِها المرغوبِ فيها مما يقبلُ النقلَ ﴿وأيدي المؤمنينَ﴾ حيثُ كانوا يخربونَها إزالةً لمتحصَّنِهم ومتمنَّعِهم وتوسيعًا لمجالِ القتالِ ونكايةً لهمْ وإسنادُ هذا إليهم لما أنهمُ السببُ فيه فكأنَّهم كلَّفوهم إيَّاه وأمرُوهم به. قيلَ: الجملةُ حالٌ أو تفسيرٌ للرعبِ وقرئ (يخَرِّبُونَ)[١] بالتشديدِ للتكثيرِ وقيلَ: الإخرابُ التعطيلُ أو تركُ الشيءِ خرابًا والتخريبُ النقضُ والهدمُ ﴿فاعتبرُوا يا أُولي الأبصار﴾ فاتعظُوا بما جَرى عليهمْ من الأمورِ الهائلةِ على وجهٍ لا يكادُ تهتدي إليه الأفكارُ واتَّقوا مباشرةَ ما أدَّاهُم إليه منَ الكفرِ والمعاصي، أو انْتَقلُوا من حالِ الفريقينِ إلى حالِ أنفسِكم فلا تُعوِّلوا على تعاضُدِ الأسبابِ بل توكَّلُوا على الله عزَّ وجلَّ وقدِ استدلَّ به على حجيةِ القياسِ كما فُصِّل في موقِعِه[٢].

﴿ولولا أنْ كتبَ الله عليهم الجلاءَ﴾ أي الخروجَ عن أوطانِهم على ذلك الوجهِ الفظيعِ ﴿لعذَّبهم في الدُّنيا﴾ بالقتلِ والسَّبي كما فعلَ ببني قريظة ﴿ولهم في الآخرةِ عذابُ النَّارِ﴾ استئنافٌ غيرُ متعلقٍ بجوابِ لولا جيءَ به لبيانِ أنَّهم إنْ نجَوا من عذابِ الدُّنيا بكتابةِ الجلاءِ لا نجاةَ لهم منْ عذابِ الآخرةِ ﴿ذلك﴾ أي ما حاقَ بهم وما سيحيقُ ﴿بأنَّهم﴾ بسببِ أنهم ﴿شاقُّوا الله ورسُولَهُ﴾ وفعلُوا ما فعلُوا مما حُكي عنهُم من القبائحِ ﴿ومنْ يشاقِّ الله﴾ وقرئ (يشاققِ الله)[٣] كما في الأنفالِ والاقتصارُ على ذكرِ مشاقَّتِهِ تعالى لتضمُّنِها لمشاقَّتِهِ عليهِ الصلاةُ والسلامُ وليوافقَ قولَهُ تعالى ﴿فإنَّ الله شديدُ العقابِ﴾ وهو إمَّا نفسُ الجزاءِ قد حُذِفَ منه العائدُ إلى عندِ منْ يلتزمُهُ أي شديدُ العقابِ له أو تعليلٌ للجزاءِ [المحذوفِ][٤] أي: يعاقبُهُ الله فإنَّ الله شديدُ العقابِ وأيا مَا كانَ فالشرطيةُ تكملةٌ لما قبلها وتقريرٌ لمضمونِهِ وتحقيقٌ للسببيةِ بالطريقِ

---

(١) قرأ بها: أبو عمرو، وقتادة، الجحدري، ومجاهد، وأبو حيوة، وعيسى، والحسن، واليزيدي، وأبو عبد الرحمن السلمي.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤١٣)، والبحر المحيط (٨/ ٢٤٣)، والتبيان للطوسي (٩/ ٥٥٧)، والتيسير للداني ص (٢٠٩)، وتفسير الطبري (٢٨/ ٢١)، وتفسير القرطبي (١٨/ ٤)، والسبعة لابن مجاهد ص (٦٣٢)، والغيث للصفاقسي ص (٣٦٦).

(٢) في خ: موضعه.

(٣) قرأ بها: طلحة بن مصرف.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٢٤٤)، وتفسير القرطبي (١٨/ ١٠)، والمجمع للطبرسي (٩/ ٢٥٦).

(٤) سقط في خ.

البرهانيّ كأنه قيلَ ذلك الذي حاقَ بهم من العقابِ العاجلِ والآجلِ بسببِ مشاقَّتِهم لله تعالى ورسولِهِ، وكلُّ من يشاقِّ الله كائنًا مَنْ كان فلهُ بسببِ ذلكَ عقابٌ شديدٌ فإذنْ لهم عقابٌ شديدٌ.

﴿ما قطعتُم مِنْ لينةٍ﴾ أيْ أيُّ شيءٍ قطعتُمْ من نخلةٍ وهي فِعْلَةٌ من اللَّوْنِ وياؤُهَا مقلوبةٌ من واوٍ لكسرةِ مَا قَبْلها كَدِيمةٍ وتجمعُ على ألوانٍ وقيلَ من اللينِ وتجمعُ على لِينٍ وهيَ النخلةُ الكريمةُ ﴿أو تركتُمُوها﴾ الضميرُ لِمَا وتأنيثُهُ لتفسيرِهِ باللينةِ كما في قولِهِ تعالى: ﴿ما يفتحِ الله للناسِ من رحمةٍ فلا ممسكَ لها﴾ [سورة فاطر، الآية ٢] ﴿قائمةً على أصُولِهَا﴾ كما كانتْ منْ غيرِ أنْ تتعرضُوا لها بشيءٍ مَا. وقرئَ على أُصُلِهَا[١] إما على الاكتفاءِ من الواوِ بالضمِّ أو على أنه جمعٌ كرُهُنٍ، وقرىء قائمًا على أصُولِهِ[٢] ذهابًا إلى لفظِ مَا ﴿فبإذنِ الله﴾ فذاكَ أي قطعُهَا وتركُهَا بأمرِ الله تعالى: ﴿وليُخزيَ الفاسقينَ﴾ أي وليذلَّ اليهودَ ويغيظَهُمْ أَذِنَ في قطعِهَا وتركِهَا لأنهُم إذا رأَوا المؤمنينَ يتحكمونَ في أموالِهِمْ كيفَ أحبُّوا ويتصرفونَ فيها حسبما شاؤوا من القطعِ والتركِ يزدادونَ غيظًا ويتضاعفونَ حسرةً واستُدلَّ بهِ على جوازِ هدمِ ديارِ الكفرةِ وقطعِ أشجارِهِم وإحراقِ زروعِهِم زيادةً لغيظِهِم. وتخصيصُ اللينةِ بالقطعِ إنْ كانتْ من الألوانِ لاستبقاءِ العجوةِ والبَرْنيةِ[٣] اللتينِ هما كرامُ النخيلِ وإنْ كانتْ هي الكرامَ ليكونَ غيظُهُم أشدَّ.

وقولُهُ تعالى: ﴿وما أفاءَ الله على رسولِهِ﴾ شروعٌ في بيانِ حالِ ما أُخِذَ من أموالِهِم بعدَ بيانِ ما حلَّ بأنفسِهِم من العذابِ العاجلِ والآجلِ وما فُعلَ بديارِهِم ونخيلِهِم من التخريبِ والقطعِ. أي ما أعادَهُ إليهِ من مالِهِم وفيه إشعارٌ بأنه كان حقيقًا بأن يكونَ له عليهِ الصلاةُ والسلامُ وإنما وقعَ في أيديهِم بغيرِ حقٍّ فرجعه الله تعالى إلى مستحقِّهِ لأنه تعالى خلقَ الناسَ لعبادَتِهِ وخَلَقَ ما خَلَقَ ليتوسَّلوا به إلى طاعتِهِ فهو جديرٌ

---

(١) قرأ بها: عبد الله بن مسعود.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٢٤٤)، وتفسير القرطبي (١٨/ ١٠)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٨١)، وتفسير الرازي (٢٩/ ٢٨٣).

(٢) قرأ بها: عبد الله بن مسعود.
ينظر: تفسير القرطبي (١٨/ ١٠)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٨١)، والمعاني للفراء (٣/ ١٤٤)، وتفسير الرازي (٢٩/ ٢٨٣).

(٣) العجوة والبرنية: ضربان من التمر والأول هو من تمر المدينة يضرب إلى السواد ونخلته لينة، قال الأزهري: العجوة بالمدينة هي الصيحانية. والبرنية: ضرب من التمر أحمر مشرَّب بصفرة كثير اللحاء، عذب الحلاوة.

بأنْ يكونَ للمطيعينَ ﴿منهم﴾ أي منْ بني النَّضيرِ ﴿فما أوجفتُم عليهِ﴾ أي فما أجريتُم على تحصيلِهِ وتغنُّمِهِ من الوجيفِ وهو سرعةُ السيرِ ﴿من خيلٍ ولا ركابٍ﴾ هي ما يركبُ من الإبلِ خاصَّة كما أن الراكبَ عندهم راكبُهَا لا غيرُ، وأما راكبُ الفرسِ فإنما يسمُّونه فارسًا، ولا واحدَ لها من لفظِهَا وإنما الواحدةُ منها راحلةٌ والمعنى ما قطعتُم لها شُقةً بعيدةً ولا لقيتُم مشقةً شديدةً ولا قتالًا شديدًا وذلك لأنه كانتْ قُراهم على ميلينِ من المدينةِ فمشَوا إليها مشيًا وما كان فيهم راكبٌ إلا النبيُّ عليهِ الصلاةُ والسلامُ فافتتحهَا صُلحًا من غيرِ أن يجريَ بينهم مسايفةٌ كأنَّهُ قيلَ وما أفاءَ الله على رسولِهِ منهم فما حصلتُموه بكدِّ اليمينِ وعرقِ الجبينِ.

﴿ولكنَّ الله يسلطُ رسلَهُ على منْ يشاءُ﴾ أي سُنَّتهُ تعالَى جاريةٌ على أنْ يسلطَهُم على مَنْ يشاءُ من أعدائِهِم تسليطًا خاصًّا وقد سلَّط النبيَّ عليهِ الصلاةُ والسلامُ على هؤلاءِ تسليطًا غيرَ مُعتادٍ من غيرِ أنْ تقتحموا مضايقَ الخُطُوبِ وتُقَاسُوا شدائِدَ الحروبِ فلا حقَّ لكم في أموالِهِم ﴿والله على كلِّ شيءٍ قديرٌ﴾ فيفعلُ ما يشاءُ كما يشاءُ تارةً على الوجوهِ المعهودةِ وأُخرى على غيرِهَا.

وقوله تعالى: ﴿ما أفاءَ الله على رسولِهِ منْ أهلِ القُرى﴾ بيانٌ لمصارفِ الفيءِ بعدَ بيانِ إفاءَتِهِ عليهِ عليه الصلاةُ والسلامُ من غيرِ أن يكونَ للمقاتلةِ فيه حقٌّ وإعادةُ عينِ العبارةِ الأُولى لزيادةِ التقريرِ، ووضعُ أهلِ القُرى موضعَ ضميرِهِم للإشعارِ بشمولِ مَا لعقارَاتِهِم أيضًا ﴿فللَّهِ وللرسولِ ولذي القُربى واليتامَى والمساكينِ وابنِ السبيلِ﴾اختُلفَ [في][1] قسمةِ الفيءِ [فقيلَ يُسدَّسُ][2] لظاهرِ الآيةِ ويصرفُ سهمُ الله تعالى إلى عمارةِ الكعبةِ وسائرِ المساجدِ، وقيلَ يُخمَّسُ لأن ذكرَ الله للتعظيمِ ويصرفُ الآنَ سهمُ الرسولِ عليهِ الصلاةُ والسلامُ إلى الإمامِ على قولٍ، وإلى العساكرِ والثغورِ على قولٍ، وإلى مصالحِ المسلمينَ على قولٍ. وقيلَ يُخَمَّسُ خمسةً كالغنيمةِ فإنه عليهِ الصلاةُ والسلامُ كان يُقَسِّمُ الخمسَ كذلكَ ويصرفُ الأخماسَ الأربعةَ كما يشاءُ والآنَ على الخلافِ المذكورِ ﴿كي لا يكونَ﴾ أي الفيءُ الذي حقُّه أن يكونَ للفقراءِ يعيشونَ به ﴿دُولةً﴾ بضمِّ الدالِ، وقرئَ بفتحِهَا[3] وهيَ ما يدولُ للإنسانِ أيْ يدورُ من الغِنى والجِدِّ والغلبةِ. وقيلِ الدَّولة بالفتحِ من المُلكِ بالضمِّ وبالضمِّ من المِلكِ بكسرِهَا، أو

---

(١) سقط في خ.
(٢) في خ: قيل السدس.
(٣) قرأ بها: علي، والسلمي، وأبو حيوة.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٢٤٥)، وتفسير الطبري (٢٨/ ٢٧)، وتفسير القرطبي (١٨/ ١٦)، والمعاني للفراء (٣/ ١٤٥)، وتفسير الرازي (٢٩/ ٢٨٦).

بالضَمِّ في المالِ وبالفتحِ في النصرةِ. أي كيلا يكونَ جِدًّا ﴿بينَ الأغنياءِ منكمُ﴾ يتكاثرونَ به أو كي لاَ يكونَ دولةً جاهليةً بينكُمْ؛ فإنَّ الرؤساءَ منهُم كانُوا يستأثرونَ بالغنيمةِ ويقولونَ مَنْ عَزَّ بَزَّ[(١)]. وقيلَ الدُّولةُ بالضمِّ ما يُتداولُ كالغُرفةِ اسمُ مَا يُغترفُ فالمَعنى كي لا يكونَ الفيْءُ شيئًا يتداولُهُ الأغنياءُ ويتعاورونه فلا يصيبُ الفقراءَ. والدَّولةُ بالفتحِ بمعنى التداولِ فالمعنَى: كيلا يكونَ ذَا تداولٍ بينَهُم أو كيلا يكونَ إمساكُهُ تداولًا بينَهُم لا يخرجونَهُ إلى الفقراءِ. وقرئ دولةٌ[(٢)] بالرفعِ على أنَّ كانَ تامةٌ، أيْ كي لاَ يقعَ دولةٌ على ما فُصِّلَ منَ المعانِي.

﴿وما آتاكُم الرسولُ﴾ أي ما أعطاكُمُوه من الفيءِ أو منَ الأمرِ ﴿فخُذُوه﴾ فإنه حقُّكم أو فتمسكُوا به فإنه واجبٌ عليكم ﴿وما نهاكُم عنْهُ﴾ عن أخذِهِ أو عنْ تعاطيهِ ﴿فانتهُوا﴾ عنْهُ ﴿واتَّقُوا الله﴾ في مخالفَتِهِ عليهِ الصلاةُ والسلامُ ﴿إنَّ الله شديدُ العقابِ﴾ فيعاقبُ مَنْ يخالفُ أمرَهُ ونهيَهُ.

﴿للفقراءِ المهاجرينَ﴾ بدلٌ من لذِي القُربى وما عُطفَ عليهِ فإنَّ الرسولَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ لا يسمَّى فقيرًا. ومَن أعطَى الأغنياءَ ذوِي القُربى خصَّ الإبدالَ بما بعدَهُ وأما تخصيصُ اعتبارِ الفقرِ بفيءِ بني النضيرِ فتعسفٌ ظاهرٌ ﴿الذين أُخرِجُوا من ديارِهِم وأموالِهِم﴾ حيثُ اضطرهُم كفارُ مكةَ وأحوجُوهُم إلى الخروجِ وكانُوا مائةَ رجلٍ فخرجُوا منها ﴿يبتغونَ فضلًا من الله ورضوانًا﴾ أي: طالبين منه تعالى رزقا في الدنيا، ومرضاة في الآخرة، ووصفوا أولا بما يدل على استحقاقهم بالفيء من الإخراج من الديار والأموالِ. وقُيِّدَ ذلكَ ثانيًا بما يوجبُ تفخيمَ شأنِهِم ويؤكدُهُ ﴿وينصرُونَ الله ورسولَهُ﴾ عطفٌ على يبتغونَ فهيَ حالٌ مقدرةٌ أي ناوينَ لنصرةِ الله تعالى ورسولِهِ، أو مقارِنةٌ فإنَّ خروجَهُم من بين الكفارِ مراغمينَ لهم مهاجرينَ إلى المدينةِ نصرةٌ وأيُّ نصرةٍ ﴿أولئكَ﴾ الموصوفونَ بما فُصِّلَ من الصفاتِ الحميدةِ ﴿هم الصادقونَ﴾ الراسخونَ في الصدقِ حيثُ ظهرَ ذلكَ بما فعلُوا ظهورًا بينًا.

﴿والذينَ تبوَّءوا الدارَ والإيمانَ﴾ كلامٌ مستأنفٌ مسوقٌ لمدحِ الأنصارِ بخصالٍ

---

(١) أي من غلب سلب، قالت الخنساء:
كأن لم يكونوا حِمى يُتّقى إذِ الناسُ إذ ذاك مَنْ عزَّ بزَّ
قال المفضّل: وأول من قال «من عزَّ بزَّ» رجل من طيئ يقال له جابر بن رألان أحدُ بني ثعل.

(٢) قرأ بها: ابن عامر، وأبو جعفر، وهشام، وأبو حيوة، والأعرج، والحلواني، والأزرق.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤١٣)، والإعراب للنحاس (٣/ ٣٩٥)، والتيسير للداني ص (٢٠٩)، والغيث للصفاقسي ص (٣٦٦)، والكشف للقيسي (٢/ ٣١٦)، والمعاني للفراء (٣/ ١٤٥).

حميدةِ من جُملَتِها محبَّتُهُم للمهاجرينَ ورضاهُم باختصاصِ الفيءِ بهم أحسنَ رِضا وأكملَهُ. ومعنى تبوئِهم الدارَ أنهم اتخذوا المدينةَ[1] والإيمانَ مَبَاءةً وتمكَّنوا فيهما أشدَّ تمكنٍ، على تنزيلِ الحالِ منزلةَ المكانِ. وقيلَ: ضُمِّنَ التبوؤُ معنى اللزومِ. وقيلَ: تبوءوا الدارَ وأخلَصُوا الإيمانَ كقولِ مَنْ قالَ: [الرجز]

عَـلَـفْـتُـهَـا تِـبْـنًـا وَمَـاءً بـارِدًا[2]

وقيلَ: المَعْنَى تبوؤوا دارَ الهجرةِ ودارَ الإيمانِ، فحُذِفَ المضافُ منَ الثاني، والمضافِ إليهِ منَ الأولِ، وعَوِّضَ منه اللامُ. وقيلَ سَمَّى المدينةَ بالإيمانِ لكونِهَا مظهَرَهُ ومنشأَهُ ﴿مِنْ قبلِهِم﴾ أيْ من قبلِ هجرةِ المهاجرينَ على المعانِي الأُوَلِ، ومن قبلِ تبوؤِ المهاجرينَ على الأخيرينِ. ويجوزُ أن يُجعلَ اتخاذُ الإيمانِ مباءةً ولزومُهُ وإخلاصُهُ على المعَانِي الأُوَلِ عبارةً عن إقامةِ كافَّةِ حُقوقِهِ التي من جُمْلَتِهَا إظهارُ عامَّةِ شعائرِه وأحكامِهِ، ولا ريبَ في تقدمِ الأنصارِ في ذلك على المهاجرينَ لظهورِ عجزِهِم عن إظهارِ بعضِهَا لا عَنْ إخلاصِهِ[3] قلبًا واعتقادًا إذْ لا يُتصور تقدُّمهم عليهِمْ في ذلكَ.

﴿يُحبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إليهم﴾ خبرٌ للموصولِ أي يحبونَهُم من حيثُ مهاجَرتُهُم إليهم لمحبتِهِم الإيمانَ ﴿ولا يجدونَ في صدورِهِم﴾ أي في نفوسِهِم ﴿حاجةً﴾ أي شيئًا محتاجًا إليه يقالُ خُذْ منْهُ حاجتَكَ أي ما تحتاجُ إليهِ، وقيلَ إثر حاجةٍ كالطلبِ والحزازةِ والحسدِ والغيظِ ﴿مما أُوتوا﴾ أي ما أُوتِيَ المهاجرونَ منَ الفيءِ وغيرَهِ ﴿ويؤثرونَ﴾ أي يقدمونَ المهاجرينَ ﴿على أنفسِهِم﴾ في كلِّ شيءٍ من أسبابِ المعاشِ حتى إنَّ من كانَ عندهُ امرأتانِ كان ينزلُ عن إحداهُمَا ويزوجها واحدًا منهُم ﴿وَلَوْ كانَ بهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ أيْ حاجةٌ وخَلَّةٌ. وأصلُهَا خَصَاصُ البيتِ وهي فُرجَهُ والجملةُ في حيزِ الحالِ، وقدْ عرفتَ وجهَهُ مرارًا. وكانَ النبيُّ عليهِ الصلاةُ والسلامُ قسَّم أموالَ بني النضيرِ على المهاجرين ولم يُعطِ الأنصارَ إلا ثلاثة نفرٍ محتاجينَ أبا دُجَانَةَ سماكَ بنَ خَرَشَةَ وسهلَ بنَ حُنيفٍ والحارثَ بنَ الصِّمَّةِ، وقالَ لهم إنْ شئتُمْ قسمتُم للمهاجرينَ من أموالِكُم ودِيارِكُم وشاركتُمُوهُم في هذه الغنيمةِ وإن شئتُم كانتْ لكُم ديارُكُم وأموالُكُم، ولم يُقسم لكم شيءٌ من الغنيمةِ فقالتِ الأنصارُ بلْ نقسمُ لهم من أموالِنَا وديارِنَا ونؤثرهُم بالغنيمةِ ولا نشاركهُم فيهَا فنزلتْ.

---

(١) في خ: الذمة. (٢) تقدم.
(٣) في خ: الخلاص.

وهذا صريحٌ في أنَّ قولَهُ تعالَى: ﴿والذينَ تبوءوا الدار﴾... إلخ مستأنفٌ غيرُ معطوفٍ على الفقراءِ أو المهاجرينَ نعم يجوزُ عطفُهُ على أولئكَ فإنَّ ذلكَ إنما يستدْعِي شركةَ الأنصارِ للمهاجرينَ في الصدقِ دونَ الفيءِ فيكونُ قولُهُ تعالى يحبونَ وما عُطفَ عليهِ استئنافًا مقررًا لصدقِهم أو حالًا من ضميرِ تبوءوا.

﴿ومنْ يُوقَ شحَّ نفسِهِ﴾ الشُّح بالضمِّ والكسرِ وقدْ قرئ بهِ[١] أيضًا: اللؤمُ. وإضافتُهُ إلى النفسِ لأنَّه غريزةٌ فيها مقتضيةٌ للحرصِ على المنعِ الذي هو البخلُ أي ومن يُوقَ بتوفيقِ الله تعالى شُحَّها حتى يخالفَهَا فيما يغلبُ عليها من حُبِّ المالِ وبغضِ الإنفاقِ ﴿فأولئكَ﴾ إشارةٌ إلى مَنْ باعتبارِ معناها [العامُّ المنتظم للمذكورينَ انتظامًا أوليا][٢] ﴿همُ المفلحونَ﴾ الفائزونَ بكلِّ مطلوبِ الناجونَ عن كلِّ مكروهٍ. والجملةُ اعتراضٌ واردٌ لمدحِ الأنصارِ والثناءِ عليهم وقرئ (يُوَقَّ)[٣] بالتشديدِ.

﴿والذين جاءُوا من بعدِهِم﴾ هم الذينَ هاجرُوا بعد ما قَوِيَ الإسلامُ أو التابعونَ بإحسانٍ وهم المؤمنونَ بعد الفريقينِ إلى يومِ القيامةِ ولذلك قيلَ إن الآيةَ قد استوعبتْ جميعَ المؤمنينَ، وأيا ما كان فالموصولُ مبتدأٌ خبرُهُ ﴿يقولونَ﴾... إلخ والجملةُ مسوقةٌ لمدحِهِم بمحبَّتِهِم لمنْ تقدمَهُم من المؤمنينَ ومراعاتِهِم لحقوقِ الأخوةِ في الدينِ والسبقِ بالإيمانِ كما أنَّ ما عُطفتْ عليه من الجملةِ السابقةِ لمدحِ الأنصارِ، أيْ يدعونَ لهم ﴿ربَّنا اغفرْ لَنَا ولإخوانِنَا﴾ أيْ في الدينِ الذي هو أعزُّ وأشرفُ عندهُم من النسبِ ﴿الذينَ سبقونَا بالإيمانِ﴾ وصفُوهُم بذلكَ اعترافًا بفضلِهِم ﴿ولا تَجْعلْ في قلوبِنَا غلاًّ﴾ وقرئ (غِمْرًا)[٤] وهُمَا الحقدُ ﴿للذينَ آمنُوا﴾ على الإطلاقِ ﴿ربَّنا إنكَ رءوفٌ رحيمٌ﴾ أي: مُبالغٌ في الرأفةِ والرحمةِ، فحقيقٌ بأنْ تجيبَ دُعاءَنَا.

﴿ألم ترَ إلى الذينَ نافقُوا﴾ حكايةٌ لِمَا جَرَى بينَ الكفرةِ والمنافقينَ من الأقوالِ الكاذبةِ والأحوالِ الفاسدةِ، وتعجيبٌ منها بعد حكايةِ محاسنِ أحوالِ المؤمنينَ وأقوالِهِم على اختلافِ طبقاتِهِمْ. والخطابُ لرسولِ الله ﷺ، أو لكلِّ أحدٍ ممن له حظٌّ من الخطابِ.

وقوله تعالى: ﴿يقولونَ﴾... إلخ استئنافٌ لبيانِ المتعجَّبِ منهُ. وصيغةُ المضارعِ

---

(١) قرأ بها: أبو حيوة، وابن أبي عبلة.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٢٤٧).

(٢) سقط في خ.

(٣) ينظر: الكشاف للزمخشري (٤/ ٨٤).

(٤) قرأ بها: الأعمش.
ينظر: الكشاف للزمخشري (٤/ ٨٥)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٣١٨).

للدلالةِ على استمرارِ قولِهم أو لاستحضارِ صورتِهِ. واللامُ في قولِهِ تعالى: ﴿لإخوانهم الذينَ كفرُوا منْ أهلِ الكتابِ﴾ للتبليغِ. والمرادُ بأخوَّتِهِم إما توافُقُهُم في الكفرِ أو صداقَتُهُم وموالاتُهُمْ.

من خلائق النفاق

واللامُ في قولِهِ تعالى: ﴿لَئِنْ أُخرجتُم﴾ أي من ديارِكُم قَسْرًا - مفسرة، أي: واللام موطئةٌ للقسم. وقولُهُ تعالى: ﴿لنخرجنَّ معكُم﴾ جوابُ القسم، أيْ والله لئِنْ أُخْرجتُم لنخرجنَّ معكم ألبتةَ ونذهبنَّ في صُحْبَتكم أينما ذهبتُم ﴿وَلاَ نَطيعُ فيكُمْ﴾ أيْ في شأنِكُمْ ﴿أحدًا﴾ يمنعنا منَ الخروجِ معكُم ﴿أبدًا﴾ وإنْ طالَ الزمانُ، وقيلَ لا نطيعُ في قتالِكُم أو خذلانِكُم وليسَ بذاكَ لأن تقديرَ القتالِ مترقبٌ بعد ولأن وعدَهُم لهم على ذلك التقديرِ ليسَ مجردَ عدم طاعتِهِم لمن يدعُوهُم إلى قتالِهِم بل نصرتَهُم عليهِ كما ينطقُ به[1] قولُهُ تعالى: ﴿وإنْ قوتلتُم لننصرنَّكُم﴾ أي لنعاونَنَّكُم على عدوِّكم على أن دعوتَهُم إلى[2] خذلانِ اليهودِ مما لا يمكنُ صدورُهُ عن رسولِ الله ﷺ والمسلمينَ حتى يدَّعوا عدمَ طاعتِهِم فيها ضرورةَ أنَّها لو كانَتْ لكانَتْ عند استعدادِهِم لنصرتِهِم وإظهارِ كفرِهِم ولا ريبَ في أنَّ ما يفعله عليه الصلاةُ والسلامُ عند ذلكَ قتلَهُم لا دعوَتَهُم إلى تركِ نصرتِهِم، وأما الخروجُ معهم فليسَ بهذه المرتبةِ من إظهارِ الكفرِ لجوازِ أن يدَّعوا أن خروجَهُم معهم لما بينَهُم من الصداقةِ الدنيويةِ لا للموافقةِ في الدينِ ﴿والله يشهدُ إنَّهُم لكاذبونَ﴾ في مواعيدِهِم المؤكدةِ بالأيمانِ الفاجرةِ.

وقولُهُ تعالى: ﴿لئِنْ أُخْرِجُوا لاَ يَخْرُجُونَ معَهُم﴾... إلخ تكذيبٌ لهم في كلِّ واحدٍ من أقوالِهِم على التفصيلِ بعدَ تكذيبِهِم في الكُلِّ على الإجمالِ ﴿ولئِن قُوتِلُوا لا ينصرونَهُم﴾ وكانَ الأمرُ كذلك فإنَّ ابْنَ أُبيّ وأصحابَهُ أرسلُوا إلى بَنِي النضيرِ ذلكَ سرًا ثم أخلفُوهُم وفيه حجةٌ بينةٌ لصحةِ النبوة وإعجازِ القرآنِ.

﴿ولئِن نصرُوهُم﴾ على الفرضِ والتقديرِ ﴿ليولُّن الأدبارَ﴾ فرارًا ﴿ثُمَّ لا يُنصرونَ﴾ أي المنافقونَ بعد ذلكَ، أي يهلكهم الله ولا ينفَعُهُم نفاقُهُم لظهورِ كفرِهِم أو ليهْزمَنَّ اليهودُ ثم لا ينفعُهُم نصرةُ المنافقينَ ﴿لأنتم أشدُّ رهبةً﴾ أي أشدُّ مرهوبيةً على أنها مصدرٌ من المبنيِّ للمفعولِ ﴿في صدورِهِم من الله﴾ أي رهبتُهُم منكُم في السرِّ أشدُّ مما يظهرونَهُ لكم من رهبةِ الله فإنهم كانُوا يدَّعونَ عندَهُم رهبةً عظيمةً من الله تعالى ﴿ذلكَ﴾ أي ما ذُكِرَ من كونِ رهبتِهِم منكُم أشدَّ من رهبةِ الله ﴿بأنَّهم﴾ بسببِ

---

(١) في خ: عليه.

(٢) في خ: على.

أنَّهُم ﴿قومٌ لا يفقهونَ﴾ أيْ شيئًا حتى يعلمُوا عظمةَ الله تعالى فيخشَوه حقَّ خشيتِهِ.

﴿لا يقاتِلُونَكُم﴾ أي اليهودَ والمنافقونَ بمعنى لا يقدرونَ على قتالِكُم ﴿جميعًا﴾ أي مجتمعينَ متفقينَ في موطنٍ من المواطنِ ﴿إلا في قُرى محصنةٍ﴾ بالدروبِ والخنادقِ ﴿أو منْ وراءِ جُدرٍ﴾ دونَ أنْ يصحرُوا لكُم ويبارزُوكم لفرطِ رهبتِهِم وقرئَ[١] جُدْرٍ بالتخفيفِ وقرئَ[٢] جِدَارٍ وبإمالةِ[٣] فتحةِ الدالِ و(جَدْرٍ)[٤] و(جدر) وهما الجدارُ ﴿بأسُهُم بينَهُمْ شديدٌ﴾ استئنافٌ سيقَ لبيانِ أن ما ذكرَ من رهبتِهِم ليسَ لضعفِهِم وجبنِهِم في أنفسِهِم فإنَّ بأسَهُم بالنسبة إلى أقرانِهِم شديدٌ وإنما ضعفُهُم وجبنُهُم بالنسبةِ [إليكُم][٥] بما قذفَ الله تعالَى في قلوبهم من الرعبِ.

﴿تحسبُهُم جَميعًا﴾ مجتمعينَ متفقينَ ﴿وقلوبُهُم شَتَّى﴾ متفرقةٌ لا أُلفةَ بينَهَا ﴿ذلكَ بأنَّهم﴾ [أي ما ذُكِرَ منْ تشتتِ قلوبِهِم بسببِ أنَّهُم][٦] ﴿قومٌ لا يعقلونَ﴾ أي لا يعقلونَ شيئًا حتَّى يعرفُوا الحقَّ ويتبعُوه وتطمئنَ به قلوبُهُم وتتحدَ كلمتُهُم ويرمُوا عن قوسٍ واحدةٍ فيقعونَ في تيهِ الضلالِ وتشتتِ قلوبِهِم حسبَ تشتتِ طرقِهِ وتفرقِ فنونِهِ، وأمَّا ما قِيل مِنْ أنَّ المعنى لا يعقلونَ أنَّ تشتتَ القلوبِ مما يُوهِنُ قُواهُم فبمعزلٍ منَ السدادِ.

وقولُهُ تعالَى: ﴿كمثلِ الذينَ مِنْ قبلِهِم﴾ خبرُ مبتدأٍ محذوفٍ تقديرُهُ مثلُهم أيْ مثلُ المذكورينَ من اليهودِ والمنافقينَ كمثلِ أهلِ بدرٍ أو بني قَينُقَاع على ما قيلَ من أنهم أُخرِجُوا قبلَ بني النضيرِ ﴿قريبًا﴾ في زمانٍ قريبٍ، وانتصابُهُ بـ (مَثَلِ)، إذِ التقديرُ

---

(١) قرأ بها: ابن كثير، وعاصم، والأعمش، والحسن، وأبو رجاء، وابن وثاب، وأبو حيوة.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤١٤)، والبحر المحيط (٨/ ٢٤٩)، وتفسير القرطبي (١٨/ ٣٥)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٨٥)، والمجمع للطبرسي (٩/ ٢٦٣)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٣١٦).

(٢) قرأ بها: ابن كثير، وأبو عمرو، واليزيدي، وابن محيصن، ومجاهد، وعباس.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤١٣)، والإعراب للنحاس (٣/ ٤٠١)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٣٩)، والبحر المحيط (٨/ ٢٤٩)، والسبعة لابن مجاهد ص (٦٣٢)، والغيث للصفاقسي ص (٣٦٧).

(٣) قرأ بها: أبو عمرو.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤١٤)، والتيسير للداني ص (٢٠٩)، والغيث للصفاقسي ص (٣٦٧)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٥٤، ٥٥، ٣٨٦)، وزاد في خ: بالتخفيف.

(٤) قرأ بها: ابن كثير، وابن محيصن، وهارون.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤١٣)، والإعراب للنحاس (٣/ ٤٠١)، والبحر المحيط (٨/ ٢٤٩)، وتفسير القرطبي (١٨/ ٣٥)، وتفسير الرازي (٢٩/ ٢٩٠).

(٥) سقط في خ.

(٦) سقط في خ.

كوقوعِ مثلِ. . .إلخ ﴿ذاقُوا وبالَ أمرِهِم﴾ أي سوءَ عاقبةِ كُفرِهِم في الدُّنيا ﴿ولَهُم﴾ في الآخرةِ ﴿عذابٌ أليمٌ﴾ لا يُقَادِرُ قَدْرُهُ والمَعْنَى أنَّ حالَ هؤلاءِ كحالِ أولئكَ في الدُّنيا والآخرةِ لكنْ لا على أنَّ حالَ كُلِّهم كحالِهِم بلْ حالُ بعضِهِم الذينَ هم اليهودُ كذلكَ وأما حالُ المنافقينَ فهيَ ما نطقَ به قولُه تعالى: ﴿كمثلِ الشيطانِ﴾ فإنَّه خبرٌ ثانٍ للمبتدأ المقدرِ مبينٌ لحالِهِم متضمنٌ لحالٍ أُخْرَى لليهودِ وهي اغترارُهم بمقالةِ المنافقينَ أولًا وخيبتُهُم آخِرًا[١] وقد أُجْمِلَ في النظمِ الكريمِ، حيثُ أُسنِدَ كلٌّ من الخبرينِ إلى المقدرِ المضافِ إلى ضميرِ الفريقينِ منْ غيرِ تعيينِ ما أُسْنِدَ إليهِ بخصوصِهِ ثقةً بأنَّ السامعَ يردُّ كلًا من المثلينِ إلى ما يماثلُهُ كأنَّهُ قيلَ مثلُ اليهودِ في حلولِ العذابِ بهم كمثلِ الذينَ منْ قبلِهِم الخ. ومثلُ المنافقينَ في إغرائِهِم[٢] إيَّاهُم على القتالِ حسبما نُقِلَ عنهُم كمثلِ الشيطانِ ﴿إذْ قالَ للإنسانِ اكفُرْ﴾ أيْ أغراهُ على الكفرِ إغراءِ الآمرِ المأمورَ على المأمورِ بهِ ﴿فلما كفرَ قال إنِّي بريءٌ منكَ﴾ وقرئَ (أنا بريءٌ منكَ)[٣]. إنْ أريدَ بالإنسانِ الجنسُ فهذَا التبرؤُ منَ الشيطانِ يكونُ يومَ القيامةِ كما ينبئُ عنْهُ قولُهُ تعالى ﴿إنِّي أخافُ الله ربَّ العالمينَ﴾ وإنْ أُرِيدَ بِهِ أبو جهلٍ، فقولُهُ تعالى: ﴿اكْفُرْ﴾ عبارةٌ عنْ قولِ إبليسِ يومَ بدرٍ ﴿لا غالبَ لكُم اليومَ من الناسِ وإني جارٌ لكُمْ﴾ [سورة الأنفال، الآية ٤٨]، وتبرؤه قولُه يومئذٍ ﴿إنِّي بريءٌ منكم إني أرَى ما لا تَرونَ إنِّي أخافُ الله﴾ [سورة الأنفال، الآية ٤٨] الآيةَ ﴿فكانَ عاقبَتَهُما﴾ بالنصبِ على أنَّهُ خبرُ كانَ واسمُهَا ﴿أنَّهما في النارِ﴾ وقرئَ[٤] بالعكسِ وقد مرَّ أنه أوضحُ.

﴿خالدينَ فيها﴾ وقرئَ (خالدانِ فيها)[٥] عَلى أنه خبرُ أنَّ وفي النارِ لغوٌ ﴿وذلكَ جزاءُ الظالمينَ﴾ أي الخلودُ في النارِ جزاءُ الظالمينَ على الإطلاقِ دونَ هؤلاءِ خاصَّة.

﴿يا أيها الذين آمنُوا اتَّقُوا الله﴾ أي في كلِّ ما تأتونَ وما تذرونَ ﴿ولتنظرْ نفسٌ ما

---

(١) في خ: ثانيا. (٢) في خ: إغوائهم.

(٣) ينظر: الكشاف للزمخشري (٤/ ٨٦).

(٤) قرأ بها: الحسن، وعمرو بن عبيد، وسليم بن أرقم.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤١٤)، والإعراب للنحاس (٣/ ٤٠٢)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٣٩)، والبحر المحيط (٨/ ٢٥٠)، وتفسير القرطبي (١٨/ ٤٢)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٨٦)، وتفسير الرازي (٢٩/ ٢٩١).

(٥) قرأ بها: المطوعي، وابن مسعود، وزيد بن علي، والأعمش، وابن أبي عبلة.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤١٤)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٣٩)، والبحر المحيط (٨/ ٢٥٠)، وتفسير القرطبي (١٨/ ٤٢)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٨٦)، والمعاني للفراء (٣/ ١٤٦).

قدمَتْ لغدٍ﴾ أيْ أيُّ شيءٍ قدمَتْ من الأعمالِ ليوم القيامةِ عبرَ عنْهُ بذلكَ لدنوِّهِ أو لأن الدنيا كيومٍ والآخرةُ هي غَدُهُ وتنكيرُهُ لتفخيمِه وتهويلِه كأنه قيلَ لغدٍ لا يُعرفُ كنهُهُ لغايةِ [عظمِه][1]، وأما تنكيرُ نفسٍ فلاستقلالِ الأنفسِ النواظرِ فيما قدَّمن لذلكَ اليوم الهائلِ، كأنه قيلَ ولتنظُر نفسٌ واحدةٌ في ذلكَ.

﴿واتَّقوا الله﴾ تكريرٌ للتأكيدِ، أو الأولُ في أداءِ الواجباتِ كما يُشعرُ به ما بعدَهُ من الأمرِ بالعملِ، وهذا في تركِ المحارم كما يُؤذنُ بِهِ الوعيدُ بقولِهِ تعالَى: ﴿إنَّ الله خبيرٌ بما تعملونَ﴾ أي من المعاصِي ﴿ولا تكُونُوا كالذينَ نَسُوا الله﴾ أي نَسُوا حقوقَهُ تعالَى وما قدرُوه حقَّ قدرِهِ ولم يراعُوا مواجبَ أوامرِهِ ونواهِيه حقَّ رعايتِهَا ﴿فأنساهُم﴾ بسببِ ذلكَ ﴿أنفسَهُم﴾ أي جعلَهُم ناسينَ لها حتَّى لم يسمعُوا ما ينفعُها ولم يفعَلُوا ما يخلِّصُهَا أو أراهُم يومَ القيامةِ من الأهوالِ ما أنساهُم أنفسَهُم ﴿أولئكَ هُم الفاسقونَ﴾ الكاملونَ في الفسوقِ. ﴿لا يستوي أصحابُ النارِ﴾ الذينَ نسُوا الله تعالَى فاستحقُّوا الخلودَ في النارِ. ﴿وأَصحابُ الجَنَّةِ﴾ الذينَ اتَقوا الله فاستحقُّوا الخلودَ في الجنة، ولعلَّ تقديمَ أصحابِ النارِ في الذكرِ للإيذانِ من أولِ الأمرِ بأنَّ القصورَ الذي ينبئ عنه عدمُ الاستواءِ من جهتِهِم لا من جهةِ مقابليِهم فإن مفهومَ عدمِ الاستواءِ بين الشيئينِ المتفاوتينِ زيادةً ونقصانًا وإن جازَ اعتبارُهُ بحسبِ زيادةُ الزائدِ، لكنْ المتبادرُ اعتبارُهُ بحسبِ نقصانِ الناقصِ، وعليهِ قولُهُ تعالى: ﴿هلْ يستوي الأَعْمَى والبصيرُ أم هَلْ تستوي الظلماتُ والنورُ﴾ [سورة الزمر، الآية ٩] إلى غيرِ ذلك منَ المواقعِ[2] وأما قولُهُ تعالى ﴿هل يستوي الذينَ يعلمونَ والذينَ لا يعلمونَ﴾ [سورة الرعد، الآية ١٦] فلعلَّ تقديمَ الفاضلِ فيهِ لأنَّ صلَتَهُ ملكةٌ لصلةِ المفضولِ والأعدامُ مسبوقةٌ[3] بملكاتِهَا، وَلاَ دلالةَ في الآيةِ الكريمةِ على أنَّ المسلمَ لا يقتصُّ بالكافرِ وأنَّ الكفارَ لا يملكونَ أموالَ المسلمينَ بالقهرِ لأنَّ المرادَ عدمُ الاستواءِ في الأحوالِ الأخرويةِ كما ينبئ عنه التعبيرُ عن الفريقينِ بصاحبيةِ النَّارِ وصاحبيةِ الجنَّةِ وكذا قولُهُ تعالى: ﴿أصحابُ الجنةِ هم الفائزونَ﴾ فإنَّه استئنافٌ مبينٌ لكيفةِ عدمِ الاستواءِ بينَ الفريقينِ أي هُم الفائزونَ بكلِّ مطلوبِ الناجونَ عنْ كلِّ مكروهٍ.

﴿لو أنزلنا هذا القرآن﴾ العظيمَ الشأنِ المنطويَ على فنونِ القوارعِ ﴿على جبلٍ﴾ من الجبالِ ﴿لرأيته﴾ مع كونِهِ عَلمًا في القسوةِ وعدمِ التأثرِ مما يصادِمُهُ ﴿خاشعًا

(١) سقط في خ.
(٢) في خ: الواقع.
(٣) في خ مسوقة.

متصدعًا من خشيةِ الله﴾ أي متشققًا منها. وقرئ مُصَّدِّعًا[(١)] بالإدغامِ وهذا تمثيلٌ وتخييلٌ لعلوِّ شأنِ القرآنِ وقوةِ تأثيرِ ما فيهِ من المواعظِ كما ينطقُ به قولُهُ تعالى: ﴿وتلكَ الأمثالُ نضربُهَا للناسِ لعلهم يتفكرونَ﴾ أُريدَ به توبيخَ الإنسانِ على قسوةِ قلبِهِ وعدم تخشعِهِ عندَ تلاوتِهِ وقلةِ تدبرِهِ فيه.

﴿هُو الله الذي لاَ إلَهَ إلاَّ هُوَ﴾ [وَحْدَهُ ﴿عالمُ الغيبِ والشهادةِ﴾ أي ما غابَ عن الحسِّ من الجَوَاهِرِ القُدسيةِ وأحوالِهَا وما حضرَ لهُ من الأجرامِ وأعراضِهَا. وتقديمُ الغيبِ على الشهادةِ لتقدمِهِ في الوجودِ وتعلقِ العلمِ القديمِ به. أو المعدُوم والموجودُ أو السرُّ والعلانيةُ ﴿هو الرحمنُ الرحيم * هو الله الذي لا إلَهَ إلا هُو﴾][(٢)] كُرِّرَ لإبرازِ الاعتناءِ بأمرِ التوحيدِ ﴿الملكُ القدوسُ﴾ البليغُ في النزاهةِ عما يوجبُ نُقْصانًا مَا. وقرئ بالفتحِ[(٣)] وهي لغةٌ فيهِ ﴿السلامُ﴾ ذُو السلامةِ من كلِّ نقصٍ وآفةٍ، مصدرٌ وصفَ بهِ للمبالغةِ ﴿المؤمنُ﴾ واهبُ الأمنِ. وقرئ بالفتحِ[(٤)] بمَعْنَى المُؤْمَنُ بِهِ على حذفِ الجارِّ ﴿المهيمنُ﴾ الرقيبُ الحافظُ لكلِّ شيءٍ مُفَيْعِلٌ مِنْ الأمن بقلبِ همزتِهِ هاءً ﴿العزيزُ﴾ الغالبُ ﴿الجبارُ﴾ الذي جبرَ خلقَهُ على ما أرادَ، أو جبرَ أحوالَهُم، أي أصْلَحَها ﴿المتكبرُ﴾ الذي تكبرَ عن كلِّ ما يوجبُ حاجةً أو نُقصانًا، أو البليغُ الكبرياءِ والعظمةِ.

﴿سبحانَ الله عَمَّا يشركون﴾ تنزيهٌ له تعالَى عمَّا يشركُونَهُ به تعالى أو عن إشراكِهِم به تعالى إثرَ تعدادِ صفاتِهِ التي لا يمكِنُ أنْ يشارِكَهُ تعالَى في شيءٍ منها شيءٌ ما أصلًا ﴿هو الله الخالقُ﴾ المقدرُ للأشياءِ على مُقتضى حكمتِهِ ﴿البارئ﴾ الموجدُ لها بريئًا منَ التفاوتِ، وقيلَ المميزُ بعضَهَا من بعضٍ بالأشكالِ المختلفةِ ﴿المصورُ﴾ الموجدُ لصورِهَا وكيفياتِهَا كما أرادَ ﴿له الأسماءُ الحُسْنَى﴾ لدلالتِهَا على المعانِي الحسنةِ ﴿يسبحُ له ما في السمواتِ والأرضِ﴾ ينطقُ بتنزهِهِ تعالَى عن جميعِ النقائصِ تنزهًا ظاهرًا

---

(١) قرأ بها: طلحة.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٢٥).

(٢) سقط في خ.

(٣) قرأ بها: أبو الدينار الأعرابي.
ينظر: الإعراب للنحاس (٣/ ٤٠٦)، والبحر المحيط (٨/ ٢٥١)، وتفسير القرطبي (١٨/ ٤٥)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٣١٧)، وتفسير الرازي (٢٩/ ٢٩٣).

(٤) قرأ بها: أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين، وأبو جعفر المدني.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٢٥١)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٨٧)، وتفسير الرازي (٢٩/ ٢٩٣).

﴿وهُو العزيزُ الحكيمُ﴾ الجامعُ للكمالاتِ كافةً فإنها معَ تكثرِهَا وتشعبها راجعةٌ إلى الكمالِ في القدرةِ والعلم.

عن النبيِّ عليهِ الصلاةُ والسلامُ: «**منْ قرأَ سورةَ الحشرِ غفرَ الله لهُ ما تقدمَ من ذنبِهِ وما تأخرَ**»[1].

(١) حديث موضوع وتقدم الكلام عليه.

سُورَةُ الممتحنة

[مدنيةٌ وآيُها ثلاثَ عشرةَ][1]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ
ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ۙ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى ۚ
تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾
إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا۟ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ لَن
تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ ۚ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ
أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا
بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ
لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا
فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٥﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن
كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦﴾ ۞ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ
وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ
فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ
ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ۖ فَإِنْ
عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُوا۟ ۚ وَلَا جُنَاحَ
عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ
ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ وَإِن فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ
فَـَٔاتُوا۟ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا

---

(١) في خ: مكية عشرون وثلاث آيات.

جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴿١٣﴾

﴿يا أيُّها الذينَ آمنُوا لاَ تتخذُوا عدوِّيَ وعدوَّكُم أولياَءَ﴾ نزلتْ في حاطبِ ابنِ أبي بَلْتَعةَ وذلكَ أنَّه لمَّا تجهزَ رسولُ الله ﷺ لغزوةِ الفتح كتبَ إلى أهلِ مكةٍ أن رسولَ الله ﷺ يريدُكُم فخُذُوا حذرَكُم وأرسلَهُ مع سارةَ مولاةِ بني المطلبِ فنزلَ جبريلُ عليهِ السلامُ بالخبرِ فبعثَ رسول الله ﷺ عليا وعمارًا وطلحةَ والزبيرَ والمقدادَ وأبا مرثدٍ[١] وقالَ «**انطلقُوا حتى تأتُوا روضةَ خاخٍ فإنَّ بها ظعينةً معها كتابُ حاطبٍ إلى أهلِ مكة فخذُوه منهَا وخلُّوها فإنْ أبتْ فاضربُواْ عنقَهَا**» فأدركُوهَا ثمةَ فجحدتْ فسلَّ عليٌّ رضي الله تعالى عنه سيفَهُ فأخرجْتَهُ من عقاصِهَا[٢] فاستحضَر رسولُ الله ﷺ حاطبًا وقال ما حملكَ على هَذا فقالَ يا رسولَ الله ما كفرتُ منذ أسلمتُ ولا غششتكَ منذُ نصحتكَ ولكني كنتُ امرءًا ملصَقًا[٣] في قريشٍ [وليسَ لي][٤] فيهم مَنْ يحمي أَهْلِي فأردتُ أن آخذَ عندهُم يدًا وقد علمتُ أن كتابيَ لن يُغْنيَ عنهُم شيئًا فصدَّقَهُ رسولُ الله ﷺ وقبلَ عذرَهُ[٥].

﴿تُلقُونَ إليهم بالمودةِ﴾ أي تُوصلونَ إليهم المودَّةَ على أنَّ الباءَ زائدةٌ كما في قولِهِ تعالى ﴿ولا تُلقوا بأيديكم إلى التهلكةِ﴾ [سورة البقرة، الآية ١٩٥] أو تلقونَ إليهم أخبارَ النبيِّ عليهِ الصلاةُ والسلامُ بسببِ المودَّةِ التي بينكُم وبينَهُم والجملةُ إما حالٌ

---

(١) في خ: يزيد.

(٢) عقاص: جمع مفرده عِقصة أو عقيصة وهي الضفِرة من الشعر.

(٣) في خ: ضعيفًا. (٤) في خ: ليس.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه (٦/ ٢٥٠): كتاب الجهاد والسير: باب الجاسوس، حديث (٣٠٠٧). وفي (٨/ ٣١٠): كتاب المغازي: باب غزوة الفتح وما بعث به حاطب، حديث (٤٢٧٤). وفي (٩/ ٦٢٤): كتاب التفسير: باب «لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء».
ومسلم في صحيحه (٨/ ٢٩٣): كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل أهل بدر، حديث (٢٤٩٤).
وأبو داود في سننه (٣/ ٤٧): كتاب الجهاد: باب في حكم الجاسوس إذا كان مسلمًا (٢٦٥٠)، والترمذي في الجامع الصحيح (٥/ ٤٠٩): كتاب تفسير القرآن باب: ومن سورة الممتحنة، حديث (٣٣٠٥)، والنسائي في كتاب التفسير (٢/ ٤١٤)، وأحمد في مسنده (١/ ٧٩). والبيهقي في سننه الكبرى (٩/ ١٤٦): كتاب السير: باب المسلم يدل المشركين على عورات المسلمين والواحدي في أسباب النزول (ص٤٤٢). حديث (٨١٢).

مِن فاعلِ لا تتخِذُوا أو صفةٌ لأولياءَ وإبرازُ الضميرِ في الصفاتِ الجاريةِ على غيرِ مَنْ هيَ لهُ إنما يُشترطُ في الاسمِ دونَ الفعلِ أو استئنافٌ.

﴿وقد كفرُوا بما جاءكُم من الحقِّ﴾ حالٌ من فاعلِ تلقونَ وقيلَ من فاعلِ (لا تتخذُوا) وقرئَ (لِمَا جاءَكُم)[1] أي كفرُوا لأجلِ ما جاءكُم بمعنى جعلِ ما هو سببُ الإيمانِ سببًا للكفرِ ﴿يخرجونَ الرسولَ وإياكم﴾ أي منْ مكةَ وهو إما حالٌ من فاعلِ كفرُوا أو استئنافٌ مبينٌ لكفرِهم وصيغةُ المضارعِ لاستحضارِ الصُّورَةِ.

وقولِهِ تعالى: ﴿أنْ تؤمنوا بالله ربِّكم﴾ تعليلٌ للإخراجِ وفيهِ تغليبُ المخاطبِ على الغائبِ والتفاتٌ منَ التكلمِ إلى الغَيبةِ للإشعارِ بما يوجبُ الإيمانَ من الأُلوهيةِ والرُّبوبيةِ ﴿إنْ كنتُم خرجتُم جهادًا في سبيلي وابتغاءَ مرضاتي﴾ متعلقٌ بـ (لا تتخذُوا) كأنَّه قيلَ لا تتولَّوا أعدائِي إن كُنتُم أوليائِي وقولُهُ تعالى: ﴿تُسرونَ إليهم بالمودةِ﴾ استئنافٌ واردٌ على نهجِ العتابِ والتوبيخِ أي تُسرونَ إليهِم المودَّةَ أو الأخبارَ بسببِ المودَّةِ ﴿وأنا أعلمُ﴾ أيْ والحالُ أنِّي أعلمُ [منكُم][2] ﴿بما أخفيتُم وما أعلَنْتُم﴾ ومُطْلعٌ رسولِي عَلى ما تسرونَ فأيُّ طائلٍ لكم في الإسرارِ وقيلَ أعلمُ مضارعٌ والباءُ مزيدةٌ ومَا موصولةٌ أو مصدريةٌ وتقديمُ الإخفاءِ على الإعلانِ قد مرَّ وجهُهُ في قولِهِ تعالى: ﴿يعلمُ ما يُسرونَ وما يُعلنونَ﴾ [سورة البقرة، الآية ٧٧] ﴿ومَن يفعلْهُ منكُم﴾ أي الاتخاذَ ﴿فقد ضلَّ سواءَ السبيلِ﴾ فقد أخطأَ الحقَّ والصوابَ.

﴿إنْ يثقفوكُم﴾ أيْ إنْ يظفرُوا بكُم ﴿يكُونُوا لكم أعداءً﴾ أي يُظهروا ما في قلوبِهم منَ العداوةِ ويرتبُوا علَيها أحكامَهَا ﴿ويبسطُوا إليكُم أيديَهُم وألسنَتَهُم بالسوءِ﴾ بمَا يسُوؤكم من القتلِ والأسرِ والشتمِ ﴿وودوا لو تكفرونَ﴾ أي تمنَّوا ارتدادكُم، وصيغةُ الماضِي للإيذانِ بتحققِ[3] ودادتِهِم قبل أن يثقفُوهُم أيضًا ﴿لن تنفعكم أرحامُكُم﴾ قراباتُكم ﴿ولا أولادكم﴾ الذين توالونَ المشركينَ لأجلِهِم وتتقربُونَ إليهِم محاماةً عليهِم ﴿يومَ القيامةِ﴾ بجلبِ نفعٍ أو دفعِ ضُرٍّ ﴿يفصلُ بينكم﴾ استئنافٌ لبيانَ عدمِ نفعِ الأرحامِ والأولادِ يومئذٍ أي يفرقَ الله بينكم بما اعتراكُم من الهولِ الموجبِ لفرارِ كلِّ منكُم مِن الآخرِ حسبما نطَقَ بهِ قولُهُ تعالى ﴿يومَ يفرُّ المرءُ من أخيهِ﴾ [سورة عبس، الآية ٣٤] الآيةَ فما لكُم ترفضونَ حقَّ الله تعالى لمراعاةِ حقِّ منْ هَذا شأنُهُ وقرئَ

---

(١) قرأ بها: عاصم، والمعلى، والجحدري.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٢٥٣)، وتفسير القرطبي (١٨/ ٥٣)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٨٩).
(٢) سقط في خ. (٣) في خ: بتحقيق.

يُفْصَلُ[١] ويفصَّلُ[٢] مبنيًا للمفعولِ ويفصِلُ[٣] ويُفَصِّلُ[٤] مبنيًا للفاعلِ وهو الله تعالى ونفصِلُ[٥] ونفصِّلُ[٦] بالنون.

﴿والله بما تعملونَ بصيرٌ﴾ فيجازيكُم بهِ ﴿قد كانت لكُم أسوةٌ حسنةٌ﴾ أيْ خصلةٌ حميدةٌ حقيقةٌ بأنْ يُؤتَسَى ويُقْتَدى بهَا وقولُهُ تعالَى: ﴿في إبراهيمَ والذينَ معَهُ﴾ أي منْ أصحابِهِ المؤمنينَ صفةٌ ثانيةٌ لـ (أسوةٌ) أو خبرٌ لـ (كانَ) ولكُم للبيانِ أو حالٌ من المستكنِّ في (حسنةٌ) أو صلةٌ لها لا لـ (أسوةٌ) عندَ من لا يجوِّزُ العملَ بعدَ الوصفِ ﴿إذ قالُوا﴾ ظرفٌ لخبرِ كَان ﴿لِقَوْمِهِم إنَّا برآءُ منكُم﴾ [جمعُ بريءٍ كظريفٍ وظرفاءَ وقرئَ بِراءٌ[٧] كظِرافٍ وبُراءٍ[٨]

---

(١) قرأ بها: نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر، وهشام، والداجوني، وابن محيصن، واليزيدي، ويعقوب.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤١٤)، والإعراب للنحاس (٣/ ٤١٣)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٣٩)، والبحر المحيط (٨/ ٢٥٤)، والتبيان للطوسي (٩/ ٥٧٦)، والحجة لابن خالويه ص (٣٤٤)، والسبعة لابن مجاهد ص (٦٣٣).

(٢) قرأ بها: ابن عامر، والأعرج، وعيسى، وابن ذكوان، وهشام.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤١٤)، والإعراب للنحاس (٣/ ٤١٤)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٣٩)، والبحر المحيط (٨/ ٢٥٤)، والتيسير للداني ص (٢١٠)، والسبعة لابن مجاهد ص (٦٣٣)، والكشف للقيسي (٢/ ٣١٨).

(٣) قرأ بها: قتادة، وأبو حيوة.
ينظر: تفسير القرطبي (١٨/ ٥٥)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٩٠).

(٤) قرأ بها: حمزة، والكسائي، وخلف، والأعمش، ويحيى بن وثاب.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤١٤)، والإعراب للنحاس (٣/ ٤١٣)، والبحر المحيط (٨/ ٢٥٤)، والتبيان للطوسي (٩/ ٥٧٦)، والتيسير للداني ص (٢١٠)، والسبعة لابن مجاهد ص (٦٣٣)، والكشف للقيسي (٢/ ٣١٨).

(٥) قرأ بها: أبو حيوة، وابن أبي عبلة، وزيد بن عليَ، وعلقمة.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٢٥٤)، وتفسير القرطبي (١٨/ ٥٥)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٩٠)، وتفسير الرازي (٢٩/ ٣٠٠).

(٦) قرأ بها: أبو حيوة، وابن أبي عبلة، وطلحة، والنخعي.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٢٥٤)، وتفسير القرطبي (١٨/ ٥٥)، وتفسير الرازي (٢٩/ ٣٠٠).

(٧) قرأ بها: أبو عمرو، عيسى بن عمر، وابن أبي إسحاق.
ينظر: الإعراب للنحاس (٣/ ٤١٣)، والبحر المحيط (٨/ ٢٥٤)، وتفسير القرطبي (١٨/ ٥٦)، والمجمع للطبرسي (٩/ ٢٦٨)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٣١٩)، والمعاني للفراء (٣/ ١٥٠)، وتفسير الرازي (٢٩/ ٣٠١).

(٨) قرأ بها: أبو جعفر، وعيسى.
ينظر: الإعراب للنحاس (٣/ ٤١٤)، والبحر المحيط (٨/ ٢٥٤)، وتفسير القرطبي (١٨/ ٥٦)، =

كرُخالٍ[١] وبَرَاءٌ على الوصفِ بالمصدرِ مبالغةً][٢] ﴿ومما تعبدونَ منْ دُونِ اللهِ﴾ من الأصنامِ ﴿كفرنَا بكُم﴾ أي بدينِكُم أو بمعبودِكُم أو بِكُم وبهِ فلا نعتدُّ بشأنِكُم وبآلِهَتِكُم ﴿وبدا بينَنَا وبينكُم العداوةُ والبغضاءُ أبدًا﴾ أيْ هَذا دأبُنَا معكُم لا نتركُهُ ﴿حتَّى تُؤمِنُوا باللهِ وَحْدَهُ﴾ وتتركُوا ما أنتُمْ عليهِ من الشركِ فتنقلبُ العداوةُ حينئذٍ ولايةً والبغضاءُ محبةً.

﴿إلاَّ قولَ إبراهيمَ لأبيهِ لأستَغْفِرَنَّ لكَ﴾ استثناءٌ من قولِهِ تعالى أسوةٌ حسنةٌ فإنَّ استغفارَهُ عليهِ الصلاةُ والسلامُ لأبيهِ الكافرِ وإنْ كانَ جائزًا عقلًا وشرعًا لوقوعِهِ قبلِ تبينِ أنَّهُ من أصحابِ الجحيم كما نطقَ به النصُّ لكنَّهُ ليسَ مما ينبغِي أن يُؤتسى بهِ أصلًا إذ المرادُ بهِ ما يجبُ الائتساءُ بهِ حتمًا لورودِ الوعيدِ على الإعراضِ عنه بما سيأتي من قولِه تعالى: ﴿ومن يتولَّ فإن الله هو الغنيُّ الحميدُ﴾ [سورة الممتحنة، الآية ٦] فاستثناؤهُ من الأسوةِ إنما يفيدُ عدمَ وجوبِ استدعاءِ الإيمانِ والمغفرةِ للكافرِ المرجوِّ إيمانُهُ وذلكَ مما لا يرتابُ فيه عاقلٌ، وأما عدمُ جوازِهِ فلا دلالةَ للاستثناءِ عليهِ قطعًا هذا وأما تعليلُ عدمِ كونِ استغفارِهِ عليهِ الصلاةُ السلامُ لأبيهِ الكافرِ مما ينبغي أنْ يُؤتَسى بهِ بأنَّه كانَ قبلَ النَّهي [أو لموعدةٍ وعَدَهَا إياهُ فبمعزلٍ منَ السَّداد بالكلية لابتنائه على تناول النَّهي][٣] لاستغفارِهِ عليهِ الصلاةُ والسلامُ له وإنبائِهِ عن كونِهِ مُؤْتَسَى به لو لم يُنْهَ عَنْهُ وكِلاهما بيِّنُ البطلانِ لما أنَّ موردَ النَّهي هو الاستغفارُ للكافر بعد تبين أمرِهِ وقد عرفتَ أن استغفارَهُ عليهِ الصلاةُ والسلامُ لأبيهِ كان قبلَ ذلكَ قطعًا وأنَّ ما يُؤْتَسَى به ما يجبُ الائتساءُ بهِ لا ما يجوزُ فعلُهُ في الجملة، وتجويزُ أن يكونَ استغفارُهُ عليهِ الصلاةُ والسلامُ لهُ بعدَ النَّهي كما هو المفهومُ من ظاهرِ قوله أو لموعدةٍ وعدَها إيَّاه مما لا مساغَ له وتوجيهُ الاستثناءِ إلى العدةِ بالاستغفارِ لا إلى نفسِ الاستغفارِ بقولِهِ ﴿واغفِر لأبي﴾ [سورة الشعراء، الآية ٨٦] الآيةَ لأنها كانَتْ هي الحاملَةَ[٤] لهُ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامَ على الاستغفارِ، وتخصيصُ هذهِ العِدَة بالذكر دون ما وقع في سورة مريمَ من قوله تعالى: ﴿سأستغفر لك ربِّي﴾ [سورة مريم، الآية ٤٧] لورودها[٥] على طريق التوكيدِ القسمِي، وأما جعلُ الاستغفارِ دائرًا عليها وترتيبُ التبرؤ على تبين الأمرِ فقد مَرَّ تحقيقُهُ في سورةِ التوبةِ.

وقوله تعالى: ﴿وما أملكُ لك منَ الله من شيءٍ﴾ من تمامِ القولِ المُستثنى محلُّه

= والمعاني للفراء (٣/ ١٥٠)، وتفسير الرازي (٢٩/ ٣٠١)

(١) رُخال: مفردها رِخل ورَخِل وهي الأنثي من أولاد الضأن.

(٢) سقط في خ.

(٣) سقط في خ.

(٤) في خ: الخاتمة.

(٥) في خ: لوروده.

النصبُ على أنَّهُ حالٌ من فاعل لأستغفرنَّ لكَ أي أستغفرُ لكَ وليسَ في طاقتِي إلا الاستغفارُ فموردُ الاستثناءِ نفسُ الاستغفارِ لا قيدُهُ الذي هُو في نفسه من خصال الخيرِ لكونِه إظهارًا للعجزِ وتفويضًا للأمرِ إلى الله تعالَى.

وقولُهُ تعالَى: ﴿ربَّنا عليكَ توكلنا وإليكَ أنبنا وإليكَ المصيرُ﴾ . . . إلخ من تمام ما نُقلَ عن إبراهيمَ عليهِ السَّلامُ ومنْ معَهُ منَ الأسوةِ الحسنةِ، وتقديمُ الجارِّ والمجرورِ لقصرِ التوكلِ والإنابةِ والمصيرِ على الله تعالَى قالُوهُ بعدَ المُجاهَرَةِ وشق[1] العَصَا التجاءً إلى الله تعالَى في جميع أمورِهِم لا سيما في مدافعةِ الكفرةِ وكفايةِ شرورِهِم كما ينطقُ به قولُهُ تعالَى: ﴿ربَّنا لَا تجعلْنَا فتنةً للذينَ كفرُوا﴾ بأنْ تسلطَهُم علَيْنَا فيفتنونَا بعذابٍ لا نطيقُهُ ﴿وَاغفِرْ لنَا﴾ ما فرطَ منا منَ الذنوبِ ﴿ربَّنَا إنَّكَ أنتَ العَزيزُ﴾ الغَالِبُ الذي لاَ يَذِلُّ من التجأَ إليهِ ولاَ يخيبُ رجاءُ مَنْ توكَّلَ عليهِ ﴿الحكيمُ﴾ الذي لاَ يفعلُ إلاّ ما فيهِ حكمةٌ بالغةٌ وتكريرُ النداءِ للمبالغةِ في التضرعِ والجؤارِ..

هَذا وأما جعلُ الآيتينِ تلقينًا للمؤمنينَ من جهتِهِ تعالَى وأمرًا لهم بأنْ يتوكلُوا عليهِ وينيبُوا إليهِ ويستعيذُوا[2] بِهِ من فُتنةِ الكفرةِ ويستغفرُوا مما فرطَ منهم تكملةً لما وصَّاهُم بِهِ من قطعِ العلائقِ بينهُمْ وبينَ الكفرةِ فلا يساعدُهُ النظمُ الكريمُ.

﴿لَقد كانَ لكُم فيهم﴾ أي في إبراهيمَ ومن مَعَهُ ﴿أُسوةٌ حَسَنَةٌ﴾ تكريرٌ للمبالغةِ في الحثِّ على الائتساءِ[3] به عليهِ الصلاةُ والسلامُ ولذلكَ صُدرَ بالقسم. وقولُهُ تعالى: ﴿لمن كانَ يرجُو الله واليَومَ الآخرَ﴾ بدلٌ من لكُم فائدَتُهُ الإيذانُ بأَنَّ منْ يؤمنُ بالله واليوم الآخرِ لا يتركُ الاقتداءَ بهم وأنَّ تركَهُ منْ مخايلِ عدمِ الإيمانِ بهما كما ينبئ عنه قولُهُ تعالَى: ﴿ومن يتولَّ فإنَّ الله هوَ الغنيُّ الحميدُ﴾ فإنَّهُ مما يوعَدُ بأمثالِهِ الكَفرةُ.

﴿عسى الله أن يجعلَ بينكُم وبينَ الذينَ عاديتُم منهم﴾ أي منْ أقاربكم المشركينَ ﴿مودَّةً﴾ بأنْ يوافقوكُم في الدين وعدهم الله تعالى بذلكَ لِما رأى منهم من التصلبِ في الدينِ والتشددِ لله في معاداةِ آبائِهم وأبنائِهم وسائِرِ أقربائِهم ومقاطعَتِهِم إيَّاهُم بالكليةِ تطييبًا لقلوبِهم ولقد أنجزَ وعدَهُ الكريمَ حينَ أتاحَ لهم الفتحَ فأسلمَ قومُهُم فتمَّ بينَهُم من التحابِّ والتَّصافِي ما تمَّ ﴿والله قديرٌ﴾ أي مبالغٌ في القُدرةِ فيقدرُ على تقليبِ القلوبِ وتغييرِ الأحوالِ وتسهيلِ أسبابِ المودَّةِ ﴿والله غفورٌ رحيمٌ﴾ فيغفرُ لمن أسلمَ

---

(١) في خ: وفسر.
(٢) في خ: ويستنقذوا.
(٣) في خ: الإتابة.

منَ المشركينَ ويرحمُهُم وقيلَ غفورٌ لما فرطَ منكُم في موالاتِهِم مِن قبلُ ولِمَا بقِيَ في قلوبِكُم من ميلِ الرحم. ﴿**لا ينهاكُم اللهُ عن الذينَ لم يقاتلوكُم في الدِينِ ولم يُخرِجُوكُم من ديارِكُم**﴾ أي لا ينهاكُم عن البرِّ بهؤلاءِ فإنَّ قولَهُ تعالى: ﴿**أَنْ تبرُّوهم**﴾ بدلٌ من الموصولِ ﴿**وتُقسطُوا إليهم**﴾ أي تُفضلوا إليهم بالقسطِ أي بالعدلِ ﴿**إنَّ اللهَ يحبُّ المُقسطينَ**﴾ أي العادلينَ. رُويَ أنَّ قُتيلةَ بنتَ عبدِ العُزَّى قدمتْ مشركةً على بنتِهَا أسماءَ بنتِ أبي بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ بهدايَا فلم تقبلْها ولم تأذنْ لَها بالدخولِ فنزلتْ فأمرَها رسولُ اللهِ ﷺ أنْ تُدخلَها وتقبلَ[1] منْهَا وتُكرمَها وتُحسنَ إليها[2] [وقيلَ المرادُ بهم خزاعةُ وكانوا صالحُوا رسولَ اللهِ ﷺ][3] على ألا يقاتلُوه ولا يعينوا عليهِ ﴿**إنما**

---

(١) في خ: أو تقبلها.
(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ٢/ ٤٨٥).
والواحدي في أسباب النزول (ص٤٤٤)، حديث (٨١٣).
والطبري في تفسيره (١٢/ ٦٢)، حديث (٣٣٩٥٢)، (٣٣٩٥٣) والبزار (٢/ ٣٧٢ - كشف)، حديث (١٨٧٤)، وقال البزار: لا نعلم له طريقًا عن ابن الزبير إلا هذا.
وأخرجه أحمد (٤/ ٤)، وأبو داود الطيالسي في المنحة (٢/ ٢٤)، حديث (١٩٨٢).
وذكره الهيثمي في المجمع (٤/ ١٤٧) وقال: رواه أحمد بنحوه والبزار واللفظ له وفيه مصعب بن ثابت وثقه ابن حبان وضعفه جماعة وبقية رجالهما ثقات. وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٣٠٥) وزاد نسبته إلى أبي يعلى وابن المنذر وابن أبي حاتم والنحاس في تاريخه والطبراني وابن مردويه عن عبد الله بن الزبير قال قدمت قبيلة بنت عبد العزى على ابنتها.
وكذلك ذكره الزيلعي في تخريج الكشاف (٤٥٨، ٤٥٩)، حديث (١٣٢٨) وزاد نسبته إلى أبي يعلى في المسند، والطبراني وابن مردويه وابن أبي حاتم.
أما حديث أسماء بنت أبي بكر أخرجه أحمد (٦/ ٣٤٤، ٣٤٧، ٣٥٥) والبخاري (١٠/ ٤١٣) كتاب الأدب، باب صلة المرأة أمها ولها زوج. حديث (٥٩٧٩) ومسلم (٢/ ٦٩٦): كتاب الزكاة، باب: فضل النفقة والصدقة على الأقربين والزوج والأولاد والوالدين ولو كانوا مشركين. حديث (٤٩/ ١٠٠٣)، وأبو دواد (٢/ ٣٠٧-٣٠٨): كتاب الزكاة: باب الصدقة على أهل الذمة حديث (١٦٦٨) من حديث أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما قالت: قدمت أمي وهي مشركة في عهد قريش إذ عاهدوا فأتيت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله إن أمي قدمت وهي راغبة أفأصلها؟ قال «نعم صلي أمك» وقد ورد أن في هذه القصة نزل قوله تعالى: ﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين﴾ [سورة الممتحنة آية: ٨] الآية . كما رواه أحمد (٦/ ٣٤٤) وابن جرير (٢٨/ ٤٣) وقال ابن أبي شيبة (٣/ ١٧٨): كتاب الزكاة: باب ما قالوا في الصدقة في غير أهل الإسلام. حدثنا شبابة ثنا شعبة عن عثمان البتي عن الحسن في قوله تعالى: ﴿ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا﴾ [سورة الإنسان آية: ٨] قال: الأسرى من أهل الشرك وقال أبو عبيد في الأموال ص (٧٢٩): (١٩٦٦): حدثنا حجاج عن ابن جريج في الآية قال: لم يكن الأسير يومئذ إلا من المشركين. وفي الباب آثار كثيرة يراجع لها الدر المنثور (٦/ ٤٨٤).
(٣) سقط في خ.

ينهاكُم الله عن الذينَ قاتلوكُم في الدينِ وأخرجُوكم من ديارِكم﴾ وهم عتاةُ أهلِ مكةَ **﴿وظاهرُوا على إخراجكم﴾** وهم سائرُ أهلِها **﴿أن تولوهم﴾** بدلُ اشتمالٍ من الموصولِ أي إنما ينهاكُم عن أنْ تتولَّوهُم **﴿ومنْ يتولَّهم فأولئكَ هم الظالمونَ﴾** لوضعهم الولايةَ في موضعِ العداوةِ أو هم الظالمونَ لأنفسِهم بتعريضِها للعذابِ.

﴿يأيُّها الذينَ آمنُوا﴾ بيانٌ لحكمِ من يُظهرُ الإيمانَ بعدَ بيانِ حُكم فريقي الكافرينِ **﴿إذَا جاءكُم المؤمناتُ مهاجراتٍ﴾** من بينِ الكفارِ **﴿فامتحنوهُنَّ﴾** فاختبروهُنَّ بما يغلبُ على ظَنِّكم موافقة قلوبهنَّ للسانِهنَّ في الإيمانِ. يُروى أنَّ رسولَ الله ﷺ كانَ يقولُ للتي يمتحنُهَا بالله الذي لا إلَه إلا هُو «ما خرجتِ من بغضِ زوجٍ بالله ما خرجتِ رغبةً عن أرضٍ إلى أرضٍ بالله ما خرجتِ [التماسَ دُنيا بالله ما خرجتِ][١] إلا حبًا لله ورسولِه»[٢].

﴿الله أعلمُ بإيمانهنَّ﴾ لأنَّه المطلعُ على ما في قلوبهنَّ والجملةُ اعتراضٌ **﴿فإن علمتموهن﴾** بعدَ الامتحانِ **﴿مؤمناتٍ﴾** علمًا يمكنكم تحصيلُه وتبلغُه طاقتُكم بعد اللَّتيا وَالتي من الاستدلال بالعلائمِ والدلائلِ والاستشهادِ[٣] بالأماراتِ والمخايلِ وهو الظنُّ الغالبُ، وتسميتُه علمًا للإيذانِ بأنه جارٍ مجرى العلمِ في وجوبِ العملِ به **﴿فلا ترجعوهُنَّ إلى الكفارِ﴾** أي إلى أزواجِهنَّ الكفرةِ لقولهِ تعالى: **﴿لا هُنَّ حلٌّ لهم ولا هُم يحلونَ لَهُنَّ﴾** فإنَّه تعليلٌ للنهي عن رجعهنَّ[٤] إليهم، والتكريرُ إما لتأكيدِ الحرمةِ أو لأنَّ الأولَ لبيانِ زوالِ النكاحِ الأولِ والثانيَ لبيانِ امتناعِ النِّكاحِ الجديدِ **﴿وآتوهُم ما أنفقُوا﴾** أي وأعطُوا أزواجهنَّ مثلَ ما دفعُوا إليهنَّ من المهورِ وذلكَ أنَّ صلحَ الحديبيةِ كانَ على أنَّ من جاءَنا منكُم رددناهُ فجاءتْ سُبيعةُ بنتُ الحارثِ الأسلمية مسلمة والنبي عليه الصلاة والسلام بالحديبية فأقبل زوجها مسافرٌ المخزوميُّ وقيلَ صيفيُّ بنُ

---

(١) سقط في خ.

(٢) أخرجه ابن جرير (١٢/ ٦٤)، حديث (٣٣٩٥٧، ٣٣٩٥٨) وذكره الهيثمي في المجمع (٧/ ١٢٦) عن ابن عباس وقال رواه البزار وفيه قيس بن الربيع وثقه شعبة والثوري وضعفه غيرهما وبقية رجاله ثقات.
وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٣١٠) وزاد نسبته إلى ابن أبي أسامة والبزار وابن المنذر، وابن أبي حاتم وابن مردويه بسند حسن عن ابن عباس.
وأخرجه عبد الرزاق في التفسير (٢/ ٢٨٨) عن قتادة مرسلًا.
وأخرجه الترمذي (٥/ ٤١٢): كتاب تفسير القرآن: باب ومن سورة الممتحنة حديث (٣٣٠٨) عن أبي نصر عن ابن عباس وقال أبو عيسى: هذا حديث غريب.

(٣) في خ: الاستشهادات.

(٤) في خ: رجوعهن.

الراهبِ فقال يا محمدُارددْ عليَّ امرأتِي فإنكَ قد شرطتَ أن تردَّ علينا من أتاكَ منا فنزلتْ لبيانِ أن الشرطَ إنما كانَ في الرجالِ دُونَ النساءِ فاستحلفَها رسولُ الله ﷺ فحلفتْ فأعطى زوجَها ما أنفقَ وتزوجَها عمرُ رضيَ الله عنهُ[١].

﴿ولا جُناحَ عليكم أنْ تنكحوهُنَّ﴾ فإنَّ إسلامَهُنَّ حالَ بينهنَّ وبينَ أزواجهنَّ الكفارِ ﴿إذا آتيتموهنَّ أجورَهُنَّ﴾ شُرِطَ إيتاءُ المهرِ في نكاحهنَّ إيذانًا بأنَّ ما أُعطَى أزواجُهُنَّ لا يقومُ مقامَ المَهْرِ ﴿ولا تمسكوا بعصمِ الكوافرِ﴾ جمعُ عصمةٍ وهي ما يُعتصم به من عقدٍ وسببٍ أيْ لا يكُنْ بينكُم وبينَ المشركاتِ عصمةٌ ولا عُلقةٌ زوجيةٌ قال ابنُ عباسٍ رضيَ الله عنهُمَا: من كانتْ له امرأةٌ كافرةٌ بمكةَ فلا يعتدنَّ بها من نسائِهِ[٢] لأنَّ اختلافَ الدارينِ قطعَ عصمتَها منْهُ وعنِ النخعيِّ رحمه الله هيَ المسلمةُ تلحقُ بدارِ الحربِ فتكفُرُ[٣] وعن مجاهدٍ أمرهُم بطلاقِ الباقياتِ مع الكفارِ ومفارقتِهِنَّ[٤]، وقرئَ (ولا تُمسّكوا)[٥] بالتشديد (ولا تَمسّكوا)[٦] بحذف إحدى التاءين من تتمسكوا ﴿واسألُوا ما أنفقتُم﴾ من مهورِ نسائِكم اللاحقاتِ بالكُفَّارِ ﴿وليسألُوا ما أنفقُوا﴾ من مهورِ أزواجهنَّ المهاجراتِ ﴿ذلكُم﴾ الذي ذُكِرَ ﴿حكمُ الله﴾ وقولُه تعالَى ﴿يحكمُ بينكُم﴾ كلامٌ مستأنفٌ أو حالٌ من حكمِ الله على حذفِ الضميرِ أي يحكمُه الله أو جعلَ الحكمَ حاكمًا على المبالغةِ ﴿والله عليمٌ حكيمٌ﴾ يشرعُ[٧] ما تقتضيهِ الحكمةُ البالغةُ.

رُوِيَ أنَّه لما نزلتْ الآيةُ أدَّى المؤمنونَ ما أُمروا بهِ من مهورِ المهاجراتِ إلى أزواجهنَّ المشركينَ وأبى المشركونَ أنْ يؤدُوا شيئًا من مهورِ الكوافرِ إلى أزواجِهنَّ

---

(١) أخرجه الواحدي في أسباب التنزيل ص (٤٤٤) رقم (٨١٤) عن ابن عباس وذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٤/ ٣٣٤).

(٢) ينظر: «اللباب في علوم الكتاب» (١٩/ ٣٣) و «الجامع لأحكام القرآن» (١٨/ ٤٤).

(٣) ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٣١٠) وعزاه لسعيد بن منصور وابن المنذر.

(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٧١-٧٢) عن مجاهد.

(٥) قرأ بها: أبو عمرو، ويعقوب، واليزيدي، ومجاهد، وابن جبير، والحسن، والأعرج، وأبو العالية.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤١٥)، والإعراب للنحاس (٣/ ٤١٧)، والبحر المحيط (٨/ ٢٥٧)، والتيسير للداني ص (٢١٠)، والسبعة لابن مجاهد ص (٦٣٤)، والغيث للصفاقسي ص (٣٦٧)، والكشف للقيسي (٢/ ٩).

(٦) قرأ بها: ابن عامر، وأبو عمرو، ومعاذ، والحسن، وابن أبي ليلى، وعبد الحميد.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤١٥)، والإعراب للنحاس (٣/ ٤١٧)، والبحر المحيط (٨/ ٢٥٧)، وتفسير القرطبي (١٨/ ٦٥)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٩٤).

(٧) في خ: بشروع.

المسلمينَ، فنزلَ قولُه تعالى ﴿وإن فاتكُم﴾ أي سبقكُم وانفلتَ منكُم ﴿شيءٌ من أزواجِكم إلى الكُفَّارِ﴾ أي أحدٌ من أزواجِكم وقد قرئ كذلكَ[١] وإيقاعُ شيءٌ موقعَهُ للتحقيرِ والإشباعِ في التعميمِ أو شيءٌ من مهورِ أزواجِكم ﴿فعاقبتُم﴾ أي فجاءتْ عقبتُكم أي نوبتُكَم من أداءِ المَهرِ شبه ما حكم به على المسلمينَ والكافرينَ من أداءِ مهورِ نساءِ أولئكَ تارةً وأداءِ أولئكَ مهورَ نساءِ هؤلاءِ أُخرى بأمرٍ يتعاقبونَ فيهِ كما يتعاقبُ في الركوبِ وغيرِه.

﴿فآتُوا الذينَ ذهبتْ أزواجُهم مثلَ ما أنفقُوا﴾ من مهرِ المهاجرةِ التي تزوجتُموها ولا تؤتوهُ زوجَها الكافرَ، وقيلَ معناهُ إنْ فاتكم فأصبتُم من الكفارِ عُقْبى هيَ الغنيمةُ فآتُوا بدلَ الفائتِ من الغنيمةِ. وقُرئ فأعقبتُم[٢] وفعقَّبْتُم[٣] بالتشديدِ وفعقبْتُم بالتخفيفِ وفتحِ القافِ[٤] وبكسرِهَا[٥]. قيلَ جميعُ منْ لحقَ بالمشركينَ من نساءِ المؤمنينَ المهاجرينَ ستُّ نسوةٍ أمُّ الحكمِ بنتُ أبي سفيانَ وفاطمةُ بنتُ أميةٍ وبَرْوعُ بنتُ عُقْبةٍ وعبدةُ بنتُ عبدِ العُزَّى وهندُ بنتُ أبي جهلٍ وكلثومٌ بنتُ جرولٍ[٦].

---

(١) قرأ بها: ابن مسعود.
ينظر: الإعراب للنحاس (٣/ ٤١٨)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٩٤)، والمعاني للفراء (٣/ ١٥١).

(٢) قرأ بها: مجاهد.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٢٥٧)، وتفسير القرطبي (١٨/ ٦٩)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٩٤)، والمجمع للطبرسي (٩/ ٢٧٣)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٣٢٠).

(٣) قرأ بها: الحسن، وحميد، وعكرمة، ومجاهد، والزهري، والأعرج، وعكرمة، وأبو حيوة، والزعفراني، وعلقمة، والنخعي.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤١٥)، والإعراب للنحاس (٣/ ٤١٧)، والبحر المحيط (٨/ ٢٥٧)، والتبيان للطوسي (٩/ ٥٨٥)، وتفسير الطبري (٢٨/ ٤٩)، وتفسير القرطبي (١٨/ ٦٩)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٩٤)، والمجمع للطبرسي (٩/ ٢٧٣)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٣١٩)، والمعاني للفراء (٣/ ١٥٢).

(٤) قرأ بها: النخعي، والأعرج، وأبو حيوة، والزهري، وابن وثاب، ويحيى بن يعمر.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٢٥٧)، والتبيان للطوسي (٩/ ٥٨٥)، وتفسير القرطبي (١٨/ ٦٩)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٩٤)، والمجمع للطبرسي (٩/ ٢٧٣)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٣١٩).

(٥) قرأ بها: مسروق، والنخعي، والزهري.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٢٥٧)، وتفسير القرطبي (١٨/ ٦٩)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٩٤)، والمجمع للطبرسي (٩/ ٢٧٣)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٣٢٠).

(٦) ذكره البغوي في تفسيره (٤/ ٣٣٤). آية (١١) عن ابن عباس رضي الله عنه قال: لحق بالمشركين من نساء المؤمنين...
وذكره الزيلعي في تخريج الكشاف (٣/ ٤٦٠، ٤٦١)، حديث (١٣٣١) وقال: غريب، وذكره هكذا الثعلبي ثم البغوي، هكذا عن ابن عباس من غير سند ولا راوٍ.

﴿واتّقوا الله الذي أنتمُ به مؤمنونَ﴾ فإن الإيمانَ بهِ تعالى يقتضِي التَّقوى منهُ تعالَى.

﴿يا أيُّها النبيُّ إذا جاءكَ المؤمناتُ يبايعنكَ﴾ أي مبايعاتٍ لكَ أيْ قاصداتٍ للمبايعةِ نزلتْ يومَ الفتحِ فإنَّه عليهِ الصلاةُ والسلامُ لما فرغَ من بَيعةِ الرجالِ شرعَ في بيعة النساءِ ﴿على ألا يشركن بالله شيئًا﴾ أي شيئًا من الأشياءِ أو شيئًا من الإشراكِ ﴿ولا يسرقنَ ولا يزنينَ ولا يقتلنَ أولادهُنَّ﴾ أُريدَ به وأدُ البناتِ وقرئ ولا يُقَتِّلْنَ[١] بالتشديدِ ﴿ولا يأتينَ ببهتانٍ يفترينَهُ بينَ أيديهنَّ وأرجلهنَّ﴾ كانتِ المرأةُ تلتقطُ المولودَ فتقولُ لزوجِها هُو ولدي منكَ كُنِيَ عنْهُ بالبهتانِ المُفترى بينَ يديها ورجلَيها لأنَّ بطنَها الذي تحملُهُ فيهِ بينَ يديها وَمَخرجُه بينَ رِجْلَيْها.

﴿ولا يَعْصِيْنَكَ في مَعْروفٍ﴾ أي فيما تأمرهنَّ بهِ من معروفٍ وتنهاهنَّ عنْهُ من منكرٍ، والتقييدُ بالمعروفِ مع أنَّ الرسولَ ﷺ لا يأمرُ إلا بهِ للتنبيه على أنَّه لا يجوزُ طاعةُ مخلوقٍ في معصيةِ الخالقِ وتخصيصُ الأمورِ المعدودةِ بالذكرِ في حَقِّهنَّ لكثرةِ وقوعِها فيمَا بينهنَّ معَ اختصاصِ بعضها بهنَّ ﴿فبايعْهُن﴾ أي على ما ذُكرَ وما لم يُذكرْ لوضوحِ أمرهِ وظهورِ أصالتِهِ في المبايعةِ من الصلاةِ والزكاةِ وسائرِ أركان الدِّينِ وشعائرِ الإسلامِ، وتقييد مبايعتهنَّ بِما ذُكِرَ من مجيئهنَّ لحثهنَّ على المسارعةِ إليها مع كمالِ الرغبةِ فيهَا من غيرِ دعوةٍ لهنَّ إليها ﴿واستغفرْ لهُنَّ الله﴾ زيادة على[٢] ما في ضمنِ المبايعةِ فإنها[٣] عبارةٌ عن ضمانِ الثوابِ من قبلِهِ عليهِ الصلاةُ والسلامُ بمقابلةِ الوفاءِ بالأمورِ المذكورةِ من قبلهنَّ ﴿إن الله غفورٌ رحيمٌ﴾ أي مبالغٌ في المغفرةِ والرحمةِ فيغفرُ لهنَّ ويرحمهنَّ إذا وفَّينَ بما بايعنَ عليهِ. واختلفَ في كيفيةِ مبايعتِهِ عليهِ الصلاةُ والسلامُ لهن يومئذٍ فَرُوِيَ أنَّه عليهِ الصلاةُ والسلامُ لما فرغَ من بَيعةِ الرجالِ جلسَ على الصَّفا ومعه عمرُ رضيَ الله تعالى عنْهُ أسفلَ منْهُ فجعلَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ يشترطُ عليهن البيعةَ وعمرُ يصافحهنَّ.

ورُوِيَ أنَّه كلفَ امرأةٍ وقفتْ على الصَّفا فبايعتهنَّ. وقيلَ دَعا بقدحٍ من ماءٍ فغمسَ فيهِ يدَهُ ثم غمسنَ أيديهنَّ. ورُوِيَ أنه عليهِ الصلاةُ والسلامُ بايعهنَّ وبين يديهِ وأيديهنَّ ثوبٌ قطريٌّ[٤][٥]، والأظهرُ الأشهرُ ما قالتْ عائشةُ رضيَ الله عنها والله ما أخذَ رسولُ

(١) قرأ بها: علي، والحسن، والسلمي.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٢٥٨)، والمعاني للفراء (٣/ ١٥٢).
(٢) في خ: لما. (٣) في خ: وإنها.
(٤) في خ: تطوى.
(٥) قال الزيلعي في تخريج الكشاف (٣/ ٤٦١)، حديث (١٣٣٢) غريب بهذا اللفظ وأخرجه الطبري في =

الله ﷺ على النساءِ قطُّ إلا بما أمرَ الله تعالَى وما مستْ كفُّ رسولِ الله ﷺ كفَّ امرأةٍ قَط وكانَ يقولُ[١] إذا أخذَ عليهنَّ قَدْ بايعتكنَّ، كلامًا[٢].

وكانَ المؤمناتُ إذَا هاجرنَ إلى رسولِ الله ﷺ يمتحنهنَّ بقولِ الله عزَّ وجلَّ: ﴿يا

= تفسيره (١٢/ ٧٤)، حديث (٣٤٠١٣).
وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٣١٢) وعزاه للطبري وابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ أمر عمر بن الخطاب...
وذكره الزيلعي في تخريج الكشاف (٣/ ٤٦٣)، حديث (١٣٣٢)، وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم في تفسيره.
-أما كيفية المبايعة: أنه دعا بقدح ماء ... إلى آخره.
أخرجه الطبري في المعجم الكبير (١٧/ ١٤٩)، حديث (٣٧٦).
وذكره الهيثمي في المجمع (٦/ ٤٢) وقال: رواه الطبراني وفيه عبد الله بن حكيم أبو بكر الداهري وهو ضعيف.
وفي تاريخ أصبهان (١/ ٢٩٣) وابن سعد في الطبقات (٨/ ٤)، عن أسماء بنت يزيد.
وابن سعد في الطبقات (٨/ ٨) عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده به وذكره الزيلعي في تخريج الكشاف (٣/ ٤٦٣)، حديث (١٣٣٢).
وزاد نسبته لابن مردويه في تفسيره من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده.
أما القول بأنه صافحهن وعلى يده ثوب قطري.
فأخرجه أبو داود في المراسيل ص (٢٧٤)، حديث (٣٧٣) وعبد الرزاق في مصنفه (٦/ ٩)، حديث (٩٨٣٢) مرسلًا.
وقوله كان عمر يصافحهن عنه (حديث أم عطية).
أخرجه ابن حبان في صحيحه (٧/ ٣١٣)، حديث (٣٠٤١).
والطبراني في معجمه الكبير (٢٥/ ٤٥)، حديث (٨٥).
وأبو داود (١/ ٢٢٦): كتاب الصلاة: باب خروج النساء في العيد، حديث (١١٣٩).
وأحمد (٥/ ٨٥)، (٦/ ٤٠٨، ٤٠٩)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ١٨٤) وأبو يعلى في مسنده (١/ ١٩٦)، حديث (٢٢٦).
وذكره الهيثمي في المجمع (٦/ ٤١) وقال رواه أبو داود باختصار كثير، رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني ورجاله ثقات.
وأخرجه الطبري (١٢/ ٧٦)، حديث (٣٤٠٢٩).
وذكره الزيلعي (٣/ ٤٦٤)، حديث (١٣٣٢) وزاد نسبته للبزار وابن مردويه، والنسائي في كتاب الكنى.

(١) في خ: ينزل.
(٢) أخرجه البخاري (٨/ ٥٠٤) كتاب التفسير: باب «إذا جاءك المؤمنات مهاجرات» حديث (٤٨٩١) عن عائشة.
وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٣١١) وزاد نسبته إلى عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه.

أيُّها النبيُّ إذَا جاءكَ المؤمناتُ﴾ [سورة الممتحنة، الآية ١٢] إلى آخرِ الآيةِ فإذا أقررنَ بذلكَ من قولِهِنَّ قالَ لهنَّ انطلقنَ فقد بايعتكُنَّ.

﴿**يا أيها الذينَ آمنُوا لا تتولَّوا قومًا غضبَ الله عليهم**﴾ هُم عامةُ الكفرةِ، وقيلَ اليهودُ، لما رُوِيَ أنَّها نزلتْ في بعضِ فقراءِ المسلمينَ كانُوا يواصلونَ اليهودَ ليصيبُوا من ثمارِهِم[(١)].

﴿**قَدْ يَئِسُوا منَ الآخرةِ**﴾ لكفرِهِم بهَا أو لعلمِهِم بأنَّه لا خلاقَ[(٢)] لهُمْ فيهَا لعنادِهِم الرسولَ المنعوتَ في التوراةِ المؤيدِ بالآياتِ ﴿**كما يئسَ الكُفَّارُ من أصحابِ القُبورِ**﴾ أيْ كَما يئسَ منها الذينَ ماتُوا منهُم لأنَّهم وقفُوا على حقيقةِ الحالِ وشاهدُوا حرمانَهُم من نعيمِهَا المقيمِ وابتلاءَهُم بعذابِهَا الأليمِ والمرادُ وصفهُم بكمالِ اليأسِ منهَا، وقيلَ المَعْنَى كما يئسُوا من موتاهُم أنْ يُبعثوا ويرجعُوا إلى الدُّنيا أحياءً والإظهارُ في موقعِ الإضمارِ للإشعارِ بعلةِ يأسهم[(٣)].

عن النبيِّ ﷺ[(٤)]: «**مَنْ قرأَ سورةَ الممتحنةِ كانَ لهُ المؤمنونَ والمؤمناتُ شفعاءَ يومَ القيامةِ**»[(٥)].

---

(١) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٤/ ٣٣٦) وينظر «اللباب في علوم الكتاب» (١٩/ ٤١).

(٢) في خ: خلاف.

(٣) زاد في خ: والله سبحانه وتعالى أعلم بحالهم.

(٤) زاد في خ: أنه قال.

(٥) حديث موضوع وقد تقدم تخريجه، وزاد في خ: والله الموفق بمنه وكرمه.

سُورةُ الصفِّ

مدنيةٌ، وقيلَ مكيةٌ، وآيُها أربعَ عشرةَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ
تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ اللَّهَ
يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ
يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَاللَّهُ لَا
يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥﴾ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ
يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ وَمَنْ
أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الْإِسْلَامِ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ
لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ
الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ
عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ
تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ
الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا
أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ ۖ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ ۖ فَآمَنَت
طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴿١٤﴾

﴿سبحَ للهِ ما في السمواتِ وما في الأرضِ وهو العزيزُ الحكيمُ﴾ الكلامُ فيهِ كالذي مرَّ في نظيرِه. ﴿يا أيُّها الذينَ آمنُوا لم تقولونَ ما لا تفعلونَ﴾ رُوِيَ أنَّ المسلمينَ قالُوا لو علمنَا أحبَّ الأعمالِ إلى الله تعالى [لبذلنَا فيه أموالَنا وأنفسَنا فلما نزلَ الجهادُ كرهوهُ فنزلتْ[1] وما قيل من أن النازل قوله تعالى ﴿إن الله يحب الذين

---

(١) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص٤٥٧) بدون إسناد.
وقال المناوي في «الفتح السماوي» (٣/ ١٠٣٩): لم أقف عليه؛ أي مسندًا.

يقاتلون في سبيله صفًا﴾ [سورة الصف، الآية ٤] بيّن الاختلال. وروي أنهم قالوا: يا رسول الله لو نعلم أحبّ الأعمال إلى الله تعالى][1] لسارعنا إليه، فنزلت: ﴿هلْ أدلكُم على تجارةٍ﴾ [سورة الصف، الآية ١٠] إلى قوله تعالى ﴿وتجاهدونَ في سبيلِ الله بأموالِكم وأنفسكم﴾ [سورة الصف، الآية ١١] فولَّوا يومَ أحدٍ[2]. وفيه التزامُ أنَّ ترتيبَ الآياتِ الكريمةِ ليسَ على ترتيبِ النزولِ وقيل لما أخبرَ الله تعالى بثوابِ شهداءِ بدرٍ قالتِ الصحابةُ اللَّهم اشهدْ لئِن لقِينا قتالًا لنُفْرِغَن فيهِ وُسعنا ففرّوا يومَ أحدٍ فنزلَتْ[3].

وقيلَ إنَّها نزلتْ فيمَنْ يتمدحُ كاذبًا حيثُ كانَ الرجلُ يقولُ قتلتُ ولم يقتُلْ وطعنتُ ولم يَطعنْ وهكذا[4]، وقيلَ كانَ رجلٌ قد آذى المسلمينَ يومَ بدرٍ ونكى فيهم فقتَلَهُ صهيبٌ وانتحلَ قتلَهُ آخرُ فنزلتْ في المنتحِلِ[5]. وَقِيلَ نزلتْ في المنافقينَ ونداؤُهم بالإيمانِ تهكمٌ بهم وبإيمانهم[6] وليسَ بذاكَ كما ستعرفُهُ، ولِمَ مركبةٌ من اللام الجارةِ وما الاستفهاميةِ قد حذفتْ ألفُها تخفيفًا لكثرةِ استعمالِهما معًا كما في عَمَّ وفيمَ ونظائرِهما. معناها لأيِّ شيءٍ تقولونَ نفعلُ ما لا تفعلونَ من الخيرِ والمعروفِ على أنَّ مدارَ التعييرِ والتوبيخِ في الحقيقةِ عدمُ فعلِهم وإنَّما وجها إلى قولِهم تنبيهًا على تضاعفِ معصيتِهم ببيانِ أنَّ المنكرَ ليسَ تركَ الخيرِ الموعودِ فقط بلِ الوعدَ بهِ أيضًا، وقد كانُوا يحسبونَهُ معروفًا ولو قيلَ لمَ لا تفعلوا ما تقولونَ لفُهم منهُ أنَّ المنكرَ هُو تركُ الموعودِ.

﴿كبرُ مقتًا عندَ الله أنْ تقولُوا ما لا تفعلونَ﴾ بيانٌ لغايةِ قُبح ما فعلوهُ وفرطِ سماجتِه. وكبُرَ من بابِ نِعْمَ وبِئْسَ فيه ضميرٌ مبهمٌ مفسرٌ بالنكرةِ بعدَهُ، وأنْ تقولُوا هو المخصوصُ بالذمِّ. وقيل قُصدَ فيهِ التعجبُ من غيرِ لفظِهِ وأُسْندَ إلى أنْ تقولُوا. ونصبُ مقتًا على تفسيرِهِ دلالةٌ على أنَّ قولَهُم ما لا يفعلونَ مقتٌ خالصٌ لا شوبَ فيهِ كبُرَ عندَ من يحقرُ دونَهُ كلُّ عظيمٍ.

دعوة إلى الجهاد

وقولُهُ تعالى: ﴿إنَّ الله يُحبُّ الذينَ يقاتلونَ في سبيلِه صفًا﴾ بيانٌ لِما هو مرضيٌّ عنده

---

(١) سقط في خ.

(٢) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٤/ ٣٣٧) عن الكلبي.
وينظر «اللباب في علوم الكتاب» (١٩/ ٤٤)، والجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٥١).

(٣) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٤/ ٣٣٧) عن محمد بن كعب وينظر «اللباب» (١٩/ ٤٤) و«الجامع لأحكام القرآن» (١٨/ ٥٢).

(٤) ينظر المصادر السابقة.

(٥) ذكره الزيلعي في تخريج الكشاف (٤/ ٧) وعزاه للثعلبي في تفسيره وينظر اللباب (١٩/ ٤٤- ٤٥) والجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٥٢).

(٦) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٤/ ٣٣٧).

تعالى بعد بيانِ ما هو ممقوتٌ عندهُ. وهذا صريحٌ في أنَّ ما قالُوه عبارةٌ عن الوعدِ بالقتالِ لا عما تقوَّلهُ الممتدحُ أو انتحلَهُ المنتحِلُ أو ادَّعاهُ المنافقُ وأنَّ مناطَ التعييرِ والتوبيخِ هو إخلافُهم لا وعدُهم كما أشيرَ إليهِ. وقرئَ يقاتَلُونَ[١] [بفتح التاء ويَقْتُلُونَ[٢]][٣].

و(صفًا) مصدرٌ وقعَ موقعَ الفاعلِ أو المفعولِ ونصبُهُ على الحاليةِ منْ فاعلِ يقاتلونَ أي صافِّينَ أنفسَهُم أو مصفوفِينَ. وقولُه تعالى: **﴿كأنهم بنيانٌ مرصوصٌ﴾** حالٌ من المستكنِّ في الحالِ الأُولى أي مشبهينَ في تراصِّهم من غيرِ فُرجةٍ وخللٍ ببنيانٍ رُصَّ بعضُهُ إلى بعضٍ ورُصفَ حتى صار شيئًا واحدًا.

وقولُه تعالى: **﴿وإذ قالَ مُوسى لقومِهِ﴾** كلامٌ مستأنفٌ مقررٌ لما قبله من شناعة تركِ القتالِ وإذْ منصوبٌ على المفعوليةِ بمضمرٍ خوطبَ به النبيُّ عليهِ الصلاةُ والسلامُ بطريقِ التلوينِ. أيْ واذكُرْ لهؤلاءِ المعرضينَ عن القتالِ وقتَ قولِ مُوسى لبني إسرائيلَ حينَ ندبَهُم إلى قتالِ الجبابرةِ بقولِهِ: ﴿يا قوم ادخلُوا الأرضَ المقدسةَ التي كتبَ الله لكُم ولا ترتدُّوا على أدبارِكُم فتنقلبُوا خاسرينَ﴾ [سورة المائدة، الآية ٢١] فلم يمتثلُوا بأمرِهِ وعَصوه أشدَّ عصيانٍ حيثُ قالُوا: ﴿يا مُوسى إنَّ فيها قومًا جبارينَ وإنا لنْ ندخلَها حتى يخرجُوا منها فإنْ يخرجُوا منها فإنا داخلونَ﴾ [سورة المائدة، الآية ٢٢] إلى قولِهِ تعالى: ﴿فاذهبْ أنتَ وربُّك فقاتِلا إنا هَهُنَا قاعدونَ﴾ [سورة المائدة، الآية ٢٤] وأصرُّوا على ذلكَ وآذُوه عليهِ الصلاةُ والسلامُ كلَّ الأذيةِ **﴿يا قومِ لم تُؤذونني﴾** أي بالمخالفةِ والعصيانِ فيما أمرتكُم بهِ. وقولُه تعالَى: **﴿وقد تعلمُونَ أني رسولُ الله إليكم﴾** جملةٌ حاليةٌ مؤكدةٌ لإنكارِ الإيذاءِ ونفيِ سببِهِ، وقدْ لتحقيقِ العلمِ وصيغةُ المضارعِ للدلالةِ على استمرارِهِ أي والحالُ أنكم تعلمونَ علمًا قطعيا مستمرا بمشاهدةِ ما ظهر بيديَّ من المعجزاتِ القاهرةِ التي معظمُها إهلاكُ عدوِّكُم وإنجاؤُكم من مملكته أنِّي رسولُ الله إليكُم لأرشدَكم إلى خيرِ الدُّنيا والآخرةِ ومن قضيةِ علمكم بذلكَ أن تبالغُوا في تعظيمي وتسارعُوا إلى طاعتِي.

﴿فلما زاغُوا﴾ أي أصرُّوا على الزيغِ عن الحقِّ الذي جاءَ به موسَى عليهِ السلامُ واستمرُّوا عليهِ **﴿أزاغَ الله قلوبَهُم﴾** أيْ صرفَها عن قبولِ الحقِّ والميلِ إلى الصوابِ

---

(١) قرأ بها: زيد بن علي.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٢٦١)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٩٧)، وتفسير الرازي (٢٩/ ٣١١).
(٢) ينظر: البحر المحيط (٨/ ٢٦١)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٩٧)، وتفسير الرازي (٢٩/ ٣١١).
(٣) في خ: بالفتح وتقتلون.

لصرفِ اختيارِهِم نحو الغيِّ والضلالِ. وقولُهُ تعالى ﴿والله لا يهدِي القومَ الفاسقينَ﴾ اعتراضٌ تذييليٌّ مقررٌ لمضمونِ ما قبله من الإزاغةِ، ومؤذنٌ بعلتِهِ أيْ لا يهدِي القومَ الخارجينَ عن الطاعةِ ومنهاجِ الحقِّ المُصرِّين[1] على الغَوايةِ هدايةً موصلةً إلى البغيةِ، لا هدايةً موصلةً إلى ما يوصَل إليها فإنها شاملةٌ للكُلِّ والمرادُ بهم إما المذكورونَ خاصَّة، والإظهارُ في موقعِ الإضمارِ لذمِّهم بالفسقِ وتعليلِ عدمِ الهدايةِ بهِ. أو جنسِ الفاسقينَ وهم داخلونَ في حُكمه دخولًا أوليا وأيًّا ما كانَ فوصفُهم بالفسقِ ناظرٌ إلى ما في قولِهِ تعالى: ﴿فافرقْ بينَنَا وبينَ القوم الفاسقينَ﴾ [سورة المائدة، الآية ٢٥] وقولِهِ [تعالى][2]: ﴿فلا تأسَ على القوم الفاسقينَ﴾ [سورة المائدة، الآية ٢٦] هذا هُو الذي تقتضيهِ جزالةُ النظم الكريم ويرتضيهِ الذوقُ السليمُ. وأما ما قيلَ بصددِ بيانِ أسبابِ الأذيةِ من أنهم كانُوا يؤذونَهُ عليهِ الصلاةُ والسلامُ بأنواعِ الأذى من انتقاصِهِ وعيبِهِ في نفسِهِ وجحودِ آياتِهِ وعصيانِهِ فيما تعودُ إليهِم منافعُهُ وعبادتِهِم البقرَ وطلبِهِم رؤيةَ الله جهرةً والتكذيبِ الذي هو تضييعُ حقِّ الله وحقِّه - فممَّا لا تعلقَ له بالمقامِ.

وقولُهُ تعالَى: ﴿وإذْ قالَ عيسى ابنُ مريم﴾ إمَّا معطوفٌ على إذ الأُولى معمولٌ لعاملِهَا، وإما معمولٌ لمضمرٍ معطوفٍ على عاملِها ﴿يا بني إسرائيلَ﴾ ناداهُم بذلكَ استمالةً لقلوبِهِم إلى تصديقه في قولِهِ تعالى: ﴿إنِّي رسولُ الله إليكُم مصدقًا لما بينَ يديَّ من التوراةِ﴾ فإنَّ تصديقَهُ عليهِ الصلاةُ والسلامُ إيَّاها من أَقْوى الدَّواعِي إلى تصديقِهِم إيَّاه. وقولُهُ تعالَى: ﴿ومبشرًا برسولٍ يأتي منْ بَعدي﴾ معطوفٌ على مصدقًا أي داعٍ إلى تصديقِهِ عليهِ الصلاةُ والسلامُ مثلَه من حيثُ إن البشارةَ بهِ واقعةٌ في التوراةِ والعاملُ فيهما ما في الرسولِ من مَعْنَى الإرسالِ لا الجارُّ فإنَّه صلةٌ للرسولِ والصلاتُ بمعزلٍ من تضمنِ معنى الفعلِ وعليهِ يدورُ العملُ أي أرسلتُ إليكم حالَ كونِي مصدقًا لما تقدمنِي من التوراةِ ومبشرًا بمنْ يأتي من بعدِي من رسولٍ ﴿اسمُهُ أحمدُ﴾ أي محمدٌ ﷺ، يريدُ أنَّ دينيَ التصديقُ بكتبِ الله وأنبيائِهِ جميعًا ممن تقدمَ وتأخَّر. وقرئَ (منْ بعديَ)[3] بفتحِ الياءِ ﴿فلما جاءهُم بالبيناتِ﴾ أي بالمعجزاتِ الظاهرةِ ﴿قالوا هذا سحرٌ مبينٌ﴾ مشيرينَ إلى ما جاءَ به أو إليهِ عليهِ الصلاةُ والسلامُ وتسميتُه سحرًا للمبالغةِ ويؤيدُه قراءةُ منْ قرأَ (هَذا ساحرٌ)[4].

---

(١) في خ: ومصرين. (٢) سقط في خ.

(٣) قرأ بها: نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وأبو جعفر، وشعبة، ويعقوب، وأبو حاتم، والسلمي، وزر بن حبيش.

ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤١٥)، وتفسير القرطبي (١٨/ ٨٣)، والحجة لابن خالويه ص (٣٤٥)، والسبعة لابن مجاهد ص (٦٣٥)، والغيث للصفاقسي ص (٣٦٧)، وتفسير الرازي (٢٩/ ٣١٣).

(٤) قرأ بها: حمزة، والكسائي، وخلف، وابن مسعود، وطلحة، والأعمش.

=

﴿ومن أظلمُ ممن افترى على الله الكذبَ وهو يُدعى إلى الإسلامِ﴾ أيْ أيُّ الناسِ أشدُّ ظُلمًا ممن يُدعى إلى الإسلامِ الذي يوصله إلى سعادةِ الداريْنِ فيضعَ موضعَ الإجابةِ الافتراءَ على الله عزَّ وجلَّ بقولِهِ لكلامِهِ الذي هو دعاءُ[١] عبادِهِ إلى الحقِّ هذا سحرٌ. أيْ هُو أظلمُ منْ كلِّ ظالمٍ وإنْ لم يتعرضْ ظاهرُ الكلامِ لنفي المُساوِئ وقد مرَّ بيانُهُ غيرَ مرةٍ. وقرئ يُدَّعى[٢] يقال دَعَاهُ وادَّعاهُ مثلُ لمسَهُ والتَمسَهُ.

﴿والله لا يهدِي القومَ الظالمينَ﴾ أي لا يرشدهُم إلى ما فيهِ فلاحُهم لعدم توجههم إليهِ ﴿يريدونَ ليطفئوا نورَ الله﴾ أي يريدونَ أنْ يطفئُوا دينَهُ أو كتابَهُ أو حجتَهُ النيرةَ. واللامُ مزيدةٌ لما فيهَا من مَعْنَى الإرادةِ تأكيدًا لها، كما زيدَتْ لِما فيها من مَعْنَى الإضافةِ تأكيدًا لها في لاَ أبا لكَ أو يريدونَ الافتراءَ ليطفئُوا نورَ الله ﴿بأفواهِهِم﴾ بطعنِهِم فيه، مثلتْ حالهُم بحالِ من ينفخُ في نورِ الشمسِ بفيهِ ليطفئَهُ ﴿والله متمُّ نورِهِ﴾ أي مبلِغُهُ إلى غايتِه بنشرِه في الآفاقِ وإعلائِهِ وقرئ (متمٌّ نورَهُ)[٣] بلا إضافة ﴿ولو كرهَ الكافرونَ﴾ [أي إرغامًا][٤] لهم والجملةُ في حيزِ الحالِ على ما بُينَ مرارًا.

﴿هُوَ الذي أرسلَ رسولَهُ بالهُدَى﴾ بالقرآنِ أو المعجزةِ ﴿ودينِ الحقِّ﴾ والملّة الحنيفيةِ ﴿ليظهرَهُ على الدِّينِ كُلِّهِ﴾ ليُعليَه على جميعِ الأديانِ المخالفةِ لهُ ولقد أنجزَ الله عزَّ وعلاَ وعدَهُ حيثُ جعلَهُ بحيثُ لم يبقَ دينٌ منَ الأديانِ إلا وهُو مغلوبٌ مقهورٌ بدينِ الإسلامِ ﴿ولو كرهَ المشركونَ﴾ ذلكَ. وقرئ (هُو الذي أرسلَ نبيَّهُ)[٥].

﴿يا أيها الذين آمنُوا هل أدلكُم على تجارةٍ تنجيكُم من عذابٍ أليمٍ﴾ وقرئ

= ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤١٥)، والبحر المحيط (٨/ ٢٦٢)، والتيسير للداني ص (١٠١)، وتفسير القرطبي (١٨/ ٨٤)، والحجة لابن زرعة ص (٧٠٧)، والغيث للصفاقسي ص (٣٦٨)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٢٥٦).

(١) في خ: دعاءه.

(٢) قرأ بها: طلحة بن مصرف.
ينظر: الإعراب للنحاس (٣/ ٤٢٢، ٤٢٣)، والبحر المحيط (٨/ ٢٦٢)، وتفسير القرطبي (١٨/ ٨٤)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٣٢١).

(٣) قرأ بها: نافع، وابن عامر، وأبو عمرو، وعاصم، وأبو جعفر، وشعبة، والحسن، وطلحة، والأعرج، وابن محيصن، ويعقوب.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر (٤١٥، ٤١٦)، والإعراب للنحاس (٣/ ٤٢٣)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٤٠)، والتيسير للداني ص (٢١٠)، والسبعة لابن مجاهد ص (٦٣٥)، والغيث للصفاقسي ص (٣٦٨)، والكشف للقيسي (٢/ ٣٢٠).

(٤) في خ: وما.

(٥) ينظر: الكشاف للزمخشري (٤/ ٩٩).

تنجِّيكُم[١] بالتشديدِ. وقولُهُ تعالَى: ﴿تؤمنونَ بالله ورسولِهِ وتجاهدونَ في سبيلِ الله بأموالِكُم وأنفسكُم﴾ استئنافٌ وقعَ جوابًا عما نشأَ مما قبله كأنَّهم قالوا كيفَ نعملُ أو ماذَا نصنعُ فقيلَ تؤمنونَ بالله الخ. وهو خبرٌ في مَعْنى الأمرِ جيءَ بهِ للإيذانِ بوجوبِ الامتثالِ فكأنه قد وقعَ فأخبرَ بوقوعِهِ ويؤيدُهُ قراءةُ من قرأَ (﴿آمِنُوا بالله ورسولِهِ وجاهِدُوا﴾)[٢].

وقرئ (تُؤمِنُوا وتُجاهِدُوا)[٣] على إضمارِ لام الأمرِ[٤] ﴿ذلكُم﴾ إشارةٌ إلى ما ذكرَ من الإيمانِ والجهادِ بقسميه وما فيه من معنى البُعدِ[٥] لما مرَّ تفسيره غيرَ مرةٍ ﴿خيرٌ لكُم﴾ على الإطلاقِ، أو منْ أموالِكُم وأنفسِكُم ﴿إن كنتُم تعلمونَ﴾ أي إنْ كنتُم من أهلِ العلمِ فإنَّ الجهلةَ لا يعتدُّ بأفعالِهِم، أو إنْ كنتُم تعلمونَ أنَّه خيرٌ لكُم حينئذٍ لأنكم إذَا علمتُم ذلكَ واعتقدتُموه أحببتُم الإيمانَ والجهادَ فوقَ ما تحبونَ أنفسَكُم وأموالَكُم فتُخلِصونَ وتفلحُونَ ﴿يغفرْ لكُم ذنوبَكُم﴾ جوابٌ للأمرِ المدلولِ عليه بلفظ الخبرِ، أو لشرطٍ أو استفهامٍ دلَّ عليهِ الكلامُ، تقديرُهُ أنْ تؤمنُوا وتُجاهِدوا أو هَلْ تقبلُونَ أن أدلكُم يغفرْ لكُمْ، وجعلُهُ جوابًا لـ (هَلْ أدلكُم) بعيدٌ لأنَّ مجردَ الدلالةِ لا يوجبُ المغفرةَ.

﴿ويدخلكم جناتٍ تجرِي من تحتِهَا الأنهارُ ومساكنَ طيبةً في جناتِ عدنٍ ذلكَ﴾ أي ما ذُكرَ من المغفرةِ وإدخالِ الجناتِ الموصوفةِ بما ذكرَ من الأوصاف الجليلةِ ﴿الفوزُ العظيمُ﴾ الذي لا فوزَ وراءَهُ ﴿وأُخْرَى﴾ ولكُم إلى هذه النعم العظيمةِ نعمةٌ أُخرى عاجلةٌ ﴿تحبونَهَا﴾ وترغبونَ فيهَا، وفيهِ تعريضٌ بأنهم يؤثرونَ العاجلَ على الآجلِ، وقيلَ أُخرى منصوبةٌ بإضمارِ يعطكُمْ، أو تحبونَ، أو مبتدأٌ خبرُهُ ﴿نصرٌ من الله﴾ وهو عَلى الأولِ بدلٌ، أو بيانٌ، وعلى تقديرِ النصبِ خبرُ مبتدأٍ محذوفٍ ﴿وفتحٌ قريبٌ﴾ أي عاجلٌ، عطفٌ على [نصرٌ على الوجوهِ المذكورةِ. وقرئ (نصرًا وفتحًا قريبًا)[٦] على الاختصاصِ، أو على المصدرِ أيْ تُنصرونَ نصرًا ويُفتحُ لكم فَتْحًا، أو

---

(١) قرأ بها: ابن عامر، والحسن، والأعرج، وابن أبي إسحاق، وأبو حيوة.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤١٦) والبحر المحيط (٨/ ٢٦٣)، والتبيان للطوسي (٩/ ٥٩٣)، والتيسير للداني ص (٢١٠)، وتفسير القرطبي (١٨/ ٨٧)، والغيث للصفاقسي ص (٣٦٨)، والكشف للقيسي (٢/ ٣٢٠).

(٢) قرأ بها: ابن مسعود.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٢٦٣)، وتفسير الطبري (٢٨/ ٥٨)، وتفسير القرطبي (١٨/ ٨٧)، والمعاني للفراء (٣/ ١٥٤).

(٣) قرأ بها: زيد بن علي.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٢٦٣)، وتفسير القرطبي (١٨/ ٨٨).

(٤) (٧) في خ: الإكراه.

(٥) زاد في خ: للإيذان.

(٦) قرأ بها: ابن أبي عبلة.

=

عَلى البدليةِ من أُخرى على تقدير نصبِهَا، أي يعطكُم نعمةً أُخرى نصرًا وفتحًا.

﴿وبشرِ المؤمنينَ﴾ عطفٌ على][1] محذوفٍ مثل قُل يا أيُّها الذينَ آمنُوا وبشرْ، وعلى تؤمنونَ فإنَّه في معنى آمِنُوا كأنَّه قيلَ آمِنُوا وجاهِدُوا أيُّها المؤمنونَ وبشرْهُم يا أيُّها الرسولُ بما وعدتَهُم على ذلكَ عاجلًا وآجلًا ﴿يا أيُّها الذينَ آمنُوا كونُوا أنصارَ اللهِ﴾ وقرئ (أنصارًا لله)[2] بلاَ إضافةٍ لأن المَعْنَى كونُوا بعضَ أنصارِ الله. وقرئ (كونُوا أنتُم أنصارَ الله)[3] ﴿كما قالَ عِيسى ابنُ مَريم للحواريينَ منْ أنصارِي إلى اللهِ﴾ أي مَنْ جُندي متوجهًا إلى نصرة الله كما يقتضيهِ قولُهُ تعالى: ﴿قال الحواريونَ نحنُ أنصارُ اللهِ﴾ والإضافةُ الأُولى إضافةُ أحدِ المتشاركينِ إلى الآخرِ لما بينهُما من الاختصاصِ، والثانيةُ إضافةُ الفاعلِ إلى المفعولِ، والتشبيهُ باعتبارِ المَعْنَى أي كونُوا أنصارَ الله كما كانَ الحواريونَ أنصارَهُ حينَ قال لهُم عيسى مَن أنصارِي إلى الله أو قُل لَهُم كونُوا كما قالَ عيسى للحواريينَ. والحواريونَ أصفياؤُه وهم أولُ من آمنَ به وكانوا إثني عشرَ رجلًا ﴿فآمنَتْ طائفةٌ من بني إسرائيلَ﴾ أي بعِيسَى وأطاعُوه فيما أمرَهُم به من نصرة الدين ﴿وكفرتْ طائفةٌ﴾ أُخرى به وقاتلوهم ﴿فأيدنا الذينَ آمنُوا على عدوِّهم﴾ أي قوَّيناهُم بالحجة أو بالسيفِ وذلكَ بعد رفعِ عيسى عليهِ السلامُ ﴿فأصبحوا ظاهرينَ﴾ غالبينَ.

عن[4] النبيِّ ﷺ «**منْ قرأ سورةَ الصفِّ كانَ عيسى مصليًا عليهِ مستغفرًا له ما دامَ في الدُّنيا وهُو يومَ القيامةِ رفيقُه**»[5].

= ينظر: البحر المحيط (٨/ ٢٦٤).

(١) سقط في خ.

(٢) قرأ بها: أبو عمرو، وابن كثير، ونافع، والأعرج، وعيسى بن عمر، وأبو جعفر.
ينظر: والتبيان للطوسي (٩/ ٥٩٤)، والتيسير للداني ص (٢١٠)، وتفسير الطبري (٢٨/ ٥٩)، وتفسير القرطبي (١٨/ ٨٩)، والحجة لابن خالويه ص (٣٤٥)، والسبعة لابن مجاهد ص (٦٣٥)، والكشف للقيسي (٢/ ٣٢٠).

(٣) قرأ بها: ابن مسعود.
ينظر: الكشاف للزمخشري (٤/ ١٠١)، والمعاني للفراء (٣/ ١٥٥)، وتفسير الرازي (٢٩/ ٣١٨).

(٤) زاد في خ: روي.

(٥) هو جزء من حديث أبي بن كعب في فضائل القرآن سورة سورة وهو حديث موضوع، وزاد في خ: والله الموفق بمنه وكرمه للصواب.

سُورَةُ الجُمعَةِ

مَدَنِيَّةٌ، وآيُها [إِحدَى عَشْرَةَ][1]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى
ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى
ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن
يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ
يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥﴾ قُلْ
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ
﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى
تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ
خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ
ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا قُلْ
مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١﴾

﴿يسبحُ لله مَا في السمواتِ ومَا فِي الأرضِ﴾ تسبيحًا مُستمِرًّا **﴿الملكِ القدوسِ العزيزِ الحكيمِ﴾** وَقَدْ قرئ الصفاتُ الأربعُ بالرَّفع[2] عَلَى المدحِ **﴿هُو الذي بعثَ في الأميينَ﴾** أيْ في العربِ لأنَّ أكثرَهُمْ لا يكتبونَ ولَا يقرأونَ قيلَ بدئتْ الكتابةُ بالطَّائفِ

---

(١) في خ: ثلاث عشرة آية.

(٢) قرأ بها: أبو وائل، ومسلمة بن محارب، ورؤبة، وأبو الدينار الأعرابي، ويعقوب، وأبو العالية، ونصر بن عاصم.
ينظر: الإملاء للعكبري (٢/ ١٤٠)، والبحر المحيط (٨/ ٢٦٦)، وتفسير القرطبي (١٨/ ٩١)، وتفسير الرازي (٣٠/ ٢).

أخذُوها منْ أهلِ الحيرةِ وهُمْ من أهلِ الأنبارِ ﴿رسولًا منهُم﴾ أيْ كائنًا منْ جُملتِهِم أميًّا مثلَهُم ﴿يتلُو عليهِمْ آياتِهِ﴾ مَعَ كونِهِ أميا مثلَهُم لَم يُعهدْ منْهُ قراءةٌ ولا تعلمٌ ﴿ويزكيهم﴾ صفةٌ أُخرى لرسولًا معطوفةٌ عَلَى يتلُو أيْ يحملُهُم عَلى ما يصيرُونَ به أزكياءَ مِن خبائثِ العقائدِ والأعمالِ ﴿ويعلمهم الكتابَ والحكمةَ﴾ صفةٌ أُخْرَى لرسولًا مترتبةٌ في الوجودِ عَلَى التِّلاوةِ وإنَّما وَسَّطَ بينَهُما التزكيةَ التي هيَ عبارةٌ عنْ تكميلِ النفسِ بحسبِ قوتِهَا العمليةِ وتهذيبِهَا المتفرع عَلَى تكميلِهَا بحسبِ القوةِ النظريةِ الحاصلِ بالتعليم المترتبِ على التلاوةِ للإيذانِ بأنَّ كلًا منَ الأمورِ المترتبةِ نعمةٌ جليلةٌ على حيالِهَا مستوجبةٌ للشكرِ فَلَو رُوعِي ترتيبَ الوجودِ لتبادرَ إلى الفهم كونُ [الكُلِّ نعمةً واحدةً كمَا مَرَّ في سورةِ البقرةِ وهُوَ السِرُّ في التعبيرِ عن القرآنِ تارةً بالآياتِ وَأُخْرَى بالكتابِ والحكمةِ رمزًا إلى أنَّه باعتبارِ كُلِّ عنوانٍ][(١)] نعمةٌ عَلى حدةٍ ولا يقدحُ فيهِ شمولُ الحكمةِ لِمَا في تضاعيفِ الأحاديثِ النبويةِ منَ الأحكامِ والشرائعِ ﴿وإنْ كانُوا منْ قبلُ لفي ضلالٍ مبينٍ﴾ منَ الشركِ وخبثِ[(٢)] الجاهليةِ وهو بيانٌ لشدةِ افتقارِهِم إلى مَنْ يرشدهُم وإزاحةٌ لِمَا عَسَى يتوهمُ منْ تعلُّمِهِ عليهِ الصلاةُ والسلامُ منَ الغيرِ، وإنْ هيَ المخففةُ واللامُ هيَ الفارقةُ ﴿وآخرينَ منهُم﴾ عطفٌ على الأميينَ أوْ عَلى المنصوبِ في يعلِّمُهُم أيْ يعلِّمُهُم ويعلِّمُ آخرينَ منهُم أيْ من الأميينَ وهُم الذينَ جَاءُوا بعدَ الصحابةِ إلى يوم الدِّينِ فإنَّ دعوتَهُ عليهِ الصلاةُ والسلامُ وتعليمَهُ يعمُّ الجميعَ ﴿لَمَّا يلحقُوا بهِمْ﴾ صفةٌ لآخرينَ أيْ لمْ يلحقُوا بهِمْ بعدُ وسيلحقونَ ﴿وهُو العزيزُ الحكيمُ﴾ المبالغُ في العزةِ والحكمةِ ولذلكَ مكَّنَ رجلًا أميا منْ ذلكَ الأمرِ العظيمِ واصطفاهُ منْ بينِ كافةِ البشرِ ﴿ذلكَ﴾ الذي امتازَ بهِ منْ بينِ سائرِ الأفرادِ ﴿فضلُ اللهِ﴾ وإحسانُهُ ﴿يؤتيهِ مَن يشاءُ﴾ تفضلًا وعطيةً ﴿واللهُ ذُو الفضلِ العظيمِ﴾ الذي يُستحقرُ دُونَهُ نعيمُ الدُّنيا ونعيمُ الآخرةِ.

﴿مثلُ الَّذينَ حُمِّلُوا التوراةَ﴾ أي عُلِّمُوهَا وكُلِّفُوا العملَ بهَا ﴿ثمَّ لم يحملُوهَا﴾ أيْ لَمْ يعملُوا بِمَا في تضاعِيفِها منَ الآياتِ التي منْ جُملتِها الآياتُ الناطقةُ بنبوةِ رسولِ اللهِ ﷺ ﴿كمثلِ الحمارِ يحملُ أسفارًا﴾ أيْ كتبًا منَ العلم يتعبُ بحملِهَا ولا ينتفعُ بهَا، ويحملُ إمَّا حالٌ والعاملُ فيهَا مَعْنَى المَثلِ أو صفةٌ للحمَارِ إذْ ليسَ المرادُ بهِ معينًا فهُو في حكمِ النكرةِ كمَا في قولِ مَنْ قالَ: [الكامل]

وَلَقَدْ أمرُّ عَلى اللئيمِ يَسُبُّنِي ....[(٣)]

---

(١) في خ: العمل. (٢) في خ: وحنث.

(٣) صدر بيت وعجزه:

.... فمضيتُ ثُمَّتَ قلتُ لا يعنيني =

﴿بئسَ مثلُ القومِ الذينَ كذبُوا بآياتِ الله﴾ أيْ بئسَ مثلًا مثلُ القومِ الذينَ كذَّبُوا بآياتِ الله، عَلى أنَّ التميزَ محذوفٌ والفاعلَ المُفسَّرَ بهِ مستترٌ. ومَثلُ القومِ هُو المخصوصُ بالذمِّ والموصولُ صفةٌ للقومِ. أو بئسَ مثلُ القومِ مثلُ الذينَ كذَّبوا إلخ على أنَّ مثلُ القومِ فاعلُ بئسَ والمخصوصُ بالذمِّ الموصولُ بحَذفِ المضافِ أو بئسَ مثلُ القومِ المكذبينَ مثلُ هؤلاءِ على أنَّ الموصولَ صفةُ القومِ والمخصوصُ بالذمِّ محذوفٌ وهم اليهودُ الذينَ كذَّبُوا بمَا في التوراةِ من الآياتِ الشاهدةِ بصحةِ نبوةِ مُحمَّدٍ ﷺ ﴿والله لا يهدِي القومَ الظالمينَ﴾ الواضعينَ للتكذيبِ في موضعِ التصديقِ أو الظالمينَ لأنفسِهم بتعريضِهَا للعذابِ الخالِدِ.

دحض مزاعم اليهود

﴿قُلْ يَا أيُّهَا الذينَ هَادُوا﴾ أَيْ تهودُوا ﴿إنْ زعمتُم أنكُم أولياءُ لله منْ دونِ الناسِ﴾ كانُوا يقولونَ نحنُ أبناءُ الله وأحباؤُه ويَدَّعُونَ أنَّ الدارَ الآخرةَ لهُمْ عندَ الله خالصةً ويقولونَ لنْ يدخلَ الجنةَ إلاَّ منْ كانَ هُودًا[1] فأُمِرَ رسولُ الله صلَّى الله عليهِ وسلَّم بأنْ يقولَ لهُم[2] إظهارًا لكذبِهِمْ إنْ زعمتُم ذلكَ ﴿فتمنَّوا الموتَ﴾ أيْ فتمنَّوا منَ الله أنْ يميتَكُم وينقُلَكُم منْ دارِ البليةِ إلى دارِ الكرامةِ ﴿إنْ كنتُم صادقينَ﴾ جوابُهُ محذوفٌ لدلالةِ مَا قبلَهُ عليهِ أيْ إنْ كنتُم صادقينَ في زَعْمِكُم واثقينَ بأنَّه حقٌّ فتمنَّوا الموتَ فإنَّ مَنْ أيقنَ بأنَّهُ مِنْ أهلِ الجنةِ أحبَّ أنْ يتخلصَ بها منْ هذهِ الدارِ التي هيَ قرارةُ الأكدارِ ﴿ولا يتمنَّونَهُ أبدًا﴾ إخبارٌ بِما سيكونُ منهُم والباءُ في قولِهِ تعالى: ﴿بِمَا قدمتْ أيديهِمْ﴾ متعلقةٌ بما يدلُّ عليهِ النفيُ أيْ يأبونَ التمنِّي بسببِ ما عملُوا من الكفرِ والمعاصِي الموجبةِ لدخولِ النارِ ولما كانتِ اليدُ من بينِ جوارحِ الإنسانِ مناطَ عامَّةِ أفاعيله عبَّرَ بها تارةً عن النفسِ وأُخرى عنِ القدرةِ.

= البيت لرجل من سلول في الدرر (١/ ٧٨)، وشرح التصريح (٢/ ١١)، وشرح شواهد المغني (١/ ٣١٠)، والكتاب (٣/ ٢٤)، والمقاصد النحوية (٤/ ٥٨)، ولشمر بن عمرو الحنفي في الأصمعيات ص(١٢٦)، ولعميرة بن جابر الحنفي في حماسة البحتري (١٧١)، وبلا نسبة في الأزهية (٢٦٣)، والأشباه والنظائر (٣/ ٩٠)، والأضداد (١٣٢)، وأمالي ابن الحاجب (٦٣١)، وأوضح المسالك (٣/ ٢٠٦)، وجواهر الأدب (٣٠٧)، وخزانة الأدب (١/ ٣٥٧، ٣٥٨)، (٢/ ٣٠١)، (٤/ ٢٠٧، ٢٠٨)، (٥/ ٢٣، ٥٠٣)، (٧/ ١٩٧)، (٩/ ١١٩، ٣٨٣)، والخصائص، (٢/ ٣٣٨)، (٣/ ٣٣٠)، الدرر (٦/ ١٥٤) ، شرح شواهد الإيضاح ص(٢٢١)، شرح شواهد المغني (٢/ ٨٤١)، وشرح ابن عقيل ص(٤٧٥)، والصاحبي في فقه اللغة (٢١٩)، ولسان العرب (ثمم)، (مني)، مغني اللبيب (١/ ١٠٢)، (٢/ ٤٢٩، ٦٤٥)، وهمع الهوامع (١/ ٩)، (٢/ ١٤٠).

(١) زاد في خ: أو نصارى. (٢) زاد في خ: ذلك.

﴿والله عليمٌ بالظالمينَ﴾ أيْ بهِم، وإيثارُ الإظهارِ على الإضمارِ لذمِّهم والتسجيلِ عليهِم بأنَّهم ظالمونَ في كُلِّ ما يأتونَ وما يذرونَ من الأمورِ التي منْ جُملتِهَا ادعاءُ ما هُمْ عنْهُ بمعزلٍ، والجملةُ تذييلٌ لما قبلَهَا مقررةٌ لمضمونِهِ أيْ عليمٌ بهِم وبِمَا صدَرَ عَنْهُم من فنونِ الظلم والمعَاصِي المفضيةِ إلى أفانينِ العذابِ وبِمَا سيكونُ منهُم منَ الاحترازِ عَمَّا يؤدِّي إلَى ذلكَ فوقعَ الأمرُ كما ذكرَ فلم يتمنَّ منهُم موتَهُ أحدٌ كَما يعربُ عَنْهُ قولُهُ تعالى:

﴿قُلْ إنَّ الموتَ الذي تفرونَ مِنْهُ﴾ فإنَّ ذلكَ إنَّما يقالُ لهُم بعدَ ظهورِ فرارِهِم منَ التمنِّي وقدْ قالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ: «لَوْ تمنَّوا لماتُوا منْ ساعتِهِم»[(١)] وهذهِ إحدَى المعجزاتِ أيْ إنَّ الموتَ الذي تفرونَ منهُ ولا تجسَرونَ عَلى أنْ تتمنَّوهُ مخافةَ أنْ تُؤخذُوا بوبالِ كفرِكُم ﴿فإنَّه مُلاقيكُم﴾ ألبتةَ منْ غيرِ صارفٍ يلويهِ ولا عاطفٍ يثنيهِ والفاءِ لتضمنِ الاسمِ مَعْنَى الشرطِ باعتبارِ الوصفِ وقرئَ[(٢)] بدونِهَا وقرئَ تفرونَ[(٣)] منْهُ مُلاقِيكُم ﴿ثمَّ تردونَ إلى عالمِ الغيبِ والشهادةِ﴾ الذي لا تخفَى عليهِ خافيةٌ ﴿فينبئكُم بِمَا كنتُم تعملونَ﴾ منَ الكفرِ والمعاصِي بأنْ يجازيَكُم بهَا.

آداب الجمعة

﴿يَا أَيُّها الذينَ آمنُوا إذَا نُودِي للصَّلاةِ﴾ أيْ فُعِلَ النداءُ لهَا أيْ أُذِّنَ لَهَا ﴿منْ يومِ الجمعةِ﴾ بيانٌ لـ (إذَا) وتفسيرٌ لهَا وقيلَ [من بمَعْنَى في كَما في قولِهِ تعالَى: ﴿أروني مَاذا خلقُوا منَ الأرضِ﴾ [سورة فاطر، الآية ٤٠] أيْ في الأرضِ وإنَّما سمِّي جمعةً لاجتماعِ الناسِ فيهِ للصلاةِ وقيلَ أولُ][(٤)] مَنْ سمَّاها جمعةً كعبُ بنُ لُؤَيٍ وكانتِ العربُ تسميهِ العَرُوبَةَ وقيلَ إنَّ الأنصارَ قالُوا قبلَ الهجرةِ لليهودِ يومٌ يجتمعونَ فيهِ بكُلِّ سبعةِ أيامٍ وللنَّصارَى مثلُ ذلكَ فهلمُّوا نجعلْ لَنَا يومًا نجتمعُ فيهِ فنذكرُ الله فيهِ ونُصلِّي فقالُوا يومُ السبتِ لليهودِ ويومُ الأحدِ للنَّصارَى فاجعلُوه يومَ العَروبَةِ فاجتمعُوا إلى [سعدِ بنِ زُرارةَ][(٥)] فصلَّى بهمْ ركعتَينِ وذكَّرَهُم فسمَّوه يومَ الجمعةِ لاجتماعِهِم فيهِ

---

(١) تقدم تخريجه في سورة البقرة.

(٢) قرأ بها: زيد بن علي.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٢٦٧)، والكشاف للزمخشري (٤/ ١٠٤).

(٣) قرأ بها: ابن مسعود.
ينظر: الكشاف للزمخشري (٤/ ١٠٤)، والمعاني للفراء (٣/ ١٥٦).

(٤) سقط في خ.

(٥) في خ: سعيد بن فزارة.

فأنزلَ الله آيَةَ الجمعةِ فهيَ أولُ جمعةٍ كانتْ في الإسلامِ[(١)].

وأما أولُ جمعةٍ جَمَّعها رسولُ الله ﷺ فهُو أنَّه لما قدمَ المدينةَ مُهَاجِرًا نزلَ قُبَاءَ علَى بني عمرو بنِ عوفٍ وأقامَ بها يومَ الاثنينِ والثَّلاثاءِ والأربعاءِ والخميسِ وأسَّس مسجدَهُم ثم خرجَ يومَ الجمعةِ عامدًا المدينةَ فأدركتْهُ صلاةُ الجمعةِ في بني سالمِ بنِ عوفٍ في بطنِ وادٍ لهم فخطبَ وصلَّى الجمعةَ[(٢)] ﴿فاسعَوا إلى ذكرِ الله﴾ أيْ امشُوا واقْصِدُوا إلى الخطبةِ والصلاةِ ﴿وذرُوا البيعَ﴾ واتركُوا المعاملةَ ﴿ذلكُم﴾ أي السعيُ إلى ذكرِ الله وتركُ البيعِ ﴿خيرٌ لكُم﴾ منْ مباشرتِهِ فإنَّ نفعَ الآخرةِ أجلُّ وأبقَى ﴿إنْ كُنتم تعلمونَ﴾ أيْ الخيرَ والشرَّ الحقيقينِ أوْ إنْ كنتم أهلَ العلمِ.

﴿فإذا قضيت الصلاةُ﴾ أي أُدِّيتْ وفُرِغَ منهَا ﴿فانتشِرُوا في الأرضِ﴾ لإقامةِ مصالِحِكم ﴿وابتغُوا من فضلِ الله﴾ أي الربحَ فالأمرُ للإطلاقِ بعدَ الحظرِ وعنِ ابنِ عباسٍ رضيَ الله عنهُمَا لَمْ يؤمُروا بطلبِ شيءٍ من الدُّنيا إنَّما هو عيادةُ المرضَى وحضورُ الجنائزِ وزيارةُ أخٍ في الله[(٣)].

وعنِ الحسنِ وسعيدِ بنِ المسيِّبِ طلبُ العلمِ[(٤)] وقيلَ صلاةُ التطوعِ[(٥)] ﴿واذكروا الله كثيرًا﴾ ذِكرًا كثيرًا أو زمانًا كثيرًا ولا تخصوا ذكرَهُ تعالَى بالصلاةِ ﴿لعلكُم تفلحونَ﴾ كي تفوزُوا بخيرِ الدارينِ ﴿وإذا رأَوا تجارةً أو لهوا انفضُّوا إلَيها﴾ رُوي أنَّ أهلَ المدينةِ أصابَهُم جوعٌ وغلاءٌ شديدٌ فقدمَ دِحْيةُ بنُ خَلِيفةَ بتجارةٍ منْ زَيْتِ الشامِ

---

(١) رواه عبد الرزاق (٣/ ١٥٩) رقم (٥١٤٤): كتاب الجمعة من طريق معمر عن أيوب عن ابن سيرين قال: فذكر حديثًا طويلًا.
وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٤/ ١٣) للثعلبي في تفسيره من طريق عبد الرزاق بسنده ومتنه.
وعزاه أيضًا للطبراني من حديث كعب بن مالك نحوه باختصار.

(٢) رواه البيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٥١٢) من طريق عروة بن الزبير عن عبد الرحمن بن عويم قال: أخبرني بعض قومي قال: «قدم رسول الله ﷺ وذلك يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول فأقام بقباء الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس فأسس المسجد وصلى فيه تلك الأيام حتى إذا كان يوم الجمعة خرج على ناقته القصواء وبنو عمرو بن عوف يزعمون أنه لبث فيهم ثمان عشرة ليلة ثم خرج وقد اجتمع الناس فأدركته الصلاة في بني سالم فصلاها بمن معه في المسجد الذي ببطن الوادي. فكانت أول جمعة صلاها بالمدينة» وذكره ابن هشام في السيرة (٢/ ١١٢).

(٣) ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٣٣٠) وعزاه لابن مردويه وأخرجه الطبري في تفسيره (١٢/ ٩٧) من حديث أنس مرفوعًا.

(٤) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٤/ ٣٤٥).

(٥) ينظر «اللباب في علوم الكتاب» (١٩/ ٩٢) والجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٧١).

والنبيُّ عليهِ الصلاةُ والسلامُ يخطبُ يومَ الجمعةِ فقامُوا إليهِ خشيةَ أنْ يُسْبقُوا إليهِ فما بقيَ معَهُ عليهِ الصلاةُ والسلامُ إلا ثمانيةٌ وقيلَ أحدَ عشرَ وقيلَ اثنا عشرَ وقيلَ أربعونُ فقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ: «**والَّذي نفسُ محمدٍ بيدِهِ لَوْ خرجُوا جميعًا لأضرمَ الله عليهِم الواديَ نارًا**»[١] وكانُوا إذَا أقبلتْ العيرُ استقبلُوها بالطبلِ والتصفيقِ وهُو المرادُ باللهوِ وتخصيصُ التجارةِ برجعِ الضميرِ لأنَّها المقصودةُ أوْ لأنَّ الانفضاضَ للتجارةِ معَ الحاجةِ إليهَا والانتفاعِ بهَا إذَا كانَ مذمومًا فمَا ظنُّكَ بالانفضاضِ بالكُلِّيةِ إلَى اللَّهوِ وهُو المذمومُ في نفسهِ، وقيلَ تقديرُهُ إذَا رأَوا تجارةً انفضُّوا إليها أو لهوًا انفضوا إليه فحذفَ الثانيَ لدلالةِ الأولِ عليهِ وقُرِئ إليهِمَا[٢] ﴿وتركوكَ قائمًا﴾ [أيْ عَلى المنبرِ][٣] ﴿قُلْ ما عندَ الله﴾ منَ الثوابِ ﴿خيرٌ من اللهوِ ومنَ التجارةِ﴾ فإنَّ ذلكَ نفعٌ محققٌ مخلَّدٌ بخلافِ ما فيهِمَا منَ النَّفعِ المتوهَّمِ ﴿والله خيرُ الرازِقينَ﴾ فإليهِ اسعَوا ومنْهُ اطلبُوا الرزقَ[٤].

عنِ النبيِّ ﷺ: «**مَنْ قرأَ سُورةَ الجُمعةِ أُعطِيَ منَ الأجرِ عشرَ حسناتٍ بعددِ مَنْ أتَى[٥] الجمعةَ ومَنْ لَم يأتِهَا في أمصارِ المسلمينَ**»[٦].

---

(١) ورد من حديث جابر أخرجه البخاري (٣/ ٩٠): كتاب الجمعة: باب إذا نفر الناس عن الإمام، الحديث (٩٣٦) وأطرافه في (٢٠٥٨، ٢٠٦٤، ٤٨٩٩)، ومسلم (٣/ ٤١٥) كتاب الجمعة: باب قوله تعالى: «وإذا رأوا تجارة» الحديث (٨٦٣)، والترمذي (٥/ ٤١٤): كتاب التفسير القرآن: باب ومن سورة الجمعة، الحديث (٣٣١١)، وأحمد (٣/ ٣٧٠)، وابن حبان في صحيحه (١٥/ ٢٩٨) رقم (٦٨٧٦، ٦٨٧٧) والبيهقي في السنن (٣/ ١٩٧)، والواحدي في أسباب النزول ص (٤٤٨) رقم (٨١٩، ٨٢٠)، وابن الجارود في المنتقى رقم (٢٩٢)، وأبو يعلى في مسنده رقم (١٨٨٨).

(٢) ينظر: البحر المحيط (٨/ ٢٦٩).

(٣) سقط في خ.

(٤) زاد في خ: فإنه هو الرزاق.

(٥) زاد في خ: يوم.

(٦) تقدم الكلام عليه وهو حديث موضوع باطل باعتراف واضعه قبحه الله، وزاد في خ: والله الموفق.

سُورةُ المنافقونَ

مدنيةٌ، وآيُها إِحدَى عشرةَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ
الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾
ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ ۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ
أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ
فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ
وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن
يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٦﴾ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ
رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾
يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ
وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ
اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ
أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن
يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾

﴿إذا جاءكَ المنافقُونَ﴾ أي حضرُوا[1] مجلسكَ **﴿قالُوا نشهدُ إنَّك لرسولُ الله﴾** مؤكدينَ[2] كلامَهُم بإنَّ واللامُ للإيذانِ بأنَّ شهادَتَهُم هذهِ صادرةٌ عن صميم قلوبِهم وخلوصِ اعتقادِهِم ووفورِ رغبتِهم ونشاطِهِم. وقولُهُ تعالى: **﴿والله يعلمُ إنكَ لَرسولُهُ﴾** اعتراضٌ مقررٌ لمنطوقِ كلامِهِم وُسِّط بينه وبينَ قولِهِ تعالى: **﴿والله يشهدُ إنَّ المنافقينَ لكاذبونَ﴾** تحقيقًا وتعيينًا لِما نيطَ به التكذيبُ من أنَّهُم قالُوه عن اعتقادٍ كما أُشيرِ إليهِ

---

(١) في خ: حضر.

(٢) زاد في خ: من.

وإماطةً من أولِ الأمرِ لما عسي يتوهمُ من توجه التكذيبِ إلى منطوقِ كلامِهِم أيْ والله يشهدُ إنَّهُم لكاذبُونَ فيما ضمَّنُوا مقالتَهُم من أنَّها صادرةٌ عن اعتقادٍ وطمأنينة قلب والإظهارُ[١] في موقعِ الإضمارِ[٢] لذمِّهم والإشعارِ بعلةِ الحُكمِ.

من سمات النفاق

﴿اتخذُوا أيمانَهُم﴾ الفاجرةَ التي منْ جُملتها ما حُكِيَ عنْهُم **﴿جُنَّةً﴾** أيْ وقايةً عمَّا يتوجَّهُ إليهِمْ منَ المؤاخذةِ بالقتلِ والسبي أو غيرِ ذلكَ واتخاذُها جنةً عبارةٌ عن إعدادِهِم وتهيئتِهِم لها إلى وقتِ الحاجةِ ليحلِفُوا بهَا ويتخلصُوا عنِ المؤاخذةِ لا عنِ استعمالِهَا بالفعلِ فإنَّ ذلكَ متأخرٌ عنِ المؤاخذةِ المسبوقةِ بوقوعِ الجنايةِ واتخاذُ الجنةِ لا بدَّ أن يكونَ قبلَ المؤاخذةِ وعن سببِهَا أيضًا كما يفصحُ عنهُ الفاءُ في قولِهِ تعالى: **﴿فصدُّوا عن سبيلِ الله﴾** [أي قصدُوا منْ أرادَ الدخولَ في الإسلام بأنَّه عليهِ الصلاةُ والسلامُ ليسَ برسولٍ ومن أرادَ الإنفاقَ في سبيلِ الله][٣] بالنَّهي عنهُ كما سيُحْكَى عنهُم، ولا ريبَ في أنَّ هذا الصدَّ منهم[٤] متقدمٌ على حلفِهِم بالفعلِ وقرئ إيمانَهُم[٥] أي ما أظهرُوهُ على ألسنتِهِم فاتخاذُهُ جنةً عبارةٌ عنِ استعمالِهِ بالفعلِ فإنه وقايةٌ دونَ دمائِهِم وأموالِهِم فمَعْنَى قولِهِ تعالى فصدُّوا حينئذٍ فاستمرُّوا على ما كانُوا عليهِ من الصدِّ والإعراضِ عن سبيلِهِ تعالَى: **﴿إنهم ساءَ ما كانُوا يعملونَ﴾** من النفاقِ والصدِّ وفي ساءَ مَعْنَى التعجبِ وتعظيمُ أمرِهِم عندَ السامعينَ **﴿ذلكَ﴾** إشارةٌ إلى ما تقدمَ من القولِ النَّاعِي عليهِمْ إنَّهم أسوأُ الناسِ أعمالًا أو إلى ما وُصفَ من حالِهِم في النفاقِ والكذبِ والاستتارِ بالإيمانِ الصوريِّ، وما فيهِ من مَعْنَى البُعْدِ مع قُربِ العهدِ بالمشارِ إليهِ لما مَرَّ مرارًا من الإشعارِ ببُعدِ منزلتِهِ في الشرِّ **﴿بأنهم﴾** أي بسببِ أنَّهم **﴿آمنُوا﴾** أي نطقُوا بكلمة الشهادةِ كسائرِ منْ يدخُل في الإسلام **﴿ثم كفرُوا﴾** أي ظهرَ كفرُهُم بما شُوهدَ منهم من شَواهدِ الكُفْرِ ودلائِله أو نطقُوا بالإيمانِ عندَ المؤمنينَ ثم نطقُوا بالكفرِ عند شياطينهم **﴿فطبعَ على قلوبِهِم﴾** حتى تمرنُوا على الكفرِ واطمأنُّوا بهِ وقرئَ على[٦] البناءِ للفاعلِ وقرئ[٧] فطبعَ الله. **﴿فهُم لا يفقهونَ﴾** حقيقةَ الإيمانِ ولا يعرفونَ حقيتَهُ أصلًا.

---

(١) في خ: الإضمار.

(٢) في خ: الإخبار.

(٣) سقط في خ.

(٤) في خ: عنهم.

(٥) قرأ بها: الحسن.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤١٦)، والبحر المحيط (٨/ ٢٧١)، والتبيان للطوسي (١٠/ ١١)، والكشاف للزمخشري (٤/ ١٠٨)، والمجمع للطبرسي (١٠/ ٢٩٠)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٣٢٢).

(٦) قرأ بها: زيد بن علي.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٢٧١).

(٧) قرأ بها: الأعمش، وزيد بن علي.

=

﴿وإذَا رأيتَهُم تَعجبكَ أجسامهُم﴾ لضخامتها ويروقكَ[١] منظرُهُم لصباحةِ وجوهِهِم ﴿وإنْ يقولُوا تسمعْ لقولِهِم﴾ لفصاحتهِم وذلاقةِ ألسنتِهِم وحلاوةِ كلامِهِم وكان ابنُ أُبيٍّ جسيمًا فصيحًا يحضرُ مجلسَ رسولِ الله ﷺ في نفرٍ منْ أمثالِهِ وهُم رؤساءُ المدينةِ وكانَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ ومنْ معَهُ يعجبونَ بهياكِلهم ويسمعونَ إلى كلامِهم[٢] وقيلَ الخطابُ لكلِّ أحدٍ ممن يصلُح للخطابِ ويؤيدُه قراءةُ (يُسمعْ)[٣] على البناءِ للمفعولِ.

وقولُه تعالَى: ﴿كأنَّهم خشبٌ مسندةٌ﴾ في حيزِ الرفعِ على أنه خبرُ مبتدأٍ محذوفٍ أو كلامٌ مستأنفٌ لا محلَّ له شُبهوا في جلوسِهم في مجالِس رسولِ الله ﷺ مستندينَ فيها بخشبٍ منصوبةٍ مُسندةٍ إلى الحائطِ في كونِهم أشباحًا خاليةً عن العلمِ والخيرِ، وقرئ (خُشْبٌ)[٤] على أنه جمعُ خشبةٍ كبُدْنٍ جمعُ بَدَنةٍ، وقيل هو جمعُ خَشباءَ وهيَ الخشبةُ التي دُعِرَ جوفُها أي فسدَ شُبهوا بها في نفاقِهِم وفسادِ بواطِنِهم وقرئ (خَشَبٌ)[٥] كمَدَرةٍ ومدَرٍ ﴿يحسبونَ كلَّ صيحةٍ عليهِم﴾ أي واقعةً عليهم ضارةً لهم لجبنِهِم واستقرارِ الرعبِ في قلوبِهِم، وقيلَ كانُوا على وجلٍ من أنْ يُنزلَ الله فيهم ما يهتكُ أستارَهُم ويبيحُ دماءَهُم وأموالَهُم ﴿هُم العدوُّ﴾ أي هُم الكاملونَ في العداوةِ والراسخونَ فيها فإنَّ أعْدَى الأعادِي العدوُّ المُكاشرُ الذي يُكاشِرُكَ وتحتَ ضُلوعِهِ الداءُ الدَّوِيُ، والجملةُ مستأنفةٌ وجعلُها مفعولًا ثانيًا للحسبانِ ممَّا لا يساعدُهُ النظمُ الكريمُ أصلًا فإنَّ الفاءَ في قولِهِ تعالَى: ﴿فاحذرْهُم﴾ لترتيبِ الأمرِ بالحذرِ على كونِهِم أعْدَى الأعداءِ ﴿قاتلهم الله﴾ دعاءٌ عليهِمْ وطلبٌ من ذاتِهِ تعالَى أنْ يلعنَهُم ويُخزيَهم أو تعليمٌ للمؤمنينَ أن يدعُوا عليهِم بذلكَ وقولُهُ تعالَى: ﴿أنَّى يؤفكون﴾ تعجيبٌ من

= ينظر: البحر المحيط (٨/ ٢٧٢)، وتفسير القرطبي (١٨/ ١٢٤).

(١) في خ: وبرؤيته.

(٢) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٤/ ٣٤٨) والزمخشري في الكشاف (٦/ ١٢٤) والقرطبي في «الجامع لأحكام القرآن» (١٨/ ٨١) وابن عادل في «اللباب في علوم الكتاب» (١٩/ ١٠٦).

(٣) قرأ بها: عكرمة، وعطية العوفي.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٢٧٢)، وتفسير الرازي (٣٠/ ١٤).

(٤) قرأ بها: أبو عمرو، والكسائي، وابن كثير، وعاصم، والأعمش، وقنبل، والبراء بن عازب، والمفضل.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤١٦)، والإعراب للنحاس (٣/ ٤٣٤)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٤١)، والبحر المحيط (٨/ ٢٧٢)، والتيسير للداني ص (٢١١)، والسبعة لابن مجاهد ص (٦٣٦)، والغيث للصفاقسي ص (٣٦٨).

(٥) قرأ بها: ابن المسيب، وابن جبير.
ينظر: الإملاء للعكبري (٢/ ١٤١)، والبحر المحيط (٨/ ٢٧٢)، وتفسير القرطبي (١٨/ ١٢٥)، والكشاف للزمخشري (٤/ ١٠٩).

حالِهم أي كيفَ يُصرفونَ عن الحقِّ إلى ما هُم عليهِ من الكُفرِ والضَّلالِ. ﴿وإذا قيلَ لهم﴾ عندَ ظهورِ جنايتِهِم بطريقِ النصيحةِ ﴿تعالَوا يستغفرْ لكم رسولُ الله لوّوا رءووسهم﴾ أي عطفُوها استكبارًا ﴿ورأيتُهُم يصدُّونَ﴾ يُعرضونَ عن القائلِ أو عن الاستغفارِ ﴿وهُم مستكبرونَ﴾ عن ذلكَ.

﴿سواءٌ عليهم أستغفرتَ لهم﴾ كما إذا جاءوكَ معتذرينَ من جنايتِهِم وقرئ استغفرتَ بحذفِ حرفِ الاستفهام[١] ثقةً بدلالةِ أمْ عليهِ وقرئ آستغفرتَ[٢] بإشباعِ همزةِ الاستفهامِ لا بقلبِ همزةِ الوصلِ ألفًا ﴿أم لم تستغفرْ لهم﴾ كما إذا أصرُّوا عَلى قبائِحهم واستكبَرُوا عن الاعتذارِ والاستغفارِ ﴿لنْ يغفرَ الله لهم﴾ أبدًا لإصرارِهِم على الفسقِ ورسوخِهِم في الكفرِ ﴿إنَّ الله لا يهدِي القومَ الفاسقينَ﴾ الكاملينَ في الفسقِ الخارجينَ عن دائرةِ الاستصلاحِ المنهمكينَ[٣] في الكفرِ والنفاقِ، والمرادُ إما هُم بأعيانِهِم والإظهارُ في موقعِ الإضمارِ لبيانِ غُلوهم في الفسقِ أو الجنسِ وهم داخلونَ في زُمرتِهِم دُخولًا أوليا وقولُه تعالَى: ﴿هُم الذينَ يقولونَ﴾ أيْ للأنصارِ ﴿لا تنفقُوا على منْ عندَ رسولِ الله﴾ ﷺ ﴿حتى ينفضُّوا﴾ يعنونَ فقراءَ المهاجرينَ، استئنافٌ جارٍ مَجْرَى التعليلِ لفسقِهِم أو لعدمِ مغفرتِهِ تعالَى لَهُم وقرئ (حتى يُنْفِضُوا)[٤] من أنفضَ القومُ إذا فنيتْ أزوادُهُم وحقيقتُهُ حانَ لهم أن ينفضُوا مزاودَهُم.

وقولُه تعالى: ﴿ولله خزائنُ السمواتِ والأرضِ﴾ردٌّ وإبطالٌ لما زعمُوا من أن عدمَ إنفاقِهِم يؤدي إلى انفضاضِ الفقراءِ منْ حولِهِ عليهِ الصلاةُ والسلامُ ببيانِ أنَّ خزائنَ الأرزاقِ بيدِ الله تعالَى [خاصَّة يُعْطِي منْ يشاءُ ويمنعُ من يشاءُ][٥] ﴿ولكنَّ المنافقينَ لا يفقهُونَ﴾ [ذلكَ لجهلِهِم بالله تعالَى وبشئونهِ ولذلكَ][٦] يقولونَ مِنْ مقالاتِ الكفرِ ما يقولونَ.

---

(١) قرأ (عليهُم): أبو جعفر.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٢٧٣).
عليهِم: أبو عمرو، ومعاذ بن معاذ العنبري.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٢٧٣).

(٢) قرأ بها: أبو جعفر، وابن وردان.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤١٦)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٤١)، والبحر المحيط (٨/ ٢٧٣)، والكشاف للزمخشري (٤/ ١١١)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٣٢٢)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٣٨٨).

(٣) في خ: المنمكنين.

(٤) قرأ بها: الفضل بن عيسى.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٢٧٤)، والكشاف للزمخشري (٤/ ١١١)، وتفسير الرازي (٣٠/ ١٧).

(٥) في خ: وشئونه.

(٦) في خ: وكذلك.

﴿يقولونَ لئِنْ رجعنَا إلى المدينةِ ليُخرجنَّ الأعزُّ منها الأذل﴾ رُوِيَ أن جَهْجَاهَ بنَ سعيدٍ [أَجيرَ عمرَ رضيَ الله عنهُ][(١)] نازعَ سِنانًا الجُهْنَيَّ حليفَ ابنِ أبيٍّ واقتَتلا فصرخَ جَهجاهُ يا للمهاجرينَ وسنانٌ يا للأنصارِ فأعانَ جهجاهًا رجالٌ من فقراءِ المهاجرينَ ولطمَ سنانًا فاشتكى إلى ابْنِ أُبيٍّ فقالَ للأنصارِ لا تُنفقُوا. . .إلخ والله لئِن رجعنَا إلى المدينةِ ليُخرجَنَّ الأعزُّ منهَا الأذلَّ عَنَى بالأعزِّ نفسَهُ وبالأذلِّ جانبَ المؤمنينَ[(٢)] وإسنادُ القولِ المذكورِ إلى المنافقينِ لرضاهُم بهِ فردَّ عليهِم ذلكَ بقولِه تعالَى: ﴿ولله العزَّةُ ولرسولِهِ وللمؤمنينَ﴾ أي ولله الغلبةُ والقوةُ ولمنْ أعزَّهُ من رسولِهِ والمؤمنينَ لا لغيرِهِم ﴿ولكنَّ المنافقينَ لا يعلمونَ﴾ من فرطِ جهلِهِم وغرورِهِم فيهذُونَ ما يهذُون.

رُوِيَ أنَّ عبدَ الله بنِ أُبيٍّ لما أرادَ أن يدخلَ المدينةَ اعترضَهُ ابنُهُ عبدُ الله بنُ عبدِ الله بنِ أُبيٍّ وكان مخلصًا وقالَ لئِن لم تُقِرَّ لله ولرسولِه بالعزِّ لأضرِبَنَّ عنقَكَ فلمَّا رَأى منه الجِدَّ قال أشهدُ أنَّ العزةَ لله ولرسولِه وللمؤمنينَ فقالَ النبيُّ عليهِ الصلاةُ والسلامُ لابنِهِ جزاكَ الله عن رسولِهِ وعن المؤمنينَ خيرًا[(٣)].

توصية للمؤمنين

﴿يا أيُّها الذينَ آمنُوا لا تُلهكُم أموالُكُم ولا أولادُكُم عن ذكرِ الله﴾ أي لا يشغَلْكُم الاهتمامُ بتدبيرِ أمورِهَا والاعتناءُ بمصالحِهَا والتمتعُ بها عن الاشتغالِ بذكرِهِ عزَّ وجلَّ من الصلاةِ وسائرِ العباداتِ المذكّرةِ للمعبودِ والمرادُ نهيهُم عنِ التَّلهّي بهَا، وتوجيهُ النهيِ إليهَا للمبالغةِ كما في قولِهِ تعالَى: ﴿ولا يجرمنكم شنآنُ قوم﴾ [سورة المائدة، الآية ٢]. . .إلخ ﴿ومنْ يفعلْ ذلكَ﴾ أي التَّلهي بالدُّنيا منَ الدِّينِ ﴿فأولئكَ هُم

---

(١) في خ: أخبر عمه.

(٢) أخرجه البخاري (٨/ ٥٢٠) كتاب التفسير: باب قوله: «لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ...» حديث (٤٩٠٧) عن جابر بن عبد الله بنحوه.
وأخرجه الترمذي (٥/ ٣٤١) كتاب التفسير: باب ومن سورة المنافقين، حديث (٣٣١٣) والطبراني في «الكبير» (٥٠٤١) والحاكم (٢/ ٤٨٨، ٤٨٩)، والبيهقي في «الدلائل» (٤/ ٥٤-٥٥) عن زيد بن أرقم.
وقال الترمذي: حسن.
وينظر: «معالم التنزيل» (٤/ ٣٤٨، ٣٤٩) و«اللباب في علوم الكتاب» (١٩/ ١١٢) وفتح الباري (٩/ ٦٤٤ - ٦٤٦).

(٣) ينظر: أسباب النزول للواحدي ص (٤٥٠ - ٤٥٣)، و«السيرة النبوية» (٣/ ٢٨٥، ٢٨٦)، و«دلائل النبوة» (٤/ ٤٦-٥٣).
وينظر أيضًا التعليق السابق.

الخاسرونَ﴾ أي الكاملونَ في الخسرانِ حيثُ باعُوا العظيمَ الباقِي بالحقيرِ الفانِي.

﴿وأنفقُوا ممَّا رزقناكُم﴾ أي بعضَ ما أعطيناكُم تفضلًا منْ غيرِ أنْ يكونَ حصولُهُ من جهتِكُم ادخارًا للآخرةِ **﴿مِنْ قبلِ أنْ يأتيَ أحدَكُم الموتُ﴾** بأنْ يشاهدَ دلائلَهُ ويعاينَ أماراتِهِ ومخايلَهُ، وتقديمُ المفعولِ على الفاعلِ لما مرَّ مرارًا من الاهتمامِ بما قُدِّمَ والتشويقِ إلى ما أُخِّر **﴿فيقولَ﴾** عند تيقنِه بحلولِهِ **﴿ربِّ لولا أخرتني﴾** أي أمهلتَنِي **﴿إلى أجلٍ قريبٍ﴾** أي أمدٍ قصيرٍ **﴿فأَصَّدَّقَ﴾** بالنصبِ على جوابِ التمنِي وقرئ فأتصدقَ[١] **﴿وأكنْ من الصالحينَ﴾** بالجزمِ عطفًا على محلِّ فأصدقَ كأنه قيلَ إنْ أخرتنِي أصدقْ وأكنْ وقرئ وأكونَ[٢] بالنصبِ عطفًا على لفظِهِ وقرئ وأكونُ[٣] بالرفعِ أي وأنَا أكون، عِدة منه بالصلاحِ.

﴿ولن يُؤخر الله نفسًا﴾ أي ولَنْ يُمهلَهَا **﴿إذا جاءَ أجلُهَا﴾** أي آخرُ عُمرِهَا أو انتهى إنْ أُريدَ بالأجلِ الزمانُ الممتدُ من أولِ العمرِ [إلى آخرِهِ][٤] **﴿والله خبيرٌ بما تعملونَ﴾** [فمجازيكُم عليهِ][٥] إنْ خيرًا فخيرٌ وإنْ شرًا فشرٌّ فسارِعُوا في الخيراتِ واستعدُّوا لما هُو آتٍ وقرئ يعملُونَ[٦] بالياءِ التحتانيةِ[٧].

عن النبيِّ ﷺ: **«مَنْ قرأ سورةَ المنافقينَ برئ من النفاقِ»**[٨].

---

(١) قرأ بها: أبي، وابن مسعود، وابن جبير.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٢٧٥)، وتفسير الرازي (٣٠/ ١٩).

(٢) قرأ بها: أبو عمرو، والحسن، واليزيدي، وابن محيصن، وابن جبير، وأبو رجاء، وابن أبي إسحاق، ومالك بن دينار، والأعمش، وعبد الله بن الحسن، والعنبري، وعبد الله بن مسعود، وأبي، ومجاهد.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤١٧)، والإعراب للنحاس (٣/ ٤٣٩)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٤١)، والبحر المحيط (٨/ ٢٧٥)، والتبيان للطوسي (١٠/ ١٤)، والتيسير للداني ص (٢١١)، والسبعة لابن مجاهد ص (٦٣٧).

(٣) قرأ بها: عبيد بن عمير.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٢٧٥).

(٤) سقط في خ.

(٥) في خ: فيجازيكم.

(٦) قرأ بها: عاصم، وشعبة، والسلمي، وحماد، ويحيى.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤١٧)، والبحر المحيط (٨/ ٢٧٥)، والتبيان للطوسي (١٠/ ١٤)، والتيسير للداني ص (٢١١)، وتفسير القرطبي (١٨/ ١٣١)، والحجة لأبي زرعة ص (٧١١).

(٧) زاد في خ: والله تعالى أعلم.

(٨) تقدم تخريجه وهو حديث موضوع كما نص عليه الأئمة والحفاظ، وزاد في خ: والله الموفق والهادي للصواب.

سُورَةُ التَّغَابُنِ

مختلفٌ فيهَا، وآيُها ثماني عشرةَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾
هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ
بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا
تُعْلِنُونَ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ فَذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا۟ وَتَوَلَّوا۟ وَّٱسْتَغْنَى
ٱللَّهُ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ
عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلْنَا وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ
لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن
تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ
أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٠﴾ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ
وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ
فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٢﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟
وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ
﴿١٥﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا۟ وَأَنفِقُوا۟ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ
فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ شَكُورٌ
حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾

﴿يسبحُ للهِ ما في السمواتِ وما في الأرضِ﴾ أي ينزهُهُ سبحانَهُ جميعُ ما فيهما من المخلوقاتِ عمَّا لا يليقُ بجنابِ كبريائِه تنزيهًا مُستمرًّا **﴿له الملكُ وله الحمدُ﴾** لا لغيرِه إذْ هو المُبدئُ لكلِّ شيءٍ وهو القائمُ به والمهيمنُ عليهِ وهو المُولي لأصولِ النعمِ

وفروعِها، وأما ملكُ غيرِهِ فاسترعاءٌ من جنابِهِ وحمدُ غيرِه اعتداءٌ بأنَّ نعمةَ الله جرتْ على يدِه ﴿وهو عَلى كلِّ شيءٍ قديرٌ﴾ لأن نسبةَ ذاتِهِ المقتضيةَ للقدرةِ إلى الكلِّ سواءٌ ﴿هو الذي خلقكُم﴾ خلقًا بديعًا حاويًا لجميعِ مبادِي الكمالاتِ العلميةِ والعمليةِ ومع ذلكَ ﴿فمنكم كافرٌ﴾ أي فبعضُكم أو فبعضٌ منكُم مختارٌ للكفرِ كاسبٌ له على خلافِ ما تستدعيهِ خلقتُه ﴿ومنكم مؤمنٌ﴾ مختارٌ للإيمانِ كاسبٌ له حسبما تقتضيهِ خلقتُه، وكان الواجبُ عليكم جميعًا أن تكونُوا مختارينَ للإيمانِ شاكرينَ لنعمةِ الخلقِ والإيجادِ وما يتفرعُ عليها من سائرِ النعمِ، فما فعلتُم ذلكَ مع تمامِ تمكنِكُم منهُ بل تشعبتُم شعبًا وتفرقتُم فرقًا. وتقديمُ الكفرِ لأنه الأغلب فيما بينَهُم والأنسبُ بمقامِ التوبيخِ، وحملُه على مَعْنَى فمنكم كافرٌ مقدرٌ كفرُه موجهٌ إليهِ ما يحملُه عليهِ ومنكُم مؤمنٌ مقدرٌ إيمانُهُ موفقٌ لما يدعُوه إليهِ مما لا يلائمُ المقامَ ﴿والله بما تعملونَ بصيرٌ﴾ فيجازيكُم بذلكَ فاختارُوا منه ما يجديكُم من الإيمانِ والطاعةِ، وإياكُم وما يُرديكم من الكفرِ والعصيانِ ﴿خلقَ السمواتِ والأرضَ بالحقِّ﴾ بالحكمةِ البالغةِ المتضمنةِ للمصالحِ الدينيةِ والدنيويةِ ﴿وصوركم فأحسنَ صوركم﴾ حيثُ بَرَأكُم في أحسنِ تقويمٍ وأودعَ فيكُم من القُوى والمشاعرِ الظاهرةِ والباطنةِ ما [نيطَ بها][(١)] جميعُ الكمالاتِ البارزةِ والكامنةِ وزينكُم بصفوةِ صفاتِ مصنُوعاتِهِ وخصَّكُم بخلاصةِ خصائصِ مُبدِعَاتِهِ وجعلَكُم أنموذجَ جميعِ مخلوقاتِهِ في هَذه النشأة ﴿وإليهِ المصيرُ﴾ في النشأةِ الأُخرى لا إلى غيرِهِ استقلالًا أو اشتراكًا فأحسِنُوا سرائرَكُم باستعمالِ تلكَ القُوى والمشاعرِ فيما خُلقنَ لَهُ.

﴿يعلمُ ما في السمواتِ والأرضِ﴾ من الأمورِ الكليةِ والجزئيةِ والأحوالِ الجليةِ والخفيةِ ﴿ويعلم ما تسرونَ وما تعلنونَ﴾ أي ما تسرونَهُ فيما بينَكُم وما تظهرونَهُ من الأمورِ، والتصريحُ بهِ مع اندراجِهِ فيما قبلَهُ لأنَّهُ الذي يدورُ عليهِ الجزاءُ ففيهِ تأكيدٌ للوعدِ والوعيدِ وتشديدٌ لهما وقولُهُ تعالَى: ﴿والله عليمٌ بذاتِ الصدورِ﴾ اعتراضٌ تذييليٌّ مقررٌ لما قبلَهُ من شمولِ علمِهِ تعالَى لسرِّهم وعلنِهِم أي هو محيطٌ بجميعِ المضمراتِ المستكنةِ في صدورِ الناسِ بحيثُ لا تفارقُها أصلًا فكيفَ يخفى عليهِ ما يُسرونَهُ وما يُعلنونَهُ، وإظهارُ الجلالةِ للإشعارِ بعلةِ الحكمِ وتأكيدِ استقلالِ الجملةِ. قيلَ وتقديمُ تقريرِ القدرةِ على تقريرِ العلمِ لأنَّ دلالةَ المخلوقاتِ على قدرتِهِ بالذاتِ وعلى علمِهِ بما فيها من الإتقانِ والاختصاصِ ببعضِ الأنحاءِ ﴿ألم يأتِكُم﴾ أيها

---

(١) في خ: تتقبلها.

الكفرةُ ﴿نبأُ الذينَ كفرُوا من قبلُ﴾ كقومِ نوحٍ ومن بعدهم من الأممِ المصرةِ على الكفرِ ﴿فذاقوا وبالَ أمرِهِم﴾ عطفٌ على كفَرُوا والوبالُ الثقلُ والشدةُ المترتبةُ على أمرٍ من الأمورِ وأمرُهُم كفرُهُم عبرَ عنْهُ بذلكَ للإيذانِ بأنه أمرٌ هائلٌ وجنايةٌ عظيمةٌ أي ألم يأتكم خبرُ الذينَ كفرُوا من قبلُ فذاقُوا من غيرِ مهلةٍ ما يستتبعُه كفرُهُم في الدُّنيا ﴿ولهم﴾ في الآخرةِ [﴿عذابٌ أليمٌ﴾ لا يُقادرُ قدرُهُ][1] ﴿ذلكَ﴾ [أي ما ذُكِرَ من العذابِ الذي ذاقُوه في الدُّنيا وما سيذوقونَهُ في الآخرةِ ﴿بأنَّه﴾][2] بسببِ أن الشأنَ ﴿كانت تأتيهم رسلُهُم بالبيناتِ﴾ أي بالمعجزاتِ الظاهرةِ ﴿فقالُوا﴾ عطفٌ على كانتْ ﴿أبشرٌ يهدونَنَا﴾ أي قالَ كلُّ قومٍ من المذكورينَ في حقِّ رسولِهِم الذي أتاهُم بالمعجزاتِ منكرينَ لكونِ الرسولِ من جنسِ البشرِ متعجبينَ من ذلكَ أبشرٌ يهدينَا كما قالتْ ثمودُ ﴿أبشرًا منا واحدًا نتبعُهُ﴾ [سورة القمر، الآية ٢٤] وقد أُجملَ في الحكايةِ فأُسنِدَ القولُ إلى جميعِ الأقوامِ وأُريدَ بالبشرِ الجنسُ فوصفَ بالجمعِ كما أُجملَ الخطابُ والأمرُ في قولِهِ تعالَى: ﴿يا أيُّها الرسلُ كلُوا من الطيباتِ واعملُوا صالحًا﴾ [سورة المؤمنون، الآية ٥١] ﴿فكفرُوا﴾ أي بالرسلِ ﴿وتولَّوا﴾ عن التدبرِ فيما أتَوا بهِ من البيناتِ وعن الإيمانِ بهم ﴿واستغنى الله﴾ أي أظهرَ استغناءَهُ عن إيمانِهِم وطاعَتِهِم حيثُ أهلكهُم وقطعَ دابرَهُم، ولولا غناهُ تعالَى عنهُما لما فعلَ ذلكَ ﴿والله غنيٌّ﴾ عنِ العالمينَ فضلًا عن إيمانِهِم وطاعَتِهِم ﴿حميدٌ﴾ يحمَدُهُ كلُّ مخلوقٍ بلسانِ الحالِ، أو مستحقٌّ للحمدِ بذاتِهِ وإنْ لم يحمَدهُ حامدٌ.

﴿زعمَ الذينَ كفرُوا أن لنْ يُبعثوا﴾ الزعمُ ادعاءُ العلمِ يتعدى إلى مفعولينِ [وقد قام مقامَهُما أنِ المخففةُ معَ مَا في حيزِهَا، والمرادُ بالموصولِ كفارُ مكةَ أي زعمُوا أنَّ الشأنَ لن يبعثُوا][3] بعد موتِهِم أبدًا ﴿قُلْ﴾ ردًّا عليهِم وإبطالًا لزعمِهِم بإثباتِ ما نَفوه ﴿بَلَى﴾ أي تُبعثونَ وقوله: ﴿وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم﴾ أي لتُحاسبُنَّ ولتُجزَوُنَّ بأعمالِكُم، جملةٌ مستقلةٌ داخلةٌ تحتَ الأمرِ واردةٌ لتأكيدِ ما أفادَهُ كلمةُ بَلَى من إثباتِ البعثِ وبيانِ تحقيقِ[4] أمرٍ آخرَ متفرعٍ عليهِ منوطٍ به ففيهِ تأكيدٌ لتحقق[5] البعثِ بوجهينِ ﴿وذلكَ﴾ أي ما ذُكِرَ من البعثِ والجزاءِ ﴿عَلى الله يسيرٌ﴾ لتحققِ القدرةِ التامةِ وقبولِ المادةِ.

---

(١) سقط في خ.
(٢) سقط في خ.
(٣) سقط في خ.
(٤) في خ: تحقق.
(٥) في خ: لتحقيق.

والفاءُ في قولِه تعالَى: ﴿**فآمنُوا**﴾ فصيحةٌ مفصحةٌ عن شرطٍ قد حُذفَ ثقةً بغايةِ ظهورِهِ أي إذا كانَ الأمرُ كذلكَ فآمنُوا ﴿**بالله ورسولِهِ**﴾ محمدٍ ﷺ ﴿**والنُّورِ الذي أنزلنَا**﴾ وهُو القرآنُ فإنَّه بإعجازِهِ بيِّنٌ بنفسِهِ مبيِّنٌ لغيرِهِ كما أنَّ النورَ كذلكَ. والالتفاتُ إلى نونِ العظمةِ لإبرازِ كمالِ العنايةِ بأمرِ الإنزالِ ﴿**والله بما تعملونَ**﴾ من الامتثالِ بالأمرِ وعدمِهِ ﴿**خبيرٌ**﴾ فمجازيكُم عليهِ. والجملةُ اعتراضٌ تذييليٌّ مقررٌ لما قبلَهُ من الأمرِ موجبٌ للامتثالِ به بالوعدِ والوعيدِ، والالتفاتُ إلى الاسم الجليلِ لتربيةِ المهابةِ وتأكيدِ استقلالِ الجُملةِ ﴿**يوم يجمعُكم**﴾ ظرفٌ لتنبؤنَّ وقيلَ لخبير لما فيهِ من مَعْنَى الوعيدِ كأنَّه قيلَ والله مجازيكُم ومعاقبكُم يومَ يجمعُكُم أو مفعولٌ لـ (اذكُرْ) وقرئَ نَجْمعكُم[1] بنونِ العظمةِ ﴿**ليوم الجمعِ**﴾ ليوم يُجمعُ فيهِ الأولونَ والآخرونَ أي لأجلِ ما فيهِ من الحسابِ والجزاءِ ﴿**ذلكَ يومُ التغابنِ**﴾ أي يومُ غَبْنِ بعضِ الناسِ بعضًا بنزولِ السعداءِ منازلَ الأشقياءِ ولو كانوا سعداءَ وبالعكسِ وفي الحديثِ: «**ما منْ عبدٍ يدخلُ الجنةَ إلا أُري مقعدَهُ من النارِ لو أساء**[2] **ليزداد شُكرًا وما من عبدٍ يدخلُ النارَ إلا أري مقعدَهُ من الجنةِ لو أحسنَ ليزدادَ حسرةً**»[3] وتخصيصُ التغابنِ بذلكَ اليومِ للإيذانِ بأن التغابنَ في الحقيقةِ هو الذي يقعُ فيهِ لا ما يقعُ في أمورِ الدُّنيا.

﴿**ومن يؤمنُ بالله ويعملْ صالحًا**﴾ أي عملًا صالحًا ﴿**يكفرْ**﴾ أي الله عَزَّ وجلَّ وقُرِئَ[4] بنونِ العظمةِ ﴿**عنه سيئاتِهِ**﴾ يومَ القيامةِ ﴿**ويُدخلهُ جناتٍ تجري من تحتِهَا**

---

(١) قرأ بها: يعقوب، وسلام، وزيد بن علي، والشعبي، ورويس، ونصر، وابن أبي إسحاق، والجحدري. ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤١٧)، والبحر المحيط (٨/ ٢٧٨)، والتبيان للطوسي (١٠/ ٢٠)، والكشاف للزمخشري (٤/ ١١٥)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٣٨٨).

(٢) في خ: شاء.

(٣) أخرجه البخاري (١٣/ ٢٣٨) كتاب الرقائق، باب: صفة الجنة والنار، حديث (٦٥٦٩)، من طريق أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة، قال: قال النبي ﷺ: «لا يدخل أحد الجنة إلا أري مقعده من النار، لو أساء ليزداد شكرًا، ولا يدخل النار أحد إلا أري مقعده من الجنة لو أحسن ليكون عليه حسرة». ا هـ.
وله شاهد من حديث ابن عمر رضي الله عنهما:
أخرجه البخاري (٣/ ٦١٢، ٦١٣): كتاب الجنائز: باب الميت يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي، حديث (١٣٧٩)، وأطرافه في (٣٢٤٠-٦٥١٥)، ومسلم (٩/ ٢١٨-النووي): كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب: عرض مقعد الميت من الجنة والنار عليه، وإثبات عذاب القبر، والتعوذ منه، حديث (٦٥/ ٢٨٦٦) والنسائي (٤/ ١٠٧): كتاب الجنائز: باب وضع الجريد على القبر.
كلهم عن طريق مالك عن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة... الحديث».

(٤) قرأ بها: نافع، وابن عامر، وعاصم، والأعرج، وشيبة، وأبو جعفر، وطلحة، والمفضل، وزيد بن علي، والحسن. =

الأنهارُ خالدينَ فيها أبدًا﴾ وقرئ نُدخله[١] بالنونِ ﴿ذلكَ﴾ أي ما ذُكِرَ من تكفيرِ السيئاتِ وإدخالِ الجناتِ ﴿الفوزُ العظيمُ﴾ الذي لا فوزَ وراءَهُ لانطوائِهِ على النجاةِ من أعظمِ الهلكاتِ والظفرِ بأجلِّ الطلباتِ.

﴿والذينَ كفرُوا وكذبُوا بآياتِنَا أولئِكَ أصحابُ النارِ خالدينَ فيها وبئسَ المصيرُ﴾ أي النارُ كأنَّ هاتينِ الآيتينِ الكريمتينِ بيانٌ لكيفيةِ التغابنِ ﴿ما أصابَ من مصيبةٍ﴾ من المصائبِ الدنيويةِ ﴿إلا بإذنِ اللهِ﴾ أي بتقديرِهِ وإرادتِهِ كأنَّها بذاتِهَا متوجهةٌ إلى الإنسانِ متوقفةٌ على إذنِهِ تعالى: ﴿ومن يُؤمنْ باللهِ يهدِ قلبَهُ﴾ عند إصابتِهَا للثباتِ[٢] والاسترجاعِ وقيل يهدِ قلبَهُ حتَّى يعلمَ أنَّ ما أصابَهُ لم يكُنْ ليخطئَهُ وما أخطأَهُ لم يكُن ليصيبَهُ[٣] وقيلَ يهدِ قلبَهُ أي يلطفُ بهِ ويشرحُهُ لازديادِ الطاعةِ والخيرِ. وقرئ (يُهْدَ قلبُهُ)[٤] على البناءِ للمفعولِ ورفعِ قلبه.

وقرئ بنصبِهِ[٥] على نهجِ سفِه نفسَهُ وقرئ بالهمزةِ[٦] أي يسكُن.

﴿واللهُ بكلِّ شيءٍ﴾ من الأشياء التي من جُملتِهَا القلوبُ وأحوالِهَا ﴿عليمٌ﴾ فيعلمُ إيمانَ المؤمنِ ويهدي قلبَهُ إلى ما ذُكِرَ ﴿وأطيعُوا اللهَ وأطيعُوا الرسولَ﴾ كررَ الأمرَ للتأكيدِ والإيذانِ بالفرقِ بينَ الطاعتين في الكيفيةِ وتوضيحِ موردِ التولِّي في قولِهِ تعالَى:

= ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤١٧)، والبحر المحيط (٨/ ٢٧٨)، والتبيان للطوسي (١٠/ ٢٢)، والتيسير للداني ص (٢١١)، والغيث للصفاقسي ص (٣٦٩)، والكشف للقيسي (١/ ٣٨٠).

(١) قرأ بها: نافع، وابن عامر، وعاصم، والأعرج، وشيبة، وأبو جعفر، وطلحة، والمفضل، وزيد بن علي، والحسن.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤١٧)، والبحر المحيط (٨/ ٧٢٨)، والسبعة لابن مجاهد ص (٦٣٨)، والكشف للقيسي (١/ ٣٨٠)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٢٤٨).

(٢) في خ: للثواب. (٣) في خ: ليعيبه.

(٤) قرأ بها: عكرمة، والسلمي، والضحاك، وأبو جعفر، وقتادة.
ينظر: الإعراب للنحاس (٣/ ٤٤٧)، والبحر المحيط (٨/ ٢٧٩)، وتفسير القرطبي (١٨/ ١٣٩)، والكشاف للزمخشري (٤/ ١١٥)، والمجمع للطبرسي (٤/ ١١٥).

(٥) قرأ بها: حمزة، وابن جبير، وطلحة بن مصرف، وابن هرمز، والأزرق.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٢٧٨، ٢٧٩) وتفسير القرطبي (١٨/ ١٤٠)، والكشاف للزمخشري (٤/ ١١٥)، والمجمع للطبرسي (١٠/ ٢٩٩)، وتفسير الرازي (٣٠/ ٢٦).

(٦) قرأ بها: عكرمة، وعمرو بن دينار، ومالك بن دينار.
ينظر: الإملاء للعكبري (٢/ ١٤١)، والبحر المحيط (٨/ ٢٧٩)، وتفسير القرطبي (١٨/ ١٤٠)، والكشاف للزمخشري (٤/ ١١٥)، والمجمع للطبرسي (١٠/ ٢٩٩)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٣٢٣)، وتفسير الرازي (٣٠/ ٢٦).

﴿فإنْ توليتُم﴾ أي عن إطاعةِ الرسولِ، وقولُهُ تعالَى: ﴿فإنَّما على رسولِنَا البلاغُ المبينُ﴾ تعليلٌ[1] للجوابِ المحذوفِ أي فلا بأسَ عليهِ إذْ ما عليهِ إلا التبليغُ المبينُ وقد فعلَ ذلكَ بما لا مزيدَ عليهِ، وإظهارُ الرسولِ مضافًا إلى نونِ العظمةِ في مقامِ إضمارِهِ لتشريفِهِ عليهِ الصلاةُ والسلامُ والإشعارُ بمدارِ الحكمِ الذي هوَ كونُ وظيفتِهِ عليهِ الصلاةُ والسلامُ محضَ البلاغِ ولزيادةِ تشنيعِ التولِّي عنْهُ ﴿اللهُ لا إله إلا هُو﴾ جملةٌ من مبتدأٍ وخبرٍ أي هو المستحقُّ للمعبوديةِ لا غيرُهُ، وفي إضمارِ خبرِ لا مثل في الوجودِ أو يصح أن يوجدَ خلافٌ للنجاةِ معروفٌ[2] ﴿وعلى اللهِ﴾ أي عليهِ تعالى خاصَّة دونَ غيرِهِ لا استقلالًا ولا اشتراكًا ﴿فليتوكَّلِ المؤمنونَ﴾ وإظهارُ الجلالةِ في موقعِ الإضمارِ للإشعارِ بعلةِ التوكلِ والأمرِ بهِ فإن الألوهيةَ مقتضيةٌ للتبتلِ إليهِ تعالى بالكليَةِ وقطعِ التعلقِ عما سواهُ بالمرةِ.

من توجيهات القرآن

﴿يا أيُّها الذينَ آمنُوا إنَّ من أزواجِكُم وأولادِكُم عدوًّا لكُم﴾ يشغلونَكُم عن طاعةِ اللهِ [تعالَى أو][3] يخاصمونَكُم في أمورِ [الدينِ أو الدُّنيا][4] ﴿فاحذروهُم﴾ الضميرُ للعدوِّ فإنَّه يطلقُ على الجمعِ نحو قولِهِ تعالَى: ﴿فإنهم عدوٌّ لي﴾ [سورة الشعراء، الآية ٧٧] أو للأزواجِ والأولادِ[5] جميعًا فالمأمورُ بهِ على الأولِ الحذرُ عن الكلِّ وعلى الثاني إما الحذَرُ عن البعضِ لأنَّ منهم من ليسَ بعدوٍّ وإما الحذرُ عن مجموعِ الفريقينِ لاشتمالِهِم على العدوِّ ﴿وإن تعفُوا﴾ عن ذنوبِهِم القابلةِ للعفوِ بأن تكونَ متعلقةً بأمورِ الدُّنيا أو بأمورِ الدينِ لكن مقارنةٌ للتوبةِ ﴿وتصفحُوا﴾ بتركِ التثريبِ والتعييرِ ﴿وتغفرُوا﴾ بإخفائِهَا وتمهيدِ عُذرِهَا ﴿فإنَّ اللهَ غفورٌ رحيمٌ﴾ يعاملكُم بمثلِ ما عملتُم ويتفضلُ عليكُم. وقيلَ إنَّ ناسًا من المؤمنينَ أرادُوا الهجرةَ عن مكَّة فثبطهُم أزواجُهُم وأولادُهُم وقالوا تنطلقونَ وتضيعونَنَا [فرقُّوا لهُم][6] ووقفُوا فلما هاجَرُوا بعد ذلكَ ورأَوا المهاجرينَ الأولينَ قد فقهُوا في الدينِ أرادُوا أن يعاقبُوا أزواجَهُم وأولادَهُم فزُينَ لهم العفوُ[7]، وقيلَ قالُوا لهُم أينَ تذهبونَ وتدعُونَ بلدكُم وعشيرتَكُم

---

(١) في خ: تعليلًا.
(٢) في خ: معزوف.
(٣) في خ: و.
(٤) في خ: الدنيا والدين.
(٥) في خ: والأزواج.
(٦) سقط في خ.
(٧) أخرجه الترمذي (٥/ ٣٩١) كتاب التفسير: باب ومن سورة التغابن حديث (٣٣١٧) والطبري في تفسيره (١٢/ ١١٧) والطحاوي في «مشكل الآثار» (٦/ ١٤٠) والطبراني في الكبير (١١٧٢٠) =

وأموالَكُم فغضبُوا عليهِم وقالُوا لئِن جمعنَا الله في دارِ الهجرةِ لم نُصِبكم بخيرٍ فلما هاجرُوا منعُوهُم الخيرَ فحثُّوا على أنْ يعفُوا عنهُم ويردُّوا إليهِمْ البرَّ والصلةَ[١].

﴿إنما أموالُكُم وأولادُكُم فتنةٌ﴾ بلاءٌ ومحنةٌ يوقعونَكُم في الإثم من حيثُ لا تحتسبون ﴿والله عندَهُ أجرٌ عظيمٌ﴾ لمن آثَرَ محبةَ الله تعالَى وطاعَتَهُ على محبةِ الأموالِ والأولادِ والسعيِ في تدبيرِ مصالحِهِم ﴿فاتقوا الله ما استطعتُم﴾ أي ابذلُوا في تقواهُ جهدَكُم وطاقَتَكُم ﴿واسمعُوا﴾ مواعظَهُ ﴿وأطيعُوا﴾ أوامرَهُ ﴿وأنفقُوا﴾ مما رزقكُم في الوجوهِ التي أمركُم بالإنفاقِ فيها خالصًا لوجهِهِ[٢] ﴿خيرًا لأنفسكم﴾ أي ائتُوا خيرًا لأنفسِكُم وافعلُوا ما هو خيرٌ لها وأنفعُ وهو تأكيدٌ للحثِّ على امتثالِ هذهِ الأوامرِ وبيانٌ لكونِ الأمورِ المذكورةِ خيرًا لأنفسِهِم، ويجوزُ أن يكونَ صفةً لمصدرٍ محذوفٍ أو إنفاقًا خيرًا أو خبرًا لكانَ مقدرًا جوابًا للأوامرِ أي يَكُنْ خيرًا لأنفسِكُم ﴿ومن يُوق شُحَّ نفسِهِ فأولئكَ هم المُفلحون﴾ الفائزونَ بكلِ مرامٍ.

﴿إنْ تُقرضُوا الله﴾ بصرفِ أموالِكُم إلى المصارفِ التي عينَها ﴿قرضًا حسنًا﴾ مقرونًا بالإخلاصِ وطيبِ النفسِ ﴿يضاعفْهُ لكم﴾ بالواحدِ عشرةً إلى سبعمائةٍ وأكثرَ. وقرئ (يُضعّفهُ لكُم)[٣] ﴿ويغفرُ لكُم﴾ ببركةِ الإنفاقِ ما فرطَ منكُم من بعضٍ[٤] الذنوبِ ﴿والله شكورٌ﴾ يَعطي الجزيلَ بمقابلةِ النزرِ القليلِ ﴿حليمٌ﴾ لا يعاجلُ بالعقوبةِ مع كثرةِ ذنوبِكُم ﴿عالمُ الغيبِ والشهادةِ﴾ لا يَخفى عليهِ خافيةٌ ﴿العزيزُ الحكيمُ﴾ المبالغُ في القدرةِ والحكمةِ.

عن النبيِّ ﷺ: «منْ قرأَ سورةَ التغابنِ دُفِعَ[٥] عنهُ موتُ الفجأةِ»[٦].

= والحاكم (٢/ ٤٩٠) عن ابن عباس.
وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.
وأخرجه الطبري (١٢/ ١١٧، ١١٨) عن عطاء بن يسار وأن صاحب هذه القصة عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه.

(١) ينظر: «معالم التنزيل» (٤/ ٣٥٤) و«الكشاف» (٦/ ١٣٤).
(٢) زاد في خ: الكريم.
(٣) قرأ بها: ابن كثير، وابن عامر، وأبو جعفر، ويعقوب.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤١٧)، والتبيان للطوسي (٩/ ٢٧)، والتيسير للداني ص (٢١١)، والحجة لابن خالويه ص (٣٤٧)، والسبعة لابن مجاهد ص (٦٣٨)، والكشاف للزمخشري (٤/ ١١٦)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٢٨٨).
(٤) في خ: ببعض.
(٥) زاد في خ: الله.
(٦) تقدم تخريجه وهو حديث موضوع، وزاد في خ: والله سبحانه وتعالى أعلم بالثواب.

سُورَةُ الطلاقِ

مدنيةٌ، وآياتُهَا [إحدَى عشرةَ أو][1] اثنتا عشرةَ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحۡصُواْ ٱلۡعِدَّةَۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمۡۖ لَا تُخۡرِجُوهُنَّ
مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخۡرُجۡنَ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدۡ
ظَلَمَ نَفۡسَهُۥۚ لَا تَدۡرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرٗا (١) فَإِذَا بَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمۡسِكُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ
فَارِقُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٖ وَأَشۡهِدُواْ ذَوَيۡ عَدۡلٖ مِّنكُمۡ وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ
يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا (٢) وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن
يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا (٣) وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ
مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ
أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا (٤) ذَٰلِكَ أَمۡرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيۡكُمۡۚ وَمَن يَتَّقِ
ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا (٥) أَسۡكِنُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ سَكَنتُم مِّن وُجۡدِكُمۡ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ
لِتُضَيِّقُواْ عَلَيۡهِنَّۚ وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمۡلٖ فَأَنفِقُواْ عَلَيۡهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ فَإِنۡ أَرۡضَعۡنَ لَكُمۡ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّۖ
وَأۡتَمِرُواْ بَيۡنَكُم بِمَعۡرُوفٖۖ وَإِن تَعَاسَرۡتُمۡ فَسَتُرۡضِعُ لَهُۥٓ أُخۡرَىٰ (٦) لِيُنفِقۡ ذُو سَعَةٖ مِّن سَعَتِهِۦۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيۡهِ
رِزۡقُهُۥ فَلۡيُنفِقۡ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَاۚ سَيَجۡعَلُ ٱللَّهُ بَعۡدَ عُسۡرٖ يُسۡرٗا (٧) وَكَأَيِّن مِّن
قَرۡيَةٍ عَتَتۡ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبۡنَٰهَا حِسَابٗا شَدِيدٗا وَعَذَّبۡنَٰهَا عَذَابٗا نُّكۡرٗا (٨) فَذَاقَتۡ وَبَالَ أَمۡرِهَا وَكَانَ
عَٰقِبَةُ أَمۡرِهَا خُسۡرًا (٩) أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدٗاۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ قَدۡ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكُمۡ
ذِكۡرٗا (١٠) رَّسُولٗا يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٖ لِّيُخۡرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى
ٱلنُّورِۚ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ قَدۡ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ
لَهُۥ رِزۡقًا (١١) ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ
شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا (١٢)

---

(١) سقط في خ.

﴿يا أيُّها النبيُّ إذَا طلقتُم النساءَ﴾ تخصيصُ النداءِ بهِ عليهِ الصلاةُ والسلامُ مع عُمومِ الخطابِ لأمتِهِ أيضًا لتشريفه عليهِ الصلاةُ والسلامُ وإظهارِ جلالةِ منصبِهِ، وتحقيقِ أنَّه المخاطبُ حقيقةً، ودخولِهِم في الخطابِ بطريقِ استتباعِهِ عليهِ الصلاةُ والسلامُ إيَّاهُم. وتغليبِهِ عليهِم لاَ لأنَّ نداءَهُ كندائِهِم، فإن ذلكَ الاعتبارَ لو كانَ في حيزِ الرعايةِ لكانَ الخطابُ هو الأحقَّ بهِ[١] لشمولِ حُكمِهِ للكلِّ قطعًا والمَعْنَى إذا أردتُم تطليقهنَّ وعزمتُم عليهِ كما في قولِهِ تعالَى: ﴿إذا قمتُم إلى الصلاةِ﴾ [سورة المائدة، الآية ٦] ﴿فطلِّقوهُنَّ لعدَّتهنَّ﴾ أي مستقبلاتٍ لها كقولكَ أتيتُهُ لليلةٍ خلتْ من شهرِ كَذَا فإن المرأةَ إذا طُلقَتْ في طُهرٍ يعقبُهُ القُرْءُ الأولُ من أقرائِهَا فقد طُلقَتْ مستقبلةً لعدتِهَا، والمرادُ أن يُطلَّقنَ في طُهْرٍ لم يقعْ فيهِ جماعٌ ثم يُخلَّينَ حتى تنقضيَ عدتُهنَّ وهَذا أحسنُ الطلاقِ وأدخلُهُ في السنةِ ﴿وأحصُوا العدةَ﴾ واضبِطُوها وأكملوها ثلاثةَ أقراءٍ [كواملَ][٢] ﴿واتقوا الله ربَّكم﴾ في تطويلِ العدةِ عليهنَّ والإضرارِ بهنَّ. وفي وصفِهِ تعالَى بربوبيتِهِ لهم تأكيدٌ للأمر ومبالغةٌ في إيجابِ الاتقاءِ ﴿لا تُخْرِجوهُنَّ منْ بُيوتهنَّ﴾ من مساكنِهِنَّ عندَ الفراقِ إلى أنْ تنقضيَ عِدتُهُنَّ، وإضافتُهَا إليهنَّ[٣] وهيَ لأزواجِهنَّ لتأكيدِ النَّهيِ ببيانِ كمالِ استحقاقِهِنَّ لسُكنَاهَا كأنها أملاكهُنَّ ﴿ولا يخرجنَ﴾ ولو بإذنِ منكُم فإنَّ الإذنَ بالخروجِ في حُكم الإخراجِ، وقيلَ المَعْنَى لا يخرجنَّ باستبدادٍ منهنَّ أما إذَا اتفقَا على الخروجِ جازَ إذِ الحقُّ لا يعدوهُمَا ﴿إلا أنْ يأتينَ بفاحشةٍ مبينةٍ﴾ استثناءٌ من الأولِ[٤] قيلَ هيَ الزنا فيخرجنَ لإقامة الحدِّ عليهنَّ وقيلَ إلا أنْ يبذُونَ[٥] على الأزواجِ فيحلُّ حينئذٍ إخراجهُنَّ، ويؤيدُهُ قراءةُ[٦] إلا أنْ يفحُشْنَ عليكُم أو من الثاني للمبالغةِ في النَّهيِ عن الخروجِ ببيانِ أنَّ خروجَهَا فاحشةٌ ﴿وتلكَ﴾ إشارةٌ إلى ما ذُكرَ من الأحكامِ وما في إسمِ الإشارةِ من مَعْنَى البُعْدِ مع قُربِ العهدِ بالمشارِ إليهِ للإيذانِ بعلوِّ درجتِهَا وبعدِ منزلتِهَا ﴿حدودُ الله﴾ التي عيَّنَهَا لعباده ﴿وَمنْ يتعد حدودَ الله﴾ أي حدودَهُ المذكورةَ بأنْ أحلَّ بشيءٍ منها على أنَّ الإظهارَ في حيزِ الإضمارِ لتهويلِ أمرِ التعدِّي، والإشعارِ بعلةِ الحكم في قولِهِ تعالَى: ﴿فقد ظلَمَ نفسَهُ﴾ أي أضرَّ بهَا، وتفسيرُ الظلمِ بتعريضِهَا للعقابِ يأباهُ قولُهُ تعالَى: ﴿لاَ تدري

---

(١) في خ: المتوجه.
(٢) سقط في خ.
(٣) في خ: النهي.
(٤) في خ: منهي.
(٥) يبذون: بذا والبذاء بالمدِّ: الفحش في القول، وبذا الرجل إذا ساء خلقه.
(٦) قرأ بها: أبي.
ينظر: الكشاف للزمخشري (٤/ ١١٩).

لعلَّ الله يحدثُ بعدَ ذلكَ أمرًا﴾ فإنه استئنافٌ مسوقٌ لتعليلِ مضمونِ الشرطيةِ، وقد قالُوا إن الأمرَ الذي يحدثُهُ الله تعالى أنْ يقلبَ قلبَهُ عمَّا فعلَهُ بالتعدِّي إلى خلافِهِ فلا بُدَّ أن يكونَ الظلمُ عبارةً عن ضررٍ دنيويٍّ يلحقُهُ بسببِ تعدِّيهِ ولا يُمكنُ تداركُهُ أو عنْ مُطلقِ الضررِ الشاملِ للدنيويِّ والأُخرويِّ، ويخُصُّ التعليلُ بالدنيويِّ لكونِ احترازِ الناسِ منهُ أشدَّ واهتمامِهِمْ بدفْعِهِ أَقْوَى. وقولُهُ تعالَى: ﴿لاَ تَدْرِي﴾ خطابٌ للمتعدِّي بطريقِ الالتفاتِ لمزيدِ الاهتمامِ بالزجرِ عن التعدِّي، لا للنبيِّ عليهِ الصلاةُ والسلامُ كما توهِّمَ، فالمَعْنَى ومن يتعدَّ حدودَ الله فقدْ أضرَّ بنفسِهِ فإنكَ لا تدْرِي أيُّها المتعدِّي عاقبَةَ الأمرِ لعلَّ الله يحدثُ في قلبكَ بعدَ ذلكَ الذي فعلتَ من التعدِّي أمرًا يقتضِي خلافَ ما فعلتَهُ فيبدِّل ببغضِهَا محبةً، وبالإعراضِ عنها إقبالًا إليها ويتسنَّى تَلاَفيهِ رجعةً أو استئنافَ نكاحٍ.

﴿فإذَا بلغنَ أجلهنَّ﴾ شارفنَ[1] آخرَ عدتِهِنَّ ﴿فأمسكوهنَّ﴾ فراجعوهنَّ ﴿بمعروفٍ﴾ بحسنِ معاشرةٍ وإنفاقٍ لائقٍ ﴿أو فارقُوهنَّ بمعروفٍ﴾ بإيفاءِ الحقِّ واتقاءِ الضررِ بأنْ يراجعَهَا ثم يُطلقهَا تطويلًا للعدةِ ﴿وأشهِدُوا ذوَي عدلٍ منكم﴾ عند الرجعةِ والفرقةِ قطعًا للتنازعِ، وهذا أمرُ ندبٍ كما في قولِهِ تعالَى: ﴿وأشهدُوا إذا تبايعتُم﴾ [سورة البقرة، الآيةَ ٢٨٢] ويُروَى عن الشافعي أنه للوجوبِ في الرَّجعَةِ ﴿وأقيمُوا الشهادَةَ لله﴾ أيُّها الشهودُ عندَ الحاجةِ خالصًا لوجهِ تعالَى: ﴿ذلكُم﴾ إشارةٌ إلى الحثِّ على الإشهادِ والإقامةِ أو على جميعِ ما في الآيةِ ﴿يُوعظ بهِ منْ كانَ يؤمنُ بالله واليومِ الآخرِ﴾ إذْ هو المنتفعُ بهِ والمقصودُ تذكيرُهُ وقولُهُ تعالَى: ﴿ومن يتقِ الله﴾... إلخ جملةٌ اعتراضيةٌ مؤكدةٌ لما سبقَ منْ وجوبِ مراعاةِ حدودِ الله تعالى بالوعدِ على الاتقاءِ عن تعدِّيها كَما أن ما تقدمَ من قولِهِ تعالَى: ﴿ومنْ يتعدَّ حدودَ الله فقد ظلَمَ نفسَهُ﴾ [سورة الطلاق، الآية ١] مؤكدٌ لهُ بالوعيدِ على تعدِّيها فالمعنَى ومنْ يتق الله فطلقَ[2] للسنةِ ولم يُضارَّ المعتدةَ ولم يُخرجها من مسكنِهَا[3] واحتاطَ في الإشهادِ وغيرِهِ من الأمورِ ﴿يجعلْ له مَخْرَجًا﴾ مما عَسَى يقعُ في شأنِ الأزواجِ من الغُمومِ[4] والوقوعِ في المضايقِ ويفرجْ عنه ما يعتريهِ من الكُروبِ ﴿ويرزقه من حيثُ لا يحتسبُ﴾ أي من وجهٍ لا يخطرُ ببالِهِ ولا يحتسبُهُ ويجوزُ أن يكونَ كلامًا جيءَ بهِ على نهجِ الاستطرادِ عند ذكرِ قولِهِ تعالى: ﴿ذلكُم يوعظُ به من كان يؤمنُ بالله﴾ [سورة الطلاق، الآية ٢]

(١) في خ: فارقن.
(٢) في خ: مطلق.
(٣) في خ: عن مساكنها.
(٤) في ط: العموم.

إلى آخرِهِ فالمَعْنَى ومن يتقِ الله في كلِّ ما يأتي وما يذرُ يجعلْ لهُ مخرجًا ومخلصًا من غمومِ الدُّنيا والآخرةِ فيندرجُ فيهِ ما نحنُ فيهِ اندراجًا أوليا. عن النبيِّ عليه الصلاةُ والسلامُ أنه قرأَها فقالَ: «**مخرجًا من شبهاتِ الدُّنيا ومن غمراتِ الموتِ ومن شدائدِ يوم القيامةِ**» وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ: «**إني لأعلمُ آيةً لو أخذَ الناسُ بها لكفتْهُم** «**ومن يتقِ الله**» فما زال يقرؤها ويعيدُهَا.[١] ورُوِيَ أن عوفَ بنَ مالكٍ الأشجعيَّ أسرَ المشركونَ ابنَهُ سالمًا فأتى رسولَ الله ﷺ فقال: أسرَ ابنِي وشكَا إليهِ الفاقةَ فقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ: «**اتقِ الله وأكثِرْ قولَ لا حولَ ولا قوةَ إلا بالله العليّ العظيم**» ففعلَ فبينَا[٢] هُو في بيتِهِ إذ قرعَ ابنُهُ البابَ ومعهُ مائةٌ من الإبلِ غفلَ عنها العدوُّ فاستاقَهَا فنزلتْ[٣].

﴿**ومن يتوكلْ عَلى الله فهو حسبُهُ**﴾ أيْ كافيهِ في جميعِ أمورِهِ ﴿**إنَّ الله بالغُ أمرِهِ**﴾ بالإضافةِ أي منفذُ أمرِهِ وقرئ[٤] بتنوينِ بالغُ ونصبِ أمرِهِ أيْ يبلغُ ما يريدُهُ لا يفوتُهُ مرادٌ ولا يُعجزُه مطلوبٌ، وقرئ[٥] برفعِ أمرِهِ على أنَّه مبتدأٌ وبالغٌ خبرٌ مقدمٌ، والجملةُ

---

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه (٢/ ١٤١١): كتاب الزهد: باب الورع والتقوى، حديث (٤٢٢٠)، وأحمد في المسند (٥/ ١٧٨)، وابن حبان في صحيحه (١٥/ ٥٣) كتاب التاريخ: باب إخباره ﷺ عما يكون في أمته من الحوادث والفتن، حديث (٦٦٦٩)، والدارمي في سننه (٢/ ٣٠٣): كتاب الرقائق: باب في التقوى، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٩٣): كتاب التفسير، والخطيب في تاريخ بغداد (٥/ ٤١٣).

وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ٢٢٦) وقال رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح وذكره السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٣٥٥) وزاد نسبته إلى ابن مردويه قال الحاكم هذا حديث صحيح ولم يخرجاه.

(٢) في خ: فبينما.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٤٩٣): كتاب التفسير: تفسير سورة الطلاق، والواحدي في أسباب النزول (ص٤٥٧)، حديث رقم (٨٢٨). والبيهقي في دلائل النبوة (٦/ ١٠٦): باب قوله ومن يتق الله يجعل له مخرجًا.

وذكره السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٣٥٥) وعزاه إلى عبد بن حميد والحاكم وابن مردويه والبيهقي في الدلائل، وذكره الزيلعي في تخريج الكشاف (٤/ ٥١). وزاد نسبته إلى الثعلبي.

(٤) قرأ بها: نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، وأبو جعفر، ويعقوب، وخلف. ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤١٨)، والإعراب للنحاس (٣/ ٤٥٣)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٤١)، والتيسير للداني ص (٢١١)، والغيث للصفاقسي ص (٣٦٩)، والكشف للقيسي (٢/ ٣٢٤)، والمعاني للفراء (٣/ ١٦٣).

(٥) قرأ بها: أبو عمرو، وعصمة، وابن أبي عبلة، وداود بن أبي هند.

ينظر: الإعراب للنحاس (٣/ ٤٥٣)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٤١)، والبحر المحيط (٨/ ٢٨٣)، وتفسير القرطبي (١٨/ ١٦١)، والمجمع للطبرسي (١٠/ ٢٠٣)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٣٢٤)، =

خبرُ إنَّ [أو بالغُ خبر إنَّ،][1] وأمرُهُ مرتفعٌ بهِ على الفاعليةِ أي نافذ أمرُهُ. وقرئ[2] بالغًا أمرَهُ على أنَّه حالٌ وخبرُ إنَّ قولُهُ تعالَى: ﴿**قد جعلَ الله لكلِّ شيءٍ قدرًا**﴾ أي تقديرًا وتوقيتًا أو مقدارًا وهُو بيانٌ لوجوبِ التوكلِ عليهِ تعالَى، وتفويضُ الأمرِ إليهِ لأنَّه إذا علمَ أنَّ كلَّ شيءٍ من الرزقِ وغيرِه لا يكونُ إلا بتقديرِه تعالَى لا يبقى إلا التسليمُ للقدرِ والتوكلُ على الله تعالَى.

﴿**واللائِي يئسنَ من المحيضِ من نسائِكُم**﴾ لِكبرهنَّ وقد قدَّرُوه بستينَ سنة وبخمسٍ وخمسينَ ﴿**إن ارتبتُم**﴾ أي شككتُم وجهلْتُم كيفَ عدّتُهن ﴿**فعدتهنَّ ثلاثةُ أشهرٍ واللائِي لم يحِضْنَ**﴾ بعدُ لصغرِهِنَّ أي فعدَّتهنَّ أيضًا كذلكَ فحذفَ ثقةً بدلالةِ ما قبلَهُ عليهِ ﴿**وأولاتُ الأحمالِ أجلُهن**﴾ أي مُنْتهى عدتِّهِنَّ ﴿**أنْ يضعنَ حملَهنَّ**﴾ سواء كُنَّ مطلقاتٍ أو مُتوفى عنهُنَّ أزواجُهُنَّ وقد نُسخَ بهِ عمومُ قولِه تعالَى: ﴿والذينَ يتُوفونَ منكم ويذرونَ أزواجًا يتربصنَ بأنفسِهن أربعةَ أشهرٍ وعشرًا﴾ [سورة البقرة، الآية ٢٣٤] لتراخِي نزولِهِ عن ذلكَ لما هُو المشهورُ من قولِ ابنِ مسعودٍ رضيَ الله عنْهُ: من شاءَ باهلتُه أنَّ سورةَ النساءِ القُصْرى نزلتْ بعدَ التي في سورةِ البقرةِ، وقد صحَّ أن سُبيعَة بنتَ الحارثَ الأسلميةَ ولدتْ بعدَ وفاةِ زوجِهَا بليالٍ فذكرتْ ذلكَ لرسولِ الله ﷺ فقالَ لَهَا قدْ حللتِ فتزوَّجِي[3] ﴿**ومن يتقِ الله**﴾ في شأنِ أحكامِهِ ومراعاةِ حقوقِهَا ﴿**يجعلْ لهُ منْ أمرِهِ يُسرًا**﴾ أي يُسْهلْ عليهِ أمرَهُ ويوفِّقْهُ للخيرِ. ﴿**ذلكَ**﴾ إشارةٌ إلى ما ذُكِرَ منَ الأحكامِ، وما فيهِ من مَعْنَى البُعدِ مع قُربِ العهدِ بالمُشارِ إليهِ للإيذانِ ببُعدِ منزلتِهِ في الفضلِ. وإفرادُ الكافِ معَ أن الخطابَ للجمعِ كما يفصحُ عنه قولُه

= وتفسير الرازي (٣٠/ ٣٤).

(١) سقط في ط.

(٢) قرأ بها: المفضل.
ينظر: تفسير القرطبي (١٨/ ١٦١).

(٣) أخرجه مالك (٢/ ٥٩٠) كتاب الطلاق، باب: عدة المتوفى عنها زوجها إذا كانت حاملًا حديث (٨٦) والبخاري (٨/ ٦٥٣) كتاب التفسير، باب: سورة الطلاق حديث (٤٩٠٩) ومسلم (٢/ ١١٢٢، ١١٢٣) كتاب الطلاق، باب: انقضاء عدة المتوفى عنها زوجها حديث (٥٧/ ١٤٨٥) والترمذي (٢/ ٣٣٢، ٣٣٣) كتاب الطلاق، باب: ما جاء في الحامل المتوفى عنها زوجها تضع، حديث (١٢٠٨) والنسائي (٦/ ١٩١، ١٩٢) كتاب الطلاق، باب: عدة الحامل المتوفى عنها زوجها وأحمد (٦/ ٤٣٢).
والدارمي (٢/ ١٦٥-١٦٦): كتاب الطلاق: باب في عدة الحامل المتوفى عنها زوجها والمطلقة. والطيالسي (١٥٩٣) وابن الجارود حديث (٧٦٢) (وابن حبان ٤٢٨٣-الإحسان) والبيهقي (٧/ ٤٢٩).

تعالى: ﴿أمرُ الله أنزلَهُ إليكُم﴾ لِما أنها لمجردِ الفرقِ بين الحاضرِ والمنقضِي لا لتعيينِ خصوصيةِ المخاطبينَ وقد مرَّ في قولِه تعالَى: ﴿ذلكَ يوعظُ به من كانَ منكُم يؤمنُ بالله﴾ [سورة البقرة، الآية ٢٣٢] من سورةِ البقرةِ ﴿ومن يتقِ الله﴾ بالمحافظةِ على أحكامِهِ ﴿يكفر عنه سيئاتِه﴾ فإنَّ الحسناتِ يُذهبنَ السيئاتِ ﴿ويعظم له أجرًا﴾ بالمضاعفةِ. وقولُه تعالى:

﴿أسكنوهن من حيثُ سكنتم﴾ استئنافٌ وقعَ جوابًا عن سؤالٍ نشأَ مما قبلَهُ من الحثِّ عَلى التَّقوى كأنَّه قيلَ كيفَ نعملُ بالتَّقوى في شأنِ المعتداتِ فقيلَ أسكنوهنَّ مسكنًا من حيثُ سكنتُم أي بعضَ مكانِ سكناكم. وقولُه تعالَى: ﴿منْ وُجدكم﴾ أي من وُسعِكم أي مما تطيقونَهُ عطفُ بيانٍ لقولِهِ من حيثُ سكنتُم وتفسيرٌ لهُ.

﴿ولا تُضاروهنَّ﴾ أيْ في السُّكنى ﴿لتضيقُوا عليهنَّ﴾ وتُلْجئوهنَّ إلى الخروجِ ﴿وإنْ كُنَّ﴾ أي المطلقاتُ ﴿أولاتِ حملٍ فأنفقُوا عليهنَّ حتى يضعنَ حملهنَّ﴾ فيخرُجنَ من العدةِ، أما المُتوفَّى عنهنَّ أزواجُهنَّ فلا نفقةَ لهُنَّ ﴿فإنْ أرضعنَ لكُم﴾ بعدَ ذلكَ ﴿فآتُوهنَّ أجورَهُنَّ﴾ على الإرضاعِ ﴿وأتمروا بينكم بمعروفٍ﴾ أي تشاورُوا، وحقيقتُه ليأمرْ بعضُكم بعضًا بجميلٍ في الإرضاعِ والأجرِ ولاَ يكُن من الأبِ مماكسة[1] ولا من الأمِّ مُعاسرةٌ ﴿وإنْ تعاسرتُم﴾ أي تضايقتُم ﴿فسترضعُ لهُ أُخرى﴾ أي فستوجَدُ ولا تُعوزُ مرضعةٌ أُخرى، وفيه معاتبةٌ للأمِّ على المعاسرةِ ﴿لينفقْ ذُو سعةٍ من سعتِهِ ومن قُدرَ عليهِ رزقُهُ فلينفقْ مما آتاهُ الله﴾ وإنْ قلَّ أي لينفقْ كُلُّ واحدٍ من الموسرِ والمعسرِ ما يبلغُه وسعُه ﴿لاَ يُكلِّفُ الله نَفْسًا إلاَّ مَا آتَاهَا﴾ جَلَّ أو قَلَّ فإنَّه تعالَى لا يكلفُ نفسًا إلا وُسعَها وفيهِ تطييبٌ لقلبِ المُعسرِ وترغيبٌ لهُ في بذلِ مجهودِهِ وقد أُكِّدَ ذلكَ بالوعدِ حيثُ قيلَ ﴿سيجعلُ الله بعدَ عسرٍ يُسرًا﴾ أي عاجلًا أو آجلًا. ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ﴾ أي كثيرٌ من أهلِ قريةٍ ﴿عتتْ﴾ أي أعرضتْ ﴿عن أمرِ ربِّها ورسلِهِ﴾ بالعُتوِّ والتمردِ والعنادِ ﴿فحاسبنَاهَا حسابًا شديدًا﴾ بالاستقصاءِ والتنفيرِ والمناقشةِ في كلِّ نقيرٍ وقِطْميرٍ ﴿وَعذبناهَا عذابًا نُكْرًا﴾ أي مُنكرًا عظيمًا. وقرئَ[2] نكرًا، والمرادُ حسابُ الآخرةِ وعذابُها، والتعبيرُ عنهما بلفظِ الماضِي للدلالةِ على

---

(١) المماكسة في البيع: انتقاص الثمن.

(٢) قرأ بها: نافع، وعاصم، وشعبة، وابن ذكوان، وأبو جعفر، ويعقوب.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤١٨)، وتفسير القرطبي (١٨/ ١٧٣)، والغيث للصفاقسي ص (٣٦٩)، والكشف للقيسي (٢/ ٦٩).

تحققِهما كما في قولِه تعالَى: ﴿ونادَى أصحابُ الجنةِ﴾ [سورة الأعراف، الآية ٤٤] ﴿فذاقتْ وبالَ أَمرِها وكانَ عَاقبةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾ هائلًا لا خُسر وراءَهُ ﴿أعدَّ الله لهم عَذَابًا شَدِيدًا﴾ تكريرٌ للوعيدِ وبيانٌ لكونِه مترقبًا كأنَّه قيلَ أعدَّ الله لهم هَذا العذابَ ﴿فاتقوا الله يا أولي الألبابِ﴾ ويجوزُ أن يرادَ بالحسابِ استقصاءُ ذنوبِهم وإثباتُها في صحائفِ الحفظةِ وبالعذابِ ما أصابَهُم عاجلًا، وقد جُوِّزَ أن يكونَ عتتْ وما عُطفَ عليهِ صفةً للقريةِ وأعدَّ لهم جوابًا لقولِه تعالَى كأَيِّن ﴿الذينَ آمَنُوا﴾ منصوبٌ بإضمارِ أعنِي بيانًا للمُنادَى أو[1] عطفُ بيانٍ لهُ أو نعتٌ، وفي إبدالِهِ منهُ ضعفٌ لتعذرِ حلولِهِ محلَّه. ﴿قد أنزلَ الله إليكُم ذكرًا﴾ هو جبريل عليهِ السلامُ سمِّيَ بهِ لكثرةِ ذكرِهِ أو لنزولِه بالذِكر الذي هُو القرآنُ كما ينبئُ عنْهُ إبدالُ قولِه تعالَى ﴿رسُولًا﴾ منْهُ أو لأنَّه مذكورٌ في السمواتِ وفي الأمم، أو أُريدَ بالذكرِ الشرفُ كما في قولِه تعالَى: ﴿وإنَّه لذكرٌ لكَ ولقومِكَ﴾ [سورة الزخرف، الآية ٤٤] كأنَّه في نفسِه شرفٌ إما لأنه شرفٌ للمنزلِ عليهِ وإما لأنَّه هو مجدٌ وشرفٌ عند الله تعالَى كقولِه تعالَى: ﴿عند ذِي العرشِ مكينٌ﴾ [سورة التكوير، الآية ٢٠] أو هُو النبيُّ عليهِ الصلاةُ والسلامُ وعليهِ الأكثرُ عبرَ عنهُ بالذكرِ لمواظبتِهِ على تلاوةِ القرآنِ أو تبليغِهِ والتذكيرِ بهِ وعبرَ عن إرسالِهِ[2] بالإنزالِ بطريقِ الترشيحِ[3] أو لأنه مسببٌ عن إنزالِ الوَحيِ إليهِ، وأُبدلَ منهُ[4] رسولًا للبيانِ أو هو القرآنُ ورسولًا منصوبٌ بمقدرٍ مثلُ أرسلَ أوْ بـ (ذكرا) على إعمالِ المصدرِ المنونِ أو بدلٌ منْهُ على أنَّه بمعنى الرسالةِ وقولُه تعالى: ﴿يتلُو عليكُم آياتِ الله مبيناتٍ﴾ نعتٌ لـ (رسولًا) وآياتُ الله القرآنُ ومبيناتٍ حالٌ منها أي حالَ كونِهَا مبيناتٍ لكُم ما تحتاجونَ إليهِ من الأحكامِ وقرئ[5] مبيَّناتٍ أي بينهَا الله تعالَى لقولِه تعالَى: ﴿قد بينا لكُم الآياتِ﴾ [سورة الحديد، الآية ١٧] واللامُ في قولِه تعالَى: ﴿ليخرجَ الذينَ آمنُوا وعمِلُوا الصالحاتِ﴾ متعلقةٌ بيتلُو أو بأنزلَ وفاعلُ يخرجَ على الأولِ ضميرُ الرسولِ عليهِ الصلاةُ والسلامُ أو ضميرُ الجلالةِ، والموصولِ عبارةٌ عنِ المؤمنينَ بعد إنزالِهِ أي ليحصلَ لهم الرسولُ [أو الله عزَّ وعلاَ][6] ما هُم عليهِ الآنَ من

---

(١) في خ: أي.
(٢) في خ: إنزاله.
(٣) في خ: التوبيخ.
(٤) في خ: عنه.
(٥) قرأ بها: نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وشعبة، وأبو جعفر، ويعقوب، وابن عباس، وأبو عبيد، وأبو حاتم.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤١٨)، والتبيان للطوسي (١٠/ ٤٠)، والتيسير للداني ص (١٦٢)، وتفسير القرطبي (١٨/ ١٧٤)، والكشف للقيسي (١/ ٣٨٣)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٢٤٨).
(٦) سقط في خ.

الإيمانِ والعملِ الصالحِ أو ليخرجَ من علِمَ أو قدَّرَ أنَّه سيؤمنُ ﴿**من الظلمات إلى النورِ**﴾ من الضلالةِ إلى الهُدَى ﴿**ومن يؤمنْ بالله ويعملْ صالحًا**﴾ حسبما بُينَ في تضاعيفِ ما أُنزلَ من الآياتِ المبيناتِ[١] ﴿**يُدخلْهُ جناتٍ تَجرِي من تحتِها الأنهارُ**﴾ وقرئَ[٢] نُدْخِلْهُ بالنون وقولُه تعالَى: ﴿**خالدينَ فيها أبدًا**﴾ حالٌ من مفعولِ يُدخلْهُ والجمعُ باعتبارِ مَعْنَى مَنْ كما أنَّ الإفرادَ في الضمائرِ الثلاثةِ باعتبارِ لفظِها. وقولُه تعالَى: ﴿**قد أحسنَ الله له رِزقًا**﴾ حالٌ أُخرى منْهُ أو من الضميرِ في خالدينَ بطريقِ التداخلِ وإفرادُ ضميرِ لهُ قد مرَّ وجهُه وفيهِ مَعْنَى التعجبِ والتعظيمِ لما رزقَهُ الله المؤمنينَ من الثوابِ. ﴿**الله الذي خلقَ سبعَ سمواتٍ**﴾ مبتدأٌ وخبرٌ ﴿**ومنَ الأرضِ مثلهُنَّ**﴾ أي خلقَ من الأرضِ مثلَهُنَّ في العددِ. وقرئَ[٣] مثلهُن بالرفع على أنه مبتدأٌ ومِنَ الأرضِ خبرُهُ واختلفَ في كيفيةِ طبقاتِ الأرضِ فالجمهورُ[٤] على أنها سبعُ أرضينَ طباقًا بعضُها فوقَ بعضٍ بين كلِّ أرضٍ وأرضٍ مسافةٌ كما بينَ السماءِ والأرضِ وفي كلِّ أرضٍ سكانٌ من خلقِ الله تعالَى وقالَ الضحاكُ مطبقةٌ بعضُها فوقَ بعضٍ من غيرِ فتوقٍ بخلافِ السمواتِ قال القرطبيُّ والأولُ أصحُّ لأنَّ الأخبارَ دالةٌ عليهِ كما رَوَى البخاريُّ وغيرُه مِنْ «**أنَّ كعبًا حلفَ بالذي فلقَ البحرَ لمُوسى أنَّ صُهيبًا حَدَّثهُ أنَّ النبيَّ ﷺ لم يرَ قريةً يريدُ دخولَها إلا قالَ حينَ يراهَا اللَّهم ربَّ السمواتِ السبعِ وما أظللنَ وربَّ الأرضينَ السبعِ وما أقللنَ وربَّ الشياطينِ وما أضللنَ وربَّ الرياحِ وما أذرينَ نسألُكَ خيرَ هذه القريةِ وخيرَ أهلِهَا ونعوذُ بكَ من شرِّها وشرِّ مَنْ فيهَا**»[٥] وعن

---

(١) في خ: البينات.

(٢) قرأ بها: نافع، وابن عامر، وعاصم، وأبو جعفر، والمفضل.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤١٨)، والتبيان للطوسي (١٠/ ٤٠)، والتيسير للداني ص (٢١١)، والحجة لابن خالويه ص (٣٤٨)، والسبعة لابن مجاهد ص (٦٣٩)، والكشف للقيسي (١/ ٣٨٠)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٢٤٨).

(٣) قرأ بها: عاصم، والمفضل، وعصمة، وشعبة.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٢٨٧)، والمعاني للفراء (٣/ ١٦٥)، وتفسير الرازي (٣٠/ ٤٠).

(٤) في خ: قال الجمهور.

(٥) أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (٦/ ٤٧١)، والنسائي في السنن الكبرى (٦/ ١٣٩) برقم (١٠٣٧٧)، والبزار (٦/ ٢٣) برقم (٢٠٩٣)، وابن خزيمة (٤/ ١٥٠) برقم (٢٥٦٥)، وابن حبان (٦/ ٤٢٥) برقم (٢٧٠٩)، والحاكم (١/ ٦١٤) (٢/ ١١٠) من طريق موسى بن عقبة، عن عطاء بن أبي مروان، عن أبيه أن كعبًا حدثه أن صهيبا صاحب رسول الله ﷺ ...الحديث.
قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

ابنِ عباسٍ رضيَ الله عنهُما أنَّ نافعَ بنَ الأزرقِ سأَلهُ هلْ تحتَ الأرضينَ خلقٌ [قالَ نعمْ][١] قالَ فما الخلقُ قال إما ملائكةٌ أو جنٌّ[٢].

قال الماورديُّ وعَلى هَذا تختصُّ دعوةُ الإسلامِ بأهلِ الأرضِ العُليا دونَ مَنْ عداهُم وإنْ كانَ فيهنَّ منْ يعقلُ منْ خلقٍ وفي مشاهدتِهِم السماءَ واستمدادِهِم الضوءَ منهَا قولانِ أحدُهما أنهم يشاهدونَ السماءَ من كُلِّ جانبٍ من أرضِهِم ويستمدونَ الضياءَ منهَا والثاني أنهم لا يشاهدونَ السماءِ وأنَّ الله تعالَى خلقَ لهم ضياءً يشاهدُونَهُ. وحَكَى الكلبيُّ عن أبي صالحٍ عن ابنِ عباسٍ رضيَ الله عنهُما أنها سبعُ أرضينَ متفرقةٌ بالبحارِ وتُظِلُّ الجميعَ السماءُ ﴿**يتنزلُ الأمرُ بينهنَّ**﴾ أي يَجْرِي أمرُه وقضاؤُه بينهنَّ وينفذُ ملكُهُ فيهنَّ، وعن قَتَادَةَ: في كلِّ سماءٍ وفي كلِّ أرضٍ خلقٌ من خلقِه وأمرٌ من أمرِه وقضاءٌ من قضائِه، وقيلَ هو مَا يُدبرُ فيهنَّ من عجائبِ تدبيرِه. وقرئَ[٣] يُنَزِّلُ الأمرُ ﴿**لتعلَمُوا أنَّ الله عَلى كُلِّ شيءٍ قديرٌ**﴾ متعلقٌ بخلقَ أو بـ (يتنزلُ) أو بمضمرٍ يعمُّهمَا أيْ فعلَ ذلكَ لتعلَمُوا أنَّ منْ قدرَ على ما ذُكرَ قادرٌ على كلِّ شيءٍ ﴿**وأنَّ الله قد أحاطَ بكُلِّ شيءٍ عِلمًا**﴾ لاستحالةِ صدورِ الأفاعيلِ المذكورةِ ممن ليسَ كذلكَ ويجوزُ أن يكونَ العاملُ[٤] في اللامِ بيانَ ما ذُكرَ من الخلقِ وتنزّلِ الأمرِ أيْ أَوْحى ذلكَ وبيَّنهُ لتعلمُوا بما ذكرَ من الأمورِ التي تشاهدونَها والتي تتلقَّونها من الوحي من عجائبِ المصنوعاتِ أنه لا يخرجُ عن قدرتِهِ وعلمِهِ شيءٌ ما أصلًا وقرئَ[٥] ليعلمُوا.

عن النبيِّ ﷺ: «**منْ قرأَ سورةَ الطلاقِ ماتَ على سنةِ رسولِ الله ﷺ**»[٦].

والله سبحانه وتعالى أعلم

---

(١) سقط في خ.
(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٥٦٤).
(٣) قرأ بها: أبو عمرو، وعيسى.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٢٨٧)، والكشاف للزمخشري (٤/ ١٢٤)، وتفسير الرازي (٣٠/ ٤٠).
(٤) في خ: الفاصل.
(٥) ينظر: البحر المحيط (٨/ ٢٨٧)، والكشاف للزمخشري (٤/ ١٢٤)، وتفسير الرازي (٣٠/ ٤٠).
(٦) تقدم تخريجه.

سورة التحريم

مدنيةٌ(١) وآيها ثنتا عشرةَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١) قَدْ فَرَضَ اللَّهُ
لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٢) وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا
نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَٰذَا قَالَ
نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ (٣) إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ
مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ (٤) عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ
أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا (٥) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ
مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (٦) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ
(٧) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ
وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ
يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ
(٨) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٩)
ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا
صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ (١٠) وَضَرَبَ
اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ
فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (١١) وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا
فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ (١٢)

﴿يا أيها النبيُّ لم تحرِّمُ ما أحلَّ الله لكَ﴾ رُوِيَ أن النبيَّ عليهِ الصلاةُ والسلامُ خَلا

---

(١) في خ: مكية.

بماريةَ في يوم عائشةَ وعلمتْ بذلكَ حفصةُ فقالَ لها اكتُمِي عليَّ فقدْ حرمتُ ماريةَ على نفسِي وأُبشركِ أن أبا بكرٍ وعمرَ يملكانِ [بعدِي أمرَ أُمتي][١] فأخبرتْ بهِ عائشةَ وكانَتا متصادقتين[٢]، وقيلَ خَلا بها في يومِ حفصةَ فأرضاهَا بذلكَ واستكتَمَها فلم تكتُمْ فطلَّقَها واعتزلَ نساءَهُ فنزلَ جبريلُ عليهِ السلامُ فقالَ راجعْها فإنَّها صوَّامةٌ قوامةٌ وإنها لمنْ نسائِكَ في الجَنَّةِ[٣].

ورُوِيَ أنَّه عليهِ الصلاةُ والسلامُ شربَ عسلًا في بيتِ زينبَ بنت جحشٍ فتواطأتْ عائشةُ وحفصةُ فقالتَا نشمُّ منكَ [ريحَ المغافيرِ][٤] وكانَ رسولُ الله ﷺ يكرهُ التفلَ فحرَّم العسلَ فنزلتْ[٥] فمعناهُ لَمَ تحرمُ ما أحلَّ الله لكَ منْ ملكِ اليمينِ أو منَ العسلِ ﴿تبتغي مرضاةَ أزواجِك﴾ إما تفسيرٌ لـ (تحرِّمُ) أو حالٌ من فاعلِه أو استئنافٌ ببيانِ ما دعاهُ إليهِ مُؤْذِنٌ بعدمِ صلاحيتِهِ لذلكَ ﴿والله غفورٌ﴾ مبالغٌ في الغفرانِ قد غفرَ لكَ هذهِ الزلةَ ﴿رحيمٌ﴾ قد رحمَكَ ولم يؤاخِذْكَ بهِ وإنما عاتبكَ محاماةً على عصمتِكَ ﴿قد فرضَ الله لكُم تحلةَ أيمانِكم﴾ أي شرعَ لكُم تحليلَهَا وهو حَلُّ ما عقدَهُ بالكفارةِ أو بالاستثناءِ متصلًا حتَّى لا يحنثَ والأولُ هو المرادُ هاهنا ﴿والله مَولاكُم﴾ سيدكُم ومتولِّي أُمورِكُم ﴿وهو العليمُ﴾ بما يُصلحكُم فيشرعُه لكُم ﴿الحكيمُ﴾ المتقنُ في

---

(١) في خ: أمر أمتى بعدي.

(٢) قال الزيلعي في تخريج الكشاف (٤/ ٦١)، حديث (١٣٧٧): غريب.
وأخرجه ابن سعد في الطبقات (٨/ ١٤٩، ١٥٠) عن ابن عباس وذكره الزيلعي (٤/ ٦١) وزاد نسبته إلى ابن أبي خيثمة في التاريخ.

(٣) ذكره الزيلعي في تخريج الكشاف (٤/ ٦١)، حديث (١٣٧٨) وقال: غريب.
وأخرجه الحاكم في مستدركه (٤/ ١٥): بلفظ أن النبي طلق حفصة.. من حديث أنس.
وأخرجه البزار (٢/ ١٩٣)، حديث (١٥٠١) عن قتادة عن أنس وقال البزار: يروى عن أسباط عن سعيد عن قتادة مرسلًا ولم نسمعه إلا من محمد بن وثاب عن أسباط.
والبزار برقم (٢٦٦٨) عن عمار بن ياسر.
وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٢٤٧) وقال رواه البزار والطبراني إلا أنه قال أراد رسول الله ﷺ أن يطلق حفصة فجاء جبريل عليه السلام فقال لا تطلقها فإنها صوامة قوامة، وإنها زوجتك في الجنة وفي إسناديهما الحسن بن أبي جعفر وهو ضعيف.
وأخرجه ابن سعد في الطبقات (٨/ ٦٧) عن قيس بن زيد وعن قتادة.

(٤) في خ: رائحة العاضيق.

(٥) أخرجه البخاري (٩/ ٦٥٤) كتاب التفسير، باب: سورة التحريم، برقم (٤٩١٢)، ومسلم (٢/ ١١٠٠) كتاب الطلاق، باب: وجوب الكفارة على من حرم امرأته ولم ينو الطلاق، برقم (٢٠/ ١٤٧٤).

أفعالِهِ وأحكامِهِ فلا يأمرُكُم ولا ينهاكُمْ إلا حسبما تقتضيهِ الحكمةُ **﴿وإِذْ أسرَّ النبيُّ إلى بعضِ أزواجِهِ﴾** وهي حفصةُ **﴿حديثًا﴾** أي حديثَ تحريم ماريةَ أو العسلِ أو أمرِ الخلافةِ **﴿فلما نبأتْ بهِ﴾** أي أخبرتْ حفصةُ عائشةَ بالحديثِ وأفشته إليهَا وقرئَ[١] أنبأتْ بهِ **﴿وأظهره الله عليهِ﴾** أي أطلعَ الله تعالَى النبيَّ عليهِ الصلاةُ والسلامُ على إفشاءِ حفصةَ **﴿عرَّفَ﴾** أي النبيُّ عليهِ الصلاةُ والسلامُ حفصةَ **﴿بعضَهُ﴾** بعضَ الحديثِ الذي أفشَتْهُ. قيلَ هو حديثُ الإمامةِ رُوِيَ أنَّه عليهِ الصلاةُ والسلامُ قالَ لها ألم أقل لكِ اكتمِي عليَّ قالت: والذي بعثكَ بالحقِّ ما ملكتُ نفسي فرحًا بالكرامةِ التي خصَّ الله تعالَى بهَا أباهَا[٢] **﴿وأعرضَ عن بعضٍ﴾** أي عن تعريفِ بعضٍ تكرمًا، قيلَ هو حديثُ ماريةَ **﴿فلما نبأهَا بهِ﴾** أي أخبرَ النبيُّ عليهِ الصلاةُ والسلامُ حفصةَ بما عرفَهُ من الحديثِ **﴿قالتْ من أنبأكَ هذا﴾** أي إفشاءَهَا للحديثِ **﴿قالَ نبأني العليمُ الخبيرُ﴾** الذي لا تَخْفَى عليهِ خافيةٌ.

﴿إنْ تتوبَا إلى الله﴾ خطابٌ لحفصةَ وعائشةَ على الالتفاتِ للمبالغةِ في العتابِ **﴿فقد صغتْ قلوبُكُما﴾** الفاءُ للتعليلِ كَما في قولِكَ اعبُدْ ربَّكَ فالعبادةُ حقٌّ أي فقدْ وُجدَ منكُما ما يوجبُ التوبةَ من ميلِ قلوبكما عمَّا يجبُ عليكُما من مُخالصةِ رسولِ الله ﷺ وحبِّ ما يحبُه وكراهةِ ما يكرهُهُ وقرئَ[٣] فقدْ زَاغَت **﴿وإنْ تظاهَرا عليهِ﴾** بإسقاطِ إحْدَى التاءينِ. وقرئَ[٤] عَلى الأصلِ، وبتشديدِ الظَّاءِ، وتَظهرا[٥] أي تتعاونَا عليهِ بما يسوؤه من الإفراطِ في الغيرةِ وإفشاءِ سرِّه **﴿فإنَّ الله هُوَ مولاهُ وجبريلُ وصالحُ المؤمنين﴾** أي فلَنْ يَعدمَ مَن يظاهرُهُ فإنَّ الله هُوَ ناصرُهُ وجبريلُ رئيسُ[٦] الكُروبيينَ قرينُه ومَن صلحَ منَ المؤمنينَ أتباعُه وأعوانُه قال ابنُ عباسٍ رضيَ الله تعالى عنهُما[٧]: أرادَ بصالحِ المؤمنينَ أبا بكرٍ وعمرَ رضيَ الله عنهُما وقد رُويَ ذلكَ مرفوعًا

(١) قرأ بها: طلحة بن مصرف.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٢٩٠)، وتفسير القرطبي (١٨/ ١٨٧).
(٢) في خ: بنا إيها.
(٣) قرأ بها: ابن مسعود.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٢٩٠).
(٤) قرأ بها: عكرمة.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٢٩١)، والكشاف للزمخشري (٤/ ١٢٨)، وتفسير الرازي (٣٠/ ٤٥).
(٥) في خ: وتظاهرا. (٦) في خ: دابر.
(٧) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (١/ ٢٥٠) برقم (٨٢٠) عن ميمون بن مهران، عن ابن عمر وابن عباس في قوله «وصالح المؤمنين» قال: نزلت في أبي بكر وعمر. =

إلى النبيِّ عليهِ الصلاةُ والسلامُ[(١)] وبهِ قالَ عكرمةُ ومقاتلٌ وهو اللائقُ بتوسيطِه بين جبريلَ والملائكةِ عليهِم السلامُ فإنَّه جمعٌ بينَ الظهيرِ المعنويِّ والظهيرِ الصُّوريِّ، كيفَ لاَ وإنَّ جبريلَ ظهيرٌ لهُ عليهما السلامُ يؤيدهُ بالتأييداتِ الإلهيةِ وهما وزيراهُ وظهيراهُ في تدبيرِ أمورِ الرسالةِ وتمشيةِ أحكامِهَا الظاهرةِ ولأنَّ بيانَ مظاهرتِهما لهُ عليهِ الصلاةُ والسلامُ أشدُّ تأثيرًا في [قلوبِ بنتيهِمَا][(٢)] وتوهينًا لأمرِهما فكانَ حقيقًا بالتقديمِ بخلافِ ما إذا أُريدَ بهِ جنسُ الصالحينَ كما هوَ المشهورُ ﴿**والملائكةُ**﴾ مع تكاثرِ عددِهم وامتلاءِ السمواتِ من جموعِهم ﴿**بعد ذلكَ**﴾ قيلَ أي بعدَ نُصرةِ الله عزَّ وجلَّ وناموسِهِ الأعظمِ وصالحِ المؤمنينَ ﴿**ظهيرٌ**﴾ أي فوجٌ مظاهرٌ لهُ كأنَّهم يدٌ واحدةٌ على منْ يُعاديهِ فماذَا يفيدُ تظاهرُ امرأتينِ على مَن هؤلاءِ ظُهراؤُه وما ينبئُ عنه قولُه تعالَى بعدَ ذلكَ من فضلِ نُصرتِهِم على نُصرةِ غيرِهِم مِنْ حيثُ إنَّ نصرةَ الكلِّ نصرةُ الله تعالَى، وإنَّ نصرتَهُ تعالى بهم وبمظاهرتِهِم أفضلُ من سائرِ وجوهِ نُصرتِهِ. هذا ما قالُوه ولعلَّ الأنسبَ أنْ يجعلَ ذلكَ إشارةً إلى مظاهرةِ صالحِ المؤمنينَ خاصَّة، ويكونَ بيانُ بعديةِ مظاهرةِ الملائكةِ تداركًا لما يُوهمه الترتيبُ المذكور من أفضليةِ المقدم فكأنه قيلَ بعد ذكرِ مظاهرةِ صالحِ المؤمنينَ: وسائرُ الملائكةِ بعدَ ذلكَ ظهيرٌ له عليهِ الصلاةُ والسلامُ إيذانًا بعلوِّ رتبةِ مظاهرتِهِم وبُعدِ منزلتِهَا وخبرًا لفصلِها عن مظاهرةِ جبريلَ عليهِ السلامُ.

﴿**عسى ربُّه إن طلقكُن أنْ يبدلَه**﴾ أي يعطيَهُ عليهِ السلامُ بدلكُنَّ ﴿**أزواجًا خيرًا منكُن**﴾ على التغليبِ، أو تعميم الخطابِ، وليسَ فيهِ ما يدلُّ على أنه عليهِ الصلاةُ والسلامُ لم يُطلقْ حفصةَ وأنَّ في النساءُ خيرًا منهنَّ فإنَّ تعليقَ طلاقِ الكلِّ لا يُنافي تطليقَ واحدةٍ وما عُلِّقَ لما لم يقعْ لا يجبُ وقوعُه وقرئ[(٣)] أنْ يبدِّله بالتشديد ﴿**مسلماتٍ مؤمناتٍ**﴾ مُقِراتٍ مخلصاتٍ أو منقاداتٍ مصدقاتٍ ﴿**قانتاتٍ**﴾ مصلياتٍ أو

= قال الهيثمي في المجمع (٩/ ٥٢): رواه الطبراني في الأوسط وفيه فرات بن السائب وهو متروك.

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٠/ ٢٥٣) برقم (١٠٤٧٧) من حديث ابن مسعود عن النبي ﷺ في قول الله عز وجل: «فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين» قال: صالح المؤمنين أبو بكر وعمر - رضي الله عنهما - قال الهيثمي في المجمع (٧/ ١٢٧): رواه الطبراني، وفيه عبد الرحيم بن زيد العمي، وهو متروك.

(٢) في خ: قلوبهما.

(٣) قرأ بها: نافع، وأبو عمرو، وأبو جعفر.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤١٩)، والإعراب للنحاس (٣/ ٤٦٣)، والتيسير للداني ص (١٤٥)، والحجة لابن خالويه ص (٣٤٩)، والغيث للصفاقسي ص (٣٧٠)، والكشف للقيسي (٤/ ١٢٨).

مواظباتٍ على الطاعةِ ﴿تائباتٍ﴾ من الذنوبِ ﴿عابداتٍ﴾ متعبداتٍ أو متذللاتٍ لأمرِ الرسولِ عليهِ الصلاةُ والسلامُ ﴿سائحاتٍ﴾ صائماتٍ سمي الصائمُ سائحًا لأنه يسيحُ في النهارِ بلا زادٍ أو مهاجراتٍ وقرئَ[١] سيحاتٍ ﴿ثيباتٍ وأبكارًا﴾ وُسِّطَ بينَهُما العاطفَ لتنافيهما.

﴿يا أيها الذين آمنُوا قُوا أنفسكم﴾ بتركِ المعاصِي وفعلِ الطاعاتِ ﴿وأهليكُم﴾ بأنْ تأخذوهم بما تأخذونَ به أنفسَكُم وقرئَ[٢] أهلُوكم عطفًا على واو قُوا فيكونَ أنفسَكُم عبارةً عن أنفسِ الكلِّ على تغليبِ[٣] المخاطبينَ أي قُوا أنتُم وأهلُوكم[٤] أنفسكُم ﴿نارًا وقودُها الناسُ والحجارةُ﴾ أي نارًا تتقدُ بهمَا[٥] اتقادَ غيرِها[٦] بالحطبِ وأمرَ المؤمنينَ باتقاءِ هذه النارِ المعدةِ للكافرينَ كما نصَّ عليهِ في سورةِ البقرةِ للمبالغةِ في التحذيرِ ﴿عليها ملائكةٌ﴾ أي تَلي أمرَها وتعذيبَ أهلِهَا وهم الزبانيةُ ﴿غلاظٌ شدادٌ﴾ غلاظُ الأقوالِ شدادُ الأفعالِ أو غلاظُ الخُلقِ شدادُ الخَلقِ أقوياءُ على الأفعالِ الشديدةِ ﴿لا يعصُون الله ما أمرهُم﴾ أي أمرَهُ على أنَّهُ بدلُ اشتمالٍ من الله أو فيما أمرَهُم بهِ على نزعِ الخافضِ أي لا يمتنعُون من قبولِ الأمرِ ويلتزمونَهُ ﴿ويفعلونَ ما يُؤمرونَ﴾ أي ويؤدونَ ما يُؤمرونَ بهِ من غيرِ تثاقلٍ ولا توانٍ. وقولُه تعالَى: ﴿ياأيُّها الذينَ كفرُوا لا تعتذرُوا اليومَ﴾ مقولٌ لقولٍ قد حُذفَ ثقةٍ بدلالةِ الحالِ عليهِ أي يُقالُ لهم ذلكَ عند إدخالِ الملائكةِ إياهم النارَ حسبما أُمروا بهِ ﴿إنما تجزون ما كنتُم تعملونَ﴾ في الدُّنيا من الكفرِ والمعاصِي بعدَ ما نُهيتُم عنهُما أشدَّ النَّهي وأُمرتم بالإيمانِ والطاعةِ فلا عذرَ لكُم قطعًا.

دعوة إلى التوبة

﴿يأيها الذينَ آمنُوا تُوبوا إلى الله توبةً نصُوحًا﴾ أي بالغةً في النصحِ وُصفتْ التوبةُ بذلكَ على الإسنادِ المجازِي وهو وَصفْ التائبينَ وهو أنْ ينصحُوا بالتوبةِ أنفسَهُم فيأتُوا بها على طريقتِهَا وذلكَ أن يتوبُوا عن القبائحِ لقُبحِها نادمينَ عليها مغتمينَ أشدَّ الاغتمامِ لارتكابِهَا عازمينَ على أنَّهم لا يعودونَ في قبيحٍ من القبائحِ موطِّنينَ أنفسَهُم

---

(١) قرأ بها: عمرو بن فائد.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٢٩٢).
(٢) ينظر: البحر المحيط (٨/ ٢٩٢).
(٣) في خ: لتغليب.
(٤) في خ: أهليكم و.
(٥) في خ: بها.
(٦) في خ: غيرهم.

على ذلكَ بحيثُ لا يَلويهم عنه صارفٌ أصلًا. عن عَلي رضيَ الله عنهُ: أنَّ التوبةَ يجمعها ستةُ أشياءٍ: على الماضِي من الذنوبِ الندامةُ وللفرائضِ الإعادةُ وردُّ المظالمِ واستحلالُ الخصومِ وأن تعزمَ على أنْ لا تعودَ وأن تذيبَ نفسكَ في طاعةِ الله كما ربيتها في المعصية وأنْ تذيقَها مرارةَ الطاعةِ كما أذقتَها حلاوةَ المعصيةِ[(١)].

وعن شهرِ بنِ حَوْشَبَ ألا يعودَ ولو حُزَّ بالسيفِ وأُحرِقَ بالنَّارِ، وقيلَ نصوحا من نصاحةِ الثوبِ أي توبةٌ ترفُو خروقَكَ في دينكَ وترمُّ خللك وقيل خالصةٌ من قولِهم عسلٌ ناصحٌ إذا خلصَ من الشمعِ. ويجوزُ أنْ يرادَ توبةً تنصحُ الناسَ أي تدعُوهم إلى مثلِها لظهورِ أثرِها في صاحبِها واستعمالِه الجدَّ والعزيمةَ في العملِ بمقتضياتِهَا وقرئ[(٢)] توبًا نصوحًا، وقرئ[(٣)] نُصوحًا وهو مصدرُ نصحَ فإنَّ النُّصحَ والنُّصوحَ كالشكرِ والشُكورِ أي ذاتُ نصوحٍ أو تنصحُ نصوحًا أو توبُوا لنصحِ أنفسِكُم على أنَّه مفعولٌ له ﴿عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتِكُم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار﴾ ورودُ صيغةِ الإطماعِ للجري على سنَنِ الكبرياءِ والإشعارِ بأنَّهُ تَفضُلٌ والتوبةُ غيرُ موجبةٍ له وأن العبدَ ينبغِي أنْ يكونَ بين خوفٍ ورجاءٍ وإنْ بالغَ في إقامةِ وظائفِ العبادةِ.

﴿يومَ لا يُخزي الله النبيَّ﴾ ظرفُ ليدخلَكُمْ ﴿والذينَ آمنُوا مَعَهُ﴾ عطفٌ على النبيِّ وفيهِ تعريضٌ بمن أخزاهُم الله تعالَى من أهلِ الكفرِ والفسوقِ واستحمادٌ إلى المؤمنينَ على أنَّ عصمَهُم من مثلِ[(٤)] حالِهِم وقيلَ هو مبتدأٌ خبرُهُ قولُهُ تعالَى: ﴿نورُهُم يَسعى بينَ أيديهِم وبأيمانِهم﴾ أيْ على الصراطِ وهو على الأولِ استئنافٌ أو حالٌ من قوله تعالَى: ﴿يقولونَ﴾ . . . إلخ وعلى الثاني خبرٌ آخرُ للموصولِ أي يقولونَ إذا طُفئ نورُ المنافقينَ ﴿ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيءٍ قدير﴾ وقيلَ يدعونَ تقربًا إلى الله مع تمامِ نورِهِم وقيلَ تتفاوتُ أنوارُهُم بحسبِ أعمالِهِم فيسألونَ إتمامَهُ تفضُّلًا وقيلَ السابقونَ إلى الجنةِ يمرونَ مثلَ البرقِ على الصراطِ وبعضُهم كالريحِ وبعضُهُم حَبْوًا وزحفًا وأولئكَ الذينَ يقولونَ ربنا أتممْ لنا نورَنَا.

---

(١) أخرجه الثعلبي في تفسيره (٨/ ٣١٥).

(٢) قرأ بها: زيد بن علي.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٢٣٩).

(٣) قرأ بها: عاصم، ونافع، والأعرج، وعيسى، وشعبة، والحسن، وخارجة، وحماد.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤١٩)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٤٢)، والبحر المحيط (٨/ ٢٩٣)، والتيسير للداني ص (٢١٢)، والحجة لابن خالويه ص (٧١٤)، والغيث للصفاقسي ص (٣٧٠)، والكشف للقيسي (٢/ ٣٢٥).

(٤) في خ: مثلى.

دعوة إلى الجهاد

﴿يأيها النبيُّ جاهدِ الكفارَ﴾ بالسيفِ ﴿والمنافقينَ﴾ بالحجَّةِ ﴿واغلُظ عليهِم﴾ واستعملِ الخشونةَ على الفريقينِ فيما تجاهدهُما من القتالِ والمحاجَّة ﴿ومأواهُم جهنَّمُ﴾ سيرونَ فيها عذابًا غليظًا ﴿وبئسَ المصيرُ﴾ أي جهنمُ أو مصيرُهُم ﴿ضربَ الله مثلًا للذينَ كفرُوا﴾ ضربُ المثلِ في أمثالِ هذهِ المواقعِ عبارةٌ عن إيرادِ حالةٍ غريبةٍ ليعرفَ بها حالةٌ أُخرى مشاكلةٌ لها في الغرابةِ أي جعلَ الله مثلًا لحالِ هؤلاءِ الكفرةِ حالًا ومآلًا على أنَّ مثلًا مفعولٌ ثانٍ لضربَ، واللامُ متعلقةٌ بهِ وقولُه تعالَى: ﴿امرأةَ نوحٍ وامرأةَ لوطٍ﴾ أي حالَهُما، مفعولُهُ الأولُ أُخِّرَ عنْهُ ليتصلَ بهِ ما هو شرحٌ وتفصيلٌ لحالِهما ويتضحُ بذلكَ حالُ هؤلاءِ فقولِهِ تعالَى: ﴿كانتا تحت عبدينِ من عبادنا صالحين﴾ بيانٌ لحالِهِما الداعيةِ لهما إلى الخيرِ والصلاحِ أي كانتا في عصمةِ نبيينِ عظيمي الشأنِ متمكنتينِ من تحصيلِ خيري الدُّنيا والآخرةِ وحيازةَ سعادتيهما. وقولُه تعالَى: ﴿فخانتاهُما﴾ بيانٌ لما صدرَ عنهُما من الجنايةِ العظيمةِ مع تحققِ ما ينفيها من صحبةِ النبيِّ أي خانتاهُما بالكفرِ والنفاقِ، وهذا تصويرٌ لحالِهما المحاكيةِ لحالِ هؤلاءِ الكفرةِ في خيانتِهِم لرسولِ الله ﷺ بالكفرِ والعصيانِ مع تمكنهِم التامِّ من الإيمانِ والطاعةِ. وقولُهُ تعالَى: ﴿فلم يُغنيا﴾. . .إلخ بيانٌ لما أدَّى إليه خيانتُهُما أي فلم يُغنِ النبيانِ ﴿عنهما﴾ بحقِّ الزواجِ ﴿من الله﴾ أي مِن عذابِهِ تعالَى ﴿شيئًا﴾ أي شيئًا منَ الإغناءِ ﴿وقيلَ﴾ لهما عندَ موتِهِما أو يومَ القيامةِ ﴿ادخُلا النارَ مع الداخلينَ﴾ أي مع سائرِ الداخلينَ من الكفرةِ الذينَ لا وصلةَ بينهُم وبينَ الأنبياءِ عليهِم السلامُ.

﴿وضربَ الله مثلًا للذينَ آمنوا امرأةَ فرعونٍ﴾ أي جعلَ حالها مثلًا لحالِ المؤمنينَ في أنَّ وصلةَ الكفرةِ لا تضرُّهم حيثُ كانتْ في الدُّنيا تحت أعدى أعداءِ الله وهيَ في أعلى غرفِ الجنةِ وقولِهِ تعالَى: ﴿إذ قالتْ﴾ ظرفٌ لمحذوفٍ أشيرَ إليهِ أي ضربَ الله مثلًا للمؤمنينَ حالَها إذْ قالتْ ﴿ربِّ ابنِ لي عندكَ بيتًا في الجنةِ﴾ قريبًا من رحمتكَ أو في أَعلَى درجاتِ المقربينَ. رُوِيَ أنها لما قالتْ ذلكَ أُريتْ بيتَها في الجنةِ من دُرَّةٍ وانتُزِعَ رُوحُها ﴿ونجني من فرعونَ وعملِهِ﴾ أي مِنْ نفسِه الخبيثةِ وعملِه السيِّئ ﴿ونجني من القوم الظالمينَ﴾ من القبطِ التابعينَ لهُ في الظلم ﴿ومريمَ ابنة عمران﴾ عطفٌ على امرأةِ فرعونٍ تسليةً للأراملِ أي وضربَ الله مثلًا للذينَ آمنُوا حالَها ومَا أوتيتْ من كرامةِ الدُّنيا والآخرةِ والاصطفاء على نساءِ العالمينَ مع كونِ قومِها كُفارًا ﴿التي أحصنتْ فرجَها فنفخنا فيهِ﴾ وقرئ[1] فيها أي مريمُ ﴿مِن رُوحنا﴾ من رُوحٍ

---

(١) قرأ بها: ابن مسعود.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٢٩٥)، والكشاف للزمخشري (٤/ ١٣٢)، وتفسير الرازي (٣٠/ ٥٠).

خلقناهُ بلا توسطٍ أصلًا ﴿وصدّقتْ بكلماتِ رَبِّها﴾ بصحفِهِ المنزلةِ أو بما أَوْحى إلى أنبيائِه ﴿وكتبه﴾ بجميعِ كتبِه المنزلةِ وقرئ[1] بكلمةِ الله وكتابِه أي بعيسَى وبالكتابِ المنزلِ عليهِ وهو الإنجيلُ ﴿وكانتْ من القانتينَ﴾ أي من عدادِ المواظبينَ على الطاعةِ، والتذكيرُ للتغليبِ والإشعارِ بأنَّ طاعتها لم تقصُرْ عنْ طاعاتِ الرجالِ حتى عُدَّت مِنْ جُملَتهم أو مِنْ نَسلِهِم لأنَّها من أعقابِ هارونَ أخِي مُوسى عليهما السلامُ.

وعن النبيِّ عليهِ الصلاةُ والسلامُ: «**كَمُلَ من الرجالِ كثيرٌ ولم يكملْ من النساءِ إلا أربعٌ آسيةُ بنتُ مُزاحمٍ ومريمُ بنتُ عمرانَ وخديجةُ بنتُ خويلدٍ وفاطمةُ بنتُ[2] محمدٍ صلواتُ الله عليهِ وفضلُ عائشةَ على النساءِ كفضلِ الثريدِ على سائرِ الطعامِ**»[3] وعن

(١) قرأ بها: الحسن، ومجاهد، والجحدري، وأبو العالية.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٢٩٥)، وتفسير القرطبي (١٨/ ٢٠٤)، وتفسير الرازي (٣٠/ ٥٠).

(٢) زاد في خ: سيدنا ونبينا وحبيبنا.

(٣) أخرجه البخاري (٧/ ١٣٤) كتاب فضائل الصحابة باب فضل عائشة حديث (٣٧٧٠)، (٩/ ٤٦٢) كتاب الأطعمة، باب: الثريد حديث (٥٤١٩)، (٩/ ٤٦٦): كتاب الأطعمة: باب ذكر الطعام حديث (٥٤٢٨)، ومسلم (٤/ ١٨٩٥): كتاب فضائل الصحابة: باب فضل عائشة حديث (٨٩/ ٢٤٤٦) والترمذي (٥/ ٦٦٤): كتاب المناقب: باب مناقب عائشة رضي الله عنها حديث (٣٨٨٧) وابن ماجه (٢/ ١٠٩٢): كتاب الأطعمة: باب فضل الثريد حديث (٣٢٨١) والدارمي (٢/ ١٠٦): كتاب الأطعمة: باب فضل الثريد وأحمد (٣/ ١٥٦، ٢٦٤) وأبو يعلى (٦/ ٣٤٥-٣٤٦) رقم (٣٦٧٠، ٣٦٧١، ٣٦٧٢) والطبراني في الصغير (١/ ٩٤) والبغوي في شرح السنة (٧/ ٢٣٧) كلهم من طريق عبد الله بن عبد الرحمن عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ: فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام.
وفي الباب عن جماعة من الصحابة وهم أبو موسى الأشعري وعائشة وعبد الرحمن بن عوف وقرة بن إياس وسعد بن أبي وقاص.
-حديث أبي موسى الأشعري:
أخرجه البخاري (٦/ ٥١٤) كتاب أحاديث الأنبياء: باب قول الله تعالى: ﴿وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون...﴾ حديث (٣٤١١)، (٦/ ٥٤٣-٥٤٤) باب قول الله تعالى: ﴿إذ قالت الملائكة يا مريم...﴾ حديث (٣٤٣٣)، (٧/ ١٣٣) كتاب فضائل الصحابة: باب فضل عائشة رضي الله عنها حديث (٣٧٦٩)، (٩/ ٤٦٢) كتاب الأطعمة: باب الثريد حديث (٥٤١٨) ومسلم (٤/ ١٨٨٦-١٨٨٧): كتاب الفضائل: باب فضل خديجة رضي الله عنها حديث (٧٠/ ٢٤٣١) والترمذي (٤/ ٢٤٢): كتاب الأطعمة: باب ما جاء في فضل الثريد حديث (١٨٣٤) وفي «الشمائل» رقم (١٧٥) والنسائي (٧/ ٦٨) كتاب عشرة النساء: باب حب الرجل بعض نسائه أكثر من بعض وابن ماجه (٢/ ١٠٩١) كتاب الأطعمة، باب: فضل الثريد على الطعام حديث (٣٢٨٠) وأحمد (٤/ ٣٩٤، ٤٠٩) والطيالسي (٢/ ١٣٠-منحة) رقم (٢٤٩٠) وأبو يعلى (١٣/ ٢١٩-٢٢٠) رقم (٧٢٤٥) وأبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٩٩) كلهم من طريق شعبة عن عمرو بن مرة عن مرة عن أبي موسى عن النبي ﷺ =

النبيِّ ﷺ: «مَنْ قرأَ سورةَ التحريمِ آتاهُ الله توبةً نصًّاحًا[1]»[2].

= قال: كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم ابنة عمران وآسية امرأة فرعون وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام.
وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.
تنبيه: سقط في مسند الطيالسي مرة الهمداني فأخرجه من طريق شعبة عن عمرو بن مرة سمع من يحدث عن أبي موسى وهذا سند منقطع كما ترى لكن أخرجه الحافظ أبو نعيم من طريقه وذكره مرة الهمداني بين عمرو بن مرة وأبي موسى.
-حديث عائشة:
أخرجه النسائي (٧/ ٦٨): كتاب عشرة النساء: باب حب الرجل بعض أكثر من بعض، من طريق ابن أبي ذئب عن الحرث بن عبد الرحمن عن أبي سلمة عن عائشة أن النبي ﷺ قال: فضل عائشة على سائر النساء كفضل الثريد على سائر الطعام.
-حديث عبد الرحمن بن عوف:
أخرجه الطبراني في «الكبير» كما في «مجمع الزوائد» (٩/ ٢٤٦) من طريق أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام.
وقال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح إلا أن أبا سلمة بن عبد الرحمن لم يسمع من أبيه.
قال العلائي في «جامع التحصيل» (ص-٢١٣): قال يحيى بن معين والبخاري: لم يسمع من أبيه شيئًا.
- حديث قرة بن إياس:
أخرجه الحاكم (٣/ ٥٨٧) والطبراني في «الكبير» (١٩/ ٢٨) رقم (٦٠) كلاهما من طريق أبي سفيان المعمري ثنا شعبة عن معاوية بن قرة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام. وسكت عنه الحاكم والذهبي.
وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ٢٤٦): وإسناده حسن.
-حديث سعد بن أبي وقاص:
أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٩/ ٢٥) من طريق ابن مهدي ثنا سفيان عن أبي إسحاق عن مصعب بن سعد بن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام.
قال أبو نعيم: غريب من حديث الثوري وأبي إسحاق لم نكتبه إلا من حديث ابن مهدي.
والحديث ذكره الهيثمي في المجمع (٩/ ٢٤٦) من طريق مصعب عن أبيه وقال: رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح.

(١) في خ: نصوحًا.
(٢) تقدم تخريجه.

سُورَةُ المُلْكِ

مَكِّيةٌ وَتُسمَّى الواقيةَ والمنجيةَ لأنَّها تَقِي وتُنجي

قارئَها منْ عذابِ القبرِ وآيُها ثلاثونَ(1)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ
أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن
تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ
حَسِيرٌ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ
﴿٥﴾ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ
﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا
نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ
مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم
بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا
يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن
رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم
مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ
فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ
شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴿٢٠﴾
أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ
أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ
وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا

---

(1) زاد في خ: آية.

ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً
سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن
مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا
فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۭ ﴿٣٠﴾

﴿تباركَ الذي بيدِه المُلكُ﴾ البركةُ النماءُ[١] والزيادةُ حسيةً كانتْ أو عقليةً، وكثرةُ الخيرِ ودَوامُهُ أيضًا، ونسبتُهَا إلى الله عزَّ وجلَّ على المَعْنَى الأولِ وهُو الأليقُ بالمقامِ باعتبارِ تعاليهِ عمَّا سواهُ في ذاتِهِ وصفاتِهِ وأفعالِهِ، وصيغةُ التفاعلِ للمبالغةِ في ذلكَ فإنَّ ما لا يتصورُ نسبتُهُ إليهِ تعالَى من الصيغِ كالتكبرِ ونحوهِ إنَّما تنسبُ إليه سبحانَهُ باعتبارِ غاياتِهَا، وعلى الثَّاني باعتبارِ كثرةِ ما يفيضُ منهُ على مخلوقاتِهِ من فنونِ الخيراتِ، والصيغةُ حينئذٍ يجوزُ أن تكونَ لإفادةِ نماءِ[٢] تلكَ الخيراتِ وازديادِها شيئًا فشيئًا وآنًا فآنًا بحسبِ حدوثِهَا أو حدوثِ متعلقاتِهَا، ولاستقلالِهَا بالدلالةِ على غايةِ الكمالِ وإنبائِها عن نهايةِ التعظيم لم يجُزْ استعمالُهَا في حقِّ غيرِه سبحانَهُ، ولا استعمالُ غيرِهَا من الصيغِ في حقِّه تباركَ وتعالَى. وإسنادُها إلى الموصولِ للاستشهادِ بما في حيزِ الصِّلةِ على تحققِ مضمونِهَا، واليدُ مجازٌ عن القدرةِ التامَّةِ والاستيلاءِ الكاملِ، أي تعالَى وتعاظَم بالذاتِ عن كلِّ ما سواهُ ذاتًا وصفةً وفعلًا الذي بقبضةِ قُدرتِهِ التَّصرفُ الكليُّ في كلِّ الأمورِ. ﴿وَهُوَ علَى كلِّ شيءٍ﴾ منَ الأشياءِ ﴿قديرٌ﴾ مُبالِغٌ في القُدرةِ عليهِ يتصرفُ فيهِ حسبَما تقتضيهِ مشيئتُهُ المبنيةُ على الحِكَمِ البالغةِ. والجملةُ معطوفةٌ على الصِّلةِ مقررةٌ لمضمونِهَا مفيدةٌ لجريانِ أحكامِ مُلكِهِ تعالَى في جَلائلِ الأُمورِ ودقائِقِها. وقولُه تعالَى: ﴿الذي خلقَ الموتَ والحياةَ﴾ شروعٌ في تفصيلِ بعضِ أحكامِ المُلكِ وآثارِ القُدرةِ وبيانِ ابتنائِهِما على قوانينِ الحِكَمِ والمَصالحِ واستتباعِهِما لغاياتٍ جليلةٍ. والموصولُ بدلٌ من الموصولِ الأولِ داخلٌ معهُ في حُكمِ الشهادةِ بتعاليهِ تعالَى. والموتُ عندَ أصحابِنَا صفةٌ وجُوديةٌ مضادةٌ للحياةِ، وأمَّا ما رُوِيَ عن ابنِ عبَّاسٍ رضيَ الله عنهُمَا منْ أنَّهُ تعالَى خلقَ الموتَ في صُورةِ كبشٍ أملحَ لا يمرُّ بشيءٍ ولا يجدُ رائحتَهُ شيءٌ إلا مات وخلقَ الحياةَ في صورةِ فرسٍ بَلقاءَ لا تمرُّ بشيءٍ ولا يجدُ رائحتَهَا شيءٌ إلا حَيي، فكلامٌ واردٌ على منهاجِ التمثيلِ والتصويرِ. وقيلَ هو عدمُ الحياةِ فمعنَى خلقِه حينئذٍ [تقديرُهُ أو إزالةُ الحياةِ][٣] وأيًّا ما كانَ فالأقربُ أنَّ المرادَ بهِ

---

(١) في ط: والنماء. (٢) في خ: إضمار.
(٣) في خ: قدرته أما ماله الحياة.

الموتُ الطارئُ وبالحياةِ ما قبلَهُ وما بعدَهُ لظهورِ مداريتِهما، لما ينطقُ بهِ قولُه تعالَى: ﴿لِيبلوكُم أيُّكم أحسنُ عملًا﴾ فإن استدعاءَ ملاحظتِهما لإحسانِ العملِ بما لا ريبَ فيهِ معَ أنَّ نفسَ العملِ لا يتحققُ بدونِ الحياةِ الدنيويةِ. وتقديمُ الموتِ لكونِهِ أدعى إلى إحسانِ العملِ، واللامُ متعلقةٌ بخلقَ أي خلقَ موتَكُم وحياتَكُم، على أنَّ الألفَ واللامَ عوضٌ عن المضافِ إليهِ ليعاملَكُم معاملةَ مَنْ يختبرُكم أيكُم أحسنُ عملًا فيجازيكُم على مراتبَ متفاوتةٍ حسبَ تفاوتِ طبقاتِ[١] علومِكُم وأعمالِكُم فإنَّ العملَ غيرُ مختصٍّ بعملِ الجوارحِ، ولذلكَ فسَّرَهُ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ بقولِه: «**أيكم أحسنُ عملًا وأورعُ عن محارمِ الله وأسرعُ في طاعةِ الله**»[٢] فإنَّ لكلٍّ من القلبِ والقالبِ عملًا خاصًّا به، فكَما أنَّ الأولَ أشرفُ من الثَّانِي، كذلكَ الحالُ في عملِهِ، كيفَ لاَ ولا عملَ بدونِ معرفةِ الله عزَّ وجلَّ الواجبةَ على العبادِ أثر ذي أثير وإنما طريقُها النظريُّ التفكرُ في بدائعِ صُنْعِ الله تعالَى والتدبرُ في آياتِه المنصوبةِ في الأنفسِ والآفاقِ، وقد رُوِيَ عنْهُ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ أنَّهُ قالَ: «**لا تُفضّلُوني على يونس بنِ مَتَّى فإنَّهُ كانَ يُرفعُ لهُ كلَّ يومٍ مثلُ عملِ أهلِ الأرضِ**»[٣] قالُوا وإنَّما كانَ ذلكَ التفكرَ في أمرِ الله عزَّ وجلَّ الذي هُو عملُ القلبِ ضرورةَ أنَّ أحدًا لا يقدرُ على أنْ يعملَ بجوارحِهِ كلَّ يومٍ مثلَ عملِ أهلِ الأرضِ. وتعليقُ فعلِ البَلْوَى أي تعقيبُهُ بحرفِ الاستفهامِ لا التعليقُ المشهورُ الذي يقتضِي عدمَ إيرادِ المفعولِ أصلًا مع اختصاصِهِ بأفعالِ القلوبِ لما فيهِ من مَعْنَى العلمِ باعتبارِ عاقبتِهِ كالنظرِ ونظائِره[٤] ولذلك أُجري مجْرَاه بطريقِ التمثيلِ، وقيلَ بطريقِ الاستعارةِ التبعيةِ. وإيرادُ صيغةِ التفضيلِ معَ أنَّ الابتلاءَ شاملٌ لهم باعتبارِ أعمالِهِم المنقسمةِ إلى الحسنِ والقبيحِ أيضًا لا إلى الحسنِ والأحسنِ فقطْ للإيذانِ بأنَّ المرادَ بالذاتِ والمقصِد الأصليَّ من الابتلاءِ هو ظهورُ كمالِ إحسانِ المحسنينَ مع تحققِ أصلِ الإيمانِ والطاعةِ في الباقينَ أيضًا لكمالِ تعاضدِ الموجباتِ له وأما الإعراضُ عن ذلكَ فبمعزلٍ من الاندراجِ تحتَ الوقوعِ فضلًا عن الانتظامِ في سلكِ الغايةِ للأفعالِ الإلهيةِ وإنَّما هُو عملٌ يصدرُ عن عاملِهِ بسوءِ اختيارِهِ من غيرِ مصححٍ لهُ ولا تقريبٍ وفيهِ من الترغيبِ في الترقِّي إلى معارجِ العلوم ومدارجِ الطاعاتِ والزجرِ عن مباشرةِ نقائِضِها ما لا يَخْفى ﴿**وهُو العزيزُ**﴾ الغالبُ الذي لا يفوتُهُ من أساءَ العملَ ﴿**الغفورُ**﴾ لمن تابَ منهُم.

---

(١) في خ: صفات.
(٢) تقدم.
(٣) ذكره الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (١/ ٢٦٤) وقال: غريب جدًا.
(٤) في خ: والخلوة ونظائرها.

﴿الذي خلقَ سبعَ سمواتٍ﴾ قيلَ هو نعتٌ لـ (العزيزُ الغفورُ) أو بيانٌ أو بدلٌ والأوجهُ أنه نُصبَ أو رُفعَ على المدحِ متعلقٌ بالموصلينِ السابقينِ مَعْنَى وإنْ كانَ منقطعًا عنهُما إعرابًا كما مرَّ تفصيلُهُ في قولِهِ تعالَى: ﴿الذين يُؤمِنُونَ بالغيبِ﴾ [سورة البقرة، الآية ٣] من سورةِ البقرةِ منتظَمٌ معهما في سلكِ الشهادةِ بتعاليهِ سبحانَهُ، ومع الموصولِ الثَّاني في كونِه مدارًا للبلوى كما نطقَ بهِ قولُه تعالَى: ﴿وهُو الذي خلقَ السمواتِ والأرضَ في ستةِ أيام وكان عرشُهُ على الماءِ ليبلوكُم أيكم أحسنُ عملًا﴾ [سورة هود، الآية ٧] وقولُه تعالَى: ﴿طباقًا﴾ صفةٌ لسبعَ سمواتٍ أي مطابقةً على أنَّه مصدرُ طابقتَ النعلَ إذا خصفتَها وُصفَ بهِ المفعولُ أو مصدرٌ مؤكدٌ لمحذوفٍ هو صفتُها أي طُوبقتْ طباقًا. وقولُه تعالَى: ﴿ما تَرى في خلقِ الرَّحمنِ من تفاوتٍ﴾ صفةٌ أُخرى لسبعَ سمواتٍ، وضع فيها خلقُ الرحمنِ موضعَ الضميرِ للتعظيم والإشعارِ بعلةِ الحكمِ وبأنَّه تعالى خلقَها بقدرتِهِ القاهرةِ رحمةً وتفضلًا، وبأنَّ في إبداعِها نعمًا جليلةً أو استئنافٌ، والخطابُ للرسولِ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ أو لكلِّ أحدٍ ممَّن يصلحُ للخطابِ، ومنْ لتأكيدِ النَّفي أي ما تَرى فيهِ من شيءٍ من تفاوتٍ أي اختلافٍ وعدم تناسُبٍ، من الفَوتِ، فإنَّ كلًّا من المتفاوتينَ يفوتُ منهُ بعضُ ما في الآخرِ وقرئَ[1] من تفوتٍ، ومعناهُمَا واحدٌ. وقولُه تعالَى: ﴿فارجعِ البصرَ هَلْ تَرَى من فطورٍ﴾ متعلقٌ بهِ على مَعْنَى التسببِ حيثُ أخبرَ أولًا بأنه لا تفاوتَ في خلقهنَّ ثم قيلَ فارجعِ البصرَ حتَّى يتضحَ لك ذلكَ بالمعاينةِ ولا يبقى عندكَ شبهةٌ ما، والفطورُ[2] الشقوقُ والصدوعُ جمعُ فِطْرٍ وهو الشقُّ يقالُ فطرَهُ فانفطَرَ.

﴿ثم ارجعِ البصرَ كرتينِ﴾ أي رجعتينِ أُخرَيينِ في ارتيادِ الخللِ والمرادُ بالتثنيةِ التكريرُ والتكثيرُ كما في لبَّيكَ وسَعديكَ أي رجعةً بعدَ رجعةٍ وإنْ كثُرتْ. ﴿ينقلبْ إليكَ البصرُ خَاسئًا﴾ أي بعيدًا محرومًا من إصابةِ ما التمسَهُ من العيبِ والخللِ كأنَّه يُطردُ عن ذلكَ طردًا بالصَّغارِ والقَماءةِ ﴿وهو حسيرٌ﴾ أي كليلٌ لطولِ المعاودةِ وكثرةِ المُراجعةِ. وقولُه تعالَى:

---

(١) قرأ بها: حمزة، والكسائي، وعاصم، والأعمش، ويحيى، وابن مسعود، علقمة، والأسود، وابن جبير، وطلحة.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٢٠)، والإعراب للنحاس (٣/ ٤٧٠)، والتيسير للداني ص (٢١٢)، والسبعة لابن مجاهد ص (٦٤٤)، والغيث للصفاقسي ص (٣٧١)، والمجمع للطبرسي (١٠/ ٣٢١).

(٢) في خ: والمعطوف.

﴿ولقد زيَّنا السماءَ الدُّنيا﴾ بيانٌ لكونِ خلقِ السمواتِ في غايةِ الحسنِ والبهاءِ إثْرَ بيانِ خُلوهَا عن شائبةِ القصورِ. وتصديرُ الجملةِ بالقسم لإبرازِ كمالِ الاعتناءِ بمضمونِهَا أي وبالله لقد زيَّنا أقربَ السمواتِ إلى الأرضِ ﴿بمصابيحَ﴾ أي بكواكبَ مضيئةً بالليلِ إضاءةَ السرجِ من السياراتِ والثوابتِ تتراءى كأن كُلَّها مركوزةٌ فيها مع أنَّ بعضَها في سائرِ السمواتِ وما ذاكَ إلا لأنَّ كلَّ واحدةٍ منها مخلوقةٌ على نمطٍ رائقٍ تحارُ في فهمِهِ الأفكارُ وطرازٍ فائقٍ تهيمُ في دركِهِ الأنظارُ ﴿وجعلناها رُجُومًا للشياطينِ﴾ أي وجعلنَا لها فائدةً أُخرى هي رجمُ أعدائِكُم بانقضاضِ الشهبِ المقتبسةِ من نارِ الكواكبِ، وقيلَ معناهُ وجعلنَاهَا ظنونًا ورجومًا بالغيبِ لشياطينِ الإنسِ وهم المنجمونَ[١]، ولا يساعدهُ المقامُ والرجومُ جمع رَجْم بالفتحِ وهو ما يُرجمُ بهِ ﴿وأعتدنا لهم﴾ في الآخرةِ ﴿عذابَ السعيرِ﴾ بعد الاحتراقِ في الدُّنيا بالشهبِ ﴿وللذينَ كفرُوا بربِّهِم﴾ منَ الشياطينِ وغيرِهِم ﴿عذابُ جهنَّم﴾ وقُرِئَ[٢] بالنصبِ على أنَّه عطفٌ على عذابِ السعيرِ وللذينَ على لهم ﴿وبئسَ المصيرُ﴾ أي جهنمُ ﴿إذا أُلقُوا فيها سمعُوا لها﴾ أي لجهنَم وهو متعلقٌ بمحذوفٍ وقعَ حالًا من قولِهِ تعالَى: ﴿شهيقًا﴾ لأنه في الأصلِ صفتُه فلما قُدمتْ صارتْ حالًا أي سمعُوا كائنًا لَها شهيقًا أي صوتًا كصوتِ الحميرِ وهو حسيسُها المنكرُ الفظيعُ قالوا الشهيقُ في الصدرِ والزفيرُ في الحلقِ ﴿وهي تفورُ﴾ أي والحالُ أنها تغلِي بهم غليانَ المِرْجلِ بما فيهِ، وجعلُ الشهيقِ لأهلِهَا منهُم وممن طُرحَ فيها قبلَهُم كما في قولِهِ تعالَى: ﴿لهُمْ فيهَا زفيرٌ وشهيقٌ﴾ [سورة هود، الآية ١٠٦] يرده قوله تعالَى: ﴿تكادُ تميزُ﴾ أي تتميزُ وتتفرقُ ﴿من الغيظِ﴾ أي منْ شدةِ الغضبِ عليهِم فإنَّه صريحٌ في أنَّهُ من آثارِ النضبِ عليهِم كما في قولِهِ تعالَى: ﴿سمعُوا لها تغيظًا وزفيرًا﴾ [سورة الفرقان، الآية ١٢] فأينَ هُو من شهيقِهِم الناشئِ من شدةِ ما يقاسونَهُ من العذابِ الأليمِ، والجملةُ إما حالٌ من فاعلِ تفورُ أو خبرٌ آخرُ. وقولُه تعالَى: ﴿كلما أُلقيَ فيها فوجٌ﴾ استئنافٌ مسوقٌ لبيانِ حالِ أهلِها بعد بيانِ حالِ نفسِها وقيلَ حالٌ من ضميرِها أي كلما أُلقِيَ فيها جماعةٌ من الكفرةِ.

﴿سألهُم خزنتُهَا﴾ بطريقِ التوبيخِ والتقريعِ ليزدادُوا عذابًا فوقَ عذابٍ وحسرةً على حسرةٍ ﴿ألم يأتكم نذيرٌ﴾ يتلُو عليكُم آياتِ ربِّكُم وينذركُم لقاءَ يومِكُم هذا كما وقعَ

---

(١) في خ: المضمون.

(٢) قرأ بها: الضحاك، والأعرج، والحسن، وهارون، وأسيد بن أسيد المزني.
ينظر: الإعراب للنحاس (٣/ ٤٧١)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٤٢)، والبحر المحيط (٨/ ٢٩٩)، وتفسير الرازي (٣٠/ ٦٣).

في سورةِ الزمرِ ويعربُ عنه جوابهُم أيضًا ﴿قالُوا﴾ اعترافًا بأنه تعالَى قد أزاحَ عللَهُم بالكليةِ ﴿بلى قد جاءنا نذيرٌ﴾ جامعينَ بينَ حرفِ الجوابِ ونفسِ الجملةِ المجابِ بها مبالغةً في الاعترافِ بمجيءِ النذيرِ وتحسرًا على ما فاتَهُم من السعادةِ في تصديقِهِم وتمهيدًا لبيانِ ما وقعَ منهُم من التفريطِ تندمًا واغتمامًا على ذلكَ أيْ [قالَ][1] كلُّ فوجٍ من تلكَ الأفواجِ قد جاءَنا نذيرٌ أي واحدٌ حقيقةً أو حكمًا كأنبياءِ بني إسرائيلَ فإنهم في حكمِ نذيرٍ واحدٍ فأنذرنا وتَلا علينا ما نزَّل الله تعالَى من آياتِهِ.

﴿فكذبنا﴾ ذلكَ النذيرَ في كونِهِ نذيرًا من جهتِهِ تعالَى: ﴿وقُلنا﴾ في حقِّ ما تلاهُ من الآياتِ إفراطًا في التكذيبِ وتماديًا في النكيرِ ﴿ما نزَّل الله﴾ على أحدٍ ﴿من شيءٍ﴾ من الأشياءِ فضلًا عن تنزيلِ الآياتِ عليكُم ﴿إنْ أنتُم﴾ أي ما أنتُم في ادعاء أنَّه تعالَى نزَّل عليكُم آياتٍ تُنذرونَنا بِمَا فيها ﴿إلا في ضلالٍ كبيرٍ﴾ بعيدٍ عن الحقِّ والصوابِ. وجمعُ ضميرِ الخطابِ مع أنَّ مخاطِبَ كلِّ فوجٍ نذيرُهُ لتغليبِهِ على أمثاله مبالغةً في التكذيبِ وتماديًا في التضليلِ كما ينبئُ عنهُ تعميمُ المُنزَّلِ مع تركِ ذكرِ المُنزَّلِ عليهِ فإنَّه مُلوِّحٌ[2] بعمومِهِ حتمًا وأما إقامةُ تكذيبِ الواحدِ مُقامَ تكذيبِ الكلِّ فأمرٌ تحقيقيٌّ يصارُ إليهِ لتهويلِ ما ارتكبُوا من الجناياتِ لا مساغَ لاعتبارِهِ من جهتِهِم ولا لإدراجِهِ تحت عبارَتِهِم، كيفَ لا وهو منوطٌ بملاحظةِ إجماعِ النذرِ على ما لا يختلفُ من الشرائعِ والأحكام باختلافِ العصورِ والأعوام وأينَ هُم من ذلك وقد حال الجريضُ دونَ القريضِ[3]. هَذا إذا جَعلَ ما ذُكِرَ حكايَةً عن كلِّ واحدٍ من الأفواجِ، وأما إذا جُعلَ حكايةً عن الكلِّ فالنذيرُ إمَّا بمَعْنَى الجمعِ لأنَّه فعيلٌ أو مصدرٌ مقدَرٌ بمضافٍ عامٍّ أي أهلُ نذيرٍ أو منعوتٌ بهِ فيتفقُ كلا طَرَفَي الخطابِ في الجمعيةِ[4]، ومن اعتبرَ الجمعيةَ بأحدٍ[5] الوجوهِ الثلاثةِ على التقديرِ الأولِ ولم يخصَّ اعتبارَهَا بالتقديرِ الأخيرِ فقد اشتَبَه عليهِ الشؤونُ واختلطَ بهِ الظنونُ وقد جُوِّزَ أنْ يكونَ الخطابُ[6] من كلامِ الخزنةِ للكفارِ على إرادةِ القولِ على أنَّ مرادَهُم بالضَّلالِ ما

---

(١) سقط في خ.
(٢) في خ: يلوح.
(٣) الجريض: غصص الموت، والجَرَض بالتحريك الريق يغص به وفي قولهم حال الجريض دون القريض، قيل: الجريض الغُصَّة والقريض الجرَّة وقيل: الجريض الغصص والقريض الشعر، قال الرياشي القريض والجريض يحدثان للإنسان عند الموت فالجريض تبلُّع الريق والقريض صوت الإنسان وقال زيد بن كثوة: إنه يقال عند كل أمر مقدور عليه فحيل دونه.
(٤) في خ: الجمعة.
(٥) في خ: بإحدى.
(٦) في خ: الكلام.

كانُوا عليهِ في الدُّنيا أو هلاكهُم أو عقابُ ضلالِهم تسميةً لهُ باسمِ سببِهِ وأن يكونَ من كلامِ الرسلِ للكفرةِ وقد حكَوه للخزنةِ فتأملْ وكُنْ على الحقِّ المبينِ.

﴿وقالُوا﴾ أيضًا معترفينَ بأنَّهم لم يكونُوا ممن يسمعُ أو يعقلُ ﴿لو كُنَّا نسمعُ﴾ بأنهم لم يكونوا فيمن يسمع كلامًا[١] ﴿أو نعقلُ﴾ شيئًا[٢] ﴿ما كُنَّا في أصحابِ السعيرِ﴾ أي في عدادِهم ومن أتباعِهم وهم الشياطينُ لقولِهِ تعالَى: ﴿وأعتدنَا لهُم عذابَ السعيرِ﴾ [سورة الملك، الآية ٥] كأنَّ الخزنةَ قالُوا لهم في تضاعيفِ التوبيخِ ألم تسمعُوا آياتِ ربِّكُم ولم تعقِلُوا معانِيهَا حتَّى لا تُكذبُوا بها فأجابُوا بذلكَ ﴿فاعترفُوا بذنبِهِم﴾ الذي هو كُفرهم وتكذيبُهُم بآياتِ الله ورسولِهِ ﴿فَسُحْقًا﴾ بسكونِ الحاءِ، وقرئ[٣] بضمِّها مصدرٌ مؤكدٌ إمَّا لفعلٍ متعدٍّ من المزيدِ بحذفِ الزوائدِ كما في قعدكَ الله أي فأسحقَهُم الله أي أبعدَهُم من رحمتِهِ سُحْقًا أي إسْحَاقًا أو لفعلٍ مترتبٍ على ذلكَ الفعلِ أي فأسحقَهُم الله فسَحقُوا أي بُعدوا سُحقًا أي بُعْدًا كما في قولِ مَنْ قالَ: [الطويل]

وعـضـةُ دهـرٍ يـا ابْـنَ مـروانَ لـم تَـدَعْ مِنَ الـمـالِ إلا مُـسْـحَـتٌ أو مُـجلفُ[٤]

أي لم تدع فلم يبقَ إلا مسحتٌ... إلخ وعلى هذينِ الوجهينِ قولُه تعالَى: ﴿وأنبتَـهـا نبـاتًـا حسـنًـا﴾ [سورة آل عمـران، الآية ٣٧] واللامُ في قولِهِ تعالَى: ﴿لأصحابِ السعيرِ﴾ للبيانِ كما في هيتَ لكَ ونحوِهِ والمرادُ بهم الشياطينُ والداخلونَ في عدادِهِم بطريقِ التغليبِ.

﴿إن الذينَ يخشونَ ربَّهُم بالغيبِ﴾ أي يخافونَ عذابَهُ غائبًا عنهُم أو غائبينَ عنْهُ أو عن أعينِ النَّاسِ أو بما خَفِيَ منهُم وهو قلوبُهُم ﴿لهم مغفرةٌ﴾ عظيمةٌ لذنوبِهِم ﴿وأجرٌ كبيرٌ﴾ لا يُقَادرُ قَدرُهُ.

﴿وأسرُّوا قولَكُم أو اجهُروا بهِ﴾ بيانٌ لتساوِي السرِّ والجهرِ بالنسبةِ إلى علمِهِ تعالَى كما في قولِهِ: ﴿سواءٌ منكُم من أسرَّ القولَ ومن جهرَ بهِ﴾ [سورة الرعد، الآية ١٠] قال ابنُ عبَّاسٍ رضيَ الله عنهُما نزلتْ في المشركينَ كانُوا ينالُونَ من النبيِّ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ فيُوحَى إليهِ عليهِ الصلاةُ والسَّلامُ فقال بعضُهُم لبعضٍ أسرُّوا قولَكُم كيلاَ يسمعَ

---

(١) في خ: شيئًا. (٢) في خ: كلامًا.

(٣) قرأ بها: الكسائي، وابن وردان، وابن جماز، وعلي، وأبو جعفر.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٢٠)، والبحر المحيط (٨/ ٣٠٠)، والتبيان للطوسي (١٠/ ٦١)، والتيسير للداني ص (٢١٢)، وتفسير القرطبي (١٨/ ٢١٣)، والسبعة لابن مجاهد ص (٦٤٤).

(٤) تقدم.

ربُّ محمدٍ[١] فقيلَ لهُم أسِرُّوا ذلكَ أو اجهروا بهِ فإنَّ الله يعلمهُ، وتقديمُ السرِّ على الجهرِ للإيذانِ بافتضاحِهم ووقوعِ ما يحذرونَهُ من أولِ الأمرِ والمبالغةِ في بيانِ شمولِ علمِهِ المحيطِ لجميعِ المعلوماتِ كأنَّ[٢] علمَهُ تعالَى بما يُسرُّونَهُ أقدرُ منهُ بما يجهرونَ بهِ مع كونِهما في الحقيقةِ على السويةِ فإنَّ علمَهُ تعالَى بمعلوماتِهِ ليسَ بطريقِ حصولِ صورِهَا بل وجودُ كلِّ شيءٍ في نفسِهِ علمٌ بالنسبةِ إليهِ تعالَى أو لأنَّ مرتبةَ السرِّ متقدمةٌ على مرتبةِ الجهرِ [إذْ][٣] مَا من شيءٍ يُجهرُ بهِ إلا وهُو أو مباديهِ مضمرٌ في القلبِ يتعلقُ بهِ الأسرارُ غالبًا فتعلقُ علمِهِ تعالَى بحالتِهِ الأُولى متقدمٌ على تعلقِهِ بحالتِهِ الثانيةِ. وقولُهُ تعالَى: ﴿إنَّه عليمٌ بذاتِ الصدورِ﴾ تعليلٌ لما قبلَهُ، وتقريرٌ لهُ. وفي صيغةِ الفعيلِ وتحليةِ الصدورِ بلامِ الاستغراقِ ووصفِ الضمائرِ بصاحبيتِها من الجزالةِ ما لا غايةَ وارءَهُ كأنَّهُ قيلَ إنه مبالغٌ في الإحاطةِ بمضمراتِ جميعِ الناسِ وأسرارِهِم الخفيةِ المستكنةِ[٤] في صدورِهِمْ بحيثُ لا تكادُ تفارقُها أصلًا فكيفَ يَخْفى عليهِ ما تُسرُّونَهُ وتجهرونَ بهِ، ويجوزُ أنْ يُرادَ بذاتِ الصُّدورِ القلوبُ التي في الصدرِ، والمعنى أنه عليمٌ بالقلوبِ وأحوالِهَا فلا يَخْفَى عليهِ سرٌّ من أسرارِهَا. وقولُهُ تعالَى:

﴿ألا يعلمُ منْ خلقَ﴾ إنكارٌ ونفيٌ لعدمِ إحاطةِ علمِهِ تعالَى بالمُضمرِ والمُظهرِ، أي ألا يعلمُ السرَّ والجهرَ من أوجدَ بموجبِ حكمتِهِ جميعَ الأشياءِ التي هُمَا من جُملَتِهَا. وقولُهُ تعالَى: ﴿وَهُوَ اللطيفُ الخبيرُ﴾ حالٌ من فاعلِ يعلمُ مؤكدةٌ للإنكارِ والنَّفيِ، أي ألا يعلمُ ذلكَ والحالُ أنَّه المتوصلُ علمُهُ إلى ما ظهرَ من خلقِهِ وما بطنَ، ويجوزُ أنْ يكونَ مَنْ خَلَقَ منصوبًا، والمَعْنَى ألا يعلمُ الله مَنْ خلقَهُ والحالُ أنَّهُ بهذِهِ المثابةِ من شمولِ العلمِ، ولا مساغَ لإخلاءِ العلم عن المفعولِ بإجرائِهِ مَجْرَى يُعْطِي ويمنعُ على مَعْنَى ألا يكونُ عالِمًا مَنْ خلقَ لأنَّ الخلقَ لا يتأتَّى بدونِ العلم لخلوِّ الحالِ حينئذٍ من الإفادةِ لأنَّ نظمَ الكلام حينئذٍ ألا يكونُ عالمًا وهو مبالغٌ في العلم. ﴿هو الذي جعلَ لكم الأرضَ ذلولًا﴾ لينةً يسهلُ عليكُم السلوكُ فيها، وتقديمُ لكُم على مفعُولَي الجعلِ معَ أنَّ حقَّهُ التأخرُ عنهُما للاهتمامِ بما قُدمَ والتشويقِ إلى ما أُخرَ فإنَّ ما حقَّه التقديمُ إذا أُخرَ لا سيَّما عند كونِ المقدمِ ممَّا يدلُّ على كونِ المؤخرِ من منافعِ المخاطبينَ [تبقَى النفسُ مترقبةً لورودِهِ فيتمكنُ لديها عندَ ذكرِهِ فضلُ][٥] تمكنٍ. والفاءُ في قولِه

---

(١) ذكره الثعلبي في تفسيره (٩/ ٣٥٩).
(٢) في خ: فإن.
(٣) سقط في خ.
(٤) في خ: الممكنة.
(٥) في خ: درود فضل.

تعالَى: ﴿فامشُوا في مناكِبِهَا﴾ لترتيبِ الأمرِ على الجعلِ المذكورِ أي فاسلكُوا في جوانِبِهَا أو جِبَالِهَا، وهو مَثَلٌ لفرطِ التذليلِ[1] فإن منكبَ البعيرِ أرقُّ أعضائِهِ وأنباها عن أنْ يطأَهُ الراكبُ بقدمِهِ فإذا جُعل الأرضُ في الذُّلِّ بحيثُ يتأتَّى المشيُ في مناكِبِهَا لم يبقَ منها شيءٌ لم يتذللْ. ﴿وكُلوا من رزقِه﴾ والتمسُوا من نعمِ الله تعالَى: ﴿وإليهِ النشورُ﴾ أي المرجعُ بعدَ البعثِ لا إلى غيرِه فبالِغُوا في شكرِ نعمِهِ وآلائِهِ.

﴿أأمنتُم منْ في السماءِ﴾ أي الملائكةَ الموكلينَ بتدبيرِ هذا العالمِ، أو الله سبحانَهُ على تأويلِ من في السماءِ أمرُهُ وقضاؤُهُ، أو على زعمِ العربِ حيثُ كانُوا يزعمونَ أنَّه تعالَى في السماءِ أي أأمنتُم منْ تزعمُونَ أنَّهُ في السماءِ وهُو متعالٍ عن المكانِ. ﴿أنْ يخسفَ بكُم الأرضَ﴾ بعدَ ما جعلَهَا لكُم ذلولًا تمشون في مناكِبِهَا وتأكلونَ من رزقِهِ لكفرانِكُم تلكَ النعمةَ أي يقلبُهَا ملتبسةً بكُم فيغيبكم فيهَا كما فعلَ بقارونَ وهو بدلُ اشتمالٍ مِنْ مَنْ، وقيلَ هو عَلى حذفِ الجارِّ أيْ مِنْ أنْ يخسفَ ﴿فإذا هيَ تمورُ﴾ أي تضطربُ ذهابًا ومجيئًا على خلافِ ما كانَتْ عليهِ من الذُّلِّ والاطمئنانِ ﴿أم أمنتُم مَنْ في السماءِ﴾ إضرابٌ عن التهديدِ بما ذُكِرَ، وانتقالٌ إلى التهديدِ بوجهٍ آخرَ، أيْ بلْ أأمنتُم مَنْ في السَّماءِ ﴿أنْ يُرسلَ عليكُم حَاصبًا﴾ أي حجارةً من السماءِ كما أرسلَهَا على قومِ لوطٍ وأصحابِ الفيلِ، وقيلَ ريحًا فيها حجارةٌ وحصباءُ كأنَّها تقلعُ الحصباءَ لشدَّتِهَا وقوتِهَا وقيلَ هي سحابٌ فيها حجارةٌ ﴿فستعلمونَ﴾ عن قريبٍ ألبتةَ ﴿كيفَ نذيرِ﴾ أي إنذاري عندَ مُشاهدتِكُم للمنذَرِ بهِ ولكنْ لا ينفعكُم العلمُ حينئذٍ. وقرئ فسيعلمُونَ بالياءِ ﴿ولقد كذَّبَ الذينَ من قبلِهِم﴾ أي من قبلِ كفارِ مكةَ من كفارِ الأممِ السَّالفةِ كقومِ نوحٍ وعادٍ وأضرابِهِم. والالتفاتُ إلى الغيبةِ لإبرازِ الإعراضِ عنهُم ﴿فكيفَ كانَ نكيرِ﴾ أي إنكارِي عليهِم بإنزالِ العذابِ أي كانَ على غايةِ الهولِ والفظاعةِ وهذا هو موردُ التأكيدِ القَسَمِي لا تكذيبُهُم فقطْ، وفيهِ من المبالغةِ في تسليةِ رسولِ الله ﷺ وتشديدِ التهديدِ لقومِهِ ما لا يَخْفَى.

﴿أو لم يَرَوا﴾ أغفَلوا ولم ينظُروا ﴿إلى الطيرِ فوقَهُم صافاتٍ﴾ باسطاتٍ أجنحتهنَّ في الجوِّ عند طيرانِهَا فإنهنَّ إذا بسطنَهَا صففْنَ قوادِمها صفا ﴿ويقبضنَ﴾ ويضمُمنها إذا ضربنَ بها جنوبهنَّ حينًا فحينًا للاستظهارِ بهِ على التحركِ وهو السرُّ في إيثارِ يقبضنَ الدالِّ على تجددِ القبضِ تارةً بعد تارةٍ على قابضاتٍ ﴿ما يمسكهُنَّ﴾ في الجوِّ عند الصفِّ والقبضِ على خلافِ مقتضى الطبعِ ﴿إلا الرحمنُ﴾ الواسعُ رحمتُهُ كلَّ شيءٍ بأنْ براُهُنَّ

---

(١) في خ: التذلل.

على أشكالٍ وخصائصَ وهيأهُنَّ للجري في الهواءِ، والجملةُ مستأنفةٌ أو حالٌ من الضميرِ في يقبضنَ ﴿إنَّه بكلِّ شيءٍ بصيرٌ﴾ يعلمُ كيفيةَ إبداعِ المبدعاتِ وتدبيرِ المصنوعاتِ.

وقولُه تعالَى: **﴿أمَّن هَذا الذي هو جندٌ لكُم ينصركُم من دونَ الرحمنِ﴾** تبكيتٌ لهم بنفي أنْ يكونَ لهم ناصرٌ غيرُ الله تعالَى كما يلوحُ به التعرضُ لعنوانِ الرحمانيةِ ويعضُدهُ قولُه تعالَى: ﴿ما يُمسكهنَّ إلا الرحمنُ﴾ [سورة الملك، الآية ١٩] أو ناصرٌ من عذابِهِ تعالَى كما هو الأنسبُ بما سيأتي من قولِه تعالَى: ﴿إنْ أمسكَ رزقَهُ﴾ [سورة الملك، الآية ٢١] كقولِهِ تعالَى: ﴿أم لهم آلهةٌ تمنعُهُم من دونِنَا﴾ [سورة الأنبياء، الآية ٤٣] في المعنيينِ معًا خَلا أنَّ الاستفهام هُناكَ متوجهٌ إلى نفسِ المانعِ[١] وتحققهِ وههُنا إلى تعيينِ الناصرِ لتبكيتِهم بإظهارِ عجزِهِم عن تعيينِهِ، وأم منقطعةٌ مقدرةٌ ببل المفيدةِ للانتقالِ من توبيخِهم على تركِ التأملِ فيما يشاهدونَهُ من أحوالِ الطيرِ المنبئةِ عن تعاجيبِ آثارِ قدرةِ الله عزَّ وجلَّ إلى التبكيتِ بما ذُكِرَ، والالتفاتُ للتشديدِ في ذلكَ ولا سبيلَ إلى تقديرِ الهمزةِ معَها لأنَّ ما بعدَهَا مَنْ الاستفهاميةُ وهي مبتدأٌ وهذا خبرُهُ والموصولُ مع صلتِهِ صفتُهُ كما في قولِهِ تعالَى: ﴿مَنْ ذَا الذي يشفعُ عندَهُ﴾ [سورة البقرة، الآية ٢٥٥] وإيثارُ هذا لتحقيرِ المشارِ إليهِ. وينصرُكُم صفةٌ لجندٌ باعتبارِ لفظِهِ، ومن دونِ الرحمنِ على الوجهِ الأولِ إما حالٌ من فاعلِ ينصركُم أو نعتٌ لمصدرِهِ وعلى الثاني متعلقٌ بينصركم كما في قولِهِ تعالَى: ﴿مَنْ ينصرني من الله﴾ [سورة هود، الآية ٣٠] فالمَعْنَى بلْ مَنْ هذا الحقيرُ الذي هُو في زعمِكُم جندٌ لكم ينصرُكُم متجاوزًا نصرَ الرحمنِ أو ينصرُكُم نصرًا كائنًا من دونِ نصرِهِ تعالَى أو ينصرُكُم من عذابٍ كائنٍ من عندِ الله عزَّ وجلَّ. وتوهمُ أنَّ أم معادلةٌ لقولِهِ تعالَى: ﴿أوَلم يَروا﴾ [سورة الملك الآية ١٩]. . .إلخ معَ القولِ بأنَّ مَنِ استفهاميةٌ مما لا تقريبَ له أصلًا[٢].

وقولُه تعالَى: **﴿إنِ الكافرونَ إلاَّ في غُرورٍ﴾** اعتراضٌ مقررٌ لما قبلَهُ ناعٍ عليهِم ما هُم فيهِ من غايةِ الضلالِ أي ما هُم في زعمِهِم أنَّهم محفوظونَ من النوائبِ بحفظِ آلهتِهِم لا بحفظِهِ تعالَى فقطْ أو أنَّ[٣] آلهتَهُم تحفظُهُم من بأسِ الله إلا في غرورٍ عظيمٍ وضلالٍ فاحشٍ من جهةِ الشيطانِ ليسَ لهُم في ذلكَ شيءٌ يعتدُّ بهِ في الجملةِ. والالتفاتُ إلى الغيبةِ[٤] للإيذانِ باقتضاءِ حالِهِم للإعراضِ عنهُم وبيانِ قبائحِهِم لغيرِهِم. والإظهارُ في موقعِ الإضمارِ لذمِّهِم بالكُفرِ[٥] وتعليلِ غرورِهِم بهِ.

---

(١) في خ: نفس الواقع.
(٢) في خ: مثلا.
(٣) في خ: فإن.
(٤) في خ: المبالغة الغيبية.
(٥) في خ: في الكفر.

والكلامُ في قوله تعالَى: ﴿أمَّن هَذا الذي يرزقُكُم إنْ أمسكَ﴾ أي الله عزَّ وجلَّ ﴿رزقَهُ﴾ بإمساكِ المطرِ وسائرِ مباديهِ كالذي مرَّ تفصيلُه خَلا أنَّ قولَه تعالَى: ﴿بل لجُّوا في عتوٍّ ونفورٍ﴾ منبئ عن مقدَّرٍ يستدعيهِ المقامُ كأنَّه قيلَ إثرَ تمام التبكيتِ والتعجيزِ لم يتأثروا بذلكَ ولم يُذعنُوا للحقِّ بل لجُّوا وتمادَوا في عتوٍّ، أي عنادٍ واستكبارٍ وطغيانٍ ونفورٍ أيْ شرادٍ عن الحقِّ.

وقولُه تعالَى: ﴿أفمنْ يمشي مُكبًّا على وجهِهِ أهدَى﴾... إلخ مثلٌ ضُرِبَ للمشركِ والموحدِ توضيحًا لحالِهما وتحقيقًا لشأنِ مذهبيهما، والفاءُ لترتيبِ ذلكَ على ما ظهرَ من سوءِ حالِهِم وخرورِهِم في مهاوِي الغرورِ[١] وركوبِهِم متنَ عشواءِ العتوِّ والنفورِ، وعدم اهتدائِهِم في مسلكِ المُحاجَّةِ إلى جهةٍ يتوهمُ فيها رشدٌ في الجملةِ فإنَّ تقدمَ الهمزةِ[٢] عليها صورةً إنَّما هُو لاقتضائِهَا الصدارةَ وأما بحسبِ المعنى فالأمرُ بالعكسِ كمَا هو المشهورُ حتَّى لو كانَ مكانُ الهمزةِ هلْ لقيلَ فهَلْ مَنْ يمشِي مُكبا إلخ. والمُكِبُّ الساقطُ على وجهِهِ يقالُ أكبَّ خرَّ على وجهِهِ وحقيقتُهُ صارَ ذا كبٍّ ودخلَ في الكبِّ كأقشعَ الغمامُ أي صارَ ذا قشعٍ والمَعْنَى أفمنْ يمشِي وهو يعثرُ في كلِّ ساعةٍ ويخرُّ على وجهِهِ في كلِّ خُطوةٍ لتوعرِ طريقِهِ واختلالِ قُواه أهدَى إلى المقصدِ الذي يؤمُّه.

﴿أمَّنْ يمشِي سويا﴾ أي قائمًا سالمًا من الخبطِ والعثارِ ﴿على صراطٍ مستقيم﴾ مستوِي الأجزاءِ لا عوجَ فيهِ ولا انحرافَ قيلَ خبرٌ من الثانيةِ محذوفٌ لدلالةِ خبرِ الأُولَى عليهِ ولا حاجةَ إلى ذلكَ فإنَّ الثانيةَ معطوفةٌ على الأُولى عطفَ المفردِ كقولِكَ أزيدٌ أفضلُ أم عمروٌ وقيل أُريدَ بالمكبِّ الأَعْمَى وبالسويِّ البصيرُ وقيلَ من يمشِي مُكبا هو الذي يُحشرُ على وجهِهِ إلى النَّارِ ومَنْ يمشِي سويا الذي يُحشرُ على قدميهِ إلى الجنَّةِ.

﴿قل هُو الذي أنشأكم﴾ إنشاءً بديعًا ﴿وجعل لكُم السمعَ﴾ لتسمعُوا آياتِ الله وتمتثلُوا بما فيهَا من الأوامرِ والنواهِي وتتعظُوا بمواعظِهَا ﴿والأبصارَ﴾ لتنظرُوا بها إلى الآياتِ التكوينيةِ الشاهدةِ بشؤون الله عزَّ وجلَ ﴿والأفئِدَةَ﴾ لتتفكرُوا بهَا فيمَا تسمعونَهُ وتشاهدونَهُ من الآياتِ التنزيليةِ والتكوينيةِ وترتقُوا في[٣] معارجِ الإيمانِ والطاعةِ ﴿قليلًا ما تشكرونَ﴾ أي باستعمالِهَا فيما خُلقتْ لأجله من الأمورِ المذكورةِ.

وقليلًا نعتٌ لمحذوفٍ وما مزيدةٌ لتأكيدِ القلةِ[٤] أي شكرًا قليلًا أو زمانًا قليلًا

---

(١) خرورهم في مهاوي الغرور: سقوطهم.
(٢) في خ: الجملة.
(٣) في خ: إلى.
(٤) في خ: العلة.

تشكرونَ، وقيلَ القلةُ[1] عبارةٌ عن العدمِ.

﴿قُلْ هُو الذي ذرأكُم في الأرضِ﴾ أي خلقكُم وكثركُم فيهَا لا غيرُهُ ﴿وإليهِ تُحشرونَ﴾ للجزاءِ لا إلى غيرِهِ اشتراكًا أو استقلالًا فابنُوا أمورَكُم على ذلكَ.

﴿ويقولونَ﴾ من فرطِ عُتوِّهم وعنادِهِم ﴿مَتى هَذا الوعدُ﴾ أي الحشرُ الموعودُ كما ينبئُ عنهُ قولُه تعالَى: ﴿وإليهِ تحشرونَ﴾ ﴿إن كنتُم صادقينَ﴾ [يخاطبونَ بهِ][2] النبيَّ ﷺ والمؤمنينَ حيثُ كانُوا مشاركينَ لهُ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ في الوعدِ وتلاوةِ الآياتِ المتضمنةِ له وجوابُ الشرطِ محذوفٌ أي إنْ كنتُم صادقينَ فيما تخبرونَهُ من مجيءِ الساعةِ والحشرِ فبيِّنُوا وقتَهُ ﴿قُلْ إنَّما العلمُ﴾ أي العلمُ بوقتِهِ ﴿عندَ اللهِ﴾ عزَّ وجلَّ لا يطلعُ عليهِ غيرُهُ كقولِهِ تعالَى: ﴿قل إنَّما علمُهَا عندَ ربِّي﴾ [سورة الأعراف، الآية ١٨٧].

﴿وإنَّما أنَّا نذيرٌ مبينٌ﴾ أنذركُم وقوعَ الموعودِ لا محالةَ وأما العلمُ بوقتِ وقوعِهِ فليسَ من وظائفِ الإنذارِ. والفاءُ في قولِه تعالَى: ﴿فَلمَّا رَأَوهُ﴾ فصيحةٌ معربةٌ عن تقديرِ جملتينِ، وترتيبِ الشرطيةِ عليهِمَا، كأنَّه قيلَ وقد أتاهُم الموعودُ فرأَوهُ فلمَّا رَأَوهُ إلى آخره كما مرَّ تحقيقُهُ في قولِهِ تعالَى: ﴿فلمَّا رآهُ مُستقرا عندَهُ﴾ [سورة النمل، الآية ٤٠] إلاَّ أنَّ المقدرَ هُناكَ أمرٌ واقعٌ مرتبٌ على ما قبلَهُ بالفاءِ وهَهُنَا أمرٌ منزلٌ منزلةَ الواقعِ واردٌ على طريقةِ الاستئنافِ.

وقولُهُ تعالَى: ﴿زلفةً﴾ حالٌ من مفعولِ رَأَوْا، إمَّا بتقديرِ المضافِ أيْ ذَا زُلفةٍ وقربٍ، أو على أنَّه مصدرٌ بمَعْنَى الفاعلِ أي مُزدَلِفًا، أو على أنَّه مصدرٌ نُعتَ بهِ مبالغةً، أو[3] ظرفٌ أيْ رَأَوهُ في مكانٍ ذِي زُلفةٍ ﴿سِيئتْ وجوهُ الذينَ كفرُوا﴾ بأنْ غشِيَتْهَا الكآبةُ ورهقَهَا القَترُ والذلةُ، ووضعُ الموصولِ موضعَ ضميرِهِم لذمِّهِم بالكُفرِ وتعليلِ المساءةِ بهِ ﴿وقيلَ﴾ توبيخًا لهم وتشديدًا لعذابِهِم ﴿هذا الذي كنتُم به تدَّعُونَ﴾ أي تطلبُونَهُ في الدُّنيا وتستعجلونَهُ إنكارًا واستهزاءً على أنَّه تفتعلونَ من الدعاءِ، وقيلَ هو من الدَّعْوَى أي تدَّعُونَ ألا بعثَ ولا حشرَ. وقرئ (تَدْعُون)[4]، هَذا

---

(١) في خ: العلة.
(٢) سقط في خ.
(٣) في خ: و.
(٤) قرأ بها: نافع، والأصمعي، وشعبة، وأبو رجاء، والضحاك، والحسن، وقتادة، ويعقوب، وسلام، وعبد الله بن مسلم، وابن يسار، وابن أبي عبلة، وأبو زيد، وعصمة، وابن أبي إسحاق.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٢٠)، والبحر المحيط (٨/ ٣٠٤)، والتبيان للطوسي (١٠/ ٧٠)، وتفسير الطبري (٢٩/ ٨)، والكشاف للزمخشري (٤/ ١٣٩)، والمجمع للطبرسي (١٠/ ٣٢٨)، والمعاني للفراء (٣/ ١٧١)، والمعاني للأخفش (٢/ ٥٠٤).

وقَدْ رُوِيَ(١) عن مجاهدٍ أن الموعودَ عذابُ يوم بدرٍ. وهُو بعيدٌ.

﴿قُلْ أرأيتُم﴾ أي أخبروني ﴿إنْ أهلكنِي الله﴾ أي أماتَنِي، والتعبيرُ عنه بالإهلاكِ لما كانُوا يدعُون عليهِ ﷺ وعلى المؤمنينَ بالهلاكِ ﴿وَمَنْ معيَ﴾ من المؤمنينَ ﴿أو رحمنَا﴾ بتأخيرِ آجالِنَا فنحنُ في جوارِ رحمَتِهِ متربصونَ لإحدَى(٢) الحُسنيينِ ﴿فمنْ يُجيرُ الكافرينَ من عذابٍ أليم﴾ أي لا ينجِّيكُم منهُ أحدٌ مِتنا أو بَقِينا، ووضعُ الكافرينَ موضعَ ضميرِهِم للتسجيلِ عليهِم بالكفرِ، وتعليلِ نَفي الإنجاءِ بهِ ﴿قُلْ هُو الرحمنُ﴾ أي الذي أدعُوكم إلى عبادَتِهِ مُولِي النعم كُلِّها ﴿آمنَّا بهِ﴾ وحدَهُ لَمَّا علمنَا أنَّ كلَّ ما سواهُ إما نعمةٌ أو منعَمٌ عليهِ ﴿وعليهِ توكَّلنَا﴾ لا على غيرِهِ أصلًا لعلِمنا بأنَّ ما عداهُ كائنًا ما كانَ بمعزلٍ من النفعِ والضُّرِّ ﴿فستعلمونَ﴾ عن قريبٍ ألبتة ﴿مَنْ هُوَ في ضلالٍ مبينٍ﴾ منَّا ومنكُم. وقرئَ فسيعلمُونَ(٣) بالياءِ التحتانيةِ ﴿قل أرأيتُم﴾ أي أخبروني ﴿إن أصبحَ ماؤكم غَوْرًا﴾ أي غائرًا في الأرضِ بالكليةِ وقيلَ بحيثُ لا تنالُهُ الدِّلاءُ، وهو(٤) مصدرٌ وُصِفَ بِهِ. ﴿فمن يأتيكُم بماءٍ معينٍ﴾ جارٍ، أو ظاهرٍ سهلِ المأخذِ(٥).

عن النبيِّ ﷺ: **«مَنْ قَرأَ سُورةَ المُلكِ فكأنَّهُ أحيَا ليلةَ القَدرِ»**(٦).

---

(١) في خ: وروي.

(٢) في خ: إحدى.

(٣) قرأ بها: الكسائي.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٢١)، والبحر المحيط (٨/ ٣٠٤)، والتبيان للطوسي (١٠/ ٧٠)، والتيسير للداني ص (٢١٢)، وتفسير القرطبي (١٨/ ٢٢١)، والسبعة لابن مجاهد ص (٦٤٤).

(٤) في خ: الذي هو.

(٥) زاد في خ: والله سبحانه وتعالى أعلم.

(٦) تقدم تخريجه، وزاد في خ: والله الموفق.

سُورَةُ نٓ

مَكِّيَّةٌ وآيُهَا ثنتانِ وخمسونَ[1]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾
وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ﴿٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ
بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ
﴿٩﴾ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّۭ
بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾
سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُواْ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ
﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْاْ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ
ٱغْدُواْ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُواْ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ
﴿٢٤﴾ وَغَدَوْاْ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ
أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾
قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ
وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ
كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾
أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ
شُرَكَآءُ فَلْيَأْتُواْ بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ
﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُواْ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا
ٱلْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن

---

(١) في خ: خمسون واثنان.

مَغۡرَمٖ مُّثۡقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمۡ عِندَهُمُ ٱلۡغَيۡبُ فَهُمۡ يَكۡتُبُونَ ﴿٤٧﴾ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ إِذۡ نَادَىٰ وَهُوَ مَكۡظُومٞ ﴿٤٨﴾ لَّوۡلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعۡمَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ مَذۡمُومٞ ﴿٤٩﴾ فَٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزۡلِقُونَكَ بِأَبۡصَٰرِهِمۡ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكۡرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجۡنُونٞ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾

﴿ن﴾ بالسُّكُونِ على الوقفِ، وقرئ بالكسرِ[١]، وبالفتحِ[٢]، لالتقاءِ الساكنينِ، ويجوزُ أن يكونَ الفتحُ بإضمارِ حرفِ القسمِ في موضعِ الجرِّ كقولِهِم الله لأفعلنَّ بالجرِّ وأن يكونَ ذلكَ نصبًا بإضمارِ اذكُرْ لا فتحًا كما سبقَ في فاتحةِ سُورةِ البقرةِ. وامتناعُ الصرفِ للتعريفِ والتأنيثِ على أنَّهُ علمٌ للسورةِ ثُمَّ إنْ[٣] جُعلَ اسمًا للحرفِ مسرودٌ على نمطِ التعديدِ للتحدِّي بأحدِ الطريقينِ المذكورينِ في موقِعِه أو اسمًا للسورةِ منصوبًا على الوجهِ المذكورِ أو مرفوعًا على أنه خبرٌ لمبتدأٍ محذوفٍ فالواوُ في قولِهِ تعالَى: ﴿والقلم﴾ للقسمِ، وإنْ جُعلَ مقسمًا بهِ فهي للعطفِ عليهِ، وأيا ما كانَ فإنْ أُريدَ بهِ قلمُ اللوحِ والكرامِ الكاتبينَ، [فاستحقاقُهُ للإعظامِ][٤] بالإقسامِ بهِ ظاهرٌ، وإنْ أُريدَ بهِ الجنسُ، فاستحقاقُ ما في أيدي النَّاسِ لذلكَ لكثرةِ منافعِهِ ولو لم يكُنْ له مزيةٌ سوى كونِهِ آلةً لتحريرِ كتبِ الله عزَّ قائلًا لكَفَى بهِ فضلًا موجبًا لتعظيمِهِ.

وقرئ بإدغامِ النونِ في الواوِ[٥]. ﴿وما يسطرُون﴾ الضميرُ لأصحابِ القلمِ المدلول عليهم بذكره، وقيل للقلم على أن المراد به أصحابه، كأنه قيل وأصحاب القلم ومسطوراتِهِم، على أنَّ ما موصولةٌ أو سطرِهِم على أنَّها مصدريةٌ.

وقيلَ للقلمِ نفسِهِ بإسنادِ الفعلِ إلى الآلةِ وإجرائِهِ مجْرَى العقلاءِ لإقامتِهِ مقامَهُم،

---

(١) قرأ بها: الحسن، وابن عباس، وأبو السمال، وابن أبي إسحاق، ونصر.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٢١)، والإعراب للنحاس (٣/ ٤٧٩، ٤٨٠)، وتفسير القرطبي (١٨/ ٢٢٣)، والكشاف للزمخشري (٣/ ١٤٠).

(٢) قرأ بها: سعيد بن جبير، وعيسى.
ينظر: الإعراب للنحاس (٣/ ٤٧٨، ٤٧٩)، والبحر المحيط (٨/ ٣٠٧)، وتفسير القرطبي (١٨/ ٢٢٣)، والكشاف للزمخشري (٤/ ١٤٠).

(٣) في خ: إنه.

(٤) في خ: واستحقاقه للاستعظام.

(٥) قرأ بها: عاصم، والكسائي، وابن عامر، والبزي، وابن ذكوان، وهشام، ويعقوب، وخلف، وابن محيصن، والشنبوذي، وورش، والمفضل، وهبيرة.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٢١)، والإعراب للنحاس (٣/ ٤٧٨)، والبحر المحيط (٨/ ٣٠٧)، والحجة لابن خالويه ص (٣٥٠)، والغيث للصفاقسي ص (٣٧١)، والكشف للقيسي (٢/ ٣٣١).

وقيلَ المرادُ بالقلمِ ما خُطَّ في اللوحِ خاصَّةً، والجمعُ للتعظيمِ.

وقولُهُ تعالَى: ﴿ما أنتَ بنعمةِ ربِّكَ بمجنونٍ﴾ جوابُ القسمِ، والباءُ متعلقةٌ بمضمرٍ هو حالٌ من الضميرِ في خبرِهَا والعاملُ فيها مَعْنَى النَّفي كأنَّه قيلَ أنتَ بريءٌ من الجنونِ ملتبسًا بنعمةِ الله التي هيَ النبوةُ والرياسةُ العامةُ والتعرضُ لوصفِ الربوبيةِ المنبئةِ عن التبليغِ إلى معارجِ الكمالِ مع[1] الإضافةِ إلى ضميرِه عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ لتشريفه ﷺ والإيذانِ بأنَّه تعالَى يُتمُّ نعمتَهُ عليهِ ويبلغُه من العلوِّ إلى غايةٍ لا غايةَ وراءَهَا والمرادُ تنزيهُهُ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ عمَّا كانُوا ينسبونَهُ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ إليهِ من الجنونِ حَسَدًا وعداوةً ومكابرةً مع جزمِهم بأنَّه عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ في غايةِ الغاياتِ القاصيةِ ونهايةِ النهاياتِ النائيةِ من حَصانةِ[2] العقلِ ورَزَانَةِ الرأيِ.

﴿وإنَّ لكَ﴾ بمقابلةِ مقاساتِكَ ألوانَ الشدائدِ منْ جهتِهم وتحملِك لأعباءِ الرسالةِ ﴿لأجرًا﴾ لثوابًا عظيمًا لا يُقادَرُ قَدرُهُ ﴿غيرَ ممنونٍ﴾ معَ عظمِهِ كقولِهِ تعالَى: ﴿عطاءً غيرَ مجذوذٍ﴾ [سورة هود، الآية ١٠٨] أوغيرَ ممنونٍ عليكَ من جهةِ الناسِ، فإنَّهُ عطاؤُه تعالى بلاَ توسطٍ ﴿وإنَّك لعلى خُلقٍ عظيم﴾ لا يُدرِكُ شأوَهُ[3] أحدٌ منَ الخلقِ، ولذلكَ تحتملُ من جهتِهِم ما لا يكادُ يحتملُهُ البشرُ.

وسُئلتْ عائشةُ رضيَ الله عنْهَا عن خُلُقِهِ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ فقالتْ: **«كان خُلُقه القُرآنَ»** ألستَ تقرأُ القُرآنَ[4].

﴿قد أفلحَ المؤمنونَ﴾ [سورة المؤمنون، الآية ١] والجملتانِ معطوفتانِ على جوابِ القسمِ ﴿فستبصرُ ويُبصرُونَ﴾ قالَ ابنُ عبَّاسٍ رضيَ الله عنهُمَا فستعلمُ ويعلمونَ يومَ القيامةِ حينَ يتبينَ الحقُّ من الباطلِ، وقيل فستبصرُ ويبصرونَ في الدُّنيا بظهورِ عاقبةِ أمرِكُم بغلبةِ الإسلامِ واستيلائِكَ عليهِم بالقتلِ والنهبِ وصيرورتِكَ مهيبًا مُعظمًا في قلوبِ العالمينَ وكونِهِم أذلةً صاغرينَ. قالَ مقاتلٌ: هَذا وعيدٌ بعذابِ يومِ بدرٍ ﴿بأَيِّكُم المفتون﴾ أي أيكم الذي فُتنَ بالجنونِ، والباءُ مزيدةٌ أو بأيكم الجنونُ على

---

(١) في خ: و. (٢) في خ: حصافة.

(٣) في خ: شأنه.

(٤) أخرجه مسلم (٣/ ٢٧٩-٢٨١) كتاب صلاة المسافرين، باب: جامع صلاة الليل، ومن نام عنه، حديث (١٣٩)- (٧٤٦)، وأبو داود (٢/ ٤٠) كتاب الصلاة، باب: في صلاة الليل، حديث (١٣٤٢)، وابن ماجه (٢/ ٧٨١-٧٨٢) كتاب الأحكام، باب: الحكم فيمن كسر شيئًا، حديث (٢٣٣٣)، والحاكم (٢/ ٤٤٩) كتاب التفسير، باب: كان خلق رسول الله ﷺ القرآن، وأحمد (٦/ ٥٤، ٩١، ١١١)، والبيهقي في الدلائل (١/ ٣٠٨)، والواحدي في الوسيط (٤/ ٣٣٤).

أنَّ المفتونَ مصدرٌ كالمعقولِ والمجلودِ أو بأيِّ الفريقينِ منكُم المجنونُ أبفريقِ[١] المؤمنينَ أم بفريقِ الكافرينَ أي في أيِّهما يوجدُ من يستحقُّ هَذا الاسمَ وهو تعريضٌ بأبي جهلِ بنِ هشامٍ والوليدِ بنِ المغيرة وأضرابِهِمَا، كقولِهِ تعالَى: ﴿سيعلمونَ غدًا من الكذَّابُ الأَشرِ﴾ [سورة القمر، الآية ٢٦].

وقولُه تعالَى: ﴿إِنَّ ربَّكَ هُو أعلمُ بِمَنْ ضَلَّ عن سبيلِهِ﴾ تعليلٌ لما ينبئُ عنهُ ما قبلَهُ من ظهورِ جنونِهِم بحيثُ لا يَخْفى على أحدٍ[٢]، وتأكيدٌ لما فيهِ من الوعدِ والوعيدِ أي هُو أعلمُ بمن ضلَّ عنْ سبيلِهِ تعالَى المؤدِّي إلى سعادةِ[٣] الدارينِ وهامَ في تيهِ الضلالِ متوجهًا إلى ما يفضيهِ إلى الشقاوةِ الأبديةِ وهذا هُو المجنونُ الذي لا يفرقُ بين النفعِ والضررِ بل يحسبُ الضررَ نفعًا فيؤثرهُ والنفعَ ضررًا فيهجُرهُ.

﴿وهو أعلمُ بالمهتدينَ﴾ إلى سبيلِهِ الفائزينَ بكلِّ مطلوبِ الناجينَ عن كلِّ محذورٍ، وهُم العقلاءُ المراجيحُ فيجزِي كلا من الفريقينِ حسبَما يستحقُّهُ من العقابِ والثوابِ وإعادةُ هو أعلمُ لزيادةِ التقريرِ، والفاءُ في قولِهِ تعالَى: ﴿فلا تُطِعِ المكذبينَ﴾ لترتيبِ النَّهي على ما ينبئُ عنهُ ما قبلَهُ من اهتدائِهِ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ وضلالِهِم أو على جميعِ ما فُصِّلَ من أوَّلِ السورةِ، وهذا تهييجٌ وإلهابٌ للتصميمِ على معاصاتِهِم[٤] أيْ دُمْ علَى ما أنتَ عليهِ من عدمِ طاعتِهِم وتصلَّبْ في ذَلك، أو نهيٌ عن مداهنَتِهِم ومداراتِهِم بإظهارِ خلافِ ما في ضميرِهِ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ استجلابًا لقلوبِهِم لا عن طاعتِهِم حقيقةً كما ينبئُ عنْهُ قولُه تعالَى: ﴿ودُّوا لو تُدهِنُ﴾ فإنَّه تعليلٌ للنَّهي أو للانتهاءِ وإنما عبَّر عنها بالطاعةِ للمبالغةِ في الزجرِ والتنفيرِ أيْ أَحبوا لو تلاينُهُم وتسامحُهُم في بعضِ الأمورِ ﴿فيُدهِنُون﴾ أي فهُم يُدهِنُونَ حينئذٍ أو فهُم الآنَ يُدْهِنُونَ طمعًا في إدهانِكَ، وقيلَ هو معطوفٌ على تُدهنُ داخلٌ في حيزِ لَوْ والمَعْنَى: ودُّوا لو يُدهنُونَ[٥] عقيبَ إدهانِكَ، ويأباهُ ما سيأتِي من بدئِهِم بالإدهانِ على أن إدهانَهُم أمرٌ محققٌ لا يناسبُ إدخالَهُ تحت التمنِّي، وأيا ما كانَ فالمعتبرُ في جانبِهِم حقيقةُ الإدهانِ الذي هُو إظهارُ الملاينةِ وإضمارُ خلافِهَا، وأمّا[٦] في جانبِهِ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ فالمعتبرُ[٧] بالنسبةِ إلى ودادتِهِم هو إظهارُ الملاينةِ فَقَطْ وأمَّا إضمارُ

---

(١) في خ: أم بفريق.
(٢) في خ: منهم.
(٣) في خ: شقاوة.
(٤) في خ: مقاساتهم.
(٥) في خ: تدهن.
(٦) في خ: ليس.
(٧) في خ: والمعتبر.

خلافِهَا فليسَ في حيزِ الاعتبارِ بلْ هُم في غايةِ الكراهةِ لهُ إنما اعتبارُهُ بالنسبةِ إليهِ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ وفي بعضِ المصاحفِ فيُدهنُوا[١] على أنَّه جواب التمني المفهوم من ودُّوا أو أن ما بعده حكاية لودادتهم، وقيل [على][٢] أنه عطفٌ على تُدهنُ بناءً على أنَّ لَوْ بمنزلةِ أن الناصبةِ فلا يكونُ لها جوابٌ وينسَبكُ منهَا وممَّا بعدَهَا مصدرٌ يقعُ مفعولًا لودُّوا كأنَّه قيلَ ودُّوا أنْ تُدهنَ فيدهنوا وقيلَ لَوْ على حقيقتِهَا وجوابُهَا وكذا مفعولُ ودُّوا أي ودُّوا إدهانَكَ لو تُدهنُ فيُدهنُوا لسرُّوا بذلكَ.

﴿ولا تطعْ كلَّ حَلَّافٍ﴾ كثيرِ الحِلفِ في الحقِّ والباطِلِ. تقديمُ هذا الوصفِ على سائرِ الأوصافِ الزاجرةِ عن الطاعةِ لكونِهِ أدخلَ في الزجرِ ﴿مهينٍ﴾ حقيرِ الرَّأيِ والتدبيرِ ﴿همَّازٍ﴾ عيَّابٍ طعَّانٍ ﴿مشَّاءٍ بنميمٍ﴾ مضربِ نقالٍ للحديثِ من قوم إلى قوم على وجهِ السِّعايةِ والإفسادِ بينهُم فإنَّ النميمَ والنميمةَ السِّعايةُ ﴿منَّاعٍ للخيرِ﴾ أي بخيلٍ أو مناعٍ للناسِ من الخيرِ الذي هُو الإيمانُ والطاعةُ والإنفاقُ ﴿معتدٍ﴾ متجاوزٍ في الظلم ﴿أثيم﴾ كثيرِ الآثام ﴿عتلٍ﴾ جافٍ غليظٍ من عتلَهُ إذَا قادَهُ بعنفٍ وغلظةٍ ﴿بعد ذلكَ﴾ بعدَ ما عُدَّ من مثالبهِ ﴿زنيم﴾ دَعيٌّ مأخوذٌ من الزَّنمَةِ وهي الهَنةُ[٣] من جلدِ الماعزِ تُقطعُ فتخلَّى متدليةً في حَلقِهَا، وفي قولِه تعالَى بعد ذلكَ دلالةٌ على أنَّ دعوتَهُ أشدُّ معايبِهِ وأقبحُ قبائِحِه، قيلَ هُو الوليدُ بنُ المغيرةِ فإنَّهُ كانَ دَعِيا في قريشٍ وليسَ من سِنْخِهِم[٤] ادعاهُ المغيرةُ بعد ثماني عشرةَ من مولِدِه وقيلَ هو الأخنسُ بنُ شُريقٍ أصلُه من ثقيفٍ وعدادُه في زُهرةَ.

﴿أنْ كانَ ذَا مالٍ وبنينَ﴾ متعلقٌ بقولِه تعالَى لا تُطِعْ أي لا تُطِعْ من هَذِه مثالبُه لأنْ كانَ متمولًا مستظهرًا بالبنينَ.

وقولُه تعالَى: ﴿إذا تتلى عليهِ آياتُنَا قال أساطيرُ الأولينَ﴾ استئنافٌ جارٍ مَجْرَى التعليلِ للنَّهي، وقيلَ متعلقٌ بما دلَّ عليهِ الجملةُ الشرطيةُ من مَعْنَى الجحودِ والتكذيبِ لا بجوابِ الشرطِ لأنَّ ما بعدَ الشرطِ لا يعملُ فيما قبلَهُ كأنْ قيلَ لكونِه مُستظهرًا بالمالِ والبنينَ كذَّبَ بآياتِنَا، وفيهِ أنَّه يدلُّ على مَعْنَى أنَّ مدارَ تكذيبِهِ كونُه ذا مالٍ وبنينَ من غيرِ أنْ يكونَ لسائرِ قبائِحِه دخلٌ في ذلكَ. وقرئَ (أَأَنْ كانَ)[٥] على مَعْنَى ألأنْ

---

(١) ينظر: البحر المحيط (٨/ ٣٠٩)، وتفسير الرازي (٣٠/ ٨٣).
(٢) سقط في خ. (٣) في خ: الهينة.
(٤) سنخ: الأصل من كل شيء والجمع أسناخ وسنوخ وسنخ كلِّ شيء أصله.
(٥) قرأ بها: عاصم، وابن عامر، وحمزة، وشعبة، وروح، وأبو جعفر، والمفضل، والحسن البصري.
ينظر: التبيان للطوسي (١٠/ ٧٤)، والتيسير للداني ص (٢١٣)، والحجة لابن خالويه ص (٣٥١)، =

كانَ ذَا مالٍ كذَّبَ بهَا أو أتطيعُه لأن[١] كانَ [ذا مالٍ. وقرئ (إنْ كانَ)[٢] بالكسرِ والشرطُ للمخاطبِ أي لا تُطعْ كلَّ حلاَّفٍ شارطًا يسارَهُ لأنَّ إطاعةَ الكافرِ لغناهُ بمنزلةِ اشتراطِ غناهُ في الطاعةِ. ﴿**سَنسِمُه على الخُرطُوم**﴾ بالكَيِّ على أكرمِ مواضعِه لغايةِ إهانتِه وإذلالِه][٣]، قيلَ أصابَ أنفَ الوليدِ جراحةٌ يومَ بدرٍ فبقيتْ علامتُهَا، وقيلَ معناهُ سنعلِّمُه يومَ القيامةِ بعلامةٍ مشوِّهةٍ يُعلم بها عن سائرِ الكفرةِ.

﴿**إنَّا بلوناهُم**﴾ أي أهلَ مكةَ بالقحطِ بدعوةِ رسولِ الله ﷺ ﴿**كما بلونَا أصحابَ الجنةِ**﴾ وهم قومٌ من أهلِ الصلاةِ كانتْ لأبيهِم هذِه الجنَّةُ دونَ صنعاءَ بفرسخينِ فكانَ يأخذُ منها قوتَ سنةٍ ويتصدقُ بالباقي وكانَ يُنادِي الفقراءَ وقتَ الصِّرام، ويتركُ لهم ما أخطأهُ المنجلُ، وما في أسفلِ الأكداسِ، وما أخطأهُ القطافُ من العنبِ، وما بقيَ على البساطِ الذي يُبسطُ تحتَ النخلةِ إذَا صُرمتْ، فكانَ يجتمعُ لهم شيءٌ كثيرٌ فلمَّا ماتَ أبُوهُم قال بنُوه إنْ فعلنَا ما كانَ يفعلُ أبُونا ضاقَ علينا الأمرُ فحلفُوا فيمَا بينهُم. وذلكَ قولُه تعالى: ﴿**إذْ أقسمُوا لَيَصْرمُنَّها مُصبحينَ**﴾ ليقطَعُنَّها داخلينَ في الصباحِ ﴿**ولا يَستَثْنُونَ**﴾ أي لا يقولونَ إنْ شاءَ الله وتسميتُه استثناءٌ مع أنَّه شرطٌ من حيثُ أنَّ مؤدَّاهُ مُؤدَّى الاستثناءِ فإن قولَكَ لأخرُجنَّ إنْ شاءَ الله ولا أخرجُ إلا أنْ يشاءُ الله بمَعْنَى واحدٍ، أو ولا يستثنُونَ حِصَّةَ المساكينِ كما كانَ يفعلُهُ أبُوهُم، والجملةُ مستأنفةٌ.

﴿**فطافَ عليها**﴾ أي على الجنَّةِ ﴿**طائفٌ**﴾ بلاءٌ طائفٌ، وقرئ (طيفٌ)[٤] ﴿**منْ ربِّك**﴾ مبتدأٌ من جهتِه تعالَى: ﴿**وهم نائمونَ**﴾ غافلونَ عمَّا جرتْ بهِ المقاديرُ ﴿**فأصبحتْ كالصَّريم**﴾ كالبستانِ الذي صُرمتْ ثمارُه بحيثُ لم يبقَ منها شيءٌ، فعيلٌ بمَعْنَى مفعولٍ، وقيلَ كالليلِ أي احترقتْ فاسودَّتْ، وقيلَ كالنَّهارِ أي يبستْ وابيضتْ، سُمِّيا بذلكَ لأنَّ كلًا منهُما ينصرمُ عن صاحبِهِ، وقيلَ الصَّريمُ الرمالُ ﴿**فتنادَوا**﴾ أي نادَى بعضُهُم بعضًا ﴿**مُصْبِحينَ**﴾ داخلينَ في الصباحِ ﴿**أنِ اغدُوا**﴾ أي اغدُوا على أنَّ أنْ مفسرةٌ أو بأنِ اغدُوا على أنَّها مصدريةٌ أي اخرجُوا غُدوةً ﴿**عَلى حرثِكُم**﴾ بستانِكُم

= والغيث للصفاقسي ص (٣٧١)، والكشف للقيسي (٢/ ٣٣١)، والمجمع للطبرسي (١٠/ ٣٣١).

(١) في خ: إن.

(٢) قرأ بها: نافع، واليزيدي.
ينظر: الإملاء للعكبري (٢/ ١٤٣)، والبحر المحيط (٨/ ٣١٠)، وتفسير الرازي (٣٠/ ٨٦).

(٣) في خ: تقديم تأخير.

(٤) قرأ بها: النخعي.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٣١٢)، والكشاف للزمخشري (٤/ ١٤٤).

وضَيعتِكُم، وتعديةُ الغدوِّ بعَلَى لتضمينِه مَعْنَى الإقبالِ أو الاستيلاءِ ﴿إنْ كنتُم صارمينَ﴾ قاصدينَ للصَّرمِ ﴿فانطلقُوا وهُم يتخافتونَ﴾ أي يتشاورُون فيما بينَهُم بطريقِ المُخافتةِ وخَفيَ وخَفَتَ وخَفَدَ ثلاثتُهَا في مَعْنَى الكتمِ ومنْهُ الخُفْدودُ للخُفَّاشِ ﴿أنْ لا يدخُلنَّها﴾ أي الجنةَ ﴿اليومَ عليكُم مسكينٌ﴾ أنْ مفسرةٌ لما في التخافتِ من مَعْنَى القولِ. وقرئ بطرحِهَا[١] على إضمارِ القولِ والمرادُ بنهيِ المسكينِ عن الدخولِ المبالغةُ في النهيِ عن تمكينِه من الدخولِ كقولِهم لا أرينَّكَ هَهُنا ﴿وغَدَوا عَلَى حردٍ قادرينَ﴾ أي على نكدٍ لا غيرِ من حاردتِ السَّنةُ إذَا لم يكُنْ فيها مطرٌ وحاردتِ الإبلُ إذا منعتْ دَرَّهَا، والمَعْنَى أنَّهم أرادُوا أنْ يتنكدُوا على المساكينِ ويحرمُوهُم وهم قادرونَ على نفعِهم فغَدوا بحالٍ لا يقدرونَ فيها إلا على النكدِ والحرمانِ وذلكَ أنَّهُم طلبُوا حرمانَ المساكينِ فتعجلُوا الحرمانَ والمسكنَةَ أوْ وغَدَوا على مُحاردةِ جَنَّتِهِم وذهابِ خيرِهَا قادرينَ بدلَ كونِهِم قادرينَ على إصابةِ خيرِهَا ومنافِعِهَا أي غَدَوا حاصلينَ على النكدِ والحرمانِ مكانَ كونِهم قادرينَ على الانتفاعِ، وقيلَ الحَرْدُ الحَرَدُ وقدْ قرئ[٢] بذلكَ أي لم يقدرُوا إلا على حنقٍ بعضِهِم لبعضٍ لقولِه تعالَى: ﴿يتلاومُون﴾ [سورة القلم، الآية ٣٠] وقيلَ الحرْدُ القصدُ والسرعةُ أي غَدَوا قاصدينَ إلى جنتهِم بسرعةٍ قادرينَ عند أنفسِهم على صِرامِهَا وقيلَ هو علمٌ للجنةِ.

﴿فلمَّا رأَوها قالُوا﴾ في بديهةِ رؤيتِهِم ﴿إنَّا لضالُّونَ﴾ أي طريقَ جنتِنَا وما هيَ بهَا ﴿بل نحنُ محرومونَ﴾ قالُوه بعد ما تأملُوا ووقفُوا على حقيقةِ الأمرِ مُضربينَ عن قولِهِم الأولِ، أي لسنا ضالينَ بل نحنُ محرومونَ حُرِمنَا خيرَهَا بجنايتِنَا على أنفسِنَا ﴿قال أوسطُهُم﴾ أي رأيًا أو سِنًا ﴿ألم أقلْ لكُم لولا تسبحونَ﴾ لولا تذكرونَ الله تعالَى وتتوبونَ إليهِ من خُبثِ نيتِكُم وقد كانَ قالَ لهم حينَ عزمُوا على ذلكَ اذكرُوا الله وتوبُوا إليهِ عن هذهِ العزيمةِ الخبيثةِ من فورِكُم وسارِعُوا إلى حسم شرِّها قبلَ حُلولِ النقمةِ فعَصوه فعيَّرهُم، كمَا ينبئُ عنهُ قولُه تعالَى: ﴿قالُوا سُبحانَ ربِّنا إنَّا كُنَّا ظالمينَ﴾ وقيلَ المرادُ بالتسبيحِ الاستثناءُ لاشتراكِهِما في التعظيمِ أو لأنَّه تنزيهٌ لهُ تعالَى عن أنْ يجريَ في ملكِهِ ما لَا يشاؤُه.

---

(١) قرأ بها: ابن مسعود، وابن أبي عبلة.
ينظر: الإعراب للنحاس (٣/ ٤٨٧)، والبحر المحيط (٨/ ٣١٢)، والكشاف للزمخشري (٤/ ١٤٤)، والمعاني للفراء (٣/ ١٧٥).

(٢) قرأ بها: أبو العالية، وابن السميفع.
ينظر: تفسير القرطبي (١٨/ ٢٤٣).

﴿فأقبلَ بعضُهم على بعضٍ يتلاومونَ﴾ أي يلومُ بعضُهم بعضًا فإنَّ منهُم[١] مَن أشارَ بذلكَ ومنهُم من استصوبَهُ ومنهُم من سكتَ راضيًا بِهِ ومنهُم من أنكرَهُ ﴿قالوا يا ويلَنا إنَّا كُنَّا طاغينَ﴾ متجاوزينَ حدودَ الله ﴿عَسَى ربُّنا أنْ يبدلنا﴾ وقرئ بالتشديدِ[٢] أي يُعطينا بدلًا منها ببركةِ التوبةِ والاعترافِ بالخطيئةِ. ﴿خيرًا منها إنَّا إلى ربِّنا راغبونَ﴾ راجونَ العفوَ طالبونَ الخيرَ. وإلى لانتهاءِ الرغبةِ، أو لتضمنِهَا مَعْنَى الرجوعِ. وعن مُجَاهِدٍ تابوا فأُبدِلُوا خَيرًا منهَا، ورُوِيَ أنَّهم تعاقَدُوا وقالُوا إنْ أبدلنَا الله خيرًا منها لنصنعنَّ كما صنعَ أبُونا فدَعَوا الله تعالَى وتضرعُوا إليهِ فأبدَلَهُم الله تعالَى من ليلتِهِم ما هو خيرٌ منها، قالُوا إنَّ الله تعالَى أمرَ جبريلَ عليهِ السَّلامُ أنْ يقتلعَ تلكَ الجنةَ المحترقةَ فيجعلَهَا بِزُغَرَ من أرضِ الشام ويأخذَ من الشامِ جنةً فيجعلَهَا مكانَهَا، وقالَ ابنُ مسعودٍ رضيَ الله تعالَى عنهُ إنَّ القومَ لمَّا أخلصُوا وعرفَ الله منهُم الصدقَ أبدلَهُم جنةً يقالُ لها الحيوانُ فيها عنبٌ يحملُ البغلُ منهُ عُنقودًا وقالَ أبُو خالدٍ اليمانيُّ دخلتُ تلكَ الجنَّةَ فرأيتُ كلَّ عنقودٍ منهَا كالرجلِ الأسودِ القائمِ. وسُئِلَ قَتَادَةُ[٣] عن أصحابِ الجنَّةِ أهُم مِنْ أهلِ الجنَّةِ أم مِنْ أهلِ النارِ فقالَ: لقد كلفتني تعبًا. وعنِ الحسنِ رحمَهُ الله تعالَى: قولُ أصحابِ الجنةِ إنَّا إلى ربِّنا راغبون لا أدري إيمانًا كانَ ذلكَ منهُم أو على حدِّ ما يكونُ من المشركينَ إذا أصابتْهُم الشدةُ، فتوقفَ في أمرِهِم، والأكثرونَ على أنَّهُم تابُوا وأخلصُوا، حكاهُ القُشَيري.

﴿كذلكَ العذابُ﴾ جملةٌ منْ مبتدأٍ وخبرٍ مُقدم لإفادةِ القصرِ، والألفُ واللامُ للعهدِ أي مثلُ الذي بلونَا بهِ أهلَ مكةَ وأصحابَ الجنةِ عذابُ الدنيَا. ﴿ولعذابُ الآخرةِ أكبرُ﴾ أعظمُ وأشدُّ ﴿لو كانُوا يعلمونَ﴾ أنَّه أكبرُ لاحترَزُوا عمَّا يؤدِّيهم إليهِ.

﴿إنَّ للمتقينَ﴾ أي منَ الكفرِ والمَعَاصِي ﴿عندَ ربِّهِم﴾ أي في الآخرةِ أو في جوارِ القُدسِ ﴿جنَّاتِ النعيمِ﴾ جناتٍ ليسَ فيها إلا التنعمُ[٤] الخالصُ عن شائبةِ ما يُنغِّصهُ[٥] من الكدوراتِ وخوفِ[٦] الزوالِ كما عليهِ نعيمُ الدُّنيا.

وقولُه تعالَى: ﴿أفنجعلُ المسلمينَ كالمُجرمينَ﴾ تقريرٌ لما قبلَهُ من فوزِ المُتقينَ

---

(١) في خ: فيهم.
(٢) قرأ بها: نافع، وأبو عمرو، وأبو جعفر.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٢١)، والتبيان للطوسي (١٠/ ٨٤)، والتيسير للداني ص (١٤٥)، وتفسير القرطبي (١٨/ ٢٤٥)، والكشف للقيسي (٢/ ٧٢).
(٣) في خ: أبو قتادة.
(٤) في خ: النعيم.
(٥) في ط: يقتضيه.
(٦) في خ: وصرف.

بجنَّات النعيم، وردٌّ لما يقولهُ الكفرةُ عند سماعِهِم بحديثِ الآخرةِ وما وعدَ الله المسلمينَ فيهَا فإنهم كانُوا يقولونَ إنْ صحَّ أنا نُبعثُ كما يزعمُ محمدٌ ومَنْ معَهُ لم يكُنْ حالُنَا وحالُهُم إلا مثلَ ما هيَ في الدّنيا وإلا لم يزيدُوا علينَا ولم يفضلونَا وأقصى أمرِهِم أنْ يساوونَا. والهمزَةُ للإنكارِ والفاءُ للعطفِ على مقدرٍ يقتضيهِ المقامُ أي أنحيفُ في الحكم فنجعلَ المسلمينَ كالكافرينَ ثم قيلَ لهُم بطريقِ الالتفاتِ لتأكيدِ الردِّ وتشديدِه ﴿**ما لكُم كيفَ تحكمُون**﴾ تعجيبًا من حُكمِهِم واستبعادًا له وإيذانًا بأنَّه لا يصدرُ عن عاقلٍ ﴿**أَمْ لكُم كتابٌ**﴾ نازلٌ من السماءِ ﴿**فيهِ تدرسُون**﴾ أي تقرأونَ ﴿**إنَّ لكُم فيهِ لما تخيرونَ**﴾ أي ما تتخيرونَهُ وتشتهونَهُ، وأصلُهُ أنَّ لكُم بالفتحِ لأنَّهُ مدروسٌ فلمَّا جِيءَ باللامِ كُسرتْ ويجوزُ أنْ يكونَ حكايةً للمدروسِ كما هُو كقولِهِ تعالَى: ﴿وتركنَا عليهِ في الآخرينَ * سلامٌ على نوحٍ في العالمينَ﴾ [سورة الصافات، الآية ٧٨] وتخيرُ الشيءِ واختيارُهُ أخذُ خيرِهِ ﴿**أمْ لكُم أيمانٌ علينا**﴾ أي عهودٌ[١] مؤكدةٌ بالأيمانِ ﴿**بالغةٌ**﴾ متناهيةٌ في التوكيدِ. وقُرئتْ[٢] بالنصبِ على الحالِ والعاملُ فيها أحدُ الظرفينِ ﴿**إلى يومِ القيامةِ**﴾ متعلقٌ بالمقدرِ في لكم أي ثابتةٌ لكُم إلى يوم القيامةِ لا نخرجُ عن عُهدتِهَا حتى نحكمكم يومئذٍ ونعطيكُم [ما تحكمونَ][٣] أو ببالغَةٍ[٤] أي أيمانٌ تبلغُ ذلكَ اليومَ وتنتهِي إليهِ وافرةً لم تبطُلْ منها يمينٌ.

﴿**إن لكُم لما تحكمُون**﴾ جوابُ القسمِ، لأنَّ معنَى أمْ لكُم علينَا أيمانٌ أمْ أقسمنَا لكُم ﴿**سلهُم**﴾ تلوينٌ للخطابِ وتوجيهٌ لَهُ إلى رسولِ الله ﷺ بإسقاطِهِم عن رُتبةِ الخطابِ أي سلهُم مُبكتًا لهُمْ. ﴿**أيُّهم بذلكَ**﴾ الحكم الخارجِ عن العقولِ ﴿**زعيمٌ**﴾ أي قائمٌ يتصدَّى لتصحيحِه ﴿**أمْ لَهُم شركاءُ**﴾ يشاركونهم في هَذا القولِ ويذهبونَ مذهبَهُم. ﴿**فليأتوا بشركائِهِم إنْ كانُوا صادقينَ**﴾ في دعواهُم إذْ لا أقلَّ من التقليدِ، وقد نبَّه في هذِه الآياتِ الكريمةِ على أنْ ليسَ لهُم شيءٌ يُتوهمُ أنْ يتشبثُوا بهِ حتَّى التقليدُ الذي لا يُفلِحُ من تشبثَ بذيلِه، وقيلَ المَعْنَى أمْ لهُم شركاءُ يجعلونَهُم مثلَ المسلمينَ في الآخرةِ. ﴿**يومَ يكشفُ عن ساقٍ**﴾ أي يومَ يشتدُّ الأمرُ ويصعبُ الخطبُ،

---

(١) في خ: شهود.

(٢) قرأ بها: الحسن، وزيد بن علي.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٢١)، والإعراب للنحاس (٣/ ٤٨٩)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٤٣)، والبحر المحيط (٨/ ٣١٥)، وتفسير القرطبي (١٨/ ٢٤٧)، والكشاف للزمخشري (٤/ ١٤٦)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٣٢٥).

(٣) سقط في خ.

(٤) في خ: أو مبالغة.

وكشفُ الساقِ مَثَلٌ في ذلكَ وأصلُهُ تشميرُ المُخدَّراتِ[١] عن سُوقِهنَّ في الهربِ، قالَ حاتمٌ: [الطويل]

أخُو الحربِ إنْ عضَّتْ بهِ الحربُ عَضَّها وإنْ شمَّرتْ عنْ ساقِهَا الحربُ شَمَّرا[٢]

وقيلَ: ساقُ الشيءِ أصلُهُ الذي بهِ قوامُه كساقِ الشجرِ وساقِ الإنسانِ، أيْ يومَ يُكشفُ عن أصلِ الأمرِ فتظهرُ حقائقُ الأمورِ وأصولُهَا بحيثُ تصيرُ عيانًا، وتنكيرُهُ للتهويلِ أو التعظيمِ. وقرئَ تَكْشِفُ بالتاءِ على البناءِ للفاعلِ[٣] والمفعولِ[٤]، والفعلُ للساعةِ أو الحالِ، وقرئَ نَكْشِفُ[٥] بالنونِ وتُكْشِفُ[٦] بالتاءِ المضمومةِ وكسرِ الشِّينِ من أكشفَ الأمرُ أي دخلَ في الكشفِ[٧]. وناصبُ الظرفِ فليأتُوا، أو مضمر مقدم أي: اذْكُر يومَ... إلخ. أو مؤخر أي يومَ يكشفُ عن ساقٍ إلخ. يكونُ من الأهوالِ وعظائمِ الأحوالِ ما لا يبلغُه الوصفُ ﴿**ويُدعونَ إلى السجودِ**﴾ توبيخًا وتعنيفًا على تركهِم إيَّاهُ في الدُّنيا وتحسيرًا لهُم على تفريطِهِم في ذلكَ ﴿**فلا يستطيعونَ**﴾ لزوالِ القدرةِ عليهِ، وفيهِ دلالةٌ على أنَّهُم يقصدونَ السجودَ فلا يتأتَّى منهُم ذلكَ. عنِ ابنِ مسعُودٍ رضيَ اللهُ عنْهُ تعقمُ أصلابُهُم أي تُردُّ عظامًا بلا مفاصل[٨] لا تنثني عندَ الرَّفعِ والخفضِ. وفي الحديثِ وتبقَى أصلابُهُم طَبقًا واحِدًا أي فَقارةٌ واحدةٌ ﴿**خاشعةً أبصارُهُم**﴾ حالٌ من مرفوعِ يُدعونَ، على أنَّ أبصارَهُم مرتفعٌ بِهِ على الفاعليةِ، ونسبةُ الخشوعِ إلى الأبصارِ لظهورِ أثرِهِ فيهَا ﴿**ترهقُهُم**﴾ تلحقُهُم وتغشاهُم ﴿**ذِلَّةٌ**﴾ شديدةٌ ﴿**وقَدْ كانُوا يُدعونَ إلى السجودِ**﴾ في الدُّنيا. والإظهارُ في موضعِ الإضمارِ لزيادةِ

---

(١) في خ: المحزورات.

(٢) ينظر: تفسير القرطبي (١٨/ ١٦٢)، والكشاف (٤/ ٥٩٣)، والبحر المحيط (٨/ ٣٠٩)، والدر المصون (٦/ ٣٥٨)، واللباب (١٩/ ٢٩٩).

(٣) قرأ بها: ابن عباس.
ينظر: الإعراب للنحاس (٣/ ٤٩٠)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٤٣)، والبحر المحيط (٨/ ٣١٦)، والكشاف للزمخشري (٤/ ١٤٧)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٣٢٦)، والمعاني للفراء (٣/ ١٧٧).

(٤) قرأ بها: ابن عباس، والحسن، وأبو العالية.
ينظر: تفسير القرطبي (١٨/ ٢٤٩)، والكشاف للزمخشري (٤/ ١٤٧)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٣٢٦)، وتفسير الرازي (٣٠/ ٩٥).

(٥) قرأ بها: ابن عباس، وابن مسعود، وابن هرمز.
ينظر: الإعراب للنحاس (٣/ ٤٩٠)، والبحر المحيط (٨/ ٣١٦)، وتفسير القرطبي (١٨/ ٢٤٨)، والكشاف للزمخشري (٤/ ١٤٧)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٣٢٦)، وتفسير الرازي (٣٠/ ٩٥).

(٦) ينظر: تفسير القرطبي (١٨/ ٢٤٩)، والكشاف للزمخشري (٤/ ١٤٧)، وتفسير الرازي (٣٠/ ٩٦).

(٧) في خ: انكشف.

(٨) في ط: تفاصل.

التقريرِ، أو لأنَّ المرادَ بهِ الصلاةُ أو ما فيها من السجودِ والدعوةُ دعوةُ التكليفِ. ﴿وهم سالمونَ﴾ متمكنُونَ منْهُ أقوَى تمكنٍ، أي فلا يُجيبونَ إليهِ ويأبَونَهُ وإنَّما تُرك ذكرُه ثقةً بظهورِهِ.

﴿فذرني ومَن يكذبُ بهذا الحديثِ﴾ أي كِلْهُ إليَّ فإنِّي أكفيكَ أمرَهُ، أيْ حسبُكَ في الإيقاعِ بهِ والانتقام منهُ أنْ تَكِلَ أمرَهُ إليَّ وتُخلِّي بيني وبينَهُ، فإنِّي عالمٌ بمَا يستحقُّه من العذابِ، ومطيقٌ لهُ. والفاءُ لترتيبِ الأمرِ على ما قبلَهَا من أحوالِهِم المحكيةِ أيْ: وإذَا كان حالُهُم في الآخرةِ كذلكَ فذرنِي ومن يكذِّبُ بهذا القرآنِ، وتوكلْ عليَّ في الانتقامِ منْهُ.

وقولُه تعالَى: ﴿سنستدرِجُهُم﴾ استئنافٌ مسوقٌ لبيانِ كيفيةِ التعذيبِ المُستفادِ من الأمرِ السابقِ إجمالًا، والضميرُ لمَنْ والجمعُ باعتبارِ معناهَا كما أنَّ الإفرادَ في يكذِّبُ باعتبارِ لفظِهَا أي سنستنزِلُهُم إلى[1] العذابِ درجةً فدرجةً بالإحسانِ وإدامةِ الصحةِ وازديادِ النعمةِ.

﴿من حيثُ لا يعلمونَ﴾ أنه استدراجٌ وهو الإنعامُ عليهِم بلْ يزعمونَ أنه إيثارٌ لهُم وتفضيلٌ على المؤمنينَ مع أنَّهُ سببٌ لهلاكِهِم ﴿وأُملي لَهُم﴾ وأُمْهِلُهُم ليزدادُوا إثمًا وهم يزعمونَ أنَّ ذلكَ لإرادةِ الخيرِ بهِم.

﴿إنَّ كيدي متينٌ﴾ لا يُوقفُ عليهِ ولا يُدفعُ بشيءٍ، وتسميةُ ذلكَ كيدًا لكونِهِ في صورةِ الكيدِ ﴿أم تسألَهُم﴾ على الإبلاغِ والإرشادِ ﴿أجرًا﴾ دنيويا ﴿فهُم﴾ لأجلِ ذلكَ ﴿من مغرمٍ﴾ أي غرامةٍ ماليةٍ ﴿مُثقلونَ﴾ مكلفونَ حملًا ثقيلًا فيُعرضونَ عنْكَ ﴿أم عندهُم الغيْبُ﴾ أي اللوحُ أو المغيباتُ ﴿فهم يكتبونَ﴾ منْهُ ما يحكمُون ويستغنُونَ بهِ عن علمِكَ ﴿فاصبرْ لحكمِ ربِّكَ﴾ وهو إمهالُهُم وتأخيرُ نصرتِكَ عليهِم ﴿ولا تكُن كصاحبِ الحوتِ﴾ أي يونسُ عليهِ السَّلامُ ﴿إذْ نادَى﴾ في بطنِ الحوتِ ﴿وهو مكظومٌ﴾ مملوءٌ غيظًا، والجملةُ حالٌ من ضميرِ نادَى وعليها يدورُ النَّهي لا على النداءِ فإنه أمرٌ مستحسنٌ ولذلكَ لم يُذكرِ المُنادَى وإذْ منصوبٌ بمضافٍ محذوفٍ أي لا يكُن حالُك كحالِه وقتَ ندائِهِ أي لا يُوجدُ منكَ ما وُجدَ منْهُ من الضجرِ والمُغاضبةِ فتبتلى ببلائِهِ.

﴿لولا أنْ تدارَكَهُ نعمةٌ منْ ربِّه﴾ وقرئ (رحمةٌ)[2] وهُو توفيقُهُ للتوبةِ وقبولُهَا منْهُ،

---

(١) في خ: في.

(٢) ينظر: تفسير الرازي (٣٠/ ٩٨).

وحسُنَ تذكيرُ الفعلِ للفصلِ بالضميرِ، وقرئ (تداركتْهُ)[١] و(تَدَّاركُهُ)[٢] أي تتداركهُ على حكايةِ الحالِ الماضيةِ بمَعْنَى لولا أنْ كانَ يقالُ فيهِ تتداركه. ﴿لنُبذَ بالعراءِ﴾ بالأرضِ الخاليةِ من الأشجارِ ﴿وهو مذمومٌ﴾ مُليمٌ مطرودٌ من الرحمةِ والكرامةِ، وهو حالٌ من مرفوعِ نُبذَ عليهَا يعتمدُ جوابُ لولا لأنَّها هي المنفيةُ لا النبذُ بالعراءِ كما مرَّ في الحالِ الأُولَى، والجملةُ الشرطيةُ استئنافٌ، وإنْ لبيانِ كونِ المنهيِّ عنْهُ أمرًا محذورًا مستتبعًا للغائلةِ[٣].

وقولُهُ تعالَى: ﴿فاجتباهُ ربُّه﴾ عطفٌ على مقدرٍ أي فتداركتْهُ نعمةٌ من ربِّه فاجتباهُ بأنْ ردَّ إليهِ الوحيَ، وأرسلَهُ إلى مائةِ ألفٍ أو يزيدونَ، وقيل استنبأَهُ إنْ صحَّ أنَّه لم يكُنْ نبيا قبلَ هذهِ الواقعةِ ﴿فجعلَهُ من الصالحينَ﴾ من الكاملينَ في الصلاحِ بأنْ عصمَهُ منْ أنْ يفعلَ فعلًا يكونُ تركُهُ أَوْلَى.

رُوِيَ أنَّها نزلتْ بأُحُدٍ حينَ همَّ رسولُ اللهِ ﷺ أن يدعوَ على المنهزمينَ من المؤمنينَ، وقيلَ حينَ أرادَ أنْ يدعوَ على ثقيفٍ. ﴿وإنْ يكادُ الذينَ كفرُوا ليُزلقونَكَ بأبصارِهِم﴾ وقرئ (ليَزلقونَكَ)[٤] بفتحِ الياءِ من زَلَقه بمعنى أَزْلَقه و(يُزهقونَكَ)[٥]. وإنْ هيَ المخففةُ واللامُ دليلُهَا والمَعْنَى أَنَّهم من شدَّةِ عداوتِهِم لكَ ينظرونَ إليكَ شَزْرًا[٦] بحيثُ يكادونَ يُزِلّونَ قدمكَ فيرمونكَ، من قولِهِم نظر إلي نظرًا يكادُ يصرعُنِي، أي لو أمكنَهُ بنظرِهِ الصرعُ لفعلَهُ أو أنَّهُم يكادونَ يُصيبونَكَ بالعينِ إذ قد رُوِيَ أنَّهُ كانَ في بني

---

(١) قرأ بها: ابن مسعود، وابن عباس.
ينظر: الإعراب للنحاس (٣/ ٤٩٣)، والبحر المحيط (٨/ ٣١٧)، والكشاف للزمخشري (٤/ ١٤٨)، والمعاني للفراء (٣/ ١٧٨)، وتفسير الرازي (٣٠/ ٩٨).

(٢) قرأ بها: الحسن، والأعرج، والأعمش.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٢١)، والإعراب للنحاس (٣/ ٤٩٣)، وتفسير القرطبي (١٨/ ٢٥٣)، والكشاف للزمخشري (٤/ ١٤٨)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٣٢٦)، وتفسير الرازي (٣/ ٩٨).

(٣) في خ: للغاية.

(٤) قرأ بها: نافع، وأبو جعفر.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٢٢)، والإعراب للنحاس (٣/ ٤٩٤)، والبحر المحيط (٨/ ٣١٧)، والسبعة لابن مجاهد ص (٦٤٧).

(٥) قرأ بها: ابن مسعود، والأعمش، وعيسى، ومجاهد، وأبو وائل.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٣١٧)، وتفسير القرطبي (١٨/ ٢٥٥)، والمعاني للفراء (٣/ ١٧٩)، وتفسير الرازي (٣٠/ ١٠٠).

(٦) في خ: سردًا.

أسدٍ عيَّانونَ فأرادَ بعضُهُم أن يعينَ رسولَ الله ﷺ فنزلتْ. وفي الحديثِ «**إنَّ العينَ لتُدخلُ الرجلَ القبرَ والجملَ القدرَ**»(١) ولعله من خصائصِ بعضِ النفوسِ، وعن الحسنِ. دواءُ الإصابةِ بالعينِ أنْ تقرأَ هَذِه الآية.

﴿**لَمَّا سمعُوا الذكرَ**﴾ أي وقتَ سماعِهِم بالقرآنِ على أنَّ لمَّا ظرفيةٌ منصوبةٌ بيُزلقونَكَ وذلكَ لاشتدادِ بُغضِهِم وحسدِهِم عندَ سماعِهِ. ﴿**ويقولونَ**﴾ لغايةِ حيرتِهِم في أمرِهِ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ونهايةِ جهلِهِم بمَا في تضاعيفِ القرآنِ من تعاجيبِ الحِكَمِ وبدائعِ العلومِ المحجوبةِ عن العقولِ المُنغمسةِ بأحكامِ الطبائعِ ولتنفيرِ النَّاسِ عنْهُ ﴿**إنَّه لمجنونٌ**﴾ وحيثُ كانُ مدارُ حُكمِهِم الباطلِ ما سمعُوه منهُ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ردَّ ذلكَ ببيانِ عُلوِّ شأنِهِ وسطوعِ بُرهانِهِ فقيلَ: ﴿**وما هُو إلا ذكرٌ للعالمينَ**﴾ على أنَّه حالٌ من فاعلِ يقولونَ مفيدةٌ لغايةِ بُطلانِ قولِهِم وتعجيبِ السامعينَ من جرأتِهِم على تفوهِ تلكَ العظيمةِ أي يقولونَ ذلكَ والحالُ أنَّه ذكرٌ للعالمينَ، أي تذكيرٌ وبيانٌ لجميعِ ما يحتاجونَ إليهِ من أمورِ دينِهِم فأينَ مَنْ أنزلَ عليهِ ذلكَ وهو مُطلعٌ على أسرارِهِ طُرًا ومحيطٌ بجميعِ حقائِقِه خُبرًا ممَّا قالُوا، وقيلَ معناهُ شرفٌ وفضلٌ، لقولِهِ تعالَى: ﴿وإنَّه لذكرٌ لكَ ولقومكَ﴾ [سورة الزخرف، الآية ٤٤]، وقيلَ الضميرُ لرسولِ الله ﷺ وكونُه مذكِرًا وشرفًا للعالمينَ لا ريبَ فيهِ.

ومن فضائلها ما روي عن رسولِ الله ﷺ: «مَنْ قرأَ سُورةَ القلمِ أعطاهُ الله ثوابَ الذينَ حسَّنَ الله أخلاقَهُم»(٢).

---

(١) أخرجه ابن عدي في الكامل (٥/ ١٨٥)، والقضاعي في المسند (٢/ ١٤٠)، والهروي في العجائب كما في تفسير ابن كثير (٤/ ٤١٢)، من طرق عن علي بن أبي علي الهاشمي، عن محمد بن المنكدر، عن جابر رضي الله عنه ... الحديث.
قال ابن عدي:
وعلي بن أبي علي قال أحمد بن حنبل:
يروي أحاديث مناكير عن جابر، وقال ابن معين: ليس بشيء، وقال البخاري: لم يرضه أحمد منكر الحديث». ا هـ.
وأخرجه أبو نعيم في الحلية (٧/ ٩٠)، والخطيب في تاريخ بغداد (٩/ ٢٤٤)، من طرق عن سفيان عن محمد بن المنكدر عن جابر ... به قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٤/ ٤١٢).
وهذا إسناد رجاله كلهم ثقات ولم يخرجوه. ا هـ.

(٢) تقدم تخريجه، وزاد في خ: والله الموفق بمنه وكرمه للصواب.

سُورَةُ الحَاقَّةِ

مَكِّيَّةٌ وآيُها اثنتان[1] وخمسونَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْحَآقَّةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٣﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ
فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ
وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ
بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾ وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾ فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً
﴿١٠﴾ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِى
ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾
وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾
يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾
إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ
﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى
لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾
هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا
فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ
هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾
وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ
كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ
بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ
﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ
بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾

---

(١) في ط: إحدى.

﴿الحَاقَّةُ﴾ أي السَّاعةُ، أو الحالةُ الثابتةُ الوقوعِ الواجبةُ المجيءِ لا محالةَ، أو التي يحقُّ فيها الأمورُ الحقةُ من الحسابِ والثوابِ والعقابِ، أو التي تُحقُّ فيها الأمورُ أي تُعرفُ على الحقيقةِ من حقَّهُ يحِقُّه إذا عرفَ حقيقتَهُ، جُعلَ الفعلُ لها مجازًا وهو لِما فيها منَ الأمورِ أو لمَنْ فيها من أُولِي العلمِ وأيا ما كانَ فحذفُ الموصوفِ للإيذان بكمالِ ظهورِ اتصافهِ بهذِهِ الصفةِ وجريانِهَا مجرى الاسم، وارتفاعُها على الابتداءِ، خبرُهَا ﴿مَا الحَاقَّةُ﴾ على أنَّ مَا مبتدأٌ ثانٍ، والحاقَّةُ خبرُهُ[١]، والجملةُ خبرٌ للمبتدأ [الأولِ][٢]. والأصلُ ما هيَ أيْ أيُّ شيءٍ هي في حالِهَا وصفَتِهَا فإنَّ مَا قدْ يُطلبُ بها الصفةُ والحالُ، فوضعُ الظاهرِ موضعَ المضمرِ تأكيدًا لهولها. هذا ما ذكرُوهُ في إعرابِ هذه الجملةِ ونظائرِهَا، وقد سبقَ في سورةِ الواقعةِ أنَّ مُقتضَى التحقيقِ أنْ تكونَ ما الاستفهاميةُ خبرًا لما بعدَهَا فإنَّ مناطَ الإفادةِ بيانُ أنَّ الحاقةَ أمرٌ بديعٌ وخَطْبٌ فظيعٌ كما يفيدُهُ كونُ مَا خبرًا لا بيانُ أنَّ أمرًا بديعًا الحاقةُ كما يفيدُهُ كونُها مبتدأً وكونُ الحاقَّةِ خبرًا.

وقولُه تعالَى: ﴿وَمَا أدراكَ﴾ أي وأيُّ شيءٍ أعلمكَ ﴿مَا الحَاقَّةُ﴾ تأكيدٌ لهولِهَا وفظاعتِهَا ببيانِ خروجِهَا عن دائرةِ علومِ المخلوقاتِ على مَعْنَى أنَّ عظمَ شأنِهَا ومَدَى هولِهَا وشدَّتِهَا بحيثُ لا تكادُ تبلغُهُ درايةُ أحدٍ ولا وهمُهُ وكيفَما قدرتَ حالَهَا فهيَ أعظمُ من ذلكَ وأعظمُ فلا يتسنَّى الإعلامُ. ومَا في حيزِ الرفعِ على الابتداءِ، وأدراكَ خبرُهُ. ولا مساغَ هَهُنَا للعكسِ. ومَا الحاقَّةُ جملةٌ من مبتدإٍ وخبرٍ على الوجهِ الذي عرفتَهُ، محلُّها النصبُ على إسقاطِ الخافضِ لأنَّ أَدْرَى يتعدَّى إلى المفعولِ الثَّانِي بالباءِ كَما في قولِهِ تعالَى: ﴿ولا أدراكُم بهِ﴾ [سورة يونس، الآية ١٦] فلمَّا وقعتْ جملةُ الاستفهامِ معلّقةً لهُ كانَتْ في موضعِ المفعولِ الثانِي والجملةُ الكبيرةُ معطوفةٌ على ما قبلَهَا منَ الجملةِ الواقعةِ خبرًا لقولِهِ تعالَى: ﴿الحاقةُ﴾ مؤكدةٌ لهولِها كما مرَّ.

﴿كذَّبتْ ثمودُ وعادُ بالقارعةِ﴾ أيْ بالحالةِ التي تقرعُ النَّاسَ بفنونِ الأفزاعِ والأهوالِ والسماءَ بالانشقاقِ والانفطارِ، والأرضَ والجبالَ بالدكِّ والنسفِ، والنجومَ بالطمسِ والانكدارِ. ووضعُهَا موضعَ ضميرِ الحَاقَّةِ للدلالةِ على مَعْنَى القرعِ فيها تشديدًا لهولِهَا، والجملةُ استئنافٌ مسوقٌ لإعلام بعضِ أحوالِ الحَاقَّةِ لهُ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ إثرَ تقريرِ أنَّه ما أدراهُ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ بها أحدٌ، كما في قولِهِ تعالَى: ﴿وما أدراكَ ماهِيه * نارٌ حاميةٌ﴾ [سورة القارعة، الآية ١٠، ١١] ونظائرُهُ خلا أنَّ

(١) في خ: فيها. (٢) سقط في خ.

المبيَّنَ هناكَ نفسُ المسؤولِ عنْهَا وهَهُنَا حالٌ منْ أحوالِهَا، كَما في قولِهِ تعالَى: ﴿وما أدراكَ ما ليلةُ القدرِ * ليلةُ القدرِ خيرٌ من ألفِ شهرٍ﴾ [سورة القدر، الآية٢، ٣] فكمَا أنَّ المبيَّنَ هناكَ ليسَ نفسَ ليلةِ القدرِ بل فضلَها وشرفَها، كذلكَ المبيَّنُ هاهنا هولُ الحاقةِ وعظمُ شأنِهَا وكونُها بحيثُ يحقُّ إهلاكُ منْ يكذبُ بها كأنَّه قيلَ وما أدراكَ ما الحاقةُ كذبتْ بها ثمودُ وعادٌ فأُهلِكُوا.

﴿فأمَّا ثمودُ فأُهلِكُوا بالطَّاغيةِ﴾ أي بالواقعةِ المجاوزةِ للحدِّ، وهيَ الصيحةُ أو الرَّاجفةُ ﴿وَأَمَّا عادٌ فأُهلِكُوا بريحٍ صرصرٍ﴾ أي شديدةِ الصَّوتِ لها صرصرةٌ، أو شديدةُ البردِ تحرقُ ببردِهَا ﴿عاتيةٍ﴾ شديدةِ العصفِ كأنَّها عتتْ على خُزَّانِهَا فلم يتمكنُوا من ضبطِهَا أو على عادٍ فلم يقدرُوا على ردِّها.

وقولُهُ تعالَى: ﴿سخَّرها عليهِم﴾... إلخ استئنافٌ جيءَ بهِ بيانًا لكيفيةِ إهلاكِهِم بالريحِ أي سلَّطها الله عليهِم بقدرتِه القاهرةِ ﴿سبعَ ليالٍ وثمانيةَ أيامٍ حُسُومًا﴾ أي متتابعاتٍ، جمعُ حاسمٍ كشهودٍ جمعُ شاهدٍ من حسمتُ الدابةُ إذا تابعتُ بين كيِّها أو نحساتٌ حسمتْ كل خيرٍ واستأصلتهُ أو قاطعاتٌ قطعتْ دابرَهُم، ويجوزُ أنْ يكونَ مصدرًا منتصبًا على العلةِ بمعنى قطعًا أو عَلى المصدرِ لفعلِهِ [المقدرِ](١) حالًا أي تحسمُهُم حُسومًا، ويؤيدُه القراءةُ بالفتحِ(٢). وهيَ كانتْ أيامَ العجوزِ من صبيحةِ أربعاءَ إلى غروبِ الأربعاءِ الآخرِ، وإنَّما سُمِّيتْ عجُوزًا لأنَّ عجُوزًا من عادٍ توارتْ في سِرْبٍ فانتزعتْهَا الريحُ في اليوم الثامنِ فأهلكَتْهَا، وقيلَ هي أيامُ العجزِ وهيَ آخرُ الشتاءِ وأسماؤُها الصنُّ والصِّنَّبرُ(٣) والوبرُ والآمرُ والمؤتمرُ والمعللُ ومطفئ الجَمْرِ وقيلَ [ومُكفئ الظعنِ](٤).

﴿فترَى القومَ﴾ إنْ كنتَ حاضرًا حينئذٍ ﴿فيهَا﴾ في مهابِّها أو في تلكَ الليالِي والأيامِ ﴿صَرْعَى﴾ مَوْتَى جمعُ صريعٍ ﴿كأنَّهُم أعجازُ نخلٍ﴾ أي أصولُ نخلٍ ﴿خاويةٍ﴾ متآكلةِ الأجوافِ.

﴿فهلْ تَرَى لهم من باقيةٍ﴾ أي بقيةٍ أو نفسٍ باقيةٍ أو بقاءٍ على أنَّها مصدرٌ كالكاذبةِ

---

(١) سقط في خ.

(٢) قرأ بها: السدي.

ينظر: البحر المحيط (٨/ ٣٢١)، وتفسير القرطبي (١٨/ ٢٦٠)، والكشاف للزمخشري (٤/ ١٥٠)، وتفسير الرازي (٣٠/ ١٠٤).

(٣) في خ: والقنبر.

(٤) في خ: يكفئ الطعن.

والطاغيةِ. ﴿وجاءَ فرعونُ ومَنْ قبلَهُ﴾ أيْ ومَنْ تقدَّمهُ. وقرئ ومَنْ قبلَهُ[(١)] أيْ ومَنْ عندَهُ من أتباعِهِ، ويؤيدُهُ أنَّه قرئ ومَنْ مَعَهُ[(٢)].

﴿والمؤتفكاتُ﴾ أي قرى قومِ لوطٍ أي أهلُهَا ﴿بالخاطئةِ﴾ بالخطإِ أو بالفعلةِ أو الأفعالِ ذاتِ الخطإِ التي من جُمْلَتِهَا تكذيبُ البعثِ والقيامةِ ﴿فعَصوا رسولَ ربِّهِم﴾ أي فعَصَى كلُّ أُمَّةٍ رسولَهَا حينَ نَهَوهُم عمَّا كانُوا يتعاطونَهُ من القبائحِ ﴿فأخذَهُم﴾ أي[(٣)] الله عزَّ وجَلَّ ﴿أخذةً رابيةً﴾ أي زائدةً في الشدةِ كما زادتْ قبائحُهُم في القبحِ من رَبَا الشيءُ إِذَا زادَ.

﴿إنَّا لمَّا طَغَا الماءُ﴾ بسببِ إصرارِ قومِ نوحٍ على فنونِ الكفرِ والمعاصِي ومبالغتِهِم في تكذيبِهِ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ فيما أوحى إليهِ من الأحكامِ التي من جُمْلَتِهَا أحوالُ القيامةِ. ﴿حملناكُم﴾ أي في أصلابِ آبائِكُم ﴿في الجاريةِ﴾ في سفينةِ نوحٍ عليهِ السَّلامُ والمرادُ بحملِهِم فيها رفعُهُم فوقَ الماءِ إلى انقضاءِ أيامِ الطُّوفانِ، لا مجردُ رفعِهِم إلى السفينةِ كما يُعربُ عنهُ كلمةُ في فإنَّها ليستْ بصلةٍ للحملِ بلْ متعلقةٌ بمحذوفٍ هو حالٌ من مفعولِهِ أي رفعناكُم فوقَ الماءِ وحفظناكُم حالَ كونِكُم في السفينةِ الجاريةِ بأمرِنَا وحفظِنَا، وفيه تنبيهٌ على أنَّ مدارَ نجاتِهِم محضُ عصمتِهِ تعالى إنَّما السفينةُ سببٌ صُوريٌّ.

﴿لنجعلَهَا﴾ أي لنجعلَ الفعلةَ التي هي عبارةٌ عن إنجاءِ المؤمنينَ وإغراقِ الكافرينَ. ﴿لكم تذكرةً﴾ عبرةً ودلالةً على كمالِ قُدرةِ الصَّانعِ وحكمتِهِ وقوةِ قهرِهِ وسعةِ رحمَتِهِ ﴿وتعِيها﴾ أي تحفظُهَا والوعيُ أنْ تحفظَ الشيءَ في نفسِكَ والإيعاءُ أن تحفظَهُ في غيرِ نفسِكَ من وعاءٍ[(٤)] وقرئ (تَعْيها)[(٥)] بسكونِ العينِ تشبيهًا له

(١) قرأ بها: أبو عمرو، والكسائي، وعاصم، وحمزة، والحسن، واليزيدي، وأبو رجاء، وعاصم، والجحدري، وطلحة، وأبان، ويعقوب، وشعبة، وأبو عبيد، وأبو حاتم.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٢٢)، والإعراب للنحاس (٣/ ٤٩٦)، والبحر المحيط (٨/ ٣٢١)، والتبيان للطوسي (١٠/ ٩٣، ٩٦)، والتيسير للداني ص (٢١٣)، وتفسير الطبري (٢٩/ ٣٣)، وتفسير القرطبي (١٨/ ٢٦١).

(٢) قرأ بها: أبي، وعبد الله.
ينظر: والتبيان للطوسي (١٠/ ٩٦)، وتفسير الطبري (٢٩/ ٣٤)، وتفسير القرطبي (١٨/ ٢٦٢)، والمعاني للفراء (٣/ ١٨٠)، وتفسير الرازي (٣٠/ ١٠٥).

(٣) في خ: أمر.

(٤) في خ: وعى.

(٥) قرأ بها: أبو عمرو، وابن كثير، وخارجة، وطلحة، وقنبل، وهارون، والحلواني، والقواس.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٢٢)، والإعراب للنحاس (٣/ ٤٩٧)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٤٤)، والسبعة لابن مجاهد ص (٦٤٨)، والكشاف للزمخشري (٤/ ١٥١)، والمجمع للطبرسي =

بكتفٍ[١]. ﴿أذنٌ واعيةٌ﴾ أي أذنٌ من شأنِهَا أنْ تحفظَ ما يجبُ حفظُهُ بتذكرِهِ وإشاعَتِهِ والتفكرِ فيهِ ولا تضيعُهُ بتركِ العملِ بهِ. والتنكيرُ للدلالةِ على قلَّتِهَا وأنَّ مَن هَذا شأنُه مَع قلتِهِ يتسببُ لنجاةِ الجمِّ الغفيرِ وإدامةِ نسلِهِم. وقرئَ أُذْنٌ[٢] بالتخفيفِ.

﴿فإذَا نُفخَ في الصُّورِ نفخةٌ واحدةٌ﴾ شروعٌ في بيانِ نفسِ الحاقَّةِ وكيفيةِ وقوعِهَا إثرَ بيانِ عظمِ شأنِهَا بإهلاكِ مكذبيها، وإنَّما حسُنَ إسنادُ الفعلِ إلى المصدرِ لتقييدِه وحسُنَ تذكيرُهُ للفصلِ. وقرئَ نفخةً[٣] واحدةً بالنصبِ على إسنادِ الفعلِ إلى الجارِّ والمجرورِ، والمرادُ بها النفخةُ الأُولى التي عندَهَا خرابُ العالمِ.

﴿وحملتِ الأرضُ والجبالُ﴾ أي وقُلعتْ ورُفعتْ من أماكنِهَا بمجردِ القدرةِ الإلهيةِ أوبتوسطِ الزلزلةِ أو الريحِ العاصفةِ. ﴿فدكتا دكةً واحدةً﴾ أيْ فضُربتْ الجملتانِ إثرَ رفعِهِمَا بعضِهَا ببعضٍ ضربةً واحدةً حتى تندقَّ وترجعَ كثيبًا مهيلًا وهباءً منبثًا، وقيل فبُسطتا بسطةً واحدةً فصارتَا قاعًا صفصفًا لا تَرَى فيها عِوَجًا ولا أَمْتًا من قولِهِم اندكَّ[٤] السنامُ إذا تفرشَ وبعيرٌ أدكُّ وناقةٌ دكاءُ ومنهُ الدكانُ. ﴿فيومئذٍ﴾ فحينئذٍ ﴿وقعتِ الواقعةُ﴾ أي قامتِ القيامةُ ﴿وانشقتِ السماءُ﴾ لنزولِ الملائكةِ ﴿فهيَ﴾ أي[٥] السماءُ ﴿يومئذٍ واهيةٌ﴾ ضعيفةٌ مسترخيةٌ بعد ما كانَتْ محكمةً ﴿والملكُ﴾ أي الخلقُ المعروفُ بالملكِ ﴿عَلَى أرجائِهَا﴾ أي جوانِبِهَا جمعُ رَجَا بالقصرِ أي تنشقُّ السماءُ التي هيَ مساكنُهُم فيلجأونَ إلى أكنافِهَا وحافاتِهَا.

﴿ويحملُ عرشَ ربِّكَ فوقَهُم﴾ فوقَ الملائكةِ الذينَ هُم على الأرجاءِ أو فوقَ الثمانيةِ ﴿يومئذٍ ثمانيةٌ﴾ من الملائكةِ عن النبيِّ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ هُم اليومَ أربعةٌ فإذا كانَ يومُ القيامةِ أيدهُم الله تعالَى بأربعةٍ آخرينَ فيكونونَ ثمانيةً[٦]. ورُوِيَ ثمانيةُ أملاكٍ

= (١٠/ ٣٤٤)، وتفسير الرازي (٣٠/ ١٠٧).

(١) في خ: بكيف.

(٢) قرأ بها: نافع.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٢٢)، والتيسير للداني ص (٩٩)، والغيث للصفاقسي ص (٣٧٢)، والكشف للقيسي (١/ ٤٠٩).

(٣) قرأ بها: أبو السمال.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٣٢٣)، وتفسير القرطبي (١٨/ ٢٦٤)، والكشاف للزمخشري (٤/ ١٥١)، وتفسير الرازي (٣٠/ ١٠٧).

(٤) في خ: أنزل.

(٥) في خ: في.

(٦) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٩/ ٣٦-٣٧) من طريق ابن إسحاق قال: بلغنا ... فذكره. وذكره الثعلبي بغير سند.

أرجلهُم في تخوم الأرضِ السابعةِ والعرشُ فوقَ رؤوسِهم وهم مُطرقونَ مسبحونَ.

وقيل: بعضُهم على صورةِ الإنسانِ وبعضُهم على صورةِ الثورِ(١) وبعضُهم على صورةِ النسرِ. ورُويَ ثمانيةُ أملاكٍ في خَلقْ الأوعالِ ما بينَ أظلافِهَا إلى رُكبِهَا مسيرةُ سبعينَ عامًا. وعن شَهْرِ بنِ حَوشبٍ أربعةٌ منهُم يقولونَ: سبحانك اللهمَّ وبحمدِك لكَ الحمدُ على عفوِكَ بعد قدرَتِكَ، وأربعة يقولونَ سبحانَكَ اللهمَّ وبحمدِك لكَ الحمدُ على حلمِك بعد علمِك. وعنِ الحسنِ الله أعلمُ أثمانيةٌ أم ثمانيةُ آلافٍ(٢) وعن الضحَّاكِ ثمانيةُ صفوفٍ لا يعلمُ عددَهُم إلا الله تعالَى. ويجوزُ أنْ يكونَ الثمانيةُ من الروحِ أو من خلقٍ آخرَ. وقيلَ: هو تمثيلٌ لعظمتِهِ تعالَى بما يشاهدُ من أحوالِ السلاطينِ يومَ خروجِهِم على الناسِ للقضاءِ العام لكونِهَا أَقْصَى ما يتصورُ من العظمةِ والجلالِ وإلا فشؤونُهُ سبحانَهُ أجلُّ من كلِّ ما يحيطُ [بهِ](٣) فَلَكُ العبارةِ والإشارةِ.

﴿يومئذٍ تُعرضُون﴾ أي تُسألونَ وتُحاسبونَ، عبِّر عنهُ بذلكَ تشبيهًا لهُ بعرضِ السلطانِ العسكرَ لتعرّفِ أحوالِهِم. رُوِيَ أنَّ في يوم القيامةِ ثلاثَ عرضاتٍ فأما عرضتانِ فاعتذارٌ واحتجاجٌ وتوبيخٌ وأما الثالثةُ ففيها تَنشرُ الكتبُ فيأخذُ الفائزُ كتابَهُ بيمينِهِ والهالكُ بشمالِهِ، وهذا وإنْ كانَ بعدَ النفخةِ الثانيةِ لكنْ لما كانَ اليومُ إسمًا لزمانٍ متسع. يقعُ فيهِ النفختانِ والصعقةُ والنشورُ والحسابُ وإدخالُ أهلِ الجنةِ الجنةَ وأهلِ النارِ النارَ. صحَّ جعلُهُ ظرفًا للكُلِّ ﴿لا تَخْفَى منكُم خافيةٌ﴾ حالٌ من مرفوعِ(٤) تُعرضونَ أي تُعرضونَ غيرَ خافٍ عليهِ تعالَى سرٌّ من أسرارِكُم قبلَ ذلكَ أيضًا وإنَّما العرضُ لإفشاءِ الحالِ والمبالغةِ في العدلِ، أو غيرِ خافٍ يومئذٍ على الناسِ كقولِهِ تعالَى: ﴿يومَ تُبلَى السرائرُ﴾ [سورة الطارق، الآية ٩] وقرئ (يَخْفى)(٥) بالياءِ التحتانيةِ ﴿فأمَّا منْ أُوتِيَ كتابَهُ بيمِينِهِ﴾ تفصيلٌ لأحكام العرضِ ﴿فيقولُ﴾ تبجّحًا وابتهاجًا: ﴿هاؤُمُ اقرءوا كتابيه﴾ هَا اسمٌ لخُذْ وفيهِ ثلاثُ لُغاتٍ أجودُهُنَّ هاءِ يا رجلُ وهاءِ يا امرأةُ وهاؤُما يا رجلانِ أو امرأتانِ وهاؤُونَ يا رجالُ وهاؤُنَّ يا نسوةُ. ومفعولُهُ محذوفٌ، وكتابيه مفعولُ اقرؤُوا لأنَّه أقربُ العاملَينِ، ولأنَّه لو كانَ مفعولَ هاؤُمُ لقيلَ اقرؤُه إذِ الأَوْلَى إضمارُهُ حيثُ أمكنَ، والهاءُ فيهِ وفي حسابيه وماليه وسلطانيه للسكتَ تثبتُ في الوقفِ وتسقطُ في الوصلِ واستُحبَّ إثباتُهَا لثباتِهَا في الإمامِ.

---

(١) في خ: الأسد.
(٢) في خ: ألف.
(٣) سقط في خ.
(٤) في خ: مفعول.
(٥) قرأ بها: حمزة، والكسائي، وعاصم، وعلي، والأعمش، وابن وثاب، وطلحة، وابن مقسم، وابن سعدان، وخلف، وورش.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر، ص (٤٢٢)، والإعراب للنحاس (٣/ ٤٩٨).

﴿إِنِّي ظننتُ أَنِّي ملاقٍ حسابيه﴾ أي علمتُ، ولعلَّ التعبيرَ عنْهُ بالظنِّ للإشعارِ بأنَّهُ لا يقدحُ في الاعتقادِ ما يهجسُ في النفسِ من الخطراتِ التي لا ينفكُّ عنها العلومُ النظريةُ غالبًا.

﴿فهُو في عيشةٍ راضيةٍ﴾ ذاتِ رِضا على النسبةِ بالصيغةِ كما يقالُ دارعٌ[1] في النسبةِ بالحرفِ أو جُعل لها مجازًا وهو لصاحِبِهَا وذلكَ لكونِهَا صافيةً عن الشوائبِ دائمةً مقرونةً بالتعظيمِ.

﴿في جنةٍ عاليةٍ﴾ مرتفعةِ المكانِ لأنَّها في السماءِ أو الدرجاتِ أو الأبنيةِ والأشجارِ ﴿قُطُوفُها﴾ جمعُ قِطْفٍ وهُو ما يُجتَنَى بسرعةٍ والقَطْفُ بالفتحِ مصدرٌ. ﴿دانيةٌ﴾ يتناولُهَا القاعدُ. ﴿كُلوا واشربُوا﴾ بإضمارِ القولِ، والجمعُ باعتبارِ المَعْنَى ﴿هنيئًا﴾ أكلًا وشربًا هنيئًا أو هنئتُم هنيئًا. ﴿بما أسلفتُم﴾ بمقابلةِ ما قدَّمتُم من الأعمالِ الصالحةِ ﴿في الأيَّامِ الخَاليةِ﴾ أي الماضيةِ في الدُّنيا، وعن مجاهدٍ: أيامُ[2] الصيامِ. ورُوِيَ يقولُ الله تعالَى: (يا أوليائِي طالما نظرتُ إليكُم في الدُّنيا وقد قلصتْ شفاهُكُم عن الأشربةِ وغارتْ أعينُكُم وخَمُصتْ بطونُكُم فكونُوا اليومَ في نعيمِكُم وكُلُوا واشربُوا)[3] الآيَةَ.

﴿وَأَمَّا منْ أُوتيَ كتابَهُ بشمالِهِ﴾ ورَأَى ما فيهِ من قبائحِ الأعمالِ ﴿فيقولُ يا ليتني لم أُوتَ كتابَيه * ولم أدرِ ما حسابيه﴾ لما شاهدَ من سُوءِ العاقبةِ ﴿يَا ليتَهَا﴾ يا ليتَ الموتةَ التي مِتُّها ﴿كانتِ القاضيةَ﴾ أي القاطعةَ لأمرِي ولم أُبعثْ بعدَها، ولم أَلقَ ما أَلقَى فضميرُ ليتهَا للموتةِ، ويجوزُ أن يكونَ لِمَا شاهدَهُ من الحالةِ أي يا ليتَ هذه الحالةَ كانتِ الموتةَ التي قضتْ عليَّ لما أنَّهُ وجدَها أمرَّ من الموتَ فتمنَّاهُ عندَها وقد جُوِّزَ أن يكونَ للحياةِ الدُّنيا أيْ يا ليتَ الحياةَ الدُّنيا كانتِ الموتةَ ولم أُخلقْ حيا.

﴿مَا أَغْنَى عنِّي مالَيه﴾ ما لي من المالِ والأتباعِ على أنَّ ما نافيةٌ والمفعولُ محذوفٌ أو استفهاميةٌ للإنكارِ أيْ أيُّ شيءٍ أغْنَى عنِّي مَا كانَ لي من اليسارِ. ﴿هلكَ عنِّي سُلطانَيه﴾ أي مُلكِي وتسلُّطِي على الناسِ أو حُجتي التي كنتُ أحتجُّ بها في

---

(١) في خ: فادعوا. (٢) في خ: الأيام أيام.

(٣) أخرجه الثعلبي في تفسيره (١٠/ ٣٠) قال: أخبرني الحسين قال: حدّثنا القطيعي قال: حدّثنا عبد الله قال: أخبرت عن عبد الله بن أبي بكر بن عليّ المقدمي قال: حدّثنا عبد الله بن جعفر قال: سمعت يوسف بن يعقوب الخيفي يقول: بلغنا أن الله سبحانه وتعالى يقول يوم القيامة: يا أوليائي طال ما نظرت إليكم في الدنيا وقد قلصت شفاهكم عن الأشربة، وغارت أعينكم، وخمصت بطونكم، فكونوا اليوم في نعيمكم، وكلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية.

الدُّنيا أو تسلطي على القُوَى والآلاتِ[1] فعجزتُ عن استعمالِهَا في العِبَاداتِ.

﴿خُذُوه﴾ حكايةٌ لما يقولُهُ الله تعالَى يومئذٍ لخزنةِ النارِ ﴿فغُلُّوه﴾ أي شُدوه بالأغلالِ ﴿ثُمَّ الجحيمَ صلُّوه﴾ أي لا تُصلُّوه إلا الجحيمَ وهي النارُ العظيمةُ ليكونَ الجزاءُ على وفقِ المعصيةِ حيثُ كانَ يتعاظمُ على الناسِ ﴿ثم في سلسلةٍ ذَرْعُهَا﴾ أي طولُهَا ﴿سبعونَ ذِراعًا فاسلكُوه﴾ فأدخلُوه فيها بأنْ تلفُوهَا[2] على جسدِهِ فهو فيما بينَهَا مرهقٌ لا يستطيعُ حَراكًا ما وتقديمُ السلسلةِ كتقديمِ الجحيمِ للدلالةِ على الاختصاصِ والاهتمامِ بذكرِ ألوانِ ما يعذبُ بِهِ وثَمَّ لتفاوتِ مَا بينَ الغُلِّ والتصليةِ وما بينهُمَا وبينَ السلكِ في السلسلةِ في الشدَّةِ. ﴿إنَّه كانَ لا يُؤمنُ بالله العظيمِ﴾ تعليلٌ بطريقِ الاستئنافِ التحقيقيِّ ووصفُه تعالَى بالعِظَمِ للإيذانِ بأنَّه المُستحقُّ للعظمةِ فحسبُ، فمَنْ نسبَها إلى نفسِهِ استحقَّ أعظمَ العُقوباتِ ﴿ولا يحضُّ عَلى طعامِ المسكينِ﴾ ولا يحثُّ على بذلِ طعامِهِ أوْ عَلَى إطعامِهِ فضلًا أنْ يبذلَ مِن مالِهِ، وقيلَ ذُكِرَ الحضُّ للتنبيهِ على أنَّ تاركَ الحضِّ بهذهِ المنزلةِ فما ظنُّكَ بتاركِ الفعلِ، وفيهِ دلالةٌ على أنَّ الكفارَ مخاطبونَ بالفروعِ في حقِّ المُؤاخذةِ. قالُوا تخصيصُ الأمرينِ بالذكرِ لما أنَّ أقبحَ العقائدِ الكفرُ وأشنعَ الرذائلِ البخلُ وَقسوةُ القلبِ. ﴿فليسَ لهُ اليومَ هَهُنَا حميمٌ﴾ أي قريبٌ يَحميهِ ويدفعُ عنْهُ ويحزَنُ عليهِ لأنَّ أولياءَهُ يتحامونَهُ ويفرُّونَ منْهُ ﴿ولا طعامٌ إلَّا منْ غسلينٍ﴾ أي من غُسالةِ أهلِ النارِ وصديدِهِم فِعلين من الغُسْلِ ﴿لا يأكُلُهُ إلَّا الخَاطِئُون﴾ أصحابُ الخَطَايَا، منْ خَطِئَ الرجلُ إذَا تعمَّدَ الذنبَ لا من الخطإِ المقابلِ للصوابِ دونَ المقابلِ للعمدِ، عن ابنِ عبَّاسٍ رضيَ الله عنهُمَا أنَّهم المشركونَ وقرئَ الخَاطِيُونَ[3] بإبدالِ الهمزةِ ياءً وقرئَ بطرحِهَا[4] وقدْ جُوِّزَ أنْ يرادَ بِهِم الذينَ يتخطَّونَ الحقَّ إلى الباطلِ ويتعدّونَ حدودَ الله.

﴿فَلاَ أُقسِمُ﴾ أيْ فأُقسِمُ على أنَّ لاَ مزيدةٌ للتأكيدِ وأمَّا حملُهُ على مَعْنَى نفيِ الإقسامِ لظهورِ الأمرِ واستغنائِهِ عن التحقيقِ فيردُّه تعيينُ المقسمِ بهِ بقولِهِ تعالَى: ﴿بمَا

---

(١) في خ: الآيات. (٢) في خ: تلقوه.

(٣) قرأ بها: الحسن، والزهري، والعتكي، وطلحة، وموسى بن طلحة.
ينظر: الإعراب للنحاس (٣/ ٥٠١)، والبحر المحيط (٨/ ٣٢٧)، وتفسير القرطبي (١٨/ ٢٧٤)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٣٢٩)، وتفسير الرازي (٣٠/ ١١٦).

(٤) قرأ بها: نافع، وحمزة، وطلحة، وأبو جعفر، وشيبة.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٣٢٧)، وتفسير القرطبي (١٨/ ٢٧٤)، والغيث للصفاقسي ص (٣٧٣)، وتفسير الرازي (٣٠/ ١١٦).

تُبصِرُونَ * وما لا تُبصِرونَ﴾ كما مرَّ في سورةِ الواقعةِ أي أقسمُ بالمُشاهداتِ والمغيباتِ وقيلَ بالدُّنيا والآخرةِ وقيلَ بالأجسام والأرواحِ والإنسِ والجِنِّ والخلقِ والخالقِ والنعم الظاهرةِ والباطنةِ، والأولُ منتظَمٌ للكلِّ ﴿إنَّه﴾ أي القرآنَ ﴿لقولُ رسُولٍ﴾ يبلغُهُ عَن الله تعالَى فإنَّ الرسولَ لا يقولُ عن نفسِهِ ﴿كَريم﴾ على الله تعالَى وهو النبيُّ أو جبريلُ عليهما السَّلامُ ﴿وما هُو بقولِ شاعرٍ﴾ كما تَزعمونَ تارةً ﴿قليلًا ما تُؤمنونَ﴾ إيمانًا قليلًا تؤمنونَ ﴿ولاَ بقولِ كاهنٍ﴾ كما تدَّعُونَ ذلكَ تارةً أُخرى.

﴿قليلًا ما تذكَّرونَ﴾ أي تذكرًا قليلًا أو زمانًا قليلًا تتذكرونَ على أنَّ القلةَ بمَعْنَى النَّفي أيْ لا تُؤمنونَ ولا تتذكرونَ أصْلًا، قيلَ ذُكِرَ الإيمانُ معَ نَفي الشاعريةِ والتذكرُ مع نَفي الكاهنيةِ لما أنَّ عدمَ مشابهةِ القُرآنِ [الشعرَ][1] أمرٌ بينٌ لا يُنكرهُ إلا معاندٌ بخلافِ مباينتِهِ للكهانةِ فإنَّها تتوقفُ على تذكرِ أحوالِهِ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ومعانِي القُرآنِ المنافيةِ لطريقةِ الكَهَنَةِ ومعانِي أقوالِهِم.

وأنتُ خبيرٌ بأنَّ ذلكَ أيضًا مما لا يتوقفُ على تأملٍ قطعًا وقرئَ[2] بالياءِ فيهما ﴿تنزيلٌ من ربِّ العالمينَ﴾ نزلَّهُ على لسانِ جبريلَ عليهِ السَّلامُ ﴿ولو تقوَّلَ علينا بعضَ الأقاويلِ﴾ سُمِّي الافتراءُ تقوُّلًا لأنَّه قولٌ متكلفٌ والأقوالُ المُفتراةُ أقاويلُ تحقيرًا لها كأنَّها جمعُ أُفْعُولةٍ من القولِ كالأضاحيكِ، جمعُ أُضْحوكَةٍ، ﴿لأخذنَا منهُ باليمينِ﴾ أي بيمينِهِ ﴿ثم لقطعنَا منهُ الوَتينَ﴾ أي نياطَ قلبِهِ بضربِ عنقِهِ وهو تصويرٌ لإهلاكِهِ بأفظعِ ما يفعلُهُ الملوكُ بمن يغضبونَ عليهِ وهو أنْ يأخذَ القتَّالُ بيمينه ويكفَحُه بالسيفِ ويضربَ عُنقَهُ وقيلَ اليمينُ بمعنى القوةِ قال قائلُهُم:

[الوافر]

إذا مَا رَايةٌ رُفِعَتْ لِمَجْدٍ تلقَّاها عُرابةُ باليمينِ[3]

﴿فَما مِنْكُم﴾ أيُّها الناسُ ﴿مِنْ أَحَدٍ عنْهُ﴾ عن [القتلِ أو][4] المقتولِ ﴿حاجزينَ﴾ دافعينَ وصفٌ لـ (أحدٍ) فإنَّهُ عامٌّ ﴿وإنَّه﴾ أي وإنَّ القُرآنَ ﴿لتذكرةٌ

---

(١) سقط في خ.

(٢) قرأ بها: ابن كثير، وابن عامر، وأبو عمرو، والجحدري، والحسن، وابن محيصن، وهشام، ويعقوب، وابن ذكوان، وسهل.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٢٣)، والبحر المحيط (٨/ ٣٢٩)، والتبيان للطوسي (١٠/ ١٠٨)، والتيسير للداني ص (٢١٤)، والتيسير للداني ص (٢١٤)، والسبعة لابن مجاهد (٦٤٨، ٦٤٩)، وغيث للصفاقسي، ص (٣٧٢)، والكشف للقيسي (٢/ ٣٣٣).

(٣) تقدم.

(٤) في خ: القاتل و.

للمتقينَ﴾ لأنهم المنتفعونَ بهِ ﴿وإنَّا لنعلمُ أنَّ منكُم مكذبينَ﴾ فنجازيهم على تكذيبِهِم ﴿وإنه لحسرةٌ على الكافرينَ﴾ عند مشاهداتِهِم لثوابِ المؤمنينَ ﴿وإنه لحقُّ اليقينِ﴾ الذي لا يحومُ حولَهُ ريبٌ مَا ﴿فسبحْ باسم ربِّكَ العظيم﴾ أي فسبحْ بذكرِ اسمهِ[١] العظيمِ تنزيهًا لهُ عن الرِّضا بالتقولِ عليهِ وشكرًا على ما أُوحِيَ إليكَ[٢].

عنِ النبيِّ ﷺ: «**مَنْ قَرَأَ سورةَ الحَاقَّةِ حاسبَهُ الله حسابًا يسيرًا**»[٣].

---

(١) في خ: بذكره.
(٢) زاد في خ: والله سبحانه وتعالى أعلم.
(٣) تقدم تخريجه.

سُورَةُ المعارج

مَكِّيةٌ وآيُها أربعٌ وأربعونَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ
ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّهُمْ
يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾ يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلَا
يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾ يُبَصَّرُونَهُمْ ۚ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ
وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً
لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ﴿١٨﴾ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ
ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ
﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ
هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾
إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ
﴿٣١﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ
﴿٣٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾ فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ
﴿٣٧﴾ أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ فَلَآ أُقْسِمُ
بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ
يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ
تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾

﴿سألَ سائلٌ﴾ أي دَعَا داعٍ **﴿بعذابٍ واقعٍ﴾** أي استدعاهُ وطلبَهُ وهُو النَّضرُ بنُ الحارثِ حيثُ قالَ إنكارًا واستهزاءً: **﴿إنْ كانَ هَذا هُو الحقَّ من عندِكَ فأمطرْ علينا حجارةً من السماءِ أو ائتنا بعذابٍ أليمٍ﴾** [سورة الأنفال، الآية ٣٢]، وقيلَ أبُو جهلٍ حيثُ قالَ: أسقطْ علينا كسفًا من السماءِ.

وقيلَ هو الحارثُ بنِ النعمانِ الفهريُّ وذلكَ أنَّه لما بلغَهُ قولُ رسولِ الله ﷺ في عليٍّ رضيَ الله عنهُ من كنتُ مولاهُ فعليٌّ مولاهُ[١] قالَ اللهمَّ إنْ كانَ ما يقولُ محمدٌ حقا فأمطرْ علينا حجارةً من السماءِ، فما لبثَ حَتَّى رماهُ الله تعالَى بحجرٍ فوقعَ على دماغِهِ فخرجَ من أسفلِهِ فهلكَ من ساعتِهِ، وقيلَ هُو الرسولُ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ استعجلَ عذابَهُمْ. وقرئَ سَالَ[٢]، وهو إمَّا من السؤالِ على لُغةِ قُريشٍ فالمَعْنَى ما مرَّ أو من السَّيلانِ، ويؤيدُهُ أنَّهُ قرئَ سالَ[٣] سيلٌ أي اندفعَ وادٍ بعذابٍ واقعٍ. وصيغةُ الماضِي للدلالةِ على تحققِ وقوعِهِ إمَّا في الدُّنيا وهو عذابُ يوم بدرٍ فإنَّ النضرَ قُتِلَ يومئذٍ صَبْرًا[٤]، وقد مرَّ حالُ الفهريِّ، وإمَّا في الآخرةِ فهو عذابُ النارِ والله أعلمُ.

﴿للكافرينَ﴾ صفةٌ أُخرى لـ (عذابٍ) أي كائنٍ للكافرينَ، أو صلةٌ لـ (واقعٍ)، أو متعلقٌ بـ (سألَ) أي دَعَا للكافرينَ بعذابٍ واقعٍ.

وقولُهُ تعالَى: ﴿ليسَ لهُ دافعٌ﴾ صفةٌ أُخرى لـ (عذابٍ)، أو حالٌ منهُ لتخصصِهِ بالصفةِ أو بالعملِ أو من الضميرِ في للكافرينَ على تقديرِ كونِهِ صفةً لـ (عذابٍ) أو استئنافٌ ﴿من الله﴾ متعلقٌ بـ (واقعٍ) أو بـ (دافعٌ) أي ليسَ له دافعٌ من جهتِهِ تعالَى: ﴿ذِي المعارجِ﴾ ذِي المصاعدِ التي[٥] يصعدُ فيها الملائكةُ بالأوامرِ والنَّواهِي أو هي عبارةٌ عن السمواتِ المترتبةِ بعضهَا فوقَ بعضٍ.

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٣٦٨)، والترمذي (٥/ ٦٣٣) كتاب المناقب، باب: مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه، برقم (٣٧١٣)، والنسائي في الكبرى (٥/ ١٣١) برقم (٨٤٦٩)، والحاكم (٣/ ٦١٣) كتاب معرفة الصحابة رضي الله عنهم، باب: ذكر زيد بن أرقم الأنصاري رضي الله عنه، من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه.
قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٢) قرأ بها: نافع، وابن عامر، وأبو جعفر، والأعرج، وأبي، وعبد الله بن مسعود، وابن عباس.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٢٣)، والإعراب للنحاس (٣/ ٥٠٣)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٤٤)، والتيسير للداني ص (٢١٤)، والسبعة لابن مجاهد ص (٦٥٠)، والغيث للصفاقسي ص (٣٧٣).

(٣) قرأ بها: ابن عباس.
ينظر: تفسير القرطبي (١٨/ ٢٧٩)، والكشاف للزمخشري (٤/ ١٥٦)، والمجمع للطبرسي (١٠/ ٣٥١)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٣٣٠)، وتفسير الرازي (٣٠/ ١٢١، ١٢٢).

(٤) قُتل صبراً: أصل الصَّبر الحبس، والصَّبر: نصْبُ الإنسان للقتل ويقال لكل من قتل في غير معركة ولا حرب ولا خطأ فإنه مقتول صبراً. وقتله آخر فقال: اقتلوا القاتل واصبروا الصابر يعني احبسوا الذي حبسه للموت حتى يموت كفعله به، ومنه قيل للرجل يقدَّم فيضرب عنقه: قُتل صبراً.

(٥) في خ: الذي.

﴿**تعرجُ الملائكةُ والروحُ**﴾ أي جبريلُ عليهِ السَّلامُ، أفردَ بالذكرِ لتميزِهِ وفضلِهِ وقيلَ الروحُ خلقٌ هم حفظة على الملائكةِ كما أنَّ الملائكةَ حفظةٌ على الناسِ. ﴿**إليهِ**﴾ إلى عرشِهِ تعالَى وإلى حيثُ تهبطُ منهُ أوامرُهُ تعالَى وقيلَ هو من قبيلِ قولِ إبراهيمَ عليهِ السَّلامُ: ﴿إنِّي ذاهبٌ إلى ربِّي﴾ [سورة الصافات، الآية ٩٩] أي إلى حيثُ أمرنِي بهِ.

﴿**في يومٍ كان مقدارُهُ خمسينَ ألفَ سنةٍ**﴾ مما يعدُّه الناسُ وهو بيانٌ لغايةِ ارتفاعِ تلكَ المعارجِ وبُعدِ مَداها على منهاجِ التمثيلِ والتخييلِ، والمَعْنَى أنَّها من الارتفاعِ بحيثُ لو قُدِّرَ قطعُها في زمانٍ لكانَ ذلكَ الزمانُ مقدارَ خمسينَ ألفَ سنةٍ [من سِنِي الدُّنيا، وقيلَ معناهُ تعرُجُ الملائكةُ والروحُ إلى عرشِهِ تعالَى في يومٍ كان مقدارُهُ كمقدارِ خمسينَ ألفَ سنةٍ][1] أي يقطعونَ في يومٍ ما يقطعُهُ الإنسانُ في خمسينَ ألفَ سنةٍ لو فُرضَ ذلكَ، وقيلَ في يومٍ متعلقٌ بـ (واقعٍ)، وقيل بـ (سال) على تقديرِ كونِهِ من السَّيلانِ، فالمرادُ به يومُ القيامةِ، واستطالَتُهُ إمَّا لأنَّه كذلكَ في الحقيقةِ أو لشدتِهِ على الكفارِ أوْ لكثرةِ ما فيهِ من الحالاتِ والمحاسباتِ، وأيًّا ما كانَ فذلكَ في حقِّ الكافرِ وأمَّا في حقِّ المؤمنِ فلاَ، لِمَا رَوَى أبو سعيدٍ الخدريُّ رضيَ الله عنهُ أنَّه قيلَ لرسولِ الله ﷺ ما أطولَ هذا اليومَ، فقالَ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ: «**والذي نفسِي بيدِهِ أنَّهُ ليخِفُّ على المؤمنِ حتى إنَّهُ يكونُ أخفَّ من صلاةٍ مكتوبةٍ يُصلِّيها في الدُّنيا**»[2].

وقولُه تعالَى: ﴿**فاصبرْ صبرًا جميلًا**﴾ متعلقٌ بسأَلَ لأنَّ السؤالَ كانَ عن استهزاءٍ وتعنتٍ وتكذيبٍ بالوحيِ، وذلكَ ممَّا يُضجره عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ أو كانَ عن تضجرٍ واستبطاءٍ للنصرِ، أو بسألَ سائلٌ أو سالَ سيلٌ فمعناهُ جاءَ العذابُ لقُربِ وقوعِهِ فقد شارفتَ الانتقامَ. ﴿**إنَّهُم يرونَهُ**﴾ أي العذابَ الواقعَ أو يومَ القيامةِ على تقديرِ تعلقِ «**في يومٍ**» بواقعٍ ﴿**بعيدًا**﴾ أي يستبعدونَهُ بطريقِ الإحالةِ فلذلكَ يسألونَ بهِ ﴿**ونراهُ قريبًا**﴾ هينًا في قُدرتِنَا غيرَ بعيدٍ علينا ولا متعذرٍ على أنَّ البُعدَ والقُربَ معتبرانِ بالنسبةِ إلى الإمكانِ. والجملةُ تعليلٌ للأمرِ بالصبرِ. وقولُه تعالَى: ﴿**يومَ تكونُ السماءُ كالمُهلِ**﴾ متعلقٌ بقريبًا أيْ يمكنُ ولا يتعذرُ في ذلكَ اليومِ أو بمضمرٍ دلَّ عليهِ واقعٍ أو

---

(١) سقط في خ.

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٧٥)، وأبو يعلى (٢/ ٥٢٧) برقم (١٣٩٠)، وابن حبان (١٦/ ٣٢٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.
قال الهيثمي في المجمع (١٠/ ٣٣٧): رواه أحمد، وأبو يعلى، وإسناده حسن، على ضعف في راوية. ا هـ.
وحسَّن إسناده العجلوني في كشف الخفاء (٢/ ٥٢٢).

بمضمرٍ مؤخرٍ، أي يومَ تكونُ السماءُ كالمهلِ. . .إلخ يكونُ من الأحوالِ والأهوالِ ما لا يُوصفُ، أو بدلٌ منْ في يومٍ على تقديرِ تعلقِهِ بواقعٍ. هذا ما قالُوا ولعلَّ الأقربَ أنَّ قولَهُ تعالَى سأل سائلٌ حكايةٌ لسؤالِهم المعهودِ على طريقةِ قولِهِ تعالَى: ﴿يسألونَكَ عن الساعةِ﴾ [سورة الأعراف، الآية ١٨٧] وقولِهِ تعالَى: ﴿ويقولونَ متى هذا الوعدُ﴾ [سورة يونس، الآية ٤٨] ونحوهِما إذْ هُو المعهودُ بالوقوعِ على الكافرينَ لا ما دَعَا بِهِ النضرُ أو أبُو جهلٍ أو الفهريُّ فالسؤالُ بمعناهُ والباءُ بمَعْنَى عنْ كَما في قولِهِ تعالَى: ﴿فسئل بهِ خبيرًا﴾ [سورة الفرقان، الآية ٥٩].

وقولُه تعالَى: ﴿ليسَ لهُ دافعٌ﴾ [سورة المعارج، الآية ٢]. . .إلخ استئنافٌ مسوقٌ لبيانِ وقوعِ المسؤولِ عنهُ لا محالةَ[١] وقولُهُ تعالَى: ﴿فاصبرْ صبرًا جميلًا﴾ مترتبٌ عليهِ وقولُه تعالَى: ﴿إنَّهُم يَرَونَهُ بعيدًا * ونراهُ قريبًا﴾ تعليلٌ للأمرِ بالصبرِ كما ذُكِرَ. وقولُهُ تعالَى: ﴿يومَ تكونُ﴾ . . .إلخ متعلقٌ بليسَ له دافعٌ أو بما يدلُّ هو عليهِ أي يقعُ يومَ تكونُ السماءُ كالمهلِ، وهو ما أُذيبَ على مَهَلٍ من الفلزاتِ وقيلَ دُرْدِيُّ الزيتِ ﴿وتكونُ الجبالُ كالعهنِ﴾ كالصوفِ المصبوغِ ألوانًا لاختلافِ ألوانِ الجبالِ منها ﴿جددٌ بيضٌ وحمرٌ مختلفٌ ألوانُها وغرابيبُ سود﴾ [سورة فاطر، الآية ٢٧] فإذا بُسَّتْ وطيّرتْ في الجوِّ أشبهتِ العهنَ المنفوشَ إذَا طيرته الريحُ.

﴿وَلاَ يسألُ حميمٌ حميمًا﴾ أي لا يسألُ قريبٌ قريبًا عن أحوالِهِ ولا يُكلمه لابتلاءِ كلٍّ منهُم بما يشغلُهُ عن ذلكَ. وقرئَ على البناءِ للمفعولِ[٢]، أيْ لا يُطلبُ منْ حميمٍ حميمٌ أو لا يسألُ منْهُ حالة ﴿يُبَصَّرونَهُم﴾ أي يُبصِرُ الأحماءُ الأحماءَ فلا يخفَونَ عليهم وما يمنعُهُم من التساؤلِ إلا تشاغلُهُم بحالِ أنفسِهم، وقيلَ ما يُغني عنهُ من مشاهدةِ الحالِ كبياضِ الوجهِ وسوادِهِ، والأولُ أدخلُ في التهويلِ. وجمعَ الضميرينِ لعمومِ الحميم. وقرئَ يُبْصِرُونَهُمْ[٣]، والجملةُ استئنافٌ ﴿يودُّ المجرمُ﴾ أي يتمنَّى الكافرُ وَقيلَ كلُّ مذنبٍ. وقولُهُ تعالَى: ﴿لَوْ يَفْتَدِي من عذابِ يومئذٍ﴾ أي

---

(١) زاد في خ: وقرئ (يوم يكون) إلى آخره متعلق بـ (ليس).

(٢) قرأ بها: عاصم، وابن كثير، وشعبة، وأبو حيوة، وشيبة، وأبو جعفر، والبزي.
ينظر: التبيان للطوسي (١٠/ ١١٣)، وتفسير الطبري (٢٩/ ٤٧)، وتفسير القرطبي (١٨/ ٢٨٥)، والسبعة لابن مجاهد ص (٦٥٠)، والمجمع للطبرسي (١٠/ ٣٥١)، وتفسير الرازي (٣٠/ ١٢٦).

(٣) قرأ بها: قتادة.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٣٣٤).

العذابَ الذي ابتلُوا بهِ يومئذٍ ﴿ببنيهِ * وصاحبَتِهِ وأخيهِ﴾ حكايةٌ لودادتِهِم. ولوُ في مَعْنَى التمنِّي، وقيلَ هي بمنزلةِ أنِ الناصبةِ فلا يكونُ لها جوابٌ وينسبكُ منهَا وممَّا بعدَها مصدرٌ يقعُ مفعولًا ليودُّ والتقديرُ يودُّ افتداءَهُ ببنيهِ . . . إلخ.

والجملةُ استئنافٌ لبيانِ أنَّ اشتغالَ كلِّ مجرم بنفسِهِ بلغَ إلى حيثُ يتمنَّى أن يفتدي بأقربِ الناسِ إليهِ وأعلقِهِم بقلبِهِ فضلًا أن يهتمَّ بحالِهِ ويسألَ عَنْهَا. وقرئ يومَئذٍ[1] بالفتحِ على البناءِ للإضافةِ إلى غيرِ متمكنٍ، وبتنوينِ[2] عذابٍ ونصبِ يومئذٍ وانتصابُهُ بعذابٍ لأنَّه في مَعْنَى تعذيبٍ.

﴿وفصيلتِهِ﴾ أي عشيرتِهِ التي فُصِلَ عنهُم ﴿التي تؤويه﴾ أي تَضمنُهُ في النسبِ أو عندَ الشدائدِ ﴿ومن في الأرضِ جميعًا﴾ من الثقلينِ والخلائقِ ومَنْ للتغليبِ ﴿ثم يُنجيه﴾ عطفٌ على يفتدِي أو يودُّ لو يفتدِي ثم لو ينجِيهِ الافتداءُ، وثمَّ لاستبعادِ الإنجاءِ، يعني يتمنَّى لو كانَ هؤلاءِ جميعًا تحتَ يدِه وبذلَهُم في فداءِ نفسِهِ ثمَّ ينجيهِ ذلكَ وهيهاتَ ﴿كَلَّا﴾ ردعٌ للمجرمِ عن الودادةِ وتصريحٌ بامتناعِ إنجاءِ الافتداءِ، وضميرُ ﴿إِنَّها﴾ إما للنارِ المدلولِ عليها بذكرِ العذابِ أو هو مبهمٌ تُرجَمَ عند الخبرِ الذي هُو قولُهُ تعالَى: ﴿لَظَى﴾ وهي علمٌ للنارِ منقولٌ منَ اللَّظى بمَعْنَى اللهبِ ﴿نزاعةً للشَّوى﴾ نُصب على الاختصاصِ، أو حالٌ مؤكدةٌ والشَّوى الأطرافُ أو جمعُ شواةٍ وهي جلدةُ الرأسِ. وقرئ نزاعةٌ[3] بالرفعِ على أنَّهُ خبرٌ ثانٍ لـ (أنَّ) أو هُو الخبرُ ولَظَى بدلٌ من الضميرِ، أو الضميرُ للقصةِ ولَظَى مبتدأٌ ونزّاعةٌ خبرُهُ ﴿تدعُو﴾ أي تجذُب وتُحضر وقيلَ تدعُو وتقولُ لهم إليَّ إليَّ يا كافرُ يا منافقُ وقيل تدعُو المنافقينَ والكافرينَ بلسانٍ فصيحٍ ثم تلتقطُهُم التقاطَ الحبِّ، وقيلَ تدعُو تُهلكُ، وقيلَ تدعُو زبانيتَهَا ﴿مَنْ أدبرَ﴾ أي عنِ الحقِّ ﴿وتولَّى﴾ أعرضَ عن الطاعةِ ﴿وجمعَ فَأَوْعى﴾

(١) قرأ بها: نافع، والكسائي، وأبو جعفر، وأبو حيوة.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٢٤)، والبحر المحيط (٨/ ٣٣٤)، والتبيان للطوسي (١٠/ ١٢٢)، والتيسير للداني ص (٢١٤)، والغيث للصفاقسي ص (٣٧٣)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٢٨٩).

(٢) قرأ بها: أبو حيوة.
ينظر: مختصر شواذ القراءات ص (١٦١)، والألوسي (٢٩/ ٦٠).

(٣) قرأ بها: أبو عمرو، وابن عامر، ونافع، وابن كثير، وحمزة، والكسائي، وعاصم، وشعبة، وأبو جعفر، وشيبة، والأعمش، وخلف، ويعقوب.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٢٤)، والإعراب للنحاس (٣/ ٥٠٦، ٥٠٧)، والبحر المحيط (٨/ ٣٣٤)، والتيسير للداني ص (٢١٤)، والسبعة لابن مجاهد ص (٦٥١)، والغيث للصفاقسي ص (٣٧٣).

أي جمعَ المالَ فجعلَهُ في وعاءٍ وكنزَهُ ولم يؤدِ زكاتَهُ وحقوقَهُ وتشاغلَ بهِ عن الدينِ وزَهَى باقتنائِهِ حرصًا وتأميلًا.

﴿إنَّ الإنسانَ خُلقَ هلوعًا﴾ الهَلَعَ سرعةُ الجزعِ عند مسِّ المكروهِ وسرعةُ المنعِ عند مسِّ الخيرِ وقد فسَّرهُ أحسنَ تفسيرٍ قولُهُ تعالَى: ﴿إذا مسَّه الشرُّ﴾ أي الفقرُ والمرضُ ونحوهُما ﴿جَزوعًا﴾ أي مبالغًا في الجزعِ مُكثرًا منْهُ ﴿وإذا مسَّهُ الخيرُ﴾ أي السَّعةُ والصحةُ ﴿منوعًا﴾ مبالغًا في المنعِ والإمساكِ. والأوصافُ الثلاثةُ أحوالٌ مقدرةٌ أو محققةٌ لأنها طبائعُ جُبلَ الإنسانُ علَيها. وإذَا الأولى ظرفٌ لـ (جزوعًا) والثانيةُ لـ(منوعًا) ﴿إلا المصلينَ﴾ استثناءٌ للمتصفينَ بالنعوتِ الجليلةِ الآتيةِ من المطبوعينَ على القبائحِ الماضيةِ لإنباءِ نعوتِهِم عن الاستغراقِ في طاعةِ الحقِّ والإشفاقِ على الخلقِ والإيمانِ بالجزاءِ والخوفِ من العقوبةِ وكسرِ الشهوةِ وإيثارِ الآجلِ على العاجلِ على خلافِ القبائحِ المذكورةِ الناشئةِ من الانهماكِ في حبِّ العاجلةِ وقصرِ النظرِ عليهِ.

﴿الذينَ هُم على صلاتِهِم دائمونَ﴾ لا يشغلهُم عنها شاغلٌ ﴿والذينَ في أموالِهِم حقٌّ معلومٌ﴾ أي نصيبٌ معينٌ يستوجبونَهُ على أنفسِهِم تقربًا إلى الله تعالَى وإشفاقًا على النَّاسِ من الزكاةِ المفروضةِ والصدقاتِ الموظفةِ ﴿للسائلِ﴾ للذي يسألَهُ ﴿والمحرومِ﴾ الذي لا يسألَهُ فنظُنُّ أنه غنيٌّ فيحرمُ ﴿والذينَ يصدقونَ بيوم الدينِ﴾ أي بأعمالِهِم حيثُ يتعبونَ أنفسَهُم في الطاعاتِ البدنيةِ والماليةِ طمعًا في المثوبةِ الأخرويةِ بحيثُ يُستدلُّ بذلكَ على تصديقِهِم بيومِ الجزاءِ ﴿والذينَ هُم من عذابِ ربِّهِم مشفقونَ﴾ خائفونَ على أنفسِهِم مع ما لَهُم مَنَ الأعمالِ الفاضلةِ استقصارًا لها واستعظامًا لجنابِهِ عزَّ وجلَّ كقوله تعالَى: ﴿والذينَ يؤتونَ ما آتَوا وقلوبُهُم وجلةٌ أنَّهُم إلى ربِّهِم راجعونَ﴾ [سورة المؤمنون، الآية ٦٠] وقولِهِ تعالَى: ﴿إنَّ عذابَ ربِّهِم غيرُ مأمونٍ﴾ اعتراضٌ مؤذنٌ بأنه[1] لا ينبغي لأحدٍ أنْ يأمنَ عذابَهُ تعالَى وإنْ بالغَ في الطاعةِ.

﴿والذينَ هم لفروجِهِم حافظونَ * إلا على أزواجِهِم أو ما ملكتَ أيمانُهُم فإنَّهم غيرُ ملومينَ﴾ سلفَ تفسيرُهُ في سورةِ المؤمنينَ ﴿فمن ابتغى﴾ أي طلبَ لنفسِهِ ﴿وراءَ ذلكَ﴾ وراءَ ما ذُكِرَ من الأزواجِ والمملوكاتِ ﴿فأولئِكَ﴾ المبتغونَ ﴿هم العادونَ﴾ المتعدون لحدود الله تعالى ﴿والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون﴾ لا يُخلُّونَ بشيءٍ من حقوقِهَا ﴿والذينَ هم بشهاداتِهِم قائمونَ﴾ أي مقيمونَ لها بالعدلِ إحياءً لحقوقِ الناسِ وتخصيصُهَا بالذكرِ مع اندراجِهَا في الأماناتِ لإبانةِ فضلِهَا وقرئَ لأماناتِهِم

(١) زاد في خ: تعالى.

وبشهادَتِهِم على إرادةِ الجنسِ.

﴿والذينَ هُم على صلاتِهِم يحافظونَ﴾ أي يراعونَ شرائطَهَا ويكملونَ فرائضَهَا وسنَنَهَا ومستحباتِهَا وآدابهَا، وتكريرُ ذكرِ الصَّلاةِ ووصفهم بهَا أولًا وآخرًا باعتبارينِ للدلالةِ على فضلِهَا وإنافتِهَا على سائرِ الطاعاتِ. وتكريرُ الموصولاتِ لتنزيلِ اختلافِ الصفاتِ منزلةَ اختلافِ الذواتِ، كما في قولِ من قالَ: [المتقارب]

إِلَى المَلِكِ القَرْمِ وَابنِ الهُمَامِ وَلَيْثِ الكَتَائِبِ فِي المُزْدَحَمْ[١]

إيذانًا بأنَّ كلَّ واحدٍ من الأوصافِ المذكورةِ نعتٌ جليلٌ على حيالِهِ له شأنٌ خطيرٌ مستتبعٌ لأحكامٍ جَمةٍ حقيقٌ بأنْ يُفردَ له موصوفٌ مستقلٌّ ولا يجعلُ شيءٌ منها تتمةً للآخرِ ﴿أولئكَ﴾ إشارةٌ إلى الموصوفينَ بما ذُكِرَ من الصفاتِ، وما فيهِ من مَعْنَى البعد مع قُربِ العهدِ بالمشارِ إليهِم للإيذانِ بعلوِّ شأنِهِم وبُعدِ منزلَتِهِم في الفضلِ وهو مبتدأٌ خبرُهُ ﴿في جنَّاتٍ﴾ أي مستقرونَ في جناتٍ لا يُقادَرُ قَدرُهَا ولا يُدرَكُ كُنْهُهَا. وقوله تعالَى: ﴿مكرمونَ﴾ خبرٌ آخرُ، أو هُو الخبرُ وفي جناتٍ متعلقٌ بهِ قُدِّمَ عليهِ لمراعاةِ الفواصلِ، أو بمضمرٍ هو حالٌ من الضميرِ في الخبرِ أي مكرمونَ كائنينَ في جنَّاتٍ.

﴿فمال الذينَ كفرُوا قبلَكَ﴾ [حولَكَ][٢] ﴿مُهطعينَ﴾ مُسرعينَ نحوكَ مادِّي أعناقِهِم إليكَ مقبلينَ بأبصارِهِم عليكَ ﴿عن اليمينِ وعن الشمالِ عزين﴾ أي فِرَقًا شتَّى جمعُ عِزَةٍ، وأصلُهَا عِزْوَةٌ من العزِّ، وكأنَّ كلَّ فرقةٍ تعتزي إلى غيرِ من تعتزي إليهِ الأُخرى، كانَ المُشركونَ يحلّقونَ حولَ رسولِ الله ﷺ حِلقًا حِلقًا وفِرقًا فِرقًا ويستهزئونَ بكلامِهِ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ويقولونَ إنْ دخلَ هؤلاءِ الجنَّةَ كما يقولُ محمدٌ[٣] فلندخلنَّها قبلَهُم فنزلتْ ﴿أيطمعُ كلُّ امرئٍ منهُم أنْ يُدخلَ جنةَ نعيمٍ﴾ بلا إيمانٍ ﴿كلَّا﴾ ردعٌ لهم عن ذلكَ الطمعِ الفارغِ ﴿إنَّا خلقناهُم ممَّا يعلمونَ﴾ قيلَ هو تعليلٌ للردعِ والمَعْنَى إنا خلقناهُم من أجلِ ما يعلمونَ كما في قولِ الأَعْشَى: [المتقارب]

أَأَزْمَعْتَ مِنْ آلِ لَيْلَى ابتِكَارَا وَشَطَّتْ عَلَى ذِي هَوَى أَنْ تُزَارَا[٤]

وهو تكميلُ النفسِ بالإيمانِ والطاعةِ فمنْ لَمْ يستكملْهَا بذلكَ فهو بمعزلٍ من أنْ

---

(١) تقدم. (٢) سقط في خ.

(٣) في خ: رسول الله.

(٤) البيت للأعشى في ديوانه ص(٩٥)، ولسان العرب (زمع)، وتاج العروس (زمع)، وبلا نسبة في كتاب العين (١/ ٣٦٨).

يُبوأ مبوأَ الكاملينَ فمن أينَ لهُم أن يطمعُوا في دخولِ الجنةِ وهم مكبونَ على الكفرِ والفسوقِ وإنكارِ البعثِ، وقيل [معناهُ إنَّا خلقناهُم مما يعلمونَ من نطفةٍ مذِرةٍ فمن أينَ يتشرفونَ ويدّعُونَ التقدمَ ويقولونَ لندخلنَّ الجنةَ قبلَهُم، وقيلَ إنهم مخلوقونَ من نطفةٍ قذرةٍ][1] لا تناسبُ عالمَ القدسِ فمتَى لم تستكملِ الإيمانَ والطاعةَ ولم تتخلقْ بالأخلاقِ الملكيةِ لم تستعدَّ لدخولِهَا ولا يَخْفَى ما في الكلِّ من التمحلِ والأقربُ أنَّه كلامٌ مستأنفٌ قد سبقَ تمهيدًا لما بعدَهُ من بيانِ قدرتِهِ تعالَى على أنْ يُهلكهم لكُفرِهِم بالبعثِ والجزاءِ واستهزائِهم برسولِ الله ﷺ وبما نزلَ عليهِ منَ الوحي وادعائِهم دخولَ الجنةِ بطريقِ السخريةِ وينشئ بدلَهُم قومًا آخرينَ فإن قدرَتَهُ تعالَى على ما يعلمونَ من النشأةِ الأُولى حجةٌ بينةٌ على قدرتِهِ تعالَى على ذَلكَ كما يفصحُ عنهُ الفاءُ الفصيحةُ في قولِهِ تعالَى: ﴿فلا أقسمُ بربِّ المشارقِ والمغاربِ﴾ والمَعْنَى إذَا كانَ الأمرُ كما ذُكِرَ من أنَّا خلقناهُم مما يعلمونَ فأقسمُ بربِّ المشارقِ والمغاربِ. ﴿إنَّا لقادرونَ * على أنْ نبدلَ خيرًا منهُم﴾ أيْ نُهلكهُم بالمرةِ حسبَما تقتضيهِ جناياتُهُم ونأتي بدلَهُم بخلقٍ آخرينَ ليسُوا على صفتِهِم ﴿وما نحنُ بمسبوقينَ﴾ بمغلوبينَ إنْ أرَدْنَا ذلكَ لكنْ مشيئتُنَا المبنيةُ على الحكمِ البالغةِ اقتضتْ تأخيرَ عقوباتِهِم ﴿فذرْهُم﴾ فخلِّهِم وشأنَهُم ﴿يخوضُوا﴾ في باطِلِهِم الذي من جُمْلَتِهِ ما حُكِيَ عنهُم ﴿ويلعبُوا﴾ في دُنياهُم ﴿حتَّى يلاقُوا يومَهُم الذي يُوعِدونَ﴾ وهو يومُ البعثِ عند النفخةِ الثانيةِ لا يومُ النفخةِ الأُولى كما توهمَ فإنَّ قولَهُ تعالَى: ﴿يومَ يخرجونَ من الأجداثِ﴾ بدلٌ منْ يومِهِم. وقرئَ يُخرجونَ[2] على البناءِ للمفعولِ من الإخراجِ ﴿سراعًا﴾ حالٌ من مرفوعِ[3] يخرجونَ أي مسرعينَ ﴿كأنَّهم إلى نُصُبٍ﴾ وهو كلُّ ما نُصِبَ فعبدَ من دونِ الله تعالَى. وقرئَ بسكونِ[4] الصَّادِ، وبفتحِ[5] النونِ وسكونِ الصادِ أيضًا. ﴿يُوفِضُونَ﴾ يُسرعونَ

---

(١) في خ: إنهم مخلوقون من نطفة أن خلقناهم مما يعلمون من نطفة مذرة.

(٢) قرأ بها: عاصم، وشعبة، والأعمش، والسلمي، والمغيرة.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٣٣٦)، والتبيان للطوسي (١٠/ ١٢٧)، وتفسير القرطبي (١٨/ ٢٩٦)، والحجة لابن خالويه ص (٣٥٢)، والكشاف للزمخشري (٤/ ١٦٠).

(٣) في خ: مفعول.

(٤) قرأ بها: الحسن، وقتادة، وعمرو بن ميمون، وأبو رجاء.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٣٣٦)، وتفسير القرطبي (١٨/ ٢٩٦)، وحجز ص (٧٢٥)، وتفسير الرازي (٣٠/ ١٣٣).

(٥) قرأ بها: أبو عمرو، وابن كثير، ونافع، وعاصم، وحمزة، والكسائي، والأعمش، وخلف، ويعقوب.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٢٤)، والبحر المحيط (٨/ ٣٣٦)، والتبيان للطوسي (١٠/ ١٢٦)، =

﴿خاشعةً أبصارُهُم﴾ وصفتْ أبصارُهُم بالخشوع معَ أنه وصفُ الكلِّ لغايةِ ظهورِ آثارِهِ فيها ﴿ترهقُهُم ذلة﴾ تغشاهُم ذِلةٌ شديدةٌ ﴿ذلك﴾ الذي ذُكِرَ ما سيقعُ فيهِ من الأحوالِ الهائلةِ ﴿اليومُ الذي كانُوا يُوعدونَ﴾ في الدُّنيا.

روي عن النبيِّ ﷺ: «**منْ قرأَ سورةَ سألَ سائلٌ أعطاهُ الله ثوابَ الذينَ هُم لأماناتِهِم وعهدِهِم راعونَ**»[1].

=

والتيسير للداني ص (٢١٤)، والسبعة لابن مجاهد ص (٦٥١)، والكشف للقيسي (٢/٣٣٦).

(١) تقدم تخريجه، زاد في خ: والله الموفق بمنه وكرمه للثواب.

سُورةُ نوحٍ عليهِ السَّلامُ

[مَكِّيةٌ، وآيُها تسعٌ أو ثمانٍ وعشرونَ](1)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ
نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ
إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ
دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ
وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا
﴿٩﴾ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ
وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ
تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ
أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا
﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا
خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ
وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴿٢٤﴾ مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ
يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن
تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ
مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا ﴿٢٨﴾

﴿إِنَّا أرسلنَا نُوحًا إلى قومِهِ أنْ أنذر قومَكَ﴾ أي بأنْ أنذرْهُم، على أنَّ أنْ مصدريةٌ حُذِفَ منها الجارُّ وأُوصلَ إليها الفعلُ، فإنَّ حذفَهُ معَ أنَّ وأنْ مطردٌ، وجُعلتْ صلتُهَا أمرًا كما في قولِهِ تعالَى: ﴿وأنْ أقِم وجهَكَ﴾ [سورة يونس، الآية ١٠٥] لأنَّ مدارَ

---

(١) في خ: وآيها عشرون وثمان آيات.

وصلِهَا بصيغِ الأفعالِ دلالتُهَا على المصدرِ وذلكَ لا يختلفُ بالخبريةِ والإنشائيةِ، ووجوبُ كونِ الصلةِ خبريةً في الموصولِ الاسميِّ إنَّما هُو للتوصلِ إلى وصفِ المعارفِ بالجملِ وهي لا توصفُ إلا بالجملِ الخبريةِ، وليسَ الموصولُ الحرفيُّ كذلكَ وحيثُ استوى الخبرُ والإنشاءُ في الدلالةِ على المصدرِ استويا في صحةِ الوصلِ بهما فيتجردُ عند ذلكَ كلٌّ منهُمَا عن[1] المَعْنَى الخاصِّ بصيغتِهِ فيبقَى الحدثُ المجردُ عن مَعْنَى الأمرِ والنَّهي والمُضيِّ والاستقبالِ، كأنَّه قيلَ أرسلنَاهُ بالإنذارِ، وقيلَ المَعْنَى أرسلناهُ بأنْ قُلْنَا لهُ أنذرْ أي أرسلناهُ بالأمرِ بالإنذارِ، ويجوزُ أن تكونَ أنْ مفسرةً لما في الإرسالِ من معنى القولِ فلا يكونُ للجملةِ محلٌّ من الإعرابِ، وعلى الأولِ محلُّها النصبُ عند سيبويهِ والفرَّاءِ، والجرُّ عند الخليلِ والكِسَائيِّ كما هُو[2] المعروفُ. وقرئَ أنذرْ[3] بغيرِ أنْ على إرادةِ القولِ. ﴿مِنْ قبلِ أنْ يأتِيَهُم عذابٌ أليمٌ﴾ عاجلٌ أو آجلٌ لئلا يبقَى لهُم عذرٌ مَا أصلًا. ﴿قالَ﴾ استئنافٌ مبنيٌّ على سؤالٍ نشأَ من حكايةِ إرسالِهِ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ بالوجهِ المذكورِ كأنَّه قيلَ ما فعلَ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ فقيلَ قالَ لهُم: ﴿يا قومِ إنِّي لكُم نذيرٌ مبينٌ﴾ منذرٌ موضحٌ لحقيقةِ الأمرِ.

وقولُهُ تعالَى: ﴿أنِ اعبُدوا الله واتَّقُوه وأطيعونِ﴾ متعلقٌ بـ «نذيرٌ» على الوجهينِ المذكورينِ ﴿يغفرْ لكُم من ذنوبِكُم﴾ أي بعضَ ذنوبِكُم وهو ما سلفَ في الجاهليةِ فإنَّ الإسلامَ يجبُّه ﴿ويؤخرْكُم إلى أجلٍ مُسمًّى﴾ هو الأمدُ الأقصَى الذي قدَّرَهُ الله تعالَى لهم بشرطِ الإيمانِ والطاعةِ وراءَ ما قدَّرَهُ لهُم على تقديرِ بقائِهِم على الكفرِ والعصيانِ فإنَّ وصفَ الأجلِ بالمسمَّى، وتعليقَ تأخيرِهِم إليهِ بالإيمانِ والطاعةِ صريحٌ في أنَّ لهم أجلًا آخرَ لا يجاوزونَهُ إنْ لم يؤمنُوا وهو المرادُ بقولِهِ تعالَى: ﴿إنَّ أجلَ الله﴾ أي ما قدَّرَ لكُم على تقديرِ بقائِكُم على الكفرِ ﴿إذا جاءَ﴾ وأنتُم على ما أنتُم عليهِ من الكُفرِ ﴿لا يُؤخرُ﴾ فبادِرُوا إلى الإيمانِ والطاعةِ قبلَ مجيئِهِ حَتَّى لا يتحققَ شرطُهُ الذي هو بقاؤُكُم على الكفرِ فلا يجيءَ، ويتحققَ شرطُ التأخيرِ إلى الأجلِ المسمَّى فتؤخرُوا إليهِ ويجوزُ أن يرادَ بهِ وقتُ إتيانِ العذابِ المذكورِ في قولِهِ تعالَى: ﴿من قبلِ أنْ يأتيَهُم عذابٌ أليمٌ﴾ فإنَّه أجلٌ موقتٌ له حَتْمًا وحملُهُ على الأجلِ الأطولِ[4] مما لا يساعدُهُ

---

(١) في خ: على.

(٢) زاد في خ: وقيل.

(٣) قرأ بها: ابن مسعود.
ينظر: التبيان للطوسي (١٠/ ١٣٢)، وتفسير الطبري (٢٩/ ٥٧)، وتفسير القرطبي (١٨/ ٢٩٨)، والمعاني للفراء (٣/ ١٨٧).

(٤) في خ: المسمى.

المقامُ كيفَ لاَ والجملةُ تعليلٌ للأمرِ بالعبادةِ المستتبعةِ للمغفرةِ والتأخيرِ إلى الأجلِ المسمَّى فلا بُدَّ أنْ يكونَ المنفيُّ عند مجيءِ الأجلِ هو التأخيرَ الموعودَ فكيفَ يتصورُ أن يكونَ ما فُرضَ مجيئُهُ هو الأجلُ المسمَّى ﴿لو كنتُم تعلمونَ﴾ أي لو كنتُم تعلمونَ شيئًا لسارعتُم إلى ما أمرتُكُم[١] بهِ.

﴿قال﴾ أي نوحٌ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ مناجيًا ربَّهُ وحاكيًا له تعالَى وهو أعلمُ بحالِهِ ما جرَى بينَهُ وبينَ قومه من القيلِ والقالِ في تلكَ المدِدِ الطوالِ بعدَ ما بذلَ في الدعوةِ غايةَ المجهودِ وجاوزَ في الإنذارِ كلَّ حدٍّ معهودٍ وضاقتْ عليهِ الحيلُ وعيت بهِ العللُ. ﴿ربِّ إنِّي دعوتُ قَومي﴾ إلى الإيمانِ والطَّاعةِ ﴿ليلًا ونهارًا﴾ أي دائمًا من غيرِ فتورٍ ولا توانٍ ﴿فلم يَزِدْهُم دعائيَ إلا فرارًا﴾ ممَّا دعوتُهُم إليهِ وإسنادُ الزيادةِ إلى الدعاءِ لسببيتِهِ لها كما في قولِهِ تعالَى: ﴿زادتهُم إيمانًا﴾ [سورة الأنفال، الآية ٢] ﴿وإنِّي كلَّما دعوتُهُم﴾ أي إلى الإيمانِ ﴿لتغفرَ لهُم﴾ بسببِهِ ﴿جعلُوا أصابِعَهُم في آذانِهِم﴾ أيْ سدُّوا مسامِعَهُم مِن استماعِ الدعوةِ ﴿واستغشَوا ثيابَهُم﴾ أي بالغُوا في التغطِّي بهَا كأنَّهُم طلبُوا أنْ تغشاهُم ثيابُهُم أو تُغشِّيهم لئلا يُبصروه كراهةَ النظرِ إليهِ أو لئلا يعرفَهُم فيدعُوَهُم ﴿وأصرُّوا﴾ أي أكبُّوا على الكفرِ والمعاصِي مستعارٌ منْ أصرَّ الحمارُ على العانةِ[٢] إذَا أصرَّ أذنيهِ وأقبلَ عليهَا ﴿واستكبرُوا﴾ عن اتِّباعي وطاعتي ﴿استكبارًا﴾ شديدًا ﴿ثم إنِّي دعوتُهُم جهارًا * ثم إني أعلنتُ لهم وأسررتُ لهم إسرارًا﴾ أي دعوتُهُم تارةً جهرًا ومرةً غبَّ[٣] مرةٍ على وجوهٍ مُتخالفةٍ وأساليبَ متفاوتةٍ، وثُمَّ لتفاوتِ الوجوهِ فإنَّ الجِهارَ أشدُّ من الإسرارِ، والجمعُ بينَهُمَا أغلظُ منَ الإفرادِ أو لتراخِي بعضِهَا عن[٤] بعضٍ، وجهارًا منصوبٌ بدعوتُهُم على المصدرِ لأنَّه أحدُ نَوْعَيْ الدعاءِ أو أُريدَ بدعوتُهُم جاهرتُهُم أو هو صفةٌ لمصدرٍ أي دعوتُهُم دعاءً جهارًا أي مُجاهِرًا به أو مصدرٌ في موقعِ الحالِ أي مُجاهرًا.

﴿فقلتُ استغفرُوا ربَّكُم﴾ بالتوبةِ عن الكفرِ والمَعَاصِي ﴿إنَّه كانَ غَفَّارًا﴾ للتائبينَ كأنَّهُم تعللُوا وقالُوا إنْ كُنَّا على الحقِّ فكيفَ نتركهُ وإنْ كُنَّا على الباطلِ فكيفَ يقبلنا بعدَ ما عكفنَا عليهِ دَهْرًا طويلًا فأمرهم بما يمحقُ ما سلفَ منهم من المَعَاصِي ويجلبُ إليهم المنافعَ ولذلكَ وعدهُم بما هُو أوقعُ في قلوبِهِم وأحبُّ إليهِم من الفوائدِ العاجلةِ، وقيل لما كذَّبُوه بعدَ تكريرِ الدعوةِ حبسَ الله تعالَى عنهم القطرَ وأعقمَ أرحامَ

---

(١) في خ: أمرتم.
(٢) العانة: الأتان.
(٣) في خ: بعد.
(٤) في خ: من.

نسائِهِم أربعينَ سنةً وقيلَ سبعينَ سنةً فوعدَهُم أنَّهم إنْ آمنُوا أنْ يرزقَهُم الله تعالَى الخِصْبَ ويدفَع عنْهُم ما كانُوا فيهِ ﴿يرسلِ السماءَ عليكُم مِدْرارًا﴾ أي كثيرَ الدرورِ، والمرادُ بالسماءِ المظلةُ أو السحابُ ﴿ويمدِدكُم بأموالٍ وبنينَ ويجعلْ لكم جناتٍ﴾ بساتينَ ﴿ويجعلْ لكُم﴾ فيهَا ﴿أنهارًا﴾ جاريةً ﴿ما لكُم لا ترجُون لله وقارًا﴾ إنكارٌ لأنْ يكونَ لهُم سببٌ ما في عدمِ رجائِهِم لله تعالَى وقارًا على أنَّ الرجاءَ بمَعْنَى الاعتقادِ، ولا ترجونَ حالٌ من ضميرِ المخاطبينَ والعاملُ فيهَا مَعْنَى الاستقرارِ في لكُم[١] على أنَّ الإنكارَ متوجهٌ إلى السببِ فَقَطْ مع تحققِ مضمونِ الجملةِ الحاليةِ لا إليهِما معًا كما في قولِهِ تعالَى: ﴿وما ليَ لا أعبدُ الذي فطرَنِي﴾ [سورة يس، الآية ٢٢] ولله متعلقٌ بمضمرٍ وقعَ حالًا مِنْ وقارًا ولو تأخرَ لكانَ صفةً لهُ أيْ أيُّ سببٍ حصلَ لكُم حالَ كونِكُم غيرَ معتقدينَ لله تعالَى عظمةً موجبةً لتعظيمِهِ بالإيمانِ بهِ والطاعةِ لهُ ﴿وقد خلقَكُم أطوارًا﴾ أي والحالُ أنكم [على حالٍ][٢] منافيةٍ لما[٣] أنتُم عليهِ بالكليةِ وهيَ أنكم تعلمونَ أنَّه تعالَى خلقَكُم تاراتٍ عناصرَ ثم أغذيةً ثم أخلاطًا ثم نُطفًا ثم علقًا ثم مُضَغًا ثم عظامًا ولحومًا ثم أنشأ كم خلقًا آخرَ فإن التقصيرَ في توقيرِ مَنْ هذهِ شؤونُهُ في القدرةِ القاهرةِ والإحسانِ التامِّ مع العلم بها مِمَّا لا يكادُ يصدرُ عن العاقلِ. هَذا وقد قيلَ الرجاءُ بمعنى الأملِ[٤] أي ما لَكُم لا تُؤمِّلُونَ لهُ تعالَى توقيرًا أي تعظيمًا لمن عبدَهُ وأطاعَهُ ولا تكونونَ على حالٍ تُؤمِّلُونَ فيها تعظيمَ الله تعالَى إيَّاكُم في دارِ الثوابِ، ولله بيانٌ للموقرِ ولو تأخرَ لكانَ صلةً للوقارِ والأولُ هو الذي تستدعيهِ الجزالةُ التنزيليةُ فإن اللائقَ بحالِ الكفرةِ استبعادُ أنْ لا يعتقدُوا وقارًا لله تعالَى وعظمتِهِ مع مشاهدَتِهِم لآثارِهَا وأحكامِهَا الموجبةِ للاعتقادِ حَتْمًا، وأمَّا عدمُ رجائِهِم لتعظيمِ الله إيَّاهُم في دارِ الثوابِ فليسَ في حيزِ الاستبعادِ والإنكارِ معَ أنَّ في جعلِ الوقارِ بمَعْنَى التوقيرِ من التعسفِ، وفي قولِهِ ولله بيانٌ للموقَّرِ ولو تأخرَ لكانَ صلةً للوقارِ من التناقضِ ما لا يَخْفى فإنَّ كونَهُ بيانًا للموقِّرِ يقتضِي أنْ يكونَ التوقيرُ صادرًا عنْهُ تعالَى والوقارَ وصفًا للمخاطبينَ وكونُهُ صلةً للوقارِ يوجبُ كونَ الوقارِ وصفًا لهُ تعالَى وقيلَ ما لكُم لا تخافونَ لله عظمةً وقدرةً على أخذِكُم بالعقوبةِ أيْ أيُّ عُذرٍ لكُم في تركِ الخوفِ منهُ تعالَى.

وعن سعيدِ بنِ جُبيرٍ عنِ ابنِ عبَّاسٍ رضيَ الله عنهُمَا ما لكُم لا تخشُونَ لله عقابًا

---

(١) في خ: أموالكم.
(٢) في خ: بحالة.
(٣) في خ: على.
(٤) في خ: الأجل.

ولا ترجونَ منْهُ ثَوابًا[١].

وعن مجاهدٍ والضحَّاكِ ما لكُم لا تُبالونَ لله عظمةً[٢]، قال قُطْربٌ هيَ لغةٌ حجازيةٌ يقولونَ لم أَرْجُ أيْ لم أبالِ.

وقولُهُ تعالَى: ﴿**ألم ترَوا كيفَ خلقَ الله سبعَ سمواتٍ طباقًا**﴾ أي متطابقةً بعضُها فوقَ بعضٍ ﴿**وجعلَ القمرَ فيهنَّ نُورًا**﴾ أي مُنوِّرًا لوجهِ الأرضِ في ظُلمةِ الليلِ، ونسبتُهُ إلى الكُلِّ مع أنَّهُ في السماءِ الدُّنيا لما أنَّها محاطةٌ بسائرِ السمواتِ فما فيهَا يكونُ في الكُلِّ أو لأنَّ كُلَّ واحدةٍ منهَا شفافةٌ لا تحجبُ ما وراءَها فيُرى الكلُّ كأنَّها سماءٌ واحدةٌ ومن ضرورةِ ذلكَ أن يكونَ ما في واحدةٍ منهَا كأنَّه في الكُلِّ ﴿**وجعلَ الشمسَ سراجًا**﴾ يزيلُ ظلمةَ الليلِ ويبصرُ أهلُ الدُّنيا في ضوئِهَا وجهَ الأرضِ ويشاهدونَ الآفاقَ كما يبصرُ أهلُ البيتِ في ضوءِ السراجِ ما يحتاجونَ إلى إبصارِهِ وليسَ القمرُ بهذه المثابةِ إنما هو نورٌ في الجُملةِ ﴿**والله أنبتَكُم من الأرضِ نباتًا**﴾ أي أنشأكُم منها فاستعيرَ الإنباتُ للإنشاءِ لكونِهِ أدلَّ على الحدوثِ والتكونِ من الأرضِ، ونباتًا إما مصدر مؤكدٌ لأنبتكُم بحذفِ الزوائدِ ويسمَّى اسمَ مصدرٍ أو لما يترتبُ عليهِ من فعلِهِ أي أنبتكُم من الأرضِ فنبتُّم نباتًا ويجوزُ أن يكونَ الأصلُ أنبتكُم من الأرضِ إنباتًا فنبتُم نباتًا فيُحذفُ من الجملةِ الأُولى المصدرُ ومن الثانيةِ الفعلُ اكتفاءً في كلٍّ منهُمَا بما ذُكِرَ في الأُخْرَى كَمَا مرَّ في قولِهِ تعالَى: ﴿أم تُريدونَ أنْ تسألُوا رسولَكُم كما سُئِلَ مُوسَى﴾ [سورة البقرة، الآية ١٠٨] وقولِهِ تعالَى: ﴿وإنْ يمسسكَ الله بضرٍّ فلا كاشفَ لهُ إلا هُو وإنْ يُرِدْكَ بخيرٍ فلا رادَّ لفضلِهِ﴾ [سورة الأنعام، الآية ١٧]. ﴿**ثم يُعيدكم فيهَا**﴾ بالدفنِ عندَ موتِكُم ﴿**ويُخرجكُم**﴾ منها عند البعثِ والحشرِ ﴿**إخراجًا**﴾ محققًا لا ريبَ فيهِ ﴿**والله جعلَ لكُم الأرضَ بِسَاطًا**﴾ تتقلبونَ عليها تقلبَكُم على بُسُطِكُم في بيوتِكُم، وتوسيطُ لكُم بينَ الجعلِ[٣] ومفعوليهِ مع أنَّ حقَّهُ التأخيرُ لما مرَّ مرارًا من الاهتمامِ ببيانِ كونِ المجعولِ من منافعِهم والتشويقِ إلى المؤخرِ فإنَّ النفسَ عند تأخيرِ ما حقُّه التقديمُ لا سيَّما عند كونَ المقدم ملوِّحًا بكونِهِ من المنافعِ تبقَى مترقبةً لهُ فيتمكنُ عندَ ورودِهِ لها فضلُ تمكنٍ ﴿**لتسلكُوا منها سبلًا فجاجًا**﴾ أي طرقًا واسعةً جمعُ فجٍّ وهو الطريقُ الواسعُ وقيلُ هو المسلكُ بينَ الجبلينِ، ومِنْ متعلقةٌ بما قبلَهَا لما فيهِ من مَعْنَى الاتخاذِ أو بمضمرٍ هو حالٌ من سبلًا أي كائنةً من الأرضِ ولو تأخرَ

---

(١) ذكره الماوردي في تفسيره (٦/ ١٠١). (٢) ينظر: المصدر السابق.
(٣) في خ: الجمل.

لكان صفةً [لهَا](١).

﴿قال نوحٌ﴾ أعيدَ لفظُ الحكايةِ لطولِ العهدِ بحكايةِ مناجاتِهِ لربِّهِ، أي قالَ مناجيًا لهُ تعالَى: ﴿ربِّ إنَّهم عصوني﴾ أيْ تمُّوا على عصيانِي فيما أمرتُهُم بهِ مع ما بالغتُ في إرشادِهِم بالعظةِ والتذكيرِ. ﴿واتبعُوا منْ لم يزدْهُ مالُهُ ووَلَدُهُ إلاَّ خسارًا﴾ أيْ واستمرُّوا على اتِّباعِ رؤسائِهِم الذينَ أبطرَتْهُم أموالُهُم وغرتْهُم أولادُهُم وصارَ ذلكَ سببًا لزيادةِ خسارِهِم في الآخرةِ فصَارُوا أسوةً لهم في الخسارِ، وفي وصفِهِم بذلكَ إشعارٌ بأنَّهُم إنَّما اتَّبَعُوهُم لوجاهَتِهِم الحاصلةِ لهم بسببِ الأموالِ والأولادِ لما شاهدُوا فيهم من شُبهةٍ مُصححةٍ للاتباعِ في الجُملةِ. وقرئ وولده(٢) بالضمِّ والسكونِ على أنَّهُ لغةٌ كالحُزْنِ أو جمعٌ كالأُسْدِ. ﴿ومكروا﴾ عطفٌ على صلةِ من والجمعُ باعتبارِ مَعناهَا كما أنَّ الإفرادَ في الضمائرِ الأُولِ باعتبارِ لفظِهَا ﴿مَكْرًا كُبَّارًا﴾ أي كبيرًا في الغايةِ وقرئ بالتخفيفِ(٣) والأولُ أبلغُ منْهُ وهُوَ أبلغُ من الكبيرِ وذلكَ احتيالُهُم في الدِّينِ وصدُّهم للنَّاسِ(٤) عنْهُ وتحريشُهُم على أذيةِ نوح عليهِ السَّلامُ ﴿وقالُوا لا تذَرُنَّ آلِهتَكُم﴾ أي لا تتركُوا عبادتَهَا على الإطلاقِ إلى عبادةِ ربِّ نوحٍ ﴿ولا تذرنَّ ودًّا ولا سواعًا ولا يغوثَ ويعوقَ ونسرًا﴾ أي ولا تذرنَّ عبادةَ هؤلاءِ، خصُّوها بالذكرِ مع اندراجِهَا فيمَا سبقَ لأنَّها كانتْ أكبرَ أصنامِهِم وأعظَمَهَا قدرًا عندهُم وقد انتقلتْ هذه الأصنامُ عنهُم إلى العربِ فكانَ ودٌّ لكلبٍ وسواعٌ لهمدانَ ويغوثُ لمذحجَ ويعوقُ لمرادٍ ونسرٌ لحِميْرٍ.

وقيلَ هي أسماءُ رجالٍ صالحينَ وكانُوا بينَ آدمَ ونوحٍ، وقيلَ من أولادِ آدمَ عليهِ السَّلامُ ماتُوا فقالَ إبليسُ لمن بعدَهُم لو صوَّرتُم صُورَهُم فكُنتُم تنظرونَ إليهِم وتتبركُونَ بهم ففعلُوا فلمَّا ماتَ أولئكَ قالَ لمَنْ بعدَهُم إنَّهم كانُوا يعبدُونَهُم فعبدُوهُم، وقيلَ كان

(١) سقط في خ.

(٢) قرأ بها: أبو عمرو، وابن كثير، وحمزة، ونافع، والكسائي، والحسن، وابن الزبير، والنخعي، والأعرج، ومجاهد، وخارجة، وخلف، ويعقوب.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٢٤)، والإعراب للنحاس (٣/ ٥١٥)، والبحر المحيط (٨/ ٣٤١)، والتبيان للطوسي (١٠/ ١٣٩)، والتيسير للداني ص (٢١٥)، والغيث للصفاقسي ص (٣٧٤)، والكشاف للزمخشري (٤/ ١٦٤).

(٣) قرأ بها: عيسى، وابن محيصن، وأبو السمال، وحميد، ومجاهد.
ينظر: الإملاء للعكبري (٢/ ١٤٥)، والبحر المحيط (٨/ ٣٤١)، وتفسير القرطبي (١٨/ ٣٠٧)، والكشاف للزمخشري (٤/ ١٦٤)، وتفسير الرازي (٣٠/ ١٤٢).

(٤) في خ: الناس.

ودٌّ على صورةِ رجلٍ، وسواعٌ على صورةِ امرأةٍ، ويغوثُ على صورة أسدٍ، ويعوقُ على صورةِ فرسٍ، ونسرٌ على صورةِ نسرٍ. وقرئَ (وُدا)[١] بضمِّ الواوِ و(يغوثًا ويعوقًا)[٢] للتناسبِ، ومنعُ صرفِهِما للعُجْمةِ والعلميةِ. ﴿وقد أضلُّوا﴾ أي الرؤساءُ ﴿كثيرًا﴾ خلقًا كثيرًا، أو الأصنامُ كقولِهِ تعالَى: ﴿ربِّ إنهنَّ أضللنَ كثيرًا منَ النَّاسِ﴾ [سورة إبراهيم، الآية ٣٦]. ﴿ولا تزدِ الظالمينَ إلا ضلالًا﴾ عطفٌ على قولِهِ تعالَى: ﴿ربِّ إنَّهم عصوني﴾ على حكايةِ كلامِ نوحٍ بعدَ قالَ وبعدَ الواوِ النائبةِ عنهُ أيْ قالَ ربِّ إنَّهُم عصَوني، وقالَ لا تزدِ الظالمينَ إلا ضلالًا. ووضعُ الظَّاهرِ موضعَ ضميرِهِم للتسجيلِ عليهِم بالظلمِ المفرطِ وتعليلِ الدعاءِ عليهِم بهِ. والمطلوبُ هو الضَّلالُ في تمشيةِ مكرِهِم ومصالحِ دُنياهُم أو الضياعُ والهلاكُ كما في قولِهِ تعالَى: ﴿إنَّ المجرمينَ في ضلالٍ وسُعُرٍ﴾ [سورة القمر، الآية ٤٧] ويؤيدُهُ ما سيأتي من دعائِهِ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ.

﴿مما خطيئاتهم﴾ أي من أجلِ خطيئاتِهِم، ومَا مزيدةٌ بينَ الجارِّ والمجرورِ للتوكيدِ والتفخيمِ، ومَنْ لم يَرَ زيادَتَهَا جعلَهَا نكرةً وجعلَ خطيئاتِهِم بدلًا منهَا. وقرئَ (مِمَّا خَطَاياهُمْ)[٣]، و(مِمَّا خطياتِهِم)[٤] أي بسببِ خطيئاتِهِم المعدودةِ وغيرِهَا من خطاياهُم ﴿أُغْرِقُوا﴾ بالطوفانِ لا بسببٍ آخرَ ﴿فأُدخِلُوا نارًا﴾ المرادُ إمَّا عذابُ القبرِ فهو عَقيبَ الإغراقِ، وإنْ كانُوا في الماءِ. عنِ الضحَّاكِ أنَّهُم كانُوا يُغرقونَ من جانبٍ ويُحرقُونَ من جانبٍ أو عذابُ جهنَم والتعقيبُ لتنزيلِهِ منزلةَ المتعقبِ لإغراقِهِم لاقترابِهِ وتحققِهِ لا محالةَ وتنكيرُ النَّارِ إمَّا لتعظيمِهَا وتهويلِهَا، أو لأنَّهُ تعالَى أعدَّ لهُم على حسبِ خطيئاتِهِم نوعًا من النَّارِ.

---

(١) قرأ بها: عاصم، ونافع، وأبو جعفر، وشيبة، وشعبة.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٢٥)، والإعراب للنحاس (٣/ ٥١٦)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٤٥)، والتيسير للداني ص (٢١٥)، والغيث للصفاقسي ص (٣٧٤)، والكشف للقيسي (٢/ ٣٣٧).

(٢) قرأ بها: ابن مسعود.
ينظر: الإعراب للنحاس (٣/ ٥١٧)، والمعاني للفراء (٣/ ١٨٩).

(٣) قرأ بها: أبو عمرو، والحسن، وعيسى، والأعرج.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٢٥)، والبحر المحيط (٨/ ٣٤٣)، والتبيان للطوسي (١٠/ ١٤٠)، والتيسير للداني ص (٢١٥)، والسبعة لابن مجاهد ص (٦٥٣)، والغيث للصفاقسي ص (٣٧٤).

(٤) قرأ بها: أبو رجاء.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٣٤٣)، وتفسير القرطبي (١٨/ ٣١٠)، والكشاف للزمخشري (٤/ ١٦٥)، وتفسير الرازي (٣٠/ ١٤٥).

﴿فلم يجدُوا لهُم من دونِ الله أنصارًا﴾ أي لم يجدْ أحدٌ منهُم واحدًا منَ الأنصارِ، وفيه تعريضٌ باتِّخاذِهم آلهةً من دونِ الله تعالَى وبأنَّها غيرُ قادرةٍ على نَصرِهِم، وتهكمٌ بهِمْ.

﴿وقالَ نوحٌ ربِّ لا تذرْ على الأرضِ من الكافرينَ ديَّارًا﴾ عطفٌ على نظيرِهِ السابقِ.

وقولُهُ تعالَى: ﴿مِمَّا خطيئاتِهِم﴾ إلخ. اعتراضٌ وسطٌ بين دعائِهِ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ للإيذانِ من أولِ الأمرِ، بأنَّ ما أصابَهُم من الإغراقِ والإحراقِ لم يُصبهُم إلا لأجلِ خطيئاتِهِم التي عدَّدَهَا نوحٌ عليهِ السَّلامُ وأشارَ إلى استحقاقِهِم للإهلاكِ لأجلِها لا أنَّها حكايةٌ لنفسِ الإغراقِ والإحراقِ على طريقةِ حكايةِ ما جَرَى بينَهُ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ وبينُهُم من الأحوالِ والأقوالِ وإلا لأُخِّر عن حكايةِ دُعَائِهِ هَذا. وديَّارًا من الأسماءِ المستعملةِ في النَّفي العامِّ يقالُ ما بالدارِ ديَّارٌ أو ديورٌ كقيَّام وقَيُّوم، أيْ أحدٌ وهو فَيعالٌ من الدُّورِ أو من الدَّارِ أصلُهُ دَيْوَارٌ قدْ فُعِلَ بهِ ما فُعِلَ بأصلِ سيِّدٍ، لا فَعَّالٌ وإلا لكانَ دَوَّارًا.

﴿إنك إنْ تذرهُم﴾ عليها كلا أو بعضًا ﴿يُضلوا عبادكَ﴾ عن طريقِ الحقِّ ﴿ولا يلدُوا إلا فاجرًا كفارًا﴾ أي إلا من سيفجُر ويكفرُ فوصفَهم بما يصيرونَ إليهِ وكأنَّه اعتذارٌ مما عَسَى يردُ عليه مِنْ أنَّ الدعاءَ بالاستئصال معَ احتمال أنْ يكونَ من أخلافِهم مَنْ يؤمن منكَرٌ وإنَّما قالَهُ لاستحكام علمِه بما يكونُ منهم ومن أعقابِهم بعدما جرَّبهم واستقرأ أحوالهم قريبًا من ألف سنةٍ ﴿ربِّ اغفر لِي ولوالديَّ﴾ أبُوه [لَمَك بنُ][1] مَتُّوشَلِخَ وأمُّه شمخاء بنتُ أنُوشَ كانَا مؤمنينِ، وقيل: هما آدمُ وحواءُ وقُرِئ (ولولديَّ)[2] يريدُ سامًا وحامًا ﴿ولمن دخلَ بيتيَ﴾ أي مَنزلِي وقيلَ: مسجدِي وقيل: سَفينتي ﴿مؤمنًا﴾ بهذا القيدِ خرجتْ امرأتُه وابنُه كنعانُ ولكنْ لم يجزمْ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ بخروجِه إلا بعدَ ما قيلَ له: إنَّه ليسَ من أهلِك وقد مرَّ تفصيلُه في سورةِ هودٍ الآية ٤٦ .

﴿وللمؤمنينَ والمؤمناتِ﴾ عمَّهم بالدُّعاء إثرَ ما خصَّ بهِ مَنْ يتصلُ به نسبًا ودينًا ﴿ولا تزدِ الظالمينَ إلا تبارًا﴾ أي هلاكًا قيلَ: غرقَ معُهم صبيانُهم أيضًا لكنْ لا

---

(١) سقط في خ.

(٢) قرأ بها: الحسين بن علي، ويحيى بن يعمر، والنخعي، والزهري، وزيد بن علي، والحسن بن علي. ينظر: البحر المحيط (٨/ ٣٤٣)، وتفسير الرازي (٣٠/ ١٤٦).

على وجهِ العقابِ لهم بل لتشديد عذابِ آبائِهم وأمَّهاتِهم بإراءةِ هلاكِ أطفالِهم الذينَ كانُوا أعزَّ عليهِم من أنفسهِم.

قالَ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ: «**يهلكونَ مهلكًا واحدًا ويصدرونَ مصادرَ شَتَّى**»[(١)] وعنِ الحسنِ أنَّه سُئلَ عنْ ذلِكَ فقالَ علَم الله براءتَهُم فأهلكَهُم بغيرِ عذابٍ، وقيلَ: أعقمَ الله تعالَى أرحامَ نسائِهم وأيبسَ أصلابَ آبائِهم قبلَ الطُّوفانِ بأربعينَ أو سبعينَ سنةً فلم يكُنْ معهُم صبيٌّ حينَ غَرِقُوا.

روي عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**مَنْ قرأَ سورةَ نوحٍ كانَ من المؤمنينَ الذينَ تُدركهم دعوةُ نوحٍ [عليهِ السَّلامُ]**[(٢)]»[(٣)].

(١) تقدم في سورة البقرة برقم (١٦) وقال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف»: متفق عليه وقد تقدم. انتهى.

(٢) في خ: ونبينا عليهما أفضل الصلاة والسلام.

(٣) تقدم برقم (٣٤٦) وهو حديث فضائل القرآن سورة سورة.

سُورةُ الجِنِّ

مَكيةٌ وآيُها ثمانٍ وعشرونَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا
بِهِۦۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ
سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ
مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّواْ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا
﴿٧﴾ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ
لِلسَّمْعِۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ
بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن
نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا
يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوْاْ رَشَدًا
﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا
﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ
مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّي وَلَآ
أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ
أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ
خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾ قُلْ
إِنْ أَدْرِيٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّيٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ
أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ
أَبْلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾

﴿قُلْ أُوحيَ إليَّ﴾ وقرئ (أُحيَ إليَّ)[١] أصلُه وُحيَ وقد قرئ كذلكَ[٢] منْ وُحيَ إليهِ فقلبتْ الواوُ المضمومةُ همزة كأعدَ وَأزنَ[٣] في وَعَدَ ووَزَنَ ﴿أنه﴾ بالفتحِ لأنَّه فاعل أُوحي والضمير للشأن ﴿استمع﴾ أي القرآن كما ذكر فِي الأحقافِ وقد حُذِفَ لدلالة ما بعدَهُ عليه ﴿نفرٌ منَ الجنِّ﴾ النفرُ ما بينَ الثلاثةِ والعشرةِ، والجنُّ أجسام عاقلةٌ خفيةٌ يغلبُ عليهِم الناريةُ أو الهوائيةُ، وقيلَ: نوعٌ منَ الأرواحِ المجردةِ وقيلَ: هيَ النفوسُ البشريةُ المفَارقةُ عن أبدانِها وفيهِ دِلالةٌ عَلى أنَّه عليهِ الصلاةُ والسَّلامُ لم يشعر بهم وباستماعِهم ولم يقرأْ عليهمْ وإنَّما اتفقَ حضورُهم في بعض أوقات قراءته فسمعوها فأخبره الله تعالى بذلك وقد مر ما فيه من التفصيلِ في سورة الأَحْقَافِ ﴿فقالُوا﴾ لقومِهم عندَ رجوعِهم إليهِم ﴿إنا سمعنا قرآنا﴾ كتابًا مقرُوءًا ﴿عجبًا﴾ بديعًا مباينًا لكلام الناسِ في حسن النظمِ ودقة المَعْنى وهو مصدرٌ وصفَ به للمبالغةِ ﴿يهدي إلى الرشد﴾ إلى الحقِّ والصوابِ ﴿فآمنا به﴾ أيْ بذلكَ القرآن ﴿ولن نشرك بربنا أحدًا﴾ حسبمَا نطقَ به مَا فيهِ منْ دلائلِ التوحيدِ ﴿وأنه تعالى جد ربنا﴾ بالفتحِ قالُوا هُوَ وما بعدَهُ من الجمل المصدّرةِ بأنَّ فِي أحدَ عشرَ موضعًا عطفٌ عَلى محلِّ الجارِّ والمجرورِ في فآمنا به كأنَّه قيلَ: فصدقناهُ وصدقنا أنَّه تعالَى جَدُّ ربِنا أي ارتفعَ عظمتُه، منْ جَدَّ فلانٌ في عَينِي أيْ عظُم تمكنه أو سلطانُهُ أو غِناهُ على أنه مستعارٌ منَ الجَدِّ الذي هُوَ البَختُ والمَعْنى وصفُهُ بالاستغناءِ عنِ الصاحبةِ والولدِ لعظمتِه أوْ لسلطانه أو لغناهُ وقرئ بالكسر[٤] وكَذا الجملُ المذكورةُ عطفًا على المحكيِّ بعدَ القولِ وهو الأظهرُ لوضوح اندارجِ كُلِّها تحتَ القولِ، وأما اندارجُ الجملِ الآتيةِ تحتَ الإيمانِ والتصديقِ كما يقتضيهُ العطفُ عَلى محلِّ الجارِّ والمجرورِ ففيهِ إشكالٌ كَما

---

(١) قرأ بها: الكسائي، وابن أبي عبلة، وجؤية بن عائذ الأسدي، وزيد بن علي.
ينظر: الإعراب للنحاس (٣/ ٥٢٠)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٤٥)، والبحر المحيط (٨/ ٣٤٦)، والكشاف للزمخشري (٤/ ١٦٦)، والمجمع للطبرسي (١٠/ ٣٦٦)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٣٣١)، والمعاني للفراء (٣/ ١٩٠).

(٢) قرأ بها: أبو عمرو، وجؤية بن عائذ الأسدي، وابن أبي عبلة، والعتكي، ويونس، وهارون.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٣٤٦)، والكشاف للزمخشري (٤/ ١٦٦)، وتفسير الرازي (٣٠/ ١٥٤).

(٣) في خ: وزان.

(٤) قرأ بها: نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وشعبة، ويعقوب.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٢٥)، والإعراب للنحاس (٣/ ٥٢١)، والبحر المحيط (٨/ ٣٤٧)، والتبيان للطوسي (١٠/ ١٤٥)، والتيسير للداني ص (٢١٥)، وتفسير الطبري (٢٩/ ٦٦)، وتفسير القرطبي (١٩/ ٧، ٨)، والحجة لابن خالويه ص (٣٥٤)، والغيث للصفاقسي ص (٣٧٤).

ستحيطُ به خُبْرًا.

وقولُه تعالَى ﴿مَا اتَّخذَ صَاحِبةً ولاَ ولدًا﴾ بيانٌ لِحُكم تعالِي جَدِّهِ وقرئ (جَدًّا ربُّنَا)[١] على التميزِ و(جِدُّ ربِّنَا)[٢] بالكسرِ أيْ صدقُ ربوبيتِهِ وحقُّ ألوهيته عنِ اتخاذِ الصاحبةِ والولدِ، وذلكَ أنَهُم لَمَّا سمعُوا القرآنَ ووفقُوا للتوحيدِ والإيمانِ تنبهُوا للخطأِ فيما اعتقدَهُ كفرةُ الجنِّ من تشبيهِ الله تعالَى بخلقِه في اتخاذِ الصاحبةِ والولدِ فاستعظمُوه ونزهُوه تعالَى عَنْهُ.

﴿وأنه كان يقول سفيهنا﴾ أي إبليسُ أو مردةُ الجنِّ ﴿على الله شططًا﴾ أي قولًا ذَا شططٍ أيْ بعدٍ عن القصدِ ومجاوزةٍ للحدِّ أوْ هُو شططٌ في نفسِه لفرطِ بعدِهِ عن الحقِّ وهُو نسبةُ الصاحبةِ والولدِ إليهِ تعالَى وتعلقُ الإيمانِ والتصديقِ بهذَا القولِ ليسَ باعتبارِ نفسِه فإنهم كانُوا عالِمِين بقولِ سفهائِهم منْ قبلُ أيضًا بلْ باعتبارِ كونِه شططًا كأنَّه قيلَ: وصدقنَا أنَّ مَا كَان يقولُه سفيهُنَا في حقِّه تعالَى كانَ شططًا وأما تعلقُهَما يقولِه تعالَى: ﴿وأنا ظننا أن لن تقول الإنس والجن على الله كذبًا﴾ فغيرُ ظاهرٍ وهُو اعتذارٌ منْهُم عن تقليدِهم لسفيهِهم أيْ كُنَّا نظنُّ أنه لنْ يكذبَ على الله تعالى أحدٌ أبدًا ولذلكَ اتبعنَا قولَهُ وكَذِبًا مصدرٌ مؤكدٌ لتقولَ لأنَّه نوعٌ من القولِ أو وصفٌ لمصدرِه المحذوفِ أيْ قولًا كذبًا أيْ مكذوبًا فيهِ وقرئ (لنْ تَقَوَّلَ)[٣] بحذفِ إحدَى التاءينِ فكذبًا مصدرٌ مؤكدٌ له لأنَّ الكذبَ هو التقولُ[٤].

﴿وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن﴾ كان الرجلُ من العربِ إذا أمسَى في وادٍ قفرٍ وخافَ على نفسِه يقولُ أعوذُ بسيدِ هَذَا الوادِي من سفهاءِ قومِه يريدُ الجنِّ وكبيرَهُم فإذا سمعُوا بذلكَ استكبرُوا وَقَالُوا سُدنا الإنسَ والجنَّ وذلكَ قولُه تعالَى: ﴿فزادوهم﴾ أيْ زادَ الرجالُ العائذونَ الجِنَّ ﴿رهقًا﴾ أي تكبرًا وعتوا أو فزادَ

---

(١) قرأ بها: عكرمة.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٣٤٨)، وتفسير القرطبي (١٩/ ٩).

(٢) قرأ بها: عكرمة، وأبو حيوة، وابن السميفع.
ينظر: تفسير القرطبي (١٩/ ٨، ٩)، والكشاف للزمخشري (٤/ ١٦٧).

(٣) قرأ بها: الحسن، والجحدري، ويعقوب، وعبد الرحمن بن أبي بكرة، وابن مقسم، وأبو جعفر، وابن أبي إسحاق.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٢٥)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٤٥)، والبحر المحيط (٨/ ٣٤٨)، والتبيان للطوسي (١٠/ ١٤٦)، وتفسير القرطبي (١٩/ ١٠)، والمجمع للطبرسي (١٠/ ٣٦٦)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٣٩٢).

(٤) في خ: المنقول.

الجنُّ العائذينَ غيا بأنْ أضلوهُمْ حتى استعاذُوا بهمْ ﴿**وأنهم ظنوا**﴾ أي الإنسُ ﴿**كما ظننتم**﴾ أيها الجِنُّ على أنَّه كلامُ بعضِهم لبعضٍ ﴿**أن لن يبعث الله أحدًا**﴾ وقيل: المَعْنى أنَّ الجنَّ ظنُّوا كما ظننتُمْ أيُّها الكفرةُ. . .إلخ فتكونُ هذهِ الآيةُ وما قبلَها منْ جملة الكلامِ المُوحَى[1] به والأقربُ أنهُمَا كذلكَ علَى كُلِّ تقديرٍ عطفًا على أنه استمَع إذ لاَ معْنَى لإدراجهما تحتَ ما ذكرَ من الإيمان والتصديقِ وكذا قولُه تعالَى:

﴿**وأنا لمسنَا السماءَ**﴾ وما بعدَهُ من الجُمَلِ المُصدرةِ بأنَّا ينبغِي أنْ تكونَ معطوفةً على ذلكَ عَلى أنَّ المُوحَى عينُ عبارةِ الجنِّ بطريقِ الحكايةِ كأنَّه قيلَ: قُلْ أُوحيَ إليَّ كيت وكيت وهذهِ العباراتُ أي طلبنَا بلوغَ السماءِ أو خبرَها واللمسُ مستعارٌ من المسِّ للطلبِ كالجسِّ يقال لمسَهُ والتمسَهُ وتلمسَهُ كطلَبُه واطلبه وتطلبه ﴿**فوجدنَاها مُلئتْ حَرَسًا**﴾ أي حُراسًا اسمُ جمعٍ كخدم، مفردُ اللفظِ، ولذلكَ قيلَ: ﴿**شَديدًا**﴾ قويًا وهُم الملائكةُ يمنعونَهُم عنها ﴿**وشُهبًا**﴾ جمعُ شهابٍ، وهيَ الشعلةُ المقتبسةُ من نارِ الكواكبِ ﴿**وأنا كُنَّا نقعدُ**﴾ قبلَ هَذا ﴿**منَها**﴾ من السماءِ ﴿**مقاعدَ للسمعِ**﴾ خاليةً عن الحرسِ والشهبِ أو صالحةٍ للترصدِ والاستماعِ، وللسمعِ متعلقٌ بنقعدَ أي لأجلِ السمعِ أو بمضمرٍ هو صفةٌ لمقاعدَ كائنةً للسمعِ ﴿**فمنْ يستمعِ الآنَ**﴾ في مقعدٍ من المقاعدِ ﴿**يجدْ له شِهابًا رَصَدًا**﴾ أي شهابًا راصدًا لهُ ولأجلِه يصدُّه عن الاستماعِ بالرجمِ أو ذوي شهابٍ راصدينَ لهُ على أنَّه اسمٌ مفردٌ في مَعْنى الجمعِ كالحرسِ، قيلَ: حدثَ هذا عندَ مبعثِ النبيِّ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ والصحيحُ أنه كانَ قبلَ البعثِ أيضًا لكنَّه كثُر الرجمُ بعدَ البعثةِ وزادَ زيادةً حتَّى تنبه لها الإنسُ والجنُّ ومُنعَ الاستراقُ[2] أصلًا فقالُوا ما هذا إلا لأمرٍ أراده الله تعالى بأهلِ الأرضِ وذلك قولهم ﴿**وأنَّا لا ندري أشرٌّ أُريدَ بمن في الأرضِ**﴾ بحراسةِ السماءِ[3] ﴿**أمْ أرادَ بهم ربُّهم رَشَدًا**﴾ أي خيرًا، ونسبةُ الخيرِ إلى الله تعالى دونَ الشرِّ من الآداب الشريفةِ القرآنيةِ كما في قولِه تعالى: ﴿وإذَا مرضتُ فهو يشفينِ﴾ [سورة الشعراء، الآية ٨٠] ونظائرُه ﴿**وأنَّا منَّا الصالحونَ**﴾ أي الموصوفونَ بصلاحِ الحالِ في شأنِ أنفسِهم وفي معاملتِهم مع غيرِهم المائلونَ إلى الخيرِ والصلاحِ حسبما تقتضيهِ الفطرةُ السليمةُ لا إلى الشرِّ والفسادِ كما هو مقتضَى النفوسِ الشريرةِ ﴿**ومنَّا دونَ ذلك**﴾ أي قومٌ دونَ ذلكَ فحذف الموصوفَ وهم المقتصدونَ في صلاحِ الحالِ على الوجهِ المذكورِ لا في الإيمانِ

(١) في خ: والوحي. (٢) في خ: الإسراف.
(٣) في خ: من في السماء.

والتَّقوى كما توهَم فإنَّ هذا بيانٌ لحالِهم قبل استماعِ القرآنِ كما يُعربُ عنه قولِه تعالى ﴿كُنَّا طرائقَ قِددا﴾ وأمَّا حالُهم بعد استماعِه فسيُحكى بقولِه تعالى: ﴿وأنَّا لمَّا سمِعنا الهُدَى﴾ [سورة الجن، الآية ١٣] إلى قولِه تعالى: ﴿وأنا منَّا المسلمونَ﴾ [سورة الجن، الآية ١٤] أي كُنَّا قبلَ هذا ذَوِي طرائقَ أي مذاهبَ أو مثلَ طرائقَ في اختلافِ الأحوالِ، أو كانتْ طرائقُنَا طرائقَ قِددًا أي متفرقةً مختلفةً جمعُ قِدَّةٍ من قدَّ كالقِطْعةِ من قطَع ﴿وأنَّا ظننَا﴾ أي علمنَا الآنَ ﴿أنْ لنْ نُعجزَ اللهَ﴾ أي أنَّ الشأنَ لنْ نعجزَ اللهَ كائنينَ ﴿في الأرضِ﴾ أينما كُنَّا من أقطارِها ﴿ولنْ نُعجزَهُ هَرَبًا﴾ [هاربينَ منها إلى السماءِ أو لن نعجزَهُ في الأرضِ إنْ أرادَ بنا أمرًا ولن نُعجزَهُ هربًا إنْ طلبنَا][1] ﴿وأنَّا لمَّا سمعنَا الهُدَى﴾ أي القرآنَ الذي هُو الهُدَى بعينِه ﴿آمنَّا بهِ﴾ من غيرِ تلعثمٍ وترددٍ ﴿فمن يؤمنْ بربِّه﴾ وبما أنزلَهُ ﴿فلا يخافُ﴾ فهو لا يخافُ ﴿بَخْسًا﴾ أي نقصًا في الجزاءِ ﴿ولا رَهَقًا﴾ ولا أنْ ترهقَهُ ذلةٌ أو جزاءَ بخسٍ ولا رهقٍ إذَا لم يبخسْ أحدًا حقا ولا رهقَ أحدًا ظلمًا، فلا يخافُ جزاءَهما وفيهِ دِلالةٌ على أنَّ من حقِّ من آمنَ باللهِ تعالى أن يجتنبَ المظالمَ. وقرئ (فلا يخف)[2]، والأولُ أدلُّ على تحقيقِ نجاةِ المؤمنِ واختصاصِها بهِ ﴿وأنَّا منَّا المسلمونَ ومنَّا القاسطونَ﴾ الجائرونَ عن [طريقِ الحقِّ][3] الذي هو الإيمانُ والطَّاعةُ ﴿فمن أسلمَ فأولئكَ﴾ [إشارةٌ إلى مَنْ أسلمَ والجمعُ باعتبارِ المَعْنى][4] ﴿تحرَّوا﴾ توخَّوا ﴿رَشَدًا﴾ عظيمًا يبلغُهم إلى دار الثوابِ ﴿وأما القاسطونَ﴾ [الجائرونَ عن سنن الإسلام][5] ﴿فكانُوا لجهنَّم حطبًا﴾ تُوقدُ بهم كَما تُوقدُ بكفرةِ الإنسِ ﴿وأنْ لو استقامُوا﴾ أنْ مخففةٌ من الثقيلةِ، والجملةُ معطوفةٌ قطعًا على أنَّه استمعَ والمَعْنى وأُوحيَ إليَّ أنَّ الشأنَ لو استقامَ الجِنُّ والإنسُ أو كلاهُما ﴿على الطَّريقةِ﴾ التي هي ملَّةُ الإسلامِ ﴿لأسقيناهُم ماءً غدقًا﴾ أيْ لوسَّعنا عليهم الرزقَ وتخصيصُ الماءِ الغدقِ ـ وهو الكثيرُ ـ بالذكر، لأنَّه أصلُ المعاشِ والسَّعةِ ولعزةِ وجودِه بين العربِ وقيل: لو استقامَ الجنُّ على الطريقةِ المُثْلَى أي لو ثبتَ أبُوهم الجانُّ على ما كان عليه من عبادة الله تعالى وطاعتِه ولم يتكبرْ عن السجود

---

(١) في خ: أي طلبا.
(٢) قرأ بها: يحيى بن وثاب، والأعمش، وإبراهيم.
ينظر: الإعراب للنحاس (٣/ ٥٢٤)، والبحر المحيط (٨/ ٣٥٠)، وتفسير القرطبي (١٩/ ١٧)، والكشاف للزمخشري (٤/ ١٦٩)، وتفسير الرازي (٣٠/ ١٥٩).
(٣) في خ: سنن الإسلام.
(٤) سقط في خ.
(٥) سقط في خ.

لآدمَ عليه السَّلامُ ولم يكفرْ وتبعه ولدُه في الإسلامِ لأنعمنا عليهم ووسَّعنا رزقَهم ﴿لنفتنهم فيه﴾ لنختبرَهُم كيفَ يشكرونَهُ وقيل: معناهُ إنَّه لو استقامَ الجنُّ على طريقتِهم القديمةِ ولم يسلموا باستماعِ القُرآنِ لوسّعنا عليهم الرزقَ استدارجًا لنوقعَهُم في الفتنةِ ونعذبهم في كُفرانِ النعمةِ ﴿ومَنْ يُعرضْ عن ذِكرِ ربِّه﴾ عن عبادتِه أو عن موعظتِه أو وحيِهِ ﴿يَسلكه﴾ يُدخله ﴿عذابًا صَعَدًا﴾ أي شاقا صعبًا يعلُو المعذبَ ويغلبُه على أنَّه مصدرٌ وصفَ به مبالغةً ﴿وأنَّ المساجد لله﴾ عطفٌ على قولِه تعالى أنَّه استمعَ أي وأُوحيَ إليَّ أنَّ المساجدَ مختصَّةٌ باللهِ تعالَى وقيلَ: معناهُ ولأنَّ المساجدَ لله ﴿فلا تدعُوا﴾ أي لا تعبدُوا فيها ﴿مع الله أحدًا﴾ غيرَه. وقيلَ: المرادُ بالمساجدِ المسجدُ الحرامُ والجمعُ لأنَّ كلَّ ناحيةٍ منْهُ مسجدٌ له قبلةٌ مخصوصةٌ أو لأنَّه قبلة المساجدِ وقيلَ: الأرضُ كلُّها لأنَّها جعلتْ مسجدًا للنبيِّ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ وقيلَ: مواضعُ السجودِ على أنَّ المرادَ نهيُ السجودِ لغيرِ الله تعالَى وقيل: أعضاءُ السجودِ السبعةُ وقيلَ: السجداتُ على أنَّه جمعُ المصدرِ الميميِّ ﴿وأنَّه﴾ من جُملةِ المُوحَى أي وأُوحيَ إليَّ أنَّ الشأنَ ﴿لمَّا قامَ عبدُ الله﴾ أي النبيُّ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ وإيرادُه بلفظِ العبدِ للإشعارِ بَما هُو المُقتضِي لقيامِه وعبادتِه للتواضعِ لأنَّه واقعٌ موقعَ كلامِه عن نفسِه ﴿يدعُوه﴾ حالٌ من فاعلِ قامَ أي يعبدُه وذلكَ قيامُه لصلاةِ الفجرِ بنخلة كما مرَّ تفصيلُه في سورةِ الأحقافِ.

﴿كادُوا﴾ أي الجنُّ ﴿يكونونَ عليهِ لِبَدًا﴾ متراكمينَ من ازدحامِهم عليه تعجبًا ممّا شاهدُوا من عبادتِه وسمعُوا من قراءتِه واقتداءِ أصحابِه بهِ قيامًا وركوعًا وسجودًا لأنَّهم رأوا ما لَم يَرَوا مثلَهُ وسمعُوا [بما][(١)] لم يسمعُوا بنظيرِه وقيلَ: معناهُ لمَّا قامَ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ يعبدُ الله وحدَهُ مخالفًا للمشركينَ كاد المشركون يزدحمون عليه متراكمينَ واللِّبدُ جمعُ لبدةٍ وهيَ ما تلبَّد بعضُه على بعضٍ، ومنَها لبدةُ الأسدِ. وقرئ لُبَدًا[(٢)] جمعُ لبدةٍ وهي بمعنى اللبدةِ و(لُبَّد)[(٣)] جمع لابدٍ

(١) سقط في خ.

(٢) قرأ بها: ابن عامر، ومجاهد، وابن محيصن، وهشام، والحلواني، وابن عبدان.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٢٥)، والإعراب للنحاس (٣/ ٥٢٧)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٤٥)، والتيسير للداني ص (٢١٥)، والسبعة لابن مجاهد ص (٦٥٦)، والغيث للصفاقسي ص (٣٧٥).

(٣) قرأ بها: ابن محيصن، والحسن، والجحدري، وأبو العالية، والأعرج.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٢٦)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٤٥)، والبحر المحيط (٨/ ٣٥٣)، وتفسير القرطبي (١٩/ ٢٤)، والكشاف للزمخشري (٤/ ١٧١)، والمجمع للطبرسي (١٠/ ٣٧٠).

كساجدٍ وسُجّدٍ و(لُبُدًا)[١] بضمتينِ جمعُ لَبُودٍ كصبُورٍ وصُبُرٍ وعن قتادةَ تلبدتِ الإنسُ والجنُّ على هذا الأمرِ ليطفئُوه فأبَى الله إلا أنْ يظهرَهُ على مَنْ ناوأه[٢].

﴿قلْ إنَّما أدعُو﴾ أي أعبدُ ﴿ربِّي ولا أشركُ بهِ﴾ بربِّي في العبادةِ ﴿أحدًا﴾ فليسَ ذلكَ ببدع ولا مستنكرٍ يوجبُ التعجبَ أو الإطباقَ على عداوتِي. وقرئَ (قالَ)[٣] على أنَّه حكايةٌ لقولِه عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ للمتراكمينَ عليهِ والأولُ هُو الأظهرُ والأوفقُ لقولِه تعالى: ﴿قُلْ إنِّي لا أملكُ لكُم ضَرا ولا رَشَدًا﴾ كأنَّه أريدَ لا أملكُ لكُم ضرا ولا نفعًا ولا غيا ولا رشدًا فتركَ منْ كِلا المتقابلينِ ما ذُكِرَ في الآخر.

﴿قل إني لنْ يجيرنِي منَ الله أحدٌ﴾ إنْ أرادني بسوءٍ ﴿ولن أجدَ من دُونِه مُلتحدًا﴾ ملتجأً ومعدلًا هذا بيانٌ لعجزِه عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ عن شؤونِ نفسِه بعد بيانِ عجزِه عليهِ الصَّلاةُ والسَّلاةُ عن شؤونِ غيرِه.

وقولُه تعالى: ﴿إلا بلاغًا من الله﴾ استثناءٌ من قولِه لا أملكُ، فإنَّ التبليغَ إرشادٌ ونفعٌ وما بينهما اعتراضٌ مؤكدٌ لنفي الاستطاعة أو منْ مُلتحدًا أي لنْ أجدَ من دونه منجًا إلا أنْ أُبلغَ عنه ما أَرسلنِي به، وقيلَ: إلاَّ مركبةٌ من إنِ الشرطيةِ ولا النافيةِ ومعناهُ ألاَ أبلغَ بلاغًا من الله والجوابُ محذوفٌ لدلالة ما قبلَهُ عليهِ ﴿ورسالاتِه﴾ عطفٌ على بلاغًا ومن الله صفتُه لا صلتُه أي لا أملكُ لكُم إلا تبليغًا كائنًا منهُ تعالى ورسالاتِه التي أرسلني بها ﴿ومن يعصِ الله ورسولَهُ﴾ في [الأمر][٤] بالتوحيد إذ الكلامُ فيه ﴿فإنَّ له نارَ جهنَم﴾ وقرئَ بفتح الهمزة[٥] على معنى فحقُّه أو فجزاؤه أنَّ له نارَ جهنَم ﴿خالدينَ فيَها﴾ في النار أو في جهنمَ والجمعُ باعتبارِ المَعْنى ﴿أبدًا﴾ بلا نهايةٍ.

---

(١) قرأ بها: أبو عمرو، وابن محيصن، والحسن، والجحدري، وأبو حيوة، وابن السميفع، وأبو الأشهب العقيلي.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٢٦)، والبحر المحيط (٨/ ٣٥٣)، وتفسير القرطبي (١٩/ ٢٤)، والمجمع للطبرسي (١٠/ ٣٧٠)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٣٣٤)، والمعاني للفراء (٣/ ١٩٤).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣/ ٣٢٣)، والطبري (٢٩/ ١١٨)، وعبد بن حميد، وابن المنذر كما في الدر المنثور (٨/ ٣٠٨).

(٣) قرأ بها: أبو عمرو، وابن عامر، ونافع، وابن كثير، والكسائي، وخلف، ويعقوب، وعلي بن أبي طالب، والسلمي.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٢٦)، والبحر المحيط (٨/ ٣٥٣)، والتيسير للداني ص (١٢٥)، والسبعة لابن مجاهد ص (٦٥٧)، والمعاني للفراء (٣/ ١٩٥).

(٤) سقط في خ.

(٥) قرأ بها: طلحة بن مصرف.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٣٥٤)، والتبيان للطوسي (١٠/ ١٥٨).

وقولُه تعالى: ﴿**حتى إذا رَأوا ما يُوعدون**﴾ غايةٌ لمحذوف يدلُّ عليه الحالُ من استضعاف الكفارِ لأنصارِه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ واستقلالِهم لعدده كأنَّه قيلَ لا يزالونَ على ما هُم عليهِ حتَّى إذَا رَأَوا ما يُوعدونَ من فنون العذابِ في الآخرة ﴿**فسيعلمون**﴾ حينئذٍ ﴿**من أضعفُ نَاصرًا وأقلُّ عددًا**﴾ وحُمل ما يُوعدونَ على ما رأوه يوم بدر يأباه قوله تعالى: ﴿**قل إنْ أدرِي**﴾ أي ما أدْرِي ﴿**أقريبٌ ما تُوعدون أم يجعلُ له ربِّي أمدًا**﴾ فإنه ردٌّ لما قالَه المشركونَ عند سماعِهم ذلكَ متَى يكونُ ذلكَ الموعدُ إنكارًا له واستهزاءً به فقيلَ قُل إنه كائنٌ لا محالةَ وأما وقتُه فما أدْرِي متَى يكونُ ﴿**عالمُ الغيبِ**﴾ بالرفعِ قيل: هو بدلٌ من ربِّي أو عطفُ بيانٍ له ويأباهُ الفاءُ في قوله تعالَى ﴿**فلا يظهر على غيبِهِ أحَدًا**﴾ إذ[1] يكونُ النظمُ حينئذٍ أمْ يجعلُ له عالمُ الغيبِ أمدًا فلا يُظهر عليهِ أحدًا، وفيهِ من الاختلالِ ما لا يَخْفى فهو خبرُ مبتدأٍ محذوفٍ أيْ هُو عالمُ الغيبِ. والجملةُ استئنافٌ مُقررٌ لما قبلَهُ من عدم الدرايةِ والفاءُ لترتيب عدم الإظهارِ على تفرده تعالى[2] بعلم الغيبِ على الإطلاق أي فلا يُطلعُ على غيبه إطلاعًا كاملًا ينكشفُ به جليةُ الحالِ انكشافًا تاما موجبًا لعين اليقينِ أحدًا من خلقه ﴿**إلا منِ ارتضَى من رسولٍ**﴾ أي إلا رسولًا ارتضاهُ لإظهارِه على بعضِ غيوبهِ المتعلقةِ برسالتِه كما يُعربُ عنه بيانُ من ارتضَى بالرسول تعلقًا تاما إما لكونه من مبادئِ رسالتِه بأنْ يكونَ معجزةً دالةً على صحتها وإما لكونه[3] من أركانِها وأحكامِها كعامَّة التكاليفِ الشرعيةِ التي أُمرَ بها المكلفونَ، وكيفياتِ أعمالِهم وأجزيتِها المترتبةِ عليها في الآخرةِ وما تتوقفُ هيَ عليهِ من أحوالِ الآخرةِ التي من جُمْلتِها قيامُ الساعةِ والبعثُ وغيرُ ذلكَ من الأمورِ الغيبيةِ التي بيانُها [من][4] وظائفِ الرسالةِ، وأما ما لا يتعلقُ بها على أحد الوجهينِ من الغيوبِ التي من جُمْلتِها وقتُ قيامِ الساعةِ فلا يُظهر عليهِ أحدًا أبدًا على أنَّ بيانَ وقتِه مخلٌّ بالحكمةِ التشريعيةِ التي عليها يدورُ فلكُ الرسالةِ وليسَ فيه ما يدلُّ على نفي كراماتِ الأولياءِ المتعلقةِ بالكشفِ فإنَّ اختصاصَ الغايةِ القاصيةِ من مراتب الكشفِ بالرسل لا يستلزمُ عدمَ حصولِ مرتبةٍ مَا منْ تلكَ المراتبِ لغيرِهم أصلًا ولا يدَّعِي أحدٌ لأحدٍ من الأولياءِ ما في رتبةِ الرُّسلِ عليهم السَّلامُ من الكشفِ الكاملِ الحاصلِ بالوحي الصريحِ.

وقولُه تعالَى: ﴿**فإنه يسلُك من بين يديهِ ومن خلفِه رَصَدًا**﴾ تقريرٌ وتحقيقٌ

---

(١) في خ: إن.
(٢) في خ: أي.
(٣) في خ: لكونها.
(٤) سقط في خ.

للإظهارِ المستفادِ من الاستثناءِ وبيانٌ لكيفيته أي فإنَّه يسلكُ من جميع جوانبِ الرسولِ عليه السَّلامُ عند إظهارِه على غيبه حرسًا من الملائكةِ يحرسُونه من تعرضِ الشياطينِ لما أظهَرُه عليهِ من الغيوبِ المتعلقةِ برسالتِه.

وقولُه تعالى: ﴿**ليعلمَ أنْ قَدْ أبلغُوا رسالاتِ ربِّهم**﴾ متعلقٌ بـ (يسلكُ) غايةٌ لهُ من حيثُ إنَّه مترتبٌ على الإبلاغ المترتبِ عليه إذ المرادُ به العلمُ المتعلقُ بالإبلاغ الموجود بالفعلِ، وأنْ مخففةٌ من الثقيلةِ واسمُها الذي هو ضميرُ الشأنِ محذوفٌ والجملةُ خبرُها، ورسالاتِ ربِّهم عبارةٌ عن الغيبِ الذي أُريدَ إظهارُ المُرتضَى عليهِ والجمعُ باعتبار تعددِ أفرادِه، وضميرُ أبلغُوا إمَّا للرصَدِ فالمَعْنى أنَّه تعالَى يسلُكهم من جميع جوانبِ المرتَضى ليعلمَ أنَّ الشأنَ قد أبلغُوه رسالاتِ ربِّهم سالمةً عن الاختطافِ والتخليط علمًا مستتبعًا للجزاءِ، وهُو أنْ يعلَمُه موجودًا حاصلًا بالفعل كَما في قولِه تعالى: ﴿حتَّى نعلَم المجاهدينَ﴾ [سورة محمد، الآية ٣١] والغايةُ في الحقيقه هو الإبلاغُ والجهادُ وإيرادُ علمهِ تعالَى لإبراز اعتنائِه تعالى بأمرِهما والإشعار بترتيب الجزاءِ عليهما والمبالغة في الحثِّ عليهما والتحذير عن التفريط فيهما وإما لمن ارتضَى والجمعُ باعتبارِ مَعْنى مَنْ كَما أنَّ الإفرادَ في الضميرين السابقينِ باعتبار لفظِهما فالمَعْنى ليعلمَ أنَّه قد أبلغَ الرسلَ الموحَى إليهم رسالات ربِّهم إلى أُممهم كما هيَ من غير اختطافٍ ولا تخليطٍ بعد ما أبلغها الرصَدُ إليهم كذلكَ. وقولُه تعالَى: ﴿**وأحاطَ بما لديهم**﴾ أيْ بَما عندَ الرَّصَدِ أو الرُّسلِ عليهم السَّلامُ حالٌ من فاعلِ يسلكُ بإضمارِ قَدْ أو بدونِه على الخلافِ المشهورِ جيءَ بها لتحقيقِ استغنائِه[١] تعالى في العلمِ بالإبلاغِ عمَّا ذُكِرَ من سلكِ الرصدِ على الوجه المذكورِ أي يسلكُهم بينَ يديه ومن خلفه [يترتبُ عليه][٢] علمُه تعالَى [بما ذُكِرَ][٣] والحالُ أنَّه تعالَى قد أحاطَ بما لديِهم من الأحوالِ جميعًا.

﴿**وأحْصَى كلَّ شيءٍ**﴾ مما كانَ وما سيكونُ ﴿**عددًا**﴾ أي فردًا فردًا وهُو تمييزٌ منقولٌ من المفعول به كقوله تعالَى: ﴿وفجَّرنَا الأرضَ عيونًا﴾ [سورة القمر، الآية ١٢] والأصلُ أحصَى عددَ كلِّ شيءٍ وقيلَ: هو حالٌ أي معدودًا محصورًا أو مصدرٌ بمَعْنى إحصاءً وأيّا ما كان ففائدتُه بيانُ أنَّ علمَهُ تعالَى بالأشياء ليس على وجهٍ كليٍّ إجماليٍّ بلْ على وجهٍ جزئيٍّ تفصيليٍّ فإنَّ الإحصاءَ قد يرادُ به الإحاطةُ الإجماليةُ

(١) في خ: الاستغناء به.
(٢) في خ: بترتيب.
(٣) في خ: بالذكر.

كما في قولِه تعالى: ﴿وإن تعدُّوا نعمةَ الله لا تُحصوها﴾ [سورة إبراهيم، الآية ٢٤. وسورة النحل، الآية ١٨] أي لا تقدروا على حصرها إجمالًا فضلًا عن التفصيلِ وذلكَ لأنَّ أصلَ الإحصاءِ أنَّ الحاسبَ إذا بلغ عَقدًا معينًا من عُقودِ الأعدادِ كالعشرةِ والمائةِ والألفِ وضعَ حصاةً ليحفظَ بها كميةَ ذلكَ العقدِ فيبنِي عَلَى ذلكَ حسابَهُ هذا وأمَّا مَا قيلَ: مِنْ أنَّ قولَه تعالى: ﴿وأحاطَ بما لديهِم﴾ [سورة الجن، الآية ٢٨]. . .إلخ معطوفٌ على مقدرٍ يدلُّ عليه قولُه تعالى ليعلمَ كأنه قيل: قد علمَ ذلكَ وأحاطَ بما لديهم. . .إلخ فبمعزلٍ من السدادِ.

عن النبي ﷺ: **«مَنْ قرأَ سورةَ الجنِّ كانَ لهُ بعددِ كُلِّ جِنِّيٍّ صدَّقَ مُحمدًا ﷺ وَكذَّبَ به عتقُ رقبةٍ»**[1].

---

(١) تقدم تخريجه، وزاد في خ: والله الموفق بمنه وكرمه.

سُورَةُ المُزَّمِّلِ

مَكِّيَّةٌ وآيُها [تسع عَشرةَ أوْ][1] عشرونَ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٢﴾ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ
ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا وَأَقۡوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾ إِنَّ
لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا طَوِيلٗا ﴿٧﴾ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ﴿٨﴾ رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ
إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا ﴿٩﴾ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ﴿١٠﴾ وَذَرۡنِي وَٱلۡمُكَذِّبِينَ أُوْلِي
ٱلنَّعۡمَةِ وَمَهِّلۡهُمۡ قَلِيلًا ﴿١١﴾ إِنَّ لَدَيۡنَآ أَنكَالٗا وَجَحِيمٗا ﴿١٢﴾ وَطَعَامٗا ذَا غُصَّةٖ وَعَذَابًا أَلِيمٗا ﴿١٣﴾ يَوۡمَ تَرۡجُفُ
ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلۡجِبَالُ كَثِيبٗا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ رَسُولٗا شَٰهِدًا عَلَيۡكُمۡ كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ
فِرۡعَوۡنَ رَسُولٗا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرۡعَوۡنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذۡنَٰهُ أَخۡذٗا وَبِيلٗا ﴿١٦﴾ فَكَيۡفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرۡتُمۡ يَوۡمٗا
يَجۡعَلُ ٱلۡوِلۡدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرُۢ بِهِۦۚ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَفۡعُولًا ﴿١٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ
ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿١٩﴾ ۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٞ مِّنَ
ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ عَلِمَ أَن
سَيَكُونُ مِنكُم مَّرۡضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ
فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُۚ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗاۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ
تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٗا وَأَعۡظَمَ أَجۡرٗاۚ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمُۢ ﴿٢٠﴾

﴿يَا أيُّها المُزَّمِّلُ﴾ أي المُتزمِّلُ، مِنْ تزمَّلَ بثيابِه إذَا تلفَّف بها فأُدْغمَ التاءُ في الزَّاي وقَدْ قرئ[2] عَلى الأصلِ وقرئ المُزَمَّلُ[3] من زمَّلَ مبنيا للمفعولِ ومبنيا

---

(١) سقط في خ.

(٢) قرأ بها: أبي.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٣٦٠)، وتفسير القرطبي (١٩/ ٣١)، والكشاف للزمخشري (٤/ ١٧٤).

(٣) قرأ بها: عكرمة.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٣٦٠)، وتفسير القرطبي (١٩/ ٣٢)، وتفسير الرازي (٣٠/ ١٧١).

للفاعلِ[١]. وقيلَ: خُوطِبَ به النبيُّ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ تهجينًا لما كانَ عليهِ من الحالةِ، حيثُ كانَ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ متلففًا بقطيفةٍ مُستعدًا للنوم كما يفعلهُ مَنْ لا يَهمُّهُ أمرٌ ولا يعنيهِ شأنٌ فأُمرَ بأنْ يتركَ التزملَ إلى التشمر للعبادةِ والهجودِ إلى التهجدِ، وقيلَ: دخلَ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ على خديجةَ وقد جَئِثَ فرقًا[٢] أولَ ما أتاهُ جبريلُ عليهما السَّلامُ وبوادُره ترعدُ فقالَ زَمِّلوني زَمِّلونِي فحسبَ أنَّه عرضَ له فبينَا هو على ذلك إذْ ناداهُ جبريلُ فقال: يا أيُّها المزمِّلُ[٣] فيكونُ تخصيصُ وصفِ التزمُّلِ[٤] بالخطابِ للملاطفةِ والتأنيس، كما في قولِه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ لعليٍّ رضيَ الله عنه حينَ غاضبَ فاطمةَ رضيَ الله عنها فأتاهُ وهو نائمٌ وقد لصقَ بجنبهِ الترابُ قُمْ يا أبا تُرابٍ[٥] ملاطفةً له وإشعارًا بأنَّه غيرُ عاتبٍ عليه، وقيلَ المعْنى: يا أيُّها الذي زُمِّلَ أمْرًا عظيمًا هُو أمرُ النبوةِ أي حملَه والزملُ الحملُ وازدملَهُ أي احتملَهُ، فالتعرضُ للوصفِ حينئذٍ للإشعارِ بعلِّيتهِ[٦] للقيامِ، أو للأمرِ به فإنَّ تحميلَهُ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ لأعباءِ النبوةِ مما يوجبُ الاجتهادَ في العبادةِ ﴿قُمِ الليلَ﴾ أيْ قُمْ إلى الصلاةِ. وانتصابُ الليلِ على الظرفيةِ وقيل: القيامُ مستعارٌ للصلاةِ ومَعْنى قُمْ صَلِّ. وقرئ[٧] بضمِّ الميمِ وبفتحِها[٨].

---

(١) قرأ بها: عكرمة.
ينظر: الإملاء للعكبري (٢/ ١٤٥)، والبحر المحيط (٨/ ٣٦٠)، وتفسير القرطبي (١٩/ ٣٢)، والمجمع للطبرسي (١٠/ ٣٧٥)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٣٣٥).

(٢) جئث فرقاً: ذُعِر وخاف، وقد جئث إذا أُفزع فهو مجؤوث أي مذعور.

(٣) قال الزيلعي في «تخريج الكشاف» (٤/ ١٠٨) غريب.
قلت: أصله في الصحيحين.
أخرجه البخاري (١/ ٣٢-٣٣) كتاب بدء الوحي حديث (٣) ومسلم (١/ ٤٥٥-الأبي) كتاب الإيمان: باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ حديث (٢٥٢/ ١٦٠) من حديث عائشة.

(٤) في خ: التخصيص.

(٥) أخرجه مسلم (٤/ ١٨٧٥) كتاب فضائل الصحابة، باب: من فضائل علي بن أبي طالب برقم (٣٨/ ٢٤٠٩) من حديث سهل بن سعد.

(٦) في خ: بغلبته.

(٧) قرأ بها: أبو السمال.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٣٦٠)، وتفسير القرطبي (١٩/ ٣٣)، والمجمع للطبرسي (١٠/ ٣٧٥)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٣٣٥)، وتفسير الرازي (٣٠/ ١٧٢).

(٨) قرأ بها: أبو السمال.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٣٦٠)، وتفسير القرطبي (١٩/ ٣٣)، والمجمع للطبرسي (١٠/ ٣٧٥)، وتفسير الرازي (٣٠/ ١٧٢).

﴿إلا قليلًا﴾ استثناءٌ من الليلِ. وقولُه تعالى: ﴿نصفَهُ﴾ بدلٌ من الليلِ الباقي بعدَ الثُّنيا بدلَ الكُلِّ أيْ قُمْ نصفَهُ، والتعبيرُ عن النصفِ المُخرَجِ بالقليل لإظهارِ كمالِ الاعتدادِ بشأنِ الجزءِ المُقَارِنِ للقيام والإيذانِ بفضلِه وكونِ القيامِ فيهِ بمنزلةِ القيامِ في أكثرِه في كثرةِ الثوابِ، واعتبارُ قلتهِ[١] بالنسبةِ إلى الكلِّ مع عرائِه عن الفائدةِ خلافُ الظَّاهرِ.

﴿أو انقُص منه﴾ أي انقُص القيامَ من النصفِ المقارنِ له في الصُّورة الأولى ﴿قليلًا﴾ أي نقصًا قليلًا أو مقدارًا قليلًا بحيثُ لا ينحطُّ إلى نصف النصفِ ﴿أو زِدْ عليهِ﴾ أي زِدِ القيامَ على النصف المقارِنِ له فالمَعْنى تخييرُه عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ بينَ أنْ يقومَ نصفَهُ أو أقلَّ منه أو أكثرَ وقيلَ: قولُه تعالَى نصفَهُ بدلٌ من قليلًا والتخييرُ بحالهِ، وليس بسديدٍ.

أمَّا أولًا فلأنَّ الحقيقَ بالاعتناءِ الذي ينبئُ عنْهُ الإبدالُ هو الجُزءُ الباقي بعد الثُّنيا المقارِنُ للقيامِ لا الجزءُ [المُخَرجُ العارِي][٢] عنه.

وأمَّا ثانيًا فلأنَّ نقصَ القيام وزيادتَهُ إنما يُعتبرانِ بالقياسِ إلى معياره الذي هو النصفُ المقارِنُ له فلو جُعلَ نَصفَهُ بدلًا من قليلًا لزمَ اعتبارُ نقصِ القيامِ وزيادتِه بالقياسِ إلى ما هُو عارٍ عنه بالكُليَّةِ، والاعتذارُ بتساوي النصفينِ[٣] مع كونِه تمحلًا ظاهرًا اعترافٌ بأنَّ الحقَّ هو الأولُ.

وقيلَ: نصفَهُ بدل من الليل وإلاَّ قليلًا استثناءٌ من النصف، والضميرُ في منه وعليه للنصف والمعنى التخييرُ بينَ أمرينِ بينَ أن يقومَ أقلَّ من نصف الليلِ على البتاتِ وبينَ أنْ يختارَ أحدَ الأمرينِ وهُمَا النقصانُ من النصفِ والزيادةُ عليهِ. وقيلَ: الضميرانِ للأقلِّ منَ النصفِ كأنَّه قيلَ: قُم أقلَّ من نصفهِ أو قُم أنقصَ من ذلكَ الأقلِّ أو أزيدَ منهُ قليلًا. وقيلَ: والذي يليقُ بجزالة التنزيلِ هو الأولُ والله أعلمُ بما في كتابه الجليلِ. ﴿ورتِّلِ القُرآنَ﴾ في أثناءِ ما ذُكِرَ من القيام أي اقرأْهُ على تُؤدةٍ وتبيين حروفٍ ﴿ترتيلًا﴾ بليغًا بحيثُ يتمكنُ السامعُ من عدِّها من قولِهم ثغرٌ رتْلٌ ورتِلٌ إذا كانَ مُفلَّجًا.

﴿إنَّا سنُلْقي عليكَ﴾ أن سنُوحي إليكَ وإيثارُ الإلقاءِ عليه لقوله تعالى: ﴿قولًا ثقيلًا﴾.

وهو القرآنُ العظيمُ المنطوي على تكاليفَ شاقةٍ ثقيلةٍ على المُكلفينَ لا سيَّما على الرسولِ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ فإنَّه عليهِ الصَّلاةُ والسَّلام مأمورٌ بتحملها وتحميلها للأمة، والجملةُ اعتراضٌ بين الأمرِ وتعليلِهِ لتسهيل ما كُلِّفهُ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ من القيامِ.

وقيلَ: مَعْنَى كونه ثقيلًا أنه رصينٌ لرزانة لفظهِ ومتانة معناهُ أو ثقيلٌ على المتأمل

---

(١) زاد في خ: والقيام.

(٢) في خ: والمخرج العادي.

(٣) زاد في خ: في النوعين.

فيهِ لافتقارِه إلى مزيد تصفيةٍ للسرِّ وتجريدٍ للنظرِ أو ثقيلٌ في الميزان أو على الكفار والفجارِ أو ثقيلٌ تلقيه.

عن ابن عباسٍ رضيَ الله عنهما كانَ إذا نزلَ عليه الوحيُ ثقُلَ عليه وتربَّدَ له جلدُه، وعن عائشةَ رضيَ الله تعالى عنها رأيتُه ينزلُ عليه الوحيُ في اليومِ الشديدِ البردِ فيفصمُ عنه وإن جبينَهُ ليرفضُّ عرقًا[١].

﴿إنَّ ناشئةَ الليلِ﴾ أي إنَّ النفسَ التي تنشأ من مضجعِها إلى العبادةِ أي تنهضُ، من نَشَأ من مكانه إذا نهضَ أو إنَّ[٢] قيامَ الليلِ على أنَّ الناشئةَ مصدرٌ من نشَأ كالعافية أو إنَّ العبادةَ التي تنشأُ بالليلِ أي تحدثُ أوانَ ساعاتِ الليلِ فإنَّها تحدثُ واحدةً بعدَ واحدةٍ، أو ساعاتها الأولُ من نَشأ إذا ابتدأ.

﴿هي أشدُّ وطأً﴾ أي هي خاصَّةٌ أشدُّ ثبات قدمٍ أو كلفةً فلا بدَّ من الاعتناءِ بالقيامِ. وقرئ وطاءً[٣] أي أشدُّ مواطأةً يواطئ قبلهاً لسانَها إن أريدَ بها النفسُ أو يواطئ فيها قلبُ القائمِ لسانَه إنْ أُريدَ بها القيامُ أو العبادةُ أو الساعاتُ أو أشدُّ موافقةً لما يرادُ من الخشوعِ والإخلاصِ ﴿وأقومُ قيلًا﴾ وأسدُّ مقالًا وأثبتُ قراءةً لحضورِ القلبِ وهدوءِ الأصواتِ ﴿إنَّ لكَ في النهار سبْحًا طويلًا﴾ أي تقلبًا وتصرفًا في مهمَّاتِك واشتغالًا بشواغلك فلا تستطيع أن تتفرغَ للعبادةِ فعليكَ بها في الليلِ وهذا بيانٌ للداعي الخارجي إلى قيامِ الليلِ بعدَ بيانِ ما في نفسِه من الدَّاعي. وقرئ سَبْخًا[٤] أي تفرقَ قلبٍ بالشواغلِ مستعارٌ من سبخِ الصوفِ وهو نفشُه ونشرُ أجزائِه. ﴿واذكر اسمَ ربِّكَ﴾ ودُمْ[٥] على ذِكرِه تعالى ليلًا ونهارًا على أيِّ وجهٍ كانَ من تسبيحٍ وتهليلٍ وتحميدٍ وصلاة وقراءةِ قُرآن ودراسةِ علمٍ. ﴿وتبتَّلْ إليه﴾ أيْ وانقطعْ إليهِ

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ٢٧-٢٨) كتاب بدء الوحي حديث (٢) عن عائشة وفيه وإن جبينه ليتفصد عرقًا.
قال الزيلعي في «تخريج الكشاف» (٤/ ١٠٩): وهو في الثعلبي: ليرفَضُّ.

(٢) في خ: فإن.

(٣) قرأ بها: أبو عمرو، وابن عامر، واليزيدي، والحسن، وابن محيصن، وأبو العالية، ومجاهد، وحميد، ويونس، وابن أبي إسحاق، والمغيرة، وأبو حيوة.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٢٦)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٤٦)، والبحر المحيط (٨/ ٣٦٣)، والتبيان للطوسي (١٠/ ١٦٠)، والتيسير للداني ص (٢١٦)، والغيث للصفاقسي ص (٣٧٥).

(٤) قرأ بها: ابن يعمر، وعكرمة، وابن أبي عبلة، والضحاك، وأبو وائل.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٣٦٣)، والتبيان للطوسي (١٠/ ١٦٣)، والكشاف للزمخشري (٤/ ١٧٦)، والمعاني للفراء (٣/ ١٩٧)، وتفسير الرازي (٣٠/ ١٧٧).

(٥) في خ: أي دم.

بمجامعِ الهمةِ[١] واستغراقِ العزيمةِ في مراقبتِه، وحيثُ لم يكن ذلك إلا بتجريدِ نفسهِ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ عن العوائقِ الصَّادةِ عن مراقبةِ الله تعالى وقطعِ العلائقِ عمَّا سواهُ قيلَ: ﴿تبتيلًا﴾ مكان تبتلًا مع ما فيهِ من رعايةِ الفواصلِ.

﴿ربُّ المشرقِ والمغربِ﴾ مرفوعٌ على المدح وقيلَ: على الابتداء، خبرُهُ: ﴿لا إلَهَ إلاَّ هُوَ﴾ وقرئ بالجرِّ[٢] على أنَّه بدل من ربِّكَ، وقيلَ: على إضمار حرفِ القسمِ جوابُه لا إله إلاَّ هُو. والفاءُ في قوله تعالى: ﴿فاتَّخِذْهُ وكيلًا﴾ لترتيب الأمرِ وموجبِهِ على اختصاصِ الألوهيةِ والربوبيةِ به تعالَى: ﴿واصبرْ على ما يقولون﴾ مما لا خيرَ فيه منَ الخُرافاتِ[٣] ﴿واهجرهم هجرًا جميلًا﴾ بأنْ تجانبَهم وتداريَهم[٤] ولا تكافئَهم وتكلَ أمورَهُم إلى ربِّهم كما يعربُ عنه قولُه تَعالَى: ﴿وذَرْني والمكذبينَ﴾ أي دعني وإيَّاهم وكلْ أمرَهُم إليَّ فإنِّي أكفيكَهُمْ ﴿أولي النعمةِ﴾ أربابِ التنعمِ وهم صناديدُ قريشٍ ﴿ومهلهم قليلًا﴾ زمانًا قليلًا ﴿إن لدينا أنكالًا﴾ جمعُ نِكْلٍ وهوَ القيدُ الثقيلُ. والجملةُ تعليلٌ للأمرِ أيْ إنَّ لدينا أمورًا مضادة لتنعمِهم ﴿وجحيمًا * وطعامًا ذا غُصَّةٍ﴾ ينشَبُ[٥] في الحُلوقِ ولا يكادُ يُسَاغُ كالضَّريعِ و[٦]الزقُّوم ﴿وعذابًا أليمًا﴾ ونوعًا آخرَ من العذابِ مُؤلمًا لا يُقادرُ قدره ولا يُدْرك كنههِ، كلُّ ذلك معدٌّ لهم ومرصدٌ.

وقولُه تعالى: ﴿يومَ ترجفُ الأرضُ والجبالُ﴾ أي تضطربُ وتتزلزلُ، ظرفٌ للاستقرار الذي تعلقَ به لدينا، وقيلَ: متعلقٌ بمضمر هو صفةٌ لعذابًا أي عذابًا واقعًا يومَ ترجفُ ﴿وكانتِ الجبالُ﴾ مع صلابتها وارتفاعها ﴿كثيبًا﴾ رملًا مجتمعًا من كثب الشيء إذا جَمَعَهُ كأنَّه فعِيلٌ بمعنى مفعولٍ. ﴿مهيلًا﴾ منثورًا من هِيلَ هَيلًا إذا نُثِرَ وأُسيلَ.

﴿إنَّا أرسلنا إليكُم﴾ يا أهلَ مكةَ ﴿رسولًا شاهدًا عليكم﴾ يشهدُ يومَ القيامةِ بما صدرَ عنكُم من الكفرِ والعصيانِ[٧] ﴿كما أرسلنا إلى فرعونَ رسولًا﴾ هو مُوسى عليه السَّلامُ وعدمُ تعيينهِ لعدمِ دخلِه في التشبيهِ ﴿فعصى فرعونُ الرسولَ﴾ الذي أرسلناهُ إليهِ

---

(١) في خ: المنة.

(٢) قرأ بها: حمزة، والكسائي، وابن عامر، وعاصم، وشعبة، ويعقوب، وخلف، والأعمش، وابن محيصن، وابن عباس.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٢٦)، والإعراب للنحاس (٣/ ٥٣٢)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٤٥)، والبحر المحيط (٨/ ٣٦٣)، والتبيان للطوسي (١٠/ ١٦١)، والتيسير للداني ص (٢١٦)، والسبعة لابن مجاهد ص (٦٥٨).

(٣) في خ: المخلوقات.

(٤) في خ: ولا تداريهم.

(٥) في خ: ينصب.

(٦) في خ: مع.

(٧) في خ: المعاصي.

ومحلُّ الكافِ النصبُ على أنَّها صفةٌ لمصدرٍ محذوفٍ أي إنَّا أرسلنا إليكم رسولًا فعصيتموه كما يعربُ عنه قولُه تعالى: ﴿شاهدًا عليكم﴾ [سورة المزمل، الآية ١٥] إرسالًا كائنًا كما أرسلنا إلى فرعونَ رسولًا فعصاه.

وقولُه تعالى: ﴿**فأخذناهُ أخذًا وَبيلًا**﴾ خارجٌ من التشبيه جيءَ به للتنبيه على أنَّه سيحيقُ بهؤلاءِ ما حاقَ بأولئكَ لا محالةَ والوبيلُ الثقيلُ الغليظُ من قولِهم كلأٌ وبيلٌ أي وخيمٌ لا يستمرأُ[1] لثقلهِ، والوبيلُ العَصا الضخمةُ. ﴿**فكيفَ تتقونَ**﴾ أي كيفَ تقونَ أنفسكمُ ﴿**إنْ كفرتُم**﴾ أي بقيتُم على الكفرِ ﴿**يومًا**﴾ أي عذابَ يوم ﴿**يجعلُ الولدانَ**﴾ من شدةِ هولِه وفظاعةِ ما فيهِ من الدَّواهي ﴿**شيبًا**﴾ شيوخًا جمعُ أشيبَ إما حقيقةً أو تمثيلًا وأصلهُ أنَّ الهمومَ والأحزانَ إذا تفاقمتْ على المرء ضعفتْ قُواه وأسرعَ فيه الشيبُ وقد جُوِّزَ أنْ يكونَ ذلك وصفًا لليوم بالطولِ وليس بذاكَ. ﴿**السماء منفطرٌ**﴾ أي منشقٌّ، وقرئَ مُتَفَطِّر أي متشققٌ والتذكيرُ لإجرائه على موصوفٍ مذكرٍ أي شيءٌ منفطرٌ عبَّر عنها بذلكَ للتنبه على أنَّه تبدلتْ حقيقتُها وزالَ عنها اسمها ورسمها ولم يبقَ منها إلا ما يُعبرُ عنه بالشيءِ، وقيلَ: لتأويلِ السماءِ بالسقفِ وقيلَ: هو من باب النسبِ أي ذاتُ انفطارٍ. والباءُ في قولِه تعالى: ﴿**بِهِ**﴾ مثلُها في فطرتُ العودَ بالقَدُومِ ﴿**كانَ وعدُه مفعولًا**﴾ الضميرُ لله عزَّ وجلَّ، والمصدرُ مضافٌ إلى فاعله، أو لليوم وهو مضافٌ إلى مفعولِهِ. ﴿**إنَّ هذِهِ**﴾ إشارةٌ إلى الآيات المنطويةِ على القوارع المذكورةِ ﴿**تذكرةٌ**﴾ موعظةٌ ﴿**فمنْ شاءَ اتخذَ إلى ربِّه سبيلًا**﴾ بالتقرب إليه بالإيمان والطاعةِ فإنَّه المنهاجُ الموصلُ إلى مرضاتِه تعالى.

﴿**إن ربَّك يعلمُ أنَّك تقومُ أدنى من ثُلثي الليلِ**﴾ أي أقلَّ منهما استعير له الأدنى لما أنَّ المسافةَ بين الشيئينِ إذا دنتْ قلَّ ما بينهُمَا من الأحيازِ ﴿**ونصفَهُ وثلثَهُ**﴾ بالنصب عطفًا على أدْنَى. وقُرئا بالجرِّ[2] عطفًا على ثُلثي الليلِ. ﴿**وطائفةٌ من الذينَ معَكَ**﴾ أيْ ويقومُ معكَ طائفةٌ من أصحابكَ ﴿**والله يقدرُ الليلَ والنهار**﴾ وحدهُ لا يقدرُ على تقديرهما أحدٌ أصلًا فإنَّ تقديمَ الاسم الجليلِ مبتدأً وبناءَ يقدرُ عليهِ موجبٌ للاختصاصِ قطعًا كما يُعربُ عنه قولُه تعالَى: ﴿**علم أنْ لَنْ تُحصوه**﴾ أي علمَ أنَّ الشأنَ لنْ يقدرُوا على تقدير الأوقاتِ ولن تستطيعوا ضبطَ الساعاتِ أبدًا ﴿**فتابَ**

---

(١) في خ: يستضرى.

(٢) قرأ بها: أبو عمرو، ونافع، وابن عامر، والحسن، وأبو جعفر، وشيبة، ويعقوب.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٢٧)، والإعراب للنحاس (٣/ ٥٣٧)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٤٦)، والتيسير للداني ص (٢١٦)، والغيث للصفاقسي ص (٣٧٥)، والكشاف للزمخشري (٤/ ١٧٨).

عليكم﴾ بالترخيص في تركِ القيام المقدورِ ورفعِ التبعةِ عنكُم في تركه.

﴿فاقرءوا ما تيسرَ من القرآن﴾ فصلُّوا لمَا تيسرَ لكُم من صلاة الليلِ عبرَ عن الصلاة بالقراءة كما عبَّر عنها بسائر أركانِها.

قيلَ[١]: كانَ التهجدُ واجبًا على التخيير المذكورِ فعسُرَ عليهم القيامُ به فنُسِخَ به ثم نُسخَ هذا بالصلوات الخمسِ.

وقيلَ: هي قراءة القُرآنِ بعينها قالُوا مَنْ قَرأَ مائةَ آيةٍ من القرآنِ في ليلةٍ لم يحاجَّهُ وقيلَ: «من قرأ مائةَ آيةٍ كُتبَ من القانتينَ»[٢] وقيلَ: خمسينَ آية:

﴿علمَ أنْ سيكونُ منكُم مَرضى﴾ استئنافٌ مبينٌ لحكمةٍ أخرى داعيةٍ إلى الترخيصِ والتخفيفِ.

﴿وآخرونَ يضربونَ في الأرضِ﴾ يسافرونَ فيها للتجارةِ **﴿يبتغونَ من فضل الله﴾** وهو الربحُ وقد عُمِّمَ ابتغاءَ الفضلِ لتحصيل العلم **﴿وآخرونَ يقاتلونَ في سبيل الله﴾** وإذا كانَ الأمرُ كما ذُكِرَ وتعاضدت الدواعي إلى الترخيص **﴿فاقرءوا ما تيسرَ منْهُ﴾** من غير تحملِ المشاقِّ **﴿وأقيموا الصلاة﴾** أي المفروضةَ **﴿وآتوا الزكاةَ﴾** الواجبةَ وقيلَ: هي زكاةُ الفطرِ إذْ لم يكن بمكةَ زكاةٌ ومن فسرهَا بالزكاةِ المفروضةِ جعَلَ آخرَ السورةِ مدنيًّا **﴿وأقرضُوا الله قرضًا حسنًا﴾** أُريدَ به الإنفاقاتُ في سبيلِ[٣] الخيراتِ أو أداءِ الزكاةِ على أحسنِ الوجوهِ وأنفعها للفقراءِ **﴿وما تقدمُوا لأنفسِكم من خيرٍ﴾** كان[٤] مما ذُكَر ومَا لم يُذكرْ **﴿تجدُوه عند الله هو خيرًا وأعظمَ أجرًا﴾** منَ الذي تؤخرونَه إلى الوصيةِ عند الموتِ وخيرًا ثاني مفعولَيْ تجدُوا وهو تأكيدٌ أو فصلٌ وإنْ لم يقعْ بينَ معرفتينِ فإن أفعلَ من في حُكمِ المعرفةِ ولذلكَ يمتنعُ من حرفِ التعريفِ وقرئَ (هو خيرٌ)[٥] على الابتداءِ والخبرِ. **﴿واستغفُروا الله﴾** في كافة أحوالِكم فإنَّ الإنسانَ قلَّما يخلو من[٦] تفريط **﴿إنَّ الله غفورٌ رحيمٌ﴾**.

عن النبيِّ ﷺ: «مَنْ قَرأ سورةَ المزملِ دفعَ[٧] الله عنه العُسرَ في الدُّنيا والآخرةِ»[٨].

---

(١) في خ: كأنه قيل.

(٢) أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة ص(٦٢٢، ٦٤٠) من طرق عن أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعًا.

(٣) في ط: سبل.

(٤) في خ: إن كان.

(٥) قرأ بها: أبو السمال، وابن السميفع.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٣٦٧)، وتفسير الرازي (٣٠/ ١٨٨).

(٦) في خ: عن.

(٧) في خ: رفع.

(٨) تقدم تخريجه، وزاد في خ: ورزقه اليسر فيها.

سورةُ المدثر

مكيةٌ وآيُها ستٌّ وخمْسونَ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ (١) قُمۡ فَأَنذِرۡ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ (٤) وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ (٥) وَلَا
تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ (٦) وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ (٧) فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ (٨) فَذَٰلِكَ يَوۡمَئِذٖ يَوۡمٌ عَسِيرٌ (٩) عَلَى
ٱلۡكَٰفِرِينَ غَيۡرُ يَسِيرٖ (١٠) ذَرۡنِي وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدٗا (١١) وَجَعَلۡتُ لَهُۥ مَالٗا مَّمۡدُودٗا (١٢) وَبَنِينَ شُهُودٗا
(١٣) وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمۡهِيدٗا (١٤) ثُمَّ يَطۡمَعُ أَنۡ أَزِيدَ (١٥) كَلَّآۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِأٓيَٰتِنَا عَنِيدٗا (١٦) سَأُرۡهِقُهُۥ
صَعُودًا (١٧) إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (١٨) فَقُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ (١٩) ثُمَّ قُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ (٢٠) ثُمَّ نَظَرَ (٢١) ثُمَّ عَبَسَ
وَبَسَرَ (٢٢) ثُمَّ أَدۡبَرَ وَٱسۡتَكۡبَرَ (٢٣) فَقَالَ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ يُؤۡثَرُ (٢٤) إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا قَوۡلُ ٱلۡبَشَرِ (٢٥)
سَأُصۡلِيهِ سَقَرَ (٢٦) وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سَقَرُ (٢٧) لَا تُبۡقِي وَلَا تَذَرُ (٢٨) لَوَّاحَةٞ لِّلۡبَشَرِ (٢٩) عَلَيۡهَا تِسۡعَةَ عَشَرَ
(٣٠) وَمَا جَعَلۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةٗۙ وَمَا جَعَلۡنَا عِدَّتَهُمۡ إِلَّا فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيَسۡتَيۡقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ
ٱلۡكِتَٰبَ وَيَزۡدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنٗاۙ وَلَا يَرۡتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡكَٰفِرُونَ
مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَۚ وَمَا هِيَ إِلَّا
ذِكۡرَىٰ لِلۡبَشَرِ (٣١) كَلَّا وَٱلۡقَمَرِ (٣٢) وَٱلَّيۡلِ إِذۡ أَدۡبَرَ (٣٣) وَٱلصُّبۡحِ إِذَآ أَسۡفَرَ (٣٤) إِنَّهَا لَإِحۡدَى ٱلۡكُبَرِ (٣٥)
نَذِيرٗا لِّلۡبَشَرِ (٣٦) لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَتَقَدَّمَ أَوۡ يَتَأَخَّرَ (٣٧) كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ رَهِينَةٌ (٣٨) إِلَّآ أَصۡحَٰبَ
ٱلۡيَمِينِ (٣٩) فِي جَنَّٰتٖ يَتَسَآءَلُونَ (٤٠) عَنِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ (٤١) مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ (٤٢) قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ
ٱلۡمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمۡ نَكُ نُطۡعِمُ ٱلۡمِسۡكِينَ (٤٤) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلۡخَآئِضِينَ (٤٥) وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ
(٤٦) حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلۡيَقِينُ (٤٧) فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ (٤٨) فَمَا لَهُمۡ عَنِ ٱلتَّذۡكِرَةِ مُعۡرِضِينَ (٤٩)
كَأَنَّهُمۡ حُمُرٞ مُّسۡتَنفِرَةٞ (٥٠) فَرَّتۡ مِن قَسۡوَرَةِۭ (٥١) بَلۡ يُرِيدُ كُلُّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ أَن يُؤۡتَىٰ صُحُفٗا مُّنَشَّرَةٗ
(٥٢) كَلَّاۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلۡأٓخِرَةَ (٥٣) كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذۡكِرَةٞ (٥٤) فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ (٥٥) وَمَا
يَذۡكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ هُوَ أَهۡلُ ٱلتَّقۡوَىٰ وَأَهۡلُ ٱلۡمَغۡفِرَةِ (٥٦)

﴿يا أيُّها المدثرُ﴾ أي المتدثرُ وهو لابسُ الدثارِ وهُوَ مَا يُلبسُ فوقَ الشِّعارِ الَّذي يلي الجسدَ قيلَ: هيَ أولُ سورةٍ نزلتْ. رُويَ عنْ جابرٍ رضيَ الله عنْهُ عنِ النبيِّ ﷺ أنَّه

قالَ: «**كُنت عَلى جبلِ حراءٍ فنوديتُ يا محمدُ إنَّكَ رسولُ الله فنظرتُ عنْ يميني و**[1]**يساري فلمْ أرَ شيئًا فنظرتُ فوقِي فإذَا بِهِ قاعدٌ عَلَى عرشٍ بينَ السماءِ والأرضِ يعنيَ المَلكَ الَّذي ناداهُ فرعبتُ ورجعتُ إلى خديجَةَ فقلتُ: دثرونِي دثروني فنزلَ جبريلُ عليه السلام وقال: ﴿يا أيُّها المدثرُ﴾**»[2].

عَنِ الزهري أنَّ أولَ ما نزلَ سورةُ اقرأْ إلى قولهِ تعالى: ﴿مَا لَمْ يعلَمْ﴾ [سورة العلق، الآية ٥] فحزنَ رسولُ الله ﷺ وجعلَ يعلو شواهقَ الجبالِ فأتاهُ جبريلُ عليهِ السَّلامُ وقالَ: إنكَ نبيُّ الله فرجِعَ إلى خديجةَ فقالَ: «**دثروني وصُبُّوا عليَّ ماءً باردًا**» فنزلَ جبريلُ فقالَ: ﴿يا أيُّها المدثرُ﴾[3].

وقيلَ: سمعَ منْ قريشٍ ما كرهَهُ فاغتمَّ فتغطّى بثوبِه متفكرًا كَمَا يفعلُ المغمومُ فأُمِرَ ألا يدعَ إنذارَهم [وإنْ أسمعُوه][4] وآذوه. وقيلَ: كانَ نائمًا متدثرًا. وقيلَ: المرادُ

---

(١) في خ: عن.

(٢) أخرجه البخاري (٩/ ٦٨٣) كتاب التفسير، باب: «وربك فكبر»، برقم (٤٩٢٤)، ومسلم (١/ ١٤٤) كتاب الإيمان، باب: بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ برقم (٢٥٧/ ١٦١) من حديث أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٩/ ٩٠) من طريق ابن ثور عن معمر عن الزهري به.
وله شاهد من حديث عائشة أخرجه الحاكم (٢/ ٥٢٩).
قال الزيلعي في «تخريج الكشاف» (٤/ ١١٩).
ولا يعارض ذلك ما رواه مسلم في صحيحه، من حديث أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: سألت جابر بن عبد الله الأنصاري: أي القرآن أنزل قبلُ؟ قال: «يا أيها المدثر» فقلت أو: «اقرأ باسم ربك» قال جابر: أحدثكم، عن رسول الله ﷺ قال: «إني جاورت بحراء شهرًا، فلما قضيت جواري؛ نزلت فاستبطنت بطن الوادي، فنوديت؛ فنظرت أمامي وخلفي وعن يميني وعن شمالي، ثم نظرت إلى السماء؛ فإذا هو على العرش في الهواء - يعني جبريل - فأخذتني رجفة؛ فأتيت خديجة فأمرتهم فدثروني، ثم صبوا عليَّ الماء، وأنزل الله عليَّ: «يا أيها المدثر، قم فأنذر». انتهى.
قال الواحدي في أسباب النزول: وذلك لأن جابرًا سمع آخر القصة ولم يسمع أولها، فتوهم أن سورة المدثر أول ما نزل وليس كذلك، ولكنها أول ما نزل عليه بعد سورة اقرأ، يدل عليه ما رواه البخاري ومسلم من طريق عبد الرزاق: أنا معمر، عن الزهري، أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن، عن جابر قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو يحدث عن فترة الوحي، فقال في حديثه: «بينما أنا أمشي إذ سمعت صوتًا من السماء فرفعت رأسي؛ فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض، فجئت منه رعبًا، فرجعت، فقلت: زملوني، فدثروني، فأنزل الله تعالى: «يا أيها المدثر». انتهى قال: فظهر بهذا أن الوحي كان قد فتر بعد نزول: «اقرأ باسم ربك»، ثم نزلت «يا أيها المدثر» يوضحه قوله فيه: «الملك الذي جاء بحراء جالس»، فدل على أن هذه القصة كانت بعد نزول سورة اقرأ. انتهى.

(٤) في خ: إنما منعوه.

المتدثرُ بلباسِ النبوةِ والمعارفِ الإلهيةِ. وقرئ المُدَثَّرُ[١] علَى صيغةِ اسمِ المفعولِ منْ دَثَرَهُ أي الَّذي دثرَ هذا الأمرَ العظيمَ وعصبَ به وفي حرفِ أبي المنذرِ يا أيها المتدثرُ[٢] عَلى الأصْلِ ﴿قُمْ﴾ أي من مضجعكَ أوْ قُمْ قيامَ عَزْمٍ وَتصميم ﴿فأَنْذِرْ﴾ أي افعلِ الإنذارَ وَأَحْدِثْهُ وقيلَ: أنذرْ قومَكَ كقولِه تعالَى: ﴿وأنذر عشيرتَكَ الأقربينَ﴾ [سورة الشعراء، الآية ٢١٤] أو جميعَ النَّاسِ حسبَمَا ينبئُ عَنْهُ قولُه تعالى: ﴿وما أرسلناكَ إلا كافة للناسِ بشيرًا ونذيرًا﴾ [سورة سبأ، الآية ٢٨] ﴿وربَّكَ فكبر﴾ واختصَّ ربَّك بالتكبيرِ وهو وَصْفُهُ تعالى بالكبرياءِ اعتقادًا وقولًا ويُروى أنَّه لمَّا قالَ رسولُ الله: «الله أكبرُ» فكبرتْ خديجةُ وفرحت وأيقنتْ أنَّه الوحيُ[٣] وقدْ يحملُ على تكبيرِ الصَّلاةِ والفاءُ لمعنى الشرطِ كأنَّه[٤] قيلَ: ما كان أيُّ شيءٍ حدث فلا تدعْ تكبيرَهُ أوْ للدلالةِ عَلى أنَّ المقصودَ الأولى من الأمرِ بالقيامِ أنْ يكبرَ رَبَّه وينزهَهُ منَ الشركِ فإنَّ أولَ ما يجبُ معرفةُ الصانعِ جلَّ[٥] جلالُه ثم تنزيهُه عَمَّا لا يليقُ بجنابِهِ.

﴿وثيابَكَ فطهرْ﴾ مما ليسَ بطاهرٍ فإنَّه واجبٌ في الصَّلاةِ وأولى وأحبُّ في غيرِها وذلكَ بصيانتِها وحفظِها عن النجاساتِ وغسلِها بعد تلطخِها وبتقصيرِها أيضًا فإنَّ طولَها يؤدي إلى جرِّ الذيولِ على القاذوراتِ وهُوَ أولُ ما أمَرَ بهِ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ منْ رفضِ العاداتِ المذمومةِ وقيلَ: هُو أمرٌ بتطهيرِ النفسِ مما يستقذرُ منَ الأفعالِ ويُستهجنُ منَ الأحوالِ يقالُ: فلانُ طاهرُ الذيلِ والأردانِ إذا وصفُوه بالنقاءِ من المعايبِ ومدانسِ الأخلاقِ ﴿والرجزَ فاهجُرْ﴾ أي واهجُر العذابَ بالثباتِ على هَجْرِ ما يُؤدي إليه من المآثم[٦] وقرئ بكسرِ[٧] الراءِ وهُمَا لُغتانِ كالذُّكرِ والذِّكرِ ﴿ولا تمنُنْ تستكثرُ﴾ ولا تُعطِ مُستكثرًا أي رائيًا لِمَا تعطيهِ كثيرًا أو طالبًا للكثيرِ على أنَّه نهيٌ عنْ

---

(١) قرأ بها: عكرمة.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٣٧٠)، وتفسير القرطبي (١٩/ ٣٢)، وتفسير الرازي (٣٠/ ١٧١، ١٩٠).

(٢) قرأ بها: أبي.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٣٧٠)، وتفسير القرطبي (١٩/ ٥٩).

(٣) ذكره مقاتل بن سليمان في تفسيره (٣/ ٤١٣).

(٤) في خ: فكأنه.

(٥) في خ: من.

(٦) في خ: الإثم.

(٧) قرأ بها: حمزة، والكسائي، وأبو عمرو، وابن عامر، وابن كثير، ونافع.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٢٧)، والبحر المحيط (٨/ ٣٧١)، والتبيان للطوسي (١٠/ ١٧٣)، والتيسير للداني ص (٢١٦)، والسبعة لابن مجاهد ص (٦٥٩)، والكشف للقيسي (٢/ ٣٤٧)، والمعاني للفراء (٣/ ٢٠٠).

الاستغزارِ وهُوَ أنْ يهبَ شيئًا وهو يطمعُ أنْ يتعوضَ منَ الموهوبِ لَهُ أكثرَ ممَّا أعطاهُ وهُو جائزٌ ومنْهُ الحديثُ: «**المستغزرُ يثابُ من هبتِه**»(١) فالنهيُ إمَّا للتحريم وهو خاصٌّ برسولِ اللهِ ﷺ لأنَّ الله تعالى اختارَ له أشرفَ الأخلاقِ وأحسنَ الآدابِ أو للتنزيهِ للكُلِّ وقرئَ (تستكثرْ) بالسكونِ اعتبارًا بحالِ(٢) الوقفِ أوْ إبدالًا منْ تمنن كأنَّه قيلَ: ولا تمنُنْ ولا تستكثرْ على أنَّه منَ المَنِّ الَّذي في قولِه تعالى (منًّا ولاَ أذى) منْ يمنَّ [بِمَا يُعطي يستكثرُه](٣) ويعيدُ بِه وقرئَ بالنصبِ(٤) بإضمارِ أنْ معَ إبقاءِ عملِها كقولِ منْ قالَ: [الطويل]

أَلاَ أيُهذَا الزَّاجِرِي أَحْضُرَ الوَغَى ....(٥)

وقدْ قرئَ بإثباتِها(٦) ويجوزُ في قراءةِ الرفعِ أنْ يحذفَ أنْ ويبطلَ عملُها كَمَا يُروى أحضرُ الوَغَى بالرفعِ ﴿**ولربكَ**﴾ أي لوجهِهِ تعالَى أو لأمرِه ﴿**فاصبرْ**﴾ فاستعملَ الصبرَ وقيلَ: على أذيةِ المشركينَ وقيلَ: عَلى أداءِ الفرائضِ.

﴿**فإذا نُقِر في النَّاقور**﴾ أي نفخَ في الصُّورِ وهو فاعل من النقر بمعنى التصويت وأصله القرع الذي هو سببُ الصَّوتِ والفاءُ للسببيةِ كأنَّه قيلَ: اصبرْ عَلَى أذاهُم فبينَ أيديهِم يومٌ هائلٌ يلقونَ فيهِ عاقبةَ أذاهُم(٧) وتلقَى عاقبةَ صبرِك عليهِ وَالعَاملُ فِي إذَا ما دَلَّ عليهِ قولُه تعالى: ﴿**فذلكَ يومئذٍ يومٌ عسيرٌ * عَلى الكافرينَ**﴾ فإنَّ معناهُ عسُرَ الأمرِ عَلَى الكافرينَ وذلكَ إشارةٌ إلى وقتِ النقرِ وما فيهِ منْ مَعْنى البعدِ مع قُربِ العَهدِ بالمشارِ إليهِ للإيذانِ ببعدِ منزلتِه في الهولِ والفظاعةِ ومحلُه الرفعُ عَلى الابتداءِ ويومئذٍ بدلٌ منْهُ مبنيٌّ عَلى الفتحِ لإضافتِه إلى غيرِ متمكنٍ والخبرُ يومٌ عسيرٌ [وقيلَ: يومئذٍ ظرفٌ للخبرِ إذِ التقديرُ وذلك وقتُ وقوعِ يومٍ عسيرٍ وَعَلَى متعلقةٌ بـ (عسيرٌ)](٨) وقيلَ:

---

(١) لم أقف عليه مرفوعًا، وأخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٩/ ١٠٦) برقم (١٦٥٢٣)، وابن أبي شيبة (٤/ ٤٢٠) برقم (٢١٧٠٦) من قول شريح القاضي ذكره الزيلعي في تخريج الكشاف (٣/ ٥٨).

(٢) في خ: الحال.

(٣) في خ: لا يعطي مستكثره.

(٤) قرأ بها: الحسن، والأعمش، ويحيى.
ينظر: الإملاء للعكبري (٢/ ١٤٦)، والبحر المحيط (٨/ ٣٧٢)، وتفسير القرطبي (١٩/ ٦٩)، والكشاف للزمخشري (٤/ ١٨١)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٣٣٧).

(٥) تقدم.

(٦) قرأ بها: ابن مسعود.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٣٧٢)، وتفسير القرطبي (١٩/ ٦٩)، والكشاف للزمخشري (٤/ ١٨١)، والمعاني للفراء (٣/ ٢٠١)، وتفسير الرازي (٣٠/ ١٩٥).

(٧) في خ: أمرهم.

(٨) سقط في خ.

بمحذوفٍ هو صفةٌ لعسيرٌ أوْ حالٌ من المستكنِّ فيهِ.

وقولُه تعالى: ﴿غيرُ يسيرٍ﴾ تأكيدٌ لعُسرِهِ عليهِمْ مشعرٌ بيُسرِهِ على المؤمنينَ واختلفَ في أنَّ المرادَ بِهِ يومُ النفخةِ الأولى أو الثانيةِ، والحقُّ أنَّها الثانيةُ، إذْ هيَ التي يختصُّ عسرُها بالكافرينَ وأما النفخةُ الأُولى فحكمُها الذي هو الإصعاقُ يعمُّ البرَّ والفاجرَ عَلى أنَّها مختصةٌ بمَنْ كانَ حيًا عندَ وقوعِها وقد جاءَ في الأخبار أنَّ في الصورِ ثقبًا بعددِ الأرواحِ كلِّها وأنَّها تجمعُ في تلكَ الثقوبِ في النفخةِ الثانيةِ فتخرجُ عندَ النفخِ منْ كُلِّ ثقبةٍ روحٌ إلى الجسدِ الَّذي نزعت مِنْهُ فيعودُ الجسدُ حيا بإذنِ الله تعالَى.

تهديد الطغاة

﴿ذَرْنِي ومنْ خلقتُ وَحيدًا﴾ حَالٌ إمَّا منَ الياءِ أيْ ذرني وَحدي معَهُ فَإنِّي أكفيكَهُ في الانتقام منْهُ أو منَ التاءِ أي خلقتُهُ وَحْدِي لَمْ يُشركني فِي خلقِهِ أحدٌ أو منَ العائدِ المحذوفِ أيْ وَمَنْ خلقتُه وحيدًا فريدًا لا مالَ لَهُ وَلاَ ولدٌ.

وقيلَ: نزلت في الوليدِ بنِ المغيرةِ المخزومي وكانَ يلقبُ في قومِهِ الوحيدَ فهو تهكمٌ به وبلقبِهِ وصرفٌ لهُ عنْ الغرضِ الذي يؤمونَهُ من مدحِهِ إلى جهةِ ذمهِ بكونهِ وحيدًا من المَالِ والولدِ أو وحيدًا من أبيهِ لأنَّه كانَ زنيمًا كما مَرَّ أوْ وَحيدًا في الشَّرارةِ.

﴿وجعلتُ لَهُ مالًا ممدودًا﴾ مبسوطًا كثيرًا أو ممدا بالنماءِ من مَدَّ النهر ومدَّهُ نهرٌ آخرُ، قيلَ: كانَ لَهُ الضرعُ والزرعُ والتجارةُ. وعنِ ابنِ عبَّاس رضيَ الله عنْهما هُوَ ما كانَ لَه بينَ مكةَ والطائفِ من صنوفِ الأموالِ، وقيلَ: كانَ لَهُ بالطائفِ بستانٌ لا ينقطعُ ثمارُهُ لا صيفًا ولا شتاءً[١]. وقالَ ابن عباسٍ ومجاهدٌ وسعيدُ بنُ جُبيرٍ كانَ لَهُ ألفُ دينارٍ وقالَ قَتَادةُ: ستةُ آلافِ دينار، وقال سفيان الثوري: أربعة آلاف دينار، وقال الثوريُّ أيضًا: ألف ألف دينار.

﴿وبنينَ شُهودًا﴾ حضورًا معَهُ بمكةَ يتمتعُ بمشاهدتِهم لا يفارقونَهُ للتصرف في عملٍ أو تجارةٍ لكونِهم مكفيينَ لوفورِ نعمِهم وكثرةِ خدمِهم أو حضورًا فِي الأنديةِ والمحاقلِ لوجاهتِهم واعتبارِهم قيلَ: كانَ له عشرةُ بنينَ وقيلَ: ثلاثةَ عشرَ وقيلَ: سبعةٌ[٢] كلُّهم رجالٌ الوليدُ [بن الوليد][٣] وخالدٌ وعمارةٌ وهشامٌ والعاصُ والقيسُ وعبدُ شمس. أسلَم منهُم ثلاثةٌ خالدٌ وهشامٌ وعمارةُ ﴿ومهدتُ لهُ تَمهيدًا﴾ وبسطتُ لهُ الرياسَةَ

---

(١) زاد في خ: وقيل.
(٢) زاد في خ: عشر.
(٣) سقط في خ.

والجاهَ[١] العريضَ حَتَّى لقبَ ريحانةَ قريشٍ [﴿ثم يطمعُ أنْ أزيدَ﴾ عَلى ما أوتيهِ وهو استبعادٌ واستنكارٌ لطمِعه وحرصِه إما لأنهُ لا مزيدَ عَلى ما أُوتيَ سعة وكثرةً أو لأنَّه منافٍ لما هُوَ عليهِ منْ كُفرانِ النعم ومعاندةِ المنعم وقيلَ: إنَّه كانَ يقول إن كان محمدٌ صادقًا فما خُلقتْ الجنةُ إلاَّ لِي][٢] ﴿كَلا﴾ ردعٌ وزجرٌ لَهُ عنْ طمعه الفارغِ وقطعٌ لرجائه الخائبِ.

وقولُه تعالَى: ﴿إنه كانَ لآياتِنا عنيدًا﴾ تعليلٌ لذلكَ على وَجْه الاستئنافِ التحقيقيِّ فإنَّ معاندةَ آياتِ المنعم معَ وضوحِها وكفرانَ نعمتِه معَ سيوغِها[٣] مما يوجِبُ حرمانَهُ بالكليةِ وإنما أوتيَ ما أوتيَ استدارجًا قيلَ: ما زالَ بعدَ نزولِ هذهِ الآيةِ في نقصانٍ منْ مالِه حتَّى هلكَ ﴿سأُرهقُه صعُودًا﴾ سأغشيهِ بدلَ ما يطمعه منَ الزيادةِ [أو الجنةِ عقبةً][٤] شاقة المصعدِ وهو مثلٌ لما يَلْقى منَ العذابِ الصعبِ الذَّي لا يطاقُ وعنِ النبيِّ ﷺ: «**يكلفُ أنْ يصعدَ عقبةً في النارِ كلمَا وضعَ يَدهُ عليَها ذابتْ فإذَا رفعَها عادتْ وإذَا وضعَ رجَلُه ذابتْ فإذَا رفعَها عادتْ**»[٥] وعنْهُ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ: «**الصَّعودُ جبلٌ منْ نارٍ يصعدُ فيهِ سبعينَ خريفًا ثمَّ يهوِي فيهِ كذلكَ أبدًا**»[٦].

﴿إنه فكَّر وقدرَ﴾ تعليلٌ للوعيدِ واستحقاقِه لَهُ أو بيانٌ لعناده لآياته تعالَى أيْ فكرَ

---

(١) في خ: الحياة.
(٢) سقط في خ.
(٣) في خ: شيوعها.
(٤) في خ: إذا بلغته.
(٥) أخرجه البيهقي في «البعث والنشور» (٥١٣) من طريق عمار الدهني عن عطية عن أبي سعيد الخدري مرفوعًا، ورواه مرفوعًا أيضًا البزار والطبراني في «الأوسط» كما في «تخريج الكشاف» للزيلعي (٤/ ١٢٠). وأخرجه أيضًا مرفوعًا.
والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٣٨٢) ووهم الزيلعي فعزاه إليه موقوفًا. وأخرجه موقوفًا.
الطبري في «تفسيره» (٢٩/ ٩٧) وابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» (٤/ ٤٤٢) والبغوي في «معالم التنزيل» (٤/ ٤١٥).
والمرفوع ذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٣١) وقال: رواه الطبراني في الأوسط وفيه عطية وهو ضعيف.
(٦) أخرجه الترمذي (٥/ ٤٢٩) كتاب التفسير باب ومن سورة المدثر حديث (٣٣٢٦) من طريق ابن لهيعة عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد مرفوعًا.
قال الترمذي:
هذا حديث غريب إنما نعرفه مرفوعًا من حديث ابن لهيعة.
وقد روي شيء من هذا عن عطية عن أبي سعيد قوله موقوف. ا هـ.
وأخرجه الحاكم (٢/ ٥٠٧) من طريق ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن دراج به مرفوعًا. وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.
وبهذا الإسناد أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٩/ ٩٧) وكذا البيهقي في «البعث والنشور» (٥١٤).

ماذَا يقولُ في شأنِ القرآنِ وقدرَ فِي نفسِه ما يقولُه ﴿فقُتل كيفَ قدرَ﴾ تعجيبٌ[١] منْ تقديرِه وإصابتِه فيهِ الغرضَ الذي كانَ ينتحيهِ قريشٌ قاتلَهم الله أو ثناءٌ عليهِ بطريقِ الاستهزاءِ أو حكايةٌ لما كررُوه من قولِهم قتلَ كيفَ قدرَ تهكمًا بِهم وبإعجابِهم بتقديرِه واستعظامِهم لقولِه ومعَنْى قولِهم قتلَهُ الله ما أشجَعهُ أو أخزاهُ الله ما أشعرَهُ الإشعارُ بأنَّه قد بلغَ منَ الشجاعةِ والشعرِ مبلغًا حقيقيًا بأنْ يدعَو عليهِ حاسدُهُ بذلكَ.

رُويَ أنَّ الوليدَ قالَ لبني مخزومٍ والله لقد سمعتُ من محمدٍ آنِفًا كلامًا ما هُو منْ كلامِ الإنسِ ولا منْ كلامِ الجنِّ إنَّ لَهُ لحلاوةً وإنَّ عليهِ لطلاوةً وإنَّ أعلاهُ لمثمرٌ وإنَّ أسفلَهُ لمغدِقٌ وإنَّه يعلو ولَا[٢] يُعلى فقالتْ قريشٌ صبأَ والله الوليدُ والله لتصبأنَّ قريشٌ كُلُّهم فقالَ ابْنُ أخيهِ أبوُ جهلٍ أنَا أكفيكمُوهُ فقعَد عندَهُ حزينًا وكلَّمهُ بما أحماهُ فقامَ فأتاهُم فقالَ تزعمونَ أنَّ محمدًا مجنونٌ فهل رأيتمُوه يخنقُ وتقولونَ إنه كاهنٌ فَهلْ رأيتمُوه يتكهنُ وتزعمونَ أنه شاعرٌ فهل رأيتمُوه يتعاطَى شِعرًا قطُّ وتزعمونَ أنه كذابٌ فَهَلْ جربتُم عليهِ شيئًا من الكذبِ فقالُوا في كُلِّ ذلكَ اللهمَّ لاَ ثمَّ قالُوا فَما هُو ففكَّر فقالَ مَا هُو إلا ساحرٌ أما رأيتمُوه يفرقُ بينَ الرجلِ وأهلِه وولدِه ومواليهِ وما الذي يقولُه إلا سحرٌ يأثرُهُ عنْ أهلِ بابلَ فارتجَّ النادِي فرحًا وتفرقُوا معجبينَ بقولِه متعجبينَ منْهُ.

﴿ثم قتلَ كيفَ قدرَ﴾ تكريرٌ للمبالغةِ وثمَّ للدلالةِ على أنَّ الثانيةَ أبلغُ منَ الأُولى وفيمَا بعدُ عَلى أصلِها[٣] منْ التراخِي الزمانيِّ.

﴿ثُمَّ نظرَ﴾ أي في القرآنِ، مرةً بعدَ مرةٍ ﴿ثُم عبسَ﴾ قطَّبَ وجهَهُ لَمَّا لم يجدْ فيهِ مطعنًا ولمْ يدرِ ماذَا يقولُ وقيلَ: نظرَ في وجوهِ النَّاسِ ثم قطَّبَ وجهَهُ وقيلَ: نظرَ إلى رسولِ الله ﷺ ثم قطَّبَ في وجهِهِ ﴿وبسَرَ﴾[٤] إتباعٌ لعبسَ ﴿ثم أدبرَ﴾ عنِ الحقِّ أوْ عنْ رسولِ الله ﷺ ﴿واستكبر﴾ عن اتباعِه ﴿فقالَ إنْ هذا إلَّا سحرٌ يؤثرُ﴾ أيْ يُروى ويُتعلمُ والفاءُ للدلالةِ على أن هذه الكلمة لمَّا خطرتْ بباله تفوه بها من غير تلعثمٍ وتلبثٍ.

وقولُه تعالَى: ﴿إنْ هَذا إلا قولُ البشرِ﴾ تأكيدٌ لما قبلَهُ ولذلكَ أُخليَ عنِ العاطفِ ﴿سأصليه سقرَ﴾ بدلٌ منْ سأُرهقُه صَعُودًا ﴿وما أدراكَ ما سقرُ﴾ أيْ أيُّ شيءٍ أعلمكَ ما سقرُ على أنَّ مَا الأولى مبتدأٌ وأدراكَ خبرُه ومَا الثانيةُ خبرٌ لأنها المفيدةُ لِما

---

(١) في خ: تعجب.
(٢) في ط: ما.
(٣) في خ: أهلها.
(٤) بسر: نظر بكراهة شديدة.

قُصد إفادتُه منَ التهويل والتفظيعِ وسقرُ مبتدأٌ أيْ أيُّ شيءٍ هيَ في وصفِها لِما مَرَّ مرارًا منْ أَنَّ مَا قَدْ يطلبُ بَها الوصفُ وإنْ كانَ الغالبُ أنْ يطلبَ بَها الاسمُ والحقيقةُ.

وقولُه تعالَى ﴿لا تُبقي ولا تذرْ﴾ بيانٌ لوصفِها وحالِها وإنجازٌ للوعدِ الضمني الذي يلوح به ﴿وما أدراك ما سقر﴾ [وقيل: حال من سقر][1] وليس بذاك أيْ لا تُبقي شيئًا يُلقى فيَها إلا أهلكتْهُ وإذا هلكَ لم تذرْهُ هالكًا حتَّى يعادَ أوْ لا تُبقي على شيءٍ ولا تدعهُ منَ الهلاكِ بلْ كلُّ ما يطرحُ فيها هالكٌ لا محالة. ﴿لواحةٌ للبشرِ﴾ مُغيِّرةٌ لأَعَالي الجلدِ مسوّدةٌ لَها قيلَ تلفحُ الجلدَ لفحةً فتدَعُه أشدَّ سوادًا منَ الليلِ وقيلَ: تلوحُ للناسِ كقولِه تعالى ﴿ثم لترونَّها عينَ اليقينِ﴾ [سورة التكاثر، الآية ٧] وقرئ (لواحةً) بالنصبِ[2] على الاختصاصِ للتهويلِ ﴿عليها تسعةَ عشرَ﴾ أيْ مَلَكًا أو صِنْفًا أو صفا أو نقيبًا من الملائكةِ يلونَ أمرَهَا ويتسلطونَ على أهلِها وقرئ بسكونِ عينِ عشر[3] حذرًا من توالِي الحركاتِ فيما هو في حكم اسمٍ واحدٍ وقرئ تسعةُ أَعْشُرٍ[4] جمعُ عشيرٍ مثلُ يمينٍ وأَيْمُنٍ.

﴿ومَا جَعلنا أصحابَ النَّارِ﴾ أيْ المدبرينَ لأمرِها القائمينَ بتعذيبِ أهلِها ﴿إلا ملائكةً﴾ ليخالفُوا جنسَ المعذبينَ فلا يَرِقّوا لهُم ولاَ يستروحُوا إليهمْ ولأنهُم أَقْوى الخلقِ وأقومُهُم بحقِّ الله عزَّ وجلَّ وبالغضبِ له تعالى وأشدُّهم بأسًا.

عنِ النبيِّ ﷺ: «**لأحدِهم مثلُ قوةِ الثقلينِ يسوقُ أحدُهم الأمةَ وعلى رقبتِه جبلٌ فيرمِي بهم في النارِ ويرمِي بالجبلِ عليهم**»[5] ورُوي أنه لما نزلَ عليها تسعةَ عشرَ قال

---

(١) سقط في خ.

(٢) قرأ بها: عطية العوفي، وزيد بن علي، والحسن، وابن أبي عبلة، ونصر بن عاصم، وعيسى ابن عمر.
ينظر: الإملاء للعكبري (٢/ ١٤٧)، والبحر المحيط (٨/ ٣٧٥)، وتفسير القرطبي (١٩/ ٧٧)، وتفسير الرازي (٣٠/ ٢٠٣).

(٣) قرأ بها: أبو جعفر، وطلحة بن سليمان، ويزيد.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٢٧)، والإعراب للنحاس (٣/ ٥٤٥)، والبحر المحيط (٨/ ٣٧٥)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٣٣٨)، والمعاني للفراء (٣/ ٢٠٣)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٢٧٩).

(٤) قرأ بها: سليمان بن قتة.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٣٧٦).

(٥) قال الزيلعي في «تخريج الكشاف» (٤/ ١٢١): غريب وقال الحافظ ابن حجر: لم أجده. انتهى.
قيل: لقد جعلنا عدتهم عدة من شأنها أن يفتن بها لأجل استيقان المؤمنين وحيرة الكافرين واستيقان أهل الكتاب. قال أحمد: السائل جعل الفتنة التي هي في تقدير الصفة للعدة، وإذ معنى الكلام: ذات فتنة - سببًا في ما بعدها، والمجيب جعل العدة التي عرضت لها هذه الصفة سببًا لا باعتبار عروض =

أبُو جهلٍ لقريشٍ أيعجزُ كلُّ عشرةٍ منكم أنْ يبطشُوا برجلٍ منْهم فقالَ أبُو الأشد[١] بنُ أسيدِ بنِ كِلْدةَ الجُمَحيُّ وكان شديدَ البطشِ أنا أكفيكُم سبعةَ عشرَ فاكفونِي أنتُم اثنينِ فنزلتْ أيْ ما جعلناهُم رجالًا منْ جنسِكم.

﴿وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا﴾ أي ما جعلنا عددَهُم إلا العددَ الذي تسببَ[٢] لافتتانِهم وهو التسعةَ عشرَ فعبرَ بالأثرِ عن المؤثر تنبيهًا على التلازم بينهما وليس المرادُ مجردَ جعلِ عددِهم ذلكَ العددَ المعينَ في نفسِ الأمرِ بلْ جعلَه في القرآنِ أيضًا كذلكَ وهو الحكمُ بأنَّ عليها تسعةَ عشرَ، إذْ بذلكَ يتحققُ افتتانُهم باستقلالِهم له واستبعادِهم لتولي هذا[٣] العددِ القليلِ لتعذيبِ أكثر الثقلينِ واستهزائِهم بِهِ حسبما ذكرَ وعليهِ يدورُ ما سيأتِي من استيقان أهلِ الكتابِ وازديادِ المؤمنينَ إيمانًا قالُوا المخصصُ لهذَا العددِ أنَّ اختلافَ النفوسِ البشريةِ في النظرِ والعملِ بسببِ القُوى الحيوانيةِ الاثنتي عشرةَ والطبيعيةِ السبعِ أو أن جهنَم سبعُ دركات؛ ستٌّ منها لأصنافِ الكفرةِ كلُّ صنفٍ يعذبُ بتركِ الاعتقادِ والإقرارِ والعملِ أنواعًا من العذابِ يناسبُها وعلى كلِّ نوعٍ ملكٌ أو صنفٌ أوْ صفٌّ يتولاهُ، وواحدةٌ لعُصاةِ الأمةِ يعذبونَ فيها بتركِ العملِ نوعًا يناسبُه ويتولاّه واحدٌ أو أنَّ الساعاتِ أربعٌ وعشرونَ خمسةٌ منها مصروفةٌ للصلواتِ الخمسِ فيبقى تسعةَ عشرَ قد تصرفُ إلى ما يؤاخذُ به بأنواعِ العذابِ يتولاَّها الزبانيةُ.

﴿ليستيقنَ الذين أُوتوا الكتابَ﴾ متعلقٌ بالجعل على المَعْنى المذكورِ أيْ ليكتسبُوا اليقينَ بنبوتِه عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ وصدقِ القرآنِ لما شاهدُوا ما فيه موافقًا لما في كتابِهم ﴿ويزدادَ الذين آمنُوا إيمانًا﴾ أيْ يزدادُ إيمانُهم كيفيةً بما رأَوا من تسليمِ أهلِ الكتابِ وتصديقِهم أنه كذلكَ أو كميةً بانضمامِ إيمانِهم بذلكَ إلى إيمانِهم بسائرِ ما أنزلَ ﴿ولا يرتابَ الذين أوتُوا الكتابَ والمؤمنونَ﴾ تأكيدٌ لما قبله منَ الاستيقانِ وازديادِ الإيمانِ ونفيٌ لما قد يعترِي المستيقنَ من شبهةٍ ما وإنما لم يُنظم المؤمنونَ في سلكِ أهلِ الكتابِ في نفي الارتيابِ حيث لم يقل ولا يرتابوا للتنبيه على تباين

= الصفة لها. ويجوز أن يكون (ليستيقن) راجعًا إلى ما قبل الاستثناء، كأنه قيل: جعلنا عدتهم سببًا لفتنة الكافرين وسببًا ليقين المؤمنين؛ وهذا الوجه أقرب مما ذكره الزمخشري؛ وإنما ألجأه إليه اعتقاد أن الله تعالى ما فتنهم ولكنهم فتنوا أنفسهم، بناء على قاعدة التبعيض في المشيئة وبئست القاعدة فاحذرها.

(١) في خ: الأسود.

(٢) في خ: سبب.

(٣) في خ: لهذا.

اليقينين حالًا فإن انتفاء الارتياب من أهل الكتابِ مقارنٌ لما ينافيهِ من الجحود، ومن المؤمنينَ مقارنٌ لما يقتضيه من الإيمان وكم بينهما والتعبيرُ عنهم باسم الفاعلِ بعد ذكرِهم بالموصول والصلةِ الفعليةِ المنبئةِ عن الحدوث للإيذان بثباتهم على الإيمان بعدَ ازديادِهِ ورسوخِهم في ذلك ﴿وليقولَ الذينَ في قلوبهم مرضٌ﴾ شكٌّ أو نفاقٌ فيكونُ إخبارًا بَما سيكونُ في المدينةِ بعد الهجرةِ ﴿والكافرونَ﴾ المُصرّون على التكذيبِ ﴿ماذَا أراد الله بهذا مثلًا﴾ أيْ أيُّ شيءٍ أرادَ بهذَا العددِ المستغربِ استغرابَ المثلِ وقيلَ: لما استبعدُوه حسبُوا أنه مثلٌ مضروبٌ وإفرادُ قولِهم هذا بالتعليلِ مع كونِه من باب فتنتِهم للإشعارِ باستقلالِه في الشناعةِ[١].

﴿كذلكَ يضل الله من يشاءُ﴾ ذلكَ إشارةٌ إلى ما قبلَهُ من مَعْنى الإضلالِ والهدايةِ ومحلُّ الكافِ في الأصلِ النصبُ على أنها صفةٌ لمصدر محذوفٍ وأصلُ التقديرِ يضلُّ الله منْ يشاءُ ﴿ويهدِي من يشاءُ﴾ إضلالًا وهدايةً كائنينِ مثلَ ما ذكرَ من الإضلالِ والهدايةِ فحذفَ المصدرُ وأقيمَ وصفُه مقامَه ثم قدمَ على الفعلِ لإفادةِ القصرِ فصارَ النظمُ[٢] مثل ذلكَ الإضلالِ وتلك الهدايةِ يضلُّ الله منْ يشاءُ إضلالَه لصرفِ اختيارِه إلى جانبِ الضلالِ عندَ مشاهدتِه لآيات الله الناطقة بالحق ويهدي من يشاء هدايته لصرف اختياره عن مشاهدة تلكَ الآياتِ إلى جانبِ الهُدى لا إضلالًا وهدايةً أدنى منهما.

﴿وما يعلمُ جنودَ ربِّك﴾ أيْ جموعَ خلقهِ التي[٣] من جُمْلتِها الملائكةُ المذكورونَ ﴿إلا هُو﴾ إذْ لا سبيلَ لأحدٍ إلى حصر الممكناتِ والوقوفِ على حقائِقها وصفاتِها ولوْ إجمالًا فضلًا عن الاطلاع على تفاصيل أحوالِها من كم وكيفٍ ونسبةٍ ﴿وما هيَ﴾ أي سقرُ أو عدةُ خزنتِها والآياتُ الناطقةُ بأحوالِها ﴿إلا ذكرىٰ للبشر﴾ إلا تذكرةً لهم.

﴿كلا﴾ ردعٌ لمن أنكرهَا أو إنكارٌ ونفيٌ لأن يكونَ لهم تذكرٌ ﴿والقمرِ * **والليلِ إذْ أدبر**﴾ وقرئ (إذا دَبَر)[٤] بمعنى أدبرَ كقَبِلَ[٥] بمَعْنى أَقْبَلَ ومنْهُ قولهم صارُوا

---

(١) في خ: الساعة.
(٢) في خ: التعظيم.
(٣) في خ: الذي.
(٤) قرأ بها: أبو عمرو، والكسائي، وابن كثير، وعاصم، وابن عامر، وابن عباس، وابن الزبير، ومجاهد، وعطاء، وابن يعمر، وطلحة، وأبو جعفر، وشيبة، وأبو الزناد، وقتادة، وعمر بن عبد العزيز، والحسن، وشعبة، وابن جبير.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٢٧)، والإعراب للنحاس (٣/ ٥٤٦)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٤٧)، والبحر المحيط (٨/ ٣٧٨)، والتبيان للطوسي (١٠/ ١٧٩).
(٥) في خ: كتقبل.

كأمسِ[١] الدابرِ وقيل: هُو من دَبرَ الليلُ النهارَ إذَا خلفَهُ ﴿والصبحِ إذَا أسفرَ﴾ أي أضاءَ وانكشفَ ﴿إنها لإحْدى الكُبَرِ﴾ جوابٌ للقسمِ أوْ تعليلٌ لـ (كَلا) والقسمُ معترضٌ للتوكيدِ، والكُبَرَ جمعُ الكُبْرى جعلتْ ألفُ التأنيثِ كتائِها[٢] فكَما جُمعتْ فُعْلَة على فُعَلٍ جُمعتْ فُعْلَى عَليها ونظيرُها القواصعُ في جمعِ القاصِعاءِ كأنها جمعُ قاصعةٍ أي لإحْدى البَلايا أو لإحْدَى الدَّواهِي الكُبرَ على مَعْنى أنَّ البلايا الكبرَ أو الدواهِيَ الكبرَ كثيرةٌ وهذهِ واحدةٌ [في العظمِ لا نظيرةَ][٣] لَها ﴿نذيرًا للبشرِ﴾ تمييزٌ، أي: لإحدى الكبرِ إنذارًا أو حالٌ مما دلَّتْ عليهِ الجملةُ أي كبرتْ منذرةً وقرئَ (نذيرٌ)[٤] بالرفعِ على أنه خبرٌ بعدَ خبرِ لأنَّ أو لمبتدأٍ محذوفٍ.

﴿لمن شاءَ منكُم أن يتقدمَ أو يتأخرَ﴾ بدلٌ من للبشر أي نذيرًا لمن شاءَ منكم أن يسبقَ إلى الخير فيهديَه الله تعالى أو لم يشأْ ذلكَ فيضلَّه، وقيلَ: لمن شاء خبرٌ وأنْ يتقدمَ أو يتأخرَ مبتدأٌ فيكونُ في معنى قوله تعالى فمنْ شاءَ فليؤمنْ ومنْ شاءَ فليكفرُ ﴿كلُّ نفسٍ بما كسبتْ رهينةٌ﴾ مرهونةٌ عندَ الله تعالى بكسبِها والرهينةُ اسمٌ بمعْنى الرهنِ كالشتيمةِ بمعنى الشتمِ لا صفةٌ وإلا لقيلَ رهينٌ لأن فعيلًا بمعنى مفعولٍ لا يدخلُه التاءُ ﴿إلا أصحابَ اليمينِ﴾ فإنهم فاكُّون رقابَهم بما أحسنُوا من أعمالِهم كما يفكُّ الراهنُ رهنَهُ بأداءِ الدينِ وقيلَ: هم الملائكةُ وقيل: الأطفالُ وقيل: هم الذين سبقتْ لهم من الله تعالى الحُسنى وقيلَ: الذين كانُوا عن يمينِ آدمَ عليه السلامُ يومَ الميثاقِ وقيل: الذين يُعطون كتُبَهم بأيمانِهم ﴿في جناتٍ﴾ لا يُكتنهُ كنهها ولا يُدرك وصفُها وهو خبرٌ لمبتدأٍ محذوفٍ والجملةُ استئنافٌ وقعَ جوابًا عن سؤالٍ نشأَ مما قبلَه من استثناء أصحابِ اليمين كأنه قيلَ: ما بالُهم فقيلَ هم في جناتٍ وقيل: حالٌ من أصحاب اليمين وقيل: من ضميرهم في قوله تعالى ﴿يتساءلونَ﴾ وقيل: ظرفٌ للتساؤلِ وليس المرادُ بتساؤلهم أنْ يسألَ بعضُهم بعضًا على أنْ يكون كلُّ واحدٍ منهم سائلًا ومسؤولًا معًا بلْ صدورُ السؤالِ عنْهم[٥] مجردًا عن وقوعه عليهم فإن صيغةَ التفاعلِ و[إن وضعتْ][٦] في الأصل للدلالةِ على صدورِ الفعلِ عن المتعددِ ووقوعهِ

---

(١) في خ: والخامس.
(٢) في خ: كأنها.
(٣) في خ: النظم لا نظير.
(٤) قرأ بها: أبي، وابن أبي عبلة.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٣٧٩)، وتفسير القرطبي (١٩/ ٨٦)، والمعاني للفراء (٣/ ٢٠١)، وتفسير الرازي (٣٠/ ٢٠٩).
(٥) في خ: بينهم.
(٦) في خ: فإن وصفت.

عليه معًا بحيثُ يصير كلُّ واحدٍ من ذلك فاعلًا ومفعولًا معًا [كما في قولكَ][١] تراءى القومُ أيْ رأى كلُّ واحدٍ منهم الآخرَ لكنها قد تجردُ[٢] عن المَعْنى الثاني ويقصد بها الدلالةُ على الأولِ فقط فيذكرُ للفعلِ حينئذٍ مفعولُ كما في قولِك تراءوا الهلالَ فمعنى يتساءلونَ ﴿عن المجرمين﴾ يسألونهم عن أحوالِهم وقد حُذف المسؤولُ لكونه عينَ المسؤولِ عنه.

وقولُه تعالى ﴿ما سلككم في سقر﴾ مقدرٌ بقولٍ هو حالٌ من فاعل يتساءلونَ أيْ يسألونَهم قائلينَ أيُّ شيءٍ أدخلكُم فيَها فتأملْ ودعْ عنكَ ما تكلفَ فيهِ المتكلفونَ.

﴿قالُوا﴾ أي المجرمونَ مجيبينَ للسائلينَ ﴿لم نكُ من المصلينَ﴾ للصلواتِ الواجبةِ ﴿ولم نكُ نطعمُ المسكينَ﴾ على مَعْنى استمرارِ نفيِ الإطعامِ لا على نفيِ استمرارِ الإطعامِ كما مرَّ مِرارا، وفيه دلالةٌ على أنَّ الكفارَ مخاطبونَ بالفروعِ في حقِّ المؤاخذةِ ﴿وكنا نخوضُ مع الخائضينَ﴾ أي نشرعُ في الباطل مع الشارعينَ فيه ﴿وكنا نكذبُ بيوم الدينِ﴾ أي بيوم الجزاءِ أضافُوه إلى الجزاء مع أن فيه من الدواهِي والأهوال مَا لا غايةَ لهُ لأنه أدهاهَا وأهولُها وأنهم ملابسوه وقد مضتْ بقيةُ الدواهِي وتأخيرُ جنايتِهم هذهِ معَ كونِها أعظمَ منَ الكُلِّ لتفخيمِها كأنهم قالُوا وكنا بعد ذلكَ كلِّه مكذبينَ بيومِ الدينِ ولبيانِ كونِ تكذيبِهم به مقارنًا لسائرِ جناياتِهم المعدودةِ مستمرا إلى آخرِ عمرِهم حسبَما نطقَ به قولُهم ﴿حتَّى أتانا اليقينُ﴾ أي الموتُ[٣] ومقدماتُه ﴿فما تنفعهم شفاعةُ الشافعينَ﴾ لو شفعُوا لهم جميعًا والفاء في قولِه تعالَى: ﴿فما لهم عن التذكرة معرضين﴾ لترتيبِ إنكارِ إعراضِهم عنِ القرآنِ بغير سببٍ على ما قبلَها من موجباتِ الإقبالِ عليهِ والاتعاظِ به من سوءِ حالِ المكذبينَ ومعرضينَ حالٌ من الضميرِ في الجارِّ الواقعِ خبرًا لمَا الاستفهاميةِ وعنْ متعلقةٌ بهِ أيْ فإذَا كانَ حالُ المكذبينَ به على ما ذكرَ فأيُّ شيءٍ حصلَ لهم معرضينَ عن القرآنِ مع تعاضدِ موجباتِ الإقبالِ عليهِ وتآخذِ الدواعِي إلى الإيمانِ بهِ.

وقولُه تعالَى: ﴿كأنهم حمرٌ مستنفرةٌ﴾ [حالٌ من المستكنِّ في معرضين بطريقِ التداخلِ أي مشبهينَ بحمرٍ نافرةٍ][٤] ﴿فرت منْ قسورةٍ﴾ أيْ من [أسدٍ فَعْوَلَة][٥] من القَسْرِ وهُو القهرُ والغلبةُ وقيل: هي جماعةُ الرماةِ الذين يتصيدونَها شُبهوًا في إعراضِهم عن القرآنِ واستماعِ ما فيه من المواعظِ وشرادِهم عنه بحمُرٍ جدَّت في نفارِها مما أفزعَها وفيهِ من ذمهِم وتهجينِ حالِهم ما لا يَخْفى.

---

(١) سقط في خ.
(٢) في خ: عرت.
(٣) في خ: العذاب.
(٤) سقط في خ.
(٥) في خ: أشد فعله.

وقولُه تعالى: ﴿بلْ يريدُ كلُّ امرئٍ منهم أنْ يُؤتى صحفًا منشرة﴾ عطفٌ على مقدرٍ يقتضيه المقامُ كأنه قيلَ: لا يكتفونَ بتلك التذكرة ولا يرضَون بها بلْ يريدُ كل واحدٍ منهم أنْ يُؤتى قراطيسَ تنشرُ[١] وتقرأُ وذلكَ أنهم قالُوا لرسول الله ﷺ لنْ نتبعكَ حتى تأتِي كلَّ واحدٍ منها بكتابٍ من السماءِ عنوانُه من ربِّ العالمينَ إلى فلانِ بنِ فلانٍ نؤمَر فيها باتباعكَ كما قالُوا: (لن نؤمنَ لرقيكَ حتى تنزلَ علينَا كتابًا نقرؤه) وقرئ (صُحْفًا مُنْشرةً)[٢] بسكونِ الحاءِ والنونِ.

﴿كَلا﴾ ردعٌ لهم عن تلكَ الجراءة ﴿بل لا يخافونَ الآخرةَ﴾ فلذلكَ يُعرضون عن التذكرة [لا][٣] لامتناع إيتاءِ الصحفِ ﴿كَلَّا﴾ ردعٌ عنْ إعراضِهم ﴿إنَّه﴾ أي القرآنَ ﴿تذكرةٌ﴾ وأيُّ تذكرةٍ ﴿فمن شاءَ﴾ أن يذكرَهُ ﴿ذكرَهُ﴾ وحازَ بسببهِ سعادةَ الدارينِ ﴿وما يذكرونَ﴾ بمجرد مشيئتِهم للذكر كما هُو المفهومُ من ظاهرِ قولِه تعالى: ﴿فمَنْ شاءَ ذكرَهُ﴾ إذْ لا تأثيرَ لمشيئةِ العبدِ وإرادتِه في أفعالِه، وقولُه تعالى ﴿إلا أنْ يشاءَ الله﴾ استثناءٌ مفرغٌ من أعم العلل أو من أعم الأحوال أيْ وما يذكرونَ بعلةٍ من العلل أو في حالٍ من الأحوالِ إلا بأنْ يشاءَ الله أو حالَ أنْ يشاءَ الله ذلكَ وهو تصريحٌ بأن أفعالَ العبادِ بمشيئةِ الله عَزَّ وجَلَّ وقرئ (تذكرونَ)[٤] على الخطاب التفاتًا[٥] وقرئ بهمَا مشددًا[٦] ﴿هو أهلُ التقوى﴾ أي حقيقٌ بأنْ يُتقى عقابُه ويؤمنَ به ويطاعَ ﴿وأهلُ المغفرةِ﴾ حقيقٌ بأنْ يغفرَ لمنْ آمنَ بهِ وأطاعَهُ.

عن النبيِّ ﷺ: **«مَنْ قرأَ سورةَ المدثرِ أعطاهُ الله عشرَ حسناتٍ بعددِ مَنْ صدَّقَ بمحمدٍ ﷺ وكذَّبَ بهِ بمكةَ»**[٧].

---

(١) في خ: قراطيس تطوى.

(٢) قرأ بها: ابن جبير.
ينظر: الإملاء للعكبري (٢/ ١٤٧)، والبحر المحيط (٨/ ٣٨)، وتفسير القرطبي (١٩/ ٩٠)، والمجمع للطبرسي (١٠/ ٣٨٩)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٣٤٠)، وتفسير الرازي (٣٠/ ٢١٢).

(٣) سقط في خ.

(٤) قرأ بها: نافع، وسلام، ويعقوب، وأبو حاتم.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٢٧)، والإعراب للنحاس (٣/ ٥٥٠)، والبحر المحيط (٨/ ٣٨١)، والتيسير للداني ص (٢١٦)، والسبعة لابن مجاهد ص (٦٦٠)، والغيث للصفاقسي ص (٣٧٦)، والكشاف للزمخشري (٤/ ١٨٨).

(٥) في خ: اتفاقا.

(٦) قرأ بها: أبو جعفر.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٣٨١).

(٧) تقدم تخريجه، وزاد في خ: والله الموفق للصواب وإليه المرجع والمآب.

سُورةُ القيامةِ

مكيةٌ وآياتُها أربعونَ(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿١﴾ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾ بَلَىٰ
قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾ بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ﴿٥﴾ يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ
﴿٧﴾ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾
إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ
مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ
﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٢١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ
رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍۭ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾ كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ
رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ
﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ﴿٣٥﴾
أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ
مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾

﴿لاَ أُقْسمُ بيوم القيامةِ﴾ إدخالُ لاَ النافيةِ عَلى فعلِ القسم شائعٌ وفائدتُها توكيد القسم(٢) قالُوا إنَّها صلةٌ مثلُها في قولِه تعالَى لئَّلا يعلمَ أهلُ الكتابِ وقيلَ: هيَ للنفيِ لكنْ لَا لنفيِ نفسِ الإقسامِ بلْ لنفيِ ما ينبئُ هُو عنْهُ منْ إعظامِ المقسمِ بهِ وتفخيمِه كأنَّ مَعْنى لا أقسمُ بكَذَا لاَ أعظمُه بإقسامِي بهِ حَقَّ إعظامِه فإنَّه حقيقٌ بأكثرَ منْ ذلكَ وأكثرَ وأما مَا قيلَ: من أنَّ المَعْنى نفيُ الإقسامِ لوضوحِ الأمرِ فقدْ عرفتَ مَا فيهِ فِي قَوْلِه تَعالَى: ﴿فلاَ أُقسمُ بمواقعِ النجومِ﴾ [سورة الواقعة، الآية ٧٥] وقيلَ: إنَّ لاَ نفيٌ وردَ لكلامٍ معهودٍ قبلَ القسمِ كأنَّهم أنكرُوا البعثَ فقيلَ لاَ أيْ ليسَ الأمرُ كذلكَ ثمَّ قيلَ:

---

(١) في خ: تسعة وثلاثون.

(٢) في خ: للقسم.

أقسمُ بيومِ القيامةِ كقولِك لا والله إنَّ البعثَ حقٌّ وأيا ما كانَ ففِي الإقسامِ على تحققِ البعثِ بيومِ القيامةِ منَ الجزالةِ ما لا مزيدَ عليهِ وقَدْ مرَّ تفصيلُه في سورةِ يس وسورةِ الزخرفِ[١].

﴿وَلاَ أقسمُ بالنفسِ اللوامةِ﴾ أَيْ بالنَّفسِ المتقيةِ التي تلومُ النفوسَ يومئذٍ عَلى تقصيرهنَّ فِي التَّقوى ففيهِ طَرفٌ منَ البَراعةِ التي في القسمِ السَّابقِ أَوْ بالنفسِ التي لا تزالُ تلومُ نفسَها وإنِ اجتهدتْ في الطاعاتِ أو[٢] بالنفسِ المطمئنةِ اللائمةِ للنفسِ الأمارةِ وقيلَ: بالجنسِ لما رُوي أنَّه عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ قالَ: «**ليسَ منْ نفسٍ برةٍ ولا فاجرةٍ إلا وتلومُ نفسَها يومَ القيامةِ إنْ عملتْ خيرًا قالتْ كيفَ لَمْ أزددْ[٣] وإنْ عملتْ شرا قالتْ ليتني ما كنتُ قصرتُ**»[٤] ولا يَخفَى ضعفُه فإنَّ هذَا القدر منَ اللومِ لا يكونُ مدارًا للإعظامِ بالإقسامِ وإنْ صدرَ عنْ النفسِ المؤمنةِ المسيئةِ فكيفَ من الكافرةِ المندرجةِ تحتَ الجنسِ وقيلَ: بنفس آدمَ عليهِ السَّلامُ فإنَّها لا تزالُ تتلومُ عَلى فعلِها الذَّي خرجتْ بهِ منَ الجنةِ وَجَوابُ القسمِ ما دلَّ عليهِ قولُه تعالَى: **﴿أَيحسبُ الإنسانُ أنْ لَنْ نجمعَ عظَامَهُ﴾** وهُو ليبعثن، والمرادُ بالإنسان الجنسُ والهمزةُ لإنكارِ الواقعِ واستقباحِه وأنْ مخففةٌ منَ الثقيلةِ وضميرُ الشأنِ الذي هُو اسمُها محذوفٌ أيْ: أيحسبُ [أنَّ الشأنَ: لنْ][٥] نجمعَ عظامَهُ فإنَّ ذلكَ حسبانٌ بَاطِلٌ فإنَّا نجمعُها بعدَ تشتتها ورجُوعِها رَميمًا ورُفاتًا مختلطًا بالترابِ وبعدَ مَا سفتَها الرِّياحُ وطيرتها في أقطارِ الأرضِ وألقتها في البحارِ وقيلَ: إنَّ عديَّ بنَ أبِي ربيعةَ ختَنَ الأخنسِ بن شُريق وهُمَا اللذانِ كانَ النبيُّ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ يقولُ فيهِمَا: «**اللَّهم اكفِني جاري السوءِ**» قالَ لرسولِ الله ﷺ: يا محمدُ حدثنى عنْ يوم القيامةِ مَتَى يكونُ وكيفَ أمرُهُ فأخبرَهُ رسولُ الله ﷺ فقالَ: لو عاينتُ ذلكَ اليومَ لَمْ أصدقكَ، أوَ يجمعُ الله هذهِ العظامَ[٦].

﴿بَلَى﴾ أيْ نجمعُهَا حالَ كونِنَا **﴿قادرِينَ عَلى أن نسويَ بنانَهُ﴾** أيْ نجمع سُلامَياتِه ونضمُّ بعضَها إلَى بعضٍ كما كانتْ مع صغرِها ولطافتِها فكيفَ بكبارِ العظامِ أو عَلى

---

(١) في خ: الأحزاب. (٢) في خ: إن.

(٣) في ط: أزد.

(٤) لم أقف عليه مرفوعًا، وذكره الثعلبي في تفسيره (١٠/ ٨٢)، والبغوي في معالم التنزيل (٤/ ٤٢١).

(٥) في خ: الإنسان أن لن.

(٦) ذكره الثعلبي في تفسيره (١٠/ ٨٢)، والبغوي في معالم التنزيل (١/ ٢٨٠)، والواحدي في أسباب النزول، ص (٤٦٩) بغير إسناد.
وقال الزيلعي في تخريج الكشاف (٤/ ١٢٧): غريب، وهو في تفسير الثعلبي والبغوي وأسباب النزول للواحدي هكذا من غير سند ولا راو.ا هـ.

أنْ نسويَ أصابعه التي هيَ أطرافُه وآخرُ مَا يتمُّ بهِ خلقُه وقرِئ (قادرونَ)[١].

﴿بل يريدُ الإنسانُ ليفجرَ أمامَهُ﴾ عطفٌ عَلى أيحسبُ إمَّا على أنَّه استفهامٌ مثلُه أضربَ عنِ التوبيخِ بذلكَ إلى التوبيخِ بهذا أوْ عَلى أنَّه إيجابٌ انتقلَ إليهِ عن الاستفهامِ أيْ بلْ يريدُ ليدومَ على فجورِه فيمَا بين يديهِ منَ الأوقاتِ وما يستقبلُه منَ الزمانِ لاَ يرعَوى عَنْه ﴿يسألُ أيَّان يومُ القيامةِ﴾ أيْ متى يكونُ استبعادًا أو استهزاءً.

﴿فإذَا برقَ البصرُ﴾ أيْ تحيرَ فزعًا من برقَ الرجلُ إذَا نظرَ إلى البرقِ فدُهشَ بصرُه وقرئ بفتحِ الراءِ[٢] وهيَ لغةٌ أو منَ البريقِ بمَعْنى لمعَ منْ شدةِ شخوصِه وقُرئ بَلَق[٣] أي انفتحَ وانفرجَ ﴿وخسفَ القمرُ﴾ أيْ ذهبَ ضوؤه وقرئ عَلى البناءِ للمفعولِ[٤] ﴿وجُمعَ الشمسُ والقمرُ﴾ بأنْ يطلعهما الله تعالَى من المغربِ وقيلَ: جُمِعا في ذهابِ الضوءِ وقيلَ: يجمعانِ أسودينِ مكورينِ كأنَّهما ثورانِ عقيرانِ في النَّارِ وتذكيرُ الفعلِ لتقدمهِ وتغليبِ المعطوفِ ﴿يقولُ الإنسانُ يومئذٍ﴾ أيْ يومَ إذْ تقعُ هذهِ الأمورُ ﴿أينَ المفرُّ﴾ أي الفرارُ يأسًا منُهُ وقرئ بالكسرِ[٥] أيْ موضعِ الفرارِ وقدَ جُوِّزَ أنْ يكونَ هُو أيضًا مصدرًا كالمرجعِ.

---

(١) قرأ بها: ابن أبي عبلة، وابن السميفع.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٣٨٥)، وتفسير القرطبي (١٩/ ٩٢)، والكشاف للزمخشري (٤/ ١٩٠)، وتفسير الرازي (٣٠/ ٢١٧).

(٢) قرأ بها: نافع، وأبو عمرو، وعاصم، وابن أبي إسحاق، وزيد بن ثابت، وأبو حيوة، وابن أبي عبلة، والزعفراني، وابن مقسم، وزيد بن علي، وأبان، وهارون، ومحبوب، والحسن، والجحدري، وأبو جعفر، ونصر بن عاصم.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٢٨)، والإعراب للنحاس (٣/ ٥٥٥)، والبحر المحيط (٨/ ٣٨٥)، والتيسير للداني ص (٢١٦)، والسبعة لابن مجاهد ص (٦٦١)، والكشف للقيسي (٢/ ١٩٠).

(٣) قرأ بها: أبو السمال.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٣٨٥)، والكشاف للزمخشري (٤/ ١٩٠)، وتفسير الرازي (٣٠/ ٢١٩).

(٤) قرأ بها: أبو حيوة، وابن أبي عبلة، ويزيد بن قطيب، وزيد بن علي، وابن أبي إسحاق، وعيسى، والأعرج.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٣٨٦)، وتفسير القرطبي (١٩/ ٩٦)، والكشاف للزمخشري (٤/ ١٩١).

(٥) قرأ بها: الحسن، وابن عباس، وعكرمة، والحسن بن علي بن أبي طالب، ومجاهد، والحسن بن زيد، وأيوب السختياني، وكلثوم بن عياض، وابن يعمر، وقتادة، وحماد بن سلمة، وأبو رجاء، وعيسى، وابن أبي إسحاق، وأبو حيوة، وابن أبي عبلة، والزهري.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٢٨)، والإعراب للنحاس (٣/ ٥٥٦)، والبحر المحيط (٨/ ٣٨٦)، والتبيان للطوسي (١٠/ ١٩٣)، وتفسير الطبري (٢٩/ ١١٣)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٣٤١)، والمعاني للفراء (٣/ ٢١٠).

﴿كلَّا﴾ رَدعٌ من طلبِ المفرِّ وتمنيهِ ﴿لا وزرَ﴾ لا ملجأ، مستعارٌ منْ الجبلِ وقيلَ: كُلُّ ما التجأتَ إليهِ وتخلصتَ بهِ فَهُو وزَرُك ﴿إلى ربِّك يومئذٍ المستقرُّ﴾ أيْ إليهِ وحْدَهُ استقرارُ العبادِ أو إلى حُكمِه استقرارُ أمرهم أَوْ إلى مشيئتِه موضعُ قرارِهم يُدخلُ مَنْ يشاءُ الجنةَ ومَنْ يشاءُ النَّارَ.

﴿ينبأَ الإنسانُ يومئذٍ﴾ أيْ يُخبرُ كلُّ امرئ برًّا كانَ أو فاجرًا عندَ وزنِ الأعمالِ ﴿بما قدمَ﴾ أيْ عملَ منْ عملٍ خيرًا كانَ أو شرًا فيثابُ بالأولِ ويعاقبُ بالثاني ﴿وأخَّر﴾ أيْ لَمْ يعملْ خيرًا كانَ أو شرًّا فيعاقبُ بالأولِ ويثابُ بالثانِي أو بما قدمَ منْ حسنةٍ أوْ سيئةٍ وبما أخَّر منْ سنةٍ حسنةٍ أوْ سيئةٍ فعملَ بَها بعدَهُ أو بما قدمَ منْ مالٍ تصدقَ بهِ في حياتِه وبما أخَّر فخلفَهُ أو وقفَهُ أو أوْصَى بهِ أو بأولِ عملِه وآخرِه.

﴿بلِ الإنسانُ علَى نفسِه بصيرةٌ﴾ أيْ حجةٌ بينةٌ على نفسِه شاهدةٌ بما صدرَ عنْهُ منَ الأعمالِ السيئةِ كما يعربُ عنْهُ كلمةُ على وما سيأتِي منَ الجملةِ الحاليةِ وصفتْ بالبصارةِ مجازًا كما وصفتْ الآياتُ بالأبصار في قولِه تعالى: ﴿فلمَّا جاءتْهُم آياتُنا مبصرةً﴾ [سورة النمل، الآية ١٣] أوْ عينٌ بصيرةٌ أوِ التاءُ للمبالغةِ ومَعْنى بَلْ الترقِي أيْ ينبأُ الإنسانُ بأعمالِه بلْ هُو يومئذٍ عالمٌ بتفاصيلِ أحوالِه شاهدٌ على نفسِه لأنَّ جوارحَهُ تنطقُ بذلكَ وقولُه تعالَى: ﴿ولو ألقى معاذيرَه﴾ أي ولَو جاءَ بكُلِّ معذرةٍ يمكنُ أنْ يعتذرَ بَها عن نفسِه حالٌ من المستكنِ في بصيرةٍ أو منْ مرفوعِ ينبأُ أيْ هُو بصيرةٌ علَى نفسِه تشهدُ عليهِ جوارحُه وتُقبلُ شهادتُها ولو اعتذرَ بكُلِّ معذرةٍ أو ينبأُ بأعمالِه ولِو اعتذرَ. . .إلخ والمعاذيرُ اسمُ جمعٍ للمعذرةِ كالمناكيرِ اسمُ جمعٍ للمنكرِ وقيلَ: هو جمعُ معذارٍ[١] وهُو السترُ أيْ ولوْ أرْخى ستورَهُ. كانَ رسولُ الله ﷺ إذَا لقِّن الوحيَ نازعَ جبريلَ عليهِ السَّلامُ القراءةَ ولَم يُصبرْ إلى أنْ يتمَّها مسارعةً إلى الحفظِ وخوفًا منْ أنْ ينفلتَ منْهُ فأُمر عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ بأن يستنصتَ لَهُ ملقيًا إليهِ قلبه وسمعه حَتَّى يُقضى إليهِ الوحيُ ثمَّ يقفّيهِ بالدراسةِ إلى أنْ يرسخَ فيه[٢] ﴿لا تحركْ بهِ﴾ أيْ بالقرآنِ ﴿لسانكَ﴾ عندَ إلقاءِ الوَحْي ﴿لتعجلَ بهِ﴾ أي لتأخذَهُ على عجلة مخافة أنْ ينفلتَ منكَ.

﴿إنَّ علينا جمعه﴾ في صدرِك بحيثُ لا يذهبُ عليكَ شيءٌ مِنْ معانيهِ ﴿وقرآنَه﴾ أي إثباتَ قراءتِه في لسانِكَ ﴿فإذا قرأناهُ﴾ أي أتممنا قراءتَهُ عليكَ بلسانِ جبريلَ عليهِ السَّلامُ وإسنادُ القراءةِ إلى نونِ العظمةِ للمبالغةِ في إيجابِ التأنِّي ﴿فاتبعْ قُرآنه﴾ فكن

---

(١) في خ: أعذار. (٢) زاد في خ: فقيل.

مقفيًا لَهُ ولا تراسله ﴿ثم إن علينا بيانه﴾؛ أي بيانَ ما أشكلَ عليكَ من معانيهِ وأحكامِه ﴿كَلَّا﴾ ردعٌ لهُ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ عن عادةِ العجلةِ وترغيبٌ لهُ في الأناةِ وأكَّد ذلكَ بقولِه تعالَى: ﴿بَلْ تحبونَ العاجلةَ * وتذرونَ الآخرةَ﴾ على تعميم الخطابِ للكُلِّ أيْ بَلْ أنتُم يا بنِي آدم لما خلقتُم مِنْ عجلٍ وجبلتُم عليهِ تعجلونَ في كُلِّ شيءٍ ولذلكَ تحبونَ العاجلةَ وتذرونَ الآخرةَ وقيلَ: «كَلاَّ» ردعٌ للإنسانِ عنْ الاغترارِ بالعاجلِ فيكونُ جمعُ الضميرِ في الفعلينِ باعتبارِ مَعْنى الجنسِ ويؤيدُه قراءةُ الفعلينِ على صيغةِ الغيبةِ ﴿وجوهٌ يومئذٍ ناضرةٌ﴾ أيْ وجوهٌ كثيرةٌ وهيَ وجوهُ المؤمنينَ المخلصينَ يومَ إذْ تقومُ القيامةُ بهيةٌ متهللة يشاهدُ عليهَا نضرةُ النعيم علَى أنَّ وجوهٌ مبتدأٌ وناضرةٌ خبرُهُ ويومئذٍ منصوبٌ بناضرةٌ، وناظرةٌ في قولِه تعالَى: ﴿إلى ربِّها ناظرةٌ﴾ خبرٌ ثانٍ للمبتدإِ أو نعتٌ لناضرةٌ وإلى ربِّها متعلقٌ بناظرةٌ، وصحةُ وقوعِ النكرةِ مبتدأً لأنَّ المقامَ مقامُ تفصيلٍ لاَ على أنَّ ناضرةٌ صفةٌ لوجوهٌ والخبرُ ناظرةٌ كمَا قيلَ لما هُو المشهورُ مِنْ أنَّ حقَّ الصفةِ أنْ تكونَ معلومةَ الانتسابِ إلى الموصوفِ عندَ إلقاء السامعِ وحيثُ لَمْ يكُنْ ثبوتُ النضرةِ للوجوهِ كذلكَ فحقُّه أنْ يخبَر بهِ.

ومَعْنى كونِها ناظرةً إلى ربِّها أنَّها تراهُ تعالَى مستغرقةً في مطالعةِ جمالِه بحيثُ تغفلُ عَمَّا سواهُ وتشاهدُه تعالَى بلا كيفٍ ولا على جهةٍ وليسَ هذا في جميعِ الأحوالِ حَتَّى ينافيَهُ نظرُهَا إلى غيرِه وقيلَ: منتظرةٌ إنعامَهُ ورُدَّ بأنَّ الانتظارَ لا يسندُ إلى الوجْهِ وتفسيرُه بالجملةِ خلافُ الظاهرِ وأنَّ المستعملَ بمعناهُ لا يُعدَّى بـ (إلى) ﴿ووجوهٌ يومئذٍ باسرةٌ﴾ شديدةُ العبوسِ وهيَ وجوهُ الكفرةِ ﴿تظنُّ﴾ يتوقعُ أربابُها ﴿أنْ يفعلَ بها فاقرةٌ﴾ داهيةٌ عظيمةٌ تقصمُ فقارَ الظهرِ.

﴿كَلَّا﴾ ردعٌ عنْ إيثارِ العاجلةِ عَلى الآخرةِ أيْ ارتدعُوا عنْ ذلكَ وتنبهُوا لما بينَ أيديكُم منَ الموتِ الذي ينقطعُ عندَهُ ما بينكُم وبينَ العاجلةِ منَ العلاقةِ ﴿إذَا بلغتْ التراقِي﴾ أيْ بلغتْ النفسُ أعاليَ الصَّدرِ وهيَ العظامُ المكتنفةُ لثغرة النَّحرِ عنْ يمينٍ وشمالٍ ﴿وقيلَ مَنْ راقٍ﴾ أيْ قالَ مَن حضرَ صاحبَها؟ مَنْ يرقيهِ وينجيهِ مما هُو فيهِ؟ مِنَ الرقيةِ وقيلَ: هُو مِنْ كلام ملائكةِ الموتِ أيكُم يَرقَى بروحِه ملائكةُ الرحمةِ أو ملائكةُ العذابِ مِنَ الرُّقِيِّ ﴿وظَنَّ أنّه الفِراقُ﴾ وأيقنَ المحتضرُ أنَّ ما نزلَ بهِ للفراقِ مِنَ الدنيا ونعيمِها ﴿والتفتِ الساقُ بالساقِ﴾ والتفتْ ساقُه بساقِه والتوتْ عليهَا عندَ حلولِ الموتِ وقيلَ: هُما شدةُ فراقِ الدُّنيا وشدةُ إقبالِ الآخرةِ وقيلَ: هما ساقاهُ حينَ تلفانِ في أكفانِه ﴿إلى ربِّكَ يومئذٍ المساقُ﴾ أيْ إلى الله وإلى حكمِه يساقُ لا إلى غيرِه ﴿فلا صدقَ﴾ ما يجبُ تصديقُه منِ الرسولِ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ والقرآنِ الذي

نزلَ عليهِ أو فلا صدقَ مالَه ولا زكَّاهُ ﴿ولا صَلَّى﴾ ما فُرضِ عليهِ والضميرُ فيهمَا للإنسانِ المذكورِ في قولِه تعالَى: ﴿أيحسبُ الإنسانُ﴾ [سورة القيامة، الآية ٣٦] وفيه دلالةٌ على أنَّ الكفارَ مخاطبونَ بالفروعِ في حَقِّ المؤاخذةِ كما مَرَّ ﴿ولكنْ كذَّبَ﴾ مَا ذُكرَ منَ الرسولِ والقرآنِ ﴿وتولَّى﴾ عنِ الطاعةِ ﴿ثم ذهبَ إلى أهلِه يتمطَّى﴾ يتبخترُ افتخارًا بذلكَ منَ المطِّ فإن المتبخترَ يمد خطاهُ فيكونُ أصلُه يتمططُ أو منَ المَطَا وهو الظهرُ فإنَّه يلويه[1] ﴿أَوْلى لكَ فأَوْلى﴾ أيْ ويلٌ لكَ وأصلُه أَوْلاَكَ الله ما تكرهُه واللامُ مزيدةٌ كمَا في ﴿ردف لكُم﴾ [سورة النمل، الآية ٧٢] أوْ أَوْلى لكَ الهلاكُ وقيلَ: هُو أفعلُ منَ الويلِ بعدَ القلبِ كأدْنى من دُون أو فَعْلى من آلَ يؤولُ بمَعنى عقباكَ النارُ ﴿ثمَّ أولى لكَ فأَوْلى﴾ أيْ يتكررُ عليهِ ذلكَ مرةً بعدَ أُخْرَى.

﴿أيحسبُ الإنسانُ أنْ يتركَ سُدى﴾ أيْ يخلى مُهملا فلاَ يكلَّفُ ولا يُجزى وقيلَ: أنْ يتركَ في قبرِه ولا يبعثَ وقولُه تعالَى: ﴿ألم يكُ نطفةً مِنْ مَنيٍّ يُمنى﴾... إلخ، استئنافٌ واردٌ لإبطالِ الحسبانِ المذكورِ فإنَّ مدارَهُ لمَّا كانَ استبعادُهم للإعادةِ استدلَّ على تحققِها ببدءِ الخلقِ ﴿ثم كان علقةً﴾ أيْ بقدرةِ الله تعالَى لقولِه تعالَى: ﴿ثم خلقنا النطفةَ علقةً﴾ [سورة المؤمنون، الآية ١٤] ﴿فخلقَ﴾ أي فقدرَ بأنْ جعلَها مضغةً مخلقةً ﴿فسوَّى﴾ فعدَّلَ وكمَّل نشأتَهُ ﴿فجعلَ منْهُ﴾ أي منَ الإنسانِ ﴿الزوجينِ﴾ أي الصنفينِ ﴿الذكرَ والأُنْثى﴾ بدلُ الزوجينِ ﴿أليسَ ذلكَ﴾ العظيمُ الشأنِ الذي أنشأَ هَذا الإنشاءَ البديعَ ﴿بقادرٍ عَلى أنْ يحييَ المَوْتى﴾ وهو أهونُ من البدءِ في قياسِ العقلِ.

رُوي أنَّ النبيَّ ﷺ كانَ إذَا قرأَها قالَ: «**سُبْحانكَ بَلَى**»[2]. وعنْهُ ﷺ: «**مَنْ قرأَ سورةَ القيامةِ شهدتُ لَهُ أنَا وجبريلُ يومَ القيامةِ أنَّه كانَ مُؤمنًا بيومِ القيامةِ**»[3].

---

(١) في ط: يلوذ به.

(٢) أخرجه أبو داود (١/ ٢٣٣، ٢٣٤) كتاب الصلاة: باب الدعاء في الصلاة حديث (٨٨٤) من حديث موسى بن أبي عائشة قال: كان رجل يصلي فوق بيته وكان إذا قرأ «أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى» قال: سبحانك فبلى، فسألوه عن ذلك؟ فقال: سمعته من رسول الله ﷺ.
وأخرجه الحاكم (٢/ ٥١٠) من حديث أبي هريرة، أن النبي ﷺ كان إذا قرأ «أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى» قال: بلى، وإذا قرأ: «أليس الله بأحكم الحاكمين» قال: بلى.
وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وفي خ: سبحان الله.

(٣) تقدم تخريجه، وزاد في خ: والله الموفق بمنه وكرمه.

سُورةُ الإنسانِ

مَكِّيةٌ[1] وآيُها إحْدَى وثلاثونَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ
أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ إِنَّآ
أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا
﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾
وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا
﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾
وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً
عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۟ مِن
فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ ۞
وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾
عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا
كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ
وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ
وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾ نَّحْنُ
خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ
رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ
فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾

﴿هَل أَتَى﴾ استفهامُ تقريرٍ وتقريبٍ فإنَّ هَلْ بمَعْنى قَدْ والأصلُ أَهَلْ أَتَى **﴿عَلَى**

---

(١) في خ: هي مدنية، ولعله خطأ من الناسخ.

الإنسانِ﴾ قبلَ زمانٍ قريبٍ ﴿حينٌ من الدهرِ﴾ أي طائفةٌ محدودةٌ كائنةٌ من الزمنِ الممتدِّ ﴿لم يكُنْ شيئًا مذكُورًا﴾ بلْ كانَ شيئًا منسيا غيرَ مذكورٍ بالإنسانية أصلًا كالعنصرِ والنطفةِ وغير ذلكَ. والجملةُ المنفيةُ حالٌ من الإنسان أي غيرَ مذكورٍ أو صفةٌ أُخرى لـ (حينٌ) على حذف العائدِ إلى الموصوف، أي: لَمْ يكُن فيه شيئًا مذكُورًا. والمرادُ بالإنسان الجنسُ فالإظهارُ في قوله تعالى: ﴿إنَّا خلقنَا الإنسانَ من نطفةٍ﴾ لزيادة التقريرِ، أو آدمُ عليه السَّلامُ، وهو المرويُّ عن ابن عباسٍ وقتادة والثوريِّ وعكرمةَ والشعبيِّ. قالَ ابنُ عباسٍ في روايةِ أبي صالحٍ عنْهُ: مرتْ به أربعونَ سنةً قبلَ أنْ يُنفخَ فيه الروح وهو مُلقى بين مكةَ والطائفِ وفي روايةِ الضحاكِ عنه أنَّه خُلقَ من طينٍ فأقامَ أربعينَ سنةً ثمَّ من حمإٍ مسنون فأقامَ أربعينَ سنةً ثمَّ من صلصالٍ فأقامَ أربعينَ سنةً فتمَّ خلقُه بعدَ مائةٍ وعشرينَ سنةً ثمَّ نُفخَ فيهِ الرُّوحُ، وحكَى الماوَرْدِيُّ عن ابن عباسٍ رضيَ الله عنهُمَا أنَّ الحينَ المذكورَ هاهنَا هو الزمنُ الطويلُ الممتدُّ الذي لا يُعرفُ مقدارُه فيكونُ الأولُ إشارةً إلى خلقه[1] عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ وهذا بيانًا لخلقِ بنيهِ.

﴿أمشاجٍ﴾ أخلاطٌ، جمعُ مشجٍ أو مشيجٍ، منْ مشجتَ الشيءَ إذا خلطتَهُ. وصف النطفةَ بهِ لمَّا أنَّ المرادَ بها مجموعُ الماءينِ، ولكلٍّ منهُمَا أوصافٌ مختلفةٌ من اللون والرقةِ والغِلَظِ، وخواصُّ متباينةٌ فإنَّ ماءَ الرجلِ أبيضُ غليظٌ فيه قوَّةُ العقدِ وماءَ المرأةِ أصفرُ رقيقٌ فيهِ قوةُ الانعقادِ يُخلقُ منهُمَا الولدُ فمَا كانَ من عصبٍ وعظمٍ وقوةٍ فَمِنْ[2] ماءِ الرَّجُلِ وما كانَ منْ لحمٍ ودمٍ وشعرٍ فَمِنْ ماءِ المرأةِ.

قالَ القرطبيُّ: وقد رُويَ هذا مرفوعًا[3]، وقيلَ: مفردٌ كأعشارٍ وأكياشٍ، وقيلَ: أمشاجٌ ألوانٌ وأطوارٌ فإنَّ النطفةَ تصيرُ علقةً ثمَّ مضغةً إلى تمام الخِلقةِ.

وقولُه تعالَى: ﴿نبتليهِ﴾ حالٌ منْ فاعل خلقنَا أيْ مريدينَ ابتلاءهُ بالتكليف فيما سيأتي أو ناقلينَ له من حالٍ إلى حال على طريقة الاستعارةِ كما رُويَ عن ابنِ عباسٍ رضيَ الله عنهُمَا نصرِّفه في بطنِ أمه نطفةً ثمَّ علقةً إلى آخرِهِ ﴿فجعلنَاهُ سميعًا بصيرًا﴾ ليتمكنَ من استماعِ الآياتِ التنزيليةِ ومشاهدةِ الآياتِ التكوينيةِ فهو كالمسببِ عن[4]

---

(١) في خ: قوله. (٢) في خ: فهو من.

(٣) أخرجه أحمد (١/ ٤٦٥) والبزار (٥/ ٣٧٠) برقم (٢٠٠٠)، والطبراني في المعجم الكبير (١٠/ ٢١٣) برقم (١٠٣٦٠)، من طريق عطاء بن السائب، عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه، عبد الله بن مسعود ... الحديث.
قال الهيثمي في المجمع (٨/ ٢٤١): رواه أحمد والطبراني والبزار بإسناديه، وفي أحد أسانيده عامر بن مدرك وثقه ابن حبان وضعفه غيره، واختلط. ا هـ.

(٤) في خ: من.

الابتلاءِ فلذلكَ عُطِفَ على الخلقِ المقيدِ به بالفاءِ ورُتِّبَ عليهِ قولُه تعالَى: ﴿إِنَّا هديناهُ السبيلَ﴾ بإنزالِ الآياتِ ونصبِ الدلائل ﴿إِمَّا شاكرًا وإِمَّا كَفُورًا﴾ حالانِ من مفعولِ هدينَا أي مكّناهُ وأقدرناهُ على سلوكِ الطريقِ الموصلِ إلى البُغيةِ في حاليهِ جميعًا، وإمَّا للتفصيلِ أو التقسيم، أيْ هديناهُ إلى ما يوصلُ إليها في حاليهِ جميعًا أو مقسومًا إليهما بعضُهم شاكرٌ [بالاَهتداءِ والأخذِ فيهِ وبعضُهم كفورٌ بالإعراضِ عنْهُ وقيلَ: من السبيلِ أي عرفناهُ السبيلَ إما سبيلًا][1] شاكرًا أو كفورًا على وصفِ السبيلِ بوصفِ سالكِه مجازًا.

وقرئ[2] أَمَّا بالفتحِ على حذفِ الجوابِ، أي أَمَّا شاكرًا فبتوفيقِنا، وأَمَّا كفورًا فبسوءِ اختيارِه لا بمجردِ إجبارِنا من غيرِ اختيارٍ منْ قِبَلِه، وإيرادُ الكفورِ لمراعاة الفواصلِ والإشعارِ بأنَّ الإنسانَ قلَّما يخلُو من كفرانٍ مَا وإنَّما المؤاخذُ عليه الكفرُ المفرطُ ﴿إنا أعتدنَا للكافرينَ﴾ من أفراد الإنسان الذي هديناهُ السبيلَ ﴿سلاسلًا﴾ بهَا يُقادُون ﴿وأغلالًا﴾ بها يُقيَّدونَ ﴿وسعيرًا﴾ بهَا يُحرقُون، وتقديمُ وعيدِهم معَ تأخرهم[3] للجمع بينهُمَا في الذكر كما في قولِه تعالى: ﴿يومَ تبيضُّ وجوهٌ وتسودُّ وجوهٌ فأمَّا الذينَ اسودَّتْ وجوهُهم﴾ [سورة آل عمران، الآية ١٠٦] الآيةَ، ولأنَّ الإنذارَ أهمُّ وأنفعُ وتصديرُ الكلام وختمُه بذكرِ المؤمنينَ أحسنُ على أنَّ في وصفِهم تفصيلًا ربَّما يُخلُّ تقديمُه بتجاوب أطراف النظمِ الكريمِ. وقرئ[4] سلاسلًا للتناسب.

﴿إنَّ الأبرارَ﴾ شروعٌ في بيان حسنِ حالِ الشاكرينَ [إثرَ بيانِ سوءِ حالِ الكافرينَ][5] وإيرادُهم بعنوانِ البرِّ للإشعارِ بمَا استحقُّوا بهِ ما نالُوه من الكرامةِ السنيةِ[6]. والأبرارُ جمعُ بَرٍّ أو بارٍّ كربٍّ وأربابٍ وشاهدٍ وأشهادٍ. قيلَ: هُو من يبرُّ خالقَهُ أي يطيعُهُ وقيلَ: من يمتثلُ بأمرِه تعالى وقيلَ: من يؤدِّي حقَّ الله تعالى ويوفِّي

---

(١) سقط في خ.
(٢) قرأ بها: أبو السمال، وكثير بن عبد الله السلمي.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٣٩٤)، والكشاف للزمخشري (٤/ ١٩٥)، وتفسير الرازي (٣٠/ ٢٣٩).
(٣) في خ: تأخيرهم.
(٤) قرأ بها: نافع، والكسائي، وعاصم، وابن كثير، وشعبة، وأبو جعفر، ورويس، والحلواني، والداجوني، وهشام، والشذائي، وأبي، وابن مسعود، وشبل.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر (٤٢٨، ٤٢٩)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٤٨)، والبحر المحيط (٨/ ٣٩٤)، والسبعة لابن مجاهد ص (٦٦٣)، والغيث للصفاقسي ص (٣٧٨)، والكشف للقيسي (٢/ ٣٥٢).
(٥) سقط في خ.
(٦) في خ: المسببة.

بالنذرِ، وعنِ الحسنِ: البرُّ منْ لا يُؤذِي الذرَّ ﴿**يشربونَ من كأسٍ**﴾ هي الزجاجةُ إذا كانتْ فيها خمرٌ وتُطلقُ على نفسِ الخمرِ أيضًا فمِنْ على الأولِ ابتدائيةٌ وعلى الثانِي تبعيضيةٌ أو بيانيةٌ ﴿**كانَ مزاجُها**﴾ أي ما تمزجُ به ﴿**كافورًا**﴾ أي ماءَ كافورٍ وهو اسمُ عينٍ في الجنَّةِ ماؤُها في بياضِ الكافورِ ورائحتِه وبردِه. والجملةُ صفةُ كأسٍ. وقولُه تعالَى: ﴿**عينًا**﴾ بدلٌ من كافُورًا وعنْ قتادةَ: تمزجُ لهم بالكافورِ وتختمُ لهم بالمسكِ، وقيلَ: تخلقُ[١] فيها رائحةُ الكافورِ وبياضُه وبردُه فكأنَّها مُزجتْ بالكافورِ، فعينًا على هذينِ القولينِ بدلٌ منْ محلِّ (منْ كأسٍ) على تقديرِ مضافٍ أي يشربونَ خمرًا خمرَ عينٍ أو نَصبٌ على الاختصاصِ.

وقولُه تعالى: ﴿**يشربُ بها عبادُ الله**﴾ صفةُ عينًا أي يشربونَ [بها الخمرَ لكونِها ممزوجةً بهَا وقيل: ضُمِّن يشربُ مَعْنى يلتذُّ وقيل: الباءُ بمَعْنى مِنْ وقيلَ: زائدةٌ ويعضدُه قراءةُ ابنِ أبِي عبلةَ[٢] «يشربها عبادُ الله» وقالَ: الضميرُ للكأسِ والمَعْنى يشربونَ][٣] العينَ بتلكَ الكأسِ ﴿**يُفجرونها تفجيرًا**﴾ أي يُجرونها حيثما شاؤوا من منازِلهم إجراءً سهلًا لا يمتنعُ عليهم بَلْ يَجْري جريًا بقوة واندفاغع والجملةُ صفةٌ أُخرى لـ (عينًا) وقولُه تعالى: ﴿**يُوفونَ بالنذرِ**﴾ استئنافٌ مسوقٌ لبيان ما لأجلِه رُزقُوا ما ذُكِرَ من النعيم مشتملٌ على نوع تفصيلٍ لما ينبئُ عنه اسمُ الأبرارِ إجمالًا كأنَّه قيلَ: ماذَا يفعلونَ حَتَّى ينالُوا تلكَ الرتبةَ العاليةَ؟ فقيلَ: يُوفون بما أَوجبُوه على أنفسِهم فكيفَ بما أوجبَهُ الله تعالَى عليهم ﴿**ويخافُون يومًا كان شرُّه**﴾ عذابُه ﴿**مُستطيرًا**﴾ فاشيًا مُنتشرًا في الأقطارِ غايةَ الانتشارِ، من استطارَ الحريقُ والفجرُ وهُو أبلغُ من طارَ بمنزلة استنفرَ منْ نفرَ ﴿**ويُطعِمونَ الطَّعامَ على حُبِّهِ**﴾ أي كائنينَ على حُبِّ الطَّعام والحاجةِ إليهِ كما في قولِه تعالَى: ﴿لَنْ تنالُوا البرَّ حتَّى تنفقُوا مِمَّا تحبونَ﴾ [سورة آل عمران، الآية ٩٢] أي على حُبِّ الإطعام بأنْ يكونَ ذلكَ بطيبِ النفسِ أو كائنينَ على حُبِّ الله تعالَى أو إطعامًا كائنًا على حُبِّه تَعالَى وهُو الأنسبُ لما سيأتِي من قولِه تعالَى لوجهِ الله ﴿**مسكينًا ويتيمًا وأسيرًا**﴾ أيَّ أسيرٍ فإنَّه كانَ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ يُؤتَى بالأسيرِ فيدفعُه إلى بعضِ المسلمينَ فيقولُ: «**أَحْسِنْ إليه**» أو أسيرًا مؤمنًا فيدخلُ فيه المملوكُ والمسجونُ وقد سَمَّى رسولُ الله ﷺ الغريمَ أسيرًا فقال: «**غَريمُكَ أسيرُكَ فأحسِنْ إلى أسيرِكَ**»[٤] ﴿**إنما نطعمكُم لوجهِ الله**﴾ على إرادة قولٍ هو في موقع الحالِ

---

(١) في خ: يخلف.
(٢) ينظر: البحر المحيط (٨/ ٣٩٥).
(٣) سقط في خ.
(٤) بيض له الزيلعي في تخريج الكشاف (٤/ ١٣٣)، وقال الولي العراقي كما في الفتح السماوي (٣/ ١٠٧٠): لم أقف عليه.

من فاعلِ يطعمونَ أي قائلينَ ذلكَ بلسانِ الحالِ أو بلسانِ المقالِ إزاحةً لتوهمِ المنِّ المبطلِ للصدقةِ وتوقعِ المكافأةِ المنقصةِ للأجرِ. وعن الصديقةِ رضيَ الله تعالَى عنها أنَّها كانتْ تبعثُ بالصدقةِ إلى أهلِ بيتٍ ثم تسألُ الرسولَ ما[1] قالُوا؟ فإذَا ذكرَ دعاءَهُم دعتْ لَهُم بمثلِه ليبقَى ثوابُ الصدقةِ لها خالصًا عندَ الله تعالَى **﴿لا نريدُ منكم جزاءً ولا شكورًا﴾** [وهو تقريرٌ وتأكيدٌ لما قبلَهُ][2].

﴿إنَّا نخافُ من ربِّنا يومًا﴾ [أي عذابَ يوم][3] **﴿عبوسًا﴾** [يعبسُ فيه الوجُوه أو يُشبه الأسدَ العَبُوسَ في الشِّدةِ والضَّراوةِ][4] **﴿قمطريرًا﴾** شديدَ العُبوسِ فلذلكَ نفعلُ بكُم ما نفعلُ رجاءَ أنْ يقينَا ربُّنا بذلكَ شرَّه، وقيلَ: هو تعليلٌ لعدم إرادةِ الجزاءِ والشكورِ أي إنَّا نخافُ عقابَ الله تعالى إنْ أردناهُمَا **﴿فوقاهُم الله شرَّ ذلكَ اليومِ﴾** بسببِ خوفِهم وتحفظِهم عنه **﴿ولقَّاهم نضرةً وسُرورًا﴾**: [أي: أعطاهُم بدلَ عبوسِ الفُجَّارِ وحُزنِهم نضرةً في الوجوه وسُرورًا في القلوبِ **﴿وجزاهُم بمَا صبرُوا﴾** بصبرِهم على][5] مشاقِّ الطاعاتِ ومهاجرةِ هَوَى النفسِ في اجتنابِ المُحرَّماتِ وإيثارِ الأموالِ **﴿جنةً﴾** بستانًا يأكلُون منه ما شاءُوا **﴿وحريرًا﴾** يلبسونَهُ ويتزينونَ به.

وعنِ ابن عباسٍ رضيَ الله عنهما: (أنَّ الحسنَ والحسينَ رضيَ الله تعالَى عنهُمَا مَرِضا فعادهُما النبيُّ ﷺ في ناسٍ معَهُ فقالُوا لعليٍّ رضيَ الله عنهُ: لو نذرتَ على [شفاءِ][6] ولدكَ فنذرَ عليٌّ وفاطمةُ رضيَ الله تعالى عنهُمَا وفضةُ جاريةٌ لهما إنْ برئَا مما بهِمَا أنْ يصومُوا ثلاثةَ أيام فشُفيا وما معهُم شيءٌ فاستقرضَ عليٌّ رضيَ الله عنْهُ من شمعونَ الخيبريِّ ثلاثة أصوعٍ[7] من شعيرٍ فطحنتْ فاطمةُ رضيَ الله تعالى عنها صاعًا واختبزتْ خمسةَ أقراصٍ علَى عددِهم فوضعُوها بين أيديهِم ليُفطِرُوا فوقفَ عليهم سائلٌ فقالَ: السَّلامُ عليكم أهلَ بيتِ محمدٍ مسكينٌ من مساكين المسلمينَ أطعمُوني أطعمكُم الله تعالَى من موائدِ الجنةِ فآثرُوه وباتُوا لم يذوقُوا إلا الماءَ وأصبحُوا صيامًا فلمَّا أمسَوا ووضعُوا الطعامَ بينَ أيديهِم وقفَ عليهم يتيمٌ فآثرُوه ثم وقفَ عليهم في الثالثةِ أسيرٌ ففعلُوا مثلَ ذلكَ فلما أصبحُوا أخذ عليٌّ بيدِ الحسنِ والحسينِ رضيَ الله عنهُم فأقبلُوا إلى[8] النبيِّ ﷺ فلما أبصرهُم وهُم يرتعشونَ كالفراخِ من شدةِ الجُوع قال

---

(١) في خ: ماذا.
(٢) في خ: أي شكرا.
(٣) سقط في خ.
(٤) في خ: وهو في الضراوة.
(٥) في خ: يعينهم.
(٦) سقط في خ.
(٧) في خ: أصواع.
(٨) في خ: على.

عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «ما [أشدَ ما يسوؤني][(١)] ما أَرَى بكُم» وقامَ فانطلقَ معهُم فرَأى فاطمةَ في محرابِها قد التصقَ ظهرُها ببطنِها وغارتْ عيناهَا فساءَهُ ذلكَ فنزلَ جبريلُ عليه السَّلامُ وقالَ: خُذْها يا محمدُ هنَّأكَ الله تعالى في أهلِ بيتكَ)[(٢)] فأَقْرأَهُ السورةَ ﴿متكئينَ فيهَا على الأرائكِ﴾ [حالٌ مِنْ هُمْ فِي جَزَاهُمْ والعاملُ فيها جَزَى وقيلَ: صفةٌ لـ (جنةً) من غيرِ إبرازِ الضميرِ. والأرائكُ هي السُّررُ في الحجالِ. وقولُه تعالَى:][(٣)] ﴿لا يرَون فيها شمسًا ولا زمهريرًا﴾ إمَّا حالٌ ثانيةٌ من الضمير أو المستكنِّ في متكئينَ والمَعْنى أنَّه يمرُّ عليهم هواءٌ معتدلٌ لا حارٌّ محمٌّ ولا باردٌ مؤذٍ وقيلَ: الزمهريرُ القمرُ في لُغةِ طَيِّئٍ والمَعْنى أنَّ هواءَهَا مضيءٌ بذاتِه لا يحتاجُ إلى شمسٍ ولا قمرٍ ﴿ودانيةً عليهم ظلالُها﴾ عطفٌ على ما قبلَها حالٌ مثلُها أو صفةٌ لمحذوفٍ معطوفٍ على جنةً أي وجنةً أخرى دانيةً عليهم ظلالُها على أنَّهم وُعدوا جنتينِ كما في قولِه تعالَى: ﴿ولمن خافَ مقامَ ربِّه جنتانِ﴾ [سورة الرحمٰن، الآية ٤٦] وقرئ (دانيةٌ)[(٤)] بالرفعِ على أنه خبرٌ لظلالِها والجملةُ في حيزِ الحالِ والمعنى لا يَرَون فيها شمسًا ولا زمهريرًا والحالُ أنَّ ظلالَها دانيةٌ. قالُوا: معناهُ أنَّ ظلالَ أشجارِ الجنةِ قريبةٌ من الأبرارِ مظلةٌ عليهم زيادةً في نعيمِهم على مَعْنى أنه لو كانَ هناكَ شمسٌ مؤذيةٌ لكانتْ أشجارُهَا مظلةً عليهم مع أنَّه لا شمسَ [ثمةَ][(٥)] ولا قمرَ ﴿وذُللتْ قطوفُها تذليلًا﴾ أي سُخرتْ ثمارُها لمتناوليها وسُهلَ[(٦)] أخذُها من الذُّلِّ وهو ضدُّ الصعوبةِ. والجملةُ حالٌ من دانيةً أي تدنُو ظلالُها عليهم مُذلَّلة لهم قطوفُها. أو معطوفةٌ على دانيةً أي دانيةً عليهم ظلالُها ومذللةً قطوفُها، وعلى تقديرِ رفعِ دانيةً فهيَ جملةٌ فعليةٌ معطوفةٌ على جُملةٍ اسميةٍ ﴿ويُطافُ عليهم بآنيةٍ منْ فضَّةٍ وأكوابٍ﴾ الكوبُ الكوزُ العظيمُ الذي لا أُذنَ له ولاَ عُروةَ ﴿كانتْ قواريرًا * قواريرا منْ فِضَّةٍ﴾ أي تكونتْ جامعةً بين صفاءِ الزجاجةِ وشفيفِها ولينِ الفِضَّةِ وبياضِها، والجملةُ صفةٌ لـ (أكواب).

---

(١) في خ: يسرني.
(٢) أخرجه الثعلبي في تفسيره (١٠/ ٩٩)، وذكره الزيلعي في تخريج الكشاف (٤/ ١٣٤) وعزاه للثعلبي، وقال: قال أبو عبد الله الترمذي الحكيم في كتابه نوادر الأصول في الأصل الرابع والأربعين: ومن الأحاديث التي تنكرها القلوب حديث رووه عن مجاهد عن ابن عباس... فذكره.
(٣) سقط في خ.
(٤) قرأ بها: أبو حيوة.
ينظر: الإملاء للعكبري (٢/ ١٤٨)، والبحر المحيط (٨/ ٣٩٦)، وتفسير القرطبي (١٩/ ١٣٩).
(٥) سقط في خ.
(٦) في خ: وتشفيفها.

وقرئ(١) [بتنوين](٢) قواريرَ الثاني أيضًا، وقُرئَا بغيرِ تنوينٍ، وقرئ(٣) الثَّانِي بالرَّفعِ على هيَ قواريرُ ﴿قدَّرُوها تقديرًا﴾ صفةٌ لقواريرَ ومعنى تقديرِهم لها أنَّهم قدَّروها في أنفسِهم وأرادُوا أنْ تكونَ على مقاديرَ وأشكالٍ معينةٍ موافقةً لشهواتهم فجاءتْ حسبَمَا قدَّرُوها، أو قدَّرُوها بأعمالِهم الصالحةِ فجاءتْ على حسبِها، وقيلَ: الضميرُ للطائفينَ بهَا المدلولِ عليهم بقولِه تعالى: ﴿وَيُطافُ عليهم﴾ [سورة الإنسان، الآية ١٥] فالمعنى قدَّروا شرابَها على قدرِ اشتهائِهم، وقرئ(٤) قُدِّرُوها على البناءِ للمفعولِ أي جُعلوا قادرينَ لها كما شاءوا من قَدَر منقولًا من قَدَّرتُ الشيءَ.

﴿ويُسقَون فيها كأسًا كانَ مزاجُها زَنْجبيلًا﴾ أي ما يشبِهُ الزنجبيلَ في الطعم وكان الشرابُ الممزوجُ به أطيبَ ما تستطيبُه العربُ وألذَّ ما تستلذُّ به ﴿عينًا﴾ بدلٌ من زنجبيلًا، وقيلَ: تمزجُ كأسُهم بالزنجبيلِ بعينِه، أو يخلقُ الله تعالى طعمَهُ فيها، فعينًا حينئذٍ بدلٌ من كأسًا كأنَّه قيلَ: ويُسقَون فيها كأسًا كأسَ عينٍ، أو نصبٌ على الاختصاص ﴿فيهَا تُسمَّى سلسبيلًا﴾ لسلاسة انحدارِها في الحَلْقِ وسهولةِ مساغِها، يقالُ: شرابٌ سلسلٌ وسلسالٌ وسلسبيلٌ، ولذلكَ حُكمَ بزيادةِ الباءِ، والمرادُ بيانُ أنَّها في طعم الزنجبيلِ، وليسَ فيها لذعةٌ بل نقيضُ اللذع هو السلاسةُ ﴿ويَطُوفُ عليهم وِلدانٌ مخلدونَ﴾ أي دائمونَ على ما هُم عليه من الطراوةِ والبهاءِ ﴿إذَا رأيتهم حسبتُهم لؤلؤًا منثورًا﴾ لحُسنِهم وصفاءِ ألوانِهم وإشراقِ وجوهِهم وانبثاثِهم في مجالسهم ومنازِلِهم وانعكاسِ أشعةِ بعضِهم إلى بعضٍ ﴿وإذا رأيتَ ثَمَّ﴾ ليسَ له مفعولٌ ملفوظٌ

---

(١) قرأ بها: نافع، والكسائي، وعاصم، وشعبة، وأبو جعفر، والحسن، والأعمش، وهشام، والشنبوذي، والأزرق، وابن شنبوذ.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٢٩)، والإعراب للنحاس (٣/ ٥٧٨)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٤٩)، والبحر المحيط (٨/ ٣٩٧)، والسبعة لابن مجاهد ص (٦٦٣)، والغيث للصفاقسي ص (٣٧٨).

(٢) سقط في خ.

(٣) قرأ بها: الأعمش.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٢٩)، والبحر المحيط (٨/ ٣٩٧)، وتفسير الرازي (٣٠/ ٢٥٠).

(٤) قرأ بها: أبو عمرو، وعلي، وابن عباس، والسلمي، والشعبي، وابن أبزى، وقتادة، وزيد بن علي، والجحدري، وعبد الله بن عبيد، وأبو حيوة، وعباس، وأبان، والأصمعي، ويعقوب، وعبيد بن عمير، وابن سيرين.
ينظر: الإعراب للنحاس (٣/ ٥٧٨)، والبحر المحيط (٨/ ٣٩٧، ٣٩٨)، والتبيان للطوسي (١٠/ ٢١١)، وتفسير الطبري (٢٩/ ١٣٤)، وتفسير القرطبي (١٩/ ١٤١)، والكشاف للزمخشري (٤/ ١٩٨)، والمجمع للطبرسي (١٠/ ٤٠٨).

ولا مقدرٌ ولا منويٌّ، بل[1] معناهُ أنَّ بصرَكَ أينمَا وقعَ في الجنةِ **﴿رأيتَ نعيمًا ومُلكًا كبيرًا﴾** أي هنيئًا واسعًا. وفي الحديثِ «أدنَى أهلِ الجنةِ منزلةً ينظُر في مُلكِه مسيرةَ ألفِ عامٍ يَرى أقصاهُ كمِا يَرى أدناهُ».

وقيلَ: لا زوالَ لَه، وقيلَ: إذَا أرادُوا شيئًا كانَ، وقيلَ: يُسلمُ عليهم الملائكةُ ويستأذنونَ عليهم **﴿عاليَهُم ثيابُ سندسٍ خضرٌ﴾** قيلَ: عاليَهُم ظرفٌ على أنَّه خبرٌ مقدمٌ وثيابُ مبتدأٌ مؤخرٌ، والجملةُ صفةٌ أُخرى لولدانٌ كأنَّه قيلَ: يطوفُ عليهم ولدانٌ فوقَهُم ثيابُ [سندس][2]. . .إلخ، [وقيلَ: حالٌ من ضميرِ عليهم أو حسِبتَهم، أي يطوفُ عليهم ولدانٌ عاليًا للمطوف عليهم ثيابٌ. . .إلخ، أو حسبتَهُم لؤلؤًا منثورًا عاليًا لهم ثيابُ إلخ. وقرئ[3] عاليهم بالرفعِ على أنَّه مبتدأٌ خبرُهُ ثيابُ أي ما يعلُوه من لباسِهم ثيابُ سندسٍ][4].

وقرئ خضرٍ بالجرِّ حملًا على سندسٍ بالمَعْنى لكونِه اسمَ جنسٍ **﴿وإستبرقٌ﴾** بالرفع عطفًا على «ثيابُ». وقرئ[5] برفعِ الأولِ وجرِّ الثانِي، وقُرئ[6] بالعكسِ، وقرئ[7] بجرِّهِما، وقُرئ[8] و(استبرقَ) بوصلِ الهمزةِ والفتحِ؛ على أنه استفعلَ من البريقِ جُعل عَلَمًا لهذا النوعِ من الثيابِ.

---

(١) في خ: على.
(٢) سقط في خ.
(٣) قرأ بها: نافع، وحمزة، وعاصم، وأبو جعفر، وشيبة، وابن محيصن، والحسن، ويحيى بن وثاب، والأعمش، وابن عباس، والأعرج، وأبان، والمفضل.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٢٩)، والإعراب للنحاس (٣/ ٥٨٠)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٤٩)، والبحر المحيط (٨/ ٣٩٩)، والغيث للصفاقسي ص (٣٧٨).
(٤) سقط في خ.
(٥) قرأ بها: أبو عمرو، وابن عامر، ونافع، وأبو جعفر، ويعقوب، واليزيدي.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٣٠)، والإعراب للنحاس (٣/ ٥٨١)، والبحر المحيط (٨/ ٤٠٠)، والتبيان للطوسي (١٠/ ٢١٧)، والسبعة لابن مجاهد ص (٦٦٥)، وتفسير الرازي (٣٠/ ٢٥٣).
(٦) قرأ بها: ابن كثير، وعاصم، وشعبة، وابن محيصن.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٢٩)، والإعراب للنحاس (٣/ ٥٨١)، والتيسير للداني ص (٢١٨)، والغيث للصفاقسي ص (٣٧٨)، والكشف للقيسي (٢/ ٣٥٥)، والمعاني للفراء (٣/ ٢١٩).
(٧) قرأ بها: حمزة، والكسائي، وأبو عمرو، وخلف، والأعمش، وطلحة، والحسن، وابن وثاب.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٣٠)، والإعراب للنحاس (٣/ ٥٨١)، والبحر المحيط (٨/ ٤٠٠)، والتبيان للطوسي (١٠/ ٢١٧)، والسبعة لابن مجاهد ص (٦٦٥)، والغيث للصفاقسي ص (٣٧٨).
(٨) قرأ بها: ابن محيصن.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٣٠)، والبحر المحيط (٨/ ٤٠٠)، وتفسير الطبري (٢٩/ ١٣٧)، وتفسير القرطبي (١٩/ ١٤٦)، والكشاف للزمخشري (٤/ ١٩٩)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٣٤٤).

﴿وحُلُّوا أساورَ من فضَّةٍ﴾ عطفٌ على يطوفُ عليهم ولا ينافيهِ قولُه تعالى: ﴿أساورَ من ذهبٍ﴾ [سورة الكهف، الآية ٣١. وسورة الحج، الآية ٢٣. وسورة فاطر، الآية ٣٣] لإمكانِ الجمعِ والمعاقبةِ والتبعيضِ، فإنَّ حُليَّ أهلِ الجنةِ يختلفُ[١] حسبَ [اختلافِ][٢] أعمالِهم فلعلَّه تعالَى يفيضُ عليهم جزاءً لما عملُوه بأيديهم حليا وأنوارًا تتفاوتُ تفاوتَ الذهبِ والفضةِ أو حالٌ [من ضميرِ عاليَهم][٣] بإضمارِ قَدْ، وعلى هذا يجوزُ أن يكونَ هذا للخدمِ وذاكَ للمخدومينَ.

﴿وسقاهُم ربُّهم شرابًا طهورًا﴾ هو نوعٌ آخرُ يفوقُ النوعينِ السالفينِ كما يرشدُ إليهِ إسنادُ سقيهِ إلى ربِّ العالمينَ ووصفُه بالطَّهوريةِ فإنَّه يطهرُ شاربَهُ عن دَنَسِ الميلِ إلى الملاذِّ[٤] الحسيةِ والركونِ إلى ما سِوى الحقِّ فيتجردُ لمطالعةِ جمالِه ملتذا بلقائِه باقيًا ببقائِه، وهي الغايةُ القاصيةُ من منازلِ الصدِّيقينَ ولذلكَ خُتمَ بها مقالةُ ثوابِ الأبرارِ ﴿إنَّ هذَا﴾ على إضمارِ القولِ أي يقالُ لهم إنَّ هَذا الذي ذُكرَ من فنون الكراماتِ ﴿كانَ لكُم جزاءً﴾ بمقابلة أعمالِكم الحسنةِ ﴿وكَانَ سعيُكم مشكُورًا﴾ مرضيًا مقبولًا مُقابَلًا بالثوابِ. ﴿إنَّا نحنُ نزلنَا عليكَ القُرآنَ تنزيلًا﴾ أيْ مُفرقًا مُنجَّمًا لحِكَمٍ بالغةٍ مقتضيةٍ له [لا غيرنَا][٥] كما يعربُ عنه تكريرُ الضميرِ معَ إنَّ ﴿فاصبرْ لحكمِ ربِّك﴾ بتأخير نصرك على الكفَّارِ فإنَّ له عاقبةً حميدةً. ﴿ولا تُطع منْهم آثمًا أو كفورًا﴾ أي كلَّ واحدٍ من مرتكبِ الإثم الدَّاعِي لكَ إليهِ ومن الغالِي في الكُفر الدَّاعِي إليهِ، وأو للدلالة على أنَّهما سيَّانِ في استحقاق العصيانِ والاستقلالِ به، والتقسيمُ باعتبار ما يدعُونَهُ إليه فإنَّ ترتبَ النَّهي على الوصفين مشعرٌ بعلِّيتِهما له فلا بُدَّ أنْ يكونَ النهيُ عن الإطاعةِ في الإثم والكفرِ فيما ليسَ بإثم ولا كُفرٍ، وقيلَ: الآثمُ عُتبةُ فإنَّه كانَ ركَّابًا للمآثم متعاطيًا لأنواع الفسوقِ والكفورِ، والوليدُ فإنَّه كان غاليًا في الكُفر شديدَ الشكيمةِ في العُتوِّ ﴿واذكر اسمَ ربِّك بكرةً وأصيلًا﴾ وداومْ على ذكره في جميع الأوقاتِ أو دُمْ على صلاة الفجرِ والظهرِ والعصرِ فإنَّ الأصيلَ ينتظمُهما ﴿ومنَ الليلِ فاسجدْ لَهُ﴾ وبعضَ الليلَ فصلِّ له ولعلَّه صلاةُ المغربِ والعشاءِ، وتقديمُ الظرفِ لما في صلاةِ الليلِ من مزيد كلفةٍ وخلوصٍ ﴿وسبحه ليلًا طويلًا﴾ وتهجدْ له قِطَعًا من الليلِ طويلًا.

﴿إنَّ هؤلاءِ﴾ الكفرةَ ﴿يُحبون العاجلةَ﴾ وينهمكونَ في لذاتِها[٦] الفانيةِ ﴿ويذرون

---

(١) في خ: مختلف باختلاف.
(٢) سقط في خ.
(٣) سقط في خ.
(٤) في خ: إطلاق.
(٥) سقط في خ.
(٦) في خ: أفانينها.

وراءَهُم﴾ أي أمامَهم لا يستعدونَ أو ينبذون وراءَ ظُهورهم ﴿يومًا ثقيلًا﴾ لا يعبئونَ به ووصفُه بالثقل لتشبيه [شدتِه و][1] هولِه بثقل شيءٍ فادح باهظٍ لحامله بطريقِ الاستعارةِ وهو كالتعليل لما أُمرَ به ونهي عنه. ﴿نحنُ خلقناهُم﴾ لا غيرُنا ﴿وشددنَا أسرَهُم﴾ أي أحكمنَا ربطَ مفاصلِهم بالأعصابِ. ﴿وإذا شئنا بدَّلنا أمثالَهم﴾ بعدَ إهلاكِهم ﴿تبديلًا﴾ بديعًا لا ريبَ فيهِ هو البعثُ كما ينبئُ عنه كلمةُ إذَا أو بدَّلنا غيرَهُم ممن يطيعُ. كقولِه تعالى: ﴿يستبدلْ قومًا غيرَكُم﴾ [سورة التوبة، الآية ٣٩] وإذَا للدلالةِ على تحققِ القُدرةِ وقوةِ الداعيةِ. ﴿إنَّ هذِه تذكرةٌ﴾ إشارةٌ إلى السورةِ أو الآياتِ القريبةِ ﴿فمنْ شاءَ اتخذَ إلى ربِّه سبيلًا﴾ أي فَمنْ شاءَ أنْ يتخذَ إليهِ تعالى سبيلًا أي وسيلةً توصلُه إلى ثوابِه اتخذَهُ أي تقربَ إليهِ بالعمل بمَا في تضاعيفِها. وقولُه تعالى: ﴿وما تشاءونَ إلَّا أنْ يشاءَ اللهُ﴾ تحقيقٌ للحقِّ ببيان أنَّ مجردَ مشيئتِهم غيرُ كافيةٍ في اتخاذ السبيلِ كما هُو المفهومُ من ظاهر الشرطيةِ أي وما تشاءونَ اتخاذَ السبيلِ ولا تقدرونَ على تحصيله في وقتٍ من الأوقات إلا وقتَ مشيئتِه تعالى تحصيلَه لكُم، إذ لا دخلَ لمشيئة العبدِ إلا في الكسبِ وإنَّما التأثيرُ والخلقُ لمشيئة الله عزَّ وجلَّ. وقُرئ[2] يشاءونَ بالياءِ وقُرئ[3] إلاَّ ما يشاءُ اللهُ.

وقولُه تعالَى: ﴿إنَّ اللهَ كان عليمًا حكيمًا﴾ بيانٌ لكون مشيئتِه تعالى مبنيةً على أساس العلمِ والحكمةِ والمَعْنى أنَّه تعالَى مبالغٌ في العلم والحكمةِ فيعلمُ ما يستأهلُه كلُّ أحدٍ فلا يشاءُ لهم إلا ما يستدعيهِ علمُه وتقتضيهِ حكمتُه. وقولُه تعالى: ﴿يُدخلُ من يشاءُ في رحمتِه﴾ بيانٌ لأحكام مشيئتِه المترتبةِ على علمه وحكمتِه أي يدخلُ في رحمتِه مَن يشاءُ أنْ يدخلَهُ فيها وهُو الذي يصرِفُ مشيئَتَهُ نحوَ[4] اتخاذِ السبيلِ إليهِ تعالى حيثُ يوفقُه لَما يَؤدِّي إلى دخول الجنةِ من الإيمانِ والطاعةِ ﴿والظالمينَ﴾ وهم الذينَ صَرفوا مشيئَتُهم إلى خلافِ ما ذُكِرَ ﴿أعدَّ لهُم عذابًا أليمًا﴾ أي متناهيًا في الإيلام. قالَ الزجاجُ: نصبَ الظالمينَ لأنَّ ما قبلَهُ منصوبٌ أي يُدخلُ من يشاءُ في رحمته ويعذبُ

---

(١) سقط في خ.

(٢) قرأ بها: ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وابن محيصن، والحسن، واليزيدي، وهشام، وابن ذكوان. ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٣٠)، والبحر المحيط (٨/ ٤٠١)، والتبيان للطوسي (١٠/ ٢١٧)، والسبعة لابن مجاهد ص (٦٦٥)، والغيث للصفاقسي ص (٣٧٩)، والكشف للقيسي (٢/ ٣٥٦).

(٣) قرأ بها: ابن مسعود.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٤٠١)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٢٠١).

(٤) في خ: عن.

الظالمينَ، ويكونُ أعدَّ لَهُم تفسيرًا [لِهَذا][1] المضمرِ، وقرئ[2] بالرفعِ على الابتداءِ.

ما جاء من فضائل هذه السورة ما رُوي عنِ النبيِّ ﷺ: **«مَنْ قرأَ سورةَ هَل أَتَى[3] كانَ جزاؤُه على الله تعالَى جنةً وحريرًا»**[4].

---

(١) سقط في خ.

(٢) قرأ بها: ابن الزبير، وأبان بن عثمان، وابن أبي عبلة.
ينظر: الإعراب للنحاس (٣/ ٥٨٧)، والبحر المحيط (٨/ ٤٠٢)، وتفسير القرطبي (١٩/ ١٥٣)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٢٠١)، والمجمع للطبرسي (١٠/ ٤١٢)، والمعاني للفراء (٣/ ٢٢٠).

(٣) زاد في خ: على الإنسان.

(٤) تقدم تخريجه، وزاد في خ: والله الموفق.

سُورَةُ وَالمُرسَلاتِ

مكيَّة وآيُها خمسونَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ﴿٢﴾ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ﴿٣﴾ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ﴿٤﴾ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا
﴿٥﴾ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ ﴿٧﴾ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ ﴿٩﴾
وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴿١١﴾ لِأَىِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴿١٢﴾ لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ ﴿١٣﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا
يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ﴿١٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ
نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ
﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ
كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ شَٰمِخَٰتٍ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ
لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾ ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ
وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ
لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَٰذَا
يَوْمُ ٱلْفَصْلِ جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾ إِنَّ
ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾
إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيْلٌ
يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ
بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾

﴿والمُرسلاتِ عُرفًا * فالعاصفاتِ عَصْفًا * والناشراتِ نَشْرًا * فالفارقاتِ فَرقًا * فالمُلقياتِ ذِكْرًا﴾ إقسامٌ من الله عزَّ وجلَّ بطوائفَ من الملائكةِ أرسلهنَّ بأوامرِه فعصَفنَ في مُضيّهنَّ عصفَ الرياحِ مسارعةً في الامتثالِ بالأمرِ وبطوائفَ أُخرى نشرْنَ أجنحتَهنَّ في الجوِّ عندَ انحطاطِهنَّ بالوَحي أو نشرن الشرائعَ في الأقطارِ أو نشرن النفوسَ المَوْتى بالكُفرِ والجهلِ بَما أوحين ففرقن بينَ الحقِّ والباطل فألقينَ ذِكْرًا إلى

الأنبياءِ ﴿عُذْرًا﴾ للمحقِّينَ ﴿أو نُذْرًا﴾ للمبطلينَ.

ولعلَّ تقديمَ نشرِ الشرائعِ ونشرِ النفوسِ والفَرقِ على الإلقاءِ للإيذانِ بكونها غايةً للإلقاء حقيقةً بالاعتناء بَها أو للإشعارِ بأنَّ كُلًّا من الأوصافِ المذكورةِ مُستقلٌّ بالدلالةِ على استحقاق الطوائفِ الموصوفةِ بها للتفخيم والإجلال بالإقسام بهنَّ[١] ولو جِيء بها على ترتيب الوقوع لربَّما فُهِمَ أنَّ مجموعَ الإلقاءِ والنشرِ والفرقِ هو الموجبُ لما ذكِرَ من الاستحقاقِ أو إقسامٌ برياحِ عذابٍ أرسلهنَّ فعصفنَ وبرياحِ رحمةٍ نشرنَ السحابَ في الجوِّ ففرقنَ بينَهُ كقولِه تعالى: ﴿ويجعله كِسفا﴾ [سورة الروم، الآية ٤٨] أو بسحائبَ نشرنَ المواتَ ففرقنَ كلَّ صنفٍ منها عن سائرِ الأصنافِ[٢] بالشكلِ واللونِ وسائرِ الخواصِّ، أو فرقنَ بينَ من يشكرُ الله تعالَى وبينَ من يكفرُ بِهِ فألقينَ ذكرًا إما عُذرًا للمعتذرينَ إلى الله تعالى بتوبتِهم واستغفارِهم عند مشاهدتِهم آثارَ[٣] رحمتِه تعالى في الغيث ويشكرونها، وإما إنذارٌ للذين يكفرونَها وينسبونها إلى الأنواءِ، وإسنادُ إلقاءِ الذكرِ إليهنَّ لكونِهن سببًا في حصوله إذَا شكرت النعمة فيهن أو كفرت أو إقسامٌ بآياتِ القُرآنِ المرسلةِ[٤] إلى رسولِ الله ﷺ فعصفنَ سائرَ الكتبِ بالنسخِ ونشرنَ آثارَ الهُدى من مشارق الأرضِ ومغاربِها وفرقنَ بين الحقِّ والباطلِ فألقينَ ذكرَ الحقِّ في أكناف العالمينَ.

والعُرفُ إمَّا نقيضُ النُّكرِ وانتصابُه على العلةِ أي أرسلنَا للإحسانِ والمعروفِ فإنَّ إرسالَ ملائكةِ العذابِ معروفٌ للأنبياءِ عليهم السَّلامُ والمؤمنينَ أو بمَعْنى المتابعةِ من عُرفِ الفرسِ وانتصابُه على الحاليَّةِ.

والعُذرُ والنُّذرُ مصدرانِ من عَذَرَ إذا مَحَا الإساءةَ ومن أنذَرَ إِذَا خَوَّفَ وانتصابُهما على البدليةِ من ذِكرًا، أو عَلى العِليَّةِ[٥] وقُرِئَا بالتثقيلِ[٦].

﴿إنَّما تُوعدونَ لواقع﴾ جوابٌ للقسم أيْ إنَّ الذي تُوعدونَهُ من مجيءِ القيامةِ كائنٌ لا محالةَ ﴿فإذا النجومُ طُمستْ﴾ مُحيَتْ ومُحقتْ أو ذُهبَ بنورِها ﴿وإذا السماءُ

---

(١) في خ: بهذه.
(٢) في خ: الأوصاف.
(٣) في خ: لآثار.
(٤) في خ: أخرتكم.
(٥) في خ: العلة.
(٦) قرأ بها: ابن كثير، ونافع، وابن عامر، وعاصم، وأبو جعفر، وزيد بن ثابت، والحسن، وابن خارجة، وطلحة، وأبو حيوة، وعيسى، والأعشى، وشعبة، وشيبة، وزيد بن علي، ويعقوب، وسهل. ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٣٠)، والإعراب للنحاس (٣/ ٥٩٠)، والبحر المحيط (٨/ ٤٠٥)، والغيث للصفاقسي ص (٣٧٩)، والكشف للقيسي (٢/ ٣٥٧)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٢١٧).

فرجتْ﴾ صُدعتْ وفُتحتْ فكانتْ أبوابًا.

﴿وإذَا الجبالُ نُسفتْ﴾ جُعلتْ كالحبِّ الذي يُنسفُ بالمنسفِ، ونحوهُ ﴿وبُسَّتِ الجبالُ بسًّا﴾ [سورة الواقعة، الآية ٥] وقيل: أُخذتْ منْ مقارِّها بسرعةٍ من انتسفتَ الشيءَ إذا اختطفتَهُ. وقرئَ (طُمِّستْ)[١] و(فُرِّجتْ)[٢] و(نُسِّفتْ)[٣] مشددةً ﴿وإذَا الرُّسلُ أقتتْ﴾ أي عُيِّنَ لهُم الوقتُ الذي يحضرونَ فيه للشهادةِ على أممِهِم وذلكَ عند مجيئه وحضورهِ إذْ لا يتعينُ لهم قبلَه أو بلغُوا الميقاتَ الذي كانُوا ينتظرونَهُ وقرئَ (وُقِّتتْ)[٤] على الأصلِ وبالتخفيفِ[٥] فيهما.

﴿لأيِّ يوم أُجِّلَتْ﴾ مقدرٌ بقولٍ هُو جوابٌ لـ (إذا) في قولِه تعالى: ﴿وإذَا الرسلُ أُقتتْ﴾ أو حالٌ من مرفوعِ أقتت أي يقالُ لأيِّ يومٍ أُخرت الأمورُ المتعلقةُ بالرسل والمرادُ تعظيمُ ذلكَ اليومِ والتعجيبُ من هولِه.

وقولُه تعالَى ﴿ليومِ الفصلِ﴾ بيانٌ ليومِ التأجيلِ وهو[٦] اليومُ الذي يُفصلُ فيهِ بينَ الخلائقِ ﴿وما أدراكَ ما يومُ الفصلِ﴾ مَا مبتدأٌ أدراكَ خبرُهُ أيْ أيُّ شيءٍ جعلَكَ داريًا ما هُو فوضعَ موضعَ الضميرِ يومَ الفصلِ لزيادةِ تفظيعٍ وتهويلٍ على أنَّ مَا خبرٌ ويومُ الفصلِ مبتدأٌ لاَ بالعكسِ كما اختارَهُ سيبويهِ لأنَّ محطَّ الفائدةِ بيان كونِ يومِ الفصلِ أمرًا بديعًا هائلًا لا يُقادرُ قَدرُه ولا يُكتنه كُنْهُهُ [كَما يفيدُه][٧] خبريةُ ما لاَ بيانُ كونِ أمرٍ بديعٍ من الأمورِ يومَ الفصلِ كما يُفيده عكْسُه ﴿ويلٌ يومئذٍ للمكذبينَ﴾ أيْ في

---

(١) قرأ بها: عمرو بن ميمون.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٤٠٥)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٢٠٣).

(٢) قرأ بها: عمرو بن ميمون.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٤٠٥)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٢٠٣).

(٣) ينظر: الكشاف للزمخشري (٤/ ٢٠٣).

(٤) قرأ بها: أبو عمرو، وعاصم، والحسن، وأبو الأشهب، وعمرو بن عبيد، وحميد، ونصر، ومجاهد، واليزيدي، وابن جماز، وروح، وعبد الله، وابن وردان، ويعقوب.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٣٠)، والإعراب للنحاس (٣/ ٥٩٠)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٤٩)، والبحر المحيط (٨/ ٤٠٥)، والتيسير للداني ص (٢١٨)، والكشف للقيسي (٢/ ٣٥٧)، والمجمع للطبرسي (١٠/ ٤١٤).

(٥) قرأ بها: ابن وردان، وابن جماز، وإسماعيل، والحسن، وأبو جعفر، وابن مسعود، وشيبة، والأعرج.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٣٠)، والإعراب للنحاس (٣/ ٥٩٢)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٤٩)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٣٤٥)، والمعاني للفراء (٣/ ٢٢٢)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٣٩٧).

(٦) في خ: وهذا.

(٧) سقط في خ.

ذلكَ اليوم الهائلِ. وويلٌ في الأصلِ مصدرٌ منصوبٌ سادٌّ مسدَّ فعلِه لكنْ عُدلَ بهِ إلى الرفعِ للدلالةِ على ثباتِ الهلاكِ ودوامِه للمدعوِّ عليهِ ويومئذٍ ظرفُه أو صفتُه.

﴿ألم نُهلكِ الأولينَ﴾ كقوم نوحٍ وعادٍ وثمودَ لتكذيبِهم بهِ. وقرئ (نَهلكَ)[1] بفتحِ النونِ من هلَكَه بمعنى أهلَكَه ﴿ثم نُتبعُهم الآخرينَ﴾ بالرفعِ على ثمَّ نحنُ نتبعُهم الآخرينَ من نظرائِهم السالكينَ لمسلكِهم في الكفرِ والتكذيبِ وهُو وعيدٌ لكفارِ مكةَ. وقرئ (سنُتبعُهم)[2]، وقرئ نُتبعْهُم[3] بالجزمِ عطفًا على نُهلك فيكونُ المرادُ بالآخرينَ المتأخرينَ هلاكًا من المذكورينَ كقومِ لوطٍ وشعيبٍ ومُوسى عليهم السَّلامُ. ﴿كذلكَ﴾ مثلَ ذلكَ الفعلِ الفظيع ﴿نفعلُ بالمجرمينَ﴾ أي سنَّتُنا جاريةٌ على ذلكَ ﴿ويلٌ يومئذٍ﴾ أيْ يومُ إذْ أهلكناهُم ﴿للمكذبينَ﴾ بآياتِ الله تعالَى وأنبيائِه وليسَ [فيه][4] تكريرٌ لما أنَّ الويلَ الأولَ لعذابِ الآخرةِ وَهَذا لعذابِ الدُّنيا ﴿ألم نخلقكم﴾ أي ألم نُقدرْكُم ﴿منْ ماءٍ مهينٍ﴾ أي من نُطفةٍ قذرةٍ مهينةٍ ﴿فجعلناهُ في قرارٍ مكينٍ﴾ هو الرحمُ ﴿إلى قدرٍ معلومٍ﴾ إلى مقدارٍ معلوم من الوقتِ قدَّرهُ الله تعالَى للولادةِ تسعةَ أشهرٍ، أو أقلَّ منها أو أكثرَ ﴿فقدرنا﴾ أي فقَدرناهُ وقد قرئ مُشددًا[5]، أو فقدرنا على ذلكَ على أنَّ المرادَ بالقُدرةِ ما يقارنُ وجودَ المقدورِ بالفعلِ ﴿فنعمَ القادرونَ﴾ أي نحنُ ﴿ويلٌ يومئذٍ للمكذبينَ﴾ بقدرتِنا على ذلكَ أو على الإعادةِ.

﴿ألم نجعلِ الأرض كِفاتا﴾ الكِفاتُ اسمُ مَا يكْفِتُ أيْ يضمُّ ويجمعُ من كفتَ الشيءَ إذا ضمَّه وجمعَهُ كالضِّمامِ والجِماعِ لما يضمُّ ويجمعُ أي ألم نجعلْها كِفاتًا

---

(١) قرأ بها: قتادة.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٤٠٥)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٢٠٣).

(٢) قرأ بها: ابن مسعود.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٤٠٥)، وتفسير القرطبي (١٩/ ١٥٩)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٢٠٣)، والمعاني للفراء (٣/ ٢٢٢)، وتفسير الرازي (٣٠/ ٢٧١).

(٣) قرأ بها: أبو عمرو، والأعرج، والعباس.
ينظر: الإعراب للنحاس (٣/ ٥٩٣)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٥٠)، والبحر المحيط (٨/ ٤٠٥)، وتفسير القرطبي (١٩/ ١٥٩)، والمجمع للطبرسي (١٠/ ٤١٦)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٣٤٦).

(٤) سقط في خ.

(٥) قرأ بها: نافع، والكسائي، وابن عامر، وأبو جعفر، والحسن، وشيبة، وعلي بن أبي طالب، ومحمد بن الجهم، وأبو عبد الرحمن السلمي.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٣٠)، والإعراب للنحاس (٣/ ٥٩٤)، والبحر المحيط (٨/ ٤٠٦)، والحجة لابن خالويه ص (٣٦٠)، والغيث للصفاقسي ص (٣٧٩)، والكشف للقيسي (٢/ ٣٥٨)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٣٩٧).

تكفتُ ﴿أحياءً﴾ كثيرةً على ظهرها ﴿وأمواتًا﴾ غيرَ محصورةٍ في بطنِها وقيلَ هُو مصدرٌ نُعِتَ به للمبالغةِ، وقيلَ جمعُ كافتٍ كصائم وصيام، أو كِفت وهو الوعاءُ أجرى على الأرض باعتبار بقاعها[١]، وقيل: تنكيرُ أحياءً وأمواتًا لأنَّ أحياءَ الإنسِ وأمواتَهم بعضُ الأحياءِ والأمواتِ، وقيلَ: انتصابُهما على الحاليةِ من محذوفٍ أي كفاتًا تكفتكُم أحياء وأمواتًا ﴿وجعلنَا فيها رواسيَ﴾ أي[٢]: ثوابتَ ﴿شامخاتٍ﴾ طوالًا شواهقَ، ووصفُ جمعِ المذكرِ بجمعِ المؤنثِ في غيرِ العقلاءِ مُطَّردٌ كداجنٍ ودواجنٍ وأشهرٌ معلوماتٌ وتنكيرُها للتفخيم أو للإشعارِ بأنَّ فيها ما لم يُعرفْ ﴿وأسقيناكم ماءً فراتًا﴾ بأنْ[٣] خلقنَا فيها أنهارًا ومنابعَ.

﴿ويلٌ يومئذٍ للمكذبينَ﴾ بأمثالِ هذه النعم العظيمةِ ﴿انطلقُوا﴾ أي يقالُ لهم يومئذٍ للتوبيخِ وللتقريعِ انطلقُوا ﴿إلى ما كنتُم به تكذبونَ﴾ في الدُّنيا من العذابِ ﴿انطلقُوا﴾ خُصوصًا ﴿إلى ظِلٍّ﴾ أي ظِل دُخانِ جهنَّمَ، كقولِه تعالَى: ﴿وظلٍّ منْ يحموم﴾ [سورة الواقعة، الآية ٤٣] وقرئ انطَلقُوا[٤] على لفظِ الماضِي إخبارًا بعدَ الأمرِ عن عملِهم بموجبه لاضطرارِهم إليه طوعًا أو كرهًا.

﴿ذِي ثلاثِ شُعبٍ﴾ يتشعبُ لعِظمه ثلاثَ شُعبٍ كَما هُو شأنُ الدُّخانِ العظيمِ، تراهُ يتفرقُ ذوائبَ وقيلَ: يخرجُ لسانٌ من النار فيحيطُ بالكفارِ كالسُّرادقِ ويتشعبُ من دُخَانِها ثلاثُ شعبٍ فتظلهُم حتى يُفرغ من حسابِهم والمؤمنونَ في ظلِّ العرشِ، قيلَ: خُصوصيةُ الثلاثِ إما لأنَّ حجابَ النفسِ عن أنوارِ القدسِ الحسُّ والخيالُ والوهمُ أو لأنَّ المؤدِّي إلى هذا العذابِ هو القوةُ الوهميةُ الشيطانيةُ الحَّالةُ في الدماغِ والقوةُ الغضبيةُ السبعيةُ التي عن يمينِ القلبِ والقوةُ الشهويةُ البهيميةُ التي عن يسارِه ولذلكَ قيلَ: تقفُ شعبةٌ فوقَ الكافرِ وشعبةٌ عن يمينِه وشعبةٌ عن يسارِه.

﴿لا ظليلَ﴾ تهكمٌ بهم أو رد لما أوهمَه لفظُ الظلِّ. ﴿ولا يُغنِي من اللهبِ﴾ أي غيرُ مغنٍ لهم من حرِّ اللهبِ شيئًا ﴿إنها ترمي بشررٍ كالقَصْرِ﴾ أي كلُّ شررةٍ كالقصرِ من القصورِ في عِظَمِها وقيلَ: هو الغليظُ من الشجر، الواحدةُ قصرةٌ نحو جَمْرٍ

---

(١) في خ: ارتفاعها.
(٢) في خ: أي جبال.
(٣) في خ: أي.
(٤) قرأ بها: رويس، ويعقوب.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٣٠)، والإعراب للنحاس (٣/ ٥٩٥)، والبحر المحيط (٨/ ٤٠٦)، والتبيان للطوسي (١٠/ ٢٣٠)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٢٠٤)، والمجمع للطبرسي (١٠/ ٤١٧)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٣٩٧).

وجمرةٍ، وقرئ كالقَصَرِ بفتحتينِ[(١)] وهي أعناقُ الإبلِ أو أعناقُ النخلِ نحو شجرةٍ وشجرٍ، وقرئ كالقُصُر[(٢)] بمعنى القصور كرهن ورهُن وقرئ كالقصر[(٣)] جمع قصرة ﴿كأنه جمالةٌ﴾ قيلَ: هو جمعُ جملٍ والتاءُ لتأنيثِ الجمعِ يقالُ جملٌ وجمالٌ وجمالةٌ وقيلَ: اسمُ جمعٍ كالحجارةِ ﴿صُفرٌ﴾ فإنَّ الشرارَ لما فيهِ من الناريةِ يكونُ أصفرَ وقيلَ: سودٌ لأن سوادَ الإبلِ يضربُ إلى الصفرةِ والأولُ تشبيهٌ في العظمِ، وهذا في اللونِ والكثرةِ والتتابعِ والاختلاطِ والحركةِ، وقرئ جمالاتٌ[(٤)] جمعُ جِمالٍ أو جمالةٍ، وقرئ جُمالاتٌ[(٥)] جمعُ جُمالةٍ وقد قُرئَ بها[(٦)] وهي الحبلُ العظيمُ من حبال السفنِ وقلوسِ الجسورِ والتشبيهُ في امتدادِه والتفافِه.

﴿ويلٌ يومئذٍ للمكذبين * هذا يومُ لا ينطقونَ﴾ إشارةٌ إلى وقتِ دخولِهم النارَ أيْ هذا يومُ لا ينطقونَ فيه بشيءٍ لما أنَّ السؤالَ والجوابَ والحسابَ قدْ انقضتْ قبلَ ذلكَ ويومُ القيامةِ طويلٌ له مواطنُ ومواقيتُ ينطقونَ في وقتٍ دُونَ وقتٍ فعبَّر عن وقت بـ(يومُ) أو لا ينطقونَ بشيءٍ ينفعُهم فإن ذلكَ كلاَ نطقٍ وقرئ بنصبِ اليومِ[(٧)] أيْ هَذا

---

(١) قرأ بها: ابن عباس، وسعيد بن جبير، ومجاهد، والحسن، وابن مقسم، وحميد، والسلمي.
ينظر: الإعراب للنحاس (٣/ ٥٩٦)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٥٠)، والبحر المحيط (٨/ ٤٠٧)، وتفسير القرطبي (١٩/ ١٦٤)، والمجمع للطبرسي (١٠/ ٤١٧)، والمعاني للأخفش (٢/ ٥٢٣).

(٢) قرأ بها: ابن مسعود.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٤٠٧)، وتفسير الرازي (٣٠/ ٢٧٦).

(٣) قرأ بها: الحسن، وابن جبير، وابن عباس.
ينظر: الإعراب للنحاس (٣/ ٥٩٦)، والبحر المحيط (٨/ ٤٠٧)، وتفسير القرطبي (١٩/ ١٦٤)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٢٠٤)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٤٤٦)، وتفسير الرازي (٣٠/ ٢٧٦).

(٤) قرأ بها: ابن عامر، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، وابن كثير، وأبو جعفر، وعمر بن الخطاب.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٣١)، والإعراب للنحاس (٣/ ٥٩٨)، والبحر المحيط (٨/ ٤٠٧)، والتيسير للداني ص (٢١٨)، والسبعة لابن مجاهد ص (٦٦٦)، والمعاني للأخفش (٢/ ٥٢٣)، والمعاني للفراء (٣/ ٢٢٥).

(٥) قرأ بها: ابن عباس، وقتادة، وابن جبير، والحسن، وأبو رجاء، ومجاهد، وحميد، ويعقوب، ورويس.
ينظر: الإعراب للنحاس (٣/ ٥٩٨)، والبحر المحيط (٨/ ٤٠٧)، وتفسير الطبري (٢٩/ ١٤٨)، وتفسير القرطبي (١٩/ ١٦٥)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٢٠٤)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٣٤٧).

(٦) قرأ بها: رويس، وابن عباس، والسلمي، والأعمش، وأبو حيوة، وأبو بحرية، وابن أبي عبلة، ويعقوب، وابن أبي إسحاق، وعيسى، والجحدري.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٣١)، والبحر المحيط (٨/ ٤٠٧)، والتبيان للطوسي (١٠/ ٢٣٠)، وتفسير الرازي (٣٠/ ٢٧٧)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٣٩٧).

(٧) قرأ بها: عاصم، والأعمش، والأعرج، وزيد بن علي، وعيسى، وأبو حيوة. =

الذي فُصِّلَ واقعٌ يومَ لا ينطِقون ﴿ولا يُؤذنُ لهم فيعتذرونَ﴾ عطفٌ على يُؤذنُ مُنتظمٌ في سلكِ النفي أيْ لا يكونُ لهم إذنٌ واعتذارٌ متعقبٌ له من غير أن يجعلَ الاعتذار مسببًا عن الإذن كما لو نصب ﴿ويلٌ يومئذٍ للمكذبينَ * هذا يومُ الفصلِ﴾ [بين الحقِّ والباطلِ والمحقِّ والمبطلِ ﴿جمعناكُم﴾](١) خطابٌ لأمة محمدٍ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ. ﴿والأولينَ﴾ من الأممِ وهذا تقريرٌ وبيانٌ للفصل ﴿فإنْ كانَ لكم كيدٌ فكيدونِ﴾ فإن جميعَ من كنتُم تقلدونهم وتقتدونَ بهم حاضرونَ وهذا تقريعٌ لهم على كيدِهم للمؤمنينَ في الدُّنيا وإظهارٌ لعجزِهم ﴿ويلٌ يومئذٍ للمكذبينَ﴾ حيثُ ظهرَ ألا حيلةَ لهم في الخلاصِ من العذابِ.

﴿إن المتقينَ﴾ من الكفرِ والتكذيبِ ﴿في ظلالٍ وعيونٍ * وفواكهَ مما يشتهونَ﴾ أي مستقرونَ في فنونِ الترفِه وأنواعِ التنعمِ ﴿كلُوا واشربُوا هنيئًا بما كنتُم تعملونَ﴾ مقدرٌ بقولٍ هو حالٌ من ضمير المتقينَ في الخبر أي مقولًا لهم كلُوا واشربُوا هنيئًا بما كنتُم تعملونَهُ في الدُّنيا من الأعمال الصالحةِ ﴿إنا كذلك﴾ الجزاءِ العظيم ﴿نَجزي المحسنينَ﴾ أيْ في عقائدِهم وأعمالِهم لا جزاءً أدْنَى منْهُ ﴿ويلٌ يومئذٍ للمكذبينَ﴾ حيثُ نالَ أعداؤُهم هذا الثوابَ الجزيلَ وهُم بقُوا في العذاب المخلَّدِ الوبيلِ ﴿كلُوا وتمتعُوا قليلًا إنكم مجرمونَ﴾ مقدرٌ بقولٍ هو حالٌ من المكذبينَ أي الويلُ ثابتٌ لهم مقولًا لهم ذلكَ تذكيرًا لهم بحالِهم في الدُّنيا وبما جنَوا(٢) على أنفسِهم من إيثارِ المتاعِ الفاني عن قريبٍ على النعيم الخالدِ وعللَ ذلكَ بإجرامِهم دلالةً على أنَّ كلَّ مجرمٍ مآلُهُ هَذا، وقيلَ: هو كلامٌ متسأنفٌ خُوطبَ به المكذبونَ في الدُّنيا بعدَ بيان مآلِ حالِهم وقررَ ذلكَ بقولِه تعالى: ﴿ويلٌ يومئذٍ للمكذبينَ﴾ لزيادة التوبيخِ والتقريعِ.

﴿وإذا قيلَ لهم اركعُوا﴾ أي أطيعُوا الله واخشعُوا وتواضعُوا له بقبولِ وحيِهِ واتباعِ دينهِ وارفضُوا هذا الاستكبارَ والنخوةَ ﴿لا يركعونَ﴾ لا يخشعُون ولا يقبلُون ذلكَ ويصرونَ على ما هُم عليهِ من الاستكبارِ، وقيلَ: إذَا أُمروا بالصَّلاةِ أو الركوعِ لا يفعلونَ إذْ رُويَ أنه نزلَ حينَ أمرَ رسولُ الله ﷺ ثقيفًا بالصَّلاةِ فقالُوا: لا [نحني فإنَّها مسبَّةٌ](٣) علينا فقالَ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: **«لا خيرَ في دينٍ ليس فيه ركوعٌ ولا**

=

ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٣١)، والإعراب للنحاس (٣/ ٥٩٨)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٥٠)، والبحر المحيط (٨/ ٤٠٧)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٢٠٥)، والمعاني للأخفش (٢/ ٥٢٤).

(١) سقط في خ.

(٢) في خ: حقوا.

(٣) في خ: نحفى فإنها مسببة.

سجودٌ»[(١)] وقيلَ: هُو يومَ القيامةِ حينَ يُدعونَ إلى السجودِ فَلا يستطيعونَ ﴿ويلٌ يومئذٍ للمكذبينَ﴾ وفيه دلالةٌ على أنَّ الكفارَ مخاطبونَ بالفروعِ في حقِّ المؤاخذةِ ﴿فبأيِّ حديثٍ بعدَهُ﴾ أي بعدَ القرآنِ الناطقِ بأحاديث الدارينِ وأخبارِ النشأتينِ على نمطٍ بديعٍ مُعجزٍ مؤسسٍ على حججٍ قاطعةٍ وبراهينَ ساطعةٍ. ﴿يؤمنونَ﴾ إذَا لم يُؤمنُوا بهِ. وقرئَ [(تؤمنونَ)[(٢)] على الخطابِ][(٣)].

عن[(٤)] رسولِ الله ﷺ: **«مَنْ قرأَ سورةَ والمرسلاتِ كُتبَ لَهُ أنَّه ليسَ من المشركينَ»**[(٥)].

---

(١) أخرجه أبو داود (٣/ ١٦٣-١٦٤) كتاب الخراج: باب ما جاء في خبر الطائف حديث (٣٠٢٦) وأحمد (٤/ ٢١٨) والطبراني في «الكبير» رقم (٨٣٧٢) والبيهقي في «الكبرى» (٢/ ٤٥٥).
كلهم من طريق الحسن عن عثمان بن أبي العاص به.
وقد اختلف في سماع الحسن من عثمان.

(٢) قرأ بها: ابن عامر، ويعقوب.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٤٠٨).

(٣) سقط في خ.

(٤) في خ: روي عن رسول الله ﷺ أنه قال... .

(٥) تقدم تخريجه، وزاد في خ: والله الموفق بمنه وكرمه.

سُورةُ النبأ

مَكِّيةٌ وآيُها أربعونَ أو [إحْدَى وأربعونَ][1]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا
سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ
سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾
وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّٰتٍ
أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ
فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا
﴿٢٢﴾ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً
وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ
كِتَٰبًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ
أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَّبِّ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا
يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا
﴿٣٩﴾ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًا ﴿٤٠﴾

﴿عَمَّ﴾ أصله عَمَّا فحذفَ منه الألفُ إمَّا فرقًا بينَ ما الاستفهاميةِ وغيرِها أو قصدًا للخفةِ لكثرةِ استعمالِها. وقد قرئَ على الأصلِ[2]. وما فيهَا منَ الإيهامِ للإيذانِ بفخامةِ شأنِ المسؤولِ عنْهُ وهولِهِ وخروجِه عنْ حدودِ الأجناسِ المعهودةِ. أيْ عنْ أيِّ

---

(١) سقط في خ.

(٢) قرأ بها: ابن مسعود، وأبي، وعكرمة، وعيسى.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٤١٠)، والمجمع للطبرسي (١٠/ ٤٢٠)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٣٤٧)، وتفسير الرازي (٣١/ ٢).

شيءٍ عظيم الشأنِ ﴿يتساءلونَ﴾ أيْ أهلُ مكةَ وكانُوا يتساءلونَ عن البعثِ فيما بينهم ويخوضونَ فيه إنكارًا واستهزاءً لكنْ لا على طريقةِ التساؤلِ[1] عن حقيقتِه ومسمَّاهُ بلْ عن وقوعِه الذي هو حالٌ من أحوالِه ووصفٌ من أوصافِه. فإنَّ مَا وإنْ وضعتْ لطلبِ حقائقِ الأشياءِ ومسمياتِ أسمائِها كما في قولك ما الملَكُ وما الروحُ لكنَّها قد يُطلبُ بَها الصفةُ والحالُ تقولُ: ما زيدٌ فيقال[2] عالمٌ أو طبيبٌ وقيل: كانُوا يسألونَ عنه الرسولَ عليه الصلاةُ والسلامُ والمؤمنينَ استهزاءً كقولِهم[3] يتداعونهم أو يدعونهم وتحقيقُه أنَّ صيغةَ التفاعلِ في الأفعالِ المتعديةِ[4] موضوعةٌ لإفادةِ صدورِ الفعلِ عن المتعددِ ووقوعِه عليهِ بحيثُ يصيرُ كلٌّ واحدٍ من ذلكَ فاعلًا ومفعولًا معًا لكنَّه يرفعُ بإسنادِ الفعلِ إليه ترجيحًا لجانبِ فاعليتِه ويحالُ بمفعوليتِه على دلالةِ العقلِ كما في قولِك تراءَى القومُ أيْ رَأَى كلٌّ واحدٍ منْهم الآخرَ وقد تجردَ عن المعنى الثاني فيرادُ بها مجردُ صدورِ الفعلِ عن المتعددِ عاريًا عن اعتبارِ وقوعِه عليهِ فيُذْكر[5] للفعلِ حينئذٍ مفعولٌ متعدد كمَا في المثالِ[6] المذكورِ أو واحدٌ كما في قولِك تراءَوا الهلالَ، وقد يحذفُ لظهورِه كما فيما نحنُ فيهِ فالمَعْنى عن أيِّ شيءٍ يسألُ هؤلاءِ القومُ الرسولَ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ والمؤمنينَ، وربَّما تجردَ عن صدورِ الفعلِ عن المتعددِ أيضًا فيرادُ بها تعددُه باعتبارِ تعددِ متعلِّقِه مع وحدةِ الفاعلِ كما في قولِه تعالَى: ﴿فبأي آلاءِ ربِّك تَتَمارى﴾ [سورة النجم، الآية ٥٥].

وقولُه تعالى: ﴿عنِ النبأ العظيم﴾ بيانٌ لشأن المسؤولِ عنْهُ إثرَ تفخيمِه بإيهام أمرِه وتوجيه أذهانِ السامعينَ نحوَه وتنزيلِهم منزلَة المستفهمينَ فإن إيرادَهُ عن طريقةِ الاستفهامِ من علاَّمِ الغيوبِ للتنبيهِ على أنَّه لانقطاعِ قرينِه وانعدام نظيرِه، خارجٌ عن دائرةِ علومِ الخلقِ، خليقٌ بأنْ يُعتنى بمعرفتِه ويُسألَ عنْهُ كأنَّهَ قيلَ عنْ أيِّ شيءٍ يتساءلُون هَلْ أُخبركُم بِه ثمَّ قيلَ بطريقِ الجوابِ عن النبأِ العظيم على منهاجِ قولِه تعالى: ﴿لمنِ الملكُ اليومَ لله الواحدِ القهارِ﴾ [سورة غافر، الآية ١٦] فعنْ متعلَقةٌ بما يدلُّ عليهِ المذكورُ من[7] مضمرٍ حقُّه أنْ يقدرَ بعدَها مسارعةً إلى البيانِ ومراعاةً لترتيبِ السؤالِ هذا هو الحقيقُ بالجزالةِ التنزيليةِ، وقد قيلَ هي متعلقةٌ بالمذكورِ وعمَّ متعلقٌ بمضمرٍ مفسرٍ بهِ وأيدَّ ذلكَ بأنَّه قرئ (عَمَّه)[8] والأظهرُ أنَّه مبنيٌّ على إجراءِ الوصلِ

---

(١) في خ: السلوك.
(٢) في خ: فتقول.
(٣) في خ: لقولهم.
(٤) في خ: المتقدمة.
(٥) في خ: فتذكر.
(٦) في خ: الشأن.
(٧) في خ: ومن.
(٨) قرأ بها: ابن كثير، والضحاك.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٤١٠)، وتفسير الرازي (٣١/ ٢).

مُجرى الوقفِ، وقيل: عن الأُولى للتعليل كأنَّه قيلَ: لمَ يتساءلونَ أنِ النبأِ العظيمِ.

[وقيل عن الثانية استفهام مضمر كأنه قيل عمَّ يتساءلون عن النبأ العظيم، والنبأُ][1] الخبرُ الذي له شأنٌ وخطرٌ وقد وصفَ بقولِه تعالى: ﴿الذي هُم فيه مختلفونَ﴾ بعد وصفِه بالعظيم تأكيدًا لخطره إثرَ تأكيدٍ، وإشعارًا بمدار التساؤلِ عنه، وفيهِ متعلقٌ بـ (مختلفونَ) قدم عليه اهتمامًا به ورعايةً للفواصلِ، وجعلُ الصلةِ جملةً اسميةً للدلالةِ على الثباتِ أي هُم راسخونَ في الاختلافِ فيهِ فمِن جازمٍ باستحالته يقولُ: ﴿إنْ هيَ إلا حياتُنا الدُّنيا نموتُ ونحيا وما يُهلكُنا إلاَّ الدَّهرُ﴾ [سورة الجاثية، الآية ٢٤] وشاكٌّ يقول ﴿ما ندري ما الساعة إن نظن إلاَّ ظنًّا وما نحن بمستيقنين﴾ [سورة الجاثية، الآية ٣٢] وقيلَ: منهُم من ينكرُ المعادَينِ معًا كهؤلاءِ، ومنهُم مَنْ ينكرُ المعادَ الجسمانيَّ فقطَّ كجمهور النَّصارى، وقد حُملَ الاختلافُ على الاختلافِ في كيفيةِ الإنكارِ فمنْهُم مَنْ ينكرُه [لإنكارِه الصانعَ المختارَ، ومنهُم مَنْ يُنكرهُ][2] بناءً على استحالة[3] المعدوم بعينه، وحملُه على الاختلاف بالنَّفي والإثباتِ بناءً على تعميم التساؤلِ لفريقَيْ المسلمينَ والكافرينَ على أنَّ سؤالَ الأولينَ ليزدادُوا خشيةً واستعدادًا وسؤالَ الآخرينَ ليزدادُوا كُفرًا وعنادًا يردُّه قولُه تعالى: ﴿كلاَّ سيعلمونَ﴾. . . إلخ فإنَّه صريحٌ في أنَّ المرادَ اختلافُ الجاهلينَ بهِ، المنكرينَ له إذْ عليه يدورُ الردعُ والوعيدُ لا على خلاف المؤمنينَ لهم وتخصيصُهما بالكفرة بناءً على تخصيص ضميرِ سيعلمونَ بهم مع عموم الضميرينِ السابقينِ للكلِّ ممَّا ينبغِي تنزيهُ التنزيلِ عن أمثالِه هَذا ما أدَّى إليه جليلُ النظرِ والذي يقتضيه التحقيقُ ويستدعيهِ النظرُ الدقيقُ أنْ يحملَ اختلافُهم على مخالفتِهم للنبيِّ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ بأنْ يُعتبرَ في الاختلافِ محضُ صدورِ الفعلِ عن المتعددِ حسبَما ذُكرَ في التساؤلِ فإنَّ الافتعالَ والتفاعلَ صيغتانِ مُتآخيتانِ كالاستباقِ والتسابقِ والانتضالِ والتناضلِ إلى غيرِ ذلكَ يجري في كلٍّ منَها ما يَجْري في الأُخرى لا على مخالفةِ بعضهِم لبعضٍ من الجانبينِ لأنَّ الكُلَّ وإنِ استحقَ الردعَ والوعيدَ لكنَّ استحقاقَ كلِّ جانبٍ لهُما ليسَ لمخالفتِه للجانبِ الآخرِ إذْ لا حقيّة في شيءٍ منهُمَا حتَّى يستحقَّ مَن يخالفُه المؤاخذةَ بل لمخالفتِه عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ فكَلَّا ردعٌ لهم عن التساؤلِ والاختلافِ بالمعنيينِ المذكورينِ وسيعلمونَ وعيدٌ لهم بطريقِ الاستئنافِ وتعليلٌ للردعِ، والسينُ للتقريبِ

(١) سقط في خ.
(٢) سقط في خ.
(٣) في خ: استحالة المفهوم.

والتأكيدِ وليسَ مفعولُه ما ينبئُ عنه المقامُ من وقوعِ ما يتساءلونَ عنه ووقوعِ ما يختلفونَ فيه [كما في قولِه تعالى: ﴿وأقسمُوا بالله جهدَ أيمانِهم لا يبعثُ اللهُ من يموتُ﴾ [سورة النحل، الآية ٣٨] إلى قولِه تعالى: ﴿ليبينَ لهُم الذي يختلفونَ فيهِ﴾ [سورة النحل، الآية ٣٩] الآيةَ][١] فإنَّ ذلكَ عارٍ عن صريحِ الوعيدِ بلْ هُو عبارةٌ عمَّا يلاقونَهُ من فنونِ الدَّواهِي والعقوباتِ، والتعبيرُ عن لقائِها بالعلمِ لوقوعِه في معرضِ التساؤلِ والاختلافِ والمَعْنى ليرتدعُوا عمَّا هُم عليهِ فإنَّهم سيعلمونَ عمَّا قليلٍ حقيقةَ الحالِ إذا حلَّ بهم العذابُ والنكالُ.

وقولُه تعالى: ﴿ثم كلَّا سيعلمونَ﴾ تكريرٌ للردعِ والوعيدُ للمبالغةِ في التأكيدِ والتشديدِ، وثمَّ للدلالةِ على أنَّ الوعيدَ الثَّاني أبلغُ وأشدُّ وقيلَ الأولُ عند النزعِ والثانِي في القيامةِ وقيلَ [الأولُ][٢] للبعثِ والثاني للجزاءِ. وقرئَ (ستعلمونَ)[٣] بالتاءِ على نهجِ الالتفاتِ إلى الخطابِ الموافقِ لما بعدَهُ من الخطاباتِ تشديدًا للردعِ والوعيدِ لا على تقديرِ قُل لهم كما تُوهم، فإنَّ فيهِ من الإخلالِ بجزالةِ النظمِ الكريمِ مَا لاَ يَخْفى.

وقولُه تعالَى: ﴿ألم نجعلِ الأرضَ مهادًا * والجبالَ أوْتَادًا﴾... إلخ استئنافٌ مسوقٌ لتحقيقِ النبأِ المتساءلِ عنهُ بتعدادِ بعضِ الشواهدِ الناطقةِ بحقِّيتِه إثرَ ما نبَّه عليها بما ذُكرَ من الردعِ والوعيدِ، ومنْ هاهُنا اتضحَ أنَّ المتساءَلَ عنه هو البعثُ، لا القرآنُ أو نبوةُ النبيِّ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ كما قيلَ: والهمزةُ للتقريرِ. والالتفاتُ إلى الخطابِ على القراءةِ المشهورةِ للمبالغة في الإلزام والتبكيتِ. والمِهادُ البساطُ والفراشُ. وقرئَ (مَهْدًا)[٤] على تشبيهها بمهدِ الصبيِّ وهو ما يُمهدُ له فيُنوَّمُ عليهِ تسميةً للمهودِ بالمصدرِ، وجعَلُ الجبالِ أوتادًا لها إرساؤُها بها كما يُرسى البيتُ بالأوتادِ. ﴿وخلقناكُم﴾ عطفٌ في المضارعِ المنفيِّ بلم داخلٌ في حُكمِه فإنَّه في قوةِ أمَا جعلْنا إلخ. أو على ما يقتضيهِ الإنكارُ التقريريُّ فإنَّه في قوةِ أنْ يقالَ قد جعلْنا إلخ. ﴿أزواجًا﴾ أصنافًا ذكرًا أو أُنثى ليسكنَ كلٌّ من الصنفينِ إلى الآخرِ وينتظمَ أمرُ المعاشرةِ والمعاشِ ويتسنَّى التناسلُ.

---

(١) سقط في خ. (٢) سقط في خ.

(٣) قرأ بها: ابن عامر، والحسن، وابن ذكوان.
ينظر: الإعراب للنحاس (٣/ ٦٠١)، والبحر المحيط (٨/ ٤١١)، والتبيان للطوسي (١٠/ ٢٣٧)، والحجة لابن خالويه ص (٣٦١)، والسبعة لابن مجاهد ص (٦٦٨)، وتفسير الرازي (٣١/ ٥).

(٤) قرأ بها: مجاهد، وعيسى الهمداني.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٤١١)، وتفسير القرطبي (١٩/ ١٧١)، وتفسير الرازي (٣١/ ٦).

﴿وجعلنا نومكم سُباتًا﴾ أي موتًا [لأنَّه][1] أحدُ [التوفيينِ][2] لما بينهُمَا من المشاركةِ التامَّةِ في انقطاعِ أحكامِ الحياةِ، وعليهِ قولُه تعالى: ﴿وهُو الذي يتوفاكُم بالليلِ﴾ [سورة الأنعام، الآية ٦٠] وقولُه تعالى: ﴿الله يتوفَّى الأنفسَ حينَ موتِها والتي لم تمتْ في منامِها﴾ [سورة الزمر، الآية ٤٢]، وقيلَ: قطعًا عنِ الإحساسِ والحركةِ لإراحةِ القُوى الحيوانيةِ وإزاحةِ كلالِها، والأولُ هو اللائقُ بالمقامِ كما ستعرفُه.

﴿وجعلنا الليلَ﴾ الذي فيهِ يقعُ النومُ غالبًا ﴿لباسًا﴾ يستركُم بظلامِه كما يستركُم اللباسُ ولعلَّ المرادَ به ما يُستترُ به عندَ النومِ من اللحافِ ونحوِه فإنَّ شبهَ الليلِ به أكملُ واعتبارَهُ في تحقيقِ المقصدِ أدخلُ، فهو جعلَ الليلَ محلًا للنومِ الذي جْعلَ موتًا كما جعلَ النَّهارَ محلًّا لليقظةِ المعبرِ عنها بالحياةِ في قولِه تعالى: ﴿وجعلنَا النَّهارَ معاشًا﴾ أي وقتَ حياةٍ تُبعثونَ فيهِ من نومكم الذي هُو أخُو الموتِ، كَما في قولِه تعالى: ﴿وهُو الذي جعلَ لكُم الليلَ لباسًا والنومَ سُباتًا وجعلَ النهارَ نُشورًا﴾ [سورة الفرقان، الآية ٤٧] وجعلُ كونِ الليلِ لباسًا عبارةٌ عن سترِهِ عن العيونِ لمنْ أرادَ هربًا منْ عدوٍّ أو بياتًا له أو نحوِ ذلكَ ممَّا لا مناسبةَ له بالمقامِ وكذا جعلُ النهارِ وقتَ التقلبِ في تحصيلِ المعايشِ والحوايجِ ﴿وبنينَا فوقكُم سبعًا شدادًا﴾ أي سبعَ سمواتٍ قويةِ الخلقِ محكمةِ البناءِ لا يُؤثر فيها مرُّ الدهورِ وكرُّ العصورِ، والتعبيرُ عن خلقِها بالبناءِ مبنيٌّ على تنزيلِها منزلةَ القبابِ المضروبةِ على الخلقِ، وتقديمُ الظرفِ على المفعولِ ليسَ لمراعاةِ الفواصلِ فقطْ بلْ للتشويقِ إليهِ فإنَّ ما حقه التقديمُ إذا أُخرَ تبقى النفسُ مترقبةً له فإذا وردَ عليها تمكّنَ عندَها فضل تمكنٍ ﴿وجعلنا سراجًا وهَّاجًا﴾ هذا الجعلُ بمعنى الإنشاءِ والإبداعِ كالخلقِ خَلا أنه مختص بالإنشاءِ التكوينيِّ وفيه مَعنى التقديرِ والتسويةِ وهذا عامٌّ له كَما في الآيةِ الكريمةِ وللتشريعيِّ أيضًا كَما في قولِه تعالى: ﴿ما جعلَ الله من بحيرةٍ﴾ [سورة المائدة، الآية ١٠٣]. . . إلخ.

وقولِه تعالى: ﴿لكلٍّ جعلنَا منكُم شِرعةً ومنهاجًا﴾ [سورة المائدة، الآية ٤٨] وأيًّا ما كانَ ففيهِ إنباءٌ عن ملابسةِ مفعولِه بشيءٍ آخرَ بأنْ يكونَ فيهِ أولَهُ أو مِنْهُ أو نحوُ ذلكَ ملابسةً مصححةً لأنْ يتوسطَ بينهُمَا شيء من الظروفِ لغوًا كانَ أو مستقرًّا لكنْ لا على أنْ يكونَ عمدةً في الكلامِ بل قيدًا فيهِ، كَما في قولِه تعالى: ﴿وجعل بينهما برزخًا﴾ [سورة الفرقان، الآية ٥٣]، وقولِه تعالى: ﴿وجعلَ فيها رَوَاسيَ﴾ [سورة فصلت، الآية ١٠].

وقولِه تعالى: ﴿واجعلْ لنَا من لدنكَ وليًّا﴾ [سورة النساء، الآية ٧٥] الآيةَ. فإنَّ

(١) في خ: فإنه.
(٢) في خ: المؤمنين.

كلَّ واحدٍ من هذهِ الظروفِ إمَّا متعلقٌ بنفسِ الجعلِ أو بمحذوفٍ وقعَ حالًا من مفعولِه تقدمتْ عليه لكونِه نكرةً وأيا ما كانَ فهو قيدٌ في الكلامِ حتَّى إذا اقتضَى الحالُ وقوعَهُ عمدةً فيه يكونُ الجعلُ متعديًا إلى اثنينِ هُو ثانيهما كَما في قولِه تعالى: ﴿يجعلونَ أصابِعَهُم في آذانِهم﴾ [سورة البقرة، الآية ١٩] ورُبَّما يشتبهُ الأمرُ فيظنَّ أنَّه عمدةٌ فيهِ، وهو في الحقيقيةِ قيدٌ بأحدِ الوجهينِ كما سلفَ في قولِه تعالى: ﴿إنِّي جاعلٌ في الأرضِ خليفةً﴾ [سورة البقرة، الآية ٣٠].

والوهَّاجُ الوقَّادُ المتلألئ من وهجتِ النارُ إذا أضاءتْ أو البالغُ في الحرارةِ من الوهجِ والمرادُ به الشمسُ والتعبيرُ عنها بالسراجِ من روادفِ التعبيرِ عن خلقِ السماواتِ بالبناءِ.

﴿وأنزلنا من المُعصراتِ﴾ هي[١] السحائبُ إذا أَعْصرتْ أي شَارفتْ أنْ تعصُرَها الرياحُ فتمطرَ كما في أحصدَ الزرعُ إذا حانَ له أنْ يُحصدَ ومنه أعصرتِ الجاريةُ إذا دنتْ أنْ تحيضَ، أو الرياحُ التي حانَ لها أن تعصُرَ السحابَ. وقرئَ (بالمعصرات)[٢] ووجهُ ذلكَ أنَّ الإنزالَ حيثُ كانَ من المعصراتِ سواء أريدَ بها السحائبَ أو الرياحَ فقد كانَ بها كما يقالُ أعطاهُ من يدِه وبيدِه وقد فسرتِ المعصراتُ بالرياح ذواتِ الأعاصيرِ ووجهُهُ أنَّ الرياحَ [هي][٣] التي تنشئ السحابَ وتقدرُ أخلافَه فصلحتْ أنْ تجعلَ مبتدأً للإنزالِ.

﴿ماءً ثجَّاجًا﴾ أي مُنصبًّا بكثرةٍ، يقالُ ثجَّ الماءُ أي سالَ بكثرةٍ وثجَّه أيْ أسالَه، ومنه قولُه عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ: «**أفضلُ الحجِ العَجُّ والثَّجُّ**»[٤] أي رفعُ الصوتِ بالتلبيةِ

---

(١) في خ: من.

(٢) قرأ بها: ابن الزبير، وابن عباس، وعكرمة، والفضل بن عباس، وعبد الله بن يزيد، وقتادة. ينظر: البحر المحيط (٨/ ٤١١، ٤١٢)، وتفسير القرطبي (١٩/ ١٧٤)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٢٠٧)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٣٤٧)، وتفسير الرازي (٣١/ ٨).

(٣) سقط في خ.

(٤) أخرجه الترمذي (٣/ ١٨٩)، كتاب الحج: باب ما جاء في فضل التلبية حديث (٢٩٢٤) والدارمي (٢/ ٣١) كتاب المناسك: باب أي الحج أفضل، وأبو يعلى (١/ ١٠٨-١٠٩) رقم (١١٧) والبيهقي (٥/ ٤٢) كتاب الحج: باب رفع الصوت بالتلبية، والحاكم (١/ ٤٥١) كلهم من طريق محمد بن أبي فديك عن الضحاك بن عثمان عن محمد بن المنكدر عن عبد الرحمن بن يربوع عن أبي بكر الصديق قال: سئل رسول الله ﷺ: أي العمل أفضل؟ قال: العج والثج.
وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي وقال الترمذي: حديث أبي بكر حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث ابن أبي فديك عن الضحاك عن عثمان عن محمد بن المنكدر عن سعيد بن عبد الرحمن بن يربوع عن أبيه عن أبي بكر عن النبي ﷺ وأخطأ فيه ضرار. =

وصبُّ دماءِ الهَدي. وقرئ (ثَجَّاحًا)[١] بالحاءِ بعدَ الجيمِ، قالُوا: مثاجحُ الماءِ مصابُّه. ﴿لنخرجَ به﴾ بذلك الماءِ ﴿حبا﴾ يقتاتُ كالحنطةِ والشعيرِ ونحوِهما ﴿ونباتًا﴾ يعتلفُ كالتبنِ والحشيشِ، وتقديمُ الحبِّ مع تأخرِهِ عن النباتِ في الإخراجِ لأصالتِه وشرفِه لأنَّ غالبَهُ غذاءُ الإنسانِ ﴿وجناتٍ﴾ الجنَّةُ في الأصلِ هي المرةُ من مصدرِ جنَّه إذا سترَهُ[٢]، تطلقُ على النخلِ والشجرِ المتكاثفِ المُظللِ بالتفافِ أغصانِه، قالَ زُهير بنُ أبي سُلْمَى: [البسيط]

كأنَّ عينيَّ في غَرْبَيْ مقتَّلةٍ ... منَ النَّواضحِ تَسقِي جنَّةً سُحُقا[٣]

وعَلَى الأرضِ ذاتِ الشجرِ[٤]، قال الفَرَّاءُ الجنةُ ما فيهِ النخيلُ والفردوسُ ما فيه الكَرْمُ والأولُ هو المرادُ.

وقولُه تعالَى: ﴿ألفافًا﴾ أي ملتفةً تداخلَ بعضُها في بعضٍ، قالُوا لا واحدَ له

= قال أبو عيسى: سمعت أحمد بن الحسن يقول: قال أحمد بن حنبل: من قال «في هذا الحديث»: عن محمد بن المنكدر عن ابن عبد الرحمن بن يربوع عن أبيه فقد أخطأ.
وقال: وسمعت محمدًا يقول: وذكرت له حديث ضرار بن صرد عن ابن أبي فديك فقال: هو خطأ.
فقلت: قد رواه عن ابن أبي فديك أيضًا مثل روايته فقال: لا شيء، إنما رووه عن ابن أبي فديك ولم يذكروا فيه عن سعيد بن عبد الرحمن ورأيته يضعف ضرار بن صرد ا.هـ.
قال الزيلعي في «نصب الراية» (٣/ ٣٤، ٣٥): وهذه الرواية التي خطأها أحمد والبخاري هي عند ابن أبي شيبة في «مسنده» فقال: حدثنا محمد بن عمر الواقدي ثنا ربيعة عن عثمان والضحاك جميعًا عن محمد بن المنكدر عن سعيد بن عبد الرحمن بن يربوع عن أبي بكر الصديق سئل رسول الله ﷺ... الحديث وذكر شيخنا الذهبي في «ميزانه» عبد الرحمن بن يربوع فقال: ما روى عنه سوى ابن المنكدر وهذا غلط فإن البزار قال في «مسنده» عقيب ذكره لهذا الحديث عن عبد الرحمن بن يربوع: قديم حدث عنه عطاء ابن يسار ومحمد بن المنكدر وغيرهما وأظن أن الذي أوقع الذهبي في ذلك كون المزي في «كتابه» لم يذكر راويًا عنه غير ابن المنكدر وكثيرًا ما وقع له مثل ذلك في كتبه والله أعلم.
وقال الدارقطني في «كتاب العلل»: هذا حديث يرويه محمد بن المنكدر عن سعيد بن عبد الرحمن بن يربوع عن أبي بكر، وقال: ضرار بن صرد عن ابن أبي فديك عن الضحاك عن ابن المنكدر عن سعيد بن عبد الرحمن بن يربوع عن أبيه ورواه الواقدي عن ربيعة بن عثمان والضحاك جميعًا عن محمد بن المنكدر عن سعيد بن عبد الرحمن بن يربوع عن أبي بكر وقال: ضرار بن صرد عن ابن أبي فديك عن الضحاك عن ابن المنكدر عن سعيد بن عبد الرحمن بن يربوع عن أبيه ورواه الواقدي عن ربيعة بن عثمان والضحاك جميعًا عن محمد بن المنكدر.

(١) قرأ بها: الأعرج.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٤١٢).

(٢) في خ: سره.

(٣) تقدم.

(٤) في خ: النخل.

كالأوزاعِ والأخيافِ، وقيلَ: الواحدُ لِفٌّ كَكِنٍّ وأكنانٍ أو لفيفٌ كشريفٍ وأشرافٍ، [وقيلَ: هو جمعُ لف جمع لفَّاءَ، كخضر وخضراءَ][١] وقيلَ: جمعُ ملتفةٍ بحذفِ الزوائدِ. واعلم أنَّ فيما ذكر من أنَّ أفعالَه عزَّ وجلَّ دلالةٌ على صحة البعثِ وحقِّيته[٢] من وجوه ثلاثةٍ: الأولُ: باعتبار قدرتِه تعالَى فإنَّ مَن قدرَ على إنشاءِ هذهِ الأفعالِ البديعةِ من غيرِ مثالٍ يحتذيهِ ولا قانونٍ ينتحيهِ كانَ على الإعادةِ أقدرَ وأقوى، الثَّاني: باعتبار علمِه وحكمتِه فإنَّ من أبدعَ هذه المصنوعاتِ على نمطٍ رائع مستتبع لغاياتٍ جليلةٍ ومنافعَ جميلة عائدةً إلى الخلق يستحيلُ أنْ يفنيَها بالكلية ولا يجعلَ لَها عاقبةً [باقيةً][٣]، والثالثُ: باعتبار نفسِ الفعلِ فإنَّ اليقظةَ بعد النوم أنموذج للبعث بعد الموتِ يشاهدونَها كلَّ يومٍ وكَذا إخراجُ الحبِّ والنباتِ من الأرضِ الميتةِ يعاينونَه كلَّ حينٍ كأنَّه قيلَ: ألم نفعلْ هذهِ الأفعالَ الآفاقيةَ والأنفسيةَ الدالةَ بفنون الدلالاتِ على حقيةِ البعثِ الموجبةِ للإيمان به فما لكُم تخوضونَ فيه إنكارًا وتتساءلونَ عنه استهزاءً.

وقولُه تعالَى: ﴿إِنَّ يومَ الفصلِ كانَ ميقاتًا﴾ شروعٌ في بيان سرِّ تأخيرِ ما يتساءلونَ عنه ويستعجلونَ به قائلينَ متَى هذا الوعدُ إنْ كنتُم صادقينَ ونوعُ تفصيلٍ لكيفيةِ وقوعِه وما سيلقونَهُ عند ذلكَ من فنونِ العذابِ حسبما جَرى به الوعيدُ إجمالًا، أي إنَّ يومَ فصلِ الله عزَّ وجلَّ بينَ الخلائقِ كان في علمِه وتقديرِه ميقاتًا وميعادًا لبعثِ الأولينَ والآخرينَ وما يترتبُ عليهِ من الجزاءِ ثوابًا وعقابًا لا يكادُ يتخطاهُ بالتقدم والتأخرِ وقيل: حدًا توقتُ به الدُّنيا وتنتهي عندهُ أو حدًا للخلائقِ ينتهونَ إليهِ ولا ريبَ في أنَّهما بمعزلٍ من التقريب الذي أشيرَ إليه على أنَّ الدنيا تنتهي عند النفخةِ الأُولى.

وقوله تعالى: ﴿يومَ ينفخُ في الصُّورِ﴾ أي نفخةً ثانيةً بدلٌ من يومِ الفصلِ أو عطفُ بيانٍ له مقيدٍ لزيادةِ تفخيمِه وتهويلِه، ولا ضيرَ[٤] في تأخرِ الفصلِ عن[٥] النفخِ فإنَّه[٦] زمانٌ ممتدٌّ يقعُ في مبدئه النفخةُ وفي بقيته الفصلُ ومباديه وآثارُه، والصُّور هُو القرنُ الذي ينفخُ فيه إسرافيلُ عليه السَّلامُ.

عن أبي هريرةَ رضيَ الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ: «**لمَّا فرغَ الله تعالى من خلقِ السماواتِ والأرضِ خلقَ الصُّور فأعطاهُ إسرافيلَ فهُو واضعُه على فيهِ شاخصٌ بصره إلى العرشِ [متى]**[٧] **يُؤمر بالنفخ فيه فيؤمر بهِ فينفخُ فيه نفخةً لا يبقى عندَها في الحياةِ غيرُ**

---

(١) سقط في خ.
(٢) في خ: حقيقة.
(٣) سقط في خ.
(٤) في خ: خير.
(٥) في خ: في.
(٦) في خ: في.
(٧) سقط في خ.

من شاءَ الله. وذلكَ قولُه تعالى: **﴿ونفخَ في الصُّورِ فصعقَ مَن في السمواتِ ومنْ في الأرضِ إلاَّ مَنْ شاءَ الله﴾** [سورة الزمر، الآية ٦٨] ثم يُؤمرُ بأُخرى فينفُخ نفخةً لا يبقَى معها ميتٌ إلا بُعثَ وقامَ وذلكَ قولِه تعالى: ﴿ثم نُفخَ فيه أُخرى فإذَا هُم قيامٌ ينظرونَ﴾[1] [سورة الزمر، الآية ٦٨]».

والفاءُ في قولِه تعالى: **﴿فتأتونَ﴾** فصيحةٌ تفصحُ[2] عن جملة قد حُذفتْ ثقةً بدلالة الحالِ عليَها وإيذانًا بغاية سرعةِ الإتيانِ كمَا في قوله تعالى: ﴿أن اضربْ بعصاكَ البحرَ فانفلقَ﴾ [سورة الشعراء، الآية ٦٣] أي فتبعثونَ من قبورِكم فتأتونَ إلى الموقفِ عقيبَ ذلكَ من غير لبثٍ أصلًا **﴿أفواجًا﴾** أممًا كلُّ أمةٍ معَ إمامِها كما في قولِه تعالى: ﴿يومَ ندعُو كلَّ أناسٍ بإمامِهم﴾ [سورة الإسراء، الآية ٧١] أو زمرًا وجماعاتٍ مختلفةَ الأحوالِ متباينةَ الأوضاعِ حسبَ اختلافِ أعمالِهم وتباينِها.

عن[3] معاذٍ رضيَ الله عنهُ أنَّه سألَ رسولَ الله ﷺ فقالَ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «**يا معاذُ سألتَ عن أمرٍ عظيمٍ من الأمورِ**» ثم أرسلَ عينيهِ وقالَ: «**تحشرُ عشرةُ أصنافٍ من أمَّتي بعضُهم على صورةِ القردةِ وبعضُهم على صورةِ الخنازيرِ وبعضُهم منكسونَ أرجلُهم فوقَ وجوهِهم يُسحبونَ عليها وبعضُهم عميٌ وبعضُهم صمٌّ وبكمٌ وبعضُهم يمضغونَ ألسنتَهُم فهيَ مدلاَّةٌ على صدورِهم يسيلُ القيحُ من أفواههم يتقذرهُم أهلُ الجمعِ وبعضُهم مقطعةٌ أيديهم وأرجلُهم وبعضُهم مصلَّبونَ على جذوعٍ من نارٍ وبعضُهم أشدّ نتنًا من الجيف وبعضُهم يلبسونَ جبابًا سابغةً من قطرانٍ لازقةً بجلودِهم فأمَّا الذينَ على صورةِ القردةِ فالقتَّاتُ من الناسِ وأمَّا الذينَ على صورة الخنازير فأهلُ السحتِ وأمَّا المنكسونَ**[4] **على وجوهِهم فأكلةُ الرِّبا وأما العميُ فالذينَ يجورونَ في الحكمِ وأمَّا الصمُّ والبكمُ فالمعجبونَ بأعمالِهم وأمَّا الذينَ يمضغُون ألسنتَهُم فالعلماءُ الذينَ خالفتْ أقوالُهم أعمالَهم وأما الذينَ قُطعتْ أيديهم وأرجلُهم فهم الذين يؤذونَ جيرانَهم وأما المصلبونَ على جذوعٍ من نارٍ فالسعاةُ بالناسِ إلى السلطانِ وأمَّا الذينَ هم أشدُّ نتنًا من الجيفِ فالذينَ يتبعون الشهواتِ واللذاتِ ومنعُوا حقَّ الله تعالى في أموالِهم وأما الذينَ يلبسونَ الجبابَ فأهلُ الكبرِ والفخرِ والخُيلاءِ**»[5].

---

(١) تقدم تخريجه.
(٢) في خ: فصيح.
(٣) في خ: وعن.
(٤) في خ: المنكوبون.
(٥) قال الزيلعي في تخريج الكشاف (٤/ ١٤٤) رواه الثعلبي في «تفسيره» أخبرني ابن فنجويه ثنا ابن أبي شيبة ثنا عبيد الله بن أحمد بن منصور الكسائي ثنا محمد بن عبد الجبار ثنا محمد بن زهير عن =

﴿وفتحتِ السماءُ﴾ عطفٌ على ينفخُ، وصيغةُ الماضِي للدلالةِ على التحققِ. وقرئَ (فُتِّحتْ)[1] بالتشديدِ وهو الأنسبُ بقولِه تعالى: ﴿فكانتْ أبوابًا﴾ أي كثُرتْ أبوابُها المفتحةُ لنزولِ الملائكةِ نزولًا غيرَ مُعتادٍ حتى صارتْ كأنَّها ليستْ إلاَّ أبوابًا مفتحةً كقولِه تعالى: ﴿وفجرنَا الأرضَ عُيونًا﴾ [سورة القمر، الآية ١٢] كأنَّ كلها عيونٌ متفجرةٌ وهو المرادُ بقولِه تعالى: ﴿ويومَ تشققُ السماءُ بالغمامِ ونزل الملائكة تنزيلا﴾ [سورة الفرقان، الآية ٢٥] وهو الغمامُ والذي ذُكرَ في قولِه تعالى: ﴿هل ينظرونَ إلا أنْ يأتيَهم اللهُ﴾ [سورة البقرة، الآية ٢١٠] [أي أمرُه وبأسُه][2] في ظلٍ من الغمامِ والملائكةِ وقيلَ: الأبوابُ الطرقُ والمسالكُ أي تكشطُ فينفتحُ[3] مكانها وتصيرُ طرقًا لا يسدُّها شيءٌ.

﴿وسيرتِ الجبالُ﴾ أي في الجوِّ على هيئاتِها بعد قلعِها[4] من مقارِّها كما يعربُ عنه قولُه تعالى: ﴿وترَى الجبالَ تحسبُها جامدةً وهي تمرُّ مرَّ السحابِ﴾ [سورة النمل، الآية ٨٨] أي تراها رأيَ العينِ ساكنةً في أماكِنها والحالُ أنَّها تمرُّ مرَّ السحابِ الذي يسيرُه الرياحُ سيرًا حثيثًا وذلكَ أنَّ الأجرامَ العظامَ إذا تحركتْ نحوًا من الأنحاءِ لا تكادُ يتبينُ حركتُها وإنْ كانتْ في غايةِ السرعةِ لا سيما من بعيدٍ وعليهِ قولُ مَنْ قالَ: [الطويل]

بأرعَنَ مثلِ الطودِ تحسبُ أنَّهم ... وقوف لحاجٍ والركابُ تهملجُ[5]

وقد أُدمجَ في هذا التشبيهِ تشبيهُ حالِ الجبالِ بحال السحابِ في تخلخل الأجزاءِ وانتفاشِها[6] كما ينطقُ به قولُه تعالى: ﴿وتكونُ الجبالُ كالعهنِ المنفوشِ﴾ [سورة القارعة، الآية ٥] يبدلُ الله تعالى الأرضَ ويغيرُ هيأتَها ويسيرُ الجبالُ على تلكَ الهيئةِ

= محمد بن المهتدي عن حنظلة السدوسي عن البراء بن عازب قال: كان معاذ بن جبل جالسًا قريبًا من رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أرأيت قول الله تعالى: ﴿يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجًا﴾ قال: يا معاذ سألت عن أمر عظيم ... إلى آخره، ورواه ابن مردويه في «تفسيره» ثنا الحسن بن علي بن أحمد ثنا الحسن بن علي بن الحارث الكسائي ثنا إبراهيم بن مسعود ثنا محمد بن زهير به.

(١) قرأ بها: أبو عمرو، وابن عامر، ونافع، وابن كثير، والأعشى، والبرجمي، وأبو جعفر، ويعقوب. ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٣١)، والبحر المحيط (٨/ ٤١٢)، والتبيان للطوسي (١٠/ ٢٤٢)، والتيسير للداني ص (١٩٠)، والحجة لابن خالويه ص (٣٦١)، والسبعة لابن مجاهد ص (٦٦٨)، والغيث للصفاقسي ص (٣٧٩)، والكشف للقيسي (٢/ ٢٤١)، والمجمع للطبرسي (١٠/ ٤٤٢).

(٢) سقط في خ.

(٣) في خ: وينفخ.

(٤) في خ: قطعها.

(٥) تقدم.

(٦) في خ: انتقائها.

الهائلةِ عند حشرِ الخلائقِ بعد النفخةِ الثانيةِ ليشاهدُوها ثم يفرقها في الهواء وذلك قولُه تعالى ﴿فكانتْ سرابًا﴾ أي فصارتْ بعدَ تسييرِها مثلَ السرابِ كقولِه تعالى: ﴿وبستِ الجبالُ بسا * فكانت هباءً مُنبثا﴾ [سورة الواقعة، الآية ٥] أي غُبارًا مُنتشرًا وهيَ وإنْ اندكتْ وانصدعتْ عند النفخةِ الأُولى لكن تسييرُها وتسويةُ الأرضِ إنما يكونانِ بعد النفخةِ الثانيةِ كما نطقَ به قولُه تعالَى: ﴿ويسألونكَ عن الجبالِ فقُلْ ينسفُها ربِّي نسفًا * فيذرها قاعًا صفصفًا * لا تَرَى فيها عِوجًا ولا أَمتًا * يومئذٍ يتبعونَ الداعيَ﴾ [سورة طٰه، الآية ١٠٥، ١٠٨] وقولُه تعالى: ﴿يومَ تبدلُ الأرضُ غيرَ الأرضِ والسمواتُ وبرزُوا لله الواحدِ القهَّارِ﴾ [سورة إبراهيم، الآية ٤٨] فإنَّ اتباعَ الدَّاعِي الذي هو إسرافيلُ عليه السَّلامُ وبروز الخلق لله تعالى لا يكونُ إلا بعد النفخةِ الثانيةِ.

﴿إنَّ جهنم كانتْ مرصادًا﴾ شروعٌ في تفصيل أحكامِ الفصلِ الذي أضيفَ إليه اليومُ إثرَ بيانِ هولِه، ووجهُ تقديمِ بيانِ حالِ الكفارِ غنيٌّ عن البيانِ. والمرصادُ اسمٌ للمكان الذي يُرصد فيه كالمضمارِ الذي هُو اسمٌ للمكان الذي يُضمَّر فيه الخيلُ والمنهاجُ اسمٌ للمكانِ الذي ينهجُ فيهِ أيْ إنَّها كانتْ في حكمِ الله تعالى وقضائِه موضعَ رصدٍ يرصدُ فيه خزنة النار الكفار ليعذبوهم فيها.

﴿للطاغين﴾ متعلق بمضمر هو إمَّا نعتٌ لمرصادًا أي كائنًا للطاغينَ وقولُه تعالَى: ﴿مآبا﴾ بدلٌ منه أيْ مرجعًا يرجعونَ إليهِ لا محالةَ وإمَّا حالٌ مِنْ مآبا قُدمتْ عليهِ لكونِه نكرة ولو تأخرتْ لكانتْ صفةً له وقد جُوِّزَ أنْ يتعلقَ بنفسِ مآبا على أنَّها مرصادٌ للفريقينِ مآبٌ للكافرينِ خاصَّة ولا يَخفى بُعدُه فإنَّ المتبادرَ من كونِها مرصادًا لطائفةٍ كونُهم معذبينَ بَها وقد قيلَ: إنَّها مرصادٌ لأهلِ الجنةِ يرصدُهم الملائكةُ الذين يستقبلونَهم عندَها لأنَّ مجازَهم عليها وهي مآبٌ للطاغينِ وقيل المرصاد صيغة مبالغة من الرصد، والمعنى أنها مجدة في ترصد الكفار لئلا يشذَّ منُهم أحدٌ. وقرئ (أنَّ)[١] بالفتحِ على تعليلِ قيامِ الساعةِ بأنَّها مرصادٌ للطاغينَ.

﴿لابثينَ فيها﴾ حالٌ مقدرةٌ من المستكنِّ في للطاغينَ وقُرئ (لبثينَ)[٢].

---

(١) قرأ بها: أبو عمرو المنقري، وابن يعمر.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٤١٣)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٢٠٩)، وتفسير الرازي (٣١/ ١٢).

(٢) قرأ بها: حمزة، والكسائي، والأعمش، وعلقمة، ويحيى بن وثاب، وطلحة، وابن مسعود، وزيد بن علي، وقتيبة، وعمرو بن ميمون، وعمرو بن شرحبيل، وسورة، وروح.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٣١)، والإعراب للنحاس (٣/ ٦٠٥)، والبحر المحيط (٨/ ٤١٣)، والتبيان للطوسي (١٠/ ٢٤٢)، والحجة لابن خالويه ص (٣٦١)، والغيث للصفاقسي ص (٣٧٩)، والكشف للقيسي (٢/ ٣٥٩).

وقوله تعالى: ﴿أحقابًا﴾ ظرفٌ للبثِهم أي دُهُورًا متتابعةً كلما مضَى حقبٌ تبعَهُ حقبٌ آخرُ إلى غيرِ نهايةٍ فإن الحقبَ لا يكادُ يستعملُ إلا حيثُ يرادُ تتابعُ الأزمنةِ وتواليها فليسَ فيه ما يدلُّ على تَنَاهِي تلكَ الأحقابِ ولو أُريدَ بالحقب ثمانونَ[(١)] سنةً أو سبعونَ ألفَ سنةٍ.

وقولُه تعالى: ﴿لا يذوقونَ فيها بردًا ولا شرابًا * إلا حميمًا وغسَّاقًا﴾ جملةٌ مبتدأة أخبرَ عنُهم بأنَّهم لا يذقونَ فيها شيئًا ما من برد ورَوْحٍ ينفسُ عنهم حرَّ النَّارِ ولا من شرابٍ يُسكِّنُ من عطشِهم ولكنْ يذوقونَ فيها حميمًا وغَسَّاقًا، وقيلَ: البردُ النومُ وقرئ[(٢)] غَسَاقًا بالتفخيف وكلاهُما ما يسيلُ من صديدِهم ﴿جزاءً﴾ أي جُوزوا بذلكَ جزاءً ﴿وفاقًا﴾ ذَا وفاقٍ لأعمالِهم أو نفسُ الوفاقِ مبالغةٌ أو وافقَها وِفاقًا، وقرئ (وِفَّاقًا)[(٣)] على أنَّه فَعالٌ من وَفَقَه كذا أي لاقَهُ ﴿إنَّهم كانُوا لا يرجُون حسابًا﴾ تعليلٌ لاستحقاقِهم الجزاءَ المذكورَ أي كانُوا لا يخافونَ أنْ يُحاسبُوا بأعمالِهم ﴿وكذَّبُوا بآياتِنا﴾ الناطقةِ بذلكَ ﴿كِذَّابًا﴾ أي تكذيبًا مُفرطًا ولذلكَ كانُوا مصرينَ على الكفرِ وفنونِ المَعَاصِي.

وفِعَّالٌ من بابِ فَعَّلَ شائعٌ فيما بينَ الفصحاءِ وقرئ[(٤)] بالتخفيف وهو مصدرُ كذبَ قالَ: [مجزوء الكامل]

فَصَدَقْتُها وَكَذَبْتُها   والمرءُ ينفعُهُ كِذَابُه[(٥)]

وانتصابُه إمَّا بفعلِه المدلولِ عليهِ بكذبوا أي وكذبوا بآياتنا فكذبوا كذابًا وإما بنفس كذبوا لتضمنه معنى كذَّبوا فإنَّ كلَّ مَنْ يكذبُ بالحقِّ فهو كاذبٌ. وقرئ[(٦)] كُذَّابًا وهو

---

(١) في خ: ثمانون ألف.

(٢) قرأ بها: نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم، وشعبة، وأبو جعفر، ويعقوب.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٣١)، والبحر المحيط (٨/ ٤١٤)، والتبيان للطوسي (١٠/ ٢٤٢)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٢٠٩)، والمجمع للطبرسي (١٠/ ٤٢٢).

(٣) قرأ بها: أبو حيوة، وأبو بحرية، وابن أبي عبلة.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٤١٤)، وتفسير الرازي (٣١/ ١٦).

(٤) قرأ بها: علي بن أبي طالب، وعوف الأعرابي، وأبو رجاء، والأعمش.
ينظر: الإعراب للنحاس (٣/ ٦٠٩)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٥٠)، والبحر المحيط (٨/ ٤١٤)، والغيث للصفاقسي ص (٣٨٠)، والكشف للقيسي (٢/ ٣٥٩)، والمعاني للفراء (٣/ ٢٢٩).

(٥) البيت للأعشى في شرح شواهد الإيضاح (ص ٦٠٦)؛ ولسان العرب (صدق)، ولم أقع عليه في ديوانه، وبلا نسبة في شرح المفصَّل (٦/ ٤٤).

(٦) قرأ بها: عبد الله بن عمر بن عبد العزيز، وعمر بن عبد العزيز، والماجشون.

=

جَمعُ كاذبَ فانتصابُه[١] على الحاليةِ أي كذَّبُوا بآياتِنا كاذبينَ وقد يكونُ الكذَّابُ بمعنى الواحدِ البليغ في الكذبِ فيجعلُ صفةً لمصدرِ كذَّبوا أي تكذيبًا كذابًا مُفرطًا كذبُه **﴿وكلَّ شيءٍ﴾** من الأشياءِ التي منْ جُملتِها أعمالُهم. وانتصابُه بمضمرٍ يفسرُه **﴿أحصيناهُ﴾** [أي حفظناهُ وضبطناهُ. وقرئَ بالرفعِ[٢] على الابتداءِ **﴿كتابًا﴾** مصدرٌ مؤكدٌ لأحصيناهُ لما أنَّ الإحصاءَ والكتبةَ][٣] من وادٍ واحدٍ أو لفعلِه المقدرِ أو حالٌ بمعنى مكتوبًا في اللوحِ أو في صحفِ الحفظةِ، والجملةُ اعتراضٌ.

وقولُه تعالى: **﴿فذُوقُوا فَلَنْ نزيدَكُم إلاَّ عذابًا﴾** مسببٌ عن كفرِهم بالحسابِ وتكذيبِهم بالآياتِ، وفي الالتفاتِ المنبئ عن التشديدِ في التهديدِ وإيرادِ لَنْ المفيدةِ لكونِ تركِ الزيادةِ من قبيلِ ما لا يدخلُ تحتَ الصحةِ من الدلالةِ على تبالغ الغضبِ ما لا يَخْفى وقد رُويَ عنِ النبيِّ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ أنَّ هذهِ الآية أشدُّ ما في القرآنِ على أهلِ النَّارِ[٤].

﴿إنَّ للمتقينَ مَفَازا﴾ شروعٌ في بيانِ محاسنِ أحوالِ المؤمنينَ إثرَ بيانِ [سوءِ][٥] أحوالِ الكفرةِ أي إنَّ للذينَ يتقونَ الكفرَ وسائرَ قبائحِ أعمالِ الكفرةِ فوزًا وظفرًا بمباغيهم أو موضعَ فوزٍ وقيلَ: نجاةً ممَّا فيه أولئكَ أو موضعَ نجاةٍ.

وقولُه تعالى: **﴿حدائقَ وأعنابًا﴾** أيْ بساتينَ فيها أنواع الأشجارِ المثمرةِ وكرومًا بدلٌ منْ مفازًا.

﴿وكواعبَ﴾ أي نساءً فلكتْ ثُديهنَّ وهُنَّ النَّواهدُ **﴿أترابًا﴾** أي لداتٍ **﴿وكأسًا دِهاقًا﴾** أي مُترعةً يقال أدهقَ الحوضَ[٦] أي ملأهُ **﴿لا يسمعونَ فيها﴾** أي في الجنةِ وقيل: في الكأسِ **﴿لغوًا ولا كذَّابًا﴾** أي لا ينطقونَ بلغوٍ ولا يكذبُ بعضُهم بعضًا. وقرئَ (كِذابًا)[٧] بالتخفيفِ أي لا يكذبُه أو لا يكاذبُه **﴿جزاءً من ربِّك﴾** مصدرٌ مؤكدٌ

= ينظر: البحر المحيط (٨/ ٤١٥)، وتفسير القرطبي (١٩/ ١٨٢)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٢٠٩)، والمجمع للطبرسي (١٠/ ٤٢٢)، وتفسير الرازي (٣١/ ١٧).

(١) في خ: وانتصابه.

(٢) قرأ بها: أبو السمال.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٤١٥)، وتفسير القرطبي (١٩/ ١٨٢)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٢١٠).

(٣) في خ: والكتيبة.

(٤) أخرجه الثعلبي في تفسيره (١٠/ ١١٧)، وذكره الزيلعي في تخريج الكشاف (٤/ ١٤٥)، وقلت: رواه الثعلبي من طريق الإمام أبي بكر بن السني: أنا ابن فنجويه، ثنا أبو داود الحراني، ثنا شعيب بن بيان، ثني مهدي بن ميمون، سمعت الحسن بن دينار أنه سأل الحسن.

(٥) سقط في خ.

(٦) في خ: الحق.

(٧) قرأ بها: الكسائي، وعلي بن أبي طالب.

=

منصوبٌ بمعنى أنَّ للمتقينَ مفازًا فإنه في قوةِ أنْ يقالَ جازَى المتقينَ بمفازٍ جزاءً كائنًا من ربِّك والتعرضُ لعنوانِ الربوبيةِ المنبئةِ عن التبليغِ إلى الكمالِ شيئًا فشيئًا مع الإضافةِ إلى ضميره عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ مزيدُ تشريفٍ لهُ ﷺ ﴿عطاءً﴾ أي تفضلًا وإحسانًا منه تعالَى إذْ لا يجبُ عليهِ شيءٌ وهو بدلٌ من جزاءً.

﴿حسابًا﴾ صفةٌ لعطاءً بمعنى كافيًا [على أنَّه مصدرٌ أقيمَ مقامَ الوصفِ أو بُولغَ فيه من أحسبهُ الشيءُ إذا كفاهُ حتَّى قال حَسْبي وقيلَ: على حسبِ أعمالِهم وقُرِئ (حِسَّابًا)[1] بالتشديدِ][2] على أنَّه بمعْنى [المُحسبِ كالدارك بمعنى المدركِ][3].

﴿ربِّ السمواتِ والأرضِ وما بينهُمَا﴾ بدلٌ من ربِّك وقولُه تعالَى: ﴿الرحمنِ﴾ صفةٌ له وقيلَ: صفةٌ للأولِ وأيًا ما كانَ ففي ذكرِ ربوبيتِه تعالى [للكلِّ][4] ورحمتِه الواسعةِ إشعارٌ بمدارِ الجزاءِ المذكورِ.

وقوله تعالى: ﴿لا يملكونَ منه خِطابًا﴾ استئنافٌ مقررٌ لما أفادَهُ الربوبيةُ العامةُ من غايةِ العظمةِ والكبرياءِ واستقلالِه تعالى بما ذُكِرَ من الجزاءِ والعطاءِ من غيرِ أنْ يكونَ لأحدٍ قدرةٌ عليهِ. وقرئ برفعِهما[5] فقيلَ على أنَّهما خبرانِ لمبتدأٍ مضمرٍ وقيلَ: الثَّانِي نعتٌ للأولِ وقيلَ: الأَولُ مبتدأٌ والثاني خبرُهُ ولا يملكونَ خبرٌ آخرُ أو هو الخبرُ والرحمنُ صفةٌ للأولِ، وقيلَ: لا يملكونَ حالٌ لازمةٌ وقيلَ: الأولُ مبتدأٌ والرحمنُ مبتدأٌ ثانٍ ولا يملكونَ خبرُهُ والجملةُ خبرٌ للأولِ، وحصلَ الربط بتكريرِ المبتدأِ بمعناهُ على رأي مَنْ يقولُ بهِ والأوجهُ أنْ يكونَ كلاهُما مرفوعًا على المدحِ أو يكونَ الثاني نعتًا[6] للأولِ ولا يملكونَ استئنافًا على حالِه ففيهِ ما ذُكِرَ من الإشعارِ بمدارِ الجزاء

= ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٣١)، والإعراب للنحاس (٣/ ٦٠٩)، والبحر المحيط (٨/ ٤١٥)، والتيسير للداني ص (٢١٩)، والحجة لابن خالويه ص (٣٦١)، والسبعة لابن مجاهد ص (٦٦٩).

(١) قرأ بها: شريح بن يزيد الحمصي، وأبو البرهسم.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٤١٥).

(٢) سقط في خ.

(٣) في خ: المحتسب كالدراك بمعنى الدارك.

(٤) سقط في خ.

(٥) قرأ بها: نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وأبو جعفر، واليزيدي، والحسن، وشيبة، والأعرج، وابن مسعود، ويعقوب، والمفضل، وزيد.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٣١)، والإعراب للنحاس (٣/ ٦١٣)، والتيسير للداني ص (٢١٩)، والسبعة لابن مجاهد ص (٦٦٩)، والغيث للصفاقسي ص (٣٨٠)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٣٩٧).

(٦) في خ: لغة.

والعطاءِ كما في البدليةِ لما أنَّ المرفوعَ أو المنصوبَ[١] مدحًا تابعٌ لما قبلَهُ مَعْنى وإنْ كان مَنقطعًا عنه إعرابًا كما فُصّل في قولِه تعالى: ﴿الذينَ يؤمنونَ بالغيبِ﴾ [سورة البقرة، الآية ٣] من سورةِ البقرةِ وقرئ بجرِّ الأولِ على البدليةِ ورفعِ الثاني[٢] على الابتداءِ والخبرُ ما بعدَهُ أو على أنَّه خبرٌ لمبتدأٍ مضمرٍ وما بعدَهُ استئنافٌ أو خبرٌ ثانٍ أو حالٌ وضميرُ لا يملكونَ لأهلِ السمواتِ والأرضِ أي لايملكونَ أنْ يخاطبُوه تعالَى من تلقاءِ أنفسِهم كما ينبئُ عنه لفظُ الملكِ خطابًا[٣] مَا في شيءٍ مَا والمرادُ نفيُ قدرتِهم على أنْ يخاطبُوه تعالَى[٤] بشيءٍ من نقص العذابِ أو زيادةِ الثوابِ من غيرِ إذنِه على أبلغِ وجهٍ وآكدِه وقيلَ ليسَ في أيديهم ممَّا يخاطبُ الله بهِ ويأمرُ به في أمرِ الثوابِ والعقابِ خطابٌ واحدٌ يتصرفونَ فيه تصرفَ الملاَّكِ فيزيدونَ فيهِ أو ينقصونَ منْهُ.

﴿يومَ يقومُ الروحُ والملائكةُ صفًّا﴾ قيلَ: الروحُ خلقٌ أعظمُ من الملائكةِ وأشرفُ منهم وأقربُ من ربِّ العالمينَ وقيل: هو مَلكٌ ما خلقَ الله عزَّ وجلَّ بعدَ العرشِ خلقًا أعظمَ منْهُ. عنِ ابنِ عباس رضيَ الله عنهُمَا أنَّه [إذا][٥] كانَ يومُ القيامةِ قامَ هو وحدَهُ صَفًّا والملائكةُ كلُّهم صفا. وعنْهُ عنِ النبيِّ ﷺ أنه قالَ: **«الروحُ جندٌ من جنودِ الله تعالى ليسُوا ملائكةً[٦] لهم رؤوسٌ وأيدٍ وأرجلٌ يأكلونَ الطعامَ» ثُمَّ قرأَ ﴿يومَ يقومُ الروحُ﴾**[٧] الآيةَ. وهذَا قولُ أبي صالحٍ ومجاهدٍ قالُوا ما ينزلُ من السماءِ ملكٌ إلا ومعه واحدٌ منُهم نقلَهُ البغويُّ. وقيلَ: هم أشرافُ الملائكة وقيلَ: هم حفظةٌ على الملائكةِ وقيلَ[٨]: جبريلُ عليهِ السَّلامُ.

وصفًّا حالٌ أي مصطفينَ قيلَ: هما صفَّانِ الروحُ صفٌّ واحدٌ أو متعددٌ والملائكةُ صفٌّ وقيلَ: صفوفٌ وهو الأوفقُ لقولِه تعالى: ﴿والملكُ صفًّا صفًّا﴾ [سورة الفجر،

---

(١) في خ: والمنصوب فقط.

(٢) قرأ بها: حمزة، والكسائي، وعاصم، وابن محيصن، ويحيى بن وثاب، والحسن، والأعمش، وخلف، وابن عباس، وأبو عبيد.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٣١)، والإعراب للنحاس (٣/ ٦١٣)، والتيسير للداني ص (٢١٩)، والسبعة لابن مجاهد ص (٦٦٩)، والغيث للصفاقسي ص (٣٨٠)، والكشف للقيسي (٢/ ٣٥٩).

(٣) في خ: خلطا تاما.

(٤) في خ: تعالى من تلقاء أنفسهم.

(٥) سقط في خ.

(٦) في خ: من الملائكة.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/ ٣٣٩٦) برقم (١٩١٠٦)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٣/ ٨٧٠)، من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما مرفوعًا وأورده السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٣٩٩) وزاد نسبته إلى ابن مردويه.

(٨) في خ: قيل لهم.

الآية ٢٢] وقيلَ: يقومُ الكُلُّ صفًّا وَاحِدًا. ويومَ ظرفٌ لقولِه تعالى: ﴿لا يتكلمونَ﴾.

وقولِه تعالى: ﴿إلاَّ مَنْ أذنَ له الرحمنُ وقالَ صَوابًا﴾ بدلٌ من ضميرِ لا يتكلمونَ، العائدِ إلى أهلِ السماواتِ والأرضِ الذينَ من جُملتهم الروحُ والملائكةُ. وذكرُ قيامِهم واصطفافِهم لتحقيق عظمةِ سلطانِه[١] وكبرياءِ ربوبيتِه وتهويلِ يوم البعثِ الذي عليهِ مدارُ الكلام [من مطلعِ السورةِ الكريمةِ إلى مقطعِها. والجملةُ استئنافٌ مقررٌ لمضمونِ قولِه تعالى لا يملكونَ. . .إلخ ومؤكدٌ له على مَعْنى أنَّ أهلَ السماواتِ والأرضِ إذَا لم يقدرُوا يومئذٍ على أنْ يتكلمُوا بشيءٍ من جنسِ الكلام إلاَّ مَنْ][٢] أذنَ الله تعالى [له][٣] منُهم في التكلمِ وقال ذلكَ المأذونُ له قولًا صوابًا أي حقًّا فكيفَ يملكون خطابَ ربِّ العزةِ مع كونه أخصَّ من مطلق الكلام وأعزَّ منه مرامًا لا على معنى أنَّ الروحَ والملائكةَ مع كونِهم أفضلَ الخلائقِ وأقربَهم من الله تعالى[٤] إذَا لم يقدرُوا أنْ يتكلمُوا بما هُو صوابٌ من الشفاعة لمن ارتضَى إلا بإذنه فكيفَ يملكُه غيرُهم كما قيلَ فإنَّه مؤسسٌ على قاعدة الاعتزالِ فمن سلكَهُ[٥] مع تجويزه أنْ يكونَ يومَ ظرفًا للايملكونَ فقد اشتبَه عليهِ الشؤونُ واختلطَ به الظنونُ وقيلَ: إلا من أذنَ. . .إلخ منصوبٌ على أصلِ الاستثناءِ والمَعْنى لا يتكلمونَ إلا في حقِّ شخصٍ أذنَ له الرحمنُ وقالَ ذلكَ الشخصُ صوابًا أي حقا هُو التوحيدُ وإظهارُ الرحمنِ في موضعِ الإضمارِ للإيذانِ بأنَّ مناطَ الإذنِ هو الرحمةُ البالغةُ لا أنَّ أحدًا يستحقُّه عليهِ سبحانَه وتعالَى.

﴿ذلكَ﴾ إشارةٌ إلى يوم قيامِهم على الوجه المذكورِ وما فيه من مَعْنى البعدِ مع قُربِ العهدِ بالمشارِ إليه للإيذانِ بعلوِ درجتِه وبعدِ منزلتِه في الهولِ والفخامةِ ومحلُّه الرفعُ على الابتداءِ خبرُهُ ما بعدَهُ أي ذلكَ اليومُ العظيمُ الذي يقومُ فيه الروحُ والملائكةُ مصطفينَ غيرَ قادرينَ هُم وغيرُهم على التكلمِ من الهيبةِ والجلالِ[٦] ﴿اليومُ الحقُّ﴾ أي الثابتُ المتحققُ لا محالةَ من غيرِ صارفٍ يلويهِ ولا عاطفٍ يثنيهِ والفاءُ في قولِه تعالى: ﴿فمَنْ شاءَ اتخذَ إلى ربِّه مآبًا﴾ فصيحةٌ تفصحُ عن شرطٍ محذوفٍ، ومفعولُ المشيئةِ محذوفٌ لوقوعِها شرطًا وكون مفعولِها مضمونَ الجزاءِ وانتفاء الغرابةِ في تعلقِه بها حسبَ القاعدةِ المستمرةِ وإلى ربِّه متعلقٌ بمآبًا قدمَ عليه اهتمامًا به ورعايةً للفواصلِ كأنَّه قيلَ: وإذَا كانَ الأمرُ كما ذُكرَ منْ تحققِ اليومِ المذكورِ لا محالةَ فمن شاءَ أن

---

(١) في خ: سلطانه تعالى.
(٢) في خ: لا لمن.
(٣) سقط في خ.
(٤) في خ: إليه تعالى من.
(٥) في خ: يسلكه.
(٦) في خ: الجلالة.

يتخذَ مرجعًا إلى ثوابِ ربِّه الذي ذُكِرَ شأنُه العظيمُ فعلَ ذلكَ بالإيمانِ والطاعةِ. وقالَ قَتَادةُ: مآبًا أي سبيلًا، وتعلقُ الجارِّ به لما فيه من مَعْنى الإفضاءِ والإيصالِ كما مرَّ في قولِه تعالى: ﴿مَنِ استطاعَ إليهِ سبيلًا﴾ [سورة آل عمران، الآية ٩٧].

﴿إنَّا أنذرنَاكُم﴾ أيْ بمَا ذُكرَ في السورةِ من الآيات الناطقةِ بالبعث وبمَا بعدَهُ من الدَّواهي أو بها وبسائر القوارعِ الواردةِ في القرآن **﴿عذابًا قريبًا﴾** هو عذابُ الآخرةِ وقربُه لتحقق إتيانِه حَتْمًا ولأنَّه قَريبٌ بالنسبة إليه تعالى، وإنْ رَأَوْه بعيدًا وسيرونَهُ قريبًا لقولِه تعالى: ﴿كأنَّهم يومَ يَرَونها لم يلبثُوا إلا عشيةً أو ضُحَاها﴾ [سورة النازعات، الآية ٤٦] وعن قَتَادَةَ: هو عقوبةُ الدُّنيا لأنَّه أقربُ العذابينِ وعن مقاتلٍ: هو قتلُ قريشٍ يومَ بدرٍ ويأباهُ قولُه تعالى: **﴿يومَ ينظرُ المرءُ ما قدمتْ يداهُ﴾** فإنَّه إما بدلٌ من عذابًا أو ظرفٌ لمضمرٍ هو صفةٌ له أي عذابًا كائنًا يومَ ينظرُ المرءُ أي شاهد ما قدمَهُ من خيرٍ أو شرٍّ على أنَّ مَا موصولةٌ منصوبةٌ بينظرُ، والعائدُ محذوفٌ، أو[1] ينظرُ أيَّ شيءٍ قدمتْ يداهُ على أنَّها استفهاميةٌ منصوبةٌ بقدمتْ وقيلَ: المرءُ عبارةٌ عن الكافر وما في قوله تعالى: **﴿ويقولُ الكافرُ يا ليتنِي كنتُ ترابًا﴾** ظاهرٌ وضعَ موضعَ الضميرِ لزيادةِ الذمِّ قيلَ: معنى تمنيهِ ليتني كنتُ ترابًا في الدُّنيا فلم أُخلقْ ولم أُكلَّف أو ليتني كنتُ تُرابًا في هذا اليومِ فلم أُبعثْ وقيلَ: يحشرُ الله تعالى الحيوانَ فيقتصُّ للجمَّاءِ[2] من القرناءِ ثم يردُّه ترابًا فيودُّ الكافرُ حالَه وقيلَ: الكافرُ إبليسُ يَرَى آدمَ وولدَهُ وثوابَهُم فيتمنَّى أنْ يكونَ الشيءَ الذي احتقرَهُ حينَ قالَ: خلقتني من نارٍ وخلقتَهُ من طينٍ.

عن رسولِ الله ﷺ[3]: **«مَنْ قرأَ سورةَ (عَمَّ يتساءلونَ) سقاهُ الله تعالى بردَ الشرابِ يومَ القيامةِ»**[4] والحمدُ لله وَحْدَهُ.

---

(١) في خ: أي.
(٢) الجمَّاء: التي لا قرون لها.
(٣) زاد في خ: أنه قال.
(٤) تقدم تخريجه.

سُورَةُ وَالنَّازِعَاتِ

مَكيةٌ وَآيُها خمسٌ أَوْ سِتٌّ وَأَرْبعُونَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ﴿٢﴾ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا ﴿٣﴾ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا ﴿٤﴾ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ
أَمْرًا ﴿٥﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴿٧﴾ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ
﴿٩﴾ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً ﴿١١﴾ قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ
﴿١٢﴾ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ
بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ
رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ
﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴿٢٦﴾
ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ
بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾
فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا
مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى
ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن
ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا
عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾

﴿وَالنازعاتِ غرقًا * والناشطاتِ نشطًا * والسابحاتِ سبْحًا * فَالسابقاتِ سبقًا * فَالمدبراتِ أَمْرًا﴾ إقسامٌ من الله عزَّ وجَلَّ بطوائفِ الملائكةِ الذينَ ينزعونَ الأرواحَ من الأجساد على الإطلاقِ كما قالَهُ ابنُ عباسٍ رضيَ الله عنهُمَا ومجاهدٌ، أو أرواحَ الكفرةِ، كما قالَهُ عليٌّ رضيَ الله عنْهُ وابنُ مسعودٍ وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ ومسروقٌ وينشِطونَها أي يُخرجونَها من الأجسادِ من نشَطَ الدلوَ من البئرِ إذا أخرجَها ويسبحونَ في إخراجِها سبحَ الغواصِ الذي يُخرجُ من البحرِ ما يخرجُ فيسبقونَ بأرواحِ الكفرةِ إلى

النارِ وبأرواحِ المؤمنينَ إلى الجنةِ فيدبرونَ أمرَ عقابِها وثوابِها بأنْ يهيئوهَا لإدراكِ ما أُعِدَّ لهَا منَ الآلامِ واللَّذاتِ والعطفُ معَ اتخاذِ الكلِّ بتنزيلِ التغايرِ العُنوانيِّ منزلةَ التغايرِ الذاتي كما في قولِه[1]:

[المتقارب]

إلى المَلِكِ القِرْمِ وَابنِ الهُمَامْ وَلَيثِ الكَتَائِبِ فِي المُزدَحَمْ[2]

للإشعارِ بأنَّ كلَّ واحدٍ من الأوصافِ المعدودةِ من معظماتِ الأمورِ حقيقٌ بأن يكونَ على حيالِه مناطًا لاستحقاقِ موصوفِه للإجلالِ والإعظامِ بالإقسامِ بهِ من غيرِ انضمامِ الأوصافِ الأُخرِ إليهِ والفاءُ في الأخيرينِ للدلالةِ على ترتبِهما على ما قبلهُمَا بغيرِ مُهلةٍ كَمَا في قولِه: [السريع]

يا لهفَ زيّابةَ للحرثِ الصْـ صَائحِ فالغانمِ فالآيبِ[3]

وغَرْقًا مصدرٌ مؤكدٌ بحذفِ الزوائدِ أيْ إغراقًا في النزعِ حيثُ تنزعُها منْ أقاصِي الأجسادِ. قال ابنُ مسعودٍ رضي الله عنْهُ: تنزعُ روحَ الكافرِ من جسدِه من تحتِ كلِّ شعرةٍ ومن تحتِ الأظافيرِ وأصولِ القدمينِ ثم تُغرقها في جسدِه ثم تنزعُها حتَّى إذَا كادتْ تخرجُ تردها في جسدِه فهذا عملُها بالكفار، وقيلَ: يَرى الكافرُ نفسَهُ في وقت النزعِ كأنها تغرقُ.

وانتصابُ نَشْطًا وسَبْحًا وسَبْقًا أيضًا على المصدريةِ، وأما أمرًا فمفعولٌ للمدبراتِ وتنكيرُهُ للتهويلِ والتفخيمِ ويجوزُ أنْ يُرادَ بالسابحاتِ وما بعدَهَا طوائفُ من الملائكةِ يسبحونَ في مُضيهِم أي يُسرعونَ فيهِ فيسبقونَ إلى مَا أُمروا بهِ من الأمورِ الدنيويةِ والأخرويةِ. والمُقسمُ عليهِ محذوفٌ تَعْويلًا على إشارةِ ما قبلَهُ من المقسم بهِ إليهِ ودلالةِ ما بعدَهُ من أحوالِ القيامةِ عليهِ وهو لتبعثنَّ فإنَّ الإقسامَ بمَنْ يتولَّى نزعَ الأرواحِ ويقومُ بتدبيرِ أُمورِها يلوحُ بكونِ المقسمِ عليهِ من قبيلِ تلكَ الأمورِ لا محالةَ وفيهِ مِنَ الجزالةِ ما لا يَخْفى. وقَدْ جُوِّزَ أنْ يكونَ إقسامًا بالنجومِ التي تنزعُ من المشرقِ إلى المغربِ غرقًا في النزعِ بأن تقطعَ الفَلكَ حتَّى تنحطَّ في أقْصَى الغربِ وتنشطَ من برجٍ إلى برجٍ أي تخرجُ من نشطِ الثورِ إذَا خرجَ من بلدٍ إلى بلدٍ وتسبحُ في الفلكِ فيسبقُ بعضُها بعضًا فتدبرُ أمرًا نيطَ بهَا كاختلافِ الفصولِ وتقديرِ الأزمنةِ وتبينِ مواقيتِ العباداتِ وحيثُ كانتْ حركاتُها من المشرقِ إلى المغربِ قسريةً وحركاتُها من برجٍ إلى

---

(١) زاد في خ: حيث قال الشاعر. (٢) تقدم.
(٣) تقدم.

برجٍ ملائمةً عُبِّرَ عنِ الأُولى بالنزعِ وعنِ الثانيةِ بالنشطِ. أو بأنفسِ الغُزاةِ أو أيديهِم التي تنزعُ القِسِيَّ بإغراقِ السهام وينشطونَ بالسهمِ للرميِ ويسبحونَ في البرِّ والبحرِ فيسبقونَ إلى حربِ العدوِّ فيدبرونَ أمرَها. أو بخيلِهم التي تنزعُ في أعنَّتِها نزعًا تغرقُ فيه الأعنةَ لطولِ أعناقِها لأنها عِرابٌ وتخرجُ منْ دارِ الإسلامِ إلى دارِ الحربِ وتسبحُ في جَريها لتسبقَ إلى الغايةِ فتدبرُ أمرَ الظفرِ والغلبةِ، وإسنادُ التدبيرِ إليها لأنَّها من أسبابِه. هذا والذي يليقُ بشأنِ التنزيلِ[١] هُو الأولُ.

وقولُه تعالى: ﴿يومَ ترجفُ الراجفةُ﴾ منصوبٌ بالجوابِ المُضمرِ، والمرادُ بالراجفةِ الواقعةُ التي ترجفُ عندَهَا الأجرامُ الساكنةُ، أي تتحركُ حركةً شديدةً وتتزلزلُ زلزلةً عظيمةً كالأرضِ والجبالِ، وهيَ النَّفخةُ الأُولى، و[٢] قيلَ: الرَّاجفةُ الأرضُ والجبالُ لقولِه تعالى: ﴿يومَ ترجفُ الأرضُ والجبالُ﴾ [سورة المزمل، الآية ١٤] وقولُه تعالَى: ﴿تتبعُهَا الرادفةُ﴾ أي الواقعةُ التي تُردِفُ الأُولى، وهيَ النفخةُ الثانيةُ حالٌ من الراجفةُ مصححةٌ لوقوعِ اليومِ ظرفًا للبعثِ أي لتبعثنَّ يومَ النفخةِ الأُولى حالَ كونِ النفخةِ الثانيةِ تابعةً لها لا قبلَ ذَلكَ فإنَّه عبارةٌ عن الزمانِ الممتدِّ الذي يقعُ فيهِ النفختانِ[٣] وبينهما أربعونَ سنةً واعتبارُ امتدادِه معَ أنَّ البعثَ لا يكونُ إلا عند النفخةِ الثانيةِ لتهويلِ اليومِ ببيانِ كونِه موقعًا لداهيتينِ عظيمتينِ لا يَبْقى عندَ وقوعِ الأُولى حيٌّ إلا ماتَ ولا عندَ وقوعِ الثانيةِ ميتٌ إلا بُعثَ وقامَ، ووجْهُ إضافتِه إلى الأُولى ظَاهِرٌ وقيلَ: يومَ ترجفُ منصوبٌ باذكُرْ فتكونُ الجملةُ استئنافًا مقررًا لمضمونِ الجوابِ المُضْمرِ كأنَّه[٤] قيلَ لرسولِ الله ﷺ: اذكُر لهم يومَ النفختينِ فإنه وقتُ بعثِهم، وقيلَ: هو منصوبٌ بما دلَّ عليه قولُه تعالَى: ﴿قلوبٌ يومئذٍ واجفةٌ﴾ أي يومَ ترجفُ وجفتِ القلوبُ، قيلَ: قلوبٌ مبتدأٌ ويومئذٍ متعلقٌ بواجفةٌ وهيَ صفةٌ لـ (قلوبٌ)[٥] مُسوِّغةٌ لوقوعِه مبتدأً.

وقوله تعالى: ﴿أبصارُهَا﴾ أي أبصارُ أصحابِها ﴿خاشعةٌ﴾ جملةٌ من مبتدإٍ وخبرٍ وقعتْ خبرًا لقلوبٌ. وقَدْ مرَّ أنَّ حقَّ الصفةِ أن تكونَ معلومةً[٦] الانتسابِ إلى الموصوفِ عند السامعِ حتَّى قالُوا: إن الصفات قبلَ العلم بها أخبارٌ والأخبارُ بعدَ العلمِ بها صفاتٌ فحيثُ كانَ ثبوتُ الوجيفِ للقلوبِ وثبوتُ الخشوعِ لأبصارِ أصحابِها

---

(١) زاد في خ: الجليل.
(٢) زاد في خ: قد.
(٣) في خ: النفخات.
(٤) في خ: كان.
(٥) في خ: للقلوب.
(٦) في ط: معمولة.

سواءً في المعرفةِ والجهالةِ كانَ[١] جعلُ الأولِ عُنوانًا للموضوعِ مسلمَ الثبوتِ مفروغًا عنْهُ وجعلُ الثاني مخبرًا به مقصودَ الإفادةِ تحكمًا بحتًا على أنَّ الوجيفَ الذي هُو عبارةٌ عنْ شدةِ اضطرابِ القلبِ وقلقِه من الخوفِ والوجلِ أشدُّ من خشوعِ [البصرِ وأهولُ فجعلُ أهونَ الشرينِ][٢] عُمدةً وأشدِّهما فضلةً مما لا عَهدَ له في الكلامِ. وأيضًا فتخصيصُ الخشوعِ بقلوبٍ موصوفةٍ بصفةٍ معينةٍ غيرُ مشعرةٍ بالعمومِ والشمولِ تهوينٌ للخطبِ في موقعِ التهويلِ فالوجْهُ أنْ يُقالَ: تنكيرُ قلوبٌ يقومُ مقامَ الوصفِ المختصِّ سواءٌ[٣] حُملَ على التنويعِ كما قيلَ وإنْ لم يُذكرُ النوعُ المقابلُ، فإنَّ المَعْنى منسحبٌ[٤] عليهِ، أو على التكثيرِ كما في شرٌّ أهرَّ ذَا نابٍ فإنَّ التفخيمَ كما يكونُ بالكيفيةِ يكونُ بالكميةِ أيضًا كأنَّه قيلَ: قلوبٌ كثيرةٌ يومَ إذْ يقعُ[٥] النفختانِ واجفةٌ أيْ شديدةُ الاضطرابِ.

قالَ ابنُ عباسٍ رضيَ الله عنهُما: خائفةٌ وَجِلةٌ. وقال السُّدِّيُّ: زائلةٌ عنْ أماكنِها، كما في قولِه تعالى: ﴿إذِ القلوبُ لدى الحناجرِ﴾ [سورة غافر، الآية ١٨]. وقولُه تعالى: **﴿يقولونَ أئنا لمردودونَ في الحافرةِ﴾** حكايةٌ لما يقولُه المنكرونَ للبعثِ المكذبونَ بالآيات الناطقةِ به إثرَ بيان وقوعِه بطريق التوكيدِ القَسَمي وذكر مقدماتِه الهائلةِ وما يعرضُ عندَ وقوعِها للقلوب والأبصارِ. أي يقولونَ. إذا قيلَ لهم: إنكُم تبعثونَ. منكرينَ له متعجبينَ منهُ[٦]: أئنا لمردودونَ بعدَ موتِنا في الحافرة، أي في الحالة الأُولى يعنونَ الحياةَ من قولهم: رجعَ فلانٌ في حافرته أي في طريقتِه التي جاءَ فيها فحفرَها أي أثَّر فيها بمشيه، وتسميتُها حافرةً مع أنها محفورةٌ، كقولِه تعالَى: ﴿في عيشةٍ راضيةٍ﴾ [سورة الحاقة، الآية ٢١] أي منسوبةٌ إلى الحفرِ والرِّضا أو كقولِهم: نهارُه صائمٌ على تشبيهِ القابلِ بالفاعلِ. وقرئ (في الحَفِرة)[٧] وهيَ بمَعْنى المَحْفُورةِ.

وقولُه تعالَى: **﴿أئِذا كُنَّا عظامًا نخرةً﴾** تأكيدٌ لإنكار الردِّ ونفيه بنسبتِه إلى حالةٍ منافيةٍ له. والعاملُ في إذَا مضمرٌ يدلُّ عليهِ مردودونَ أي أَئِذا كُنَّا عظامًا باليةً نُردُّ

---

(١) في خ: فإن.
(٢) في خ: وتقول وأهول فجعل الشرين.
(٣) زاد في خ: كان.
(٤) في خ: ينسحب.
(٥) في خ: تقع.
(٦) في خ: له.
(٧) قرأ بها: أبو حيوة، وأبو بحرية، وابن أبي عبلة.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٤٢٠)، وتفسير القرطبي (١٩/ ١٩٧)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٢١٣)، والمجمع للطبرسي (١٠/ ٤٢٨)، وتفسير الرازي (٣١/ ٣٥).

ونبعثُ مع كونِها أبعدَ شيءٍ من الحياةِ وقرئ (إِذَا كُنَّا)(١) على الخبرِ أو إسقاطِ(٢) حرفِ الإنكارِ. وناخرةٌ منْ نَخَر العظمُ فهو نَخِرٌ ونَاخِرٌ، وهُو البَالِي الأَجْوفُ الذي يمرُّ به الريحُ فيُسمعُ له نخيرٌ.

﴿قالُوا﴾(٣) حكايةٌ لكفرٍ آخرَ لهم متفرعٍ على كُفْرِهم السابقِ ولعلَّ توسيطَ قالُوا بينهُمَا للإيذانِ بأنَّ صدورَ هذا الكفرِ عنهُم ليسَ بطريقِ الاطرادِ والاستمرارِ مثلَ كفرِهم السابقِ المستمرِّ صدورُه عنهُم في كافةِ أوقاتِهم حسبَما ينبئُ عنْهُ حكايتُه بصيغةِ المضارعِ، أيْ قالُوا بطريق الاستهزاءِ مشيرينَ إلى ما أنكرُوه من الردة في الحافرةِ مشعرينَ بغايةِ بُعدِها من الوقوعِ: ﴿تلكَ إِذًا كرةٌ خاسرةٌ﴾ أي ذاتُ خسرانٍ أو خاسرةٌ أصحابُها، أيْ إنْ صحَّتْ فنحنُ إذنْ خاسرونَ لتكذيبنا بهَا.

وقولُه تعالَى: ﴿فإنَّما هي زجرةٌ واحدةٌ﴾ تعليلٌ لمقدَّرٍ يقتضيهِ إنكارُهم لإحياءِ العظامِ النخرةِ التي عبرُوا عنهَا بالكرَّةِ فإنَّ مدارَهُ لما كانَ استصعابُهم إيَّاها ردَّ عليهم ذلكَ فَقيلَ: لا تستصعبُوهَا فإنَّما هيَ صيحةٌ واحدةٌ أي حاصلةٌ بصيحةٍ واحدةٍ وهي النفخةُ الثانيةُ عبَّر عنهَا بهَا تنبيهًا على كمال اتصالِها بها كأنَّها عينُها وقيلَ: هيَ راجعٌ(٤) إلى الرادفةِ. فقولُه تعالَى: ﴿فإذَا هُم بالسَّاهرةِ﴾ حينئذٍ بيانٌ لترتب الكرّةِ على الزجرة مكافأةً(٥) أيْ فإذا هُم أحياءٌ على وجه الأرضِ بعدَ ما كانُوا أمواتًا في جَوفِها وعلى الأول بيانٌ لحضورِهم الموقفَ عقيبَ الكرةِ التي عبرَ عنها بالزجرةِ. والساهرةُ الأرضُ البيضاءُ المستويةُ، سُميتْ بذلكَ لأنَّ السرابَ يَجْري فيهَا من قولِهم: عينٌ ساهرةٌ جاريةُ الماءِ وفي ضِدِّهَا نائمةٌ وقيلَ: لأنَّ سالِكَها لا ينامُ خوفَ الهلكةِ، وقيل: اسمٌ لجهنمَ، وقالَ الراغبُ: هي وجهُ الأرضِ، وقيلَ: هيَ أرضُ القيامةِ. ورَوَى الضحَّاكُ عنِ ابنِ عباسٍ رضيَ الله عنهُمَا: أنَّ الساهرةَ أرضٌ من فضةٍ لم يُعصَ الله تعالَى عليهَا قط خلقَها حينئذٍ، وقيلَ: هيَ أرضٌ يجددها الله عزَّ وجلَّ يومَ القيامةِ، وقيلَ: هيَ اسمُ الأرضِ السابعةِ يأتِي بها الله تعالَى فيحاسبُ الخلائقَ عليها وذلك حين تبدلُ الأرضُ غيرَ الأرضِ، وقال الثوريُّ(٦): الساهرةُ أرضُ الشامِ، وقال

---

(١) قرأ بها: نافع، وابن عامر، والكسائي، ويعقوب، وابن ذكوان، وقالون، وعمر بن الخطاب. ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٣٢)، والتيسير للداني ص (١٣٢)، والحجة لابن خالويه (١٦١، ٣٦٢)، والسبعة لابن مجاهد ص (٦٧٠)، والمعاني للأخفش (٢/ ٥٢٦)، والمعاني للفراء (٣/ ٢٣١).

(٢) في خ: وإسقاط.

(٣) بياض في خ.

(٤) في خ: راجعة.

(٥) في خ: مفاجأة.

(٦) في خ: النووي.

وهبُ بنُ منبهٍ: جبلُ بيتِ المقدسِ، وقيل: الساهرةُ بمَعْنى الصحراء على شفيرِ جهنمَ.

وقولُه تعالَى: ﴿هلْ أتاكَ حديثُ مُوسىٰ﴾ كلامٌ مستأنفٌ واردٌ لتسلية رسولِ الله ﷺ من تكذيبِ قومِه بأنَّه(١) يُصيبُهم مثلُ ما أصابَ من كانَ أقْوى منهُم وأعظمَ. ومَعْنى هلْ أتاكَ: إنِ اعتُبرَ هذا أولَ ما أتاهُ عليه الصلاةُ والسلامُ من حديثِه عليه السلامُ [ترغيبٌ له عليه الصلاةُ والسلامُ](٢) في استماعِ حديثِه كأنَّه قيلَ: هل أتاكَ حديثُه أنَا أُخبركَ بهِ وإنِ اعتُبرَ إتيانُه قبل هذا وهُو المتبادرُ من الإيجازِ في الاقتصاصِ حملَهُ عليه الصلاةُ والسلامُ على أنْ يقرَّ بأمرٍ يعرفُه قبلَ ذلكَ كأنَّه قيلَ: أليس قد أتاكَ حديثُه. وقولُه تعالَى: ﴿إذْ ناداهُ ربُّه بالوادِ المُقدسِ﴾ ظرفٌ للحديثِ لا للإتيانِ لاختلافِ وَقْتَيهِما ﴿طُوَى﴾ بضمِّ الطاءِ غيرَ منونٍ(٣) وقرئ منونًا، وقرئ بالكسرِ منونًا(٤) وغيرَ منونٍ(٥) فمن نونَّهُ أوَّلهُ بالمكانِ دونَ البقعةِ، وقيلَ: هُو كَثُنَى مصدرٌ لنَادَى أو المقدسِ أيْ ناداهُ ندائينِ أو المقدسِ مرةً بعدَ أُخرى.

﴿اذهبْ إلى فرعونَ﴾ على إرادةِ القولِ وقيلَ: هو تفسيرٌ للنداءِ أي ناداهُ اذهبْ وقيلَ: هُو على حذفِ أَنِ المفسرةِ ويدلُّ عليه قراءةُ عبدِ اللَّهِ (أنِ اذهبْ)(٦) لأنَّ في النداءِ مَعْنى القولِ ﴿إنَّه طَغَى﴾ تعليلٌ للأمرِ أو لوجوبِ الامتثالِ بهِ ﴿فقُلْ﴾ بعدَ ما أتيتَهُ ﴿هلْ لكَ﴾ رغبةٌ وتوجهٌ ﴿إلى أنْ تزكَّى﴾ بحذفِ إحْدَى التاءينِ من تتزكَّى أيْ تتطهرُ من دنسِ الكُفرِ والطغيانِ. وقرئ تزَّكَّى(٧) بالتشديدِ ﴿وأهديكَ إلى ربِّكَ﴾

---

(١) في خ: أنه. (٢) سقط في خ.

(٣) قرأ بها: أبو عمرو، ونافع، وابن كثير، وأبو جعفر، ويعقوب.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٣٢)، والإعراب للنحاس (٣/ ٦١٩)، والتبيان للطوسي (١٠/ ٢٥٦)، والتيسير للداني ص (١٥٠)، والغيث للصفاقسي ص (٣٨٠)، والكشف للقيسي (٢/ ٩٦).

(٤) قرأ بها: الحسن، وعكرمة.
ينظر: الإعراب للنحاس (٣/ ٦١٩)، والتبيان للطوسي (١٠/ ٢٥٦)، وتفسير الطبري (٣٠/ ٢٥)، وتفسير القرطبي (١٩/ ٢٠١).

(٥) قرأ بها: أبو عمرو.
ينظر: تفسير الرازي (٣١/ ٣٩).

(٦) قرأ بها: ابن مسعود.
ينظر: الكشاف للزمخشري (٤/ ٢١٣)، وتفسير الرازي (٣١/ ٣٩).

(٧) قرأ بها: نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وابن محيصن، وأبو جعفر، ويعقوب.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٣٢)، والإعراب للنحاس (٣/ ٦٢٠)، والتيسير للداني ص (٢١٩)، والسبعة لابن مجاهد ص (٦٧١)، والغيث للصفاقسي ص (٣٨٠)، والكشف للقيسي (٢/ ٣٦١).

وأُرشدكَ إلى معرفتِه عزَّ وجلَّ فتعرِفَهُ ﴿فتخشَى﴾ إذِ الخشيةُ لا تكونُ إلا بعدَ معرفتِه تعالَى، قالَ عزَّ وجلَّ: ﴿إنما يخشى الله من عبادِه العلماءُ﴾ [سورة فاطر، الآية ٢٨] وجَعلُ الخشيةِ غايةً للهدايةِ لأنَّها مِلاكُ الأمرِ، مَنْ خشَى الله تعالى أتَى منْهُ كلَّ خيرٍ، ومَنْ أَمِنَ اجترأَ على كلِّ شرٍّ.

أُمرَ عليه الصلاةُ والسلامُ بأنْ يخاطبَهُ بالاستفهامِ الذي معناهُ العرضُ ليستدعيَهُ بالتلطفِ في القولِ ويستنزلَهُ بالمُداراةِ من عُتوِّهِ وهذا ضربُ تفصيلٍ لقولِه تعالى: ﴿فقُولاَ له قولًا لينًا لعلَّه يتذكرُ أو يَخْشى﴾ [سورة طٰه، الآية ٤٤].

والفاءُ في قولِه تعالَى: ﴿فأراهُ الآيةَ الكُبْرى﴾ فصيحةٌ تُفصحُ عن جملٍ [قد طُويتْ][١] تعويلًا على تفصيلِها في السورِ الأُخرى فإنه عليه الصلاةُ والسلامُ ما أراهُ إيَّاها عقيبَ هذا الأمرِ بل بعدَ مَا جَرى بينَهُ وبينَ الله تعالَى ما جَرى من الاستدعاءِ والإجابةِ وغيرِهما من المراجعاتِ وبعد ما جَرَى بينَهُ وبينَ فرعونٍ ما جَرَى من المحاوراتِ إلى أنْ قالَ: ﴿إنْ كنتَ جئتَ بآيةٍ فأتِ بهَا إنْ كنتَ من الصادقينَ﴾ [سورة الأعراف، الآية ١٠٦] والإراءةُ إما بمَعْنى التبصيرِ، أو التعريفِ فإن اللعينَ حينَ أبصرَها عرفَها. وادعاءُ سحريتها إنَّما كانَ إراءةً منهُ وإظهارًا للتجلدِ. ونسبتُهَا إليهِ عليه الصلاةُ والسلامُ بالنظرِ إلى الظاهرِ كما أنَّ نسبتَها إلى نونِ العظمةِ في قولِه تعالى: ﴿ولقد أريناهُ آياتنا﴾ [سورة طٰه، الآية ٥٦] بالنظرِ إلى الحقيقةِ والمرادُ بالآية الكُبْرى قلبُ العصَا حيةً وهو قولُ ابن عباسٍ رضيَ الله عنهُمَا فإنَّها كانتِ المقدمةَ والأصلَ، والأُخْرَى كالتبع لهَا، أو هُمَا جَميعًا، وهو قَولُ مجاهدٍ فإنَّهما كالآيةِ الواحدةِ وقدْ عبرَ عنهُمَا بصيغةِ الجمعِ حيثُ قالَ: ﴿اذهبْ أنتَ وأخُوك بآياتِي﴾ [سورة طٰه، الآية ٤٢] باعتبار ما في تضاعيفهما من بدائع الأُمورِ التي كلٌّ منهَا آيةٌ بينةٌ لقوم يعقلونَ، كما [مَرَّ تفصيلُه في][٢] سُورةِ طٰه ولا [مساغَ لحملها على][٣] مجموع معجزاتِه فإن ما عدا هاتين الآيتين من الآيات التسعِ إنما ظهرتْ على يدِه عليه الصلاةُ والسلامُ بعدَ مَا غلبَ على السحرةِ على مهلٍ في نحوٍ من عشرينَ سنةً كما مرَّ في سورةِ الأعرافِ ولا ريبَ في أنَّ هذا مطلعُ القصةِ وأمرُ السحرةِ مترقبٌ بعدُ ﴿فكذَّبَ﴾ بمُوسَى عليهِ السلامُ وسَمَّى معجزتَهُ سِحْرًا ﴿وعَصَى﴾ الله عزَّ وجلَّ بالتمردِ بعدَ ما علَم صحةَ الأمرِ ووجوبَ الطاعةِ أشدَّ عصيانٍ وأقبحَهُ حيثُ اجترأَ على إنكارِ وجودِ ربِّ العالمينَ رَأْسًا

---

(١) في خ: انطويت عن جمل منطوية.
(٢) بياض في خ.
(٣) بياض في خ.

وكان[١] اللعينُ وقومُه مأمورينَ بعبادتِه عزَّ وجلَّ وتركِ العظيمةِ التي كانَ يدَّعِيها الطاغيةُ ويقبلُها منهُ فئتُه الباغيةُ لا بإرسالِ بني إسرائيلَ من الأسرِ والقَسْرِ فقطْ.

﴿ثم أدبرَ﴾ [أي تولَّى عن الطاعةِ أو انصرفَ عنِ المجلسِ][٢] ﴿يسعَى﴾ أي يجتهدُ في معارضةِ الآيةِ أو أُريدَ: ثم أقبلَ أي أنشأَ يسعَى فوضع موضعَهُ أدبرَ تحاشيًا عن وصفِهِ بالإقبالِ وقيلَ: أدبرَ هاربًا من الثعبانِ فإنَّه رُويَ أنَّه عليهِ الصلاةُ والسلامُ لَمَّا ألقَى العَصَا انقلبتْ ثُعبانًا أشعرَ فاغرًا فاهُ بين لَحْييهِ ثمانونَ ذراعًا وضعَ لحيَهُ الأسفلَ عَلى الأرضِ والأعْلى على سُورِ القصرِ فتوجَّهَ نحوَ فرعونَ فهربَ وأحدثَ وانهزم الناسُ مزدحمينَ فماتَ منهُم خمسةٌ وعشرونَ ألفًا من قومِه وقيلَ: إنها حينَ انقلبتْ حيةً ارتفعتْ في السماءِ قدرَ ميلٍ ثمَّ انحطتْ مقبلةً نحوَ فرعون وجعلتْ تقولُ: يا مُوسَى مُرنِي بما شئتَ ويقولُ فرعونُ: أنشدكَ بالذي أرسلكَ إلا أخذتَهُ فأخذَهُ فعادَ عصا ويأباهُ أنَّ ذلكَ كانَ قبلَ الإصرار على التكذيبِ والعصيانِ والتصدِّي للمعارضة كما يعربُ عنه قولُه تعالَى: ﴿فحشرَ﴾ أي فجمعَ السحرةَ لقولِه: ﴿فأرسلَ فرعونُ في المدائنِ حاشرينَ﴾ [سورة الشعراء، الآية ٥٣] وقوله تعالى: ﴿فتولَّى فرعونُ فجمعَ كيدَهُ﴾ [سورة طٰه، الآية ٦٠] أي ما يُكادُ به من السحرة وآلاتِهم وقيلَ: جنودُه ويجوزُ أنْ يرادَ جميعُ الناسِ ﴿فنادَى﴾ في المجمع بنفسه أو بواسطة المُنادِي ﴿فقال أنا ربُّكم الأعلى﴾ قيلَ: قامَ فيهم خطيبًا فقال تلكَ العظيمةَ.

﴿فأخذَهُ الله نكالَ الآخرةِ والأُولى﴾ النكالُ بمَعْنى التنكيلِ كالسلام بمعنى التسليم وهو التعذيبُ الذي ينكلُ منْ رآهُ أو[٣] سمعَهُ ويمنعُه من تعاطِي ما يُفضِي إليهِ ومحلُّهُ النصبُ على أنَّه مصدرٌ مُؤكدٌ كوعد الله وصبغةَ الله كأنَّه قيلَ: نكَّلَ الله به نكالَ الآخرةِ والأُولى وهو الإحراقُ في الآخرة والإغراقُ في الدُّنيا وقيلَ: مصدرٌ لأخذَ أي أخذَهُ الله أخذَ نكالِ الآخرةِ... إلخ، وقيلَ: مفعولٌ له أي أخذَهُ لأجل نكالِ... إلخ، وقيلَ: نُصبَ على نزع الخافضِ أي أخذَهُ بنكال الآخرةِ والأُولى وإضافتُه إلى الدارين باعتبار وقوعِ نفسِ الأخذِ فيهمَا لا باعتبارِ أنَّ ما فيهِ من مَعْنى المنع[٤] يكونُ فيهمَا فإن ذلكَ لا يتصورُ في الآخرةِ بل في الدُّنيا فإن العقوبةَ الأخرويةَ تنكلُ من سمعَها وتمنعُه من تعاطِي ما يُؤدي إليها لا محالةَ وقيلَ: المرادُ بالآخرةِ والأُولى قولُه: ﴿أنا ربُّكم الأعْلى﴾ [سورة النازعات، الآية ٢٤] وقولُه: ﴿ما علمتُ لكم من إلٰهٍ غيرِي﴾ [سورة

---

(١) في خ: فكان.
(٢) سقط في خ.
(٣) في خ: و.
(٤) في خ: السر.

القصص، الآية ٣٨] قيل: كان بينَ الكلمتينِ أربعونَ سنةً فالإضافةُ إضافةُ [المسببِ إلى السببِ][(١)] ﴿إن في ذلك﴾ أي فيمَا ذُكِرَ من قصة فرعونَ وما فَعَل وما فُعِلَ به ﴿لعبرةً﴾ عظيمةً ﴿لمَنْ يخشَى﴾ أي لمَنْ مِنْ شأنِه أنْ يخشَى وهو مَنْ[(٢)] شأنه المعرفةُ.

وقولُه تعالَى: ﴿أأنتُم أشدُّ خلقًا﴾ خطابٌ لأهل مكةَ المنكرين للبعث بناءً على صعوبتِه في زَعْمِهِم بطريقِ التوبيخِ والتبكيتِ بعدَ ما بيّنَ كمال سهولتِه بالنسبةِ إلى قُدرةِ الله تعالى بقولِه تعالى: ﴿فإنما هي زجرةٌ واحدةٌ﴾ [سورة الصافات، الآية ١٩] أي أخلقُكُم بعد موتِكم أشدُّ أي أشقُّ[(٣)] وأصعبُ في تقديرِكم ﴿أم السماءُ﴾ أي أمْ خلقُ السماءِ على عِظَمِها وانطوائِها على تعاجيبِ البدائعِ التي تحارُ العقولُ عن ملاحظةِ أدناهَا كقولِه تعالى: ﴿لخلقُ السمواتِ والأرضِ أكبرُ من خلقِ الناسِ﴾ [سورة غافر، الآية ٥٧] وقوله تعالى: ﴿أو ليسَ الذي خلقَ السمواتِ والأرضَ بقادر على أنْ يخلقَ مثلَهُم﴾ [سورة يس، الآية ٨١].

وقولِه تعالى: ﴿بناهَا﴾... إلخ، بيانٌ وتفصيلٌ لكيفيةِ خلقِها المستفادِ من قولِه: أم السماءُ وفي عدمِ ذكرِ الفاعلِ فيه وفيما عُطفَ عليهِ من الأفعالِ من التنبيهِ على تعينه وتفخيم شأنِه عزَّ وجلَّ ما لا يَخْفى. وقولُه تعالى: ﴿رفعَ سَمْكَها﴾ بيانٌ للبناء أي جعلَ مقدارَ ارتفاعِها من الأرضِ وذهابِها إلى سمتِ العلوِّ مديدًا رفيعًا مسيرةَ خمسمائةِ عام ﴿فسوَّاها﴾ فعدَّلها مستويةً ملساءَ ليسَ فيها تفاوتٌ ولا فطورٌ أو فتممَها بما عَلم أنهاً تتمُّ بهِ من الكواكبِ والتداويرِ وغيرِها مما لا يعلمُه إلا الخلاَّقُ العليمُ من قولِهم: سَوَّى أمرَ فلانٍ إذا أصلَحَهُ ﴿وأغطشَ ليلَها﴾ أي جعلَه مظلمًا يقال: غطشَ الليلُ وأغطشَهُ الله تعالَى كما يقالُ: ظلَم[(٤)] وأظلَمَهُ وقد مَرَّ هذا[(٥)] في قولِه تعالى: ﴿وإذا أظلَم عليهم قامُوا﴾ [سورة البقرة، الآية ٢٠] ويقال أيضًا أغطشَ الليلُ كما يقالُ أظلمَ ﴿وأخرجَ ضُحاها﴾ أي أبرزَ نهارَهَا عبرَ[(٦)] عنْهُ بالضُّحىَ لأنه أشرفُ أوقاتِهِ وأطيبُها فكانَ أحقَّ بالذكرِ في مقام الامتنانِ وهو السرُّ في تأخيرِ ذكرِ الليلِ وفي التعبيرِ عن إحداثِهِ بالاخراجِ فإنَّ إفاضَةَ النورِ بعد الظلمةِ أتمُّ في الإنعامِ وأكملُ في الإحسانِ وإضافةُ الليلِ والضُّحى إلى السماء لدوران حدوثهما على حركتها ويجوز أن تكون[(٧)]

---

(١) في خ: السبب إلى المسبب.
(٢) في ط: من من.
(٣) في خ: أشد.
(٤) في خ: أظلم.
(٥) في خ: ذلك.
(٦) في خ: وعبر.
(٧) في خ: يكون.

إضافة الضحى إليها بواسطةِ [الشمسِ أي أبرزَ ضوءَ شمسِها والتعبيرُ عنه بالضُّحى لأنَّه وقتُ قيامِ سُلطانها وكمالِ إشراقِها][١].

﴿والأرضَ بعدَ ذلكَ دحَاهَا﴾ أي [بسطَها و][٢] مهَّدها لسكْنى أهلِها وتقلبِهم في أقطارِها وانتصابُ الأرضَ بمضمرٍ يفسرُه دحاهَا.

﴿أخرجَ منها ماءَها﴾ بأنْ فجرَ منها عيونًا وأجْرَى أنهارًا ﴿ومرعَاها﴾ أي رعيَها وهو في الأصلِ موضعُ الرَّعي وقيلَ: هو مصدرٌ ميميٌّ بمَعنى المفعولِ، وتجريدُ الجملةِ عن العاطفِ إما لأنَّها بيانٌ وتفسيرٌ لدحاهَا وتكملةٌ له فإنَّ السكْنى لا تتأتَّى بمجرد البسطِ والتمهيدِ بلْ لا بدَّ من تسوية أمرِ المعاشِ من المأكلِ والمشربِ حتمًا وإما لأنها حالٌ من فاعلِه بإضمارِ قدْ عندَ الجمهورِ أو بدونِه عند الكوفيينَ والأخفشِ، كما في قولِه تعالى: ﴿أو جاءُوكم حصرتْ صدورُهم﴾ [سورة النساء، الآية ٩٠].

﴿والجبالَ﴾ منصوبٌ بمضمرٍ يفسرُهُ ﴿أرساهَا﴾ أي أثبتَها وأثبتَ بها الأرضَ أن تميدَ بأهلِها وهذا تحقيقٌ للحقِّ وتنبيهٌ على أنَّ الرسوَّ المنسوبَ إليهَا في مواضعَ كثيرةٍ من التنزيلِ بالتعبيرِ عنها بالرَّوَاسِي ليسَ من مقتضياتِ ذواتِها بلْ هو بإرسائِه عزَّ وجلَّ ولولاهُ لما ثبتتْ في أنفسِها فضلًا عنْ إثباتِها للأرضِ.

وقرئ (والأرضُ)[٣] (والجبالُ)[٤] بالرفعِ على الابتداءِ ولعلَّ تقديمَ إخراجِ الماءِ والمَرْعى ذكرًا مع تقدمِ الإرساءِ عليهِ وجُودًا وشدةِ تعلقِه بالدَّحْوِ لإبرازِ كمالِ الاعتناءِ بأمرِ المأكلِ والمشربِ معَ ما فيهِ من دفعِ توهم رجوعِ ضميرَيْ الماءِ والمَرْعَى إلى الجبالِ وهذا كما[٥] ترَى يدلُّ بظاهرِه على تأخرِ دَحْوِ الأرضِ عن خلقِ السماءِ وما فيهَا كمَا يُروى عن الحسنِ مِنْ أنَّه تعالَى خلقَ الأرضَ في موضعِ بيتِ المقدسِ كهيئةِ الفهرِ عليه دُخانٌ ملتزقٌ بها ثمَّ أصعدَ الدخانَ وخلقَ منهُ السماواتِ وأمسكَ الفهرَ في

---

(١) سقط في خ. (٢) سقط في خ.

(٣) قرأ بها: الحسن، وأبو حيوة، وأبو السمال، وعمرو بن عبيد، وابن أبي عبلة، وعيسى، وعمرو بن ميمون.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٣٢)، والبحر المحيط (٨/ ٤٢٣)، وتفسير القرطبي (١٩/ ٢٠٥)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٢١٥)، وتفسير الرازي (٣١/ ٤٨).

(٤) قرأ بها: الحسن، وأبو حيوة، وعمرو بن عبيد، وابن أبي عبلة، وأبو السمال، وعمرو بن ميمون، ونصر بن عاصم.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٣٢)، والبحر المحيط (٨/ ٤٢٣)، وتفسير القرطبي (١٩/ ٢٠٦)، والمجمع للطبرسي (١٠/ ٤٣٣)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٣٥٠).

(٥) في خ: لما.

موضعِها وبسطَ منها الأرضَ وذلكَ قولُه تعالى: ﴿كانتَا رتقًا ففتقناهُمَا﴾ [سورة الأنبياء، الآية ٣٠] الآيةَ وقد مرَّ في سورةِ حم السجدةِ أنَّ قولَه تعالَى: ﴿قل أئِنكم لتكفرونَ بالذي خلقَ الأرضَ في يومينِ﴾ [سورة فصلت، الآية ٩] إلى قولِه تعالى: ﴿ثم استوَى إلى السماءِ وهي دُخانٌ﴾ [سورة فصلت، الآية ١١] الآيةَ إنْ حُملَ ما فيهِ من الخلقِ وما عطفَ عليهِ من الأفعالِ الثلاثةِ على معانيها الظاهرةِ لا على تقديرِها فهُو وما في سورةِ البقرةِ من قولِه تعالى: ﴿هو الذي خلقَ لكُم ما في الأرضِ جميعًا ثم استوَى إلى السماءِ فسوَّاهُنَّ سبعَ سموات﴾ [سورة البقرة، الآية ٢٩] يدلانِ على تقدم خلقِ الأرضِ وما فيها [على خلق السماءِ وما فيها وعليه إطباقُ أكثرِ أهلِ التفسيرِ. وقد رُويَ أنَّ العرشَ كانَ قبلَ خلقِ السماواتِ والأرضِ][1] على الماء ثم إنه تعالَى أحدثَ في الماء اضطرابًا فأزبدَ فارتفعَ منه دخانٌ فأما الزبدُ فبقي على وجه الماءِ فخلقَ فيه اليبوسةَ فجعلَهُ أرضًا واحدةً ثم فتقَها فجعلها أرضينَ وأما الدخانُ فارتفعَ وعلاَ فخلقَ منه السماواتِ ورُويَ أنَّه تعالى خلقَ جرمَ الأرضِ يومَ الأحدِ ويومَ الاثنينِ ودحاهَا وخلقَ ما فيها يومَ الثلاثاءِ ويومَ الأربعاءِ وخلقَ السماواتِ وما فيهن يومَ الخميسِ ويومَ الجمعةِ وخلقَ آدمَ عليه السلامُ في آخرِ ساعةٍ منه وهيَ الساعةُ التي تقومُ فيها القيامةُ فالأقربُ كما قيلَ تأويلُ هذه الآيةِ بأن يُجعلَ ذلكَ إشارةً إلى ذِكرِ ما ذُكِرَ من بناءِ السماءِ ورفعِ سَمكها وتسويتِها وغيرِها لا إلى أنفسِها ويحملُ بعديةُ الدَّحْوِ عنْها عَلى البعديةِ في الذكرِ كما هُو المعهودُ في ألسنة العربِ والعجمِ لا في الوجود [لما عرفتَ من أنَّ انتصابَ الأرض بمضمرٍ مقدم قد حُذِفَ على شريطةِ التفسيرِ لا بما ذُكِرَ بعدَهُ ليفيدَ القصرَ وتتعينَ البعديةُ في الوجودِ][2]، وفائدةُ تأخيرِه في الذكرِ إما التنبيهُ على أنَّه قاصرٌ في الدلالة على القدرة القاهرةِ بالنسبةِ إلى أحوالِ السماءِ وإما الإشعارُ بأنَّه أدخلُ في الإلزام لما أن المنافعَ المنوطةَ بما في الأرض أكثرُ وتعلقَ مصالحِ الناسِ بذلكَ أظهرُ وإحاطتَهم بتفاصيلِ أحوالِه[3] أكملُ و[ليسَ][4] ما رُويَ عن الحسنِ نصا في تأخرِ دحوِ الأرضِ عن خلقِ السماءِ فإن[5] بسطَ الأرضِ معطوفٌ على إصعادِ الدخانِ وخلقِ السماءِ بالواوِ التي هي بمعزلٍ من الدلالةِ على الترتيبِ، هذا على تقديرِ حملِ ما ذكرَ في آياتِ سورةِ السجدةِ من الخلقِ وما عطفَ عليهِ من الأفعالِ الثلاثةِ على معانيها الظاهرةِ وأما إذا حُملتْ على تقديرِها فلا دلالةَ فيها إلا على تقدمِ تقدير الأرضِ

---

(١) سقط في خ.
(٢) سقط في خ.
(٣) في خ: أحكامه.
(٤) سقط في خ.
(٥) في خ: دحور.

وما فيهَا على إيجاد السماءِ كما لا دلالةَ على الترتيب أصلًا إذا حُملتْ كلمةُ ثُمَّ فيها وفيمَا في سورةِ البقرةِ على التراخِي في الرتبةِ وقد سلفَ تفصيلُ الكلامِ في السورةِ المذكورةِ.

وقوله تعالى: ﴿متاعًا لكُم ولأنعامِكم﴾ إما مفعولٌ لهُ أي فعلَ ذلكَ تمتيعًا لكُم ولأنعامِكم لأنَّ فائدةَ ما ذُكرَ من البسطِ والتمهيدِ وإخراجِ الماءِ والمَرْعى واصلةٌ إليهم وإلى أنعامِهم فإن المرادَ بالمَرْعى ما يعمُّ ما يأكلُه الإنسانُ وغيرُه بناءً على استعارةِ الرَّعي لتناولِ[١] المأكولِ على الإطلاقِ كاستعارةِ [المرسنِ للأنفِ][٢]. وقيلَ: مصدرٌ مؤكدٌ لفعلِه المضمرِ أي متَّعكُم بذلكَ متاعًا أو مصدرٌ من غير لفظِه فإنَّ قولَه تعالَى: ﴿أخرجَ منها ماءَها ومرعاهَا﴾ [سورة النازعات، الآية ٣١] في معنى متَّع بذلكَ.

وقوله تعالى: ﴿فإذا جاءتِ الطامةُ الكُبرى﴾ أي الداهيةُ العُظمى التي تطمُّ على سائرِ الطاماتِ أي تعلُوها وتغلبُها وهي القيامةُ أو النفخةُ الثانيةُ وقيلَ: هي الساعةُ التي يُساقُ فيها الخَلائقُ إلى محشرِهم وقيلَ: التي يُساقُ فيها أهلُ الجنةِ إلى الجنةِ وأهلُ النارِ إلى النارِ شروعٌ في بيانِ أحوالِ معادِهم إثرَ بيانِ أحوالِ معاشِهم بقولِه تعالى: ﴿متاعًا لكم﴾ [سورة المائدة، الآية ٩٦]... إلخ، والفاءُ للدلالة على ترتب ما بعدَها على ما قبلَها عما قليلٍ كما ينبئُ عنه لفظُ المتاعِ ﴿يومَ يتذكرُ الإنسانُ مَا سعى﴾ قيلَ: هو بدلٌ من إذَا جاءتْ والأَظهرُ أنه منصوبٌ بأَعْنِي كما قيلَ تفسيرًا للطامةِ الكُبرى فإن الإبدالَ منها بالظرف المحضِ مما يُوهن تعلقَها بالجوابِ ويجوزُ أن يكونَ بدلًا من الطامة الكُبرى مفتوحًا لإضافتِه[٣] إلى الفعلِ على رأي الكوفيينَ أي يتذكرُ فيه كلُّ أحدٍ ما عملَهُ من خيرٍ أو شرٍّ بأنْ يشاهدَهُ مدونًا في صحيفةِ أعمالِه وقد كانَ نسيَهُ من فرطِ الغفلةِ وطولِ الأمدِ كقولِه تعالى: ﴿أحصاهُ الله ونسُوه﴾ [سورة المجادلة، الآية ٦] ويجوزُ أنْ تكونَ ما مصدريةً.

﴿وبرزتِ الجحيمُ﴾ عطفٌ على جاءتْ أي أظهرتْ إظهارًا بينًا لا يَخْفى على أحدٍ ﴿لمن يَرَى﴾ كائنًا من كانَ. يُروى أنه يكشفُ عنها فتتلظَّى فيراهَا كلُّ ذي بصرٍ وقرئ و(بُرِزَتْ)[٤] بالتخفيفِ و(لمن رَأَى)[٥] و(لمن تَرَى)[٦] على أن فيهِ ضميرَ الجحيمِ كما

(١) في خ: لتناوله.
(٢) في خ: المؤمن الأنف.
(٣) في خ: لإفاضته.
(٤) قرأ بها: أبو عمرو، وهارون، وأبو نهيك، وأبو السمال.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٤٢٣)، وتفسير الرازي (٣١/ ٥٠).
(٥) قرأ بها: ابن مسعود.
ينظر: الكشاف للزمخشري (٤/ ٢١٥)، وتفسير الرازي (٣١/ ٥٠).
(٦) قرأ بها: عائشة، وزيد بن علي، وعكرمة، ومالك بن دينار.
=

في قولِه تعالى: ﴿إذَا رأتهُم من مكانٍ بعيدٍ﴾ [سورة الفرقان، الآية ١٢] وعلى أنه خطابٌ لرسولِ الله ﷺ أي لمَنْ تراهُ(١) من الكفارِ.

وقولُه تعالَى: ﴿فأمَّا منْ طَغَى﴾... إلخ، جوابُ فإذَا جاءتْ على طريقةِ قولِه تعالَى: ﴿فإما يأتينكم منِّي هُدى﴾ [سورة البقرة، الآية ٣٨] الآيَةَ، وقيلَ: هُو تفصيلٌ للجوابِ المحذوفِ تقديرُه انقسم الراؤونَ قسمينِ فأمَّا من... إلخ، والذي تستدعيهِ فخامةُ التنزيلِ ويقتضيه مقامُ التهويلِ أنَّ الجوابَ المحذوفَ كانَ من عظائمِ الشؤونِ ما لَم تُشاهِدْهُ العيونُ كما مرَّ في قولِه تعالى: ﴿يومَ يجمعُ الله الرسلَ﴾ [سورة المائدة، الآية ١٠٩] أي فأما من عَتا وتمردَ عن الطاعةِ وجاوزَ الحدَّ في العصيانِ ﴿وآثَرَ الحياةَ الدنيا﴾ الفانيةَ التي هي على جناحِ الفواتِ فانهمكَ فيما متعَ به فيهَا ولم يستعدَّ للحياةِ الأخرويةِ الأبديةِ بالإيمانِ والطاعةِ ﴿فإنَّ الجحيمَ﴾ التي ذُكِرَ شأنُها ﴿هي المَأْوى﴾ أي هيَ مأواهُ واللامُ سادَّةٌ مسدَّ الإضافةِ للعلم بأن صاحبَ المَأْوى هو الطاغِي كما في قولِكَ: غُضَّ الطَّرْفَ، ودخولُ اللامِ في المَأوى والطرفِ للتعريفِ لأنهما معروفانِ وهيَ إما ضميرُ فصلٍ أو مبتدأٌ.

قيلَ: نزلتْ الآيةُ في النضرِ وأبيهِ الحارثِ المشهورينِ بالغُلوِّ في الكُفرِ والطغيانِ.

﴿وأمَّا من خافَ مقامَ ربِّه﴾ أيْ مقامَهُ بين يَدَيْ مالكِ أمرِه يومَ الطامةِ الكُبرَى يومَ يتذكرُ الإنسانُ ما سعَى ﴿وَنَهَى النفسَ عنِ الهَوَى﴾ عن الميلِ إليهِ بحكمِ الجبلةِ البشريةِ ولم يعتدَّ بمتاعِ الحياةِ الدُّنيا وزهرتِها ولم يغترَّ بزخارفِها وزينتِها علمًا منه بوخامة عاقبتِها.

﴿فإنَّ الجنةَ هيَ المَأْوَى﴾ لهُ لا غيرُهَا وقيلَ: نزلتْ الآيتانِ في أبِي عزيزٍ [بنِ عميرٍ ومصعب بنِ عميرٍ وقد قتلَ مصعبٌ أخاهُ أبا عزيزٍ](٢) يومَ أحدٍ ووقَى رسولَ الله ﷺ حتى استُشهدَ رضيَ الله عنْهُ هذا وقد قيلَ: جوابُ إذَا مَا يدلُّ عليهِ قولُه تعالَى: ﴿يومَ يتذكرُ﴾ [سورة النازعات، الآية ٣٥]... إلخ، أيْ فإذَا جاءتِ الطامةُ الكُبْرى يتذكرُ الإنسانُ ما سَعَى على طريقةِ قولِه تعالَى: ﴿علمتْ نفسٌ ما أحضرتْ﴾ [سورة التكوير، الآية ١٤] وقوله تعالى: ﴿علمت نفس ما قدمت وأخرت﴾ [سورة الانفطار، الآية ٥] فيكونُ قولُه تعالَى: ﴿وبُرزتِ الجحيمُ﴾ [سورة النازعات، الآية ٣٦] عطفًا

= ينظر: البحر المحيط (٨/ ٤٢٣)، وتفسير القرطبي (١٩/ ٢٠٧)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٢١٥)، والمجمع للطبرسي (١٠/ ٤٣٣)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٤٥١).

(١) في خ: يراه. (٢) سقط في خ.

عليهِ، وصيغةُ الماضِي للدلالةِ على التحققِ، أو حالًا من الإنسانِ بإضمارِ قدْ، أو بدونِه على اختلافِ الرأيينِ، ولمنْ يَرَى مغنٍ عن العائدِ.

وقولُه تعالى: ﴿فأمَّا منْ طَغَى﴾ [سورة النازعات، الآية ٣٧]... إلخ، تفصيلًا لحالَيْ[1] الإنسانِ الذي يتذكرُ ما سَعَى وتقسيمًا لهُ بحسبِ أعمالِه إلى القسمينِ المذكورينِ ﴿يسألُونكَ عنِ الساعةِ أيان مُرْسَاها﴾ مَتَى إرساؤُها أي إقامتُها يريدونَ متى يقيمُها الله تعالَى ويُثبتُها ويُكوِّنُها وقيل: أيانَ مُنتهاهَا ومُستقرهَا كما أنَّ مَرسى السفينةِ حيثُ تنتهي إليهِ وتستقرُّ فيهِ.

وقولُه تعالَى: ﴿فيمَ أنتَ من ذِكراها﴾ إنكارٌ وردٌّ لسؤالِ المشركينَ عنْهَا أيْ في أيِّ شيءٍ أنتَ مِنْ أنْ تذكرَ لهُم وقتَها وتعلمهم بهِ حَتَّى يسألُونكَ بيانَها، كقولِه تعالَى: ﴿يسألُونكَ كأنكَ حفيٌّ عَنْها﴾ [سورة الأعراف، الآية ١٨٧] أي ما أنتَ من ذِكْراهَا لهُم وتبيينِ وقتِها في شيءٍ لأنَّ ذلكَ فرعُ علمكَ به وأنَّى لكَ ذلكَ وهو مما استأثرَ بعلمه علامُ الغيوبِ ومن قال بصدد التعليل فإنَّ ذكرَها لا يزيدُهم إلا غيا فقد نَأى عن الحقِّ وقيلَ: فيمَ إنكارٌ لسؤالهم وما بعدَهُ من الاستئنافِ تعليلٌ للإنكار وبيانٌ لبطلان السؤالِ أيْ فيمَ هذا السؤالُ ثمَّ ابتُدِئ فقيلَ: أنتَ من ذِكرَاها، أي إرسالُك وأنتَ خاتمُ الأنبياءِ المبعوثُ في نسيم الساعةِ علامةٌ من علاماتِها، ودليلٌ يدُلُّهم على العلم بوقُوعِها عن قريبٍ فحسبُهم هذه المرتبةُ من العلم فمَعْنى قولِه تعالى: ﴿إلى ربِّكَ مُنتهاهَا﴾ على هذا الوجهِ إليهِ تعالَى يرجعُ مُنْتهى علمِها أيْ علمُها بكُنهِها وتفاصيل أمرِها وقتَ وقوعِها لا إلى أحدٍ غيرِه وإنما وظيفتُهم أنْ يعلموا باقترابِها ومُشارفتِها[2]، وقدْ حصلَ لهم ذلكَ بمبعثكَ، فما مَعْنى سؤالِهم عنها بعدَ ذلك. وأمَّا على [الوجهِ][3] الأولِ فمعناهُ إليهِ تعالَى انتهاءُ علمِها ليسَ لأحدٍ منه شيءٌ ما كائنًا من[4] كانَ فلأيِّ شيءٍ يسألُونَكَ عنها.

وقولُه تعالى: ﴿إنما أنتَ منذرُ من يخشاهَا﴾ على الوجه الأولِ تقريرٌ لما قبلَهُ من قوله تعالى: ﴿فيمَ أنتَ من ذِكراها﴾ [سورة النازعات، الآية ٤٣] [وتحقيقٌ لما هُو المرادُ منه وبيانٌ لوظيفتِه عليه الصلاةُ والسلامُ في ذلكَ الشأنِ فإنَّ إنكارَ كونهِ عليهِ الصلاةُ والسلامُ في شيءٍ من ذِكرَاهَا][5] مما يُوهِمُ بظاهرِه أنْ ليسَ له عليهِ الصلاةُ

---

(١) في خ: لحال.
(٢) في خ: ومساوقتها.
(٣) سقط في خ.
(٤) في خ: ما.
(٥) سقط في خ.

والسلامُ أنْ يذكرَها بوجهٍ من الوجوهِ فأُزيحَ ذلكَ ببيانِ أنَّ المنفَى عنه عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ذكرُهَا لهم بتعيينِ وقتِها حسبَما كانُوا يسألونَهُ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ عنهَا فالمَعْنى[(١)] إنما أنتَ منذرُ من يخشاهَا، وظيفتُكَ الامتثالُ بما أُمرتَ من بيانِ اقترابِها وتفصيلِ ما فيها من فنونِ الأهوالِ كما تحيطُ به خبرًا، لا تعيينِ وقتِها الذي لم يُفوضْ إليكَ فما لهم يسألونَكَ عمَّا ليسَ من وظائِفكَ بيانُه.

وعلى الوجهِ الثانِي هو تقريرٌ لقولِه تعالى: ﴿أنتَ من ذِكراها﴾ [سورة النازعات، الآية ٤٣] ببيانِ أنَّ إرسالَهُ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ، وهو خاتمُ الأنبياءِ عليهم السلامُ منذرٌ بمجيءِ الساعةِ كما ينطقُ به قولُه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «**بعثتُ أنَا والساعةَ كهاتينِ إنْ كادتْ لتسبقُني**»[(٢)]. وقرئَ منذرٌ[(٣)] بالتنوينِ وهو الأصلُ والإضافةُ تخفيفٌ صالحٌ للحالِ والاستقبالِ، فإذا أُريدَ الماضِي تعينتِ الإضافةُ. وتخصيصُ الإنذارِ بمن يخشَى مع عمومِ الدعوةِ لأنَّه المنتفعُ بهِ.

وقولُه تعالى: ﴿كأنَّهم يومَ يَرونها لم يلبثُوا إلا عشيةً أو ضُحاها﴾ إما تقريرٌ وتأكيدٌ لما ينبئُ عنه الإنذارُ من سرعة مجيءِ المُنذَر بهِ، لا سيَّما على الوجهِ الثَّانِي، أيْ كأنَّهم يومَ يَرونها لم يلبثُوا بعدَ الإنذارِ بها إلا عشيةَ يومٍ واحدٍ أو ضحاهُ فلما تُركَ اليومُ أضيفَ ضُحاه إلى عشيتِه، وإمَّا ردٌّ لمَا أدمجُوه في سؤالِهم فإنَّهم كانُوا يسألونَ عنها بطريق الاستبطاءِ مستعجلينَ بها[(٤)] وإنْ كانَ على نهجِ الاستهزاءِ بهَا ﴿ويقولونَ متى هذا الوعدُ إنْ كنتُم صادقينَ﴾ [سورة يونس، الآية ٤٨] فالمَعْنى كأنَّهم يومَ يَرونها لم يلبثُوا بعدَ الإنذارِ أو بعدَ الوعيدِ بها إلا عشيةً أو ضُحاها. واعتبارُ كونِ اللبثِ في

---

(١) في خ: والمعنى.

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٣٤٨)، والطبري في تاريخه (١/ ١٧)، وأبو طاهر السلفي في معجم السفر، ص (٢٣) برقم (٣٩)، من حديث عبد الله بن بريدة عن أبيه بلفظ: «بعثت أنا والساعة جميعًا إن كادت لتسبقني».
قال الهيثمي في المجمع: (١٠/ ٣١١): رواه أحمد والبزار إلا أنه قال: بعثت أنا والساعة كهاتين وضم أصبعيه السبابة والوسطى، ورجال أحمد رجال الصحيح».
وقال الحافظ ابن حجر في الفتح (١١/ ٣٤٨): أخرجه أحمد والطبري وسنده حسن ا. هـ.

(٣) (٧) قرأ بها: أبو عمرو، وابن محيصن، والحسن، وطلحة، وعمر بن عبد العزيز، وحميد، وشيبة، وخالد الحذاء، وابن هرمز، وعيسى، وأبو جعفر، وابن مقسم، وعياش.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٣٣)، والإعراب للنحاس (٣/ ٦٢٤)، والسبعة لابن مجاهد ص (٦٧١)، والمعاني للفراء (٣/ ٢٣٤)، وتفسير الرازي (٣١/ ٥٣)

(٤) في خ: لها.

الدنيا أو القُبورِ لا يقتضيه المقامُ وإنَّما الذي يقتضيهِ اعتبارُ كونِه بعدَ الإنذارَ أو بعدَ الوعيدِ تحقيقًا للإنذارِ وردًّا لاستبطائِهم. والجملةُ على الأولِ حالٌ من الموصولِ فإنَّه على تقديرَيْ الإضافةِ وعدمِها مفعولٌ لمنذرُ كما أنَّ قولَه تعالى: ﴿كأنْ لم يلبثُوا إلا ساعةً من النهارِ﴾ [سورة يونس، الآية ٤٥] حالٌ من ضميرِ المفعولِ في يحشرُهم أي يحشرُهم[1] مشبهينَ بمن لم يلبثْ في الدُّنيا إلا ساعةً خلا أن الشبهَ هناكَ في الأحوالِ الظاهرةِ من الزيِّ والهيئةِ وفيمَا نحنُ فيه في الاعتقاد كأنَّه قيلَ: تنذرُهم مشبهينَ يومَ يَرَونها في الاعتقادِ بمن لم يلبثْ بعد الإنذارِ بها إلا تلك المدةَ اليسيرةَ، وعلى الثانِي مستأنفةٌ لا محلَّ لها من الإعرابِ.

عنْ رسولِ الله ﷺ: «**مَنْ قرأَ سورةَ والنازعاتِ كانَ ممن حبسَهُ الله عزَّ وجلَّ في القبرِ والقيامةِ حتى يدخلَ الجنةَ قدرَ صلاةٍ مكتوبةٍ**»[2]. والله أعلمُ[3].

---

(١) في خ: نحشرهم.
(٢) تقدم تخريجه.
(٣) في خ: أعلم بالصواب.

سورةُ عبسَ

[مَكِّيةٌ][1] وآيُها [اثنتان وأربعونَ][2]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ﴿٤﴾
أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخۡشَىٰ
﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾ كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ ﴿١١﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾ فِي صُحُفٖ مُّكَرَّمَةٖ ﴿١٣﴾ مَّرۡفُوعَةٖ
مُّطَهَّرَةِۭ ﴿١٤﴾ بِأَيۡدِي سَفَرَةٖ ﴿١٥﴾ كِرَامِۭ بَرَرَةٖ ﴿١٦﴾ قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنۡ أَيِّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن
نُّطۡفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقۡبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا
يَقۡضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴿٢٣﴾ فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبۡنَا ٱلۡمَآءَ صَبّٗا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقۡنَا ٱلۡأَرۡضَ شَقّٗا ﴿٢٦﴾
فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبٗا وَقَضۡبٗا ﴿٢٨﴾ وَزَيۡتُونٗا وَنَخۡلٗا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلۡبٗا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةٗ وَأَبّٗا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعٗا
لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ ﴿٣٢﴾ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ
وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ مُّسۡفِرَةٞ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٞ مُّسۡتَبۡشِرَةٞ ﴿٣٩﴾
وَوُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ عَلَيۡهَا غَبَرَةٞ ﴿٤٠﴾ تَرۡهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَفَرَةُ ٱلۡفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾

﴿عبسَ وتولَّى * أنْ جاءَهُ الأعْمى﴾ رُوِيَ أنَّ ابنَ أمِّ مكتوم[3] واسمُه عبدُ اللَّه بنُ شُريحِ بنِ مالكِ بنِ أبي ربيعةَ الفهريُّ وأمُّ مكتوم اسمُ أم أبيهِ أتَى رسولَ الله ﷺ وعندَهُ صناديدُ قريشٍ عتبةُ وشيبةُ ابنا ربيعةَ وأبُو جهلِ بنُ هشامٍ والعباسُ بنُ عبدِ المطلبِ وأميةُ بنُ خلفٍ والوليدُ بنُ المغيرةِ يدعُوهم إلى الإسلامِ رجاءَ أنْ يسلمَ بإسلامِهم غيرُهم فقالَ له: يا رسولَ الله أقرئْنِي وعلمنِي مما علمكَ الله تعالَى، وكررَ ذلكَ وهو لا يعلمُ تشاغلَهُ عليه الصلاةُ والسلامُ بالقوم فكرِه رسولُ الله ﷺ قطعَهُ لكلامِه وعبسَ وأعرضَ عنه فنزلتْ. فكانَ رسولُ الله ﷺ يكرمُه ويقولُ إذا رآه: **«مرحبًا بمن عاتبَني فيه ربِّي»** ويقولُ لهُ: **«هل لكَ من حاجةٍ»** واستخلفَهُ على المدينة مرتينِ[4] وقرئ

---

(١) سقط في خ.
(٢) في ط: إحدى وأربعون.
(٣) في خ: كلثوم.
(٤) ورد هذا من طرق متعددة.
فأخرجه الطبري (٣٦٣١٩) وابن مردويه كما في «تخريج الكشاف» (٤/ ١٥٦) من طريق محمد بن =

(عبَّس)[(١)] بالتشديدِ للمبالغةِ وأنْ جاءَهُ علةٌ لتولَّي أو عَبَس على اختلافِ الرأيينِ أيْ لأنْ جاءَهُ الأعمى والتعرضُ لعنوانِ عماهُ إمَّا لتمهيدِ عُذرِه في الإقدامِ على قطعِ كلامِهِ عليه الصلاةُ والسلامُ بالقومِ والإيذانِ باستحقاقِهِ بالرفقِ والرأفةِ وإمَّا لزيادةِ الإنكارِ كأنَّه قيلَ: تولَّى لكونِه أَعْمى كما أنَّ الالتفاتَ في قولِه تعالى: ﴿وما يُدريكَ﴾ لذلكَ فإنَّ المشافهةَ أدخلُ[(٢)] في تشديدِ العتابِ أيْ وأيُّ شيءٍ يجعلُكَ داريًا بحالِه حتى تُعرضَ عنْهُ.

وقولُه تعالى: ﴿لعلَّه يزكَّى﴾ استئنافٌ واردٌ لبيانِ ما يلوحُ به ما قبلَه فإنه معَ إشعارِه بأنَّ له شأنًا منافيًا للإعراضِ عنه خارجًا عن درايةِ الغيرِ وإدرائِه مؤذنٌ بأنه تعالَى يُدريه[(٣)] ذلكَ أي لعلَّه يتطهرُ بما يقتبسُ منكَ من أوضارِ الأوزارِ بالكليةِ وكلمةُ لعلَّ مع تحققِ التزكِّي واردةٌ على سَنَنِ الكبرياءِ أو على اعتبارِ مَعْنى الترجِّي بالنسبةِ إليه عليه الصلاةُ والسلامُ للتنبيه على أن الإعراضَ عنه عند كونِه مرجوَّ التزكِّي مما لا يجوزُ فكيفَ إذا كان مقطوعًا بالتزكِّي كما في قولِك: لعلَّك ستندمُ على ما فعلتَ وفيه إشارةٌ إلى أنَّ من تصدَّى لتزكيتهم من الكفرة لا يُرجى منهم التزكِّي والتذكُّرِ أصلًا.

وقولُه تعالى: ﴿أو يذكَّرُ﴾ عطفٌ على يزكَّى داخلٌ معه في حكم الترجِّي.

وقولُه تعالَى: ﴿فتنفعَهُ الذكرى﴾ بالنصب على جواب لعلَّ وقرئ بالرفع[(٤)] عطفًا على يذكَّرُ أي أو يتذكرُ فتنفعُه موعظتُك إنْ لم يبلغْ درجةَ التزكِّي التامِّ، وقيلَ: الضميرُ في لعلَّه للكافر فالمَعْنى أنك طمعتَ في أنْ يتزكَّى أو يذكرَ فتقربُه الذكرَى إلى قبولِ الحقِّ ولذلكَ توليتَ عن الأعْمى وما يُدريكَ أن ذلكَ مرجُوُّ الوقوعِ.

﴿أمَّا منِ استغنَى﴾ أي عن الإيمان وعما عندكَ منَ العلوم والمعارفِ التي ينطوي

= سعد، ثنا أبي ثنا عمي ثنا أبي عن أبيه عن ابن عباس فذكره.
وأخرجه الطبري (٣٦٣٢٢) من طريق يزيد هارون ثنا سعيد عن قتادة به.
وأخرجه الترمذي (٥/ ٤٣٢) كتاب التفسير: باب ومن سورة عبس حديث (٣٣٣١) من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة به.
وقال الترمذي: هذا حديث غريب.

(١) قرأ بها: زيد بن علي.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٤٢٧)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٢١٧)، وتفسير الرازي (٣١/ ٥٥).

(٢) في خ: ما يلوح به ما قبله أدخل.

(٣) في خ: يريد به.

(٤) قرأ بها: حمزة، والكسائي، وأبو عمرو، وابن عامر، ونافع، وابن كثير، وأبو جعفر، وخلف، ويعقوب.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٣٣)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٥١)، والغيث للصفاقسي ص (٣٨٠)، والكشف للقيسي (٢/ ٣٦٢)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٣٩٨).

عليها القرآنُ ﴿فأنتَ له تصدَّى﴾ أي تتصدَّى وتتعرضُ بالإقبالِ عليهِ والاهتمام بإرشادِه واستصلاحِه وفيه مزيدُ تنفيرٍ له عليه الصلاةُ والسلامُ عن مصاحبتِهم فإن الإقبالَ على المُدبرِ ليسَ من شيمِ الكبارِ وقرئ (تصَّدَّى)[١] بإدغامِ التاءِ في الصَّادِ وقرئ (تُصدى)[٢] بضمِّ التاءِ أيْ تُعرضُ ومعناهُ يدعوكَ إلى التصدِّي له داعٍ من الحرصِ والتهالكُ على إسلامِه ﴿وما عليك ألا يزكى﴾ وليسَ عليكَ بأسٌ في ألا يتزكَّى بالإسلام حتَّى تهتمَّ بأمره وتعرضَ عمَّن أسلمَ والجملةُ حال [من ضمير (تصدى)][٣] وقيل: ما استفهامية للإنكار أيْ أيُّ شيءٍ عليك في ألا يتزكى[٤]، ومآله النفيُ أيضًا.

﴿وأمَّا من جاءَك يسعى﴾ أيْ حالَ كونِه مسرعًا طالبًا لما عندكَ من أحكام الرشدِ وخصالِ الخيرِ ﴿وهو يَخْشى﴾ أي الله تعالَى وقيلَ: يخشَى أذيةَ الكفارِ في إتيانِك وقيلَ: يخشى الكبوةَ إذ لم يكن معهُ قائدٌ والجملةُ حالٌ من فاعلِ يسعَى كما أنه حالٌ من فاعل (جاءك).

﴿فأنتَ عنه تلهَّى﴾ تتشاغلُ يقالُ: لَهَى عنه والتهى وتَلهَّى. وقرئ (تتلهى)[٥] و(تُلَهَّى)[٦] أي يُلهيك شأنُ الصناديدِ، وفي تقديم ضميرِه عليه الصلاةُ والسلامُ على الفعلينِ تنبيهٌ على أنَّ مناطَ الإنكارِ خصوصيتُه عليه الصلاةُ والسلامُ أي مثلُك خصوصًا لا ينبغِي أن يتصدَّى للمستغنِي ويتلهَّى الفقيرَ الطالبَ للخيرِ وتقديم لَه وعنْهُ للتعريض باهتمامه عليه الصلاةُ والسلامُ بمضمونهما، رُويَ أنه عليه الصلاةُ والسلامُ ما عبسَ بعد ذلكَ في وجهِ فقيرٍ قط ولا تصدَّى لغنى.

﴿كلا﴾ ردعٌ له عليه الصلاةُ والسلامُ عمَّا عُوتبَ عليهِ من التصدِّي لمن استغنَى

---

(١) قرأ بها: نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر، ويعقوب، وابن محيصن.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٣٣)، والإعراب للنحاس (٣/ ٦٢٧)، والبحر المحيط (٨/ ٤٢١)، والحجة لابن خالويه ص (٣٦٣)، والحجة لأبي زرعة ص (٧٤٩)، والغيث للصفاقسي ص (٣٨٠).

(٢) قرأ بها: أبو جعفر، وأبو جعفر الباقر.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٤٢٧)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٢١٨)، والمجمع للطبرسي (١٠/ ٤٣٦)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٣٥٢)، وتفسير الرازي (٣١/ ٥٦).

(٣) في ط: كونه.

(٤) في خ: تزكى.

(٥) قرأ بها: طلحة بن مصرف.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٤٢٨)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٢١٨)، وتفسير الرازي (٣١/ ٥٧).

(٦) قرأ بها: أبو جعفر، وأبو جعفر الباقر.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٤٢٨)، والمجمع للطبرسي (١٠/ ٤٣٦)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٣٥٢)، وتفسير الرازي (٣١/ ٥٧).

عما دعاهُ إليهِ من الإيمانِ والطاعةِ وما يوجبهُما من القرآنِ الكريمِ مبالغًا في الاهتمامِ بأمرِه على إسلامِه معرضًا بسببِ ذلكَ عن إرشادِ من يسترشدُه.

وقولُه تعالى: ﴿إِنَّها تذكرةٌ﴾ أي موعظةٌ يجبُ أن يتعظَ بها ويعملَ بموجبِها تعليلٌ للردعِ عما ذُكِرَ ببيانِ علوِّ رتبةِ القرآنِ العظيمِ الذي استغنى عنه من تصدَّى [عليه الصلاةُ والسلامُ][(١)] لهُ وتحقيقُ أنَّ شأنَهُ يكونُ موعظةً حقيقةً بالاتعاظِ بها فمن رغبَ فيها اتَّعظَ بها كما نطقَ به قولُه تعالى: ﴿فمن شاءَ ذكرَهُ﴾ أي حفظَهُ واتَّعظَ بهِ ومن رغبَ عنهَا كما فعلَ المستغنيُّ فلا حاجةَ إلى الاهتمامِ بأمرِه فالضميرانِ للقرآنِ وتأنيثُ الأولِ لتأنيثِ خبرِه وقيلَ: الأولُ للسورةِ أو للآياتِ السابقةِ والثانِي للتذكرةِ والتذكيرِ لأنها في مَعْنى الذكرِ والوعظِ وليسَ بذاك، فإن السورةَ والآياتِ وإن[(٢)] كانتْ متصفةً بما سيأتِي من الصفاتِ الشريفةِ لكنها ليستْ مما أُلقي على من استغنى عنه واستحقَ بسببِ ذلكَ ما سيأتِي من الدعاءِ عليهِ والتعجبِ من كفرِه المفرطِ لنزولِها بعد الحادثةِ وأما من جوَّز رجوعَهما إلى العتابِ المذكورِ فقد أخطأَ وأساءَ الأدبَ وخبطَ خبطًا يقضي [منه][(٣)] العجبُ فتأمَّل وكُن على الحقِّ المبينِ.

وقولُه تعالَى: ﴿في صحفٍ﴾ متعلقٌ بمضمرٍ هُو صفةٌ لتذكرةٌ وما بينهما اعتراضٌ جِيء بهِ للترغيبِ فيها والحثِّ على حفظِها أي كائنةٌ في صحفٍ منتسخةٍ من اللوحِ أو خبرٌ ثانٍ لـ (إن) ﴿مكرمةٍ﴾ عندَ الله عزَّ وجلَّ ﴿مرفوعةٍ﴾ أي في السماءِ السابعةِ، أو مرفوعةِ المقدارِ والذكرِ ﴿مطهرةٍ﴾ منزهةٍ عن مساسِ أيدِي الشياطينِ.

﴿بأيدي سَفَرةٍ﴾ أي كتبةٍ من الملائكةِ[(٤)] ينتسخونَ الكتبَ من اللوحِ على أنه جمعُ سافرٍ من السفرِ وهو الكتبِ وقيل: بأيدِي رسلٍ من الملائكةِ يسفرونَ بالوحْي بينَهُ تعالَى وبين الأنبياءِ على أنه جمعُ سفيرٍ من السفارةِ وحملُهم على الأنبياءِ عليهم السلامُ بعيدٌ فإن وظيفتَهم التلقِّي من الوَحْي لا الكتبُ منه وإرشادُ الأمةِ بالأمرِ والنَّهي وتعليمُ الشرائعِ والأحكامِ لا مجردُ السفارةِ إليهم وكذَا حملُهم على القراءِ لقراءتِهم الأسفارَ أو علَى أصحابِه عليه الصلاةُ والسلامُ وقد قالُوا: هذه اللفظةُ مختصةٌ بالملائكةِ لا تكادُ تطلقُ على غيرِهم وإن جازَ الإطلاقُ بحسبِ اللغةِ والباءُ متعلقةٌ بمطهرةٍ. قال القَفَّالُ: لما لم يمسَّها إلا الملائكةُ المطهرونَ أضيفَ التطهيرُ إليها لطهارة من يمسُّها، وقال القرطبيُّ: إن المرادَ بما في قوله تعالى: ﴿لا يمسُّه إلا

(١) سقط في خ.
(٢) في خ: إن كان ذلك.
(٣) في خ: عنه.
(٤) في خ: عليهم السلام.

المطهرونَ﴾ [سورة الواقعة، الآية ٧٩] هؤلاء السفرةُ الكرامُ البررةُ ﴿كرام﴾ عند الله عزَّ وجلَّ أو متعطفينَ على المؤمنينَ يكملونهم ويستغفرونَ لهم ﴿بررةٍ﴾ أتقياءَ وقيل: مطيعينَ لله تعالى، من قولهم: فلانٌ يبرُّ خالقَهُ أي يطيعُه وقيل: صادقينَ من برَّ في يمينه.

﴿قُتلَ الإنسانُ﴾ دعاءٌ عليه بأشنعِ الدعواتِ وقوله تعالى: ﴿ما أكفرَهُ﴾ تعجبٌ من إفراطه في الكفران وبيانٌ لاستحقاقِه للدعاءِ عليه، والمرادُ به إمَّا من استغنَى عن القُرآن الكريم الذي ذُكرتْ نعوتُه الجليلةُ الموجبةُ للإقبال عليه والإيمان به. وإما الجنسُ باعتبارِ انتظامه له ولأمثاله من أفراده لا باعتبار جميعِ أفرادِه، وفيه مع قصرِ متنه وتقاربِ قُطريه من الإنباءِ عن سخطٍ عظيمٍ ومذمةٍ بالغةٍ ما لا غايةَ وراءَهُ.

وقولُه تعالَى: ﴿من أيِّ شيءٍ خلقَهُ﴾ شروعٌ في بيانِ إفراطِه في الكفرانِ(١) بتفصيلِ ما أفاضَ عليه من مبدأ فطرتِه إلى مُنْتَهَى عمرِه من فُنونِ النعم الموجبةِ لقضاءِ حقِّها بالشكرِ والطاعةِ مع إخلالِه بذلكَ، وفي الاستفهام عن مبدأ خلقِه ثم بيانِه بقولِه تعالى: ﴿من نطفةٍ خلقَهُ﴾ تحقيرٌ له أيْ مِنْ أيِّ شيءٍ حَقيرٍ مهينٍ خلقَهُ من نطفةٍ مذرةٍ خلقَهُ ﴿فقدره﴾ فهيَّأهُ(٢) لما يصلحُ لهُ ويليقُ به من الأعضاءِ والأشكالِ أو فقدَّرَهُ أطْوارًا إلى أنْ تمَّ خلقُه.

وقولُه تعالَى: ﴿ثُمَّ السَّبيلَ يسَّرَهُ﴾ منصوبٌ بمُضمرٍ يفسرُهُ الظاهرُ، أيْ ثم(٣) سهَّلَ مخرجَهُ من البطنِ بأَنْ فتحَ فمَ الرحمِ وألهمَهُ أنْ ينتكسَ(٤)، أو يسرَ له سبيلَ الخيرِ والشرِّ، ومكَّنهُ من السلوكِ فيهما. وتعريفُ السبيلِ باللام دونَ الإضافةِ للإشعارِ بعمومِه. ﴿ثم أماتَهُ فأقبرَهُ﴾ أي جعلَهُ ذَا قبرٍ يُوارَى فيه تكرمةً لهُ ولم يدعْهُ مطروحًا على وجهِ الأرضِ جَزَرًا(٥) للسباعِ والطيرِ كسائرِ الحيوانِ، يقالُ قبرَ الميتَ إذَا دفنَهُ وأقبرَهُ إذا أمرَ بدفنِه أو مكنَ منْهُ. وعَدُّ الإماتةِ من النعمِ لأنَّها وصلةٌ في الجُملةِ إلى الحياةِ الأبديةِ والنعيمِ المقيمِ.

﴿ثمَّ إذَا شاءَ أنشرَهُ﴾ أيْ إذَا شاءَ إنشارَهُ أنشرَهُ على القاعدةِ المستمرةِ في حذفِ مفعولِ المشيئةِ، وفي تعليقِ الإنشارِ بمشيئتِه تعالى إيذانٌ بأنَّ وقتَهُ غيرُ متعينٍ بلْ هُو تابعٌ لهَا. وقرئَ (نَشَرهُ)(٦) ﴿كلاَّ﴾ ردعٌ للإنسان عمَّا هو عليه.

---

(١) في خ: الكفر.
(٢) في خ: تهيأ.
(٣) في خ: بأن.
(٤) في خ: يعكس.
(٥) في خ: مقذر.
(٦) قرأ بها: نافع، وأبو حيوة، وشعيب بن الحبحاب.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٤٢٩)، وتفسير القرطبي (١٩/ ٢١٩).

وقولُه تعالى: ﴿لَمَّا يقضِ ما أمرَهُ﴾ بيانٌ لسببِ الرَّدعِ أي لم يقضِ [بعدُ][١] من لدن آدمَ عليهِ السَّلامُ إلى هذه الغايةِ مع طولِ المَدَى وامتدادِه ما أمرَهُ الله تعالَى بأسرِه إذْ لا يخلُو أحدٌ من تقصير ما كذا قالُوا وهكَذا نُقلَ عن مجاهدٍ وقَتَادَةَ ولا ريبَ في أنَّ مساقَ الآياتِ الكريمةِ لبيانِ غايةِ عظم جنايةِ الإنسانِ وتحقيقِ كُفرانِه المفرطِ المستوجب للسخطِ العظيم وظاهرٌ أنَّ ذلكَ لا يتحققُ بهذا القدرِ من نوعِ تقصيرٍ لا يخلُو عنْهُ أحدٌ من أفرادِه كيفَ لا وقَدْ قالَ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ: «**شيبتنِي سورة هودٍ**»[٢] لمَا فيهَا من قولِه تعالى: فاستقمْ كَما أُمرتَ. فالوجُه أنْ يحملَ عدمُ القضاءِ على عمومِ النفي لا على نفي العمومِ إمَّا عَلى أنَّ المحكومَ عليهِ هُو المستغني أو هو الجنسُ لكنْ لا عَلى الإطلاقِ بَلْ علَى أنَّ مصداقَ الحكم بعدم القضاءِ بعضُ أفرادِه وقد أُسندَ إلى الكُلِّ كَما في قولِه تعالى: ﴿إنَّ الإنسانَ لظَلومٌ كفَارٌ﴾ [سورة إبراهيم، الآية ٣٤] للإشباعِ في اللوم بحكمِ المجانسةِ على طريقةِ قولِهم بنُو فلان قتلُوا فلانًا والقاتلُ واحدٌ منهم، وإمَّا على أنَّ مصداقَهُ الكلُّ من حيثُ هو كلٌّ بطريقِ رفعِ الإيجابِ الكليِّ دونَ السلبِ الكليِّ، فالمَعْنى لَمَّا يقضِ جميعُ أفرادِه ما أمرَهُ بل أخلَّ به بعضُها بالكفرِ والعصيانِ مع أنْ مُقتضَى ما فُصِّل من فنونِ النعماءِ الشاملةِ للكلِّ ألا يتخلفَ عنه أحدٌ أصلًا. هذا وقد قيلَ كلاً بمَعْنى حقا فيتعلقُ بما بعدَهُ أي حقا لم يعملْ بِما أمرَهُ به.

﴿فلينظرِ الإنسانُ إلى طعامِه﴾ شروعٌ في تعدادِ النعمِ المتعلقةِ ببقائِه بعد تفصيلِ النعمِ المتعلقةِ بحدوثِه أي فلينظرْ إلى طعامِه الذي عليه يدورُ أمرُ معاشِهِ كيفَ دبرنَاهُ.

وقولُه تعالى: ﴿أنَّا صببنَا الماءَ صبا﴾ أي الغيثَ بدلُ اشتمالٍ من طعامِه لأنَّ الماءَ سببٌ لحدوثِ الطعامِ فهُو مشتَملٌ عليهِ. وقرئ (إنَّا)[٣] على الاستئنافِ، وقرئ

(١) سقط في خ.

(٢) أخرجه الترمذي (٥/ ٤٠٢) كتاب التفسير القرآن، باب: سورة الواقعة، برقم (٣٢٩٧)، والحاكم (٢/ ٣٧٤) كتاب التفسير، باب: تفسير سورة هود، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٤/ ٣٥٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.
قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه من حديث ابن عباس إلا من هذا الوجه.
وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٣) قرأ بها: أبو عمرو، وابن كثير، ونافع، وابن عامر، وأبو جعفر، والحسن البصري.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٣٣)، والإعراب للنحاس (٣/ ٦٣٠)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٥١)، والتيسير للداني ص (٢٢٠)، والسبعة لابن مجاهد ص (٦٧٢)، والكشف للقيسي (٢/ ٣٦٢، ٣٦٣).

(أنى)[١] بالإمالةِ. أي كيفَ صببنَا إلى آخرِه أي صببنَاهُ صَبًا عجيبًا. ﴿ثُمَّ شققْنا الأرضَ﴾ أي بالنباتِ ﴿شقا﴾ بديعًا لائقًا بما يشقُّها[٢] من النباتِ [صِغرًا وكِبرًا][٣] وشكلًا وهيئةً. وحملُ شقِّها على ما بالكرابِ بجعلِ إسنادِه إلى نونِ العظمةِ من قبيلِ إسنادِ الفعلِ إلى سببِه يأباهُ كلمةُ ثمَّ. والفاءُ في قولِه تعالى: ﴿فأنبتنَا فيها حبا﴾ فإنَّ الشقَّ بالمَعْنى المذكور لا ترتبَ بينَهُ وبين الأمطارِ أصلًا ولا بينَهُ وبينَ إنباتِ الحبِّ بلا مُهلةٍ. وإنَّما الترتيبُ بين الأمطارِ وبينَ الشقِّ بالنبات على التراخِي المعهودِ وبين الشقِّ المذكورِ وبينَ إنباتِ الحبِّ بلا مُهلةٍ، فإنَّ المرادَ بالنبات ما نبتَ من الأرضِ إلى أنْ يتكاملَ النموُّ وينعقدَ الحبُّ فإنَّ انشقاقَ الأرضِ بالنباتِ لا يزالُ يتزايدُ ويتسعُ إلى تلكَ المرتبةِ على أنَّ مساقَ النظمِ الكريمِ لبيانِ النعمِ الفائضةِ من جنابِهِ تعالى على وجهٍ بديعٍ خارجٍ عن العاداتِ المعهوةِ كما ينبئُ [عنهَ][٤] تأكيدُ الفعلينِ بالمصدرينِ فتوسيطُ فعلِ المنعمِ عليهِ في حصولِ تلك النعمِ مخلٌّ بالمرامِ. وقوله تعالى: ﴿وعنبًا﴾ عطفٌ على حبا وليسَ من لوازمِ العطفِ أنْ يُقيَدَ المعطوفُ بجميعِ ما قُيدَ به المعطوفُ عليه فلا ضيرَ[٥] في خُلوِّ إنباتِ العنبِ عن شقِّ الأرضِ ﴿وقَضْبًا﴾ أي رطبة، سُميتْ بمصدرِ قضَبهُ أي قطَعهُ مبالغةً كأنَّها لتكرر قطعِها وتكثرِه نفسُ القطعِ. ﴿وزيتونًا ونخلًا﴾ الكلامُ فيهما وفي أمثالِهما كما في العنبِ ﴿وحدائقَ غُلبًا﴾ أي عظامًا وصفَ به الحدائقُ لتكاثفها وكثرةِ أشجارِها أو لأنَّها ذاتُ أشجارٍ غلاظٍ مستعارٌ من وصفِ الرقابِ ﴿وفاكهةً وأبا﴾ أي مَرْعى من أبَّه إذَا أمَّه أي قصَدُه لأنَّه يُؤَمُ ويُنتجعُ أو منْ أبَّ لكذَا إذا تهيأَ له لأنَّه متهيئ للرَّعي، أو فاكهةً يابسةً تؤَبُ للشتاءِ.

وعن الصدِّيقِ رضيَ الله عنْهُ أنَّه سُئلَ عن الأبِّ فقالَ: أيُّ سماءٍ تُظلِني، وأيُّ أرضٍ تُقلني إذَا قلتُ في كتابِ الله ما لاَ علَم لى بهِ[٦]. وعن عمرَ رضيَ الله عنْهُ أنَّه قرأَ هذه الآيَةَ فقالَ: كلٌّ هذا قد عرفنَا فَما الأبُّ ثم رفعَ عصًا كانتْ بيدِه وقالَ: هَذا لعَمْرُ الله التكلفُ، وما عليكَ يا ابنَ أُمِّ عمرَ ألا تدريَ ما الأبُّ ثم قالَ: اتبعُوا ما تبينَ

---

(١) قرأ بها: الحسين بن علي.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٤٢٩)، وتفسير القرطبي (١٩/ ٢٢١)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٢١٩).
(٢) في خ: يشتهي.
(٣) في خ: صغيرا وكبيرا.
(٤) سقط في خ.
(٥) في خ: خير.
(٦) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٦/ ١٣٦) رقم (٣٠١٠٧) وعزاه الزيلعي (٤/ ١٥٨) لعبد بن حميد في تفسيره ومن طريقه الثعلبي في تفسيره.
ورواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٨٣٣) رقم (١٥٦١).

لكُم من هذا الكتابِ وما لاَ فدعُوه[١].

﴿متاعًا لكُم ولأنعامِكم﴾ إما مفعولٌ له أيْ فُعِلَ ذلكَ [تمتيعًا لكُم ولمواشيكُم][٢] فإنَّ بعضَ النعمِ المعدودةِ طعامٌ لهم وبعضَها علفٌ لدوابِّهم. والالتفاتُ لتكميل الامتنانِ. وإمَّا مصدرٌ مؤكدٌ لفعله المضمرِ بحذفِ الزوائدِ، أي متعكُم بذلكَ متاعًا، أو لفعلٍ مترتبٍ عليهِ أي متعكم بذلك فتمتعتُم متاعًا أي تمتعًا كما مرَّ غيرَ مرةٍ، أو مصدرٌ من غير لفظِهِ فإنَّ ما ذُكرَ من الأفعالِ الثلاثةِ في مَعْنى التمتيعِ.

﴿فإذَا جاءت الصاخةُ﴾ شروعٌ في بيان [أحوالِ معادِهم][٣] إثرَ بيانِ مبدأِ خلقِهم ومعاشِهم. والفاءُ للدلالة على ترتب ما بعدها على ما قبلها من فُنون النعمِ عن قريب كما يشعرُ لفظُ المتاعِ بسرعة زَوَالِها وقربِ اضمحلالِها. والصاخةُ هي الداهيةُ العظيمةُ التي يصخُّ لها الخلائقُ أي يصيخونَ لها من صخَّ لحديثِه إذا أصاخَ له واستمعَ وصفتْ بها النفخةُ الثانيةُ لأنَّ الناسَ يصيخُونَ[٤] لها، وقيل هي الصيحةُ التي تصخُّ الآذانَ أي تصمها لشدةِ وقعِها، وقيلَ: هي مأخوذةٌ من صخَّهُ بالحجرِ، أي صكَّهُ.

وقولُه تعالى: ﴿يومَ يفرُّ المرءُ من أخيه * وأمه وأبيه * وصاحبتِه وبنيه﴾ إما منصوبٌ بأعني تفسيرًا للصاخَّة أو بدلٌ منها مبنيٌّ على الفتحِ بالإضافةِ إلى الفعلِ على رَأي الكوفيينَ، وقيلَ بدلٌ من إذَا جاءتْ كما مرَّ في قولِه تعالى: ﴿يومَ يتذكرُ﴾ [سورة النازعات، الآية ٣٥]. . .إلخ أي يعرضُ عنهم ولا يصاحبُهم ولا يسألُ عن حالِهم كما في الدُّنيا لاشتغالِه بحالِ نفسِه، وأمَّا تعليلُ ذلكَ بعلمِه بأنَّهم لا يُغنونَ عنه شيئًا، أو بالحذرِ من مطالبتِهم بالتبعاتِ فيأباهُ قولُه تعالى: ﴿لكلِّ امرئٍ منهم يومئذٍ شأنٌ يغنيهِ﴾ فإنَّه استئنافٌ واردٌ لبيانِ سببِ الفرارِ أي لكُلِّ واحدٍ من المذكورينَ شغلٌ شاغلٌ وخطبٌ هائلٌ يكفيهِ في الاهتمامِ به، وأما الفرارُ حَذَرًا من مطالبتِهم أو بُغضًا لهُم كَما يُروَى عن ابنِ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ تعالى عنهُمَا أنَّه يفرُّ قابيلُ من أخيه هابيلَ، ويفرُّ النبيُّ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ منْ أُمِّه، ويفرُّ إبراهيمُ عليهِ السَّلامُ من أبيهِ، ونوحٌ عليهِ السَّلامُ من ابنِه، ولوطٌ عليهِ السَّلامُ من امرأتِه، فليسَ من قبيلِ هذا الفرارِ. وكَذا

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٤٢٤) حديث (٢٢٨١) والحاكم في المستدرك (٢/ ٥١٤) بنفس الإسناد وقال: «صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي ورواه ابن جرير الطبري (١٢/ ٤٥١) بألفاظ وأسانيد مختلفة رقم (٣٦٣٦٧-٣٦٣٧١) وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٥٢٢) وعزاه لسعيد بن منصور وابن سعد وعبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه والخطيب.

(٢) في خ: تمعينا لكم وبمواشيكم.

(٣) في خ: أحوالهم ومعادهم.

(٤) في خ: يضجون.

مَا يُروَى أنَّ الرجلَ يفرُّ من أصحابِه وأقربائِه لئلاَّ يَروَه على ما هُو عليهِ من سُوءِ الحالِ. وقرئ (يَعْنِيه)[(١)] بالياءِ المفتوحةِ والعينِ المُهملةِ، أي يُهمَّهُ من عناهُ الأمرُ إذا أهمَّه أي أوقعَهُ في الهمِّ ومنْهُ: (**منْ حُسنِ إسلامِ المرءِ تركُه ما لا يَعنيه**)[(٢)] لا من عناهُ إذا قصدَهُ كما قيلَ: وقولُه تعالى: ﴿**وجوهٌ يومئذٍ مسفرةٌ**﴾ بيانٌ لمآلِ أمرِ المذكورينَ وانقسامِهم إلى السعداءِ والأشقياءِ بعد ذكرِ وقوعِهم في داهيةٍ دهياءَ فوجوهٌ مبتدأٌ وإنْ كانتْ نكرةً لكونِها في حيزِ التنويعِ ومسفرةٌ خبرُهُ ويومئذٍ متعلقٌ به أي مضيئةٌ متهللةٌ منْ أسفرَ الصبحُ إِذَا أضاءَ. وعن ابنِ عبَّاسٍ رضيَ الله عنهُمَا أنَّ ذلكَ من قيامِ الليلِ. وفي الحديثِ: (**مَنْ كثُرَ صلاتُه بالليلِ حسُن وجهُه بالنهارِ**)[(٣)]. وعنِ الضحَّاكِ: منْ آثارِ الوضوءِ وقيلَ: من طولِ ما اغبرّتْ في سبيلِ الله.

﴿**ضاحكةٌ مستبشرةٌ**﴾ بما تشاهدُ من النعيم المقيم والبهجةِ الدائمةِ ﴿**ووجوهٌ يومئذٍ عليهَا غبرةٌ**﴾ أي غبارٌ وكدورةٌ ﴿**ترهقها**﴾ أي تعلُوها وتغشاهَا ﴿**قترةٌ**﴾ أي سوادٌ وظلمةٌ ﴿**أولئكَ**﴾ إشارةٌ إلى أصحاب تلك الوجوهِ، وما فيهِ من مَعْنى البُعدِ للإيذانِ ببعدِ درجتِهم في سُوءِ الحالِ أي أولئكَ الموصوفونَ بسوادِ الوجوهِ وغيره ﴿**هم الكفرةُ الفجرةُ**﴾ الجامعونَ بين الكفرِ والفجورِ فلذلكَ جمعَ الله تعالى إلى سواد وجوهِهم الغبرةَ.

عن رسولِ الله ﷺ: «**مَنْ قرأَ سورةَ عبسَ جاءَ يومَ القيامةِ ووجهُه ضاحكٌ مستبشرٌ**»[(٤)].

---

(١) قرأ بها: الزهري، وابن محيصن، وحميد، وابن أبي عبلة.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٣٣)، والبحر المحيط (٨/ ٤٣٠)، وتفسير القرطبي (١٩/ ٢٢٥)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٢٢٠)، والمجمع للطبرسي (١٠/ ٤٣٩).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه ابن ماجه (١/ ٤٢٢) كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب: ما جاء في قيام الليل، برقم (١٣٣٣)، وابن عدي في الكامل (٢/ ٥٢٦)، والعقيلي في الضعفاء (١/ ١٧٦)، والقضاعي في مسند الشهاب (٤٠٨٤١٢)، والخطيب في تاريخ بغداد (١/ ٣٤١)، (١٣/ ١٢٦)، وابن حبان في المجروحين (١/ ٢٠٧) من طريق ثابت بن موسى الضرير، عن شريك، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر، عن النبي ﷺ... به.
والحديث أورده ابن الجوزي في الموضوعات (٢/ ١٠٩١١١) من عدة طرق، وضعفها كلها، وقال: هذا حديث باطل لا يصح عن رسول الله ﷺ وقال العقيلي: «حديث باطل، ليس له أصل» .ا هـ.
وضعفه البوصيري في زوائد ابن ماجه (١/ ٤٣٣). وقال السخاوي في المقاصد ص (٤٢٥): لا أصل له؛ وإن روي من طرق، عند ابن ماجه بعضها؛ وأورد الكثير منها القضاعي وغيره.

(٤) تقدم تخريجه، وزاد في خ: والله الموفق بمنه وكرمه.

سُورَةُ التَّكْوِيرِ

مَكِّيةٌ وَآيُها تسعٌ وعشرونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ
﴿٤﴾ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ
سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾ وَإِذَا الْجَحِيمُ
سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾ فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ الْجَوَارِ
الْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِندَ
ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ﴿٢٣﴾
وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ
لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾

﴿إِذَا الشمسُ كُوِّرتْ﴾ أي لُفَّتْ من كَوَّرت العمامةَ إذا لففتَها، على أَنَّ المرادَ بذلكَ إمَّا رفعُها وإزالتُها منْ مقرِّها فإنَّ الثوبَ إذا أُريدَ رفعُهُ يُلفُّ لفا ويُطْوى، ونحوه قولُه تعَالَى: ﴿يومَ نَطْوي السماءَ﴾ [سورة الأنبياء، الآية ١٠٤] وإمَّا لَفُّ ضوئِها المنبسطِ في الآفاقِ المُنتشرِ في الأقطارِ، على أنَّه عبارةٌ عنْ إزالتها والذهابِ بها بحكمِ استلزامِ زوالِ اللازم لزوالِ الملزوم أو ألقيتْ عن فلكها كَما وُصفتِ النجومُ بالانكدارِ من طَعنَهُ فكوَّرَهُ إذَا ألقاهُ عَلى الأَرضِ. وعن أبي صالح كُورتْ نُكِّستْ وعن ابنِ عباسٍ رضيَ الله عنهُمَا تكويرُهَا إدخالُها في العرشِ. ومدارُ التركيبِ على الإدارةِ والجمعِ. وارتفاعُ الشمسِ على أنَّه فاعلٌ [الفعلِ][1] مضمرٍ يُفسِّرُه المذكورُ[2] وعندَ البعضِ عَلى الابتداءِ.

﴿وَإِذَا النُّجومُ انكدَرَتْ﴾ أي انقضَّتْ وَقيلَ: تناثرتْ وَتساقطتْ. رُويَ عن ابنِ

---

(١) سقط في خ.

(٢) في خ: الذكر.

عبَّاسٍ رضيَ الله عنهُمَا أنَّه لا يَبْقَى يومئذٍ نجمٌ إلا سقطَ [في الأرضِ](١)، وعنْهُ رضيَ الله عنْهُ(٢) أنَّ النُّجومَ(٣) قناديلُ معلقةٌ بينَ السماءِ والأرضِ بسلاسلَ منْ نورٍ بأيدي ملائكةٍ من نورٍ فإذَا ماتَ منْ في السماواتِ ومنْ في الأرضِ تساقطتْ من أيديهم وقيلَ: انكدارُها انطماسُ نُورِها ويُروَى أنَّ الشمسَ والنجومَ [تُطرحُ](٤) في جهنَم ليراهَا مَنْ عبدَها كما قالَ: ﴿إنكُم وما تعبدونَ من دونِ الله حصبُ جهنَم﴾ [سورة الأنبياء، الآية ٩].

﴿وإذا الجبالُ سُيِّرتْ﴾ أيْ عنْ أماكنِها بالرجفة الحاصلةِ لا في الجوِّ فإنَّ ذلكَ بعدَ النفخة الثانيةِ. ﴿وإذَا العِشَارُ﴾ جمعُ عُشَراءَ وهيَ الناقةُ التي أتى على حملِها عشرةُ أشهرٍ، وهو اسمُها إلى أنْ تضعَ لتمامِ السنةِ وهي أنفسُ ما يكونُ عندَ أهلِها وأعزُّها عليهِمْ. ﴿عُطِّلَتْ﴾ تُركتْ مهملةً لاشتغالِ أهلِها بأنفسِهم، وقيلَ العشارُ السحائبُ فإنَّ العربَ تُشبهها بالحاملِ ومنهُ قولُه تعالىَ: ﴿فالحاملاتِ وِقْرًا﴾ [سورة الذاريات، الآية ٢]. وتعطيلُها عدمُ إمطارِها وقرئ عُطِلَتْ(٥) بالتخفيفِ. ﴿وإذا الوحوشُ حُشِرتْ﴾ أي جُمعتْ من كلِّ جانبٍ وقيلَ: بُعثتْ للقصاصِ. قالَ قتادةُ يُحشرُ كلُّ شيءٍ حتَّى الذبابُ للقصاصِ فإذَا قُضِيَ بينَها رُدَّتْ تُرابًا فلا يَبقَى منها إلا ما فيهِ سرورٌ لبني آدمَ وإعجابٌ بصورتِه كالطاووسِ ونحوِه. وقرئ حُشِّرَتْ(٦) بالتشديدِ ﴿وإذَا البحارُ سُجِّرَتْ﴾ أي أُحميَتْ أو مُلئتْ بتفجيرِ بعضِها إلى بعضٍ حتَّى تعودَ بحرًا واحدًا. من سجَّر التنورَ إذا ملأَهُ بالحطبِ ليحميَهُ وقيلَ: مُلئتْ نيرانًا تضطرمُ [بهَا](٧) لتعذيب أهلِ النارِ، وعن الحسنِ يذهبُ ماؤُها حتَّى لا يبقى فيها قطرةٌ. وقرئ(٨) سُجِرَتْ بالتخفيفِ.

---

(١) سقط في خ.
(٢) في خ: عنه أيضا.
(٣) في خ: نجوم.
(٤) سقط في خ.
(٥) قرأ بها: ابن كثير، واليزيدي، ومضر.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٤٣٢)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٢٢٢).
(٦) قرأ بها: الحسن، وعمرو بن ميمون.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٤٣٢)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٢٢٢).
(٧) سقط في خ.
(٨) قرأ بها: ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب، ورويس، وابن محيصن، واليزيدي.
ينظرك إتحاف فضلاء البشر (٤٣٤)، والإعراب للنحاس (٣/ ٦٣٣)، والتيسير للداني (٢٢٠)، والسبعة لابن مجاهد (٦٧٣)، والغيث للصفاقسي (٣٨١)، والكشف للقيسي (٢/ ٣٦٣)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٣٩٨).

﴿وإِذَا النفوسُ زُوِّجتْ﴾ أي قُرِنتْ بأجسادها أو[١] قُرِنتْ كلُّ نفسٍ بشكلِها أو بكتابِها أو بعملِها أو نفوسُ المؤمنينَ بالحُورِ، ونفوسُ الكافرينَ بالشياطين ﴿وإذا الموءودة﴾ أي المدفونة حيةً وكانت العرب تئد البنات مخافة الإملاق أو لحوقِ العارِ بهم من أجلهنَّ، قيلَ: كانَ الرجلُ منهُم إذَا وُلِدتْ له بنتٌ ألبسها جُبَّةً من صُوفٍ أو شَعرٍ حَتَّى [إذَا][٢] بلغتْ ستَّ سنينَ ذهبَ بها إلى الصحراءِ وقد حفرَ لها حُفرةً فيُلقيها فيهَا ويُهيلُ عليها الترابَ وقيلَ: كانتِ الحاملُ إذا قربتْ[٣] حفرتْ حُفرةً فتمخضتْ على رأسِ الحُفرةِ فإذا ولدتْ بنتًا رمتْ بهَا[٤] وإنْ ولدتْ ابنًا حبستْهُ ﴿سُئلتْ * بأيِّ ذنبٍ قُتلتْ﴾ توجيهُ السؤالِ إليهَا لتسليتِها وإظهارِ كمالِ الغيظِ والسَّخطِ لوائدها وإسقاطِه عن درجةِ الخطابِ والمبالغةِ في تبكيتِه كما في قولِه تعالى: ﴿أأنتَ قلتَ للنَّاس اتخذونِي وأميَ إلهينَ﴾ [سورة المائدة، الآية ١١٦] وقُرئ سَأَلتْ[٥] أي خاصمتْ أو سألتِ الله تعالَى أو قاتِلَها وإنما قيلَ: قُتلتْ لما أنَّ الكلامَ إخبارٌ عنها لا حكايةٌ لما خُوطبتْ بهِ حينَ سُئلتْ ليقالَ قُتِلتِ على الخطابِ ولا حكايةٌ لكلامِها حينَ سَألتْ ليقالَ قُتِلْتُ على الحكايةِ عن نفسِها. وقد قرئ كذلكَ[٦] وبالتشديدِ[٧] أيضًا وعن ابن عبَّاسٍ رضيَ الله عنهُما أنه سُئِلَ عن أطفالِ المشركينَ فقالَ لا يُعذَّبون واحتجَّ بهذهِ الآيةِ.

﴿وإذَا الصحفُ نُشِرتْ﴾ أيْ صحفُ الأعمالِ فإنَّها تُطوى عندَ الموتِ وتنشرُ عند الحسابِ. عنِ النبيِّ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ أنَّه قالَ: «**يُحشرُ النَّاسُ [عُراةً حُفاةً]**[٨] **فقالتْ أمُّ سلمةَ فكيفَ بالنساءِ فقالَ**: «**شُغلَ**[٩] **الناسُ يا أُمَّ سلمةَ**» قالتْ وما شغلَهُم قالَ: «**نشرُ الصحفِ فيها مثاقيلُ الذرِّ ومثاقيلُ الخردلِ**»[١٠]. وقيلَ نُشرتْ أي فُرِّقتْ بينَ

---

(١) في خ: إذ.

(٢) سقط في خ.

(٣) في ط: أقربت.

(٤) زاد في خ: في الحفرة.

(٥) قرأ بها: ابن مسعود، وعلي، وابن عباس، وجابر بن زيد، وأبو الضحى، ومجاهد، وأبي، والربيع بن خثيم، وابن عمر، والضحاك، وأبو صالح.
ينظر: الإعراب للنحاس (٣/ ٦٣٥)، والبحر المحيط (٨/ ٤٣٣)، وتفسير القرطبي (١٩/ ٢٣٣)، والمجمع للطبرسي (١٠/ ٤٤٢)، والمعاني للفراء (٣/ ٢٤٠)، وتفسير الرازي (٣١/ ٧٠).

(٦) قرأ بها: ابن مسعود، وعلي، وابن عباس، وجابر بن زيد، وأبو الضحى، ومجاهد.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٤٣٣).

(٧) قرأ بها: أبو جعفر.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٣٤)، والتبيان للطوسي (١٠/ ٢٨٠)، وتفسير القرطبي (١٩/ ٢٣٤).

(٨) في خ: حفاة عراة.

(٩) في خ: نشغل.

(١٠) أخرجه الثعلبي في تفسيره كما في تخريج الكشاف للحافظ الزيلعي (٤/ ١٦٣) بهذا اللفظ من حديث =

أصحابِها، وعن مَرْثَدِ بنِ وَدَاعةَ: إذَا كانَ يومُ القيامةِ تطايرتِ الصحفُ من تحت العرشِ فتقعُ صحيفةُ المؤمنِ في يدِه في جنةٍ عاليةٍ وتقعُ صحيفةُ الكافرِ في يده في سَموم وحميم أي مكتوبٌ فيها ذلكَ وهيَ صُحفٌ غيرُ صحفِ الأعمالِ. ﴿**وإذَا السماءُ كُشطَتْ**﴾ قُطعتْ وأُزيلتْ كما يُكشطُ الإهابُ عن الذبيحةِ والغطاءُ عن الشيءِ المستورِ بهِ وقرئ قُشطتْ[1]، واعتقابُ الكافِ والقافِ غيرُ عزيز كالكافُور والقافُورِ. ﴿**وإذا الجحيمُ سُعِّرتْ**﴾ أي أُوقدتْ إيقادًا شديدًا قيلَ سَعَّرهَا غضبُ الله عزَّ وجلَّ وخَطَايَا بني آدمَ وقرئ سُعِرَتْ[2] بالتَّخفيفِ. ﴿**وَإذَا الجنةُ أُزْلِفتْ**﴾ أي قُرِّبَتْ من المتقينَ كقولِه تعالى: ﴿وأُزلفتِ الجنةُ للمتقينَ غيرَ بعيدٍ﴾ [سورة ق، الآية ٣] قيلَ: هذهِ اثنتا عشرةَ خصلةً ستٌّ منها في الدُّنيا أي فيمَا بينَ النفختينِ وهُنَّ من أول السورةِ إلى قوله تعالى: ﴿وإذَا البحارُ سُجِّرتْ﴾ [سورة التكوير، الآية ٦] على أنَّ المرادَ بحشرِ الوحوشِ جمعُها من كلِّ ناحيةٍ لا بعثُها للقصاصِ وستٌّ في الآخرةِ أي بعدَ النفخةِ الثانيةِ. وقولُه تعالَى: ﴿**علمتْ نفسٌ ما أحضرتْ**﴾ جوابُ إذَا على أنَّ المرادَ بها زمانٌ واحدٌ ممتدٌّ يسع ما في سياقها وسباق ما عُطفَ عليها من الخصالِ، مبدؤُه النفخةُ الأُولى ومنتهاهُ فصلُ القضاءِ بينَ الخلائقِ لكنْ لا بمعْنى أنها تعلمُ ما تعلم في كلِّ جزءٍ من أجزاءِ ذلكَ الوقتِ المديدِ، أو عند وقوعِ داهيةٍ من تلكَ الدواهِي بلْ عند نشرِ الصحفِ إلا أنَّه لما كانَ بعضُ تلك الدَّواهِي من مباديهِ وبعضُها من روادفِه نُسبَ علمُها بذلكَ إلى زمانِ وقوعِ كُلِّها تهويلًا للخطب وتفظيعًا للحال، والمرادُ بمَا أحضرتْ أعمالُها من الخيرِ والشرِّ وبحضورِها إما حضورُ صحائِفها كما يعربُ عنه نشرُها وإما حضورُ أنفسِها على ما قالُوا من أنَّ الأعمالَ الظاهرةَ في هذه النشأةِ بصور عرضيةٍ تبرزُ في النشأة الآخرةِ بصور جوهريةٍ مناسبةٍ لها في الحسنِ والقُبحِ على

= أم سلمة ومن حديث عائشة، وأخرجه بلفظ «إنكم محشورون حفاةً عراةً» البخاري في كتاب الأنبياء باب (٨)، وكتاب التفسير سورة (٥) باب (١٤، ١٥) والسورة (٢١) باب (٢) وفي كتاب الرقاق باب (٤٥) كما أخرجه مسلم في كتاب الجنة حديث (٥٨) والترمذي في كتاب القيامة باب (٣) وكتاب التفسير سورة (٢١) باب (٤) والنسائي في كتاب الجنائز باب (١١٩) وأحمد في المسند (٣/٥).

(١) قرأ بها: ابن مسعود.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٤٣٤)، والتبيان للطوسي (١٠/ ٢٨٣).

(٢) قرأ بها: ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم، وحمزة، والكسائي، وخلف، وعلي، وشعبة، ويحيى، ويعقوب، والأعمش.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٣٤)، والإعراب للنحاس (٣/ ٦٣٦)، والبحر المحيط (٨/ ٤٣٤).

كيفياتٍ مخصوصةٍ وهيئاتٍ مُعينةٍ حتى إنَّ الذنوبَ والمعاصيَ تتجسمُ هناكَ[١] وتتصورُ بصورةِ النَّارِ. وعَلى ذلكَ حُملَ[٢] قولُه تعالى: ﴿وإنَّ جهنَم لمحيطةٌ بالكافرينَ﴾ [سورة التوبة، الآية ٤٩. وسورة العنكبوت، الآية ٥٤] وقولُه تعالَى: ﴿إنَّ الذينَ يأكلونَ أموالَ اليتامى ظُلمًا إنما يأكلُونَ في بطونِهم نارًا﴾ [سورة النساء، الآية ١٠] وكذا قولُه عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ في حقِّ من يشربُ من آنيةِ الذهبِ والفضَّةِ (إنما يُجرجرُ في بطنِه نارَ جهنمَ) ولا بُعدَ في ذلكَ، ألا يرى أن العلمَ يظهرُ في عالمِ المثالِ على صُورةِ اللبنِ كما لا يَخْفى على مَنْ له خبرةٌ بأحوالِ الحضرات الخمس وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه يؤتى بالأعمال الصالحةِ على صورٍ حسنةٍ وبالأعمال السيئةِ على صورٍ قبيحةٍ فتوضعُ في الميزان وأيا ما كانَ فإسنادُ إحضارِها إلى النفسِ مَعَ أنَّها تحضرُ بأمرِ الله تعالى كما ينطقُ به قولُه تعالى: ﴿يومَ تجدُ كلُّ نفسٍ ما عملتْ من خيرٍ مُحضر﴾ [سورة آل عمران، الآية ٣٠] الآيةَ لأنَّها لمَّا عمِلَتها في الدُّنيا فكأنَّها أحضرتْهَا في الموقفِ ومَعْنى علمِها بها حينئذٍ أنها تُشاهدُها على ما هيَ عليه في الحقيقة فإنْ كانتْ صالحةً تشاهدُها على صور أحسنَ ممَّا كانتْ تشاهدها عليه في الدنيا لأن الطاعات لا تخلو فيها عن نوع مشقة وإن كانت سيئةً تشاهدُها على خلاف ما كانتْ تشاهدُها عليه ههُنا لأنها كانتْ مزينةً لها موافقةً لهواهَا. وتنكيرُ النفسِ المفيدُ لثبوتِ العلمِ المذكورِ لفردٍ من النفوسِ أو لبعضٍ منها للإيذانِ بأن ثبوتَهُ لجميعِ أفرادِها قاطبةً من الظهورِ والوضوحِ بحيثُ لا يكادُ يحومُ حولَهُ شائبةُ اشتباهٍ قطعًا يعرفُه كلُّ أحدٍ ولَو جيءَ بعبارةٍ تدلُّ على خلافِه وللرمزِ إلى أنَّ تلكَ النفوسَ العالمةَ بما ذُكِرَ مع توفرِ أفرادِها وتكثرِ أعدادِها مما يُستقلُّ بالنسبةِ إلى جناب الكبرياءِ الذي أشير إلى بعض بدائعِ شؤونه المنبئةِ عن عظم سُلطانِه، وأما مَا قيلَ منْ أنَّ هذَا من قبيلِ عكسِ كلامِهم الذي يقصدونَ به الإفراطَ فيما يُعكسُ عنْهُ وتمثيله بقولِه تعالى: ﴿رُبَما يودُّ الذينَ كفرُوا لو كانُوا مسلمينَ﴾ وبقول منْ قالَ: [البسيط]

قَدْ أتـركَ الـقِـرْنَ مُـصـفـرا أنـامـلُـهُ ....[٣]

وبقولِ من قالَ حينَ سُئلَ عن عددِ فرسانِه: رُبَّ فارسٍ عندِي، [وعندُه المقانبُ[٤]][٥]، قاصدًا بذلكَ التماديَ في تكثير فُرسانِه وإظهارَ براءتِه من التزيد وأنَّه

---

(١) في ط: هنالك.
(٢) في خ: يحمل.
(٣) تقدم.
(٤) المقنب من الخيل: ما بين الثلاثين إلى الأربعين وقيل زهاء ثلاثمائة، الجماعة من الفرسان.
(٥) في خ: وعند القانب.

ممَّن يقللُ كثيرَ مَا عندَهُ فضلًا أنْ يتزيدَ فمن لوائحِ النظرِ الجليلِ إلا[(١)] أنَّ الكلامَ المعكوسَ عنْهُ فيما ذُكِرَ من الأمثلةِ مما يقبلُ الإفراطَ والتماديَ فيه فإنَّه في الأولِ كثيرًا ما يودُّ وفي الثانِي كثيرًا ما أتركُ[(٢)] وفي الثالث كثيرٌ منَ الفرسانِ وكلٌّ واحدٍ من ذلكَ قابلٌ للإفراطِ والمبالغةِ فيهِ لعدمِ انحصارِ مراتبِ الكثرةِ وقدْ قُصدَ بعكسِه ما ذكر من التمادي[(٣)] في التكثير حسبما فُصِّل أما فيما نحن فيه فالكلام الذي عكس عنْهُ علمتْ كلُّ نفسٍ ما أحضرتْ كما صرَّحَ به القائلُ وليسَ فيه إمكانُ التكثيرِ حتَّى يُقصدَ بعكسِه المبالغةُ والتَّمادِي فيهِ وإنما[(٤)] الذي يمكنُ فيه من المبالغةِ ما ذكرناهُ فتأملْ. ويجوزُ أنْ يكونَ ذلكَ للإشعارِ بأنَّه إذا علمتْ حينئذٍ نفسٌ من النفوسِ ما أحضرتْ وجبَ على كلِّ نفسٍ إصلاحُ عملِها مخافةَ أنْ تكونَ [هيَ][(٥)] تلكَ التي علمتْ ما أحضرتْ فكيفَ وكلُّ نفسٍ تعلمُه[(٦)] على طريقةِ قولِك لمن تنصحُه لعلكَ ستندمُ على ما فعلتَ ورُبَّما ندمَ الإنسانُ على ما فعلَ فإنك لا تقصدُ بذلكَ أنَّ ندمَهُ مرجوُّ الوجودِ لا متيقنٌ بهِ أو نادرُ الوقوعِ [بلْ تريدُ][(٧)] أنَّ العاقلَ يجبُ عليهِ أنْ يجتنبَ أمرًا يُرجى فيهِ الندمُ أو قلَّما يقعُ فيهِ فكيفَ بهِ إذَا كانَ قطعَي الوجودِ كثيرَ الوقوعِ.

﴿فَلاَ أُقسمُ بالخُنَّسِ﴾ [أي][(٨)] الكواكبِ الرواجع مِنْ خَنَسَ إذَا تأخرَ وهيَ[(٩)] ما عَدَا النيرينَ منَ الدَّرارِي[(١٠)] الخمسةِ وهيَ بهرامُ وزُحَلُ وعُطَارِدُ والزُّهْرَةُ والمُشتَرى وُصفتْ بقولِه تعالَى: ﴿الجوارِ الكُنَّس﴾ لأنها تَجْري مع الشمسِ والقمرِ وترجعُ حتَّى تختفي تحتَ ضوءِ الشمسِ فخنُوسها[(١١)] رجوعُها وكنوسُها[(١٢)] اختفاؤُها تحتَ ضوئِها من كنسَ الوحشُ إذا دخلَ كُناسَهُ وهو البيتُ الذي يتخذهُ من أغصانِ الشجرِ وقيل هي جميعُ الكواكبِ تخنِسُ بالنهار فتغيبُ عنِ العُيونِ وتكنسُ بالليل أي تطلعُ في أماكنِها كالوحشِ في كُنُسِها. ﴿والليلِ إذَا عَسْعَس﴾ أي أدبرَ[(١٣)] ظلامُه أو أقبلَ[(١٤)]، فإنَّه منَ الأضْدادِ وكذلكَ سعسعَ[(١٥)] قالَ الفراءُ أجمعَ المفسرونَ على أنَّ معنى عسعسَ أدبرَ وعليه قولُ العَجَّاجِ[(١٦)] [الرجز]:

(١) في خ: لما.
(٢) في خ: ترك.
(٣) في خ: التمادي من.
(٤) في خ: وأما.
(٥) سقط في خ.
(٦) في خ: بعلمه.
(٧) سقط في خ.
(٨) سقط في خ.
(٩) في خ: وهذا.
(١٠) في خ: والزراري.
(١١) في خ: فحبسها.
(١٢) في خ: كنوسها.
(١٣) في خ: دبر.
(١٤) في خ: أقبل عليه.
(١٥) في خ: شعشع.
(١٦) زاد في خ: حيث قال فيه.

حَتَّى إِذَا الصُّبْحُ لَهَا تَنَفَّسَا وَانجَابَ[١] عَنها لَيلُها وعَسْعَسَا[٢]

[وقيلَ هيَ لغةُ قريشٍ خاصَّة وقيلَ: مَعْنى إقبالِ ظلامِه أوفقُ لقولِه تعالى:][٣] ﴿والصبحِ إذَا تنفسَ﴾ لأنَّه أولُ النهارِ وقيل: إدبارُه أقربُ من تنفسِ الصبحِ ومعناهُ أنَّ الصبحَ إذَا أقبلَ يقبلُ بإقبالِه رَوحٌ [و][٤] نسيمٌ فجعلَ ذلكَ نفسًا لَهُ مجازًا فقيلَ تنفَّسَ الصبحُ. ﴿إنَّه﴾ أي القرآنَ الكريمَ الناطقَ بما ذُكِرَ من الدَّواهِي الهائلةِ ﴿لقولُ رسولٍ كريمٍ﴾ هو جبريلُ عليهِ السَّلامُ قالَه من جهةِ الله عزَّ وجلَّ ﴿ذِي قوةٍ﴾ شديدةٍ كقولِه تعالَى ﴿شديدُ القُوَى﴾ [سورة النجم، الآية ٥] وقيلَ المرادُ القوةُ في أداءِ طاعةِ الله تعالَى وتركِ الإخلالِ بَها من أولِ الخلقِ إلى آخرِ زمانِ التكليفِ ﴿عندَ ذي العرشِ مكينٍ﴾ ذِي مكانةٍ رفيعةٍ عندَ الله تعالى عندية إكرامٍ وتشريفٍ لا عنديةَ مكانٍ ﴿مُطاعٍ﴾ فيما بينَ ملائكتِه المقربينَ يصدرُون عن أمرِه ويرجعونَ إلى رأيه ﴿ثَمَّ أمينٍ﴾ على الوَحْي، وثَمَّ ظرفٌ لما قبلَهُ وقيلَ: لما بعدَهُ. وقرئ (ثُمَّ)[٥]، تعظيمًا لوصفِ الأمانةَ وتفضيلًا لها على سائرِ الأَوْصَافِ ﴿ومَا صَاحِبُكم﴾ هو رسولُ الله ﷺ ﴿بمجنونٍ﴾ كما تبهتُه الكفرةُ والتعرضُ لعنوانِ المصاحبةِ للتلويحِ بإحاطتِهم بتفاصيلِ أحوالِه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ خبرًا، وعلمُهم بنزاهتِه عليه السَّلامُ عمَّا نسبُوه إليهِ بالكليةِ.

وقد استُدلَّ بهِ على فضلِ جبريلَ عليه [عليهما][٦] السَّلامُ للتباين البينِ بين وصفيهما، وهو ضعيفٌ إذِ المقصودُ ردُّ قولِ الكفرةِ في حقِّهِ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ: ﴿إنما يعلمه بشرٌ﴾ [سورة النحل، الآية ١٠٣] ﴿أفترى على الله كذبًا أم بهِ جِنَّة﴾ [سورة سبأ، الآية ٨] لا تعدادُ فضائلِهما والموازنةُ بينهُما.

﴿ولقد رآهُ﴾ أي وبالله لقد رأى رسولُ الله جبريلَ عليهما الصَّلاةُ والسَّلامُ ﴿بالأفقِ المبينِ﴾ بمطلعِ الشمسِ الأَعْلى ﴿وما هُو﴾ أي رسولُ الله ﷺ ﴿على الغيبِ﴾ على ما يخبرُه من الوَحْي إليهِ وغيرِه من الغيوبِ ﴿بضنينٍ﴾ أي ببخيلٍ لا يبخلُ بالوَحْي ولا يُقصِّرُ في التبليغ والتعليمِ. وقرئ بظنينٍ[٧] أي بمتهمٍ من الظنة وهي التهمةُ ﴿ومَا هُو

---

(١) في خ: إنجاب.

(٢) الرجز للعجاج في ديوانه، ص (١٢٩)، واللباب في علوم الكتاب (٢٠/ ١٨٧)، ولعلقمة ابن قرط في البحر المحيط (٨/ ٤٢٢).

(٣) سقط في خ. (٤) سقط في خ.

(٥) قرأ بها: أبو جعفر، وأبو حيوة، وأبو البرهسم، وابن مقسم.
ينظر: الإملاء للعكبري (٢/ ١٥٢)، والبحر المحيط (٨/ ٤٣٤)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٢٢٣).

(٦) سقط في خ.

(٧) قرأ بها: ابن كثير، وأبو عمرو، والكسائي، ورويس، وابن محيصن، واليزيدي، وابن عباس، وابن =

بقولِ شيطانٍ رجيمٍ﴾ أي قولِ[١] بعضِ المُسترقةِ للسمعِ وهو نفيٌ لقولِهم[٢] إنَّه كهانةٌ وسحرٌ.

﴿فأينَ تذهبونَ﴾ استضلالٌ لهم فيما يسلكونَهُ في أمرِ القرآنِ والفاءُ لترتيبِ ما بعدَهَا على ما قبلَها من ظهورِ أنَّه وحيٌ مبينٌ، وليسَ ممَّا يقولونَ في شيءٍ كما تقولُ لمن تركَ الجادَّةَ بعدَ ظهورِها هذا الطريقُ الواضحُ فأينَ تذهبُ **﴿إنْ هُو﴾** ما هُو **﴿إلا ذِكرٌ للعالمينَ﴾** موعظةٌ وتذكيرٌ لهم. وقولُه تعالَى **﴿لمنْ شاءَ منكُم﴾** بدلٌ من العالمينَ بإعادةِ الجارِّ.

وقولُه تعالَى: **﴿أنْ يستقيمَ﴾** مفعولُ [شاءَ أيْ][٣] لمَنْ [شاءَ منكُم][٤] الاستقامةَ بتحرِّي الحقِّ وملازمةِ الصوابِ. وإبدالُه منَ العالمينَ لأنَّهم المنتفعونَ بالتذكيرِ **﴿وما تشاءونَ﴾** أي الاستقامةَ مشيئةً مستتبعةً لها في وقتٍ من الأوقاتِ **﴿إلا أنْ يشاءَ الله﴾** أي إلا وقتَ أنْ يشاءَ الله تعالَى تلكَ المشيئةَ أي المستتبِعة للاستقامةِ[٥]، فإن مشيئتَكُم لا تستتبعُها بدون مشيئةِ الله تعالى لها **﴿ربُّ العالمينَ﴾** مالكُ الخلقِ ومربيهم أجمعينَ.

عن رسولِ الله ﷺ[٦]: «**منْ قرأَ سورةَ التكويرِ أعاذَهُ الله أنْ يفضحَهُ حينَ تُنشرُ صحيفتُه**»[٧].

= الزبير، وعائشة، وابن مسعود، وزيد بن ثابت، وعروة، وابن عمر، وعمر بن عبد العزيز، وابن جبير، وهشام بن جندب، ومجاهد، وابن مهران، وروح.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٣٤)، والإعراب للنحاس (٣/ ٦٤٠)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٥٢)، والبحر المحيط (٨/ ٤٣٥)، والتيسير للداني ص (٢٢٠)، والغيث للصفاقسي ص (٣٨١).

(١) في خ: يقول.
(٢) في خ: قولهم.
(٣) سقط في خ.
(٤) في خ: يشاء منكم أي لمن يشاء.
(٥) في خ: للإقامة.
(٦) في خ: ما جاء في فضائل هذه السورة ما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال:
(٧) تقدم تخريجه.

سورةُ الانفطار(١)

مكيةٌ وآيُها تسعَ عشرةَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ
﴿٤﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ
فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ
لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي
جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَا
أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا ۖ وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾

﴿إِذَا السماءُ انفطرتْ﴾ أي انشقتْ لنزول الملائكةِ، كقولِه تعالَى: ﴿ويومَ تشققُ السماءُ بالغمامِ ونُزل الملائكةُ تنزيلًا﴾ [سورة الفرقان، الآية ٢٥] وقولُه تعالى: ﴿وفتحتِ السماءُ فكانتْ أبوابًا﴾ [سورة النبأ، الآية ١٩] والكلامُ في ارتفاعِ السماءِ كما مرَّ في ارتفاعِ الشمسِ ﴿وإذا الكواكبُ انتثرتْ﴾ أي تساقطتْ متفرقةً ﴿وإذا البحارُ فجرتْ﴾ فُتِحَ بعضُها إلى بعضٍ فاختلطَ العذبُ بالأُجاجِ، [وزالَ ما بينهما من البرزخِ](٢) الحاجزِ وصارتِ البحارُ بَحْرًا واحِدًا ورُوِيَ أن الأَرضَ تنشفُ الماءَ بعد امتلاءِ البحارِ فتصيرُ مستويةً وهو مَعْنى التسجيرِ(٣) عند الحسنِ رضيَ اللهُ عنه، وقيلَ: إنَّ مياه البحارِ الآنَ راكدةٌ مجتمعةٌ فإذَا فجرتْ تفرقتْ وذهبتْ وقرئَ (فُجِرَتْ) بالتخفيفِ مبنيا للمفعولِ(٤) ومبنيا للفاعلِ(٥) أيضًا بمعْنى بغتْ من الفجورِ نظرًا إلى

---

(١) في ط: انفطرت.
(٢) سقط في خ.
(٣) في خ: التجير.
(٤) قرأ بها: مجاهد، والربيع، وابن خثيم، والزعفراني، والثوري.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٤٣٦)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٢٢٧)، وتفسير الرازي (٣١/ ٧١).
(٥) قرأ بها: مجاهد.
ينظر: الكشاف للزمخشري (٤/ ٢٢٧)، وتفسير الرازي (٣١/ ٧٧).

قولِه تعالى ﴿لا يبغيانِ﴾ [سورة الرحمن، الآية ٢٠].

﴿وَإِذَا القبورُ بعثرتْ﴾ أي قُلبَ ترابُها وأُخرجَ موتاهَا ونظيرُه بَحْثر لفظًا ومَعْنى وهُما مركبانِ من البعثِ والبحثِ مع راءٍ ضُمّتْ إليهِمَا.

وقولُه تعالى: ﴿علمتْ نفسٌ ما قدمتْ وأخرتْ﴾ جوابُ إذا لكنْ لاَ على أنَّها تعلمُه عندَ البعثِ بل عند نشرِ الصحفِ لما عرفتَ من أنَّ المرادَ بها زمانٌ واحدٌ مبدؤُه النفخةُ الأُولى ومنتهاهُ الفصلُ بينَ الخلائقِ لا أزمنةٌ معتددة حسب تعددِ كلمةِ إذَا وإنما كُررتْ لتهويلِ ما في حيزهَا من الدَّواهِي، والكلامُ فيها كالذي مرَّ تفصيلُه في نظيرِهما ومَعْنى ما قَدَّم وأخَّر ما أسلفَ[1] من عملِ خيرٍ أو شرٍّ، [وأخَّر][2] من سُنَّةٍ حسنةٍ أو سيئةٍ يُعملُ بها بعدَهُ قالَه ابنُ عباسٍ وابنُ مسعودٍ، وعن ابن عباسٍ أيضًا: ما (قدمَ)[3] منْ معصيةٍ وأخَّر من طاعةٍ وهو قولُ قتادةٍ وقيلَ: ما [قدمَ من أمواله لنفسه وما أخَّر لورثته][4]، وقيل ما قدَّم من فرضٍ و[أخَّر من فرضٍ][5]، وقيل: أولُ عملِه وآخرُهُ ومعنى علمِها بهما علمها التفصيليُّ حسبما ذُكِرَ فيما مرَّ مرارًا ﴿يا أيُّها الإنسانُ ما غركَ بربِّكَ الكريمِ﴾ أيْ أيُّ شيءٍ خدعكَ[6] وجرَّأك على عصيانِه وقد علمتَ ما بينَ يديكَ منَ الدواهِي التامَّةِ والعراقيلِ الطَّامة وما سيكونُ حينئذٍ من مُشاهدةِ أعمالِك كُلِّها. والتعرضُ لعنوانِ كرمِه تعالَى للإيذانِ بأنَّه ليسَ مما يصلُح أن يكونَ مدارًا لاغترارِه حسبَما يغويهِ الشيطانُ ويقولُ له افعلْ ما شئتُ فإنَّ ربكَ كريمٌ قد تفضلَ عليكَ في الدُّنيا وسيفعلُ مثلُه في الآخرةِ فإنَّه قياسٌ عقيمٌ وتمنيةٌ باطلةٌ بل هُو ممَّا يوجبُ المبالغةَ في الإقبالِ على الإيمانِ والطاعةِ والاجتنابِ عن الكفرِ والعصيانِ كأنَّه قيلَ: ما حملكَ على عصيانِ ربِّكَ الموصوفِ بالصفاتِ الزاجرةِ عنهُ الداعيةِ إلى خلافِه.

وقولُه تعالى ﴿الذي خلقكَ فسوَّاك فعدلكَ﴾ صفةٌ ثانيةٌ مقررةٌ للربوبيةِ مبينة للكرم[7] منبهةٌ على أنَّ منْ قدرَ على ذلكَ بدءًا قدرَ عليه إعادةً، والتسويةُ جعلُ الأعضاءِ سليمةً سويةً مُعدةً لمنافعها[8] وعدلها عدلَ بعضِها ببعضٍ بحيثُ اعتدلتْ ولَم تتفاوتْ أو صَرْفُها عن خِلْقةٍ غيرِ ملائمةٍ لها. وقرئ فعدّلكَ بالتشديدِ[9] أيْ صيَّـركَ

---

(١) في خ: سلف.
(٢) سقط في خ.
(٣) في خ: تقدم.
(٤) في خ: تقدم من أحواله لنفسه.
(٥) سقط في خ.
(٦) في خ: حولك.
(٧) في خ: لكرم.
(٨) في خ: منافعها.
(٩) قرأ بها: أبو عمرو، وابن عامر، وابن كثير، ونافع، وأبو جعفر، ويعقوب، وأبو عبيد، وأبو حاتم.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٣٤)، والإعراب للنحاس (٣/ ٦٤٤)، والتيسير للداني ص =

مُعتـدلًا متناسبَ[١] الخلقِ من غير تفاوتٍ فيه ﴿في أيِّ صورةٍ ما شاءَ ركبكَ﴾ أي ركبكَ في أي صورةٍ شاءَهَا من الصور المختلفةِ [ومَا مزيدةٌ وشاءَ صفةٌ لصورةٍ أي ركبكَ في أيِّ صورةٍ شاءَها][٢] واختارَها لكَ من الصورِ العجيبةِ الحسنةِ كقولِه تعالَى: ﴿لقد خلقنَا الإنسانَ في أحسنِ تقويمٍ﴾ [سورة التين، الآية ٤] وإنما لَمْ يعطفْ الجملةَ على ما قبلَها لأنها بيانٌ لعدلكَ.

﴿كَلَّا﴾ ردعٌ عن الاغترارِ بكرمِ الله تعالَى وجعلِه ذريعةً إلى الكفرِ والمعاصِي مع كونِه موجبًا للشكرِ والطاعةِ وقولُه تعالى: ﴿بل تكذبونَ بالدينِ﴾ إضرابٌ عن جملةٍ مقدرةٍ ينساقُ إليها الكلامُ كأَنه قيلَ بعد الردعِ بطريق الاعتراضِ وأنتم لا ترتدعونَ عن ذلكَ بل تجترئونَ على أعظم من ذلكَ حيثُ تكذبونَ بالجزاءِ والبعثِ رأسًا أو بدينِ الإسلامِ الذي هُما من جملةِ أحكامِه فلا تصدقونَ سؤالًا ولا جوابًا ولا ثوابًا ولا عقابًا وقيلَ: كأنه قيل إنكُم لا تستقيمونَ على ما توجبُه [نِعَمِي][٣] عليكُم وإرشادِي لكُم بل تكذبونَ. . .إلخ وقال القفالُ: ليسَ الأمرُ كَما تقولونَ من أنَّه لا بعثَ ولا نشورَ ثم قيلَ: [أنتُم لا][٤] تتبينونَ بهذا البيانِ بل تكذبونَ بيوم الدينِ.

وقولُه تعالى: ﴿وإنَّ عليكم لحافظينَ﴾ حالٌ من فاعلِ تكذبونَ مفيدةٌ لبطلانِ تكذيبِهم وتحققِ ما يكذبونَ بهِ أي تكذبونَ بالجزاءِ والحالُ أنَّ عليكُم من قبلِنا لحافظينَ لأعمالِكم ﴿كرامًا﴾ لدينَا ﴿كاتبينَ﴾ لَها ﴿يعلمونَ ما تفعلونَ﴾ من الأفعالِ قليلًا وكثيرًا ويضبطونَهُ نَقيرًا وقِطْميرًا لتجازوا بذلكَ وفي تعظيمِ الكاتبينَ بالثناءِ عليهم تفخيمٌ لأمرِ الجزاءِ وأنه عندَ الله عزَّ وجلَّ من جلائلِ الأمورِ حيثُ يستعملُ فيه هؤلاءِ الكرامَ وقولُه تعالَى: ﴿إنَّ الأبرارَ لفي نعيمٍ * وإن الفجارَ لفي جحيمٍ﴾ استئنافٌ مسوق لبيان نتيجةِ الحفظِ والكتابِ من الثوابِ والعقابِ وفي تنكيرِ النعيمِ والجحيمِ من التفخيمِ والتهويلِ ما لا يَخْفى.

وقولُه تعالَى: ﴿يصلونَها﴾ إما صفةٌ لجحيم أو استئنافٌ مبنيٌّ على سؤالٍ نشأَ منْ تهويلِها كأنَّه قيلَ: ما حالُهم [فيها][٥]؟ فقيلَ يُقَاسونَ حرَّهَا ﴿يومَ الدينِ﴾ يومَ الجزاءِ الذي كانُوا يكذبونَ بهِ ﴿وما هُم عنَها بغائبينَ﴾ طرفةَ [عينٍ][٦] فإن المرادَ دوامُ نفيِ

= (٢٢٠)، والسبعة لابن مجاهد ص (٦٧٤)، والغيث للصفاقسي ص (٣٨١)، والكشف للقيسي (٢/ ٣٦٤)، والمعاني للفراء (٣/ ٢٤٤).

(١) في خ: لتناسب.
(٢) سقط في خ.
(٣) سقط في خ.
(٤) في خ: إنكم.
(٥) سقط في خ.
(٦) سقط في خ.

الغَيبةِ لا نفي دوامِ الغيبة لما[١] مرَّ مِرارًا من أنَّ الجملةَ [الاسميةَ المنفيةَ][٢] قد يُرادُ بَها استمرارُ النَّفْيِ لا نفيُ الاستمرارِ باعتبارِ ما تفيدُه من الدوامِ والثباتِ بعد النَّفْيِ لا قبلَهُ وقيل: معناهُ وما كانُوا غائبينَ عنها قبلَ ذلكَ بالكليةِ بل كانُوا يجدونَ سمومَها في قبورِهم حسبَما قال النبيُّ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «**القبرُ روضةٌ من رياضِ الجنةِ أو حفرةٌ من حُفَرِ النيرانِ**»[٣].

وقولُه تعالَى: ﴿**وما أدراكَ ما يومُ الدينِ * ثُمَّ ما أدراكَ ما يومُ الدينِ**﴾ تفخيمٌ لشأن يومِ الدينِ الذي يكذبونَ به إثرَ تفخيمٍ وتهويلٌ لأمرِه بعدَ تهويلٍ ببيانِ أنَّه خارجٌ عن دائرةِ درايةِ الخلقِ على أيِّ صورةٍ تصورُوه فهو فوقَها وكيفما تخيلوه فهو أطمُّ من ذلكَ وأعظمُ أيْ وأيُّ شيءٍ جعلكَ داريًا ما يومُ الدينِ، على أنَّ ما الاستفهاميةَ خبرٌ ليومِ الدينِ لا بالعكسُ كما هُو رأي سيبويهِ لما مرَّ من أنَّ مدارَ الافادةِ هُو الخبرُ لا المبتدأُ، ولا ريبَ في أنَّ مناطَ إفادةِ الهولِ والفخامةِ هُنا هو مَا لا يومَ الدينِ أيْ أيُّ شيءٍ عجيبٍ هو في الهولِ والفظاعةِ لما مرَّ غيرَ مرةٍ أن كلمةَ مَا قد يطلبُ بها الوصفُ وإن كانتْ موضوعةً لطلبِ الحقيقةِ وشرحِ الاسمِ يقالُ ما زيدٌ فيقالُ في الجوابِ كاتبٌ أو طبيبٌ وفي إظهارِ يومُ الدينِ في موقعِ الإضمارِ تأكيدٌ لهولِه وفخامتِه.

وقولُه تعالَى: ﴿**يومَ لا تملكُ نفسٌ لنفسٍ شيئًا والأمرُ يومئذٍ لله**﴾ بيانٌ إجماليٌّ لشأن يوم الدينِ إثرَ إبهامِه وبيانِ خروجِه عنْ علومِ الخلقِ بطريقِ إنجازِ الوعدِ فإنَّ نفيَ إدرائِهم مشعرٌ بالوعد الكريم بالإدراءِ قالَ ابنُ عباسٍ رضيَ الله عنهُما: كلُّ ما في القرآنِ من قولِه تعالَى ما أدراكَ فقدْ أدراهُ وكلُّ ما فيهِ من قولِه وما يدريكَ فقد طُويَ عنْهُ. ويوم مرفوعٌ على أنَّه خبرُ مبتدأٍ محذوفٍ وحركتُه[٤] الفتح لإضافتِه إلى غيرِ متمكنٍ كأنَّه قيلَ: هُو يومَ لا يملكُ فيه نفسٌ من النفوسِ شيئًا من الأشياءِ. . .إلخ أو منصوبٌ بإضمار اذكُرْ كأنَّه قيلَ: بعد تفخيمِ أمرِ يوم الدينِ وتشويقِه عليه الصلاةُ والسلامُ إلى معرفتِه اذكُر يومَ لا تملكُ نفسٌ. . .إلخ فإنه يُدريكَ ما هُو وقيلَ بإضمارِ يُدانونَ وليسَ بذاكَ فإنه عارٍ عن إفادةِ ما يفيدُه ما قبلَهُ كما أنَّ [إبدالهُ من][٥] يومِ الدينِ

---

(١) في خ: كما. (٢) في خ: المنفية الاسمية.

(٣) أخرجه الترمذي (٤/ ٦٣٩) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، برقم (٢٤٦٠)، من حديث عطية بن سعد العوفي، عن أبي سعيد.

قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

(٤) في خ: وحركة. (٥) في خ: إبدال.

على قراءةِ [الرفعِ[١] كذلكَ][٢] بل الحقُّ حينئذٍ الرفعُ على أنَّه خبرٌ لمبتدأٍ محذوفٍ.

عنْ رسولِ الله ﷺ: **«منْ قرأَ سورةَ الانفطارِ كتبَ الله تعالَى له بعددِ كلِّ قطرةٍ من السماءِ وبعددِ كلِّ قبرٍ حسنةً»**[٣] والله تعالَى أعلمُ.

---

(١) قرأ بها: ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب، وابن محيصن، واليزيدي، والأعرج، وعبد الله ابن أبي إسحاق، وعيسى، وابن جندب.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٣٥)، والإعراب للنحاس (٣/ ٦٤٦)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٥٢)، والتيسير للداني ص (٢٢٠)، والغيث للصفاقسي ص (٣٨١)، والكشف للقيسي (٢/ ٣٦٤).

(٢) في خ: أن لهم ذلك.

(٣) تقدم تخريجه.

سُورَةُ المطففين

[مكية][1] [مُخْتَلَفٌ فيها][2]، وآيُها ستٌّ وثلاثون

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ (١) ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (٣)
أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ (٤) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (٥) يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٦) كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ
ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ (٧) وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ (٨) كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ (٩) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (١٠) ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ
بِيَوْمِ ٱلدِّينِ (١١) وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (١٢) إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ (١٣) كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ
عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ (١٤) كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ (١٥) ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ (١٦) ثُمَّ يُقَالُ
هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ (١٧) كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ (١٨) وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ (١٩) كِتَٰبٌ
مَّرْقُومٌ (٢٠) يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ (٢١) إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ (٢٢) عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ (٢٣) تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ
نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ (٢٤) يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ (٢٥) خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ (٢٦)
وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ (٢٧) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ (٢٨) إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ
(٢٩) وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ (٣٠) وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ (٣١) وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ
هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ (٣٢) وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ (٣٣) فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ (٣٤) عَلَى
ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ (٣٥) هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ (٣٦)

﴿ويلٌ للمطففينَ﴾ قيلَ: الويلُ شدةُ الشرِّ وقيلَ: العذابُ الأليمُ، وقيلَ: هو وادٍ في جهنَّمَ يهوي فيه الكافرُ أربعينَ خريفًا قبل أنْ يبلغَ قعرهُ، [وقيل وقيلَ][3]، وأيا ما كانَ فهو مبتدأٌ وإنْ كان نكرةً لوقوعِه في موقعِ الدُّعاءِ. والتطفيفُ البخسُ في الكيل والوزنِ لأنَّ ما يُبخسُ شيءٌ طفيفٌ حقيرٌ. ورويَ أنَّ رسولَ الله ﷺ قدم المدينةَ وكانَ أهلُها من أخبثِ الناسِ كيلًا فنزلتْ فأحسنُوا الكيلَ[4]. وقيلَ: قدمَها عليهِ الصلاةُ

(١) سقط في ط.
(٢) سقط في خ.
(٣) سقط في خ.
(٤) أخرجه النسائي في تفسيره (٢/ ٥٠٢) رقم (٦٧٤) وابن ماجه (٢/ ٧٤٨) كتاب التجارات، باب =

والسلامُ وبها رجلٌ يعرفُ بأبي جهينةَ ومعه صاعانِ يكيلُ بأحدِهما ويكتالُ بالآخرِ(١)، وقيلَ: كان أهلُ المدينةِ تجارًا يطففونَ [وكانتْ بياعاتُهم المنابذةَ(٢) والملامسةَ(٣) والمخاطرةَ(٤)](٥) فنزلتْ فخرجَ رسولُ الله ﷺ فقرأَها عليهم(٦)، وقالَ: «**خمس بخمسٍ ما نقض قومٌ العهدَ إلا سلَّط الله عليهم عدوَّهم وما حكمُوا بغيرِ ما أنزلَ الله إلا فشا فيهم الفقرُ وما ظهرتْ فيهم الفاحشةُ إلا فشَا فيهم الموتُ ولا طففُوا الكيلَ إلا مُنِعوا النباتَ وأُخِذوا بالسنينَ ولا منعُوا الزكاةَ إلا حُبِس عنهم القطرُ**»(٧).

= التوقي في الكيل والوزن، حديث (٢٢٢٣).
وابن حبان (٥/ ٤٥٠) حديث (١٧٧٠-موارد) والحاكم (٢/ ٣٣).
والطبراني في الكبير (١١/ ٣٧١) رقم (١٢٠٤١) والواحدي في أسباب النزول ص (٤٧٤) رقم (٨٤٨) والبيهقي في الكبرى (٦/ ٣٢) كتاب البيوع، باب: ترك التطفيف في الكيل.
كلهم من حديث ابن عباس قال: «لما قدم النبي ﷺ المدينة كانوا من أخبث الناس كيلًا فأنزل الله عز وجل «ويل للمطففين» فأحسنوا الكيل بعد ذلك» قال الحافظ: أخرجه النسائي وابن حبان والحاكم من رواية يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما. انتهى.

(١) نقله الواحدي في أسباب النزول ص (٤٧٥) رقم (٨٥٠) ونقله أيضًا في الوسيط (٤/ ٤٤٠).
وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٤/ ١٧٢) للثعلبي قال الحافظ: نقله الثعلبي عن السدي. انتهى.

(٢) المنابذة في التجر: أن يقول الرجل لصاحبه: انبذ إلي الثوب أو غيره من المتاع، أو أنبذُهُ إليك فقد وجب البيع بكذا وكذا وقال اللحياني: المنابذة أن ترمي إليه بالثوب، ويرمي لك بمثله، والمنابذة أيضاً: أن يرمي إليك بحصاة وفي الحديث: أن النبي ﷺ نهى عن المنابذة في البيع والملامسة.

(٣) الملامسة: أن تشتري المتاع بأن تلمسه ولا تنظر إليه. قال أبو عبيد: الملامسة أن يقول: إنْ لَمَسْتَ ثوبي أو لَمِسْتُ ثوبك أو إذا لمست المبيع فقد وجب البيع بيننا بكذا وكذا، وهذا البيع مع ما سبقه كله غرر وقد نُهي عنه.

(٤) وردت في الأصل المخاطرة والصحيح هو المخاضرة وهي من أنواع البيع كالمنابذة والملامسة ومعناها بيع الثمار وهي خضر لم يبدُ صلاحها وقد نُهي عنه ويدخل فيه بيع الرطاب والبقول وأشباهها.

(٥) سقط في خ.

(٦) قال الزيلعي (٤/ ١٧٢): غريب ولم أجده. انتهى.

(٧) رواه الحاكم في المستدرك (٢/ ١٢٦) كتاب الجهاد عن بريدة رضي الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ ما نقض قوم العهد قط إلا كان القتل بينهم ولا ظهرت الفاحشة في قوم قط إلا سلط الله عليهم الموت، ولا منع قوم الزكاة إلا حبس الله عنهم القطر».
قال الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٤/ ١٧٢).
وروى الطبراني في معجمه من حديث إسحاق بن عبد الله بن كيسان: حدثني أبي عن الضحاك بن مزاحم عن مجاهد وطاوس عن ابن عباس مرفوعًا نحوه وقال فيه: «ولا طففوا إلا منعوا النبات وأخذوا بالسنين».

وقولُه تعالَى: ﴿الذين إذا اكتالُوا على النَّاسِ يستوفونَ﴾ إلخ صفةٌ كاشفةٌ للمطففين شارحةٌ لكيفية تطفيفِهم الذي استحقُّوا بهِ الذمَّ والدعاءَ بالويل أي إذَا اكتالُوا منَ النَّاسِ مكيلَهم بحكم الشراءِ ونحوِهِ يأخذونَهُ وافيًا وافرًا وتبديلُ كلمةِ عَلَى بمِنَ لتضمينِ الاكتيالِ مَعْنى[(١)] الاستيلاءِ أو للإشارةِ إلى أنَّه اكتيالٌ مضرٌّ بهم لكنْ لاَ علَى اعتبارِ الضررِ في حيزِ الشرطِ الذي يتضمنُه كلمةُ إذَا لإخلالِه بالمَعْنى بلْ في نفسِ الأمرِ بموجبِ الجوابِ فإنَّ المرادَ بالاستيفاءِ ليسَ أخذَ الحقِّ وافيًا من غيرِ نقصٍ بل مجردُ الأخذِ الوافِي الوافِر حسبما أرادُوا بأيِّ وجهٍ تيسرَ من وجوهِ الحيلِ وكانُوا يفعلونَهُ بكبسِ المكيلِ وتحريكِ المكيالِ[(٢)] والاحتيالِ في ملئهِ وأما ما قيلَ: من أنَّ ذلكَ للدلالةِ على أنَّ اكتيالَهُم لمَا لَهُم على النَّاسِ[(٣)] فمعَ اقتضائِه لعدمِ شمولِ الحكمِ لاكتيالِهم قبلَ أنْ يكونَ لهم على الناسِ شيءٌ بطريقِ الشراءِ ونحوِه معَ أنَّه الشائع فيما بينَهم يقتضِي أنْ يكونَ معنى الاستيفاءِ أخذُ ما لهم عليهم وافيًا من غيرِ نقصٍ إذْ هُو المتبادرُ منه عند الإطلاقِ في معرضِ الحقِّ فلا يكونُ مدارًا لذمِّهم والدعاءِ عليهم وحملِ ما لهم عليهم على مَعْنى ما سيكونُ لهم عليهم مع كونِه بعيدًا جدًّا مما لا يُجدي نفعًا فإنَّ اعتبارَ كونِ المكيلِ لهم حالًا كان أو مآلًا يستدعِي كونَ الاستيفاءِ بالمعنى المذكورِ حَتْمًا وهكذا حالُ ما نُقلَ عنِ الفرَّاءِ من أنَّ مِنْ وعَلَى تعتقبانِ في هذا الموضعِ لأنَّه حقٌّ عليهِ فإذَا قال اكتلتُ عليكَ فكأنَّه قال أخذتُ ما عليكَ وإذا قالَ اكتلتُ منكَ فكقولِه استوفيتُ منكَ فتأملْ.

وقد جُوِّز أنْ تكونَ على متعلقةً بـ (يستوفونَ) ويكون[(٤)] تقديمُها على الفعلِ لإفادة الخصوصيةِ أي يستوفونَ على النَّاسِ خاصَّة فأما أنفسُهم فيستوفونَ لها وأنتَ خبيرٌ بأنَّ القصرَ بتقديم الجارِّ والمجرورِ وإنما يكونُ فيما يمكنُ تعلقُ الفعلِ بغير المجرورِ أيضًا حسبَ تعلقِهِ به فيقصد بالتقديم قصرُه عليه بطريقِ القلبِ أو الإفرادِ أو التعيينِ حسبما يقتضيهِ المقامُ، ولا ريبَ في أنَّ الاستيفاءَ الذي هو عبارةٌ عن الأخذ الوافي مما لا يتصورُ أن يكونَ على أنفسهم حَتَّى يقصد بتقديم الجارِّ والمجرورِ قصرُه على النَّاسِ على أنَّ الحديثَ واقعٌ في الفعلِ لا فيما وقعَ عليهِ فتدبرْ. والضميرُ البارزُ في قولِه تعالى ﴿وإذا كالُوهم أو وزنوهُم﴾ للنَّاسِ أيْ إذ كالُوا لهم أو وزنُوا لهم للبيعِ ونحوِه ﴿يُخسرونَ﴾ أي ينقصونَ يقالُ خسِر الميزانَ وأخسرَهُ فحذفَ الجارَّ وأوصلَ الفعلَ

---

(١) في خ: و.
(٢) في خ: الكيل.
(٣) زاد في خ: من طريق الشهادة.
(٤) في خ: فيكون.

كما في قولِه:

وَلَقَدْ جَنَيْتُكَ أَكْمُؤًا[١] وعَسَاقِلًا ....[٢]

أي جنيتُ لكَ، وجعلُ البارزِ تأكيدًا للمستكنِّ مما لا يليقُ بجزالةِ التنزيلِ ولعلَّ ذكرَ الكيلِ والوزنِ في صورةِ الإخسارِ والاقتصار على الاكتيالِ في صورةِ الاستيفاءِ لما أنهم لم يكونوا متمكنينَ من الاحتيالِ عند الاتزانِ[٣] تمكنهم منه عند الكيلِ والوزنِ[٤]، وعدمُ التعرضِ للمكيلِ والموزونِ في الصورتينِ لأن مساقَ الكلامِ[٥] لبيانِ سوءِ معاملتِهم في الأخذِ والإعطاءِ لا في خصوصيةِ المأخوذِ والمُعطَى.

وقولُه تعالَى: ﴿ألا يظنُّ أولئكَ أنَّهم مبعوثونَ﴾ استئنافٌ واردٌ لتهويلِ ما ارتكبُوه من التطفيفِ والتعجيبِ من اجترائِهم عليهِ وأولئكَ إشارةٌ إلى المطففينَ ووضعُه موضعَ ضيمرِهم للإشعارِ بمناطِ الحُكمِ الذي هُو وصفُهم فإنَّ الإشارةَ إلى الشيءِ متعرضةٌ له من حيثُ اتِّصافُه بوصفِه وأما الضميرُ فلا يتعرضُ لوصفِه وللإيذانِ بأنَّهم ممتازونَ بذلكَ الوصفِ القبيحِ عن سائرِ النَّاسِ أكملَ امتيازٍ نازلونَ منزلةَ المشارِ إليها إشارةً حسيةً، وما فيهِ منَ مَعْنى البُعدِ للإشعارِ ببُعدُ درجتِهم في الشَّرارةِ والفسادِ أي ألا يظنُّ أولئكَ الموصوفونَ بذلكَ الوصفِ الشنيعِ الهائلِ أنَّهم مبعوثونَ ﴿ليوم عظيم﴾ لا يُقادَرُ قدرُ عِظَمِه وعِظَمِ ما فيهِ ومحاسبونَ [فيهِ][٦] على مقدارِ الذرةِ والخردلةِ فإنَّ من يظنُّ ذلكَ وإن كان ظنًّا ضعيفًا متاخمًا للشكِّ والوهمِ لا يكادُ يتجاسرُ على أمثالِ هاتيكَ القبائحِ فكيفَ بمن تيقنَه.

و[قولُه تعالَى][٧]: ﴿يومَ يقومُ الناسُ لربِّ العالمينَ﴾ أي لحُكمِه وقضائِه منصوبٌ

---

(١) في خ: المرء.

(٢) صدر بيت وعجزه:

.... ولقد نهيتك عن بنات الأوبر

والبيت بلا نسبة في الاشتقاق ص (٤٠٢)، والإنصاف (١/ ٣١٩)، وأوضح المسالك (١/ ١٨٠)، وتخليص الشواهد ص (١٦٧)، وجمهرة اللغة ص (٣٣١)، والخصائص (٣/ ٥٨)، وشرح التصريح (١/ ١٥١)، وشرح شواهد المغني (١/ ١٦٦)، وشرح ابن عقيل ص (٩٦)، ولسان العرب (٢/ ٢١) (جوت)، (٤/ ١٧٠)، (حجر) (٤/ ٣٨٥) «سور»، (٤/ ٦٢٢)، «عير»، (٥/ ٢٧١)، «وبر»، (٦/ ٢٧١) «جحش»، (١١/ ٧) «أبل»، (١١/ ١٥٩) «حفل»، (١١/ ٤٤٨) «عقل» (١٢/ ١٨) «اسم» (١٤/ ١٥٥)، «جني»، (١٥/ ٣٠٩) «نجا»، والمحتسب (٢/ ٢٢٤)، ومغني اللبيب (١/ ٥٢، ٢٢٠)، والمقاصد النحوية (١/ ٤٩٨)، والمقتضب (٤/ ٤٨)، والمنصف (٣/ ١٣٤).

(٣) في خ: العمران.

(٤) زاد في خ: في صورة.

(٥) في خ: بالكلام.

(٦) سقط في خ.

(٧) سقط في خ.

بإضمارِ أعنِي وقيلَ بمبعوثونَ أو مرفوعُ المحلِّ خبرًا [لمبتدإٍ مضمرٍ أو مجرورٌ بدلًا من يوم عظيم مبنيٌّ على الفتح لإضافتِه إلى الفعلِ وإنْ كانَ مضارعًا كما هو رأيُ الكوفيينَ ويؤيد الأخيرينِ القَراءةُ][1] بالرفعِ وبالجرِّ. وفي هَذا الإنكارِ والتعجيبِ وإيرادِ الظنِّ ووصفِ اليومِ بالعِظَمِ وقيامِ الناسِ فيه كافَّةً لله تعالَى خاضعينَ ووصفِه تعالَى بربوبيةِ العالمينَ من البيانِ البليغِ لعظمِ الذنبِ وتفاقمِ الإثمِ في التطفيفِ وأمثالِه ما لا يَخْفى ﴿كلاَّ﴾ ردعٌ عما كانُوا عليهِ من التطفيفِ والغفلةِ عن البعثِ والحسابِ وقوله تعالى: ﴿إنَّ كتاب الفجار لفي سجين﴾ إلخ. تعليل للردع أو وجوب الارتداعِ بطريقِ التحقيقِ وسجينٌ علمٌ لكتابٍ جامعٍ هو ديوانُ الشرِّ دُوِّنَ فيه أعمالُ الشياطينِ وأعمالُ الكفرةِ والفسقةِ من الثقلينِ، منقولٌ من وصفٍ كحاتمٍ، وأصلُه فِعِّيلٌ من السجنِ وهو الحبسُ والتضييقُ لأنَّه سببُ الحبسِ والتضييقِ في جهنَّمَ أو لأنَّه مطروحٌ كما قيلَ تحتَ الأرضِ السابعةِ في مكانٍ مُظلمٍ موحشٍ، [وهو][2] مسكنُ إبليسَ وذريتِه فالمَعْنى أنَّ كتابَ الفجَّارِ الذينَ من جُمْلتِهم المطففونَ أي ما يكتبُ من أعمالِهم أو كتابةَ أعمالِهم لفي ذلكَ الكتابِ المُدونِ فيه قبائحُ أعمالِ المذكورينَ.

وقولُه تعالَى: ﴿وما أدراكَ ما سِجِّينٌ﴾ تهويلٌ لأمرِه أي هُو بحيثُ لا يبلغه درايةُ أحدٍ.

وقولُه تعالى: ﴿كتابٌ مرقومٌ﴾ أي مسطورٌ بينُ الكتابةِ أو معلَّمٌ يعلُم مَنْ رآهُ أنه لا خيرَ فيه وقيلَ: هو اسمُ المكانِ والتقديرُ ما كتابُ السجينِ أو محلُّ كتابٍ مرقومٍ. وقولُه تعالى: ﴿ويلٌ يومئذٍ للمكذبينَ﴾ متصلٌ بقولِه تعالى: ﴿يومَ يقومُ النَّاسُ لربِّ العالمينَ﴾ [سورة المطففين، الآية ٦] وما بينهما اعتراضٌ وقولُه تعالى: ﴿الذين يكذِّبونَ بيومِ الدينِ﴾ إما مجرورٌ على أنه صفةٌ ذامةٌ للمكذبينَ أو بدلٌ منه أو مرفوعٌ أو منصوبٌ على الذمِّ.

﴿وما يكذبُ به إلا كلُّ معتدٍ﴾ [أي متجاوز عن حدودِ النَّظرِ والاعتبارِ غالٍ في التقليدِ حتَّى استقصرَ قُدرةَ الله تعالى وعلمَهُ عنِ الإعادةِ مع مشاهدتِه للبدءِ][3] ﴿أثيم﴾ أي منهمكٍ في الشهواتِ المخدجةِ الفانيةِ بحيثُ شغلتْهُ عمَّا وراءَها منَ اللذاتِ التامةِ الباقيةِ وحملتْه على إنكارِها.

﴿إذَا تُتلى عليه آياتُنا﴾ الناطقةُ بذلكَ ﴿قال﴾ من فرطِ جهلِه وإعراضِه عن الحقِّ الذي لا محيدَ عنْهُ ﴿أساطيرُ الأولينَ﴾ أي هي حكاياتُ الأولينَ قال الكلبيُّ المرادُ

---

(١) في خ: مبتدأ.
(٢) سقط في خ.
(٣) سقط في خ.

بالمُعتدي الأثيمِ هو الوليدُ بنُ المغيرةِ، وقيلَ: النَّضرُ بنُ الحارثِ، وقيلَ عامٌّ لكلِّ مَنِ اتصفَ بالأوصافِ المذكورةِ، وقرئَ (إذَا يُتلى)[1] [بتذكيرِ الفعلِ، وقرئَ (أَإِذَا تُتلى)[2]][3] على الاستفهامِ الإنكاريِّ ﴿كلا﴾ ردعٌ للمعتدي الأثيمِ عن ذلكَ القولِ الباطلِ وتكذيبٌ له فيهِ.

وقولُه تعالَى: ﴿بلْ رانَ على قلوبِهم ما كانُوا يكسبونَ﴾ بيانٌ لما أدَّى بهم إلى التفوهِ بتلكَ العظيمةِ أي ليسَ في آياتِنا ما يصحُّ أنْ يقالَ في شأنِها مثلُ هذه المقالاتِ الباطلةِ بلْ رَكِبَ على قلوبِهم وغلبَ عليها ما كانُوا يكسبونَها من الكفرِ والمعاصِي حتى صارتْ كالصدأِ في المرآةِ فحالَ ذاكَ بينهم وبينَ معرفةِ الحقِّ كما قال ﷺ: «إنَّ العبدَ كلما أذنبَ ذنبًا حصلَ في قلبِه نكتةٌ سوداءُ حتى يسودَّ قلبُه»[4]. ولذلكَ قالُوا ما قالُوا والرينُ الصدأُ يقالُ رانَ عليهِ الذنبُ وغانَ عليهِ رينًا وغينًا، ويُقالُ رانَ فيه النومُ أي رسخَ فيهِ، وقرئَ بإدغامِ اللامِ في الراءِ[5] ﴿كلَّا﴾ ردعٌ وزجرٌ عن الكسبِ الرائنِ ﴿إنَّهم عن ربِّهم يؤمئذٍ لمحجوبونَ﴾ فَلا يكادونَ يَرَونَهُ بخلافِ المؤمنينَ، وقيلَ: هو تمثيلٌ لإهانتِهم بإهانةِ من يُحجبُ عن الدخولِ على الملوكِ. وعن ابنِ عبَّاسٍ وقَتَادةَ وابنِ أبي مليكةَ: محجوبونَ عن رحمتِه، وعن ابنِ كيسانَ: عن كرامتِه. ﴿ثم إنَّهم لصالُو الجحيم﴾ أي داخِلُو النارِ وثمَّ لتراخِي الرتبةِ فإنَّ صلْيَ الجحيم أشدُّ من الإهانةِ والحرمانِ من الرحمةِ والكرامةِ. ﴿ثم يقالُ﴾ لهُم توبيخًا وتقريعًا من جهةِ الزبانيةِ ﴿هذا الذي كنتُم به تُكذبون﴾ فذوقُوا عذابَهُ.

---

(١) قرأ بها: الحسن، وأبو حيوة، وابن مقسم، والسلمي، والأشهب العقيلي، وأبو سماك.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٣٥)، والبحر المحيط (٨/ ٤٤١)، وتفسير القرطبي (١٩/ ٢٥٩).
(٢) قرأ بها: الحسن.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٣٥).
(٣) سقط في خ.
(٤) أخرجه بنحوه أحمد (٢/ ٢٩٧)، والترمذي (٥/ ٤٠٤) كتاب التفسير، باب: من سورة ويل للمطففين، برقم (٣٣٣٤)، وابن ماجه (٢/ ١٤١٨) كتاب الزهد، باب: ذكر الذنوب، برقم (٤٢٤٤)، والحاكم (٢/ ٥٦٢)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.
وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي.
(٥) قرأ بها: نافع، وأبو عمرو، وابن كثير، وابن عامر، وشيبة، وأبو جعفر، وقنبل.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٣٥)، والإعراب للنحاس (٣/ ٦٥٣)، والبحر المحيط (٨/ ٤٤١)، والتيسير للداني ص (١٤٢)، والغيث للصفاقسي ص (٣٨٢)، والكشف للقيسي (٢/ ٥٥، ٥٦).

﴿كَلَّا﴾ ردعٌ عمَّا كانُوا عليهِ بعد ردعٍ وزجرٍ إثرَ زجرٍ. وقولُه تعالَى ﴿إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ استئنافٌ مسوقٌ لبيانِ محلِ كتابِ الأبرارِ بعدَ بيان سوءِ حالِ الفُجَّارِ مُتصلا ببيانِ سُوءِ حالِ كتابِهم وفيه تأكيدٌ للردعِ ووجوبُ الارتداعِ. وكتابُهم ما كُتبَ من أعمالِهم وعليونَ علمٌ لديوانِ الخيرِ الذي دُوِّنَ فيه كلُّ ما عملتْهُ الملائكةُ وصلحاءُ الثقلينِ منقولٌ من جمعِ على فعيلٍ من العُلوِّ، سُمِّيَ بذلكَ إمَّا لأنَّه سببُ الارتفاعِ إلى أعالِي الدرجاتِ في الجنةِ وإمَّا لأنَّهُ مرفوعٌ في السماءِ السابعةِ حيثُ يسكنُ الكروبيونَ تكريمًا له وتعظيمًا والكلامُ في قولِه تعالى ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ * كِتَابٌ مَرْقُومٌ﴾ كما مرَّ في نظيرِه.

وقولُه تعالَى: ﴿يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ صفةٌ أُخرى لـ (كتابَ) أي يحضرونَهُ ويحفظونَهُ أو يشهدونَ بما فيه يومَ القيامةِ. ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ شروعٌ في بيانِ محاسنِ أحوالِهم إثرَ بيانِ حالِ كتابِهم على طريقةِ ما مرَّ في شأنِ الفجَّارِ ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ أي على الأسرةِ في الحجالِ ولا يكادُ تطلقُ الأريكةُ على السريرِ عندهم إلا عندَ كونِه في الحَجَلةِ[1] ﴿يَنْظُرُونَ﴾ أي إلى ما شاءوا مدَّ أعينِهم إليه من رغائب مناظرِ الجنةِ وإلى ما أولاهُم الله تعالى من النعمةِ والكرامةِ وإلى أعدائهم يعذبونَ في النارِ وما تحجبُ الحجالُ أبصارَهُم عن الإدراكِ.

﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ أي بهجةَ التنعم وماءَهُ ورونَقه. والخطابُ لكلِّ أحدٍ ممَّن له حظٌّ منَ الخطابِ للإيذانِ بأنَّ ما لَهم من آثارِ النعمةِ وأحكامِ البهجةِ بحيثُ لا يختصُّ برؤيةِ راءٍ دُونَ راءٍ ﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ﴾ شرابِ خالصٍ لا غشَّ فيهِ. ﴿مَخْتُومٍ * خِتَامُهُ مِسْكٌ﴾ أي مختومٌ أوانيه وأكوابُه بالمسكِ مكانَ الطينِ ولعلَّه تمثيلٌ لكمالِ نفاستِه، وقيل: ختامُه مسكٌ أي مقطعُه رائحةُ مسكٍ. وقرئ (خَاتَمُهُ)[2] بفتحِ التاء وكسرِها أي ما يُختم به ويُقطع. ﴿وَفِي ذَلِكَ﴾ إشارةٌ إلى الرحيقِ وهو الأنسبُ لما بعدَهُ أو إلى ما ذُكرَ من أحوالِهم. وما فيهِ من مَعْنى البُعدِ إما للإشعارِ بعلوِّ مرتبتِه وبُعد منزلتِه أو لكونِه في الجنةِ أي في ذلكَ خاصَّةً دونَ غيرِه ﴿فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ أي فليرغب الراغبونَ بالمبادرة إلى طاعة الله وقيلَ: فليعملِ العاملونَ كقولِه تعالى:

---

(١) الحجلة محركة: كالقبَّة، وموضعٌ يزين بالثياب والستور للعروس.

(٢) قرأ بها: الكسائي، وعلي، والنخعي، والسلمي، والضحاك، وزيد بن علي، وأبو حيوة، وابن أبي عبلة، وعلقمة، وشقيق، وطاوس.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٣٥)، والإعراب للنحاس (٣/ ٦٥٦، ٦٥٧)، والبحر المحيط (٨/ ٤٤٢)، وتفسير القرطبي (١٩/ ٢٦٥)، والغيث للصفاقسي ص (٣٨١).

﴿لمثلِ هذا فليعملِ العاملونَ﴾ [سورة الصافات، الآية ٦١] وقيل: فليستبقِ المستبقونَ وأصلُ التنافسِ التغالبُ في الشيءِ النفيسِ وأصلُه من النفس لعزتها قال الواحديُّ: نفستُ الشيءَ أنفسُه نفاسةً، والتنافسُ تفاعلٌ منه كأنَّ كلَّ واحدٍ من الشخصينِ يريدُ أنْ يستأثرَ به. وقال البغويُّ: وأصلُه من الشيءِ النفيسِ الذي يحرصُ عليه نفوسُ الناسِ ويريدُه كلُّ أحدٍ لنفسِه وينفسُ به على غيرِه أي يضنّ بهِ ﴿وَمِزَاجُه من تسنيم﴾ عطفٌ على ختامُه، صفةٌ أخرى لرحيقٍ مثله وما بينَهما اعتراضٌ مقررٌ لنفاستِه أي ما يمزجُ به ذلكَ الرحيقُ من ماءِ تسنيمٍ على أنَّ مِنْ بيانيةٌ أو تبعيضيةٌ أو من نفسِه على أنَّها ابتدائيةٌ. والتسنيمُ علمٌ لعينٍ بعينِها سميت به إمَّا لأنَّها أرفعُ شرابٍ في الجنةِ، وإمَّا لأنَّها تأتيهُم من فوقٍ. رُويَ أنَّها تجري في الهواءِ متسنمة فتنصبُّ في أوانيهم ﴿عينًا﴾ نصب على الاختصاصِ، وجوز أنْ يكونَ حالًا من تسنيم مع كونِه جامدًا لاتصافِه بقولِه تعالى: ﴿يشربُ بها المقربونَ﴾ فإنَّهم يشربونها صِرفًا وتمزجُ لسائر أهلِ الجنةِ فالباءُ مزيدةٌ أو بمَعْنى مِنْ.

وقولُه تعالى: ﴿إنَّ الذينَ أجرمُوا﴾ . . .إلخ حكايةٌ لبعضِ قبائحِ مُشركي قريشٍ جيءَ بها تمهيدًا لذكرِ بعضِ أحوالِ الأبرارِ في الجنةِ ﴿كانُوا﴾ في الدُّنيا﴿من الذينَ آمنوا يضحكونَ﴾ أي يستهزئونَ بفقرائهم كعمارٍ وصهيبٍ وخبَّابٍ وبلالٍ وغيرِهم من فقراءِ المؤمنينَ. وتقديمُ الجارِّ والمجرورِ إمَّا للقصرِ إشعارًا بغايةِ شناعةِ ما فعلُوا أي كانُوا من الذينَ آمنوا يضحكونَ مع ظهور عدم استحقاقِهم لذلكَ على منهاج قولِه تعالى: ﴿أفي الله شك﴾ [سورة إبراهيم، الآية ١٠] أو لمراعاةِ الفواصلِ. ﴿وإذا مرُّوا﴾ أي فقراءُ المؤمنين ﴿بهم﴾ أي بالمشركينَ وهم في أنديتِهم وهو الأظهرُ وإنْ جازَ العكسُ أيضًا ﴿يتغامزون﴾ أي يغمزُ بعضهم بعضًا ويشيرونَ بأعينِهم ﴿وإذا انقلبُوا﴾ من مجالسِهم ﴿إلى أهلِهم انقلبُوا فكهينَ﴾ ملتذينَ بذكرِهم بالسوءِ والسخريةِ منهم وفيه إشارةٌ إلى أنَّهم كانُوا لا يفعلونَ ذلكَ بمرأى من المارينَ بهم ويكتفونَ [حينئذٍ][1] بالتغامزِ وقرئَ (فاكهينَ)[2] قيلَ: هُمَا بمَعْنى.

وقيلَ: فكهينَ أشرينَ.

---

(١) سقط في خ.

(٢) قرأ بها: أبو عمرو، وابن عامر، ونافع، وابن كثير، وحمزة، والكسائي، والداجوني، وهشام، والمطوعي، والصوري، وابن ذكوان، ويعقوب، وخلف.

ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٣٥)، والبحر المحيط (٨/ ٤٤٣)، والتبيان للطوسي (١٠/ ٣٠٤)، والسبعة لابن مجاهد ص (٦٧٦)، والغيث للصفاقسي ص (٣٨٢)، والمعاني للفراء (٣/ ٢٤٩).

وقيلَ: فرحينَ وفاكهينَ متفكهينَ، وقيلَ: ناعمينَ، وقيلَ: [مازحينَ][(١)]. ﴿وإذا رَأوهم﴾ أينما كانُوا ﴿قالُوا إن هؤلاءِ لضالونَ﴾ أي نسبُوا المسلمينَ ممن رأوهم ومن غيرهم إلى الضلال بطريق التأكيد.

﴿وما أُرسلوا عليهم﴾ على المسلمينَ ﴿حافظينَ﴾ حالٌ من واوِ قالُوا أي قالوا ذلكَ والحالُ أنَّهم ما أرسلوا من جهةِ الله تعالى موكلينَ بهم يحفظونَ عليهم أحوالَهم ويهيمنونَ على أعمالِهم ويشهدونَ برشدِهم وضلالِهم وهذا تهكمٌ بهم وإشعارٌ بأنَّ ما اجترأوا عليه من القولِ من وظائفِ من أرسلَ من جهتهِ تعالى وقد جُوِّز أن يكونَ ذلكَ من جملةِ قولِ المجرمينَ كأنَّهم قالُوا إنَّ هؤلاءِ لضالونَ وما أُرسلوا علينا حافظينَ إنكارًا لصدِّهم عن الشركِ ودعائِهم إلى الإسلام وإنما قيلَ: عليهم نقلًا له بالمعنى كما في قولك حلفَ ليفعلنَّ لا[(٢)] بالعبارةِ كما في قولِك: حلف[(٣)] لأفعلنَّ.

﴿فاليومَ الذينَ آمنُوا﴾ أي المعهودونَ من الفقراءِ ﴿من الكفارِ﴾ أي من المعهودينَ وهو الأظهرُ وإن أمكنَ التعميمُ من الجانبينِ ﴿يضحكونَ﴾ حين يرونَهم أذلاَّء مغلولينَ قد غشيهم فنونُ الهوانِ والصَّغارِ بعد العزةِ والكبرِ ورهقهم ألوانُ العذابِ بعد التنعم والترفهِ. وتقديمُ الجارِّ والمجرورِ للقصرِ تحقيقًا للمقابلةِ أي فاليومَ هم من الكفارِ يضحكونَ لا الكفارُ منهم كما كانُوا يفعلونَ في الدُّنيا.

وقولُه تعالى: ﴿على الأرائكِ ينظرونَ﴾ حالٌ من فاعلِ يضحكونَ أي يضحكونَ منهم ناظرينَ إليهم وإلى ما هُم فيه من سوءِ الحالِ وقيلَ: يفتح للكفارِ بابٌ إلى الجنةِ فيقالُ لهم: اخرجُوا إليها فإذا وصلُوا إليها أُغلقَ دُونهم يفعلُ بهم ذلكَ مرارًا ويضحكُ المؤمنونَ منهم ويأباهُ قولُه تعالى: ﴿هل ثُوِّبَ الكفارُ ما كانُوا يفعلونَ﴾ فإنه صريحٌ في أنَّ ضحكَ المؤمنين منهم جزاءٌ لضحكِهم منهم في الدُّنيا فلا[(٤)] بدَّ من المجانسةِ والمشاكلةِ حتمًا والتثويبُ والإثابةُ المجازاةُ.

وقرئَ بإدغامِ اللامِ في الثاءِ[(٥)].

وعَنْهُ ﷺ: «**مَنْ قرأَ سورةَ المطففينَ سقاهُ الله تعالى يومَ القيامةِ من الرحيقِ المختومِ**»[(٦)].

---

(١) في خ: خارجين.		(٢) في خ: إلا.
(٣) في خ: خلفت.		(٤) في خ: ولا.
(٥) قرأ بها: حمزة، والكسائي، وأبو عمرو، وابن محيصن، وهشام.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٣٥)، والبحر المحيط (٨/ ٤٤٣)، والتبيان للطوسي (١٠/ ٣٠٤)، والسبعة لابن مجاهد ص (٦٧٦)، والغيث للصفاقسي ص (٣٨٢)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٢٣٣).
(٦) تقدم تخريجه.

سُورةُ الانشقاق

مكية وآيُها [خمسٌ وعشرونَ][1]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ﴿١﴾ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلۡأَرۡضُ مُدَّتۡ ﴿٣﴾ وَأَلۡقَتۡ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتۡ ﴿٤﴾
وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ
بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورٗا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ
وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوۡفَ يَدۡعُواْ ثُبُورٗا ﴿١١﴾ وَيَصۡلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فِيٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُۥ ظَنَّ
أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰٓۚ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرٗا ﴿١٥﴾ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾
وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيۡهِمُ
ٱلۡقُرۡءَانُ لَا يَسۡجُدُونَۤ ۩ ﴿٢١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرۡهُم
بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونِۭ ﴿٢٥﴾

﴿**إذا السماءُ انشقتْ**﴾ أي بالغمامِ كما في قولِه تعالى: ﴿ويومَ تشققُ السماءُ بالغمام﴾ [سورة الفرقان، الآية ٢٥] وعن عليٍّ رضي الله تعالى عنه تنشقُ من المجرةِ ﴿**وأذنتْ لربِّها**﴾ أي واستمعتْ[2] أي انقادتْ وأذعنتْ لتأثيرِ قُدرتِهِ تعالى حين تعلقتْ إرادتهُ بانشقاقِها انقيادَ المأمورِ المطواعِ إذا وردَ عليه أمرُ الآمرِ المُطاعِ، والتعرضُ لعنوانِ الربوبيةِ مع الإضافة إليها للإشعارِ بعلةِ الحُكْم وهذه الجملةُ ونَظيرتُها الآتيةُ بمنزلة قولِه تعالى: ﴿أتينا طائعينَ﴾ [سورة فصلت، الآية ١١] في الإنباء عن كونِ ما نُسبَ إلى السماءِ والأرضِ من الانشقاق والمد وغيرِهما جاريًا على مُقْتضَى الحكمةِ كما أُشيرَ إليهِ فيما سلفَ ﴿**وحُقَّتْ**﴾ أي جُعلت حقيقةً بالاستماع والانقيادِ لكنْ لا بعدَ أنْ لم تكنْ كذلك بلْ في نفسها وحدِّ ذاتها من قولهم هو محقوقٌ بكَذا وحقيقٌ به والمَعْنى انقادتْ لربِّها وهيَ حقيقةٌ بذلكَ لكنْ لا على أنَّ المرادَ خصوصيةُ ذاتها من بين سائرِ المقدوراتِ بل خصوصيةُ المقدرةِ القاهرةِ الربانيةِ التي يتأتى لها كلُّ مقدورٍ

---

(١) في خ: عشرون وخمس.

(٢) في خ: وأسمعت.

ولا يتخلفُ عنها أمرٌ من الأمورِ فحقُّ الجملةِ أن تكونَ اعتراضًا مقررًا لما قبلَها لا معطوفةً عليهِ ﴿وإذا الأرضُ مدتْ﴾ أي بُسطتْ بإزالة [جبالِها][1] وآكامِها من مقارِّها وتسويتِها بحيثُ صارتْ قاعًا صفصفًا لا ترَى فيها عوجًا ولا أمتًا أو زيدتْ سعَةً وبسطةً منْ مدَّهُ بمعنى أمدَّه أي زادَهُ ﴿وألقتْ ما فيها﴾ أي رمتْ ما في جوفِها من الموتَى والكنوزِ كقولِه تعالى: ﴿وأخرجتِ الأرضُ أثقالَها﴾ [سورة الزلزلة، الآية ٢] ﴿وتخلتْ﴾ وخلتْ عمَّا فيها غايةَ الخلوِّ حتَّى لم يبقَ فيها شيءٌ منه كأنَّها تكلفتْ في ذلكَ أقصَى جُهدِها ﴿وأذنتْ لربِّها﴾ في الإلقاءِ والتخلِّي ﴿وحُقتْ﴾ أيْ وهيَ حقيقةٌ بذلكَ أي شأنُها ذلكَ بالنسبةِ إلى القدرةِ الربانيةِ وتكريرُ كلمةِ إذا معَ اتحادِ الأفعالِ المنسوبةِ إلى السماءِ [والأرضِ][2] وقُوعًا في الوقتِ الممتدِّ الذي هُو مدلولُها قد مرَّ سِرُّه فيمَا مَرَّ.

﴿يا إيُّها الإنسانُ إنك كادحٌ إلى ربِّكَ كَدْحا﴾ أي جاهدٌ[3] ومجدٌّ إلى الموت وما بعدَهُ من الأحوالِ التي مُثِّلتْ باللقاءِ مبالغٌ في ذلكَ فإنَّ الكدحَ جهدُ النفسِ في العملِ والكدُّ فيهِ بحيثُ يؤثرُ فيها من كَدَحَ جلدَهُ إذا [خدَشَهُ][4] ﴿فملاقيهِ﴾ أي فملاقٍ لهُ عقيبَ ذلكَ لا محالةَ من غيرَ صارفٍ يلويكَ عَنْهُ وقولُه تعالى: ﴿فأما من أوتي كتابَهُ بيمينهِ فسوفَ يُحاسبُ حسابًا يسيرًا﴾ إلخ. قيلَ: جوابُ إذا كَما في قولِه تعالى: ﴿فإمَّا يأتينكم مني هُدى فَمنْ تبعَ هُدَايَ فلا خوفٌ عليهم ولا هُم يحزنونَ﴾ [سورة البقرة، الآية ٣٨].

وقولُه تعالى: ﴿يا أيُّها الإنسانُ﴾... إلخ، اعتراضٌ وقيلَ: هو محذوفٌ للتهويلِ والإيماءِ إلى قصورِ العبارةِ عن بيانِه أوْ للتعويلِ على دلالةِ ما مَرَّ في سورةِ التكويرِ والانفطارِ عليهِ وقيلَ: هو ما دلَّ عليهِ قولُه تعالى: ﴿يا أيُّها الإنسانُ﴾... إلخ تقديرُه لاقَى الإنسانُ كَدحَهُ وقيلَ: هو قولهُ تعالى فملاقيهِ وما قبله اعتراضٌ وقيلَ: هو (يا أيها الإنسانُ)... إلخ بإضمارِ القولِ ومعنى يسيرًا سهلًا لا مناقشةَ فيه ولا اعتراضَ وعن الصديقةِ رضي الله عنها هُو أن يُعرّفَ ذنوبَهُ ثم يُتجاوزَ عَنْهُ ﴿وينقلبُ إلى أهلِه مَسْرورًا﴾ أي عشيرتِه المؤمنينَ أو فريقَ المؤمنينَ مُبتهجًا بحالِه قائلًا (هاؤمُ اقرءوا كتابيه)، وقيلَ: إلى أهلهِ في الجنةِ من الحورِ والغلمانِ ﴿وأمَّا مَنْ أُوتي كتابَه وراءَ ظهرِه﴾ أي يُؤتاهُ بشمالِه من وراءِ ظهرِه قيلَ: تُغلُّ يمناهُ إلى عنقِه ويجعلُ شمالُه وراءَ ظهرِه فيؤتى كتابَهُ بشمالِه وقيلَ: تخلعُ يدُه اليُسْرَى من وراءِ ظهرِه ﴿فسوفَ يدعُو ثُبورا﴾ أي يتمنَّى الثبورَ وهو الهلاكُ ويدعُوه ياثبوارهُ تعالَ فإنه[5] أوانُكَ وأنَّى له ذلكَ

---

(١) سقط في خ.
(٢) سقط في خ.
(٣) في خ: ومجاهد.
(٤) في خ: أخدشه.
(٥) في خ: فهذا.

﴿وَيَصْلَىَ سَعِيرا﴾ أي يدخلُها وقرئ يُصلّى[١] كقوله تعالى: ﴿وتصلية جحيم﴾ [سورة الواقعة، الآية ٩٤] وقرئ ويصلى[٢] كما في قوله تعالى: ﴿ونصليه جهنم﴾ [سورة النساء، الآية ٣٠].

﴿إنه كانَ في أهلِه﴾ فيما بينَ أهلِه وعشيرتِه في الدُّنيا ﴿مَسرورا﴾ مترفًا بَطِرًا مستبشرًا[٣] كديدنِ الفجارِ الذينَ لا يهمهم ولا يخطُر ببالهم أمورُ الآخرةِ ولا يتفكرونَ في العواقبِ ولم يكُنْ حَزينًا متفكرًا في حالهِ[٤] ومآلهِ كسنةِ الصلحاءِ والمتقينَ والجملةُ استئنافٌ لبيانِ[٥] علةِ ما قبلها.

وقولُه تعالى: ﴿إنه ظَنَّ أنْ لنْ يحورَ﴾ تعليلٌ لسرورِه في الدُّنيا أي يظنُّ أنْ لَنْ يَرجعَ إلى الله تعالى تكذيبًا للمعادِ وأنْ مخففةٌ مِنْ أنَّ سادَّةٌ معَ ما في حيزِها مسدَّ مفعولَيْ الظنِّ أو أحدَهُما عَلى الخِلافِ المعروفِ ﴿بَلَى﴾ إيجابٌ لما بعدَ لَنْ.

وقولُه تعالى: ﴿إنَّ ربَّه كانَ به بصيرًا﴾ تحقيقٌ وتعليلٌ لهُ أيْ بَلَى ليحورَنَّ ألبتة إنَّ ربَّهُ الذي خلقَهُ كانَ به وبأعمالِه الموجبةِ للجزاءِ بصيرًا بحيثُ لا يَخْفى منها خافيةٌ فلا بُدَّ مِنْ رجعهِ وحسابِهِ وجزائِه عليها حَتمًا، وقيلَ: نزلتْ الآيتانِ في أبي سَلَمةَ بنِ عبْدِ الأشد وأخيه الأسودِ.

﴿فلا أُقسمُ بالشفقِ﴾ هي الحمرةُ التي تُشاهدُ في أفقِ المغربِ بعد الغروبِ أو البياضُ الذي يليها سُميَ بهِ لرقتِهِ ومنْهُ الشفقةُ التي هي عبارةٌ عنْ رقةِ القلبِ ﴿والليل وما وسَقَ﴾ وما جمعَ وضمَّ يقالُ: وسقَهُ فاتَّسقَ واستوسقَ أي جمعهُ فاجتمعَ وما عبارةٌ عمَّا يجتمعُ بالليلِ ويأوِي إلى مكانهِ من الدوابِّ وغيرِها ﴿والقمرِ إذا اتَّسقَ﴾ أي اجتمعَ وتمَّ بدرًا ليلة أربعَ وعشرةَ.

﴿لتركبُنَّ طبقًا عن طبقٍ﴾ أي لتُلاقُنَّ حالًا بعدَ حالٍ كُلُّ واحدةٍ منهَا مطابقةٌ

---

(١) قرأ بها: نافع، وابن كثير، وابن عامر، والكسائي، وابن محيصن، وعمر بن عبد العزيز، وأبو الشعثاء، والأعرج، والحسن، والسلمي.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٣٦)، والبحر المحيط (٨/ ٤٧٧)، والتيسير للداني ص (٢١١)، والحجة لابن خالويه ص (٣٦٦)، والغيث للصفاقسي ص (٣٨٢)، والكشف للقيسي (٢/ ٣٦٧).

(٢) قرأ بها: نافع، وعاصم، وأبو عمرو، وحمزة، وابن كثير، وأبان، وعيسى، والعتكي، وعباس، وإسماعيل المكي، وخارجة.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٣٦)، والتبيان للطوسي (١٠/ ٣١٠)، والغيث للصفاقسي ص (٣٨٢)، والسبعة لابن مجاهد ص (٦٧٧)، وتفسير الرازي (٣١/ ١٠٧).

(٣) في خ: مبشرا.

(٤) في خ: حاله وشئونه.

(٥) في خ: بيان.

لأختها في الشدةِ والفظاعةِ وقيلَ: الطبقُ جمع طبقةٍ وهي المرتبةُ وهو الأوفقُ للركوبِ المنبئِ عن الاعتلاءِ والمَعْنَى لتركَبُنَّ أحوالًا بعدَ أحوالٍ هي طبقاتٌ في الشدةِ بعضُها أرفعُ من بعضٍ وهي الموتُ وما بعدَه من مواطنِ القيامةِ ودواهيها وقرئَ [(لَتَرْكَبَنَّ)[١] بالإفرادِ على خطابِ الإنسانِ باعتبارِ اللفظِ لا باعتبارِ شمولهِ لأفرادِه كالقراءةِ الأولى وقرئَ بكسرِ الباءِ[٢] على خطابِ النفسِ و(لَيَرْكَبَنَّ)[٣]][٤] بالياءِ أي ليركَبَنَّ الإنسانُ ومحلُّ عن طبقٍ النصبُ على أنَّه صفةٌ لطبقًا أي طبقًا مجاوزًا لطبقٍ أو حالٌ من الضميرِ في لتركبنَّ أي لتركبنَّ[٥] طبقًا مجاوزينَ أو مجاوزًا أو مجاوزةً على حسبِ القراءةِ والفاءُ في قولِه تعالى: ﴿فَمَا لَهُم لا يؤمنونَ﴾ لترتيب ما بعَدَها منَ الإنكار والتعجيبِ على ما قبلَها من أحوالِ يوم القيامةِ وأهوالِها الموجبةِ للإيمانِ والسجودِ أيْ إذا كانَ حالُهم يومَ القيامةِ كما ذُكِرَ فأيُّ شيءٍ لهم حالَ كونِهم [غيرَ][٦] مؤمنينَ أي أيُّ شيءٍ يمنعُهم من الإيمانِ معَ تعاضدِ موجباتِه.

وقولُه تعالى: ﴿وإذا قرئَ عليهم القرآنُ لا يسجدونَ﴾ جملةٌ شرطيةٌ محلُّها النصبُ عَلى الحاليةِ نسقًا على ما قَبلَها، [أيْ][٧] فأيُّ مانعٍ لهم [حال][٨] عدم سجودِهم وخضوعِهم واستكانتهم عندَ قراءةِ القُرآنِ، وقيلَ: قرأَ النبيُّ عليه الصلاةُ والسَّلامُ ذاتَ يوم: ﴿واسجدْ واقتربْ﴾ [سورة العلق، الآية ١٩] فسجدَ هُو وَمَنْ مَعَهُ من المؤمنينَ وقريْشٌ تصفقُ فوقَ رؤوسهم وتصفرُ فنزلتْ وبه احتجَّ أبُو حنيفةٍ رحمَهُ الله تعالَى عَلى وجوبِ السجدةِ وعنِ ابن عبَّاسٍ رضيَ الله عنهما ليسَ في المفصلِ سجدةٌ، وعن أبي هريرةٍ رضي الله عنهُ أنَّه سجَدَ فيها وقالَ: والله ما سجدتُ إلا بعدَ أن رأيتُ

(١) قرأ بها: ابن كثير، وحمزة، والكسائي، وخلف، وابن محيصن، والأعمش، وابن عباس، وابن مسعود، والشعبي، ومجاهد، وعمر، والأسود، ومسروق، وأبو العالية، وابن وثاب، وطلحة، وعيسى، وأبو وائل، والنخعي.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٣٦)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٥٣)، والسبعة لابن مجاهد ص (٦٧٧)، والغيث للصفاقسي ص (٣٨٢)، والكشف للقيسي (٢/ ٣٦٧)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٣٩٩).

(٢) ينظر: البحر المحيط (٨/ ٤٤٧)، وتفسير القرطبي (١٩/ ٢٨٠)، وتفسير الرازي (٣١/ ١٠٩).

(٣) قرأ بها: عمر، وابن عباس.
ينظر: الإعراب للنحاس (٣/ ٦٦٤)، والبحر المحيط (٨/ ٤٤٧)، وتفسير القرطبي (١٩/ ٢٨٠)، وتفسير الرازي (٣١/ ١٠٩).

(٤) سقط في خ.

(٥) في خ: ليركبن.

(٦) سقط في خ.

(٧) سقط في خ.

(٨) سقط في خ.

النبيَّ ﷺ يسجدُ فيها[(١)]. وعن [أنسٍ][(٢)] رضيَ الله عَنْهُ صليتُ خلفَ أبي بكرٍ وعمرَ وعثمانَ رضيَ الله عنهم فسجدُوا وعن الحسنِ هي غيرُ واجبةٍ ﴿**بل الذينَ كفرُوا يكذبونَ**﴾ بالقرآنِ الناطقِ بما ذُكِرَ من أحوالِ القيامةِ وأهوالِها مع تحققِ موجباتِ تصديقهِ ولذلكَ لا يخضعونَ عندَ تلاوتِه ﴿**والله أعلمُ بما يُوعُون**﴾ بما يضمرونَ في قلوبِهم ويجمعونَ في صدورِهم من الكفرِ والحسدِ والبغي والبغضاءِ أو بما يجمعونَ في صحفهم من أعمالِ السوءِ ويدخرون لأنفسهم من أنواعِ العذابِ علمًا فعليًا.

﴿**فبشرهم بعذابٍ أليم**﴾ لأنَّ علمَهُ تعالَى بذلكَ على الوجه المذكورِ موجبٌ لتعذيبهم حتمًا ﴿**إلا الذينَ آمنُوا وعملُوا الصالحاتِ**﴾ استثناءٌ منقطعٌ إنْ جُعلَ الموصولُ عبارةً عن المؤمنينَ كافَّة ومتصلٌ إنْ أريدَ به منْ آمنَ منهمْ بعدَ ذلكَ.

وقولُه تعالى ﴿**لهم أجرٌ غيرُ ممنونٍ**﴾ أي غيرُ مقطوعٍ أو ممنونٍ به عليهم استئنافٌ مقررٌ لما أفادَهُ الاستثناءُ من انتفاءِ العذابِ عنهم ومبيِّنٌ لكيفيتهِ ومقارنتِه للثوابِ العظيمِ.

عن رسولِ الله ﷺ: «**منْ قَرَأَ سورةَ انشقتْ أعاذَهُ الله تعالَى أنْ يعطيَهُ كتابَهُ وراءَ ظهرِه**»[(٣)] والله الموفق.

---

(١) أخرجه البخاري (٢/ ٤٩٧) كتاب الأذان، باب الجهر في العشاء، حديث (٧٦٦) وأطرافه في (٧٦٨، ١٠٧٤، ١٠٧٨).

ومسلم (٣/ ٨١ - نووي) كتاب المساجد، باب سجود التلاوة، حديث (٥٧٨): والنسائي (٢/ ١٦١) في الافتتاح، باب السجود في «إذا السماء انشقت».

والدارمي (١/ ٣٤٣).

وابن حبان في صحيحه (٦/ ٤٦٧) رقم (٢٧٦١) ومالك في الموطأ (١/ ٢٠٥) كتاب القرآن، باب ما جاء في سجود القرآن، والبغوي رقم (٧٦٧).

وابن خزيمة في صحيحه رقم (٩٥٥).

(٢) في خ: الحسن.

(٣) تقدم تخريجه.

سُورَةُ البُرُوجِ

مَكِّيةٌ وآيُها ثنتانِ وعشرونَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾
ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا۟
مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ
شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ
﴿١٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ
بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾
فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾
وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿٢٢﴾

﴿والسَّماءِ ذاتِ البُروجِ﴾ هيَ البروجُ الاثنَا عشرَ شبهتْ بالقصورِ لأنَّها تنزلُها السياراتُ ويكونُ فيها الثوابتُ، أو منازلُ القمرِ أو عظامُ الكواكبِ سميتْ بروجًا لظهورِها أو أبوابِ السماءِ فإنَّ النوازلَ تخرجُ منها، وأصلُ التركيبِ للظهورِ.

﴿واليومِ الموعودِ﴾ أي يومُ القيامةِ ﴿وَشَاهِدٍ ومَشْهودٍ﴾ أيْ ومَنْ يشهدُ في ذلكَ اليومِ من الخلائقِ وما يحضرُ فيهِ من العجائبُ، وتنكيرُهُمَا للإبهامِ في الوصفِ أي وشاهدٍ ومشهودٍ لا يُكتنهُ وصفُهُمَا أو للمبالغةِ في الكثرةِ وقيلَ: الشاهدُ محمدٌ ﷺ [والمشهودُ يومُ القيامةِ، وقيلَ: عيسَى عليهِ السلامُ وأمتهُ لقولِه تعالى: ﴿وكنتُ عليهم شهيدًا﴾ [سورة المائدة، الآية ١١٧]... إلخ، وقيلَ: أمةُ محمدٍ][(١)] وسائرُ الأممِ، وقيلَ: يومُ الترويةِ ويومُ عرفةٍ، [وقيلَ: يومُ عرفةَ][(٢)] ويومُ الجمعةِ، وقيلَ: الحجرُ الأسودُ والحجيجُ، وقيلَ: الأيامُ والليالي وبنُو آدمَ. وعن الحسنِ مَا منْ يومٍ إلا ويُنادي إني يومٌ جديدٌ وإنِّي عَلى ما يعملُ فيَّ شهيدٌ فاغتنمني فَلَوْ غَابَتْ شَمْسِي لَمْ

---

(١) سقط في خ.
(٢) سقط في خ.

تُدركِني إلى يوم [القيامةِ][١]. وقيلَ: الحفظةُ وبنُو آدمَ، وقيلَ: الأنبياءُ ومحمدٌ عليهم الصلاةُ والسلامُ.

﴿قُتِلَ أصحَابُ الأخدودِ﴾ قيلَ: هوَ جوابُ القسمِ عَلَى حذفِ اللامِ منهُ للطولِ، والأصلُ لقتلَ كَمَا في قولِ مَنْ قالَ: [الطويل]

حَـلَـفـتُ لَـهـا بـالله حِـلْـفَـةَ فَـاجِـرٍ لَنَامُوا فَمَا إنْ مِنْ حَدِيثٍ وَلاَ صَالِ[٢]

وقيلَ: تقديرُهُ لَقدْ قتلَ وأيا ما كانَ فالجملةُ خبريةٌ والأظهرُ أنَّها دعائيةٌ دالةٌ على الجوابِ كأنَّه قيلَ: أقسمُ بهذهِ الأشياءِ أنهمْ أيْ كفارَ مكةَ ملعونونَ كما لعنَ أصحابُ الأخدودِ لما أنَّ السورةَ وردتْ لتثبيتِ المؤمنينَ عَلى ما هُمْ عليه من الإيمانِ وتصبيرِهم على أذية الكفرةِ وتذكيرهم بما جرى عَلى من تقدمهُم من التعذيبِ على الإيمانِ وصبرُهُم عَلى ذلكَ حَتَّى يأنسوا بِهِمْ ويصبُروا على ما كانُوا يلقونَ من قومِهم ويعلموا أنَّ هؤلاءِ عندَ الله عزَّ وجلَّ بمنزلةِ أولئكِ المُعذبينِ ملعونونَ مثلهم أحقاءُ بأنْ يقالَ فيهِمْ ما قَدْ قيلَ فيهمْ وقرئ قُتِّلَ بالتشديدِ[٣] والأخدودُ الخَدُّ في الأرضِ وهو الشقُّ ونحوهِما بناء ومعنى الحق والأحقوق.

رُوِيَ عن النبيِّ ﷺ أنه كانَ لبعضِ الملوكِ ساحرٌ فلما كبرَ ضَمَّ إليهِ غلامًا ليعلِّمهُ السحرَ وكانَ في طريقِ الغلام راهبٌ فسمعَ منْهُ فرأى في طريقهِ ذاتَ يوم دابةً قدْ حبستِ النَّاسَ، قيلَ: كانتِ الدابةُ أسدًا فأخذَ حَجَرًا فقالَ: اللهمّ إنْ كانَ الراهبُ أحبَّ إليكَ منَ الساحرِ فاقتلْهَا فقتلها، فكانَ الغلامُ بعدَ ذلكَ يبرئ الأكمه والأبرصَ ويَشفي من الأدواءِ وعمي[٤] جليسٌ للملكِ فأبرأَهُ فأبصرَهُ الملكُ فسألهُ منْ ردَّ عليكَ بصركَ؟ فقالَ: ربِّي فغضبَ فعذَّبه فدلَّ علَى الغلام فعذَّبه فدلَّ على الراهبِ فلم يرجعِ الراهبُ عن دينِه فقدَّ[٥] بالمنشارِ وأبى الغلامُ فذَهبَ بهِ إلى جبلٍ ليطرحَ من ذروته فدعا فرجفَ بالقوم فطاحُوا ونجَا فذهبَ به إلى قُرْقُورٍ[٦] فلججُوا بِهِ ليغرقُوه فدعا فانكفأتْ بهم السفينَةُ فغرقُوا ونجَا فقالَ للملكِ: لستَ بقاتِلي حَتَّى تجمعَ النَّاسَ في

---

(١) سقط في خ.

(٢) البيت لامرئ القيس في ديوانه، ص (٣٢)، والأزهية، ص (٥٢)، والجنى الداني، ص (١٣٥)، وخزانة الأدب (١٠/ ٧١، ٧٣، ٧٤، ٧٧، ٧٩)، والدرر (٢/ ١٠٦، ٤/ ٢٣١).

(٣) قرأ بها: الحسن، وابن مقسم.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٣٦)، والبحر المحيط (٨/ ٤٥٠)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٢٣٧)، وتفسير الرازي (٣١/ ١١٨).

(٤) في خ: فعمي.

(٥) في خ: فقده.

(٦) قرقور: كعصفور السفينة الطويلة أو العظيمة.

صعيدٍ وتصلبني عَلى جذْعٍ وتأخذَ سَهْمًا من كنانتي وتقولَ باسم الله ربِّ الغُلام ثمَّ ترميني بهِ فرماهُ فوقعَ في صُدغِه فوضَعَ يَدَهُ عليهِ وماتَ فقالَ النَّاسُ: آمنَّا بربِّ الغلامِ قيلَ للملكِ: نزلَ بكَ ما كنتَ تحذرُ فأمرَ بأخاديدَ في أفواهِ السككِ وأوقدتْ فيها النيرانُ فمنْ لَمْ يرجعْ منهمْ طرحَهُ فيها حتَّى جاءت امرأةٌ معها صبيٌّ فتقاعستْ فقالَ الصبيُّ: يا أماهُ اصبري فإنَّكِ على الحق فاقتحمتْ[1]. وقيلَ: قال لها: قعي ولا تنافقي ما هي إلا غميضةٌ[2] فصبرتْ. قيلَ: أُخرجَ الغلامُ منْ قبرهِ في خلافةِ عمر بْنِ الخطابِ رضيَ الله عنهُ وأصبعُهُ على صُدْغِه كَما وضعها حينَ قتلَ، وعنْ عليٍّ رضيَ الله عنهُ: أنَّ بعضَ ملوكِ المجوسِ وقعَ عَلى أختِهِ وهو سكرانُ فلما صحا ندمَ وطلبَ المخرجَ فقالتْ لَهُ: المخرجُ أن تخطبَ بالنَّاسِ فتقولَ: إنَّ الله قدْ أحلَّ نكاحَ الأخواتِ ثمَّ تخطبُهم بعدَ ذلكَ أنَّ الله قد حرمَهُ فخطبَ فلم يقبلُوا مِنْهُ، [فقالتْ لَهُ: ابسطْ فيهمْ السوطَ ففعلَ فلم يقبلُوا، فقالتْ: ابسطْ فيهم][3] السيفَ ففعلَ فلم يقبلُوا[4]، فأمرَ بالأخاديدِ وإيقادِ النارِ وطرحَ منْ أَبَى فيها فهم الذينَ أرادهُم الله تعالى بقولِه: ﴿قُتلَ أصحابُ الأخدودِ﴾. وقيلَ: [وقعَ إلى نجرانَ][5] رجلٌ ممنْ كانَ على دينِ عيسى عليه السلامُ فدعاهُم فأجابوُه فسارَ إليهم ذُو نواسٍ اليهوديُّ بجنودٍ من حِمْيرٍ فخيرهُمْ بينَ النارِ واليهوديةِ فأبوَا فأحرقَ منهمْ اثني عشرَ ألفًا في الأخاديدِ وقيلَ: سبعينَ[6] ألفًا[7]، وذكرَ أنَّ طولَ الأخدودِ أربعونَ ذراعًا وعرضَهُ اثنا عشرَ ذِراعًا[8].

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (٩/ ٣٥٧) كتاب الزهد والرقاق، باب قصة أصحاب الأخدود والساحر، حديث (٣٠٠٥) والترمذي (٥/ ٤٣٧) كتاب التفسير باب ومن سورة البروج، حديث (٣٣٤٠).
والنسائي في التفسير (٢/ ٥٠٩) رقم (٦٨١) وابن حبان في صحيحه (٣/ ١٥٤) رقم (٨٧٣) وأحمد في المسند (٦/ ١٧، ١٨). وعبد الرزاق (٥/ ٤٢٠) رقم (٩٧٥١) والطبراني في الكبير (٨/ ٤٧-٥٢) رقم (٧٣١٩، ٧٣٢٠)، وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٤/ ١٨٢) لإسحاق بن راهويه وأبي يعلى والبزار والبيهقي في الشعب.

(٢) في خ: غمضة.

(٣) في خ: فقال لها: أبسطت فيهم.

(٤) زاد في خ: منه.

(٥) في خ: دفع إلى مروان.

(٦) في خ: سبعون.

(٧) رواه ابن إسحاق في السيرة (١/ ٧٢) في قصة أصحاب الأخدود.
حدثني يزيد بن أبي زياد عن محمد بن كعب فذكره مطولًا.

(٨) قال الزيلعي في تخريج الكشاف (٤/ ١٨٥): «ونقله الثعلبي في تفسيره: عن محمد بن إسحاق، عن وهب بن منبه أن رجلًا كان على دين عيسى فوقع إلى نجران، فدعاهم فأجابوه، فسار إليهم ذو نواس اليهودي، فخيرهم بين اليهودية والنار فأبوا عليه، فخد الأخاديد فأحرق اثني عشر ألفًا.
وقال الكلبي: كان أصحاب الأخدود سبعين ألفًا، وهم نصارى نجران، وذلك أن ملكًا بنجران أخذ =

﴿النَّارِ﴾ بدلُ اشتمالٍ من الأخدودِ ﴿ذاتِ الوقودِ﴾ وصفٌ لها بغايةِ العظمِ وارتفاعِ اللهبِ وكثرةِ ما يوجبُهُ منَ الحطبِ وأبدانِ الناسِ وقرئ الوُقودِ[١] بالضمِّ.

وقولُه تعالى: ﴿إِذْ هُم عليها قعودٌ﴾ ظرفٌ لقتلَ أي لعنُوا حينَ أحدقُوا بالنَّارِ قاعدينَ حولَها في مكانٍ مشرفٍ علَيها من حافاتِ الأخدودِ كما في قولِه: [الطويل]

.... وَبَاتَ عَلَى النَّارِ [النَّدَى وَالمُحَلَّقُ[٢]][٣]

﴿وهُم عَلَى ما يفعلونَ بالمؤمنينَ شهودٌ﴾ أيْ يشهدُ بعضُهم لبعضٍ عندَ الملكِ بأنَّ أحدًا لمْ يقصرْ فيما أُمِرَ بهِ أوْ أنهم شهودٌ يشهدونَ بما فعلُوا بالمؤمنينَ[٤] يومَ القيامةِ [يومَ تشهدُ عليهم ألسنتُهم وأيديهم. وقيلَ: عَلَى بمعنَى معَ والمعْنَى وهُم معَ مَا يفعلونَ بالمؤمنينَ منَ العذابِ][٥] حضورٌ لاَ يرقُّونَ لهم لغايةِ قسوةِ قُلُوبِهِمْ هَذَا هُو الذي يستدعيه النظمُ الكريمُ وتنطقُ بِهِ الرواياتُ المشهورةُ وَقْد رُوِيَ أنَّ الجبابرةَ لما ألقوا المؤمنينَ في النَّارِ وهم قعودٌ حولَها علقت بهم النَّارُ فأحرقتهمْ ونجَّى الله عزَّ وجلَّ المؤمنينَ منها سالمينَ وإلى هَذَا القولِ ذهَبَ الربيعُ بنُ أنسٍ والواحديُّ وعلى ذَلكَ حَمَلا قولَهُ تعالى ولهم عذابُ الحريقِ.

﴿وما نقمُوا منهُم﴾ أيْ ما أنكرُوا منهم وما عابُوا ﴿إلا أنْ يُؤمِنُوا بالله العزيزِ الحميدِ﴾ استثناءٌ مفصحٌ عن براءتِهم عَمَّا يعاب وينكرُ بالكليةِ على منهاجِ قولِه: [الطويل]

= بها قومًا مؤمنين فخد لهم في الأرض سبعة أخاديد، طول كل أخدود أربعون ذراعًا، وعرضه اثنتا عشرة ذراعًا، ثم طرح فيها النفط والنار، ثم عرضهم عليها، فمن أبى قذفوه فيها، ومن رضي تركوه، إلى آخر القصة». ا هـ.

(١) قرأ بها: الحسن، وأبو رجاء، وعيسى، وأبو حيوة، وقتادة، ونصر بن عاصم.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٣٦)، والبحر المحيط (٨/ ٤٥٠)، والتبيان للطوسي (١٠/ ٣١٧)، وتفسير القرطبي (١٩/ ٢٨٧)، وتفسير الرازي (٣١/ ١١٨).

(٢) في خ: العدى والمحدق.

(٣) عجز بيت وصدره:
تشبُّ لمقرورين يصطليانها ....
والبيت للأعشى في ديوانه ص (٢٧٥)، والأغاني (٩/ ١١١)، وخزانة الأدب (٧/ ١٤٤، ١٥٥، ١٥٧)، وشرح شواهد المغني (١/ ٣٠٣)، ولسان العرب (حلق)، وبلا نسبة في خزانة الأدب (٩/ ١١٩)، وشرح شواهد المغني (١/ ٤١٦)، ومغني اللبيب (١/ ١٠١، ١٤٣).

(٤) زاد في خ: من العذاب.

(٥) سقط في خ.

ولا عيبَ فيهم غيرَ أنَّ ضيوفَهُمْ(١) تُلامُ بنسيانِ الأحبَّةِ والوطنِ(٢)

ووَصفُهُ تعالَى بكونِه عزيزًا غالبًا يُخشى عقابُه وحميدًا منعمًا يُرجَى ثوابُه وتأكيدُ ذلكَ بقولِه تعالى: ﴿الذي له مُلكُ السمواتِ والأرضِ﴾ للإشعارِ بمناطِ إيمانِهم.

وقولُه تعالى: ﴿والله على كلِّ شيءٍ شهيدٌ﴾ وعدٌ لهم ووعيدٌ شديدٌ لمعذبيهمْ فإنَّ علمَهُ تعالى بجميعِ الأشياءِ التي من جُمْلتِها أعمالُ الفريقينِ يستدعي توفيرَ جزاءِ كُل منهمَا حَتْمًا.

﴿إن الَّذينَ فتنُوا المؤمنينَ والمؤمناتِ﴾ أي محنوهُم في دينهم ليرجعُوا عَنْهُ والمرادُ بهمْ إمَّا أصحابُ الأخدودِ خاصَّةً وبالمفتونينِ المطروحونَ في الأخدودِ وإما الذينَ بلوهم في ذلكَ بالأذيةِ والتعذيبِ على الإطلاقِ وهم داخلونَ في جملتِهم دخولًا أوليا.

﴿ثُمَّ لم يتُوبُوا﴾ أي عن كفرِهم وفتنتهم فإن ما ذكرَ من الفتنةِ في الدينِ لا يتصورُ من غيرِ الكافرِ قطعًا وقولُه تعالَى ﴿فلهم عذابُ جهنَّمَ﴾ جملةٌ وقعتْ خبرًا لـ (إن) أوْ الخبر لَهُم وعذابٌ مرتفعٌ بهِ على الفاعلية وهو الأحسنُ والفاءُ لتضمنَ المبتدأ معنى الشرطِ ولا ضيرَ في نسخِه بإنَّ وإنْ خالفَ الأخفشُ والمَعنى لهُم في الآخرةِ عذابُ جهنَم بسببِ كفرِهم ﴿ولهم عَذَابُ الحريقِ﴾ وهي نارٌ أُخرى عظيمةٌ بسببِ فتنتِهم للمؤمنينَ.

﴿إنَّ الذينَ آمنُوا وعملُوا الصالحاتِ﴾ على الإطلاقِ منَ المفتونينَ وغيرِهم ﴿لهُم﴾ بسببِ ما ذكرَ من الإيمانِ والعملِ الصَّالحِ ﴿جنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تحتِها الأنهارُ﴾ إنْ أريدَ بالجناتِ الأشجار فجريانُ الأنهارِ من تحتِها ظاهر وإن أريدَ بها الأرض المشتملةَ عليَها فالتحتيةِ باعتبارِ جزئِها الظاهرِ فإن أشجارَها ساترةٌ لساحتِها كما يعربُ عنْهُ اسمُ الجنةِ وقد مرَّ بيانُه مرارًا ﴿ذلكَ﴾ إشارةٌ إمَّا إلى الجناتِ الموصوفةِ والتذكيرُ لتأويلِها (٣) بما ذكرَ للإشعارِ بأنَّ مدارَ الحكم عنوانُهَا الذي يتنافس فيه المتنافسون فإنَّ اسمَ الإشارةِ متعرضٌ لذاتِ المشارِ إليهِ منْ حيثُ اتصافُهُ بأوصافِه المذكورةِ لا لذاتِه فقطْ كما هُوَ شأنُ الضميرِ فإذا أشيرَ إلى الجناتِ منْ حيثُ ذكرُهَا فقدِ اعتبرَ مَعَها عنوانُها المذكورُ حتمًا وإما إلى ما يفيدُه قولُه تعالَى لهم جناتٌ. . .إلخ من حيازتِهم لَها فإنَّ حصولَها لهُم مستلزمٌ لحيازتِهم لها قَطْعًا وأيا ما كانَ فما فيهِ منْ مَعْنى البُعدِ

(١) في خ: سيوفهم.
(٢) تقدم.
(٣) في خ: بتأويلها.

للإيذانِ بعلوِّ درجتِه وبعدِ منزلتِه في الفضلِ والشرفِ ومحله الرفعُ علَى الابتداءِ خبرُهُ ما بعده، أي ذلكَ المذكورُ العظيمُ الشأنِ ﴿الفوزُ الكبيرُ﴾ الذي يصغُرُ عندَهُ الدُّنيا وَمَا فِيهَا منْ فنونِ الرغائبِ بحذافيرِها والفوزُ النجاةُ منَ الشرِّ والظفرُ بالخيرِ فعَلى الأولِ هو مصدرٌ أطلقَ على المفعولِ مبالغةً وعَلى الثاني مصدرٌ عَلَى حالِه.

﴿إنَّ بطشَ ربِّك لشديدٌ﴾ استئنافٌ خُوطبَ بهِ النبيُّ ﷺ إيذانًا بأنَّ لكفارِ قومِهِ نصيبًا موفُورًا منْ مضمونِه كما ينبئُ عنْهُ التعرضُ لعنوانِ الربوبيةِ معَ الإضافةِ إلى ضميرِه عليهِ الصلاةُ والسلامُ والبطشُ الأخذُ بعُنْفٍ وحيثُ وصفَ بالشدةِ فقدْ تضاعفَ وتفاقمَ وهو بطشُه بالجبابرةِ والظلمة وَأخذُه إيَّاهُم بالعذابِ والانتقام كقولِه تعالَى: ﴿وكذلك أخذُ ربِّك إذَا أخذَ القُرى وَهيَ ظالمةٌ إن أخذَهُ أليمٌ شديدٌ﴾ [سورة هود، الآية ١٠٢].

﴿إنَّه هُوَ يُبدئُ وَيُعيدُ﴾ أيْ هُو يُبْدِئُ الخلقِ وَهُوَ يعيدُه مِنْ غير دَخْلٍ لأحدٍ في شيءٍ منْهُمَا ففيهِ مزيدُ تقريرٍ لشدةِ بطشِه أو هُو يبدئُ البطشَ بالكفرةِ في الدُّنيا وَيعيدُه فِي الآخرةِ ﴿وهُو الغفورُ﴾ لمن تاب وآمنَ ﴿الودودُ﴾ المحبُّ لمَنْ أطاعَ.

﴿ذُو العرشِ﴾ خالقُه وقيلَ: المرادُ بالعرشِ الملكُ أيْ ذُو السلطنةِ القاهرةِ وقرئ (ذِي العَرشِ)[1] عَلى أنَّهُ صفةُ ربِّك ﴿المجيدُ﴾ العظيمُ في ذاتِه وصفاتِه فإنَّهُ واجبُ الوجودِ تامُّ القُدرةِ كاملُ الحكمةِ وقرئَ بالجرِّ[2] على أنه صفةٌ لربِّكَ أَوْ للعرشِ ومجدُه علوّه وعظمتُه ﴿فعَّالٌ لَما يريدُ﴾ بحيثُ لا يتخلفُ عنْ إرادتِه مرادٌ من أفعالِه [تعالَى وأفعالِ غيرِه وهو خبرُ مبتدأٍ محذوفٍ وقولُه تعالَى: ﴿هَلْ أتاكَ حديثُ الجنودِ﴾ استئنافٌ مقررٌ][3] لشدةِ بطشِه تعالَى بالظلمةِ العُصاةِ والكفرةِ العتاةِ وكونُه فعالًا لما يريدُ متضمنٌ لتسليتِه عليه الصلاةُ والسلامُ بالإشعارِ بأنهُ سيصيبُ قومَهُ ما أصابَ الجنودَ ﴿فرعونَ وثمودَ﴾ بدلٌ منَ الجنودِ لأنَّ المرادَ بفرعونَ هُوَ وقومُه والمرادُ بحديثِهم ما صدرَ عنهُم من التمادِي في الكفرِ والضلالِ وما حلَّ بهِمْ منَ العذابِ

---

(١) قرأ بها: ابن عامر.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٤٥٢).

(٢) قرأ بها: حمزة، والكسائي، وعاصم، والمفضل، ويحيى بن وثاب، والحسن، والأعمش، وعمرو بن عبيد، وخلف.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٣٦)، والإعراب للنحاس (٣/ ٦٦٧) والبحر المحيط (٨/ ٤٥٢)، والتبيان للطوسي (١٠/ ٣١٩)، والتيسير للداني ص (٢٢١) وتفسير القرطبي (١٩/ ٢٩٦)، والغيث للصفاقسي ص (٣٨٢).

(٣) سقط في خ.

والنكالِ وَالمَعْنى قدْ أتاكَ حديثُهم وعرفتَ مافعلُوا وما فُعِلَ بهمْ فذكّر قومكَ بشؤونِ الله تعالَى وأنذرْهُم أنْ يصيبَهُم مثل ما أصاب أمثالهم.

وقوله تعالى: ﴿بل الذين كفروا في تكذيب﴾ إضراب عن مماثلتِهم [لهُم وبيانٌ لكونِهم أشدَّ منُهم في الكفرِ والطغيانِ كأنَّه قيلَ: ليسُوا مثلهم][١] فِي ذلكَ بلْ أشدُّ منهمُ في استحقاقِ العذابِ واستيجابِ العقابِ فإنَّهم مستقرونَ فِي تكذيبٍ شديدٍ [للقرآنِ الكريمِ أو قيلَ ليستْ جنايتُهم مجردَ عدم التذكرِ والاتعاظِ مما سمعُوا منْ حديثِهم بلْ هُم معَ ذلكَ في تكذيب شديدٍ للقُرآنِ][٢] الناطقِ بذلكَ لكنْ لا أنَّهم يكذبونَ بوقوعِ الحادثةِ بلْ بكونِ ما نطقَ بهِ قرآنًا منْ عندِ الله تعالى معَ وضوحِ أمرِه وظهورِ حالِه بالبيناتِ الباهرةِ ﴿والله مِنْ ورائِهم محيطٌ﴾ تمثيلٌ لعدم نجاتِهم منْ بأسِ الله تعالَى بعدمِ فوتِ المحاطِ المحيطَ وقولُه تعالَى: ﴿بلْ هُو قرآنٌ مجيدٌ﴾ ردٌّ لكفرهم وإبطالٌ لتكذيبهم وتحقيقٌ للحقِّ أيْ ليسَ الأمرُ كَما قالُوا بلْ هُو كتابٌ شريف عالِي الطبقةِ فَيما بينَ الكتبِ الإلهيةِ في النظم والمَعْنى وقرئ (قرآنُ مجيدٍ)[٣] بالإضافةِ أيْ قرآنُ ربٍّ مجيدٍ ﴿في لَوحٍ محفوظٍ﴾ أَيْ منَ التحريفِ ووصولِ الشياطينِ إليهِ وقرئ (محفوظٌ)[٤] بالرفع عَلى أنه صفةُ قرآنٍ. وقرئ (في لُوحٍ)[٥] وَهُوَ الهَوَاءُ أي ما فوقَ السماءِ السابعةِ الذي[٦] فيهِ اللوحُ.

عنِ النبيِّ ﷺ: **«مَنْ قرأَ سورةَ البروجِ أعطاهُ الله تعالَى بعددِ كلِّ جمعةٍ[٧] وعرفةٍ تكونُ في الدُّنيا عشرَ حسناتٍ»**[٨].

---

(١) سقط في خ.

(٢) سقط في خ.

(٣) قرأ بها: ابن السميفع، وأبو حيوة.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٤٥٢)، وتفسير القرطبي (١٩/ ٢٩٩)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٢٣٩)، وتفسير الرازي (٣١/ ١٢٤).

(٤) قرأ بها: نافع، وابن محيصن، والأعرج، وزيد بن علي، وأبو جعفر، وشيبة.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٣٦)، والإعراب للنحاس (٣/ ٦٧١) والإملاء للعكبري (٢/ ١٥٣) والبحر المحيط (٨/ ٤٥٣)، والتبيان للطوسي (١٠/ ٣١٩)، والتيسير للداني ص (٢٢١) وتفسير القرطبي (١٩/ ٢٩٩).

(٥) قرأ بها: ابن يعمر، وابن السميفع.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٤٥٢)، وتفسير القرطبي (١٩/ ٢٩٩)، وتفسير الرازي (٣١/ ١٢٤).

(٦) في خ: التي.

(٧) في خ: حسنة.

(٨) تقدم تخريجه.

سُورَةُ الطَّارِقِ

مَكِّيَّةٌ وآيُها سبعَ عشرة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ﴿٢﴾ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ ﴿٣﴾ إِن كُلُّ نَفۡسٖ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٞ ﴿٤﴾
فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ ﴿٦﴾ يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ
لَقَادِرٞ ﴿٨﴾ يَوۡمَ تُبۡلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٖ وَلَا نَاصِرٖ ﴿١٠﴾ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ﴿١١﴾ وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ
ٱلصَّدۡعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ ﴿١٤﴾ إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيۡدٗا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ
ٱلۡكَٰفِرِينَ أَمۡهِلۡهُمۡ رُوَيۡدَۢا ﴿١٧﴾

﴿والسماءِ والطَّارِقِ﴾ الطارقُ في الأصلِ اسمُ فاعلٍ منْ طرقَ طَرْقًا وطروقًا إذَا جاءَ ليلًا قالَ المَاورْدِيُّ: «وأصلُ الطرقِ الدقُّ ومنه سميتِ المطرقةُ وإنما سميَ قاصدُ الليلِ طارقًا لاحتياجِه إلى طرقِ البابِ غالبًا» ثم اتُّسعَ في كلِّ [ما ظهرَ بالليلِ كائنًا ما كانَ ثم أشبعَ في][1] التوسعِ حتى أطلقَ على الصورِ الخياليةِ الباديةِ بالليلِ قال: [الكامل]

طرقَ الخيالُ ولا كليلةِ مدلجِ [سدكًا بأرجلنَا ولم يتبرجِ][2][3]

والمرادُ هاهنا الكوكبُ البادِي بالليلِ، إما عَلى أنَّه اسمُ جنسٍ أو كوكبٌ معهودٌ وقيلَ: الطارقُ النجمُ الذي يقالُ له كوكبُ الصبحِ.

وقولُه تعالى: **﴿وما أدراكَ ما الطارقُ﴾** تنويهٌ بشأنِه إثرَ تفخيمِه بالإقسامِ به وتنبيهٌ على أنَّ رفعةَ قدرِه بحيثُ لا ينالُها إدراكُ الخلقِ فلا بُدَّ من تلقِّيها من الخلاَّقِ العليمِ

---

(١) سقط في خ.

(٢) البيت للحارث بن حلّزة اليشكريّ في ديوانه (ص ٤٢)، ولسان العرب (سجج)، وتاج العروس (مدك)، (رحل)، وأمالي القالي (١/ ٢٠٥)، وشرح اختيارات المفضل، ص (١١٣٧)، وشعراء النصرانية ص (٤١٩)، وبلا نسبة في جمهرة اللغة ص (٦٤٦)، ويروى «فلم يتعرج» بدل «ولم يتبرج».

(٣) في خ: نار حلنا ولم يتحرج.

فما الأُولى مبتدأٌ وأدراكَ خبرٌ، والثانيةُ خبرٌ والطارقُ[١] مبتدأٌ حسبما بينَ في نظائرِه أيْ وأيُّ شيءٍ أعلمكَ ما الطارقُ.

وقولُه تعالى: ﴿النجمُ الثاقبُ﴾ خبرُ مبتدأٍ محذوفٍ والجملةُ استئنافٌ وقعَ جوابًا عن استفهام نشأَ مما قبلَه كأنَّه قيلَ: ما هو؟ فقيلَ النجمُ المضيءُ في الغايةِ كأنه يثقبُ الظلام أو الأفلاكَ بضوئِه وينفذُ فيها والمرادُ بِهِ إما الجنسُ فإنَّ لكلِّ كوكبٍ ضوءًا ثاقبًا لا محالةَ وإما كوكبٌ معهودٌ قيلَ هو زُحَلُ وقيلَ: هو الثُّريَّا وقيلَ: هو الجَديُ وقيل: النجمُ الثاقبُ نجمٌ في السماءِ السابعةِ لا يسكُنها غيرُه فإذا أخذتِ النجومُ أمكنتَها من السماءِ هبط فكانَ معها ثم يرجعُ إلى مكانِه من السماءِ السابعةِ وهو زُحل فهو طارقٌ حينَ ينزلُ وحينَ يصعدُ وفي إيرادِه عندَ الإقسامِ به بوصفٍ مشتركٍ بينه وبين غيرِه ثم الإشارةِ إلى أنَّ ذلكَ الوصفَ غيرُ كاشفٍ عن كنه أمرِه وأن ذلكَ مما لا تبلغُه أفكارُ الخلائقِ ثم تفسيرِه بالنجمِ الثاقبِ من تفخيمِ شأنِه وإجلالِ محلِّه بما لا يَخْفى.

وقولُه تعالى: ﴿إِنْ كُلُّ نفسٍ لَما عليها حافظٌ﴾ جوابٌ للقسمِ وما بينهما اعتراضٌ جيءَ بِهِ لما ذكرَ من تأكيدِ فخامةِ المقسم بِهِ المستتبع لتأكيدِ مضمونِ الجملةِ المقسمِ عليها، وإِنْ نافيةٌ، ولَمَّا بمَعْنى إلاَّ أي ما كلُّ نفسٍ إلا عليها حافظٌ مهيمنٌ رقيبٌ وهو الله عزَّ وجلَّ كما في قولِه تعالَى: ﴿وكان الله على كلِّ شيءٍ رقيبًا﴾ [سورة الأحزاب، الآية ٥٢] وقيلَ: هو من يحفظُ عملَها ويُحصي عليها ما تكسبُ من خيرٍ وشرٍّ كما في قولِه تعالى: ﴿وَإِنَّ عليكم لحافظينَ كرامًا﴾ [سورة الانفطار، الآية ١٠] الآيةَ وقولُه تعالى: ﴿ويرسلُ عليكم حفظةً﴾ [سورة الأنعام، الآية ٦١] وقولُه تعالى: ﴿له معقباتٌ من بينِ يديهِ ومن خلفِه يحفظونَهُ﴾ [سورة الرعد، الآية ١١] وقرئ (لَمَا)[٢] مخففةً على أَنَّ إنْ مخففةٌ من الثقيلةِ واسمُها الذي هُو ضميرُ الشأنِ محذوفٌ واللامُ هي الفارقةُ وما مزيدةٌ أي أنَّ الشأنَ [كلُّ نفسٍ لعليها حافظٌ والفاءُ في قوله تعالى: ﴿فلينظرِ الإنسانُ مِمَّ خلقَ﴾ للتنبيهِ على أَنَّ مَا بُينَ مِنْ][٣] أن كلَّ نفسٍ عليها حافظٌ يُحصي عليها كلَّ ما يصدرُ عنها من قولٍ وفعلٍ مستوجبٌ على الإنسانِ أنْ يتفكرَ في

---

(١) زاد في خ: وأدراك خبره.

(٢) قرأ بها: أبو عمرو، ونافع، والكسائي، وابن كثير، وخلف، ويعقوب.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٣٦)، والإعراب للنحاس (٣/ ٦٧٢) والبحر المحيط (٨/ ٤٥٤)، والتبيان للطوسي (١٠/ ٣٢٣)، والتيسير للداني ص (٢٢١) وتفسير القرطبي (٢٠/ ٣)، والغيث للصفاقسي ص (٣٨٢).

(٣) سقط في خ.

مبدأِ فطرتِه حقَّ التفكر، حتى يتضح له أن من قدر على إنشائه من موادَّ لم تشمّ رائحة الحياة قط فهو قادرٌ على إعادتِه بل أقدرُ على قياسِ العقلِ[١] فيعملَ ليومِ الإعادةِ والجزاءِ ما ينفعُه يومئذٍ ويجديهِ ولا يملي على حافظِه ما يرديهِ.

وقولُه تعالى ﴿فلينظر الإنسان مم خلق * خلقَ منْ ماءٍ دافقٍ﴾ استئنافٌ وقعَ جوابًا عن استفهامٍ مقدرٍ كأنه قيلَ ممَّ خلقَ؟ فقيلَ: خلقَ من ماءٍ ذِي دفقٍ وهو صبٌّ فيه دفعٌ وسيلانٌ بسرعةٍ والمرادُ بِهِ الممتزجُ من الماءينِ في الرحمِ كما ينبئُ عنه قولُه تعالى: ﴿يخرجُ من بينِ الصلبِ والترائبِ﴾ أي صلبِ الرجلِ وترائبِ المرأةِ وهي عظامُ صدرِها قالوا إن النطفةَ تتولدُ من فضلِ الهضمِ الرابعِ وتنفصلُ عن جميعِ الأعضاءِ حتى تستعدَّ لأنْ يتولدَ منها مثلُ تلك الأعضاءِ ومقرُّها عروقٌ ملتفٌ بعضُها بالبعضِ عند البيضتينِ فالدماغُ أعظمُ الأعضاءِ معونةً في توليدِها ولذلك تشبهُه ويورثُ الإفراط في الجماعِ الضعفَ فيهِ[٢] وله خليفة[٣] هي النخاعُ، وهو في الصلبِ وشعبٌ كثيرةٌ نازلة إلى الترائبِ وهما أقربُ إلى أوعيةِ المنيِّ فلذلك خُصَّا بالذكرِ وقرئ (الصَّلَبِ)[٤] بفتحتينِ و(الصُّلُبِ)[٥] بضمتينِ وفيه لغةٌ رابعةٌ هي صالبٌ.

﴿إنَّه﴾ الضميرُ للخالقِ تعالَى فإنَّ قولَه خُلِقَ يدلُّ عليهِ أيْ أنَّ ذلكَ الذي خلقَهُ ابتداءً مما ذكرَ ﴿على رجعِه﴾ أي على إعادتِه بعد موتِه ﴿لقادرٌ﴾ لبينُ القدرة ﴿يوم تُبلى السرائرُ﴾ أي يُتعرفُ ويُتصفحُ ما أُسرَّ في القلوبِ من العقائدِ والنياتِ وغيرِها وما أُخفي من الأعمالِ ويُميزُ بين ما طابَ منها وما خبُثَ وهو ظرفٌ لرجعِه ﴿فما لَه﴾ أي للإنسانِ ﴿من قوةٍ﴾ في نفسِه يمتنعُ بها ﴿ولا ناصرٍ﴾ ينتصرُ به.

﴿والسماءِ ذاتِ الرجعِ﴾ أي المطرِ سميَ رَجْعًا لَما أن العربَ كانوا يزعمونَ أن السحابَ يحملُ الماءَ من بحارِ الأرضِ ثم يرجعُه إلى الأرضِ أو أرادُوا بذلكَ التفاؤلَ ليرجعَ ولذلك سمَّوه أوبًا أو لأنَّ الله تعالى يرجعُه حينًا فحينًا.

---

(١) في خ: الفعل.

(٢) في خ: فيه وقوله.

(٣) في خ: خليقه.

(٤) قرأ بها: اليماني.
ينظر: الإعراب للنحاس (٣/ ٦٧٤)، والبحر المحيط (٨/ ٤٥٥)، وتفسير القرطبي (٢٠/ ٧)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٢٤١)، وتفسير الرازي (٣١/ ١٢٩).

(٥) قرأ بها: ابن أبي عبلة، وابن مقسم، وعيسى، والثقفي.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٤٥٥)، وتفسير القرطبي (٢٠/ ٧)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٢٤١)، وتفسير الرازي (٣١/ ١٢٩).

﴿والأرضِ ذاتِ الصدعِ﴾ هو ما تتصدعُ عنه الأرضُ من النباتِ أو مصدرٌ من المبنيِّ للمفعولِ وهو تشققُها بالنباتِ لا بالعيونِ كما قيلَ، فإن وصفَ السماءِ والأرضِ عند الإقسامِ بهما على حقيةِ القرآنِ الناطقِ بالبعثِ بما ذكرَ من الوصفينِ للإيماءِ إلى أنَّهما في أنفسِهما من شواهدِه وهو السرُّ في التعبيرِ بالصدعِ عنه وعن المطرِ بالرجعِ وذلك في تشققِ الأرضِ بالنباتِ[١] المحاكِي للنشورِ حسبما ذكرَ في مواقعَ من التنزيلِ لا في تشققِها بالعيونِ ﴿إنَّه﴾ أي القرآنَ الذي من جُملته ما تُلي من الآياتِ الناطقةِ بمبدأِ حالِ الإنسانِ ومعادِه ﴿لقولٌ فصلٌ﴾ أي فاصلٌ بين الحقِّ والباطلِ مبالغٌ في ذلك كأنه نفسُ الفصلِ ﴿وما هو بالهزلِ﴾ ليس في شيءٍ منه شائبةُ هزلٍ بل كله جدٌّ محضٌ لا هوادةَ فيه فمن حقِّه أن يهتديَ به الغواةُ وتخضعَ له رقابُ العتاةِ ﴿إنهم﴾ أي أهلَ مكةَ ﴿يكيدونَ﴾ في إبطالِ أمرِه وإطفاءِ نورِه﴿كيدًا﴾ حسبما نفى به قدرتهم ﴿وأكيدُ كيدًا﴾ أي أقابلهُم بكيدٍ متينٍ لا يمكنُ ردُّه حيثُ أستدرجُهم من حيثُ لا يعلمونَ ﴿فمهّلِ الكافرينَ﴾ أي لا تشتغلْ بالانتقامِ منهم ولا تدعُ عليهم بالهلاكِ أو لا تستعجلْ بهِ والفاءُ لترتيبِ ما بعدها عَلى ما قبلها فإنَّ الإخبارَ بتوليهِ[٢] تعالى لكيدهم بالذاتِ مما[٣] يوجبُ إمهالَهم وتركَ التصدِّي لمكايدتِهم قطعًا.

وقولُه تعالى ﴿أمهلهمْ﴾ بدلٌ من مَهِّل.

وقولُه تعالى: ﴿رُويدًا﴾ إما مصدرٌ مؤيدٌ لمعنى العاملِ أو نعتٌ لمصدرِه المحذوفِ أي مهلهم إمهالًا رُويدًا أي قريبًا كما قالَه ابنُ عباسٍ رضيَ الله عنهُما أو قليلًا كما قاله قَتادةُ قال أبو عبيدةَ هُو في الأصلِ تصغيرُ [رُود بالضمِّ وأنشدَ: [البسيط]

.... كأنَّها ثَمِلٌ تَمشي عَلى رُودِ[٤]

أي على مهلٍ وقيل: تصغيرُ][٥] ارْوَادٍ مصدر أَرْوَدَ بالترخيمِ وله في الاستعمالِ

---

(١) في خ: بالبنات لا بالعيون كما قيل فإن وصف.

(٢) في ح: بقوله. (٣) في خ: ما.

(٤) عجز بيت وصدره:

تكادُ لا تثلِمُ البطحاءَ وطأتُها ....

والبيت للجموح الظفري في شرح أشعار الهذليين ص (٨٧٢)، ولسان العرب (رود)، وتاج العروس (٨/ ١٢٣) (رود)، وأساس البلاغة (ص ١٨٣) (رويد)، ومجمل اللغة (٢/ ٤٣٤)، وبلا نسبة في لسان العرب (رأد)، ومقاييس اللغة (٢/ ٤٥٨)، وتاج العروس (٨/ ٨٠) (رأد)، وتهذيب اللغة (١٤/ ١٦٢).

(٥) سقط في خ.

وجهانِ آخرانِ كونُه اسمَ فعلٍ نحوُ رويدَ[١] زيدًا وكونُه حالًا نحو سارَ القومُ رويدًا أَي متمهلينَ وفي إيرادِ[٢] البدلِ بصيغةٍ لا تحتملُ التكثيرَ وتقييدُه برويدًا على أحدِ الوجهينِ المذكورينِ من تسليةِ رسولِ الله ﷺ وتسكينِ قلبِه ما لا يَخْفى.

وعنْهُ ﷺ: «**من قرأَ سورةَ الطارقِ أعطاهُ الله تعالى بعددِ كلِّ نجمَ في السماءِ عشرَ حسناتٍ**»[٣] والله أعلمُ والموفق بمنه وكرمه.

---

(١) في خ: رويدًا.
(٢) في خ: إيراده.
(٣) تقدم تخريجه.

سُورَةُ الأَعْلى

مَكِّيةٌ وآيُها تسعَ عشرةَ[1]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾
فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ﴿٥﴾ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴿٧﴾ وَنُيَسِّرُكَ
لِلْيُسْرَىٰ ﴿٨﴾ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِى يَصْلَى
ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾
بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ
إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾

﴿**سَبِّحِ اسمَ ربِّكَ الأعْلَى**﴾ أي نزه اسمه عزَّ وجلَّ عن الإلحادِ فيه بالتأويلاتِ الزائغةِ وعن إطلاقِه على غيرِه بوجهٍ يُشعرُ بتشارِكِهما فيهِ وعن ذكرِه لاَ عَلى وجهِ الإعظامِ والإجلالِ. والأعلى: إمَّا صفةٌ للربِّ وهو الأظهرُ أو للاسمِ. وقرئ (سُبحانَ ربِّيَ الأعْلَى)[2]. وفي الحديثِ: لما نزلتْ (فسبح باسمِ ربِّكَ العظيم)، قال عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ «**اجعلُوها في ركوعِكم**»، فلمَّا نزلَ سبحِ اسمَ ربِّك الأعْلَى، قالَ «**اجعلُوها في سُجودِكم**»[3]. وكانُوا يقولونَ في الركوعِ اللهمَّ لكَ ركعتُ، وفي السجودِ

---

(١) زاد في خ: آية.

(٢) قرأ بها: أبي، وابن عمر.
ينظر: تفسير القرطبي (٢٠/ ١٤).

(٣) أخرجه أبو داود (١/ ٥٤٢) كتاب الصلاة، باب: ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده، الحديث (٨٧٠) والبيهقي من طريقه (٢/ ٨٦): كتاب الصلاة، باب القول في الركوع، من رواية الليث بن سعد، عن أيوب بن موسى أو موسى بن أيوب، عن رجل من قومه، عن عقبة بن عامر، قال: لما نزلت «فسبح باسم ربك العظيم»، قال لنا رسول الله ﷺ: «اجعلوها في ركوعكم، فلما نزلت «سبح اسم ربك الأعلى»، قال لنا: اجعلوها في سجودكم، فكان رسول الله ﷺ إذا ركع قال: سبحان ربي العظيم وبحمده ثلاثًا، وإذا سجد قال: سبحان ربي الأعلى وبحمده ثلاثًا».
قال أبو داود: «وهذه الزيادة نخاف ألا تكون محفوظة»، يعني قوله: «فكان رسول الله ﷺ إذا ركع =

اللَّهم لكَ سجدتُ.

﴿الذي خَلقَ فسوَّى﴾ صفةٌ أُخرى للربِّ على الوجهِ الأولِ، ومنصوبٌ على المدحِ على الثَّانِي لئلا يلزمَ الفصلُ بين الموصوفِ والصفةِ بصفةِ غيرِه، أيْ خلقَ كلَّ شيءٍ فسوَّى خلقَهُ، بأنْ جعلَ له ما به يتأتَّى كمالُه ويتسنَّى معاشُه.

وقولُه تعالَى: ﴿وَالذي قدَّرَ﴾ إمَّا صفةٌ أُخرى للربِّ كالموصول الأولِ، أو معطوفٌ عليهِ وكذا حالُ ما بعدَهُ. قدَّرَ أجناسَ الأشياءِ وأنواعِها وأفرادَها ومقاديرَها وصفاتِها وأفعالَها وآجالَها.

﴿فهَدَى﴾ أيْ فوجَّه كلَّ واحدٍ منَها إلى ما يصدرُ عنْهُ وينبغِي لهُ طبعًا[1] أو اختيارًا، ويسرهُ لما خُلقَ له بخلقِ الميولِ والإلهاماتِ ونصب الدلائلِ وإنزالِ الآياتِ ولو تتبعتَ أحوالَ النباتاتِ والحيواناتِ لرأيتَ في كلٍّ منَها ما تحارُ فيه العقولُ.

يُروى أنَّ الأفعَى إذَا بلغتْ ألفَ سنةٍ عميتْ وقدْ ألهمَها الله تعالَى أنْ تمسحَ عينَها بورقِ الرازيانجِ الغضِّ، يُردُّ إليها بصرُها، فربَّما كانتْ عندَ عُروضِ العَمَى لها في بريةٍ بينَها وبين الريفِ مسافةٌ طويلةٌ فتطويها حتى تهجمَ في بعضِ البساتينِ على شجرة الرازيانجِ لا تُخطئها فتحكُّ عينَها بورَقِها، وترجعَ باصرةً بإذنِ الله عزَّ وجلَّ. ويُروى أنَّ التمساحَ لا يكونُ له دُبرٌ وإنَّما يخرجُ فضلاتِ ما يأكلُه من فمِه [حيثُ قيَّضَ][2] الله له طائرًا قُدِّر غذاؤُه من ذلكَ، فإذَا رآهُ التمساحُ يفتحُ فمَهَ فيدخُله الطائرُ فيأكلُ ما فيهِ،

= قال: ... الحديث» لأن المعروف في الحديث بدونها إلى قوله : «اجعلوها في سجودكم».
وأخرجه بدون هذه الزيادة:
الطيالسي (١/ ١٣٥)، حديث (١٠٠٠)، وأحمد (٤/ ١٥٥)، والدارمي (١/ ٢٩٩): كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع، وأبو داود (١/ ٤٥٢): كتاب الصلاة: باب ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده، حديث (٨٦٩)، وابن ماجه (١/ ٢٨١): كتاب إقامة الصلاة: باب التسبيح في الركوع والسجود، الحديث (٨٨٧)، والحاكم (١/ ٢٢٥): كتاب الصلاة: باب القنوت في الصلوات، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (١/ ٢٣٥): كتاب الصلاة: باب ما ينبغي أن يقال في الركوع والسجود، والبيهقي (٢/ ٨٦) كتاب الصلاة: باب القول في الركوع، وابن خزيمة (١/ ٣٠٣)، رقم (٦٠٠)، وأبو يعلى (٣/ ٢٧٩)، رقم (١٧٣٨)، وابن حبان (٥٠٦-موارد)، والفسوي في «المعرفة والتاريخ» (٢/ ٥٠٢).
وقال الحاكم: «صحيح الإسناد»، ووافقه الذهبي وصححه ابن خزيمة، وابن حبان، فقد أخرجاه ولم يعلاه بشيء.

(١) في خ: إظهارًا.
(٢) في خ: فيقيض.

وقد خلقَ الله تعالى له من فوقِ منقارِه ومن تحتِه قرنينِ لئلا يطبقَ عليه التمساحُ فمَهُ. هَذا وأمَّا فنونُ هداياتِه سبحانَهُ وتعالَى للإنسانِ من حيثُ الجسميةُ ومن حيثُ الحيوانيةُ لا سيِّما من حيثُ الإنسانيةُ فممَّا لا يحيطُ به فلكُ العبارةِ والتحريرُ ولا يعلمُه إلا العليمُ الخبيرُ. ﴿والذي أَخْرَجَ المَرْعَى﴾ أيْ أنبتَ ما يرعاهُ الدوابُّ غضًّا طريًا يرفُ. ﴿فجعلَه﴾ بعدَ ذلكَ ﴿غُثاءً أَحْوَى﴾ أي دَرينًا أسودَ[1] وقيلَ: أحْوَى حالٌ من المَرْعى، أي أخرجَهُ أَحْوَى من شدة الخضرةِ والريِّ فجعلَه غُثاءً بعدَ ذلكَ.

وقولُه تعالى: ﴿سَنُقْرِئكَ فَلاَ تَنْسى﴾ بيانٌ لهدايةِ الله تعالَى الخاصَّةِ برسولِ الله ﷺ إثرَ بيانِ هدايتِه تعالى العامَّةِ لكافَّةِ مخلوقاتِه تعالى وهي هدايتُه عليه الصلاةُ والسلامُ لتلقِّي الوَحْي وحفظِ القرآنِ الذي هو هُدى للعالمينَ وتوفيقُه عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ لهدايةِ الناسِ أجمعينَ. والسين إمَّا للتأكيدِ وإمَّا لأنَّ المرادَ إقراءُ ما أَوْحى الله إليهِ حينئذٍ وما سيُوحى إليهِ بعدَ ذلكَ فهو وعدٌ كريمٌ باستمرارِ الوَحْي في ضمنِ الوعدِ بالإقراءِ أي سنُقرئكَ ما نُوحِي إليكَ الآنَ وفيما بعدُ على لسانِ جبريلَ عليهِ السَّلامُ أو سنجعلكَ قارئًا بإلهامِ القراءةِ فلا تنْسى أصلًا من قوةِ الحفظِ والإتقانِ مع أنَّكَ أميٌّ لا تدرِي ما الكتابُ وما القراءةُ ليكونَ ذاكَ آيةً أُخرى لكَ معَ ما في تضاعيفِ ما تقرؤه من الآياتِ البيناتِ [من حيثُ الإعجازُ ومن حيثُ الإخبارُ بالمغيباتِ][2]، وقيلَ فلا تنْسى نهيٌ والألفُ لمراعاة الفاصلةِ كما في قولِه تعالى: «**فأضلُّونَا السبيلاَ**» [سورة الأحزاب، الآية ٦٧].

وقولُه تعالى: ﴿إلَّا مَا شاءَ الله﴾ استثناءٌ مفرغٌ منْ أعمِّ المفاعيلِ، أيْ لا تَنْسى ممَّا تقرؤُه شيئًا من الأشياءِ إلا ما شاءَ الله أنْ تنساهُ أبدًا بأنْ نُسخَ تلاوتُه، والالتفاتُ إلى الاسم الجليلِ لتربيةِ المهابةِ والإيذانِ بدورانِ المشيئةِ على عُنوانِ الأُلوهيةِ المستتبعةِ لسائرِ الصفاتِ، وقيل: المرادُ به النسيانُ في الجملةِ على القلةِ والندرةِ كما رُويَ أنه عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ أسقطَ آيةً في قراءتِه في الصلاةِ حسبَ أبيٌّ أنها نُسختْ فسألَه فقالَ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ «**نسيتُها**»[3]، وقيلَ: نَفيُ النسيانِ رأسًا فإنَّ القِّلةَ قد تُستعملُ

---

(١) درين: الدَّرن محركة: يبيس كل حطام حمضٍ أو شجرٍ أو بقلٍ، وأدرنت الإبل: رعته وظبي مدران: يأكله وحطب مُدْرِنٌ: يابس. وأمُّ درين: الأرض المجدبة.

(٢) سقط في خ.

(٣) أخرجه أحمد (٣/ ٤٠٧)، والنسائي في السنن الكبرى (٥/ ٦٧) برقم (٨٢٤٠)، وابن خزيمة (٣/ ٧٣) برقم (١٦٤٧)، والضياء في المختارة (٣/ ٤٢٩) برقم (١٢٢٩) من حديث عبد الرحمن بن أبزى عن أبي رضي الله عنه أن النبي ﷺ صلى بنا في الفجر فترك آية فلما صلى قال: أفي القوم =

في النَّفي فالمرادُ بالنسيانِ حيئذٍ النيسانُ بالكليةِ إذْ هو المنفيُّ رأسًا لا ما قَدْ يُنسى ثم يُذكرُ.

﴿إنَّه يعلمُ الجهرَ ومَا يَخفَى﴾ تعليلٌ لمَا قبلَهُ أيْ ما ظهرَ وما بطنَ من الأمورِ التي من جُملتِها ما أُوحيَ إليكَ فيُنْسِي ما يشاءُ إنساءَهُ ويُبقي محفوظًا ما يشاءُ إبقاءَهُ لما نيطَ بكلٍّ منهُما من مصالحِ دينِكم.

﴿ونُيسِّرك لليُسْرَى﴾ عطفٌ على نُقرئكَ كما ينبئُ عنه الالتفاتُ إلى الحكايةِ وما بينهما اعتراضٌ وارد لما ذُكرَ من التعليلِ وتعليقُ التيسيرِ به عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ مع أنَّ الشائعَ تعليقُه بالأمورِ المسخرةِ للفاعلِ كما في قولِه تعالى: ﴿ويَسِّرْ لي أَمْرِي﴾ [سورة طٰه، الآية ٢٦] للإيذانِ بقوةِ تمكينِه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ من اليُسرى والتصرفِ فيها بحيثُ صارَ ذلكَ ملكةً راسخةً له كأنَّه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ جُبلَ عليها كما في قولِه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «اعملُوا فكُلٌّ ميسرٌ لِمَا خُلقَ له»[1]. أي نوفقكَ توفيقًا مستمرا للطريقةِ اليُسرى في كُلِّ بابٍ من أبوابِ الدينِ علمًا وتعليمًا واهتداءً[2] وهدايةً فيندرجُ فيه تيسيرُ طريقِ [تلقِّي][3] الوَحْي والإحاطةِ بما فيه منْ أحكامِ الشريعةِ السمحةِ والنواميسِ الإلهيةِ مما يتعلقُ بتكميلِ نفسِه عليه الصلاةُ والسَّلامُ وتكميلِ غيرِه، كما تفصحُ عنه الفاءُ في قولِه تعالى: ﴿فذكِّر إنْ نفعتِ الذِّكْرَى﴾ أي فذكرِ النَّاسَ حسبما يَسَّرناكَ لهُ بما يُوحى إليكَ واهدِهِم إلى ما في تضاعيفِه من الأحكامِ الشرعيةِ كما كنتَ تفعلُه لا بعدَ ما استتبَ لكَ الأمرُ كما قيلَ. وتقييدُ التذكيرِ ينفعِ الذكرَى لما أنَّ رسولَ الله ﷺ طالمَا كانَ يذكرهُم ويستفرغُ فيه غايةَ المجهودِ ويتجاوزُ في الجدِّ كلَّ حدٍّ معهودٍ حرصًا على إيمانِهم وما كانَ يزيدُ ذلكَ بعضُهم إلا كُفرًا وعنادًا فأُمرَ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ بأنْ يخصَّ التذكيرَ بموادِّ النفعِ في الجملةِ بأنْ يكونَ مَنْ يذكرُهُ كلا أو بعضًا مِمَّنْ يُرجى منه التذكرُ ولا يتعبُ نفسَه في تذكيرِ مَن لا يورثُهُ التذكيرُ إلا عتوا ونفورًا من المطبوعِ على قلوبِهم كما في قولِه تعالى: ﴿فذكرْ بالقرآنِ من يخافُ وعيدِ﴾ [سورة ق، الآية ٤٥] وقولِه تعالى: ﴿فأعرضْ عن من تولَّى عن ذكرِنا﴾ [سورة

= أبي بن كعب؟ قال أُبي: يا رسول الله نسخت آية كذا وكذا أو نسيتها؟ قال: نُسِّيتُها.

(١) أخرجه البخاري (٩/ ٧٢٦) كتاب التفسير، باب: «فسنيسره للعسرى»، برقم (٤٩٤٩)، ومسلم (٤/ ٢٠٤٠) كتاب القدر، باب: كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه، برقم (٢٦٤٧/٧) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٢) في خ: هدى.

(٣) سقط في خ.

النجم، الآية ٢٩] وقيلَ: هُو ذمٌّ للمذكرينَ وإخبارٌ عن حالِهم واستبعادٌ لتأثيرِ التذكيرِ فيهم وتسجيلٌ عليهمْ بالطبعِ على قلوبِهم كقولكَ لواعظ عظِ المكَّاسينَ إنْ سمعُوا منك قصدًا إلى أنَّه مما لا يكونُ والأولُ أنسبُ لقوله تعالى: ﴿سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى﴾ أي سيتذكرُ بتذكيرِكَ مَنْ مِنْ شأنِه أنْ يخشَى الله تعالى حقَّ خشيتِه أو مَنْ يخشَى الله تعالَى في الجملةِ فيزدادُ ذلكَ بالتذكيرِ فيتفكرُ في أمرِ مَا تذكرَ به فيقفُ على حقيتِه فيؤمنُ بهِ، وقيلَ: إنْ بمَعْنى إذْ كمَا في قولِه تعالى: ﴿وأنتُم الأعلونَ إنْ كنتُم مؤمنينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية ١٣٩] أي إذْ كنتُم وقيلَ هيَ بمَعْنى مَا أي فذكر ما نفعتِ الذكرَى فإنَّها لا تخلُو عن نفعٍ بكلِّ حالٍ، وقيلَ: هناكَ محذوفٌ، والتقديرُ إنْ نفعتِ الذكرَى وإنْ لم تنفعْ كقولِه تعالَى: ﴿سرابيلَ تقيكُم الحرَّ﴾ [سورة النحل، الآية ٨١] قالَهُ الفَّراءُ والنَّحاسُ والجُرجَانيُّ والزهراويُّ.

﴿وَيتجَنَّبُهَا﴾ أي الذكرَى ﴿الأَشْقَى﴾ من الكفرة لتوغله في عداوة النبيِّ ﷺ وقيلَ: نزلتْ في الوليدِ بنِ المغيرةِ وعتبةَ بنِ أبي ربيعةَ. ﴿الذي يَصْلى النَّارَ الكُبرَى﴾ أي الطبقةَ السُّفلَى من طبقاتِ النارِ، وقيلَ: الكُبرى نارُ جهنمَ والصُّغرى نارُ الدُّنيا لقولِه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «**نارُكم هذهِ جزءٌ من سبعينَ جُزْءًا من نارِ جهنَم**»[١].

﴿ثُمَّ لا يَمُوتُ فيها﴾ حتى يستريحَ ﴿وَلاَ يحْيى﴾ حياةً تنفعُه وثمَّ للتراخِي في مراتبِ الشدةِ لأن الترددَ بين الموت والحياةِ أفظعُ من الصَّلْي.

﴿قَدْ أفلحَ﴾ أي نجَا من المكروهِ وظفرَ بما يرجُوه ﴿مَنْ تزكَّى﴾ أيْ تطهرَ من الكفرِ والمعاصِي بتذكرِه واتعاظِه بالذكرَى أو [تكثر من التَّقوى والخشيةِ][٢] مْنَ الزكاءِ وهو النماءُ وقيلَ تزكَّى تفعَّل[٣] من الزكاةِ. وكلمةُ قَدْ لما أنَّ عندَ الإخبارِ بسوءِ حالِ المتجنبِ عنِ الذكرَى في الآخرةِ يتوقعُ السامعُ الإخبارَ بحسنِ حالِ المتذكرِ[٤] فيها وينتظرُه ﴿وَذَكَر اسمَ ربِّه﴾ بقلبِه ولسانِه ﴿فَصَلَّى﴾ أقامَ الصلواتِ[٥] كقولِه تعالى: ﴿وأقِم الصلاةَ لذكرِي﴾ [سورة طه، الآية ١٤] أو كبرَ تكبيرةَ الافتتاحِ فصلَّى، وقيلَ تزكَّى أي تصدقَ صدقة الفطرِ و(ذكر اسمَ ربِّه) أي كبَّرهُ يومَ العيدِ فصلَّى أيْ صلاتَهُ.

---

(١) أخرجه البخاري واللفظ له (٦/ ٤٨١) كتاب بدء الخلق، باب: صفة النار وأنها مخلوقة، برقم (٣٢٦٥)، ومسلم (٤/ ٢١٨٤) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: في شدة حر نار جهنم، وبعد قعرها، برقم (٣٠/ ٢٨٤٣)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
ولفظ مسلم: ناركم هذه التي يوقد ابن آدم، جزء من سبعين جزءًا من حر جهنم».

(٢) في خ: تذكر فكثر من التقوى.

(٣) في خ: تقعد.

(٤) في خ: التذكير.

(٥) في خ: الصلوات الخمس.

﴿بَلْ تُؤْثِرونَ الحياةَ الدُّنيا﴾ إضرابٌ عن مقدرٍ ينساقُ إليهِ الكلامُ كأنَّه قيلَ إثرَ بيانِ ما يؤدِّي إلى الفلاحِ: لا تفعلونَ ذلكَ بلْ تؤثرونَ اللذاتِ العاجلةَ الفانيةَ فتسعَونَ لتحصيلِها، والخطابُ إمَّا للكفرةِ فالمرادُ بإيثارِ الحياةِ الدُّنيا هُو الرِّضا والاطمئنانُ بهَا والإعراضُ عن الآخرةِ بالكليةِ كما في قولِه تعالى: ﴿إنَّ الذينَ لا يرجونَ لقاءَنَا ورَضُوا بالحياةِ الدُّنيا واطمأنوا بهَا﴾ [سورة يونس، الآية ٧] الآيةَ، أو للكُلِّ فالمرادُ بإيثارها ما هُو أعمُّ ممَّا ذُكرَ وما لا يخلُو عنْهُ الإنسانُ[1] غالبًا من ترجيحِ جانبِ الدُّنيا على الآخرة في السَّعي، وترتيب المبادِي. والالتفاتُ على الأولِ لتشديدِ التوبيخ وعلى الثَّاني كذلكَ في حقِّ الكفرةِ وتشديدِ العتابِ في حقِّ المسلمينَ. وقرئَ (يُؤثرونَ)[2] بالياءِ.

وقولُه تعالى: ﴿والآخرةُ خيرٌ وأبقَى﴾ حالٌ من فاعلِ (تؤثرونَ) مؤكدةٌ للتوبيخِ والعتابِ أي تُؤثرونَها على الآخرةِ والحالُ أنَّ الآخرةَ خيرٌ في نفسِها لمَا أنَّ نعيمَها مع كونِه في غايةِ ما يكونُ من اللذةِ خالصٌ عن شائبةِ الغائلةِ أبديٌّ لا انصرامَ لَه. وعدمُ التعرضِ لبيانِ تكدرِ نعيم الدُّنيا بالمنغصاتِ وانقطاعِه عمَّا قليلٍ لغايةِ ظهورِه.

﴿إنَّ هذا﴾ إشارةٌ إلى ما ذُكِرَ من قولِه تعالى: ﴿قد أفلحَ مَنْ تزكَّى﴾ [سورة الأعلىٰ، الآية ١٤] وقيلَ: إلى ما في السورةِ جميعًا ﴿لفي الصُّحفِ الأُولى﴾ أي ثابتٌ فيها معناهُ ﴿صُحُفِ إبراهيمَ ومُوسَى﴾ بدلٌ من الصحفِ الأُولى وفي إبهامِها ووصفِها بالقدمِ ثم بيانِها وتفسيرِها من تفخيمِ شأنِها ما لا يَخْفى.

رُويَ أن جميعَ ما أنزلَ الله عزَّ وجلَّ من كتابٍ مائةٌ وأربعةُ كتبٍ، أنزلَ على آدمَ عليهِ السَّلامُ عشرَ صحفٍ وعلى شيثٍ خمسينَ صحيفةً وعلى إدريسَ ثلاثينَ صحيفةً وعلى إبراهيمَ [عشرَ صحائفَ عليهم السَّلامُ][3] والتوراةَ والإنجيل والزبور والفرقانَ.

عن[4] النبيِّ ﷺ: **«من قرأَ سورةَ الأَعْلى أعطاهُ الله عشرَ حسناتٍ بعددِ كلِّ حرفٍ أنزلَهُ الله تعالَى على إبراهيمَ ومُوسى ومحمدٍ عليهم السَّلامُ»**[5].

---

(١) في خ: الناس.

(٢) قرأ بها: أبو عمرو، واليزيدي، وابن مسعود، وأبو رجاء، والحسن، والجحدري، وأبو حيوة، وابن أبي عبلة، والزعفراني، وابن مقسم، ونصر بن عاصم، وروح، وزيد، وقتيبة، ورويس، وابن مهران.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٣٧)، والإعراب للنحاس (٣/ ٦٨٣)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٥٤)، والسبعة لابن مجاهد ص (٦٨٠)، والغيث للصفاقسي ص (٣٨٢).

(٣) سقط في خ.

(٤) زاد في خ: ما جاء في فضائل هذه السورة ما روي.

(٥) تقدم تخريجه، وزاد في خ: والله الموفق بمنِّه وكرمه.

سُورَةُ الغَاشِيَةِ

مَكِّيةٌ وآيُها [ستٌّ وعشرونَ][1]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴿١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً
﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ ﴿٥﴾ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ﴿٧﴾
وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ
جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾
أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ
﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾
إِلَّا مَنْ تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا
حِسَابَهُمْ ﴿٢٦﴾

﴿هلْ أتاكَ حديثُ الغاشيةِ﴾ قيلَ: هلْ بمَعْنى قَدْ كمَا في قولِه تعالَى: ﴿هَلْ أَتَى على الإنسانِ﴾ [سورة الإنسان، الآية ١] الآيةَ، قالَ قُطْربٌ: أيْ قد جاءكَ يا محمدُ حديثُ الغاشيةِ. وليسَ بذاكَ بلْ هو استفهامٌ أُريدَ به التعجيبُ ممَّا في حيزِه والتشويقُ إلى استماعِه[2] والإشعارُ بأنَّه من الأحاديثِ البديعةِ التي حقُّها أنْ يتناقلَها الرواةُ ويتنافسُ في تلقيها الوعاةُ مِنْ كلِّ حاضرٍ وبادٍ. والغاشيةُ الداهيةُ الشديدةُ التي تغشَى الناسَ بشدائدِها وتكتنفُهم بأهوالِها وهيَ القيامةُ من قولِه تعالى: ﴿يومَ يغشاهُم العذابُ﴾ [سورة العنكبوت، الآية ٥٥]. . .إلخ، وقيلَ: هيَ النارُ من قولِه تعالى: ﴿وتغشَى وجوهَهُم النارُ﴾ [سورة إبراهيم، الآية ٥٠] وقولِه تعالى: ﴿ومن فوقِهم غواشٍ﴾ [سورة الأعراف، الآية ٤١] والأولُ هو الحقُّ فإنَّ ما سيُروى من حديثِها ليسَ مختصا بالنَّارِ وأهلِها بلْ ناطقٌ بأحوالِ أهلِ الجنةِ أيضًا.

---

(١) في خ: عشرون وست.

(٢) في خ: سماعه.

وقولُه تعالى: ﴿**وجوهٌ يومئذٍ خاشعةٌ**﴾ إلى قولِه تعالى: ﴿مبثوثة﴾ [سورة الغاشية، الآية ١٦] استئنافٌ وقعَ جوابًا عن سؤالٍ نشأ من الاستفهام التشويقيِّ كأنَّه قيلَ من جهتِه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: **ما أتاني حديثُها، فما هو؟** فقيلَ: وجوهٌ يومئذٍ، أيْ يومَ إذْ غشيتْ ذليلةٌ، قالَ ابنُ عباسٍ رضيَ الله عنهُمَا: لم يكنْ أتاهُ عليه الصَّلاة والسَّلامُ حديثُها فأخبرَهُ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ عنهَا فقالَ: وجوهٌ. . .إلخ، فوجوهٌ مبتدأٌ ولا بأسَ بتنكيرِها لأنَّها في موقعِ التنويعِ، وخاشعةٌ خبرُهُ.

وقولُه تعالى: ﴿**عاملةٌ ناصبةٌ**﴾ خبرانِ آخرانِ لوجوهٌ إذِ المرادُ بهَا أصحابُها أي تعملُ أعمالًا شاقةً تتعبُ فيها وهيَ جرُّ السلاسلِ والأغلالِ والخوضُ في النَّارِ خوضَ الإبلِ في الوحلِ والصعودُ والهبوطُ في تلالِ النارِ ووهادِها، وقيلَ: عملتْ في الدُّنيا أعمالَ السوءِ والتذتْ بها فهيَ يومئذٍ في نصبٍ منها، وقيلَ: عملتْ ونصبتْ في أعمال لا تُجدي عليهَا في الآخرةِ.

وقولُه تعالَى: ﴿**تصلَى**﴾ أي تدخلُ ﴿**نارًا حاميةً**﴾ أي متناهيةً في الحرِّ، خبرٌ آخرُ لوجوهٌ، وقيلَ: هو الخبرُ وما قبلَهُ صفاتٌ لوجوهٌ، وقد مرَّ غيرَ مرةٍ أن الصفةَ حقها أن تكونَ معلومة الانتسابِ إلى الموصوفِ عندَ السامعِ قبلَ جعلِها صفةً له ولا ريبَ في أنَّ صليَ النارِ وما قبلَهُ من الخشوعِ والعملِ والنَّصَبِ أمورٌ متساويةٌ في الانتسابِ إلى الوجوهِ معرفةً وجهالةً فجعلُ بعضِها عُنوانًا للموضوعِ قيدًا مفروغًا عنه غير مقصودِ الإفادةِ وبعضِها مناطًا للإفادةِ تحكُّمٌ بحتٌ ويجوزُ أنْ يكونَ هذا وما بعدَهُ من الجملتينِ استئنافًا مبينًا لتفاصيلِ أحوالِها.

﴿**تُسقَى مِنْ عينٍ آنيةٍ**﴾ أي متناهيةٍ في الحرِّ كما في قولِه تعالى: ﴿وبين حميم آنٍ﴾ [سورة الرحمٰن، الآية ٤٤] ﴿**ليسَ لهم طعامٌ إلا من ضريعٍ**﴾ بيانٌ لطعامِهم إثرَ بيانِ شرابِهم، والضريعُ [يبيسُ الشبرقِ][1] وهو شوكٌ ترعاهُ الإبلُ ما دامَ رطبًا وإذا يبسَ تحامتْهُ وهو سمٌّ قاتلٌ، وقيلَ: هي شجرةٌ ناريةٌ تشبهُ الضريعَ وقال ابنُ كيسانٍ: هو طعامٌ يُضرعونَ عندَهُ ويذلُّونَ ويتضرعونَ إلى الله تعالى طلبًا للخلاصِ منه فسمِّيَ بذلكَ وهذا طعامٌ لبعضِ أهلِ النارِ، والزقومُ والغسلينُ لآخرينَ ﴿**لا يُسمنُ ولا يُغني من جوعٍ**﴾ أي ليسَ من شأنِه الإسمانُ والإشباعُ كما هو شأنُ طعام الدُّنيا وإنما هُو شيءٌ يضطرونَ إلى أكلِه من غيرِ أنْ يكونَ له دفعٌ لضرورتِهم لكنْ لا على أنَّ لهم استعدادًا للشبعِ والسمنِ إلا أنَّه لا يفيدُهم شيئًا منهمَا بلْ على أنَّه لا استعدادَ من

---

(١) في خ: بنفس الشرق.

جهتِهم ولا إفادةَ من جهةِ طعامِهم، وتحقيقُ ذلكَ أنَّ جوعَهُم وعطشَهُم ليسا من قبيلِ ما هُو المعهودُ منهما في هذه النشأةِ من حالةٍ عارضةٍ للإنسانِ عندَ استدعاءِ الطبيعةِ لبدلِ ما يتحللُ من البدنِ مشوقةً له إلى المطعومِ والمشروبِ بحيثُ يلتذُّ بهَا عندَ الأكلِ والشربِ ويستغنِي بهمَا عن غيرِهما عندَ استقرارِهما في المعدةِ ويستفيدُ منهما قوةً وسمنًا عند انهضامِهما بلْ جوعُهم عبارةٌ عن اضطرارِهم عند اضطرامِ النارِ في أحشائِهم إلى إدخالِ شيءٍ كثيفٍ يملؤُها ويُخرجُ ما فيها من اللهبِ وأما أن يكونَ لهم شوقٌ إلى مطعومٍ ما أو التذاذٌ به عندَ الأكلِ و[استغناءٌ به][1] عن الغير أو استفادةُ قوةٍ فهيهاتَ وكذا عطشُهم عبارةٌ عن[2] اضطرارهم عند أكلِ الضريع والتهابِه في بطونِهم إلى شيءٍ مائعٍ باردٍ يطفئُه من غيرِ أنْ يكونَ لهم التذاذٌ بشربه أو استفادةُ قوةٍ به في الجملة وهو المعنيُّ بما رُويَ أنه تعالَى يسلطُ عليهم الجوعَ بحيثُ يَضطرهُم إلى أكلِ الضريعِ[3] فإذا أكلُوه يسلطُ عليهم العطشَ فيضطرهُم إلى شرب الحميمِ فيشوِي وجوهَهُم ويقطعُ أمعاءَهُم. وتنكيرُ الجوع للتحقيرِ أيْ لا يُغني من[4] جوعٍ ما، وتأخيرُ نَفيِ الإغناءِ منْهُ[5] لمراعاةِ الفواصلِ والتوسلِ به إلى التصريحِ بنفي كلا الأمرينِ إذ لو قُدمَ لما احتيجَ إلى ذكر نفي الإسمانِ ضرورة استلزام نفي الإغناءِ عن الجوعِ إيَّاه بخلاف العكسِ ولذلك كررَ لاَ لتأكيدِ النَّفي. وقولُه تعالى: **﴿وجوهٌ يومئذٍ ناعمةٌ﴾** شروعٌ في روايةِ حديثِ أهلِ الجنةِ، وتقديمُ حكايةِ حالِ أهلِ النارِ لأنَّه أدخلُ في تهويلِ الغاشيةِ وتفخيمِ حديثِها، ولأنَّ حكايةَ حسنِ حالِ أهلِ الجنةِ بعدَ حكايةِ سُوءِ حالِ أهلِ النارِ مما يزيدُ المحكيَّ حُسنًا وبهجةً والكلامُ في إعرابِ الجملةِ كالذي مرَّ في نظيرتِها، وإنما لم تُعطفْ عليها إيذانًا بكمالِ تباينِ مضمونَيهما. ومعنى ناعمةٌ ذاتُ بهجةٍ وحسنٍ، كقولِه تعالى: ﴿تعرفُ في وجوهِهم نضرةَ النعيمِ﴾ [سورة المطففين، الآية ٢٤] أو متنعمةٌ **﴿لسعيِها راضيةٌ﴾** أي لعملها الذي عملتْهُ في الدُّنيا حيثُ شاهدتْ ثمرتَهُ **﴿في جنةٍ عاليةٍ﴾** مرتفعةِ المحلِّ أو عليةِ المقدارِ.

﴿لا تسمعُ﴾ أي أنتَ أو الوجوهُ **﴿فيها لاغيةً﴾** لغوًا أو كلمةً ذاتَ لغوٍ أو نفسًا تلغُو فإنَّ كلامَ أهلِ الجنةِ كلَّه أذكارٌ وحكمٌ. وقرئ لا تُسمعُ على البناءِ للمفعول

---

(١) في خ: استغناؤه.
(٢) في خ: عند.
(٣) زاد في خ: الضريع والزقوم.
(٤) في خ: عن.
(٥) في خ: عنه.

بالياءِ[(١)] والتاءِ[(٢)] ورفع (لاغيةٌ).

﴿فيها عينٌ جاريةٌ﴾ أيْ عيونٌ كثيرةٌ تجرِي مياهُها، كقولِه تعالَى: ﴿علمتْ نفسٌ﴾ [سورة التكوير، الآية ١٤] ﴿فيها سررٌ مرفوعةٌ﴾ رفيعةُ السمكِ أو المقدارِ ﴿وأكوابٌ﴾ جمعُ كوبٍ وهو إناءٌ لا عُروةَ لهُ ﴿موضوعةٌ﴾ أي بينَ أيديهم ﴿ونمارقُ﴾ وسائدُ جمعُ نمرقة بالفتحِ والضمِّ ﴿مصفوفةٌ﴾ بعضُها إلى بعضٍ ﴿وزرابيُّ﴾ أي بسطٌ فاخرةٌ جمعُ زُرْبيَّة ﴿مبثوثةٌ﴾ أيْ مبسوطةٌ.

﴿أفلا ينظرونَ إلى الإبلِ كيفَ خُلقتْ﴾ استئنافٌ مسوقٌ لتقريرِ ما فصلَ من حديثِ الغاشيةِ وما هو مبنيٌّ عليهِ من البعثِ الذي هم فيه مختلفونَ بالاستشهادِ عليهِ بما لا يستطيعونَ إنكارَهُ. والهمزةُ للإنكارِ والتوبيخِ، والفاءُ للعطفِ على مقدرٍ يقتضيهِ المقامُ وكلمة كيفَ منصوبةٌ بما بعدَها كما في قولِه تعالى: ﴿كيفَ تكفرونَ باللهِ﴾ [سورة البقرة، الآية ٢٨] معلقةٌ لفعلِ النظرِ، والجملةُ في حيزِ الجرِّ على أنَّها بدلُ اشتمالٍ من الإبلِ أي أينكرونَ ما ذُكِرَ من البعثِ وأحكامِه ويستبعدونَ وقوعَهُ من قدرةِ اللهِ عزَّ وجلَّ فلا ينظرونَ إلى الإبلِ التي هي نصبُ أعينِهم يستعملونَها كلَّ حينٍ إلى أنَّها كيفَ خُلقتْ خلقًا بديعًا معدولًا بِهِ عن سننِ خلقةِ سائرِ أنواعِ الحيواناتِ في عظمِ جثتِها وشدةِ قوتِها وعجيبِ هيأتِها اللائقةِ بتأتِّي ما يصدرُ عنها من الأفاعيلِ[(٣)] الشاقةِ كالنوءِ بأوقارِها الثقيلةِ وجرِّ الأثقالِ الفادحةِ إلى الأقطارِ النازحةِ وفي صبرِها على الجوعِ والعطشِ حتى إن أظماءَها لتبلغُ العشرَ فصاعدًا واكتفائِها باليسيرِ ورعيها لكلِّ ما يتيسر من شوكٍ وشجرٍ وغيرِ ذلكَ مما لا يكادُ يرعاهُ سائرُ البهائمِ وفي انقيادِها مع ذلكَ للإنسانِ في الحركةِ والسكونِ والبروكِ والنهوضِ حيثُ يستعملُها في ذلكَ كيفما يشاءُ ويقتادُها بقطارِها كلُّ صغيرٍ وكبيرٍ.

﴿وإلى السماءِ﴾ التي يشاهدونها كل لحظة بالليل والنهار ﴿كيف رفعت﴾ رفعًا سحيق المدى بلا عمادٍ ولا مساكٍ بحيث لا يناله الفهم والإدراك. ﴿وإلى الجبال﴾

---

(١) قرأ بها: ابن كثير، وأبو عمرو، ورويس، وابن محيصن، والحسن، واليزيدي، وعيسى.
ينظر: التبيان للطوسي (١٠/ ٣٣٥)، والتيسير للداني ص (٢٢٢)، وتفسير القرطبي (٢٠/ ٣٣)، والحجة لابن خالويه ص (٣٦٩)، والكشف للقيسي (٢/ ٣٧١).

(٢) قرأ بها: نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وابن محيصن، والأعرج.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٣٧)، والإعراب للنحاس (٣/ ٦٨٧)، والبحر المحيط (٨/ ٤٦٣)، والسبعة لابن مجاهد ص (٦٨١)، والغيث للصفاقسي ص (٣٨٣).

(٣) في خ: الأفاعيل المذكورة.

التي ينزلون في أقطارها وينتفعون بمياهها وأشجارها ﴿كيف نصبت﴾ نصبًا رصينًا فهيَ راسخةٌ لا تميلُ ولا تميدُ ﴿وإلى الأرضِ﴾ التي يضربونَ فيها ويتقلبونَ عليها ﴿كيفَ سُطِحتْ﴾ سطحًا بتوطئةٍ وتمهيدٍ وتسويةٍ وتوطيدٍ حسبما يقتضيهِ صلاحُ أمورِ ما عليها من الخلائقِ. وقرئ سُطِّحتْ(١) مُشددًا وقُرِئتْ الأفعالُ الأربعةُ على بناءِ الفاعلِ للمتكلمِ(٢)، وحذف الراجعِ المنصوبِ.

والمعنى أفلا ينظرونَ نظرَ التدبرِ والاعتبارِ إلى كيفيةِ خلقِ هذه المخلوقاتِ الشاهدةِ بحقيةِ البعثِ والنشورِ ليرجعُوا عمَّا هُم عليهِ من الإنكارِ والنفورِ ويسمعُوا إنذاركَ ويستعدُّوا للقائِه بالإيمانِ والطاعةِ. والفاءُ في قولِه تعالى: ﴿فذكِّرْ﴾ لترتيبِ الأمرِ بالتذكيرِ على ما ينبئُ عنه الإنكارُ السابقُ من عدمِ النظرِ أي فاقتصرْ على التذكيرِ ولا تلحَّ عليهم ولا يُهمنَّكَ أنَّهم لا ينظرونَ ولا يتذكرونَ.

وقولُه تعالى: ﴿إنما أنتَ مذكرٌ﴾ تعليلٌ للأمرِ. وقولُه تعالَى: ﴿لستَ عليهم بمصيطرٍ﴾ تقريرٌ لهُ وتحقيقٌ لمَعْنى الإنذارِ أي لستَ بمتسلطٍ عليهم تجبرُهم على ما تريدُ كقولِه تعالى: ﴿وما أنتَ عليهم بجبارٍ﴾ [سورة ق، الآية ٤٥]. وقرئ بالسينِ(٣) على الأصلِ وبالإشمامِ(٤)، وقرئ بفتحِ الطاءِ(٥) قيلَ: هي لغةُ بني تميمٍ فإنَّ سيطرَ عندهم متعدٍّ ومنه قولُهم: تسيطر.

وقولُه تعالَى: ﴿إلا من تولَّى وكفرَ﴾ استثناءٌ منقطعٌ أي لكِنْ من تولَّى منهم فإنَّ الله تعالَى الولايةَ والقهرَ ﴿فيعذبُه الله العذابَ الأكبرَ﴾ الذي هُو عذابُ جهنمَ وقيلَ:

---

(١) قرأ بها: الحسن، وهارون، وأبو حيوة، وأبو رجاء.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٤٦٤)، وتفسير القرطبي (٢٠/ ٣٦).

(٢) قرأ بها: علي بن أبي طالب، وأبو حيوة، وابن أبي عبلة، ومحمد بن السميفع، وأبو العالية.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٤٦٤)، وتفسير القرطبي (٢٠/ ٣٦)، والمجمع للطبرسي (١٠/ ٤٧٧)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٣٥٦).

(٣) قرأ بها: ابن عامر، والكسائي، وهشام، وقنبل، وابن ذكوان، وحفص، والحلواني.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٣٨)، والبحر المحيط (٨/ ٤٦٤)، والتيسير للداني ص (٢٢٢)، والسبعة لابن مجاهد ص (٦٨٢)، والغيث للصفاقسي ص (٣٨٣)، والكشف للقيسي (٢/ ٣٧٢).

(٤) قرأ بها: حمزة، وخلاد.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٣٨)، والبحر المحيط (٨/ ٤٦٤)، والتبيان للطوسي (١٠/ ٣٣٧)، والغيث للصفاقسي ص (٣٨٣)، والكشف للقيسي (٢/ ٣٧٢).

(٥) قرأ بها: هارون، والأعور.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٤٦٤)، وتفسير القرطبي (٢٠/ ٣٧).

استثناءٌ مُتَّصلٌ من قولِه تعالَى: ﴿فذكِّرْ﴾ [سورة الغاشية، الآية ٢١] أي فذكرْ إلاَّ من انقطعَ طمعُكَ من إيمانِه وتولَّى فاستحقَّ العذابَ الأكبرَ وما بينهما اعتراضٌ ويعضدُ الأولَ أنه قرئَ[١] أَلَا على التنبيهِ. وقولُه تعالى: ﴿إنَّ إلينا إيابَهُم﴾ تعليلٌ لتعذيبِه تعالَى بالعذابِ الأكبرِ أيْ إنَّ إلينا رجوعَهُم بالموتِ والبعثِ لا إلى أحدٍ سوانا لا استقلالًا ولا اشتراكًا. وجمعُ الضميرِ فيه وفيما بعدَهُ باعتبارِ مَعْنى مَنْ كما أنَّ إفرادَهُ فيما سبقَ باعتبارِ لفظِها. وقرئَ إيَّابَهُم[٢] على أنَّه فِيْعَالٌ مصدرُ فَيْعَلٍ من الإيابِ، أو فِعَّالٌ من أَوَبَ كفِسَّارٍ من فَسَرَ ثمَّ قيلَ: إِيْوَابًا كدِيْوَانٍ في دِوَّانٍ ثُمَّ قُلبتْ الواوُ ياءً فأدغمتِ الياءُ الأُولى في الثانيةِ ﴿ثم إنَّ علينا حسابَهم﴾ في المحشرِ لا على[٣] غيرِنا وثُمَّ للتراخِي في الرتبةِ لا في الزمانِ فإن الترتبَ[٤] الزمانيَّ بين إيابِهم وحسابِهم لا بينَ كونِ إيابِهم إليهِ تعالَى وحسابِهم عليهِ تعالى فإنَّهما أمرانِ مستمرانِ. وفي تصديرِ الجملتينِ بأنَّ وتقديمُ خبرِها وعطفُ الثانيةِ على الأُولى بكلمةِ ثُمَّ المفيدةِ لبعدِ منزلةِ الحسابِ في الشدةِ من الإنباءِ عن غايةِ السخطِ الموجبِ لتشديدِ العذابِ ما لا يَخْفى.

عنِ النبيِّ ﷺ: **«مَنْ قرأَ سورةَ الغاشيةِ يحاسبُه الله تعالى حسابًا يسيرًا»**[٥].

---

(١) قرأ بها: ابن عباس، وزيد بن علي، وقتادة، وزيد بن أسلم.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٤٦٥)، وتفسير القرطبي (٢٠/ ٣٧)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٢٤٧)، والمجمع للطبرسي (١٠/ ٤٧٧)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٣٥٧)، وتفسير الرازي (٣١/ ١٤٥).

(٢) قرأ بها: أبو جعفر المدني.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٣٨)، والإعراب للنحاس (٣/ ٦٩١)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٥٤)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٢٤٨)، والمجمع للطبرسي (١٠/ ٤٧٧)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٣٥٧)، وتفسير الرازي (٣١/ ١٦٠).

(٣) في خ: إلى.

(٤) في خ: الرتب.

(٥) تقدم تخريجه، وزاد في خ: والله الموفق.

سُورةُ الفجرِ

مَكِّيةٌ وآيُها [ثلاثون][1]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ﴿٣﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴿٤﴾ هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ﴿٥﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي ٱلْبِلَٰدِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِي ٱلْبِلَٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِاىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِي فِي عِبَٰدِي ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾

﴿والفجرِ﴾ أقسمَ سبحانَهُ بالفجرِ كما أقسمَ [بالصبحِ حيثُ قال: ﴿والصبحِ إذا تنفسَ﴾ [سورة التكوير، الآية ١٨] وقيلَ: المرادُ به صلاتُه ﴿وليالٍ عشرٍ﴾ هن عشرُ ذي الحجةِ ولذلكَ فُسِّرَ الفجرُ][2] بفجرِ عرفةَ أو النحرِ، أو العشرُ الأواخرُ من رمضانَ وتنكيرُها للتفخيم وقرئَ (وليالِ عشرٍ)[3] بالإضافةِ على أنَّ المرادَ بالعشرِ الأيامُ ﴿والشفعِ والوترِ﴾ أي الأشياءِ كلِّها شفعِها ووترِها أو شفعِ هذه الليالِي ووترِها وقد

---

(١) في ط: تسع وعشرون.
(٢) سقط في خ.
(٣) قرأ بها: ابن عباس.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٤٦٧)، وتفسير القرطبي (٢٠/ ٣٩)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٢٤٩).

رُوِيَ أن النبيَّ عليه الصلاةُ والسلامُ فسرهُمَا بيومِ النحرِ ويوم عرفة[١]، ولقد كثُرتْ فيهما الأقوالُ والله تعالَى أعلمُ بحقيقةِ الحالِ وقرئ بكسرِ الواوِ[٢] وهما لغتانِ (كالحَبْرِ والحِبْرِ)[٣] وقيلَ: الوَتْرُ بالفتحِ في العددِ وبالكسرِ في الذَحل[٤] وقرئ (والوتِرِ)[٥] وقرئ (والوَتِرِ)[٦] بفتحِ الواوِ وكسرِ التاءِ.

﴿وَالليلِ إِذَا يسرِ﴾ أيْ يَمْضِي كقولِه تعالى: ﴿والليلِ إذْ أدبرَ﴾ [سورة المدثر، الآية ٣٣] ﴿والليلِ إذا عسعسَ﴾ [سورة التكوير، الآية ١٧] والتقييدُ لما فيهِ من وضوحِ الدلالةِ على كمالِ القدرةِ ووفورِ النعمةِ أو يُسرِيَ فيهِ من قولِهم: صَلَّى المقامُ أي صُلِّيَ فيهِ وحَذْفُ الياءِ اكتفاءً بالكسرِ. وقرئ بإثباتِها[٧] على الإطلاقِ [وبحذفِها في الوقفِ[٨] خاصَّة وقرئ يسرٍ[٩] بالتنوينِ كما قرئ والفجرٍ[١٠]، والوترٍ

(١) رواه النسائي في تفسيره (٢/ ٥٢١) رقم (٦٩١، ٦٩٢).
وأحمد في مسنده (٣/ ٣٢٧) والبزار رقم (٢٢٨٦-كشف) والحاكم في المستدرك (٤/ ٢٢٠) وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، كلهم من حديث جابر، وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ١٣٧): «رواه البزار وأحمد ورجالهما رجال الصحيح غير عياش بن عقبة وهو ثقة».
وعزاه الزيلعي (٤/ ٢٠٥) للبيهقي في الشعب وقال: وهذا مسند لا بأس برجاله». ا هـ.

(٢) قرأ بها: حمزة، والكسائي، وخلف، والحسن، ويحيى بن وثاب، وقتادة،، وابن عباس، وأبو رجاء، وطلحة، وابن مسعود.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٣٨)، والإعراب للنحاس (٣/ ٦٩٣)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٥٤)، والسبعة لابن مجاهد ص (٦٨٣)، والغيث للصفاقسي ص (٣٨٣)، والكشف للقيسي (٢/ ٣٧٢)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٤٠٠).

(٣) في خ: كالجو والجو.

(٤) الذَّحل: الثأر، وقيل العداوة والحقد، وفي خ: الرمل..

(٥) قرأ بها: أبو الدينار الأعرابي.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٤٦٧)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٢٤٩).

(٦) قرأ بها: أبو عمرو، ويونس.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٤٦٨)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٢٩٤).

(٧) قرأ بها: ابن كثير، ويعقوب، وابن محيصن.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٣٨)، والتبيان للطوسي (١٠/ ٣٤٠)، والغيث للصفاقسي ص (٣٨٣)، والكشف للقيسي (٢/ ٣٧٤)، والمعاني للفراء (٣/ ٢٦٠).

(٨) قرأ بها: نافع، وأبو عمرو، والكسائي، وأبو جعفر، وقتيبة.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٣٨)، والبحر المحيط (٨/ ٤٦٨)، والتيسير للداني ص (٢٢٢)، والسبعة لابن مجاهد ص (٦٨٣)، والغيث للصفاقسي ص (٣٨٣)، والمعاني للفراء (٣/ ٢٦٠).

(٩) قرأ بها: أبو الدينار الأعرابي.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٤٦٧)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٢٤٩).

(١٠) قرأ بها: أبو الدينار الأعرابي.

=

وهو التنوينُ الذي يقعُ بدلًا من حرفِ الإطلاقِ][1] ﴿هَلْ في ذلكَ قسمٌ﴾...إلخ تحقيقٌ وتقريرٌ لفخامةِ شأنِ المُقْسَم بهَا وكونِها أمورًا جليلةً حقيقةً بالإعظامِ والإجلالِ عندَ أربابِ العقولِ وتنبيهٌ على أنَّ الإقسامَ بها أمرٌ معتدٌّ به خليقٌ بأنْ يُؤكدَ بِهِ الإخبارُ على طريقةِ قولِه تعالى: ﴿وَإِنَّه لقسمٌ لَو تعلمونَ عظيمٌ﴾ [سورة الواقعة، الآية ٧٦] وذلكَ إشارةٌ إمَّا إلى الأمورِ المقسمِ بهَا والتذكيرُ بتأويلِ ما ذُكِرَ كما مَرَّ تحقيقُه أو إلى الإقسامِ بهَا وأيا ما كانَ فمَا فيه من مَعْنى البُعْدِ للإيذان بعلوِّ رتبةِ المُشَارِ إليهِ وبُعْدِ منزلتِه في الشرفِ والفضلِ أيْ هلْ فيما ذُكِرَ من الأشياءِ قسمٌ أيْ مقسمٌ بِهِ ﴿لذي حِجْرٍ﴾ يراهُ حقيقًا بأنْ يقسمَ بِهِ إجلالًا وتعظيمًا والمرادُ تحقيقُ أنَّ الكلَّ كذلكَ وإنما أُوثرتْ هذه الطريقةُ هَضْمًا للخلقِ وإيذانًا بظهورِ الأمرِ أو هَلْ في إقسامِي بتلكَ الأشياءِ إقسامٌ لذي حجرٍ مقبولٌ عندَهُ يعتدُّ بِهِ ويفعلُ مثلَهُ ويؤكدُ بِهِ المقسمَ عليهِ والحِجْرُ العقلُ لأنه يحجُرُ صاحبَهُ أي يمنعُهُ من التهافتِ فيمَا لا ينبغِي كما سُميَ عقلًا ونُهيةً لأنَّه يعقلُ وينْهَى، وحصاةً أيضًا من الإحصاءِ وهو الضبطُ.

قال الفراءُ: يقالُ: إنَّه لذُو حجرٍ إذَا كانَ قاهِرًا لنفسِه ضابطًا لهَا والمقسمُ عليهِ محذوفٌ وهُو ليُعذَّبَنَّ كما ينبئُ عنه قولُه تعالَى: ﴿ألم ترَ كيفَ فعلَ ربُّكَ بعادٍ﴾... إلخ، فإنَّه استشهادٌ بعلمِه عليهِ الصلاةُ والسلامُ بمَا يدلُّ عليهِ من تعذيبِ عَادٍ وأضرابِهم المشاركينَ لقومِه عليه الصلاةُ والسلامُ في الطغيانِ والفسادِ على طريقةِ قولِه تعالى: ﴿ألم ترَ إلى الذي حاجَّ إبراهيمَ في ربِّه﴾ [سورة البقرة، الآية ٢٥٨] الآيةَ وقولُه تعالَى: ﴿ألم ترَ أنَّهم في كلِّ وادٍ يهيمونَ﴾ [سورة الشعراء، الآية ٢٢٥] كأنَّه قيلَ: ألم تعلم علمًا يقينيا كيفَ عذبَ ربُّكَ عادًا ونظائرَهُم فيعذبُ هؤلاءِ أيضًا لاشتراكِهم فيما يوجبُه من الكفرِ والمعاصِي والمرادُ بعادٍ أولادُ عاد بنِ عوصَ بنِ إرم بنِ سام بنِ نوحٍ عليه السلامُ قوم هودٍ عليه السلامُ سُمُّوا باسم أبيهم كما سُمِّيَ بنُو هاشم هاشمًا وقد قيلَ لأوائلِهم: عادٌ الأولى ولأواخرِهم: عادٌ الآخرةُ قال عمادُ الدينِ ابنُ كثيرٍ: «كلُّ ما وردَ في القرآنِ خبرُ عادِ الأولى إلا مَا في سورةِ الأحقافِ»، وقولُه تعالى: ﴿إرمَ﴾ عطفُ بيانٍ لعادٍ للإيذانِ بأنَّهم عادٌ الأُولى بتقديرِ مضافٍ أيْ سبطُ إرم أو أهلُ إرم على ما قيلَ من أنَّ إرمَ اسمُ بلدتِهم أو أرضِهم التي كانُوا فيهَا ويؤيدُه القراءةُ[2] بالإضافةِ وأيا ما كانَ فامتناعُ صرفِها للتعريفِ والتأنيثِ وقرئ

= ينظر: البحر المحيط (٨/ ٤٦٧)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٢٤٩).

(١) سقط في خ.

(٢) قرأ بها: الحسن، وأبو العالية. =

(إِرْمَ)[١] بإسكانِ الراءِ تخفيفًا كما قرئ بِوَرْقِكُم ﴿ذاتِ العمادِ﴾ صفةٌ لإرمَ أيْ ذاتُ القدودِ الطوالِ على تشبيهِ قاماتِهم بالأعمدةِ ومنه قولُهم: رجلٌ عمدٌ وعمدان إذا كان طويلًا أو ذاتُ الخيامِ والأعمدةِ حيثُ كانُوا بدويينَ أهلَ عُمُدٍ أو ذاتُ البناءِ الرفيعِ أو ذاتُ الأساطينِ على أنَّ إرمَ اسمُ بلدتِهم وقرئ (إرمِ ذاتِ العمادِ)[٢] بإضافةِ إرمٍ إلى ذاتِ العمادِ.

والإرم العلمُ أي بعادٍ أهلِ أعلامِ ذاتِ العمادِ على أنها اسمُ بلدتِهم وقرئ (أَرَمَ ذاتَ العمادِ)[٣] أي جعلَها الله تعالَى رَميمًا بدلٌ من فعلَ ربُّك وقيل: هي جملةٌ دعائيةٌ اعترضتْ بين الموصوفِ والصفةِ ورُويَ أنه كانَ لعادٍ ابنانِ شديدٌ وشدادٌ فملَكا وقَهرا ثم ماتَ شديدٌ وخلصَ الأمرُ لشدادٍ فملَكَ الدنيا ودانتْ له ملوكُها فسمعَ بذكرِ الجنةِ فقال: أبنِي مثلَها فبنَى إرمَ في بعضِ صَحارِي عدنٍ في ثلاثمائةِ سنةٍ وهيَ مدينةٌ عظيمةٌ قصورُها من الذهبِ والفضةِ وأساطينُها من الزبرجدِ والياقوتِ وفيها أصنافُ الأشجارِ والأنهارِ المطردةِ ولمَّا تمَّ بناؤُها سارَ إليها بأهلِ مملكتِه فلما كانَ منها على مسيرة يوم وليلةٍ بعثَ الله تعالى عليهم صيحةً من السماءِ فهلكُوا. وعن عبدِ اللَّهِ[٤] بنِ قلابةَ أنهُ خرجَ في طلبِ إبلٍ له فوقعَ عليهَا فحملَ ما قدرَ عليهِ [ممَّا ثمةَ][٥] وبلغَ خبرُه معاويةَ فاستحضرَهُ فقصَّ عليهِ فبعثَ إلى كعبٍ فسألَه فقالَ: هيَ إرمُ ذاتُ العمادِ وسيدخُلُها رجلٌ من المسلمينَ في زمانِك أحمرُ أشقرُ قصيرٌ على حاجبِه خالٌ وعلى عقبِه خالٌ يخرجُ في طلبِ إبلٍ لَهُ ثم التفتَ إلى ابن قلابةٍ فقالَ: هذا ذلكَ الرجلُ[٦] ﴿**التي لم يُخلقْ مثلُها في البلادِ**﴾ صفةٌ أُخرى لإرمَ أيْ لم يُخلقْ مثلُهم في عظمِ الأجرامِ والقوةِ

= ينظر: الإعراب للنحاس (٣/ ٦٩٥)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٥٤)، والبحر المحيط (٨/ ٤٦٩)، وتفسير القرطبي (٢٠/ ٤٤).

(١) ينظر: تفسير القرطبي (٢٠/ ٤٤)، وتفسير الرازي (٣١/ ١٦٦).

(٢) قرأ بها: ابن الزبير.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٤٦٩)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٢٥٠)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٣٥٩)، وتفسير الرازي (٣١/ ١٦٧).

(٣) قرأ بها: مجاهد، والضحاك، وقتادة.
ينظر: تفسير القرطبي (٢٠/ ٤٤).

(٤) في خ: عبد الرحمن.

(٥) سقط في خ.

(٦) قال الزيلعي (٤/ ٢٠٦) رواه الثعلبي من طريق عثمان بن سعيد الدارمي: أنا عبد الله بن صالح، ثنا ابن لهيعة عن خالد بن أبي عمران، عن وهب بن منبه، عن عبد الله بن قلابة أنه خرج في طلب إبل له شردت ... إلى آخره.

حيثُ كانَ طولُ الرجلِ منهم أربعمائةِ ذراعٍ وكانَ يأتِي الصخرةَ العظيمةَ فيحملُها ويُلقيها على الحي فيهلكُهم أو لم يُخلقْ مثلُ مدينةِ شدادٍ في جميعِ بلادِ الدُّنيا وقرئ[١] لَم يخلُقْ[٢] على إسنادِه إلى الله تعالَى.

﴿وثمودَ﴾ عطفٌ على عادٍ وهي قبيلةٌ مشهورةٌ سُمِّيتْ باسم جدِّهم ثمودَ أخِي جَديسٍ وهما ابنَا عامرِ بنِ إرمَ بن سام بن نوحٍ عليه السلامُ وكانُوا عربًا من العاربةِ يسكنونَ الحجرَ بين الحجازِ وتبوكَ وكانُوا يعبدونَ الأصنامَ كعادٍ ﴿**الذين جابُوا الصخرَ بالوادِ**﴾ أي قطعُوا صخرَ الجبالِ فاتخذُوا فيها بُيوتًا نحتوهَا من الصخرِ، كقولِه تعالى: ﴿وتنحتونَ من الجبالِ بُيوتًا﴾ [سورة الشعراء، الآية ١٤٩] قيلَ: هُم أول من نحتَ الجبالَ والصخورَ والرخامَ وقد بَنَوا ألفًا وسبعمائةِ مدينةٍ كلها من الحجارةِ.

﴿**وفرعونَ ذِي الأوتادِ**﴾ وصفَ بذلكَ لكثرة جنودِه وخيامِهم التي يضربُونَها في منازلِهم، أو لتعذيبه بالأوتادِ ﴿**الذين طَغَوا في البلادِ**﴾ إما مجرورٌ على أنه صفةٌ للمذكورينَ أو منصوبٌ أو مرفوعٌ على الذمِّ أي طَغَى كلُّ طائفةٍ منهُم في بلادِهم وكذا الكلامُ في قولِه تعالى: ﴿**فأكثرُوا فيها الفسادَ**﴾ أي بالكفرِ وسائرِ المعاصِي ﴿**فصبَّ عليهم ربُّك**﴾ أي أنزلَ إنزالًا شديدًا على كلِّ طائفةٍ من أولئكَ الطوائفِ عقيبَ ما فعلتْهُ من الطغيانِ والفسادِ ﴿**سوطَ عذابٍ**﴾ أي عذابٌ شديدٌ لا يُدركُ غايتُهُ وهو عبارةٌ عمَّا حلَّ بكُلٍّ منهُم من فنون العذابِ التي شُرحتْ في سائر السورِ الكريمةِ وتسميتُه سوطًا للإشارةِ إلى أنَّ ذلكَ بالنسبةِ إلى ما أَعدَّ لَهُم في الآخرةِ بمنزلةِ السوطِ عندَ السيفِ والتعبيرُ عن إنزالِه بالصبِّ للإيذانِ بكثرتِه واستمرارِه وتتابعِه[٣] فإنه عبارةٌ عن إراقةِ شيءٍ مائعٍ أو جارٍ مجراهُ في السيلانِ كالرملِ والحبوبِ، وإفراغِه بشدةٍ وكثرةٍ واستمرارٍ ونسبته إلى السوطِ مع أنه ليسَ من ذلكَ القبيلِ باعتبار تشبيهِه في نزولِه المتتابعِ المتداركِ على المضروبِ [بقطراتِ][٤] الشيءِ المصبوبِ، وقيلَ: السوطُ خلطُ الشيءِ بعضه ببعضٍ فالمَعْنى ما خُلِطَ لهم من أنواعِ العذابِ وقد فُسِّرَ[٥] بالتصببِ وبالشدةِ أيضًا لأن السوطَ يطلقُ [على كلٍّ][٦] منهُما لغةً فلا حاجةَ حينئذٍ في تشبيهِه بالمصبوبِ إلى اعتبارِ تكررِ[٧] تعلقِه بالمعذبِ كما في المَعْنى الأولِ فإن كلَّ واحدٍ من

---

(١) في خ: قيل.
(٢) قرأ بها: ابن الزبير.
ينظر: الإعراب للنحاس (٣/ ٦٩٦)، والبحر المحيط (٨/ ٤٦٩)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٢٥٠).
(٣) في خ: استتباعه.
(٤) سقط في خ.
(٥) في خ: فسر لهم.
(٦) سقط في خ.
(٧) في خ: تكرير.

هذه المعاني مما يقبلُ الاستمرارَ في نفسه.

وقولُه تعالَى: ﴿إنَّ ربَّكَ لبالمرصادِ﴾ تعليلٌ لما قبلَهُ وإيذانٌ بأن كفارَ قومِه عليه الصلاةُ والسلامُ سيصيبُهم مثلُ ما أصابَ المذكورينَ من العذابِ كما ينبئُ عنْهُ التعرضُ لعنوان الربوبيةِ مع الإضافةِ إلى ضميرِه عليه الصلاةُ والسلامُ وقيلَ: هو جوابُ القسم وما بينهما اعتراضٌ والمرصادُ المكانُ الذي يَترقبُ فيه الرصدُ مِفْعَالٌ منْ رصدَهُ كالميقاتِ[١] من وقتَهُ وهذا تمثيلٌ لإرصادِه تعالى بالعُصاةِ وأنَّهم لا يفوتونَهُ.

وقولُه تعالى: ﴿فأمَّا الإنسانُ﴾ . . .إلخ متصلٌ بما قبلَهُ كأنَّه قيلَ: إنه تعالَى بصددِ مراقبةِ أحوالِ عبادِه ومجازاتِهم بأعمالِهم خيرًا وشرا فأما الإنسانُ فلاَ يهمُّهُ ذلكَ وإنما مطمحُ أنظارِه ومرصدُ أفكارِه الدُّنيا ولذائذها ﴿إِذَا مَا ابتلاهُ ربُّه﴾ أي عاملَهُ معاملةَ من يبتليهِ بالغِنَى واليسارِ والفاءُ في قولِه تعالى: ﴿فأكرمَهُ ونعمَهُ﴾ تفسيريةٌ فإنَّ الإكرامَ والتنعيمَ منَ الابتلاءِ ﴿فيقول ربي أكرمنِ﴾ أي فضلنِي بما أعطانِي من المال والجاهِ حسَبما كنتُ أستحقهُ ولا يخطُر بباله أنه فضلٌ تفضلَ به عليهِ ليبلوَهُ أيشكرُ أم يكفرُ، وهوُ خبرٌ للمبتدأ الذي هُوَ الإنسانُ والفاءُ لما في أمَّا منْ مَعْنى الشرطِ، والظرفُ المتوسطُ على نيةِ التأخيرِ كأنَّه قيلَ فأمَّا الإنسانُ فيقولُ ربِي أكرمنِ وقتَ ابتلائِه بالإنعامِ وإنما تقديمُه للإيذانِ من أولِ الأمرِ بأنَّ الإكرامَ والتنعيمَ بطريق الابتلاءِ ليتضحَ اختلالُ قولِه المحكيِّ ﴿وأمَّا إذا ما ابتلاهُ﴾ أيْ وأما هُو إذا ما ابتلاهُ ربُّه ﴿فقدرَ عليه رِزْقَهُ﴾ حسبما تقتضيهِ مشيئتُه المبنيةُ على الحكم البالغةِ ﴿فيقول ربِّي أهاننِ﴾ ولا يخطر ببالِه أنَّ ذلكَ ليبلوهُ أيصبرُ أم يجزعُ مع أنه ليسَ من الإهانةِ في شيءٍ بل التقتيرُ قد يُؤدِّي إلى كرامةِ الدارينِ والتوسعةُ قد تُفْضِي إلى خسرانِهما وقرئَ (فقدَّرَ)[٢] بالتشديدِ وقرئَ (أكرمني)[٣] و(أهانني)[٤] بإثبات الياء، وأكرمنْ وأهاننْ بسكون النون

(١) في خ: كالالتفات.

(٢) قرأ بها: ابن عامر، وأبو جعفر، وعيسى، وخالد، والحسن.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٣٨)، والبحر المحيط (٨/ ٤٧٠)، والغيث للصفاقسي ص (٣٨٣)، والمجمع للطبرسي (١٠/ ٤٨٢)، والمعاني للأخفش (٢/ ٥٣٧)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٤٠٠).

(٣) قرأ بها وصلا ووقفًا: ابن كثير، والبزي، ويعقوب، وابن محيصن.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٣٨)، والبحر المحيط (٨/ ٤٧٠)، والسبعة لابن مجاهد (٦٨٤، ٦٨٥)، والكشف للقيسي (٢/ ٣٧٤)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٤٠٠، ٤٠١).
ووصلا: نافع، وأبو عمرو، وأبو جعفر، وقالون، وورش.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٣٨)، والبحر المحيط (٨/ ٤٧٠)، والتبيان للطوسي (١٠/ ٣٤٥)، والتيسير للداني ص (٢٢٣)، والسبعة لابن مجاهد (٦٨٤، ٦٨٥)، والغيث للصفاقسي ص (٣٨٣).

(٤) قرأ بها وصلا ووقفا: ابن كثير، والبزي، ويعقوب، وابن محيصن.
=

في الوقف. ﴿كلاَّ﴾ ردعٌ للإنسانِ عن مقالتِه المحكيةِ وتكذيبٌ له فيهَا في كلتَا الحالتينِ قالَ ابنُ عباسٍ رضيَ الله عنهُمَا المَعْنى لم أبتله بالغِنَى لكرامتِه عليَّ ولم أبتلِه بالفقرِ لهوانِه عليَّ بلْ ذلكَ لمحضِ القضاءِ والقدرِ، وحملُ الردعِ والتكذيبِ إلى قولِه الأخيرِ بعيدٌ.

وقولُه تعالَى: ﴿بلْ لا تُكرمونَ اليتيمَ﴾ انتقالٌ من بيانِ سوءِ أقوالِه إلى بيانِ سوءِ أفعالِه والالتفاتُ إلى الخطابِ للإيذانِ باقتضاءِ ملاحظةِ جنايته السابقةِ لمشافهتِه بالتوبيخِ تشديدًا للتقريعِ وتأكيدًا للتشنيعِ والجمعُ باعتبارِ مَعْنى الإنسانِ إذِ المرادُ هو الجنسُ أي بَلْ لكم أحوالٌ أشدُّ شَرا مما ذُكِرَ وأدلُّ عَلى [تهالُكِكم على][1] المالِ حيثُ يُكْرمكم الله تعالَى بكثرةِ المالِ فلاَ تُؤدونَ ما يلزمكُم فيهِ من إكرامِ اليتيمِ بالمبرةِ به وقرئ (لا يكرمونَ)[2].

﴿ولا تحاضُّون﴾ بحذفِ إحْدَى التاءينِ من تَتَحاضُّون أيْ لاَ يحضُّ بعضُكم بعضًا ﴿على طعامِ المسكينِ﴾ أي على إطعامِه. وقرئ (تحاضونَ)[3] [من المحاضةِ، وقرئ (يَحُضُّونَ)][4] بالياءِ[5] والتاءِ[6] ﴿وتأكلونَ التراثَ﴾ أي الميراثَ وأصلُه وراثٌ ﴿أكلا

= ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٣٨)، والبحر المحيط (٨/ ٤٧٠)، والسبعة لابن مجاهد (٦٨٤، ٦٨٥)، والغيث للصفاقسي ص (٣٨٣)، والكشف للقيسي (٢/ ٣٧٤).
ووصلا فقط: نافع، وأبو عمرو، وأبو جعفر، وقالون، وورش.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٣٨)، والبحر المحيط (٨/ ٤٧٠)، والتبيان للطوسي (١٠/ ٣٤٥)، والتيسير للداني ص (٢٢٣)، والغيث للصفاقسي ص (٣٨٣)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٤٠٠).

(١) سقط في خ.

(٢) قرأ بها: أبو عمرو، ويعقوب، واليزيدي، والحسن، ومجاهد، وأبو رجاء، وقتادة، والجحدري.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٣٨)، والبحر المحيط (٨/ ٤٧١)، والتبيان للطوسي (١٠/ ٣٤٥)، والتيسير للداني ص (٢٢٢)، وتفسير القرطبي (٢٠/ ٥٢)، والحجة لابن خالويه ص (٣٧٠)، والغيث للصفاقسي ص (٣٨٣).

(٣) قرأ بها: الكسائي، وابن مسعود، وعلقمة، وزيد بن علي، وعبد الله بن المبارك، وابن محيصن.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٣٩)، والبحر المحيط (٨/ ٤٧١)، وتفسير القرطبي (٢٠/ ٥٢)، والمعاني للفراء (٣/ ٢٦١)، وتفسير الرازي (٣١/ ١٧٢).

(٤) سقط في خ.

(٥) قرأ بها: أبو عمرو، ويعقوب، واليزيدي، والحسن، ومجاهد، وأبو رجاء، وقتادة، والجحدري.
ينظر:: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٣٨)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٥٤)، والبحر المحيط (٨/ ٤٧١)، والسبعة لابن مجاهد ص (٦٨٥)، والغيث للصفاقسي ص (٣٨٣)، والمعاني للفراء (٣/ ٢٦١).

(٦) قرأ بها: ابن كثير، ونافع، وابن عامر.
ينظر: الإعراب للنحاس (٣/ ٦٩٨)، والبحر المحيط (٨/ ٤٧١)، والتيسير للداني ص (٢٢٢)، وتفسير الطبري (٣٠/ ١١٦)، والسبعة لابن مجاهد ص (٦٨٥)، والغيث للصفاقسي ص (٣٨٣).

لـمًّا﴾ أيْ ذَا لـم أي جمع بـينَ الـحلالِ والـحرام فإنـهـم كـانُـوا لا يُـورثـونَ الـنسـاءَ والصبيانَ[(١)] ويأكلونَ أنصباءَهم أو ويأكلونَ ما جمعَهُ المورثُ من حلالٍ وحرام عالمينَ بذلكَ ﴿وتحبونَ المالَ حبا جَما﴾ كثيرًا معَ حِرص وشرَه. وقرئ ويُحبونَ بالياءِ[(٢)].

﴿كَلَّا﴾ رَدْعٌ لهمُ عن ذلكَ وقولُه تعالَى: ﴿إِذَا دكتِ الأرضُ دَكا دكا﴾ . . . إلخ استئنافٌ جِيءَ به بطريق الوعيدِ تعليلًا للردع أيْ إِذَا دكتِ الأرضُ دكا متتابعًا حتى انكسرَ وذهبَ كلُّ ما عَلى وجهِها من جبالٍ وأبنيةٍ وقصورٍ حينَ زُلزلتْ وصَارتْ هباءً مُنبثا وقيلَ: الدكُّ حطُّ المرتفعِ بالبسطِ والتسويةِ فالمَعْنى إذا سُويتْ تسويةً بعدَ تسويةٍ ولم يبقَ عَلى وجهها شيءٌ حَتَّى صارتْ كالصخرةِ الملساءِ، وأيا مَا كانَ فهو عبارةٌ عما عرضَ لها عند النفخةِ الثانيةِ ﴿وجَاء ربُّكَ﴾ أي ظهرتْ آياتُ قُدرتِه وآثارُ قهرِهِ مثلَ ذلكَ بما يظهرُ عندَ حضورِ السلطانِ من أحكامِ هيبتِه وسياستِه، وقيلَ جاءَ أمرُهُ تعالَى وقضاؤُه على حذفِ المضافِ للتهويلِ.

﴿والمَلكُ صفا صفا﴾ أي مُصطفينَ أو ذَوِي صفوفٍ فإنه ينزلُ يومئذٍ ملائكةُ كلِّ سماءٍ فيصطفونَ صفًا بعدَ صفٍ بحسب منازلِهم ومراتبِهم مُحدقينَ بالجنِّ والإنسِ.

﴿وَجيءَ يومئذٍ بجهنمَ﴾ كقولِه تعالَى: ﴿وبُرّزت الجحيمُ﴾ [سورة الشعراء، الآية ٩١] قال ابنُ مسعودٍ ومقاتلٌ تُقادُ جهنمُ بسبعينَ ألفَ زمام كلُّ زمامٍ معه سبعونَ ألفَ مَلَكٍ يَجرونَها حتى تُنصبَ عن يسارِ العرشِ لها تغيظٌ وزفيرٌ وقد رَوَاهُ مسلمٌ في صحيحِه عن ابنِ مسعودٍ مَرْفُوعًا[(٣)]. ﴿يومئذٍ﴾ بدلٌ مِنْ إذَا دكتْ والعاملُ فيهمَا قولُه تعالى: ﴿يتذكرُ الإنسانُ﴾ أي يتذكرُ ما فرَّطَ فيهِ بتفاصيلِه بمشاهدةِ آثارِه وأحكامِه أو بمعاينةِ عينِه على أنَّ الأعمالَ تتجسمُ في النشأةِ الآخرةِ فيبرز كلٌّ من الحسناتِ والسيئاتِ بما يناسبُها من الصورِ الحسنةِ والقبيحةِ أَوْ يتعظُ وقولُه تعالى: ﴿وأنَّى له الذكْرَى﴾ اعتراضٌ جِيءَ بهِ لتحقيقِ أنه ليسَ يتذكرُ حقيقةً لعرائِه عن الجَدوى [بعدمِ

---

(١) في خ: البنات.

(٢) قرأ بها: أبو عمرو، واليزيدي، ويعقوب، والحسن، ومجاهد، وأبو رجاء، وقتادة، والجحدري. ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٣٨)، والبحر المحيط (٨/ ٤٧١)، والتبيان للطوسي (١٠/ ٣٤٥)، والحجة لابن خالويه ص (٣٧٠)، والغيث للصفاقسي ص (٣٨٣)، والمعاني للفراء (٣/ ٢٦١)، وتفسير الرازي (٣١/ ١٧٢).

(٣) أخرجه مسلم (٤/ ٢١٨٤) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: في شدة حر نار جهنم، وبُعد قعرها، برقم (٢٩/ ٢٨٤٢)، والترمذي (٤/ ٧٠١) كتاب صفة جهنم، باب: صفة النار، برقم (٢٥٧٣)، والحاكم (٤/ ٦٣٧)، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

وقوعِه][1] في أوانه وأنَّى خبرٌ مقدمٌ والذكْرَى مبتدأٌ وله متعلقٌ بما تعلقَ بهِ الخبرُ أيْ ومنْ أينَ يكونُ له الذكْرَى، [وقد فاتَ أوانُها وقيلَ هناكَ مضافٌ محذوفٌ أيْ وأنَّى له منفعةُ الذكْرَى][2]، والاستدلالُ به عَلى عدم وجوبِ قبولِ التوبةِ في دارِ التكليفِ مما لا وجه لَهُ، على أن تذكّره ليسَ من التوبةِ في شيءٍ فإنَّه عالمٌ بأنَّها إنما تكونُ في الدُّنيا كما يُعربُ عنْهُ قولُه تعالَى:

﴿يقولُ يَا ليتني قدمتُ لحياتِي﴾ وهو بدلُ اشتمالٍ من يتذكرُ أو استئنافٌ وقعَ جَوابًا عن سؤالٍ نشأَ منْهُ كأنَّه قيلَ: ماذَا يقولُ عندَ تذكرِه، فقيلَ يقولُ يا ليتني عملت لأجلِ حياتِي هذِه أو وقتَ حياتِي في الدُّنيا أعمالًا صالحةً أنتفعُ بَها اليومَ وليس في هذا التمنِي شائبةُ دلالةٍ على استقلالِ العبدِ بفعله وإنما الذي يدلُّ عليهِ ذلكَ اعتقادُ كونِه متمكنًا من تقديمِ الأعمالِ الصالحةِ وأما أنَّ ذلكَ بمحض قدرتِه أو بخلقِ الله تعالَى عندَ صرفِ قدرتِه الكاسبةِ إليهِ فكَلَّا[3]، وأما ما قيلَ من أن المحجورَ قد يتمنَّى إن كانَ ممكنًا منْهُ فربما يوهم أنَّ منْ صرفَ قدرتَهُ إلى أحدِ طَرفي الفعلِ يعتقدُ أنه محجورٌ من الطرفِ الآخرِ وليس كذلكَ بل كلُّ أحدٍ جازمٌ بأنَّه لو صرف قدرتَهُ إلى أي طرفٍ كانَ من أفعالِه الاختياريةِ لحصلَ وعلى هذا يدورُ فلكُ التكليفِ وإلزامُ الحجةِ ﴿فيومئذٍ﴾ أي يومَ إذْ يكونُ ما ذُكِرَ منَ الأحوالِ والأقوالِ.

﴿لا يعذبُ عذابَهُ أحدٌ * ولا يُوثقُ وثاقَهُ أحدٌ﴾ الهاءُ لله تعالَى أيْ لا يتولَّى عذابَ الله تعالَى ووثاقَهُ أحدٌ سواهُ إذِ الأمرُ كلُّه لهُ أو للإنسانِ أي لا يعذبُ أحدٌ من الزبانيةِ مثلَ ما يعذبونَهُ وقرئَ الفعلانِ على البناءِ للمفعولِ[4] والضميرُ للإنسان أيضًا

---

(١) في خ: لوقوعه.

(٢) سقط في خ.

(٣) في خ: إلى الكل.

(٤) قرأ يُعذَّبُ: الكسائي، وأبو عمرو، والحسن، وابن سيرين، وابن أبي إسحاق، وسوار القاضي، وأبو حيوة، ويعقوب، وابن أبي عبلة، وأبو بحرية، وسلام، وسهل، وخارجة، وأبو عبيد، وأبو حاتم، وأبو قلابة.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٣٩)، والإعراب للنحاس (٣/ ٧٠٠)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٥٤)، والتيسير للداني ص (٢٢٢)، والغيث للصفاقسي ص (٣٨٣)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٢٥٣)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٤٠٠).
قرأ يُوثَقُ: الكسائي، وأبو عمرو، والحسن، ويعقوب، وابن سيرين، وأبو حيوة، وابن أبي إسحاق، وسوار القاضي، وابن أبي عبلة، وأبو بحرية، وسلام، وسهل بن خارجة، وأبو عبيد، وأبو حاتم، وأبو قلابة.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٣٩)، والإعراب للنحاس (٣/ ٧٠٠)، والتيسير للداني ص (٢٢٢)، والغيث للصفاقسي ص (٣٨٣)، والمعاني للفراء (٣/ ٢٦٢)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٤٠٠).

وقيل المراد به أُبيّ بن خلف أي لا يعذب أحد مثل عذابه ولا يُوثَقُ بالسلاسلِ والأغلالِ مثلَ وثاقِه لتناهيهِ في الكفرِ والعنادِ وقيلَ: لا يحملُ عذابَ الإنسانِ كقولِه تعالى: ﴿ولا تزرُ وازرةٌ وزرَ أُخرى﴾ [سورة الأنعام، الآية ١٦٤]. وقولُه تعالى: ﴿يا أيتها النفسُ المطمئنةُ﴾ حكايةٌ لأحوالِ مَنِ اطمأنَّ بذكرِ الله عزَّ وجلَّ وطاعتِه إثرَ حكايةِ أحوالِ مَنِ اطمأنَّ بالدُّنيَا، وصفتْ بالاطمئنانِ لأنَّها تترقَى في معارجِ الأسبابِ والمسبباتِ إلى المبدأِ المؤثرِ بالذاتِ فتستقرُ دونَ معرفتِه وتَستْغني بهِ في وجودِها وسائرِ شؤونِها عن غيرِه بالكليةِ، وقيلَ: هي النفسُ المؤمنةُ المطمئنةُ إلى الحقِّ الواصلةُ إلى ثَلَجِ اليقينِ بحيثُ لا يُخالجها شكٌّ مَا وقيلَ: هي الآمنةُ التي لا يستفزهَا خوفٌ ولا حزنٌ ويؤيدُه أنَّه قرئ (يا أيتها النفسُ الآمنةُ المطمئنةُ)[١] أي يقولُ الله تعالَى ذلكَ بالذاتِ كما كلَّم مُوسى عليه السلامُ أو على لسان المَلَكِ عندَ تمام حسابِ الناسِ وهو الأظهرُ وقيلَ: عندَ البعثِ وقيلَ عند الموتِ ﴿ارجعِي إلى ربِّكِ﴾ أي إلى موعدِه أو إلى أمرِه ﴿راضيةً﴾ بما أوتيتِ من النعيم المقيم ﴿مرضيةً﴾ عندَ الله عزَّ وجَلَّ ﴿فادخُلى في عبادِي﴾ في زمرةِ عبادِي الصالحينَ المختصينَ بي ﴿وادخلي جنتي﴾ معهُم أو انتظمِي في سلكِ المقربينَ واستضيئِي بأنوارهم فإنَّ الجواهرَ القدسيةَ كالمَرَايا المتقابلة وقيل: المرادُ بالنفسِ الروحُ والمَعنْى: فادخُلى أي: أجسادَ عبادِي التي افترقتِ[٢] عنْهَا وادخُلِي دارَ ثوابِي، وهَذا يؤيدُ كونَ الخطابِ عندَ البعثِ وقرئ (فادخلي في عَبْدِي)[٣] وقرئ (في جسدِ عَبْدي)[٤] وقيلَ: نزلتْ في حمزةَ بنِ عبد المطلبِ وقيل: في خبيب بنِ عديٍّ رضيَ الله عنهُمَا والظاهرُ العمومُ.

عنِ النبيِّ ﷺ: «**منْ قرأَسورةَ الفجرِ في الليالِي العشرِ غُفرَ لَهُ ومنْ قرأهَا في سائرِ الأيامِ كانتْ له نورًا يومَ القيامةِ**»[٥].

---

(١) قرأ بها: أبي.
ينظر: تفسير الطبري (٣٠/ ١٢٢)، وتفسير القرطبي (٢٠/ ٥٧).

(٢) في ط: فارقت.

(٣) قرأ بها: ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، وأبو جعفر، والضحاك، وأبو صالح، والكلبي، وأبو شيخ الهنائي، واليماني، وابن السميفع، وأبي.
ينظر: الإعراب للنحاس (٣/ ٧٠١، ٧٠٢)، والبحر المحيط (٨/ ٤٧٢)، وتفسير القرطبي (٢٠/ ٥٨)، والمجمع للطبرسي (١٠/ ٤٨٢)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٣٦٠)، والمعاني للفراء (٣/ ٢٦٣).

(٤) قرأ بها: ابن مسعود.
ينظر: تفسير القرطبي (٢٠/ ٥٨)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٢٥٤).

(٥) تقدم تخريجه، وزاد في خ: والله الموفق بمنِّه وكرمه إلى الصواب.

سُورةُ البلدِ

مَكِّيةٌ وَآيُها عشرونَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿٢﴾ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى
كَبَدٍ ﴿٤﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٥﴾ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ﴿٦﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ
﴿٧﴾ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ
﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ
﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾
أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌۢ ﴿٢٠﴾

﴿لا أُقسمُ بهذَا البلدِ﴾ أقسمَ سبحانَهُ بالبلدِ الحرامِ وبَما عُطفَ عليهِ عَلى أنَّ الإنسانَ خُلقَ ممنوا بمقاساةِ الشدائدِ ومعاناةِ المشاقِّ واعترضَ بينَ القسمِ وجوابِه بقولِه تعالَى: **﴿وأنتَ حلٌّ بهذَا البلدِ﴾** إمَّا لتشريفهِ عليهِ الصلاةُ والسلامُ بجعلِ حلولِه بهِ مناطًا لإعظامِه بالإقسامِ بهِ أو التنبيهِ منْ أولِ الأمرِ عَلى تحققِ مضمونِ الجوابِ بذكرِ بعضِ موادِّ المكابدةِ على نهجِ براعةِ الاستهلالِ وبيانِ أنَّه عليهِ الصلاةُ والسلامُ معَ جلالةِ قدرهِ وعظمِ حُرمتِه قد استحلُّوه في هَذا البلدِ الحرامِ وتعرضُوا لَهُ بما لا خيرَ فيهِ وهمُّوا بما لَمْ ينالُوا عن شُرَحْبيلَ يحرمونَ أن يقتلُوا بَها صيدًا ويعضدُوا بَها شجرةً ويستحلُّونَ إخراجَكَ وقتلكَ أو لتسليتِه عليهِ الصلاةُ والسلامُ بالوعدِ بفتحِه عَلى مَعْنى وأنتَ حلٌّ بهِ في المستقبلِ كَما في قولِه تعالَى: **﴿إنَّك ميتٌ وإنهم ميتونَ﴾** [سورة الزمر، الآية ٣٠] تصنعُ فيهِ ما تريدُ من القتلِ والأسرِ وقد كانَ كذلكَ حيثُ أحلَّ له عليهِ الصلاةُ والسلامُ مكةَ وفتحَها عليهِ وما فتحتْ عَلى أحدٍ قَبْله ولاَ أحلتْ لهُ فأحلَّ عليهِ الصلاةُ والسلامُ فيهَا ما شاءَ وحرَّم ما شاءَ قتلَ ابْنَ خطلٍ وهو متعلقٌ بأستارِ

الكعبةِ[(١)] ومقيسَ بْنَ صبابةَ[(٢)] وغيرَهُما وحرَّمَ دارَ أبي سفيانَ[(٣)] ثمَّ قالَ: **«إنَّ الله حرَّمَ مكةَ يومَ خلقَ السماواتِ والأرضَ فهَى حرامٌ إلى أنْ تقومَ الساعةُ لم تحلَّ لأحدٍ قَبْلي ولنْ تحلَّ لأحدٍ بعدي ولم تحلَّ لي إلا ساعةً من نهارٍ فَلا يُعضدُ شجرُهَا ولا يُختلى خَلاها ولا ينفرُ صيدُهَا ولا تحلُّ لُقطتُها إلا لمنشدٍ» فقالَ العباسُ يا رسولَ الله إلا الإِذْخِرَ فإنَّه [لقيونِنا وقبورِنا وبيوتِنا][(٤)] فقالَ عليه الصلاةُ والسلامُ «إلاَّ الإذخرَ»**[(٥)].

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ٥٣٦) كتاب جزاء الصيد، باب: دخول الحرم ومكة بغير إحرام، برقم (١٨٤٦)، ومسلم (٢/ ٩٨٩) كتاب الحج، باب: جواز دخول مكة بغير إحرام، برقم (٤٥٠/ ١٣٥٧) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ دخل مكة عام الفتح وعلى رأسه مغفر. فلما نزعه جاءه رجل فقال:
ابن خطل متعلق بأستار الكعبة. فقال: اقتلوه.

(٢) أخرجه أبو داود (٢/ ٦٥) كتاب الجهاد، باب: قتل الأسير ولا يعرض عليه الإسلام، برقم (٢٦٨٣)، والنسائي (٧/ ١٠٥) كتاب تحريم الدم، باب: الحكم على المرتد، برقم (٤٠٦٧)، وأبو يعلى (٢/ ١٠٠) برقم (٧٥٧)، والبزار (٣/ ٣٥٠)، برقم (١١٥١)، والحاكم (٢/ ٦٢)، والبيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٤٠) من حديث مصعب بن سعد عن أبيه.
وفيه: لما كان يوم فتح مكة أمَّن رسول الله ﷺ الناس إلا أربعة نفر وامرأتين، وقال: اقتلوهم وإن وجدتموهم متعلقين بأستار الكعبة: عكرمة بن أبي جهل، وعبد الله بن خطل ومقيس بن صبابة... الحديث، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.
وقال الهيثمي في المجمع (٦/ ١٦٩).
رواه أبو داود وغيره باختصار. رواه أبو يعلى والبزار وزاد... ورجالهما ثقات». ا هـ. بتصرف.

(٣) المراد بقوله: «حرم دار أبي سفيان» قوله ﷺ يوم فتح مكة:
«من دخل دار أبي سفيان فهو آمن».
أخرجه مسلم (٣/ ١٤٠٥) كتاب الجهاد والسير، باب: فتح مكة، برقم (٨٤/ ١٧٨٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) في خ: لبيوتنا وقبورنا.

(٥) أخرجه البخاري (٤٦، ٤٧): كتاب جزاء الصيد: باب لا يحل القتل بمكة، حديث (١٨٣٤)، ومسلم (٢/ ٩٨٦، ٩٨٧): كتاب الحج: باب تحريم مكة وصيدها وخلالها وشجرها ولقطتها إلا لمنشد، على الدوام، حديث (٤٤٥/ ١٣٥٣).
وأبو داود (٢/ ٦) كتاب الجهاد: باب في الهجرة هل انقطعت حديث (٢٤٨٠) والنسائي (٧/ ١٤٦) كتاب الجهاد: باب ذكر الاختلاف في انقطاع الهجرة والترمذي (٤/ ١٢٦) كتاب السير: باب ما جاء في الهجرة، حديث (١٥٩٠)، والدارمي (٢/ ٢٣٩) كتاب السِّير، باب: لا هجرة بعد الفتح، وعبد الرزاق (٥/ ٣٠٩) رقم (٩٧١٣) وابن الجارود (١٠٣٠) وابن حبان (٤٨٤٥ - الإحسان) والبيهقي (٥/ ١٩٥) والطبراني في الكبير رقم (١٠٩٤٤) والبغوي في شرح السنة (٥/ ٥٢٠-بتحقيقنا) من طريق منصور عن مجاهد عن طاوس عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ يوم فتح مكة: «إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السماوات والأرض، والله فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، وإنه لم =

﴿ووالدٍ﴾ عطفٌ على هَذا البلدِ والمرادُ بهِ إبراهيمُ وبقولِه تعالَى ﴿وما ولدَ﴾ إسماعيلُ والنبيُّ صلواتُ الله عليهمْ أجمعينَ حسبَما ينبئُ عنْهُ المعطوفُ عليهِ فإنَّه حرمُ إبراهيمَ ومنشأُ إسماعيلَ ومسقطُ رأسِ رسولِ الله عليهمُ الصلاةُ والسلامُ والتعبيرُ عنهمَا بَما دُونَ مَنْ للتفخيمِ والتعظيمِ كتنكيرِ والدٍ، وإيرادُهم بعنوانِ الولادِ ترشيحٌ لمضمونِ الجوابِ وإيماءٌ إلى أنَّه متحققٌ في حَالتِي الوالديةِ والولديةِ وقيلَ: آدمُ عليهِ السلامُ ونسلُه وهُو أنسبُ لمضمونِ الجوابِ من حيثُ شمولُه للكُلِّ إلا أنَّ التفخيمَ المستفادَ من كلمةِ مَا لا بُدَّ فيهِ من اعتبارِ التغليبِ.

وقيلَ: وكُلُّ والدٍ وولدهُ ﴿لقد خلقنا الإنسان في كبد﴾ أي تعب ومشقة فإنَّه لا يزالُ يُقاسِي فنونَ الشدائدِ منْ وقتِ نفخ الروح إلى حينِ نَزْعِها وما وراءَهُ يقالُ كبدَ الرجلُ كَذا إذَا وجعتْ كبدُه وأصلُه كبدَهُ إذَا أصابَ كبدَهُ ثم اتسعَ فيهِ حَتَّى استعملَ في كُلِّ نصبٍ ومشقةٍ، ومنهُ اشتقتْ المكابدةُ.

كما قيلَ: كبتَهُ بمعنى أهلَكه وهو تسليةٌ لرسولِ الله ﷺ مما كانَ يكابدُه من كفارِ قريشٍ والضميرُ في قولِه تعالَى: ﴿أيحسبُ﴾ لبعضِهم الذي كانَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ يكابدُ منهمْ ما يكابدُ كالوليدِ بنِ المغيرةِ وأضرابِه وقيلَ: هُوَ أبُو الأشدِّ بنُ كَلدةٍ الجُمَحيُّ وكان شديدَ القوةِ مغترا بقوتِه وكان يبسطُ له الأديمُ العكاظيُّ فيقومُ عليهِ ويقولُ منْ أزالَني عنْهُ فلَهُ كَذا فيجذبُهُ عشرةٌ فينقطعُ قطعًا ولا تزلُّ[1] قدماهُ أيْ أيظنُّ[2] هَذا القويُّ الماردُ المستضعفُ للمؤمنينَ ﴿أنْ لنْ يقدرَ عليهِ أحد﴾ أنْ مخففةٌ منْ أنَّ واسمُهَا الذي هُو ضميرُ الشأنِ محذوفٌ أيْ أيحسبُ أنَّه لنْ يقدرَ عَلى الانتقامِ منهُ أحدٌ ﴿يقولُ أهلكتُ مالًا لُبدًا﴾ يريدُ كثرةَ ما أنفقَهُ فيما كانَ أهلُ الجاهليةِ يسمونَها مكارمَ ويدعونَها معاليَ ومفاخرَ ﴿أيحسبُ أنْ لم يَرَهُ أحدٌ﴾ حينَ كانَ ينفقُ وأنه تعالَى لا يسألُه عنْهُ ولا يجازيهِ عليهِ ﴿ألم نجعلْ له عينينِ﴾ يبصرُ بهمَا ﴿ولسانًا﴾ يترجمُ بهِ عنْ ضمائرِه ﴿وشفتينِ﴾ يسترُ بهمَا فاهُ ويستعينُ بهِما على النطقِ والأكلِ والشربِ وغيرِها ﴿وهديناهُ النجدينِ﴾ أيْ طَريقي الخيرِ والشرِّ أو الثديينِ وأصلُ النجدِ المكانُ المرتفعُ

= يحل القتال فيه لأحد قبلي، ولم يحل إلا ساعة من نهار، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، لا يعضد شوكه ولا ينفر صيده ولا يلتقط لقطته إلا من عرفها، ولا يختلَ خلاها» فقال العباس: يا رسول الله إلا الإذخر فإنه لقينهم ولبيوتهم فقال: «إلا الإذخر» وهذا لفظ البخاري، والإذخِر: حشيش طيب الريح. وهو يشبه في نباته الغَرَز، يُطحن فيدخل في الطيب.

والقيون: جمع قين وهو الحداد.

(١) في خ: عنه ولا تزول.

(٢) زاد في خ: أن لن يقدر على الانتقام من أحد.

﴿فلا اقتحمَ العقبةَ﴾ أيْ فَلَمْ يشكرْ تلكَ النعمَ الجليلةَ بالأعمالِ الصالحةِ وعبرَ عنْهَا بالعقبةِ التِي هيَ الطريقُ في الجبلِ لصعوبة سلوكِهِا.

وقولُه تعالَى: ﴿وما أدراكَ ما العقبةُ﴾ أيْ أيُّ شيءٍ أعلمكَ ما [اقتحامُ العقبةِ][1] لزيادةِ تقريرِها وكونِها عندَ الله تعالَى بمكانةٍ رفيعةٍ ﴿فكُّ رقبةٍ﴾ أيْ هُو إعتاقُ رقبةٍ ﴿أو إطعامٌ في يوم ذي مسغبةٍ﴾ أيْ مجاعة ﴿يتيمًا ذَا مقربةٍ﴾ أيْ قَرابةٌ ﴿أو مسكينًا ذَا متربةٍ﴾ أي افتقارٌ وحيثُ كانَ المرادُ باقتحام العقبةِ هذهِ الأمور حسُنَ دخولُ لاَ عَلى الماضِي فإنَّها لا تكادُ تقعُ إلا مكررةً إذِ المَعْنى فلا فكَّ رقبةً ولا أطعَم يتيمًا أو مسكينًا والمسغبةُ والمقربةُ والمتربةُ مفعلاتٌ من سغِبَ إذا جاعَ وقرُبَ منْ النسبِ وترِبَ إذا افتقرَ وقرئ فكَّ رقبةً أوْ أطعمَ[2] [على الإبدالِ][3] من اقتحمَ ﴿ثم كانَ منَ الذينَ آمنُوا﴾ عطفٌ عَلى المنفيِّ بَلا وثمَّ للدلالة عَلى تراخي رتبة الإيمانِ ورفعةِ محلِّه لاشتراط جميع الأعمالِ الصالحةِ بهِ ﴿وتواصوا بالصبرِ﴾ عطفٌ على[4] آمنُوا أيْ أوصَى بعضُهم بعَضًا بالصبر على طاعة الله ﴿وتواصَوا بالمرحمةِ﴾ بالرحمةِ عَلى عبادهِ أو بموجباتِ رحمتِه من الخيراتِ ﴿أولئكَ﴾ إشارةٌ إلى الموصولِ باعتبار اتصافِه بما في حيز صلتِه، وما فيهِ من مَعْنى البعد معَ قُربِ العهدِ بالمشارِ إليهِ للإيذانِ ببعدِ[5] درجتِهم في الشرفِ والفضلِ أيْ أولئكَ الموصوفونَ بالنعوتِ الجليلةِ المذكورةِ ﴿أصحابُ الميمنةِ﴾ أي اليمينُ أو اليمنُ ﴿والذين كفرُوا بآياتِنا﴾ بما نصبنَاهُ دليلًا على الحقِّ من كتابٍ وحجة أو بالقرآنِ ﴿هم أصحابُ المشأمةِ﴾ أي الشمالِ أو الشؤم ﴿عليهم نار مؤصَدَةٌ﴾ مطبقةٌ من آصدتُ البابَ إذا أطبقتهُ وأغلقتَهُ وقُرئ مُوصدةٌ[6] بغيرِ همزةٍ منْ أوصدتُهُ.

عنِ النبيِّ ﷺ «**مَنْ قرأَ لاَ أقسمُ بهذَا البلدِ أعطاهُ الله تعالَى الأمانَ من غضبهِ يومَ القيامةِ**»[7].

---

(١) في خ: القصة.

(٢) قرأ بها: ابن كثير، وأبو عمرو، والكسائي، وابن محيصن، واليزيدي، والحسن، وأبو رجاء، وعلي بن أبي طالب.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٣٩)، والإعراب للنحاس (٣/ ٧٠٧)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٥٥)، والغيث للصفاقسي ص (٣٨٤)، والكشف للقيسي (٢/ ٣٧٥)، والمعاني للفراء (٣/ ٢٦٥).

(٣) في خ: فاعل.

(٤) في خ: على الذين.

(٥) زاد في خ: ببعد منزلتهم له.

(٦) قرأ بها: نافع، وابن كثير، وابن عامر، والكسائي، وأبو جعفر.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٣٩)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٥٥)، والبحر المحيط (٨/ ٤٧٦، ٤٧٧) والتبيان للطوسي (١٠/ ٣٥٣)، والتيسير للداني ص (٢٢٣)، وتفسير القرطبي (٢٠/ ٧٢)، والحجة لابن خالويه ص (٣٧٢).

(٧) تقدم تخريجه، وزاد في خ: والله الموفق بمنه وكرمه للصواب.

سُورةُ الشمسِ

مَكيةٌ، وآيُها خمسَ عشرةَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ﴿١﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ﴿٢﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ﴿٣﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ﴿٤﴾
وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ﴿٥﴾ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾
قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا
﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم
بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ﴿١٥﴾

﴿والشمسِ وضُحاها﴾ أي ضوئها إذَا أشرقتْ وقام سلطانُها، وقيل: الضَّحوةُ ارتفاعُ النهارِ والضُّحى فوقَ ذلكَ والضحاءُ بالفتحِ والمدِّ إذا امتدَّ النهارُ وكادَ ينتصفُ ﴿والقمرِ إِذَا تلاهَا﴾ بأنْ طلعَ بعد غروبِها وقيل: إذا تلا طلوعُه طلوعَها وقيلَ: إذا تلاهَا في الاستدارةِ وكمالِ النُّورِ ﴿والنهارِ إذا جلَّاها﴾ أي جَلَّى الشمسَ فإنها تتجلَّى عند انبساطِ النهارِ فكأنه جلاَّها مع أنَّها التي تبسطُه أو جلَّى الظلمةَ أو الدُّنيا أو الأرضَ وإن لم يجرِ لها ذِكْرٌ للعلمِ بها ﴿والليلِ إذَا يغشاهَا﴾ أي الشمسَ فيُغطِّي ضوءَها أو الآفاقَ أو الأرضَ وحيثُ كانت الواواتُ العاطفةُ نوائبَ للواو الأُولى القسميةِ القائمةِ مقامَ الفعلِ والباءُ سادَّةً مسدَّهما معًا في قولكَ أقسمُ باللهِ حققْن أن يعمَلن عملَ الفعلِ والجارّ جميعًا كما تقول ضرب زيد عَمرًا وبكرٌ خالدًا ﴿والسماءِ وما بناهَا﴾ أيْ ومَنْ بنَاها وإيثارُ مَا على مَنْ لإرادةِ الوصفيةِ تفخيمًا كأنَّه قيلَ: والقادرِ العظيمِ الشأنِ الذي بناهَا وجعلَها مصدريةً مخلٌّ بالنظمِ الكريمِ وكذا الكلامُ في قولِه تعالَى: ﴿والأرضِ وما طحَاها﴾ أي بسطَها من كلِّ جانبٍ كدحَاهَا.

﴿ونفسٍ وما سوَّاها﴾ أي أنشأَها وأبدعَها مستعدةً لكمالاتِها والتنكيرُ للتفخيمِ على أنَّ المرادَ نفسُ آدم عليه السلامُ أو للتكثيرِ وهو الأنسبُ للجوابِ ﴿فألهمها فجورَها وتقواهَا﴾ أي أفهمَها إيَّاهُمَا وعرَّفَها حالَها من الحُسْنِ والقُبحِ وما تؤدي[1] إليه كلٌّ

---

(١) في خ: آل.

منهُمَا ومكَّنها من اختيارٍ[١] أيِّهما شاءتْ وتقديمُ الفجورِ لمراعاةِ الفواصلِ ﴿**قد أفلحَ منْ زكَّاها**﴾ أيْ فازَ بكلِّ مطلوبٍ ونجَا من كلِّ مكروهٍ مَنْ أنماهَا وأعلاها بالتقوى وهو جوابُ القسم وحذفُ اللامِ لطولِ الكلامِ وتكريرُ قَدْ في قولِه تعالَى: ﴿**وقدْ خابَ من دسَّاها**﴾ لإبرازِ [كمالِ][٢] الاعتناءِ بتحقيقِ مضمونِه والإيذانِ بتعلقِ القسم بهِ أيضًا أصالةً أيْ [خسرَ مَنْ][٣] نقصَها وأخفَاها بالفجورِ وأصلُ دَسَّى دَسَّسَ كتقضَّى وتَقضَّضَ وقيلَ: هو كلامٌ تابعٌ لقولِه تعالَى: ﴿فألهمها فجورَها وتقواها﴾ [سورة الشمس، الآية ٨] بطريقِ الاستطرادِ وإنما الجوابُ ما حذفَ تعويلًا على دلالة قولِه تعالى ﴿**كذبتْ ثمودُ بطغواها**﴾ عليه كأنَّه قيلَ: ليُدَمدِمنَّ الله تعالى على كفارِ مكةَ لتكذيبِهم رسولَ الله ﷺ كما دمدمَ على ثمودَ لتكذيبِهم صالحًا عليهِ السلامُ وهو على[٤] الأولِ استئنافٌ واردٌ لتقريرِ مضمونِ قولِه تعالى: ﴿وقدْ خابَ من دسَّاها﴾ [سورة الشمس، الآية ١٠] والطَّغوى بالفتحِ الطُّغيانُ والباءُ للسببيةِ أيْ فعلتِ التكذيبَ بسببِ طُغيانِها كما تقولُ ظلمنِي بجراءتِه على الله تعالى [أو صلةٌ للتكذيبِ][٥] أيْ كذَّبتْ بمَا أُوعدتْ بهِ منَ العذابِ ذي الطَّغوى كقولِه تعالَى: ﴿فأُهلكوا بالطاغية﴾ [سورة الحاقة، الآية ٥] وقرئَ بِطُغواهَا[٦] بضم الطاء وهو أيضًا مصدرٌ كالرُّجعى.

﴿**إذِ انبعثَ أشقاهَا**﴾ منصوبٌ بكذبتْ أو بالطَّغوى أيْ حينَ قامَ أَشقى ثمودٍ وهُو قُدارُ بنُ سالفٍ أو هُو ومَنْ تصدَّى معه لعقرِ الناقةِ من الأشقياءِ فإنَّ أفعلَ التفضيلِ إذا أضيفَ يصلُح للواحدِ والمتعددِ والمذكرِ والمؤنثِ وفضلُ شقاوتِهم على مَنْ عداهُم لمباشرتِهم العقر معَ اشتراكِ الكلِّ في الرِّضا بهِ ﴿**فقالَ لهُم**﴾ أي لثمودَ ﴿**رسولُ الله**﴾ أي صالحٌ عليه السلامُ عبرَ عنه بعنوانِ الرسالةِ إيذانًا بوجوبِ طاعتِه وبيانًا لغايةِ عتوِّهم تمادِيهم في الطغيانِ وهو السرُّ في إضافةِ الناقةِ إلى الله تعالَى في قولِه تعالَى: ﴿**ناقةَ الله**﴾ أي ذرُوا ناقةَ الله ﴿**وسقياهَا**﴾ ولا تذودُوها[٧] عنها في نوبتها ﴿**فكذَّبُوه**﴾ أي في وعيدِه بقولِه تعالَى: ﴿ولا تمسُّوها بسوءٍ فيأخذكم عذابٌ أليمٌ﴾ [سورة الأعراف،

(١) في خ: الاختيار.
(٢) سقط في خ.
(٣) سقط في خ.
(٤) في خ: على أن.
(٥) في خ: أهلكوا بالتكذيب.
(٦) قرأ بها: الحسن، ومحمد بن كعب، وحماد بن سلمة، والجحدري.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٤٠)، والبحر المحيط (٨/٤٨)، وتفسير القرطبي (٢٠/٧٨)، والكشاف للزمخشري (٤/٢٥٩)، والمحتسب لابن جني (٢/٣٦٣).
(٧) في خ: تردوها.

الآية ٧٣] وقد جُوِّز أنْ يكونَ ضميرُ لهُم للأشقينِ ولا يلائمهُ ذكرُ سقياهَا.

﴿فعقرُوهَا﴾ أي الأشقى والجمعُ على تقديرِ وحدتِه لرِّضا الكلِّ بفعلِه وقال قَتَادةُ بلغنا أنَّه لم يعقرْها حتى تابعَه صغيرُهم وكبيرُهم وذكرُهم وأنثاهُم وقال الفرَّاءُ: عقرَها اثنانِ والعربُ تقولُ: هذانِ أفضلُ الناسِ **﴿فدمدمَ عليهم ربُّهم﴾** فأطبقَ عليهم العذابَ وهو من تكريرِ قولِهم ناقةٌ مدمدمةٌ إذا ألبسَها الشحمُ **﴿بذنبِهم﴾** بسببِ ذنبِهم المحكيِّ والتصريحُ بذلكَ مع دلالةِ الفاءِ عليهِ للإنذارِ بعاقبةِ الذنبِ ليعتبرَ به كلُّ مذنبٍ **﴿فسوَّاها﴾** أي الدمدمةَ بينهُم لم يفلتْ منهُم أحدٌ من صغيرٍ وكبيرٍ أو فسوَّى ثمودَ بالأرضِ أو سوَّاها في الهلاكِ **﴿ولا يخافُ عُقباهَا﴾** أي عاقبتَها وتبعتَها كما يخافُ سائرُ المعاقبينَ من الملوكِ فيبقِي بعضَ الإبقاءِ وذلك أنَّه تعالَى لا يفعلُ فعلًا إلى بحقٍّ وكلُّ من فعلَ فإنه بحقٍّ لا يخافُ عاقبةَ فعلِه وإنْ كانَ من شأنِه الخوفُ والواوُ للحالِ أو للاستئنافِ وقرئَ (فَلَا يخافُ)[1] وقرئَ (ولَمْ يخفْ)[2].

عنْ رسولِ الله ﷺ «**مَنْ قرأَ سورةَ الشمسِ فكأنما تصدقَ بكلِّ شيءٍ طلعتْ عليهِ الشمسُ والقمرُ**»[3].

---

(١) قرأ بها: نافع، وابن عامر، وأبو جعفر، وأُبي والأعرج، وأبو عبد الله.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٤٠)، والإعراب للنحاس (٣/ ٧١٥)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٥٥)، والسبعة لابن مجاهد ص (٦٨٩)، والغيث للصفاقسي ص (٣٨٤)، والكشف للقيسي (٢/ ٣٨٢).

(٢) ينظر: الكشاف للزمخشري (٤/ ٢٦٠)، وتفسير الرازي (٣١/ ١٩٦).

(٣) تقدم تخريجه، وزاد في خ: والله الموفق بمنه وكرمه للصواب.

سُورةُ والليلِ

مَكِّيةٌ، وآيُها إحْدَى وعشرونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣﴾ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ ﴿١١﴾ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ﴿١٣﴾ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٥﴾ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ﴿١٧﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ ﴿١٩﴾ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾

﴿والليلِ إذَا يغشَى﴾ أي حينَ [يغشَى][1] الشمسَ كقولِه تعالَى: ﴿والليلِ إذا يغشَاها﴾ [سورة الشمس، الآية ٤] أو النهارَ أو كلَّ ما يواريه بظلامِه ﴿والنهارِ إذا تجلى﴾ ظهرَ بزوالِ ظلمةِ الليل أو تبينَ وتكشفَ بطلوعِ الشمسِ ﴿وما خلقَ الذكرَ والأنثى﴾ أي والقادرِ العظيمِ القدرةِ الذي خلقَ صنفيَّ الذكرِ والأُنْثى من كلِّ ما لَهُ توالدٌ وقيلَ: هُما آدمُ وحواءُ وقُرِئ (والذكرِ والأُنْثى)[2] وقُرِئ (وَالذي خلقَ الذكرَ والأُنْثى)[3] وقيلَ: مَا مصدريةٌ ﴿إنَّ سعيكُم لشتَّى﴾ جوابُ القسمِ وشَتَّى جمع شتيتٍ أي أنَّ مساعيَكُم لأشتاتٍ مختلفةٍ.

وقولُه تعالى: ﴿فأمَّا منْ أعطَى واتَّقى * وصدَّق بالحُسْنى﴾ . . . إلخ تفصيلٌ لتلك المساعِي المشتتةِ وتبيينٌ لأحكامِها أي فأمَّا من أعطَى حقوقَ مالِه واتقى محارمَ الله

---

(١) سقط في خ.

(٢) قرأ بها: ابن مسعود، وأبو الدرداء، وعلي بن أبي طالب، وابن عباس.
ينظر: الإعراب للنحاس (٣/ ٧١٧)، وتفسير الطبري (٣٠/ ١٢٩)، وتفسير القرطبي (٢٠/ ٨١)، والمجمع للطبرسي (١٠/ ٥٠٠)، والمعاني للفراء (٣/ ٢٧٠)، وتفسير الرازي (٣١/ ١٩٨).

(٣) قرأ بها: عبد الله بن مسعود.
ينظر: التبيان للطوسي (١٠/ ٣٦٣)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٢٦٠، ٢٦١)، وتفسير الرازي (٣١/ ١٩٨).

تعالى [التي نهىَ عنها][(١)] وصدَّق بالخصلةِ الحُسْنى وهي الإيمانُ أو بالكلمةِ الحُسْنى وهي كلمةُ التوحيدِ أو بالملةِ الحُسْنى وهي ملةُ الإسلامُ أو بالمثوبةِ الحُسْنى وهي الجنةُ ﴿فسنيسرُه لليُسرى﴾ فسنهيئُه للخصلةِ التي تؤدِي إلى يُسرٍ [وراحةٍ كدخولِ الجنةِ ومباديه][(٢)] من يسرَ الفرسَ للركوبِ إذا أسرجَها وألجمَها ﴿وأمَّا منْ بخلَ﴾ أي بمالِه فلم يبذلْه في سبيلِ الخيرِ ﴿واستغنَى﴾ أي زهدَ فيما عنده تعالَى كأنَّه مستغنٍ عنْهُ فلم يتَّقِهِ أو استغنى بشهواتِ الدُّنيا عن نعيمِ الآخرةِ ﴿وكذَّبَ بالحُسْنى﴾ أي ما ذكرَ من المعانِي المتلازمِة ﴿فسنيسرُه للعُسْرى﴾ أي للخصلةِ المؤديةِ إلى العسرِ والشدةِ كدخولِ النارِ ومقدماتِه لاختيارِه لَها ولعلَّ تصديرَ القسمينِ بالإعطاءِ والبخلِ مع أنَّ كلا منهما أدْنى رتبةً[(٣)] مما بعدهُما في استتباعِ التيسيرِ لليُسرى والتيسير للعُسرى للإيذانِ بأنَّ كلا منهما أصلٌ فيما ذكَر لا تتمةٌ لماَ بعدهُما من التصديقِ والتَّقوى والتكذيبِ والاستغناءِ وتفسيرُ الأولِ بإعطاءِ الطاعةِ والثاني بالبخلِ بما أمرَ به مع كونِه خلافَ الظاهرِ يأباهُ قولُه تعالَى: ﴿وما يُغني عنْهُ﴾ أيْ ولا يُغنِي أو أيُّ شيءٍ يُغنِي عنْهُ ﴿مالُه﴾ الذي يبخلُ به ﴿إذا تردَّى﴾ أي هلكَ تفعَّلَ من الرَّدَى الذي هو الهلاكُ أو تردَّى في الحفرةِ إذا قُبرَ أو تردَّى في قعرِ جهنمَ ﴿إنَّ علينا للهُدَى﴾ استئنافٌ مقررٌ لما قبله أي إنَّ علينا بموجبِ قضائِنا المبنيِّ على الحكم البالغةِ حيث خلقنَا الخلقَ للعبادةِ أن نبينَ لهم طريقَ الهُدى وما لا يؤدِّي إليهِ من طريقِ الضلالِ وما يؤدِّي إليه وقد فعلنَا ذلكَ بما لا مزيدَ عليهِ حيثُ بيَّنا حالَ من سلكَ كلا الطريقينِ ترغيبًا وترهيبًا ومن هٰهنا تبينَ أنَّ الهدايةَ هي الدلالةُ على ما يوصلُ إلى البغيةِ لا الدلالةُ الموصلةُ إليها قطعًا ﴿وإنَّ لنا للآخرة والأُولى﴾ أي التصرفَ الكليَّ فيهما كيفما نشاءُ فنفعلُ فيهما ما نشاءُ من الأفعالِ التي من جُملتها ما وعدنَا من التيسيرِ لليُسرى والتيسيرِ للعُسرى وقيلَ: إن لنا كلَّ ما في الدُّنيا والآخرةِ فلا يضرنا تركُكُم الاهتداءَ بهدانَا ﴿فأنذرتكم نارًا تلظَّى﴾ بحذفِ إحْدى التاءينِ من تتلظَّى أي تتلهبُ وقرِئَ[(٤)] على الأصلِ ﴿لا يصلاهَا﴾ صليًا لازمًا ﴿إلا الأشقى﴾ إلا الكافرُ فإنَّ الفاسقَ لا يصلاهَا صليًا لازمًا وقد صرَّحَ به قولُه تعالى: ﴿الذي كذَّبَ وتولَّى﴾ أي كذَّبَ بالحقِّ وأعرضَ عن الطاعةِ ﴿وسيجنبها﴾ أي سَيُبعدُ عنْها ﴿الأتقى﴾ المبالغُ في اتقاءِ الكفرِ والمعاصِي فلا يحومُ حولَها فضلًا عن دخولِها

---

(١) سقط في خ.
(٢) سقط في خ.
(٣) في خ: مرتبة.
(٤) قرأ بها: سفيان بن عيينة، وعمرو بن دينار، وعبيد بن عمير، وابن الزبير، وزيد بن علي، وعبد الله بن مسعود.
ينظر: الإعراب للنحاس (٣/ ٧١٩)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٢٦٢)، والمعاني للفراء (٣/ ٢٧٢).

أو صليها الأبديَّ وأما [من دُونَهُ][(١)] ممن يتقي الكفرَ دُونَ المعاصِي فلا يُبعد عنْها هذا التبعيدَ وذلكَ لا يستلزمُ صليها بالمَعْنى المذكورِ فلا يقدحُ في الحصرِ السابقِ ﴿**الذي يُؤتي مالَه**﴾ يُعْطيه ويصرفُهُ في وجوهِ البرِّ والحسناتِ وقولُه تعالى: ﴿**يتزكَّى**﴾ إما بدلٌ من يُؤتِي داخلٌ في حكمِ الصلةِ لا محلَّ لهُ أو في حيز النصبِ على أنه حالٌ من ضميرِ يُؤتِي أي يطلبُ أن يكونَ عند الله تعالى زاكيًا ناميًا لا يريدُ بهِ رياءً ولا سمعةً.

﴿**وما لأحدٍ عندَهُ من نعمةٍ تُجزى**﴾ استئنافٌ مقررٌ لكونِ إيتائِه للتزكِّي خالصًا لوجهِ الله تعالى أي ليسَ لأحدٍ عنده نعمةٌ من شأنِها أنْ تُجزى وتكافأَ فيقصدَ بإيتاءِ ما يُؤتى مجازاتِها.

وقولُه تعالى: ﴿**إلا ابتغاءَ وجهِ ربِّه الأَعْلى**﴾ استثناءٌ منقطعٌ من نعمةٍ وقرئ[(٢)] بالرفعِ على البدلِ من محلِّ نعمةٍ فإنَّه الرفعُ إما على الفاعليةِ أو على الابتداءِ ومِنْ مزيدةٌ ويجوزُ أن يكونَ مفعولًا لهُ لأنَّ المَعْنى لا يُؤتِي مالَه إلا ابتغاءَ وجهِ ربِّه[(٣)] لا لمكافأةِ نعمةٍ والآياتُ نزلتْ في حقِّ أَبِي بكرٍ الصديقِ رضيَ الله عنه حينَ اشترَى بلالًا في جماعةٍ كان يؤذيهم المشركونَ فأعتقهم ولذلكَ قالُوا: المرادُ بالأَشْقى أَبُو جهلٍ أو أميةُ بنُ خلفٍ وقد رَوَى عطاءٌ والضحاكُ عن ابنِ عباسٍ رضيَ الله عنهُمَا أنه عذَّبَ المشركونَ بلالًا وبلالٌ يقولُ: أَحَدٌ أَحَدٌ فمرَّ به النبيُّ عليه الصلاةُ والسلامُ فقالَ: «**أَحَدٌ يعني الله تعالَى ينجيكَ**» ثم قالَ لأبي بكرٍ رضي الله عنه: «**إنَّ بلالًا يعذبُ في الله**» فعرفَ مرادَهُ عليه الصلاةُ والسلامُ فانصرفَ إلى منزلِه فأخذ رطلًا من ذهبٍ ومَضَى به إلى أميةَ بنِ خلفٍ فقالَ له: أتبيعُنِي[(٤)] بلالًا؟ قالَ: نعَم، فاشتراهُ فأعتَقَهُ[(٥)] فقالَ المشركونَ: ما أعتقَهُ أَبُو بكرٍ إلا ليدٍ كانتْ له عندَهُ فنزلتْ.

وقولُه تعالَى: ﴿**ولسوفَ يرْضَى**﴾ جوابُ قسم مضمرٍ أيْ وبالله لسوفَ يَرْضَى وهو وعدٌ كريمٌ بنيلِ جميعَ ما يبتغيهِ على أكملِ الوجوهِ وأجملِها إذْ بهِ يتحققُ الرِّضَا وقرئ (يُرْضَى)[(٦)] مبنيا للمفعولِ من الإرضاءِ.

عن رسولِ الله ﷺ: «**من قرأَ سورةَ والليلِ أعطاه الله تعالى حَتَّى يَرْضَى وعافاهُ من العُسرِ ويسَّر له اليسرَ**»[(٧)].

---

(١) في خ: من دونها.
(٢) قرأ بها: ابن وثاب.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٤٨٤)، وتفسير القرطبي (٢٠/ ٨٩)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٢٦٢).
(٣) في خ: ربه الأعلى.
(٤) في خ: تبيعني.
(٥) ذكره الثعلبي في تفسيره (١٠/ ٢٢٠).
(٦) ينظر: البحر المحيط (٨/ ٤٨٤).
(٧) تقدم تخريجه.

سُورَةُ وَالضُّحَى

مَكِّيةٌ وآيُها إحدَى عشرةَ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ
﴿٤﴾ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ﴿٥﴾ أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ
﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ
رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ﴿١١﴾

﴿وَالضُّحَى﴾ هُوَ وقتُ ارتفاعِ الشمسِ وصدرُ النهارِ قالُوا: تخصيصُهُ بالإقسامِ بهِ لأنَّها الساعةُ التي كلَّم فيهَا مُوسَى عليهِ السلامُ وألقي فيهَا السحرةُ سُجدا لقولِه تعالَى: ﴿وأن يحشر الناس ضحى﴾ [سورة طٰه، الآية ٥٩] وقيلَ: أريدَ بِهِ النهارُ كمَا في قولِه تعالَى: ﴿أن يأتيهم بأسنا ضحى﴾ [سورة الأعراف، الآية ٩٨] في مقابلةِ بياتًا **﴿وَالليلِ﴾** أيْ جِنْسِ الليلِ **﴿إِذَا سَجَى﴾** أيْ سكنَ أهلُه أو ركدَ ظلامُه من سَجَا البحرُ سَجْوًا إذَا سكنَتْ أمواجُهُ، وَنُقِلَ عن قتادةَ ومقاتلٍ وجعفرٍ الصَّادقِ أنَّ المرادَ بالضُّحَى هُوَ الضُّحى الذي كلَّمَ الله تعالَى فيهِ مُوسَى عليهِ السلامُ وبالليلِ ليلةُ المعراجِ.

وقولُه تعالَى: **﴿مَا وَدَّعكَ ربُّكَ﴾** جوابُ القسمِ أيْ ما قطعكَ قطعَ المودعِ وقرئَ بالتخفيفِ[١] أيْ ما ترككَ **﴿وَمَا قَلَى﴾** أيْ ومَا أبغضَكَ وحَذفُ المفعولِ إما للاستغناءِ عنْهُ بذكرِهِ من قبلُ أو للقصدِ إلى نفي صدورِ الفعلِ عنْهُ تعالَى بالكليةِ مع أنَّ فيهِ مراعاةً للفواصلِ. رُوي أنَّ الوحيَ تأخرَ عن رسولِ الله ﷺ أيامًا لتركِه الاستثناءَ كما مَرَّ في سُورةِ الكهفِ أو لزجرِهِ سائلًا ملحا فقالَ المشركونَ: إنَّ محمدًا ودعَهُ ربُّهُ وقلاهُ فنزلتْ[٢] رَدًّا عليهم وتَبْشيرًا لهُ عليهِ الصلاةُ والسلامُ بالكرامةِ الحاصلةِ والمترقبةِ كما

---

(١) قرأ بها: عروة بن الزبير، وهشام بن عروة، وأبو حيوة، وأبو بحرية، وابن أبي عبلة، وابن عباس. ينظر: الإملاء للعكبري (٢/ ١٥٥)، والبحر المحيط (٨/ ٤٨٥)، والتبيان للطوسي (١٠/ ٣٦٧)، والمجمع للطبرسي (١٠/ ٥٠٣)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٣٦٤)، وتفسير الرازي (٣١/ ٢٠٩).

(٢) قال الحافظ ابن حجر: أخرجه ابن مردويه من رواية العوفي عن ابن عباس في قوله «ما ودعك ربك =

يُشعِرُ به إيرادُ اسمِ الربِّ المنبئِ عنِ التربيةِ والتبليغِ إلى الكمالِ مَعَ الإضافةِ إلى ضميره عليهِ الصلاةُ والسلامُ وحيثُ تضمنَ ما سبقَ من نفيِ التوديعِ والقِلَى أنَّه تعالى يواصلُه بالوَحْيِ والكرامةِ في الدُّنيا بشرهُ عليهِ الصلاةُ والسلامُ بأنَّ مَا سيؤتيه في الآخرةِ أجلُّ وأعظمُ من ذلكَ فقيلَ: ﴿وللآخرة خيرٌ لكَ من الأُولى﴾ لما أنَّها باقيةٌ صافيةٌ عنِ الشوائبِ على الإطلاقِ وهذه فانيةٌ مشوبةٌ بالمضارِّ وما أوتِي عليهِ الصلاةُ والسلامُ من شرفِ النبوةِ وإنْ كانَ [مما][1] لا يعادلُه شرفٌ ولاَ يُدانيهِ فَضلٌ لكنَّهُ لا يخلُو في الدُّنيا من بعضِ العوارضِ الفادحةِ في تمشيةِ الأحكامِ مَعَ أنَّه عندَمَا أعدَّ لهُ عليهِ الصلاةُ والسلامُ في الآخرةِ من السبقِ والتقدمِ على كافةِ الأنبياءِ والرسلِ يومَ الجمعِ ﴿يومَ يقومُ النَّاسُ لربِّ العالمينَ﴾ [سورة المطففين، الآية ٦] وكونُ أمتِه شهداءَ على سائرِ الأممِ ورفعُ درجاتِ المؤمنينَ وإعلاءُ مراتبِهم بشفاعتِه وغيرُ ذلكَ من الكراماتِ السنيةِ التي لا تحيطُ بهَا العبارةُ بمنزلةِ بعضِ المبادِي بالنسبةِ إلى المَطَالبِ وقيلَ: المرادُ بالآخرةِ عاقبةُ أمرِه عليهِ الصلاةُ والسلامُ أيْ لنهايةُ أمركَ خيرٌ من بدايتِه[2] لا تزالُ تتزايدُ قوةً وتتصاعدُ رفعةً.

وقولُه تعالَى: ﴿ولسوفَ يُعطيكَ ربُّكَ فترضَى﴾ عِدَةٌ كريمةٌ شاملةٌ لمَا أعطاهُ الله تعالَى في الدُّنيا من كمالِ النفسِ وعلومِ الأولينَ والآخرينَ وظهورِ الأمرِ وإعلاءِ الدينِ بالفتوحِ الواقعةِ في عصرِه عليهِ الصلاةُ والسلامُ وفي أيامِ خلفائِه الراشدينَ وغيرِهم من الملوكِ الإسلاميةِ وفشُوِّ الدعوةِ والإسلامِ في مشارقِ الأرضِ ومغاربِها ولما ادخرَ لهُ من الكراماتِ التي لا يعلمُها إلا الله تعالَى وقدْ أنبأَ ابنَ عباسٍ رضيَ الله عنهُما عن شَمَّةٍ منهَا حيثُ قالَ لَهُ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ: «**فِي الجنةِ ألفُ قصرٍ من لؤلؤٍ أبيضَ ترابُه[3] المسكُ**»[4]

= وما قلى» قال أبطأ عليه جبريل الحديث انتهى.

(١) سقط في خ.
(٢) في خ: تداينه.
(٣) في خ: وإنه.
(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٤٣) برقم (١٩٣٧٤)، والآجري في الشريعة (٤/ ١٦٢٠، ١٦٢٢)، برقم (١١٠٨، ١١١٠)، والطبراني في المعجم الأوسط (١/ ١٨٠) برقم (٥٧٢)، والحاكم (٢/ ٥٧٣)، والثعلبي في تفسيره (١٠/ ٢٢٤)، وأبو نعيم في دلائل النبوة (٧/ ٦١)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.
قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وتعقبه الذهبي في التلخيص وقال: تفرد به عصام بن رواد عن أبيه وقد ضعف.
وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٠/ ٣٣٧) برقم (١٠٦٥٠)، والأوسط (٣/ ٢٩٧) برقم =

واللامُ للابتداءِ [دخلتِ][1] الخبرَ لتأكيدِ مضمونِ الجُملةِ والمبتدأُ محذوفٌ تقديرُهُ ولأنتَ سوفَ يُعطيكَ. . .إلخ، لا للقسمِ لأنَّها لا تدخلُ على المضارعِ إلاَّ معَ النونِ المؤكدةِ وجمعُها معَ سوفَ للدلالةِ على أنَّ الإعطاءَ كائنٌ لا محالةَ وإنْ تراخَى لحكمةٍ وقيلَ: هيَ للقسمِ وقاعدةُ التلازمِ بينَها وبينَ نونِ التأكيدِ قد استثْنَى النحاةُ منهَا صورتينِ إحداهُمَا أنْ يفصلَ بينَها وبينَ الفعلِ بحرفِ التنفيسِ كهذه الآيةِ وكقولِه: واللهِ لسأعطيكَ والثانيةُ أن يُفصلَ بينهما بمعمولِ الفعلِ كقولِه تعالَى: ﴿لإلى الله تحشرون﴾ [سورة آل عمران، الآية ١٥٨] وقال أبو عليٍّ الفارسيُّ: ليستْ هذه اللامُ هيَ التي في قولِكَ: إنَّ زيدًا لقائمٌ بلْ هيَ التي في قولِكَ: لأقومَنَّ ونابتْ سوفَ عن إحدَى نونِي التأكيدِ[2] فكأنَّه قيلَ: وليعطينكَ وكذلكَ اللامُ في قولِه تعالَى: ﴿وللآخرةُ﴾ [سورة الضحى، الآية ٤]. . .إلخ.

وقولُه تعالَى: ﴿أَلَم يجدْكَ يتيمًا فآوَى﴾ تعديدٌ لمَا أفاضَ عليه عليه الصلاةُ والسلامُ من أولِ أمرِه إلى ذلكَ الوقتِ من فنونِ النعماءِ العظامِ ليستشهدَ[3] بالحاضرِ الموجودِ على المترقبِ الموعودِ فيطمئنَّ قلبُه وينشرحَ صدرُهُ والهمزةُ لإنكارِ النفيِ وتقريرِ المنفيِ على أبلغِ وَجْهٍ كأنَّه قيلَ: قد وجدكَ. . .إلخ، والوجودُ بمعنى العلمِ ويتيمًا مفعولُه الثَّانِي وقيلَ: بمعنى المصادفةِ ويتيمًا حال من مفعولِه. رُوِيَ أنَّ أباهُ ماتَ وهُوَ جنينٌ قد أتتْ عليهِ ستةُ أشهرٍ وماتتْ أُمُّهُ وهوَ ابنُ ثمانِ سنينَ فكفلَهُ عَمُّه أبُو طالبٍ وعطّفه الله عليه فأحسنَ تربيتَهُ[4] وذلكَ إيواؤُهُ وقرئ فَأَوَى[5] وهُوَ إمَّا من أواهُ

= (٣٢٠٩) من حديث ابن عباس بلفظ:
«أعطاه في الجنة ألف قصر في كل قصر ما ينبغي من الأزواج والخدم».
قال الهيثمي في المجمع (٧/ ١٣٨):
رواه الطبراني في الكبير والأوسط وفي رواية فيه: قال رسول الله ﷺ عرض على ما هو مفتوح لأمتي بعدي فسرني فأنزل الله تعالى: ﴿وللآخرة خير لك من الأولى﴾ [سورة الضحى آية: ٤] فذكره نحوه، وفيه معاوية بن أبي العباس ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات، وإسناد الكثير حسن. ا هـ.

(١) في خ: أدخلت على. (٢) في خ: التوكيد.
(٣) في خ: ليستشهدوا.
(٤) قال الحافظ الزيلعي في «تخريج الكشاف» (٤/ ٢٢٨): غريب.
وقال الحافظ: لم أجد هذا. وقال السهيلي في الروض: أكثر العلماء على أنه عليه الصلاة والسلام توفي أبوه وهو في المهد، كما ذكره الدولابي وغيره. وقال ابن سعد: لا يثبت أنه مات أبوه وهو حمل. ورواه الحاكم من طريق ابن إسحاق: حدثني مطلب بن عبد الله بن قيس بن مخرمة، عن أبيه، عن جده أنه ذكر ولادة رسول الله ﷺ. فقال «توفي أبوه وأمه حبلى به» وبذلك جزم ابن إسحاق. وأما سنه عندما ماتت أمه فجزم ابن إسحاق أنها ماتت وهو ابن ست سنين. وقال ابن حبيب: وهو ابن ثمان سنين. وأما كفالة عمه له فذكرها ابن إسحاق وغيره. انتهى.
(٥) قرأ بها: أبو الأشهب العقيلي، والأشهب العقيلي. =

بمعنى آواهُ أو من أوَى لَهُ إِذَا رَحِمَهُ.

وقولُه تعالَى: ﴿وَوَجَدكَ ضَالًّا﴾ عطفٌ على ما يقتضيهِ الإنكارُ السابقُ كمَا أشيرَ إليهِ أو على المضارعِ المنفيِّ بلمْ داخلٌ في حُكمِه كأنَّهُ قيلَ: أمَا وجدكَ يتيمًا فآوى ووجدكَ غافلًا عنِ الشرائعِ التي لا تهتدِي إليهَا العقولُ كمَا في قولِه تعالَى: ﴿ما كُنتَ تَدْرِي مَا الكتابُ﴾ [سورة الشورى، الآية ٥٢] وقيلَ: ضلَّ في صباهُ في بعضِ شعابِ مكةَ فردَّه أبُو جهلٍ إلى عبدِ المطلبِ. وقيلَ: ضَلَّ مرةً أُخرَى وطلبُوه فلم يجدُوه فطافَ عبدُ المطلبِ بالكعبةِ سبعًا وتضرعَ[(١)] إلى الله تعالَى فسمعُوا مناديًا ينادِي من السماءِ: يا معشرَ الناسِ لا تضجُّوا فإنَّ لمحمدٍ ربًّا لا يخذلُهُ ولا يضيعُهُ وإنَّ محمدًا بوادِي تهامةَ عندَ شجرِ السَّمُرِ فسارَ عبدُ المطلبِ وورقةُ بنُ نوفلٍ فإذَا النبيُّ عليهِ الصلاةُ والسلامُ قائمٌ تحتَ شجرةٍ يلعبُ بالأغصانِ والأوراقِ. وقيلَ: أضلتهُ مرضعتُه حليمةُ عندَ بابِ مكةَ حينَ فطمتْهُ وجاءتْ بهِ لتردُه على عبدِ المطلبِ. وقيلَ: ضَلَّ في طريقِ الشامِ حينَ خرجَ بهِ أبُو طالبٍ. يُروى أنَّ إبليسَ أخذَ بزمامِ ناقتِه في ليلةٍ ظلماء فعدلَ بهِ عنِ الطريقِ فجاءَ جبريلُ عليهِ السلامُ فنفخَ إبليس نفخةً وقع منهَا إلى أرضِ الهندِ وردَّهُ إلى القافلةِ ﴿فهَدَى﴾ فهداكَ إلى مناهجِ الشرائعِ المنطويةِ في تضاعيفِ مَا أوحِي إليكَ من الكتابِ المبينِ وعلمكَ ما لم تكُنْ تعلمُ أو أزالَ ضلالكَ عن جدكَ أو عمكَ ﴿ووجدكَ عَائِلًا﴾ أيْ فقيرًا وقرئ عَيِّلًا[(٢)] وقرئ (عديمًا)[(٣)] ﴿فأَغْنَى﴾ فأغناكَ بمالِ خديجةَ أو بمالٍ حصلَ لكَ من ربحِ التجارةِ أو بمَا أفاءَ عليكَ من الغنائم قالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ: «**جُعِلَ رِزْقِي تحتَ ظلِّ رُمْحِي**»[(٤)] وقيلَ: قنعكَ وأَغْنى قلبكَ.

= ينظر: البحر المحيط (٨/ ٤٨٦)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٢٦٤)، والمجمع للطبرسي (١٠/ ٥٠٣)، وتفسير الرازي (٣١/ ٢١٤).

(١) في خ: تضرعوا.

(٢) قرأ بها: اليماني، وابن السميفع.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٤٨٦)، وتفسير القرطبي (٢٠/ ١٠٠)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٢٦٥)، والمجمع للطبرسي (١٠/ ٥٠٣)، وتفسير الرازي (٣١/ ٢١٨).

(٣) قرأ بها: عبد الله بن مسعود.
ينظر: المعاني للفراء (٣/ ٢٧٤).

(٤) أخرجه أحمد (٢/ ٥٠، ٩٢) عن أبي النضر، ثنا عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان، حدثنا حسان بن عطية، عن أبي حبيب الجرشي، عن ابن عمر مرفوعًا «بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الذل والصغار على من خالف أمري ومن تشبه بقوم فهو منهم».
=

﴿فأمَّا اليتيمَ فلاَ تقهرْ﴾ فلا تغلبْهُ على مالِه وقالَ مجاهدٌ: لا تَحْتقرْ وقُرِىءَ فلاَ تَكْهَرْ أيْ فلا تعبسْ في وجهِه ﴿وأمَّا السَّائلَ فلا تَنْهَرْ﴾ فلا تزجُرْ وَلاَ تُغلظْ لهُ القولَ بلْ رُدَّهُ ردًّا جميلًا قالَ أبراهيمُ بنُ أدهمَ-: نعمَ القومُ السؤّالُ يحملونَ زادنَا إلى الآخرةِ وقالَ إبراهيمُ النَّخَعِيُّ: السائلُ يريدُ الآخرةَ يجيءُ إلى بابِ أحدِكُم فيقولُ: أتبعثونَ إلى أهليكُم بشيءٍ؟ وقيلَ: المرادُ بالسائلِ هٰهنا الذي يسألُ عنِ الدينِ.

﴿وأمَّا بنعمةِ ربِّك فَحَدِّثْ﴾ بشكرِهَا وإشاعتِها وإظهارِ آثارِها وأحكامِها أريدَ بهَا ما أفاضَهُ الله تعالَى عليهِ عليهِ الصلاةُ والسلامُ من فنونِ النعمِ التي من جُملتِها النعمُ المعدودةُ الموجودةُ منهَا والموعودةُ والمَعْنى أنكَ كنتَ يتيمًا وضالاً وعائلًا فآواكَ الله تعالَى وهداكَ وأغناكَ فمهمَا يكُنْ من شيءٍ فلا تنسَ حقوقَ نعمةِ الله تعالَى عليكَ [في هذه الثلاثِ][(١)] واقتدِ بالله تعالَى وأحسنْ كما أحسنَ الله إليكَ فتعطفَ على اليتيم فآوِه وترحمْ على السائلِ وتفقدهُ بمعروفكَ ولا تزجرهُ عن بابكَ وحدثْ بنعمةِ الله كُلِّها وحيثُ كانَ معظمُها نعمةَ النبوةِ فقدِ اندرجَ تحتَ الأمرِ هدايتُه عليهِ الصلاةُ والسلامُ للضلالِ وتعليمُه للشرائعِ والأحكامِ حسبمَا هداهُ الله عزَّ وجلَّ وعلمَهُ من الكتابِ والحكمةِ.

عنِ النبيِّ ﷺ: «**مَنْ قرأَ سورةَ والضحَى جعلَهُ الله تعالَى فيمنْ يرضَى لمحمدٍ أنْ يشفعَ لَهُ وعشرُ حسناتٍ يكتبُهَا الله لَهُ بعددِ كُلِّ [يتيمٍ وسائلٍ]**[(٢)]»[(٣)].

= وأخرجه البخاري تعليقًا (٦/ ١١٥) في الجهاد، باب ما قيل في الرماح بصيغة «ويذكر عن ابن عمر عن النبي ﷺ: جعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري».

وقال الحافظ في الفتح: (٦/ ١١٦): في الإسناد عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان وثقه ابن المديني وأبو حاتم وغيرهما وضعفه أحمد وغيره، وبقية رجاله ثقات.

وقال (٦/ ٥٢): رواه أحمد، وفيه عبد الرحمن بن ثابت وثقه ابن المديني وغيره: وضعفه أحمد وغيره، وبقية رجاله ثقات.

وقال الحافظ أيضًا: وله شاهد مرسل بإسناد حسن أخرجه سعيد بن منصور (٢/ ١٧٧) برقم (٢٣٧٠)عن سعيد، نا إسماعيل بن عباس عن أبي عمير الصوري عنه عن النبي ﷺ بتمامه.

(١) سقط في خ.

(٢) في خ: سائل ويتيم.

(٣) تقدم تخريجه.

سُورَةُ الشَّرح(١)

مَكِّيةٌ وآيُها ثمانٍ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِيٓ أَنقَضَ ظَهۡرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ﴿٦﴾ فَإِذَا فَرَغۡتَ فَٱنصَبۡ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرۡغَب ﴿٨﴾

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لكَ صدرَك﴾ لما كانَ الصدرُ محلاً لأحوالِ النفسِ ومخزنًا لسرائرِها من العلومِ والإدراكاتِ والملكاتِ والإراداتِ وغيرِها عبرَ بشرحِه عن توسيعِ دائرةِ تصرفاتِها بتأييدِها بالقوةِ القدسيةِ وتحليتِها بالكمالاتِ الأُنسيةِ أيْ ألَمْ نفسحْهُ حَتَّى حَوَى عَالَميْ الغيبِ والشَّهادةِ وجمعَ بينَ مَلَكَتيْ الاستفادةِ والإفادةِ فمَا صدَّكَ الملابسةُ بالعلائقِ الجسمانيةِ عنِ اقتباسِ أنوارِ الملكاتِ الروحانيةِ وَمَا عاقكَ التعلقُ بمصالحِ الخلقِ عن الاستغراقِ في شؤونِ الحَقِّ وقيلَ: أريدَ بهِ ما رُويَ (أنَّ جبريلَ أتَى رسولَ الله ﷺ في صباهُ أو يومَ الميثاقِ فاستخرجَ قلبَهُ فغسلَهُ ثمَّ ملأهُ إيمانًا وعلمًا) ولعلَّه تمثيلٌ لما ذُكِرَ أو أُنْمُوذَجٌ جُسمانيٌّ ممَّا سيظهرُ لهُ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ من الكمالِ الرُّوحانيِّ والتعبيرُ عن ثبوتِ الشَّرحِ بالاستفهامِ الإنكاريِّ عنِ انتفائِه للإيذانِ بأنَّ ثبوتَهُ منَ الظهورِ بحيثُ لا يقدرُ أحدٌ على أنْ يجيبَ عنْهُ بغيرِ بَلَى(٢) وزيادةُ الجارِّ والمجرورِ معَ توسيطِه بينَ الفعلِ ومفعولِه للإيذانِ من أولِ الأمرِ بأنَّ الشَّرحَ من منافِعِه عليهِ الصلاةُ والسلامُ ومصالحِه مسارعةً إلى إدخالِ المسرةِ في قلبِه عليهِ الصلاةُ والسلامُ وتشويقًا لهُ إلى ما يعقبُهُ ليتمكَّنَ عندَهُ وقتَ ورودِهِ فضل تمكُّنٍ.

وقوله تعالى: ﴿وَوَضعنَا عَنْكَ وِزْرَكَ﴾ عطفٌ على ما أشيرَ إليهِ من مدلولِ الجملةِ السابقةِ كأنَّه قيلَ: قدْ شرحنَا صدرَكَ ووضعنَا. . .إلخ، وعنكَ متعلقٌ بوضعنَا وتقديمُهُ على المفعولِ الصريحِ معَ أنَّ حقَّه التأخرُ عنْهُ لما مرَّ آنِفًا منَ القصدِ إلى تعجيلِ المسرةِ والتشويقِ إلى المؤخَّرِ ولِما أنَّ في وصفِه نوعَ طولٍ فتأخيرُ الجارِّ والمجرورِ عنْهُ مخلٌّ

---

(١) في ط: ألم نشرح.

(٢) في خ: بل.

بتجاوبِ أطرافِ النظمِ الكريمِ أيْ حططنَا عنكَ عِبأكَ الثقيلَ.

﴿الذي أنقضَ ظهركَ﴾ أيْ حملَهُ على النقيضِ وَهُوَ صوتُ الانقضاضِ والانفكاك كمَا يُسْمَعُ منَ [الرَّحلِ المُتداعِي][1] إلى الانتقاضِ من ثقلِ الحملِ، مُثّل بهِ حالُه عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ممَّا كانَ يثقلُ عليهِ ويغمُّهُ من فرطاتِه قبلَ النبوةِ أو من عدمِ إحاطتِه بتفاصيلِ الأحكامِ والشرائعِ أو من تهالُكِهِ على إسلامِ المعاندينَ من قومِه وتلهفِهِ ووضعِهِ عنه مغفرتَهُ وتعليم الشرائعِ وتمهيدِ عُذرِهِ بعدَ أنْ بلَّغَ وبالغَ وقرئَ (وحططنَا)[2] و(حللنَا)[3] مكانَ وضعنَا وقرئَ (وحللنَا عنكَ وِقْرَك)[4] ﴿ورفعنا لكَ ذكركَ﴾ بعنوان[5] النبوةِ وأحكامِها أيَّ رفعٍ حيثُ قرنَ اسمهُ باسمِ الله تعالَى في كلمةِ الشهادةِ والأذانِ والإقامةِ وجُعلَ طاعتُه طاعتَه تعالَى وصلَّى عليهِ هُو وملائكتُه وأمرَ المؤمنينَ بالصَّلاةِ عليهِ وسُمِّيَ رسولَ الله ونبيَّ الله، والكلامُ في العطفِ وزيادةِ لكَ كالذي سلفَ.

وقولُه تعالَى: ﴿فإنَّ معَ العُسرِ يسرًا﴾ تقريرٌ لما قبلَهُ ووعدٌ كريمٌ بتيسيرِ كُلِّ عسيرٍ لهُ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ وللمؤمنينَ كأنَّه قيلَ: خوَّلناكَ ما خوَّلناكَ من جلائلِ النعمِ فكُنْ على ثقةٍ بفضلِ الله تعالَى ولطفِه فإنَّ معَ العسرِ يسرًا كثيرًا وفي كلمة معَ إشعارٌ بغايةِ سرعةِ مجيءِ اليسرِ كأنَّه مقارنٌ للعسرِ ﴿إنَّ معَ العسرِ يُسرًا﴾ تكريرٌ للتأكيدِ أو عدةٌ مستأنفةٌ بأنَّ العسرَ مشفوعٌ بيسرٍ آخرَ كثوابِ الآخرةِ كقولكَ: إنَّ للصائمِ فرحة [إن للصائم فرحة أيّ فرحة][6] عندَ الإفطارِ وفرحةً عندَ لقاءِ الربِّ[7] وعليهِ قولُه عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ: «**لَنْ يغلبَ عسرٌ يسرينِ**»[8] فإنَّ المُعرَّفَ إذَا أعيدَ يكونُ الثاني

---

(١) في خ: الرجل التداعي.

(٢) قرأ بها: أنس.
ينظر: تفسير القرطبي (٢٠/ ١٠٥)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٢٦٦)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٣٦٧).

(٣) قرأ بها: أنس، وعبد الله بن مسعود.
ينظر: تفسير الطبري (٣٠/ ١٥٠)، وتفسير القرطبي (٢٠/ ١٠٥)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٢٦٦)، المحتسب لابن جني (٢/ ٣٦٧)، والمعاني للفراء (٣/ ٢٧٥).

(٤) قرأ بها: ابن مسعود.
ينظر: تفسير القرطبي (٢٠/ ١٠٥)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٢٦٦)، والمعاني للفراء (٣/ ٢٧٥).

(٥) في خ: أي يعني.

(٦) سقط في خ.

(٧) في خ: ربه.

(٨) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣/ ٣٨٠)، والطبري (٣٠/ ٢٣٦)، والحاكم (٢/ ٥٧٥)، والثعلبي =

عينَ[١] الأولِ سواء كانَ معهودًا أو جنسًا، وأما المنكرُ فيحتملُ أنْ يرادَ بالثانِي فردٌ مغايرٌ لمَا أريدَ بالأولِ ﴿فإذا فرغتَ﴾ أيْ منَ التبليغِ وقيلَ: من الغزوِ ﴿فانصبْ﴾ فاجتهدْ في العبادةِ واتعبْ شكرًا لما أوليناكَ من النعمِ السالفةِ ووعدناكَ من الآلاءِ الآنفةِ [وقيلَ][٢]: فإذَا فرغتَ من صلاتِك فاجتهدْ في الدُّعاءِ وقيلَ: إذَا فرغتَ من دنياكَ فانصبْ في صلاتِكَ ﴿وإلى ربِّك﴾ وَحْدَهُ ﴿فارغبْ﴾ بالسؤالِ ولاَ تسألْ غيرَهُ فإنَّه القادرُ على إسعافِكَ لا غيرُهُ وقرئ (فرَغِّبْ)[٣] أي فرَغِّبِ النَّاسَ إلى طلبِ ما عندَهُ.

عن رسولِ الله ﷺ: «**مَنْ قرأَ[٤] ألمْ نشرحْ لك صدرك فكأنَّما جاءَني وأنَا مغتمٌّ ففرجَ عنِّي**»[٥].

= (١٠/ ٢٣٣)، والبيهقي في الشعب (٧/ ٢٠٦) من حديث الحسن البصري مرسلاً.
قال الحاكم: وقد روي بإسناد مرسل فذكره، وقال الذهبي في التلخيص: مرسل.

(١) في خ: غير.
(٢) سقط في خ.
(٣) قرأ بها: زيد بن علي، وابن أبي عبلة.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٤٨٩)، وتفسير القرطبي (٢٠/ ١٠٩)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٢٦٨)، وتفسير الرازي (٣٢/ ٧).
(٤) زاد في خ: سورة.
(٥) تقدم تخريجه، وزاد في خ: والله سبحانه وتعالى أعلم.

سُورَةُ التِّينِ

مَكِّيةٌ وقيلَ: مدنيةٌ، وآيُها ثمانٍ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ
﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ فَمَا
يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨﴾

﴿وَالتينِ وَالزيتونِ﴾ هما هذا التينُ وهذا الزيتونُ خصَّهُما الله سبحانَهُ من بينِ الثمارِ بالإقسامِ بهما لاختصاصِهما بخواصَّ جليلةٍ فإنَّ التينَ فاكهةٌ طيبةٌ لا فُضلَ لَهُ وغذاءٌ لطيفٌ سريعُ الهضمِ ودواءٌ كثيرُ النفعِ يلينُ الطبعَ ويحللُ البلغمَ ويطهرُ الكليتينِ ويزيلُ ما في المثانةِ من الرملِ ويسمن البدنَ ويفتحُ سددَ الكبدِ والطِّحالِ. ورَوَى [أبو ذرٍّ][(1)] رضيَ الله عنْهُ أنَّه أُهْدِي للنبيِّ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ سلٌّ من تينٍ[(2)] فأكلَ منْهُ وقالَ لأصحابِه: «**كُلوا فلَو قلتُ إن فاكهةً نزلتْ من الجنةِ لقلتُ هذا لأنَّ فاكهةَ الجنَّةِ بلا عجمَ**[(3)] **فكلُوهَا فإنَّها تقطعُ البواسيرَ وتنفعُ منَ النقرسِ**»[(4)].

وعَنْ عليِّ بنِ مُوسى الرِّضَا التينُ يزيلُ نكهةَ الفمِ ويطولُ الشعرَ وهُوَ أمانٌ منَ الفالجِ وأما الزيتونُ فهو فاكهةٌ وإدامٌ ودواءٌ ولو لم يكنْ له سِوى اختصاصِه بدهنٍ كثيرِ المنافعِ معَ حصولِه في بقاعٍ [لا][(5)] دهنيةَ فيهَا لكَفى به فضلًا وشجرتُه هيَ الشجرةُ

---

(١) في خ: أبو داود.
(٢) في خ: تينا.
(٣) بلا نوى.
(٤) أخرجه أبو نعيم في الطب النبوي ص (٨٢) وقال ابن القيم في زاد المعاد (٣/ ٢١٤): في ثبوته نظر. وانظر كشف الخفاء (١/ ٤٢٣) للعجلوني وقال «جميع ما ورد في الفاكهة من الأحاديث موضوع». وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٤/ ٢٤١) (١٥٠٩) لابن الجوزي في كتابه المسمى بـ «لقط المنافع في الطب»، والثعلبي في تفسيره من حديث أبي ذر.
«وقال ابن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه أبو نعيم في الطب والثعلبي من حديث أبي ذر» وفي إسناده من لا يعرف انتهى، والنقرس: داء معروف يأخذ بالرِّجْلِ، وفي التهذيب يأخذ في المفاصل.
(٥) سقط في خ.

المباركةُ المشهودُ لهَا في التنزيلِ. ومرَّ معاذُ بنُ جبلٍ رضيَ الله عنْهُ بشجرةِ الزيتونِ فأخذَ منهَا قضيبًا واستاكَ بهِ وقالَ: سمعتُ النبيَّ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ يقولُ: «**نعمَ السواكُ الزيتونُ من الشجرةِ المباركةِ يطيبُ الفمَ ويذهبُ بالحفرةِ**[(١)]» وسمعتُه يقولُ: «**هوَ سواكِي وسواكُ الأنبياءِ قبلِي**[(٢)]»[(٣)] وقيلَ: هما جبلانِ من الأرضِ المقدسةِ يقالُ لهما بالسريانيةِ: طُورتينَا وطورزيتَا لأنهمَا منبتا[(٤)] التينِ والزيتونِ وقيل: التينُ جبالٌ ما بينَ حلوانَ وهمدانَ والزيتونُ جبالُ الشامِ لأنهمَا منابتهما كأنه قيلَ: ومنابتِ التينِ والزيتونِ وَقالَ قَتَادةُ: التينُ الجبلُ الذي عليهِ دمشقُ والزيتونُ الجبلُ الذي عليهِ بيتُ المقدسِ [وقال عكرمةُ وَابنُ زيدٍ: التينُ دمشقُ والزيتونُ بيتُ المقدسِ][(٥)] وهو اختيارُ الطبريِّ وقالَ محمدُ بنُ كعبٍ: التينُ مسجدُ أصحابِ الكهفِ والزيتونُ مسجدُ إِيْليا وعن ابنِ عباسٍ رضيَ الله عنهمَا: التينُ مسجدُ نوحٍ عليهِ السلامُ الذي بناهُ على الجُودِيِّ والزيتونُ مسجدُ بيتِ المقدسِ وقالَ الضحَّاكُ: التينُ المسجدُ الحرامُ والزيتونُ المسجدُ الأقْصى، والصحيحُ هُوَ الأولُ قالَ ابنُ عباسٍ رضيَ الله عنهُمَا: هو تينُكُم الذي تأكلونَ وزيتونُكم الذي تعصِرونَ منْهُ الزيتَ وبه قالَ مجاهدٌ وعكرمةُ وإبراهيمُ النخعيُّ وعطاءٌ وجابرٌ وزيدٌ ومقاتلٌ والكلبيُّ.

﴿وطور سينين﴾ هو الجبلُ الذي ناجَى عليهِ موسى ربَّهُ وسينينَ وسيناءُ علمانِ للموضعِ الذي هُوَ فيهِ ولذلكَ أضيفَ إليهمَا و[سينونَ كبيرونَ][(٦)] في جوازِ الإعرابِ بالواوِ والياءِ والإقرارِ على الياءِ وتحريكِ النونِ بالحركاتِ الإعرابيةِ ﴿وهذا البلدِ الأمينِ﴾ أيْ الآمنِ من أمنَ الرجلُ أمانةً فهو أمينٌ وهُوَ مكةُ شرَّفها الله تعَالَى وأمانتُها

---

(١) في خ: الحرة، والحفرة: من الحفر: سلاق في أصول الأسنان، وقيل: الصفرة تعلو الأسنان.
(٢) في خ: من قبلى.
(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط (١/ ٣٩٠) (٦٨٢) من طريق معلل بن نفيل الحراني قال حدثنا إبراهيم بن أبي عبلة، عن عبد الرحمن بن غنم الأشعري، عن معاذ بن جبل مرفوعًا... فذكره وقال الهيثمي في المجمع (٢/ ١٠٠) رواه الطبراني في الأوسط، وفيه معلل بن محمد ولم أجد من ذكره.
قلت: ولعله تصحيف فإن السند لا يوجد فيه «معلل بن محمد» إنما هو معلل بن نفيل الحراني».
والسند فيه محمد بن محصن وهو العكاشي قال الحافظ في التقريب (٢/ ٢٠٥) كذبوه.
وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٤/ ٢٤٢) للطبراني في كتابه «مسند الشاميين» والثعلبي في تفسيره. أخرجه الطبراني في الأوسط والثعلبي من حديث معاذ بن جبل وقال ابن حجر «أخرجه الطبراني في الأوسط والثعلبي من حديث معاذ بن جبل» وإسناده واه. انتهى.
(٤) في خ: منشأ. (٥) سقط في خ.
(٦) في خ: سنون كثيرون.

أنَّها تحفظُ من [دخلَها][(١)] كما يحفظُ الأمينُ ما يؤتمنُ عليهِ ويجوزُ أنْ يكونَ فعيلًا بمَعْنى مفعولٍ من أمنَهُ لأنَّه مأمونُ الغَوَائلِ كما وصفَ بالآمنِ في قولِه تعالَى: ﴿حرمًا آمنًا﴾ [سورة القصص، الآية ٥٧. وسورة العنكبوت، الآية ٦٧] بمَعْنى ذِي[(٢)] أمنٍ ووجْهُ الإقسامِ بهاتيكَ البقاعِ المباركةِ المشحونةِ ببركاتِ الدُّنيا والدِّينِ غنيٌّ عن الشَّرحِ والتبيينِ.

﴿لقدْ خلقنَا الإنسانَ﴾ أيْ جنسُ الإنسانِ ﴿فِي أَحْسنِ تقويمٍ﴾ أيْ كائنًا في أحسنِ ما يكونُ من التقويمِ والتعديلِ صورةً ومَعْنى حيثُ برأه اللهُ تعالَى مستويَ القامةِ متناسبَ الأعضاءِ متصفًا بالحياةِ والعلمِ والقدرةِ والإرادةِ والتكلمِ والسمعِ والبصرِ وغيرِ ذلكَ منَ الصفاتِ التي هيَ مِنْ[(٣)] أنموذجاتٍ منَ الصفاتِ السبحانيةِ وآثارٌ لهَا وقدْ عبرَ بعضُ العلماءِ عنْ ذلكَ بقولِه: خلقَ آدمَ علَى صورتِه وفي روايةٍ على صورةِ الرحمٰنِ وبنَى عليهِ تحقيقَ مَعْنى قولِه: «مَنْ عرفَ نفسَهُ فقدْ عرفَ ربَّه» وقالَ: إنَّ النفسَ الإنسانيةَ مجردةٌ ليستْ حالّةً في البدنِ ولا خارجةً عنْهُ متعلقةً بهِ تعلقَ التدبيرِ والتصرفِ تستعملُه كيفمَا شاءتْ فإذَا أرادتْ فعلًا من الأفاعيلِ الجُسمانيةِ تلقيهِ إلى مَا في القلبِ منَ الروحِ الحيوانيِّ الذي هُوَ أعدلُ الأرواحِ وأصفاهَا وأقربُها منْهَا وأقواهَا مناسبةً إلى عالمِ المجرداتِ إلقاءً روحانيا وهو يلقيهِ بواسطةِ ما في الشرايينِ منَ الأرواحِ إلى الدماغِ الذي هُو منبتُ الأعصابِ التي فيهَا القُوَى المحركةُ للإنسانِ فعندَ ذلكَ يحركُ منَ الأعضاءِ ما يليقُ بذلكَ الفعلِ من مباديهِ البعيدةِ والقريبةِ فيصدرُ عنْهُ ذلكَ بهذه الطريقةِ فمَنْ عرفَ نفسَهُ على هذه الكيفيةِ من صفاتِها وأفعالِها تسنَّى لهُ أنْ يترقَّى إلى معارجِ معرفةِ ربِّ العزةِ عَزَّ سلطانُهُ ويطلعُ على أنَّه سبحانَهُ منزهٌ عنْ كونِه داخلًا في العالمِ أو خارجًا عنْهُ يفعلُ فيهِ ما يشاءُ ويحكمُ ما يريدُ بواسطةِ ما رتبَهُ فيهِ منَ الملائكةِ الذينَ يستدلُّ على شؤونِهم بما ذكرَ من الأرواحِ والقُوى المرتبةِ في العالمِ الإنسانيِّ الذي هُوَ نسخةٌ للعالمِ الأكبرِ وأنموذجٌ مِنْهُ.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ رددنَاهُ أسفلَ سافلينَ﴾ أيْ جعلنَاهُ من أهلِ النَّارِ الذينَ هُم أقبحُ من كُلِّ قبيحٍ وأسفلُ من كُلِّ سافلٍ [العدم][(٤)] جريانِه على موجبِ ما خلقناهُ عليهِ منَ الصفاتِ التي لو عملَ بمقتضاهَا لكانَ في أعْلَى عليينَ وقيلَ: رددناهُ إلى أرذلِ العمرِ وهُو الهرمُ بعدَ الشبابِ والضعفُ بعدَ القوةِ كقولِه تعالَى: ﴿ومَنْ نعمرهُ ننكسهُ في الخلقِ﴾

---

(١) في خ: دخل إليها.
(٢) في خ: حرم.
(٣) في خ: منها.
(٤) سقط في خ.

[سورة يس، الآية ٦٨] وأيا ما كانَ فأسفلُ سافلينَ إمَّا حالٌ منَ المفعولِ أيْ رددناهُ حالَ كونِه أسفلَ سافلينَ أو صفةٌ لمكانٍ[١] محذوفٍ أيْ رددناهُ مكانًا أسفلَ سافلينَ والأولُ أظهرُ وقرئَ (أسفلَ السافلينَ)[٢].

وقولُه تعالَى: ﴿**إلا الذينَ آمَنُوا وعملُوا الصالحاتِ**﴾ على الأولِ استثناءٌ متصلٌ منْ ضميرِ رردناهُ فإنَّه فِي معْنَى الجمعِ وعلى الثاني منقطعٌ أيْ لكنْ الذينَ كانُوا صالحينَ منْ الهَرْمَى ﴿**فلهم أجرٌ غيرُ ممنونٍ**﴾ غيرُ منقطعٍ عَلى طاعتِهم وصبرِهم على ابتلاءِ الله تعالَى بالشيخوخةِ والهرمِ وعَلى مقاساةِ المشاقِّ والقيامِ بالعبادةِ على تخاذلِ نهوضِهم أو غيرِ ممنونٍ بهِ عليهمْ وهذِه الجملةُ على الأولِ مقررةٌ لمَا يفيدهُ الاستثناءُ منْ خروجِ المؤمنين عنْ حكمِ الردِّ ومبنيةٌ لكيفيةِ حالِهم والخطابُ في قولِه تعالَى: ﴿**فَما يكذبكَ بعدُ بالدينِ**﴾ للرسولِ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ أيْ فأيُّ شيءٍ يكذبكَ دلالةً أو نطقًا بالجزاءِ بعدَ ظهورِ هذهِ الدلائلِ الناطقةِ بهِ، وقيلَ: ما بمعنَى منْ، وقيلَ: الخطابُ للإنسانِ على طريقِ الالتفاتِ لتشديدِ التوبيخِ والتبكيتِ أيْ فَما يجعلكَ كاذبًا بسببِ الدينِ وإنكارِه بعدَ هذهِ الدلائلِ والمَعنى أنَّ خَلقَ الإنسانِ منْ نطفةٍ وتقويمَهُ بشرًا سويا وتحويلَهُ منْ حالٍ إلى حالٍ كمالًا ونُقصانًا من أوضحِ الدلائلِ على قُدرةِ الله عزَّ وجلَّ على البعثِ والجزاءِ فأيُّ شيءٍ يضطركَ بعدَ هَذَا الدليلِ القاطعِ إلى أنْ تكونَ كاذبًا بسببِ تكذيبِه أيُّها الإنسانُ؟

﴿**أليسَ الله بأحكمِ الحاكمينَ**﴾ أي أليسَ الذي فعلَ ما ذكرَ بأحكمِ الحاكمينَ صنعًا وتدبيرًا حتَّى يتوهم عدمُ الإعادةِ والجزاءِ وحيثُ استحالَ عدمُ كونِه أحكَمَ الحاكمينَ تعينَ الإعادةُ والجزاءُ فالجملةُ تقريرٌ لما قبلَها، وقيلَ: الحكمُ بمعْنَى القضاءِ فهي وعيدٌ للكفارِ وأنَّه يحكمُ عليهم بما يستحقونَهُ منَ العذابِ.

عن النبيِّ ﷺ: «**أنَّه كانَ إذَا قَرأها يقولُ بَلَى وأنَا عَلى ذلكَ منَ الشاهدينَ**»[٣]. وعنْهُ عليه الصلاةُ والسَّلامُ: «**مَنْ قرأ سورةَ والتينِ أعطاهُ الله تعالى الخصلتينِ العافيةَ واليقينَ ما دامَ في دار الدُّنيا وإذا ماتَ أعطاهُ الله تعالى منَ الأجرِ بعددِ منْ قرأ هذهِ السورةَ**»[٤].

---

(١) في خ: لكان.
(٢) قرأ بها: عبد الله بن مسعود.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٤٩٠)، وتفسير القرطبي (٢٠/ ١١٥)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٢٦٩)، والمعاني للفراء (٣/ ٢٧٧).
(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٢/ ٦٤٣) برقم (٣٧٧٦٠) عن قتادة مرسلًا.
(٤) تقدم تخريجه، وزاد في خ: والله الموفق بمنه وكرمه.

سُورةُ العَلَقِ

مَكِّيةٌ وَآيُها تسعَ عشرة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴿٨﴾ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾

﴿اقرأْ﴾أيْ مَا يوحَى إليكَ فإنَّ الأمرَ [بالقراءةِ][^1] يقتَضي المقروءَ قطعًا وحيثُ لَمْ يُعين وجبَ أنْ يكونَ ذلكَ ما يتصلُ بالأمرِ حتما سواء كانتِ السورةُ أولَ ما نزلَ أوْ لاَ والأقربُ أنَّ هذا إلى قولِه تعالى: ﴿ما لم يعلم﴾ [سورة العلق، الآية ٥] أولُ ما نزلَ عليه عليهِ الصلاةُ السَّلامُ كما ينطقُ بهِ حديثُ الزُّهريِّ المشهورُ.

وقولِه تعالى: ﴿باسم ربِّكَ﴾ متعلقٌ بمضمرٍ هُو حالٌ من ضميرِ الفاعلِ أي اقرأْ ملتبسًا باسمهِ تعالى أيْ مُبتدئًا بِه لتتحقق مقارنتُه لجيمعِ أجزاءِ المقروءِ والتعرضُ لعُنْوانِ الربوبيةِ [المنبئةِ عنِ التربيةِ][^2] والتبيلغِ إلى الكمالِ اللائقِ شيْئًا فشيئًا معَ الإضافةِ إلى ضميرِه عليه السَّلامُ للإشعارِ بتبليغِه عليه السَّلامُ إلى الغايةِ القاصيةِ منَ الكمالاتِ البشريةِ بإنزالِ الوَحي المتواترِ ووصفُ الربِّ بقولِه تعالَى: ﴿الذي خلَق﴾ لتذكيرِ أولِ النعماءِ الفائضةِ عليهِ، عليه الصلاةُ والسلامُ منهُ تعالى والتنبيهِ على أنَّ منْ قدرَ عَلى خلقِ الإنسانِ على ما هُو عليهِ من الحياة وما يتبعها منَ الكمالاتِ [العلميةِ والعمليةِ منْ مادةٍ لم تشمَّ رائحةَ الحياةِ فضلًا عن سائرِ الكمالاتِ][^3] قادرٌ على تعليمِ القراءةِ[^4] للحيِّ العالمِ المتكلمِ أي الذي أنشأ الخلقَ واستأثرَ بِه أوْ خلَقَ كُلَّ شيءٍ.

---

[^1]: في خ: بالقرآن.
[^2]: في خ: المبنية عن الرتبة.
[^3]: سقط في خ.
[^4]: في خ: القرآن.

وقولُه تعالى: ﴿خلَقَ الإنسانَ﴾ عَلى الأولِ تخصيص لخلقِ الإنسانِ بالذكرِ من بينِ سائرِ المخلوقاتِ لاستقلالِه ببدائعِ الصنعِ والتدبيرِ وَعَلى الثاني إفرادٌ للإنسانِ منْ بينِ سائرِ المخلوقاتِ بالبيانِ وتفخيمٌ لشأنِه إذْ هُو أشرفُهم وإليهِ التنزيلُ وهُو المأمورُ بالقراءةِ ويجوزُ أنْ يرادَ بالفعلِ[١] الأولِ أيضًا خلقُ الإنسانِ ويقصدُ بتجريدِه عن المفعولِ الإبهامُ ثمَّ التفسيرُ رَومًا لتفخيمِ فطرتِه.

وقولُه تعالى: ﴿من عَلقٍ﴾ أيْ دمٍ جامدٍ لبيانِ كمالِ قُدرتِه تعالى بإظهارِ مَا بينَ حالتِه الأولى والآخرةِ من التباينِ البينِ وإيرادُه بلفظِ الجمعِ بناءً على أنَّ الإنسانَ في مَعْنى الجمعِ لمراعاةِ الفواصلِ و[لعلَّه هو][٢] السرُّ في تخصيصِه بالذكرِ منْ بينِ سائرِ أطوارِ الفطرة الإنسانيةِ معَ كونِ النطفةِ والترابِ أدلَّ منْهُ عَلَى كمالِ القُدرةِ لكونِهما أبعدَ منْهُ بالنسبةِ إلى الإنسانيةِ ولَمَّا كانَ خلقُ الإنسانِ أو النعمُ الفائضةُ عليه عليهِ الصَّلاةُ والسلامُ مِنْهُ تعالى أقدمَ الدلائلِ الدالةِ على وجودِه عزَّ وجلَّ وكمالِ قُدرتِه وعلمِه وحكمتِه وصفَ ذاتَه تعالى بذلكَ أولًا ليستشهدَ عليه السلامُ بهِ على تمكينهِ تعالى لَه منَ القراءةِ ثم كررَ الأمرَ بقولِه تعالى: ﴿اقرأْ﴾ أي افعلْ ما أُمرتَ بِه تأكيدًا للإيجابِ وتمهيدًا لما يعقبُه منْ قولِه تعالى: ﴿وَربُّكَ الأكرمُ﴾... إلخ، فإنه كلامٌ مستأنفٌ واردٌ لإزاحةِ[٣] ما بينَهُ عليه السَّلامُ منَ العُذرِ بقولِه عليهِ السَّلامُ: **«مَا أنَا بقارئٍ»**[٤] يريدُ أنَّ القراءةَ شأنُ منْ يكتبُ ويقرأُ وأنَا أُميٌّ فقيلَ لَهُ: وربُّكَ الذي أمركَ بالقراءةِ مبتدئًا باسمِه هو الأكرمُ ﴿الذي عَلَّمَ بالقلم﴾ أي علمَ ما علمَ بواسطةِ القلمِ لا غيرِه فكما علَّم القارئَ بواسطةِ الكتابةِ والقلمِ يعلمُكَ بدونِهما.

وقولُه تعالى: ﴿علَّم الإنسانَ مَا لَمْ يعلمْ﴾ بدلُ اشتمالٍ منْ عَلَّمَ بالقلمِ أي علَّمه بهِ وبدونِه منَ الأمورِ الكليةِ والجزئيةِ والجليةِ والخفيةِ مَا لَمْ يخطرْ ببالِه وفي حذفِ المفعولِ أولًا وإيرادِه بعنوانِ عدمِ المعلوميةِ ثانيًا من الدلالةِ عَلى كمالِ قُدرتِه تعالى وكمالِ كَرَمِه والإشعارِ بأنَّه تعالى يعلمُه من العلومِ ممَّا لا تحيطُ بِه العقولُ مَا لا يخفى ﴿كَلَّا﴾ ردعٌ لمن كفرَ بنعمةِ الله تعالى بطغيانِه وإنْ لم يسبقْ ذكرُهُ للمبالغةِ في الزجرِ.

وقولُه تعالَى: ﴿إنَّ الإنسانَ ليطغَى﴾ أيْ ليجاوزُ الحدَّ ويستكبرُ عَلى ربِّه بيانٌ

(١) في خ: بالخلق.
(٢) في خ: لعل هذا.
(٣) في خ: لإباحة.
(٤) أخرجه البخاري (٩/ ٧٣٣) كتاب التفسير، باب: سورة ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ برقم (٤٩٥٣)، ومسلم (١/ ١٣٩) كتاب الإيمان، باب: بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ برقم (٢٥٢/ ١٦٠) من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

للمردوعِ والمردوعِ عَنْهُ قيلَ: هَذَا إلى آخرِ السورةِ نزلَ في أبي جهلٍ بعدَ زمانٍ وهو الظاهر.

وقولُه تعالَى: ﴿أنْ رآهُ استغنى﴾ مفعولٌ لَهُ أي يطغى لأنْ رَأى نفسَهُ مستغنيًا عَلى أنَّ استغنى مفعولٌ ثانٍ لرأى لأنه بمَعْنى علمَ ولذلكَ ساغَ كونُ فاعلِه ومفعولِه ضميريْ واحدٍ كَمَا في علمتني وإن جَوَّزَهُ بعضُهم فِي الرؤيةِ البصريةِ أيضًا وجعلَ منْ ذلك قول عائشةَ رضيَ الله عَنْها: «لقد رأيتُنا معَ رسولِ الله ﷺ وما لَنا طعامٌ إلا[1] الأسودانِ»[2] وتعليلُ طُغيانِه برؤيتِه لا بنفسِ الاستغناءِ كَمَا ينبئُ عَنْه قولُه تعالَى: ﴿ولو بسطَ الله الرزقَ لعبادِهِ لبغَوا في الأرضِ﴾ [سورة الشورىٰ، الآية ٢٧] للإيذانِ بأنَّ مَدارَ طُغيانهِ عملهُ الفاسدُ. رُوي أنَّ أبا جهلٍ قال لرسولِ الله ﷺ: أتزعمُ أنَّ منِ استغنى طغَى فاجعل لنَا جبالَ مكةَ فضةً وذهبًا لعلنَا نأخذُ منْهَا فنطغَى فندعَ دينَنَا ونتبعَ دينكَ فنزلَ عليهِ جبريلُ عليهِ السَّلامُ فقالَ: إن شئْتَ فعلنَا ذلكَ ثُمَّ إنْ لَمْ يُؤمنوا فعلنَا بهمْ مَا فعلنَا بأصحابِ المائدةِ فكفَّ رسولُ الله ﷺ عن الدُّعاءِ إبقاءً عليهم[3].

وقولُه تعالَى: ﴿إنَّ إلى ربِّكَ الرُّجعى﴾ تهديدٌ للطاغي وتحذيرٌ لَهُ من عاقبةِ الطغيانِ والالتفاتُ للتشديدِ في التهديدِ والرُّجعى مصدرٌ بمعنَى الرُّجوعِ كالبشرى، وتقديمُ الجارِّ والمجرورِ عليهِ أيْ إنَّ إلى مالكِ أمركِ رجوعَ الكُلِّ بالموتِ والبعثِ لا إلى غيرهِ استقلالًا ولا اشتراكًا فسترى[4] حينئذٍ عاقبةَ طُغيانِكَ.

وقولُه تعالَى: ﴿أرأيتَ الَّذي يَنهى * عَبْدًا إذَا صلَّى﴾ تقبيحٌ وتشنيعٌ لحالهِ وتعجيبٌ منهَا وإيذانٌ بأنَّها منَ الشناعةِ والغرابةِ بحيثُ يجبُ أنْ يَراهَا كُلٌّ منْ يتأتى منْهُ الرؤيةُ ويقضي منهَا العجبَ. رُوي أن أبا جهلٍ قالَ في ملأٍ من طُغاةِ قريشٍ لئِنْ رأيتُ محمدًا يُصلي لأطأنَّ عنقَهُ فرآهُ عليهِ السَّلامُ في الصَّلاةِ فجاءَهُ ثُمَّ نكصَ عَلى عقبيهِ فقالوا: ما لكَ؟ قال: إن بيني وبينهُ لخندقًا منْ نارٍ وهولًا وأجنحةً فنزلتْ[5].

---

(١) في خ: سوى.

(٢) أخرجه البخاري (١٣/ ٦٨) كتاب الزقاق، باب: كيف كان عيش النبي ﷺ وأصحابه برقم (٦٤٥٨، ٦٤٥٩)، ومسلم (٤/ ٢٢٨٢) كتاب الزهد والرقائق، برقم (٢٦/ ٢٩٧٢) بنحوه.

(٣) بيض له الزيلعي في تخريج الكشاف (٤/ ٢٤٧) برقم (١٥١٣).

(٤) في خ: فترى.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه (٩/ ١٥٣)- كتاب صفات المنافقين وأحكامهم (٥٠)، باب: قوله ﴿إن الإنسان ليطغى ...﴾ (٢٧٩٧)، والنسائي في الكبرى (٦/ ٥١٨) كتاب التفسير، سورة العلق (١١٦٨٣).

ولفظُ العبدِ وتنكيرُه لتفخيمِه عليهِ السَّلامُ واستعظام النَّهي وتأكيدِ التعجبِ منْهُ والرؤيةُ هَهُنا بصريةٌ وَأَمَّا مَا فِي قولِه تعالى: ﴿أرأيتَ إنْ كانَ عَلَى الهُدى * أو أمرَ بالتقوى﴾ ومَا في قولُه تعالَى: ﴿أرأيتَ إنْ كذبَ وتولّى﴾ فقلبيةٌ معناهُ أخبرني فإنَّ الرؤيةَ لما كانت سببًا للإخبارِ عنِ المَرئي أجرى الاستفهامُ عنْهَا مجرى الاستخبارِ عنْ متعلَّقها والخطابُ لكلِّ منْ صلُحَ للخطابِ، ونظمُ الأمرِ والتكذيبِ والتولِّي في سلكِ الشرطِ المترددِ بينَ الوقوعِ وعدمِهِ ليسَ باعتبارِ نفس الأفعالِ المذكورةِ منْ حيثُ صدورُها عن الفاعلِ فإنَّ ذلكَ ليسَ في حيزِ الترددِ أصلًا بلْ باعتبارِ أوصافها التي هِيَ كونُها أمرًا بالتقوى وتكذيبًا وتوليا كَمَا في قوله تعالَى: ﴿أرأيتم إنْ كانَ منْ عندِ الله ثمَّ كفرتُم بِهِ﴾ [سورة فصلت، الآية ٥٢] كَمَا مرَّ والمفعولُ الأولُ لأرأيتَ محذوفٌ وهو ضميرٌ يعودُ إلى الموصولِ أو اسمُ إشارةٍ يُشارُ بهِ إليهِ ومفعولُه الثاني سدَّ مسدَّهُ الجملةُ الشرطيةُ بجوابها المحذوفِ فإنَّ المفعولَ الثاني لأرأيتَ لا يكونُ إلا جملةً استفهاميةً أو قسميةً والمعَنى أخبرني ذلك الناهي إن كانَ على الهُدى فيمَا ينهي عَنْهُ منْ عبادةِ الله تعالى أوْ آمرًا بالتَّقوى فيمَا يأمرُ بِهِ من عبادةِ الأوثانِ كما يعتقدُه أوْ مكذبًا للحقِّ مُعرضًا عن الصَّوابِ كَما نقولُ نحنُ ﴿ألم يعلم بأنَّ الله يَرى﴾ أيْ يطلعُ على أحوالِه فيجازيَهُ[1] بِهَا حتَّى اجترأ على ما فعلَ وإنَّما أفردَ التكذيبَ والتولِّي بشرطيةٍ مستقلةٍ مقرونةٍ بالجوابِ مصدرةٍ باستخبارٍ مستأنفٍ ولم ينظمَا في سلكِ الشرطِ الأولِ بعطفهما على كانَ للإيذانِ باستقلالهما بالوقوعِ في نفسِ الأمرِ واستتباعِ الوعيدِ الذي ينطقُ بِهِ الجوابُ، وأما القسمُ الأولُ فأمرٌ مستحيلٌ قد ذكرَ في حيز الشرطِ لتوسيعِ الدائرةِ وهو السرُّ في تجريدِ الشرطيةِ الأولى عنِ الجوابِ والإحالةِ[2] بِهِ على جوابِ الثانيةِ هَذا وقد قيلَ: أرأيتَ الأولُ بمعنى أخبرني مفعولُه الأولُ الموصولُ ومفعولُه الثاني الشرطيةُ الأولى بجوابها المحذوفِ لدلالةِ جوابِ الشرطيةِ الثانيةِ عليه وأرأيتَ في الموضعينِ تكريرٌ للتأكيدِ ومعناهُ أخبرني عمَّنْ ينهى بعضَ عبادِ الله عن صلاته إنْ كانَ ذلكَ النَّاهي علَى طريقةٍ سديدةٍ فيما ينهى عنْ عبادةِ الله تعالى أوْ كانَ آمرًا بالمعروفِ والتَّقوى فيما يأمرُ بِهِ من عبادةِ الأوثانِ كما يعتقدهُ وكذلكَ إنْ كانَ على التكذيبِ للحقِّ والتولِّي عنِ الدينِ الصحيحِ كما نقولُ نحنُ ألم يعلمْ بأن الله يرى ويطلعُ على أحوالِه منْ هُداهُ وضلالِهِ فيجازيَهُ عَلى حسبِ ذلكَ فتأملْ وقيلَ: المَعْنى أرأيتَ الَّذي يَنْهى عبْدًا يُصلي والمُنهيُّ عنِ الهُدى آمرٌ بالتَّقوى والنَّاهي مكذبٌ مُتولي فما أعجبَ من ذَا،

(١) في خ: فيما يزيد.
(٢) في خ: الإجازة.

وقيلَ: الخطابُ الثاني للكافرِ فإنَّه تعالَى كالحاكمِ الذي حضَرهُ الخصمانِ يخاطبُ هذا مرةً والآخرَ أُخرى وكأنَّه قالَ: يا كافرُ أخبرني إنْ كانَ صلاتُه هُدى ودُعاؤُه إلى الله تعالى أمرًا بالتَّقوى أتنهاهُ. وقيلَ: هُو أميةُ بنُ خلفٍ كانَ ينْهى سلمانَ عنِ الصَّلاةِ.

﴿كَلَّا﴾ ردعٌ للناهي اللعينِ وخسوءٌ لَهُ واللامُ في قولِه تعالَى: ﴿لئن لَمْ ينتهِ﴾ موطئةٌ للقسمِ أي واللهِ لئِن لَمْ ينتهِ عَمَّا هُو عليهِ ولَمْ ينزجرْ ﴿لنسفعًا بالنَّاصيةِ﴾ لنأخذنَّ بناصيتهِ ولنسحبنَّهُ بِهَا إلى النَّارِ والسفعُ القبضُ على الشيءِ [وجذبُه بعنفٍ وشدةٍ][1] وقرئَ (لنسفعنَّ)[2] بالنونِ المشددةِ وقرئَ لأسفعًا[3] وكتبه[4] في المصحفِ بالألفِ عَلى حكمِ الوقفِ والاكتفاءُ بلامِ العهدِ عنِ الإضافةِ لظهورِ أنَّ المرادَ ناصيةُ المذكورِ.

﴿نَاصيةٍ كَاذبةٍ خَاطئةٍ﴾ بدلٌ منَ الناصيةِ وإنَّما جازَ إبدالُها منَ المعرفةِ وهي نكرةٌ لوصفِها وقُرِئَتْ بالرفعِ[5] على هِيَ ناصيةٌ وبالنصبِ[6] وكلاهُما على الذمِّ والشتمِ ووصفُها بالكذبِ والخطإِ على الإسنادِ المجازيِّ وهُمَا لصاحبها وفيهِ من الجزالةِ مَا ليسَ في قولِه ناصيةُ كاذبٍ خاطئٍ ﴿فليدعُ ناديَه﴾ أيْ أهلَ ناديهِ ليعينوهُ وهُو المجلسُ الَّذي ينتدي فيه القومُ أي يجتمعونَ.

رُوي أنَّ أبَا جهلٍ مرَّ برسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم وهُو يُصلي فقالَ ألم أنهكَ فأغلظَ لَهُ رسولُ الله ﷺ فقالَ: أتهددني وأنا أكثرُ أهلِ الوادي ناديًا فنزلت[7] ﴿سندعُ الزبانيةَ﴾ ليجروه إلى النَّارِ والزبانيةُ الشرطُ، الواحدُ زبْنيةٌ كعفريةٍ[8] من الزَّبنِ وهُوَ

---

(١) في خ: وضربه بعنف وقوة.

(٢) قرأ بها: أبو عمرو، ومحبوب، وهارون.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٤٩٥)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٢٧٢)، وتفسير الرازي (٣٢/ ٢٣).

(٣) قرأ بها: ابن مسعود.
ينظر: الكشاف للزمخشري (٤/ ٢٧٢)، والمعاني للفراء (٣/ ٢٨٠)، وتفسير الرازي (٣٢/ ٢٣).

(٤) في خ: كتبته.

(٥) قرأ بها: الكسائي.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٤٩٥)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٢٧٢)، وتفسير الرازي (٣٢/ ٢٥).

(٦) قرأ بها: أبو حيوة، وابن أبي عبلة، وزيد بن علي.
ينظر: الإعراب للنحاس (٣/ ٧٤٠)، والبحر المحيط (٨/ ٤٩٥)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٢٧٢).

(٧) أخرجه الترمذي (٥/ ٤٤٤) كتاب التفسير باب ومن سورة العلق حديث (٣٣٤٩) والنسائي في «التفسير» (٧٠٤) وأحمد (١/ ٢٥٦) والطبري في «تفسيره» (٣/ ١٦٤) كلهم من طريق داود عن عكرمة عن ابن عباس به.
وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب.

(٨) في خ: كنفرته.

الدَّفعُ وقيلَ: زَبَنِي وكأنَّه نسبَ إلى الزبنِ ثُمَّ غير [كأمْسى][١] وأصلُها زَبَاني فقيلَ: زبانيةٌ بتعويضِ التاءِ عن الياءِ والمرادُ ملائكةُ العذابِ وعن النبيِّ ﷺ: **«لَوْ دَعا ناديه لأخذتْهُ الزبانيةُ[٢] عيانًا»**[٣] ﴿كَلَّا﴾ ردعٌ بعدَ ردعٍ وزجرٌ إثرَ زجرٍ ﴿لا تُطعه﴾ أيْ دُم عَلى مَا أنتَ عليهِ منْ معاصاتِه ﴿واسجدْ﴾ وواظبْ عَلى سجودِكَ وصلاتك غيرَ مكترثٍ بِه ﴿واقتربْ﴾ وتقربْ بذلك إلى ربِّكَ وفي الحديثِ (أقربُ ما يكونُ العبدُ إلى ربِّه إذَا سجدَ)[٤].

عن رسولِ الله ﷺ: **«منْ قَرأَ سورةَ العلقِ أُعطي منَ الأجرِ كأنَّما قرأَ المفصلَ[٥] كُلَّه»**[٦].

---

(١) سقط في خ.

(٢) في خ: الملائكة.

(٣) أخرجه البخاري (٩/ ٧٤٥) كتاب التفسير باب قول الله تعالى: «كلا لئن لم ينته لنسفعًا بالناصية» حديث (٤٩٥٨) والترمذي (٥/ ٤٤٣-٤٤٤) كتاب التفسير: باب ومن سورة العلق حديث (٣٣٤٨) والنسائي في «التفسير» (٨١، ٧٠٥) كلهم من طريق عكرمة عن ابن عباس به.
وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب.

(٤) أخرجه مسلم (١/ ٣٥٠) كتاب الصلاة: باب ما يقال في الركوع والسجود حديث (٢١٥/ ٤٨٢) وأبو داود (١/ ٢٣١) كتاب الصلاة: باب في الدعاء في الركوع والسجود حديث (٨٧٥) والنسائي (٢/ ٢٢٦) كتاب الافتتاح: باب أقرب ما يكون العبد من الله عز وجل.
من حديث أبي هريرة بلفظ «وهو ساجد».

(٥) في خ: الفصل.

(٦) تقدم تخريجه، وزاد في خ: والله سبحانه وتعالى أعلم.

سُورَةُ القَدْرِ

[مختلفٌ فيهَا][1]، وَآيُها خمسٌ[2]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِي لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾

﴿إِنَّا أنزلناهُ في ليلةِ القدرِ﴾ تنويهٌ بشأنِ القرآنِ الكريمِ وإجلالٌ لمحلِه بإضمارِهِ المُؤذنِ بغايةِ نباهتِهِ المغنيةِ عن التصريحِ بهِ كأنهُ حاضرٌ فِي جميعِ الأذهانِ وبإسنادِ إنزالِه إلى نونِ العظمةِ المنبئِ عنْ كمالِ العنايةِ بهِ وتفخيمُ وقتِ إنزالِه بقولِه تعالى: ﴿وَمَا أدراكَ ما ليلةُ القدْرِ﴾ لما فيهِ منَ الدلالةِ عَلى أنَّ علوّ قدرِها خارجٌ عنْ دائرةِ درايةِ الخَلْقِ لا يدريَها [وَلاَ يدريَها][3] إلاَّ علاَّمُ الغيوبِ كمَا يُشعِرُ بهِ قولُه تعالَى: ﴿ليلةُ القدرِ خيرٌ من ألفِ شهرٍ﴾ فإنهُ بيانٌ إجماليٌّ لشأنها إثرَ تشويقهِ[4] عليهِ السلامُ إلى درايتها فإنَّ ذلكَ معربٌ عنِ الوعدِ بإدرائها وقدْ مرَّ بيانُ كيفيةِ إعرابِ الجملتينِ وفي إظهارِ ليلةِ القدرِ في الموضعينِ منْ تأكيدِ التفخيمِ مَا لا يخفى والمرادُ بإنزالِه فيها إمَّا إنزالُ كُلِّه إلى السماءِ الدُّنيا كَما رُوي أنَّه أُنزل جملةً واحدةً في ليلةِ القدرِ من اللوحِ المحفوظِ إلى السماءِ الدُّنيا وأملاهُ جبريلُ عليهِ السلامُ على السَّفرةِ ثُمَّ كانَ ينزلهُ على النبيِّ عليهِ السَّلامُ نجومًا في ثلاثٍ وعشرينَ سنةً وإمَّا ابتداءُ إنزالِه فيها كما نُقلَ عن الشَّعبيِّ. وقيلَ: المَعْنى أنزلناهُ في شأنِ ليلةِ القدرِ وفضلِها كَما في قولِ عمرَ رضي الله عنهُ: خشيتُ أن ينزلَ فيَّ قرآن، وقولِ عائشةَ رضيَ الله عنها: لأنَا أحقرُ في نفسي منْ أن ينزلَ فيَّ قرآن فالأنسبُ أن يجعلَ الضميرُ حينئذٍ للسورةِ التي هيَ جزءٌ من القرآنِ لا للكُلِّ واختلفوا في وقتها فأكثرهم على أنها في شهرِ رمضانَ في العشرِ الأواخرِ في أوتارِها وأكثرُ الأقوالِ أنها السابعةُ منها ولعلَّ السرَّ في إخفائها تعريضُ

---

(١) سقط في خ.
(٢) زاد في خ: مكية.
(٣) سقط في خ.
(٤) في خ: تشريعه.

مَنْ يريدُها للثوابِ [الكثير][1] بإحياءِ الليالي الكثيرةِ رجاءً لموافقتها وتسميتُها بذلكَ إمَّا لتقديرِ الأمورِ وقضائها فيها لقولِه تعالى: ﴿فيها يُفرقُ كلُّ أمرٍ حكيمٍ﴾ [سورة الدخان، الآية ٤] أو لخطرها وشرفها على سائرِ الليالي وتخصيصُ الألفِ بالذكرِ إمَّا للتكثيرِ أوْ لمَا رُوي [أنه عليهِ السَّلامُ][2] ذكرَ رجلًا من بني إسرائيلَ لبسَ السلاحَ في سبيلِ الله ألفَ شهرٍ فعجبَ المؤمنونَ منه وتقاصرتْ إليهم أعمالهم فأعطوا ليلةً هيَ خير منْ مدةِ ذلكَ الغازي[3] وقيلَ: إنَّ الرجلَ فيما مَضَى مَا كانَ يقالُ لَهُ عابدٌ حَتَّى يعبدَ الله تعالى ألفَ شهرٍ فأعطوا ليلةً إنْ أحيوْها كانُوا أحقَّ بأن يُسمَّوا عابدينَ من أولئكَ العبادِ، وقيلَ: أُري النبيُّ عليهِ السَّلامُ أعمارَ الأمم كافةً فاستقصرَ أعمارَ أمتِه فخافَ ألا يبلغوا من العملِ مثلَ ما بلغَ غيرهم في طولِ العمرِ فأعطاهُ الله ليلةَ القدرِ وجعلها خيرًا منْ ألفِ شهرٍ لسائرِ الأممِ، وقيلَ: كانَ ملكُ سليمانَ خمسمائةَ شهرٍ وملكُ ذي القرنينِ خمسمائةَ شهرٍ فجعلَ الله تعالَى العملَ في هذهِ الليلةِ لمنْ أدركها خيرًا منْ مُلكِهمَا.

وقولُه تعالَى: ﴿تنزَّلُ الملائكةُ والروحُ فيها﴾ استئنافٌ مبينٌ لمناطِ فضلِها على تلكَ المدةِ المتطاولةِ وقد سبقَ في سورةِ النبأ ما قيلَ في شَأنِ الروحِ عَلى التفصيلِ وقيلَ: هم خلقٌ منَ الملائكةِ لا يراهُم الملائكةُ إلا تلكَ الليلةَ أيْ تتنزلُ الملائكةُ والروحُ في تلكَ الليلةِ منْ كُلِّ سماءٍ إلى الأرضِ أوْ إلى السماءِ الدُّنيا ﴿بإذنِ رَبِّهم﴾ متعلقٌ بتنزلُ أوْ بمحذوفٍ هُو حالٌ من فاعلِه أيْ ملتبسينَ بإذنِ ربهم أيْ بأمرِه ﴿منْ كُلِّ أمرٍ﴾ أي من أجلِ كُلِّ أمرٍ قضاهُ الله عزَّ وجلَّ لتلكَ السنةِ إلى [قابلٍ كقولِه][4] تعالَى: ﴿فيها يفرق كل أمرٍ حكيم﴾ [سورة الدخان، الآية ٤] وقُرئَ (منْ كُلِّ امرئٍ)[5] أيْ منْ أجلِ كل إنسانٍ، قيلَ: لا يلقونَ فيها مؤمنًا ولا مؤمنةً إلا سلمُوا عليهِ ﴿سَلامٌ هِيَ﴾ أيْ مَا هيَ إلا سلامةٌ أيْ لا يقدرُ الله تعالى فيها إلا السلامةَ والخيرَ وأمَّا في غيرِها فيقضي سلامةً وبلاءً أوْ ما هيَ إلا سلامٌ لكثرةِ ما يسلمونَ فيها على المؤمنينَ ﴿حَتَّى مطلعِ

(١) سقط في خ.
(٢) في خ: أن رسول الله ﷺ.
(٣) أخرجه مجاهد في تفسيره (٢/ ٧٧٣)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٥٢) برقم (١٩٤٢٤) والواحدي في الوسيط برقم (٨٦٤)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٣٠٦)، من حديث مجاهد بن جبر مرسلاً.
(٤) في خ: أو قايل لقوله.
(٥) قرأ بها: ابن عباس، وعكرمة، وعلي، والكلبي.
ينظر: الإعراب للنحاس (٣/ ٧٤٥)، والتبيان للطوسي (١٠/ ٣٨٤)، وتفسير الطبري (٣٠/ ١٦٨)، وتفسير القرطبي (٢٠/ ١٣٥)، والمجمع للطبرسي (١٠/ ٥١٧)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٣٦٨).

الفجرِ﴾ أيْ وقتِ طلوعِه وقرئ بالكسرِ[١] على أنهُ مصدرٌ كالمرجعِ أو اسمُ زمانٍ على غيرِ قياسٍ كالمشرِقِ وحتَّى متعلقةٌ بتنزلُ على أنها غايةٌ لحكمِ التنزلِ أي لمكثِهِمْ في محلِ تنزلِهم أو لنفسِ تنزلهم بألا ينقطعَ تنزلُهم فوجًا بعدَ فَوجٍ إلى طلوعِ الفجرِ، وقيلَ: متعلقةٌ بسلامٍ بناءً على أنَّ الفصلَ بين المصدرِ ومعمولِه بالمبتدأ مغتفرٌ في الجارِّ.

عنِ النبيِّ ﷺ: **«مَنْ قَرأَ سورةَ القدرِ أعطي من الأجرِ كَمَنْ صامَ رمضانَ وأَحْيَا ليلةَ القدرِ»**[٢].

(١) قرأ بها: الكسائي، وأبو عمرو، والأعمش، وابن محيصن، ويحيى بن وثاب، وأبو رجاء، والعطاردي، وطلحة، وخلف.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٤٢)، والإعراب للنحاس (٣/ ٧٤٥)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٥٦)، والبحر المحيط (٨/ ٤٩٧)، والتيسير للداني ص (٢٢٤)، والسبعة لابن مجاهد ص (٦٩٣)، والغيث للصفاقسي ص (٣٩١).
(٢) تقدم تخريجه، وزاد في خ: والله الموفق بمنه وكرمه.

سُورَةُ البينة[1]

[مختلفٌ فيهَا][2]، وَآيُها ثمانٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ
يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا
جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ
وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ
أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾
جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ
لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾

﴿لم يكنِ الذينَ كفرُوا من أهلِ الكتابِ﴾ أي اليهودُ والنَّصارَى وإيرادُهم بذلكَ العنوانِ للإشعارِ بعلةِ ما نُسبَ إليهمْ من الوعدِ باتباعِ الحقِّ فإنَّ مناطَ ذلكَ وجدانُهم لَهُ في كتابِهم [وَإيرادُ][3] الصلةِ فعلًا لما أنَّ كُفرهم حادثٌ بعدَ أنبيائِهم ﴿والمشركينَ﴾ أيْ عبدةِ الأصنامِ وقرئ (وَالمشركونَ)[4] عطفًا على الموصولِ ﴿منفكِّينَ﴾ أي عمَّا كانُوا عليهِ من الوعدِ باتباعِ الحقِّ والإيمانِ بالرسولِ المبعوثِ في آخرِ الزمانِ [والعزم على إنجازِه وهَذا الوعدُ من أهلِ الكتابِ مما لا ريبَ فيه حَتَّى إنَّهم كانُوا يستفتحونَ ويقولونَ: اللهمَّ افتحْ علينَا وانصرنا بالنبيِّ المبعوثِ في آخرِ الزمانِ][5] ويقولونَ لأعدائِهم منَ المشركينَ: قد أظلَّ زمانُ نبيٍّ يخرجُ بتصديقِ ما قلنَا فنقتلُكُم مَعَهُ قتلَ

(١) في ط: لم يكن.
(٢) سقط في خ.
(٣) في خ: وإبراز.
(٤) قرأ بها: الأعمش، وإبراهيم.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٤٩٨)، وتفسير القرطبي (٢٠/ ١٤٢).
(٥) سقط في خ.

عادٍ وإرمَ وأما منَ المشركينَ فلعلَّهُ قدْ وقعَ من متأخريهمْ بعدَ مَا شَاعَ ذلكَ من أهلِ الكتابِ واعتقدوا صحتَهُ بِمَا شاهدُوا من نصرتهم على أسلافهم كما يشهدُ به أنهم كانوا يسألونهم عن رسولِ الله ﷺ هلْ هُوَ المذكورُ في كتابِهم وكانوا يغرونَهُم بتغييرِ نعوتِه عليهِ السَّلامُ وانفكاكُ الشيءِ عن الشيءِ أنْ يزايَلَهُ بعدَ التحامِه كالعظمِ إذا انفكَّ من مفصلِه وفيهِ إشارةٌ إلى [كمالِ](١) وكادةِ وعدِهم أيْ لم يكُونوا مفارقِينَ للوعدِ المذكورِ بلْ كانُوا مجمعينَ عليهِ عازمينَ على إنجازِه ﴿حَتَّى تأتيَهُم البينةُ﴾ التي كانُوا قد جعلوا إتيانها ميقاتًا لاجتماعِ الكلمةِ والاتفاقِ عَلى الحقِّ فجعلوه ميقاتًا للانفكاكِ والافتراقِ وإخلافِ الوعدِ والتعبيرُ عن إتيانِها بصيغةِ المضارعِ باعتبارِ(٢) حالِ المحكيِّ لا باعتبارِ حالِ الحكايةِ كما في قولِه تعالَى: ﴿واتبعوا ما تتلو الشياطين﴾ [سورة البقرة، الآية ١٠٢] أي تلتْ وقولُه تعالى:

﴿رَسُولٌ﴾ بدلٌ منَ البينةِ عبرَ عنه عليهِ السَّلامُ بالبينةِ للإيذانِ بغاية ظهورِ أمرِهِ وكونِه ذلكَ الموعودَ في الكتابينِ.

وقولُه تعالى: ﴿منَ الله﴾ متعلقٌ بمضمرٍ هو صفةٌ لرسولٍ مؤكد لما أفادَه التنوينُ من الفخامةِ الذاتيةِ بالفخامةِ الإضافيةِ أي رسولٌ وأيُّ رسولٍ كائنٌ منْهُ تعالى.

وقولُه تعالى: ﴿يتلو﴾ صفة أخرى أو حال من الضمير في متعلق الجارِّ ﴿صُحفًا مطهرةً﴾ أيْ منزهةً عنِ الباطلِ لا يأتيه الباطلُ من بينِ يديهِ ولا منْ خلفِهِ أو من أنْ يمسَّهُ غيرُ المطهرينَ ونسبةُ تلاوتِها إليه عليهِ السلامُ منْ حيثُ إنَّ تلاوةَ مَا فيها بمنزلةِ تلاوتِها.

وقولُه تعالى: ﴿فِيهَا كتبٌ قيمةٌ﴾ صفةٌ لصحفًا أوْ حالٌ منْ ضميرِها في مطهرةٍ ويجوزُ أنْ يكونَ الصفةُ أو الحالُ الجارَّ والمجرورَ فَقَطْ وكتبٌ مرتفعًا بِه على الفاعليةِ ومَعْنى قيمةٌ مستقيمةٌ ناطقةٌ بالحقِّ والصوابِ.

وقولُه تعالَى: ﴿وَمَا تفرَّقَ الذينَ أُوتُوا الكتابَ﴾ إلخ كلامٌ [مسوقٌ](٣) لغايةِ تشنيعِ أهلِ الكتابِ خاصَّة وتغليظِ جناياتِهم ببيانِ أنَّ ما نسبَ إليهمْ من الانفكاكِ لم يكُنْ لاشتباهِ مَا في الأمرِ بلْ كانَ بعدَ وضوحِ الحقِّ وتبينِ الحالِ وانقطاعِ الأعذار بالكليةِ وهُوَ السرُّ في وصفِهم بإيتاءِ الكتابِ المنبئِ عن كمالِ تمكنِهم منْ مطالعتِه والإحاطةِ بَما فِي تضاعيفِه من الأحكامِ والأخبارِ التي مِنْ جُملتِها نعوتُ النبيِّ عليهِ الصَّلاةُ

(١) سقط في خ.
(٢) في خ: باعتبار المحكى.
(٣) سقط في خ.

والسَّلامُ بعدَ ذكرهم فيما سبقَ بما هُوَ جارٍ مَجْرَى اسمِ الجنسِ للطائفتينِ ولَمَّا كانَ هؤلاءِ وَالمشركونَ باعتبارِ اتفاقِهم عَلَى الرأي المذكورِ في حكمِ فريقٍ واحدٍ عبرَ عَمَّا صدرَ عنهمْ عقيبَ الاتفاقِ عندِ الإخبارِ بوقوعِه بالانفكاكِ وعندَ بيانِ كيفيةِ وقوعِه بالتفرقِ اعتبارا لاستقلال كل من فريقي أهل الكتاب وإيذانًا بأن انفكاكهم عن الرأي المذكور ليس بطريق الاتفاق على رأي آخر بل بطريق الاختلاف القديم.

وقولُه تعالى: ﴿**إلا منْ بعدِ مَا جاءتهُم البينةُ**﴾ استثناءٌ مفرغٌ منْ أعمِّ الأوقاتِ أيْ وما تفرقُوا في وقتٍ منَ الأوقاتِ إلا منْ بعدِ ما جاءتُهمْ الحجةُ الواضحةُ الدالَّةُ على أنَّ رسولَ الله ﷺ هو الموعودُ في كتابِهم دلالةً جليةً لا ريبَ فيَها كقولِه تعالى: ﴿وما اختلفَ الذينَ أُوتوا الكتابَ إلا من بعدِ ما جاءَهُم العلمُ﴾ [سورة آل عمران، الآية ١٩]. وقولُه تعالى ﴿**وَمَا أُمروا إلاَّ ليعبدُوا الله**﴾ جملةٌ حاليةٌ مفيدةٌ لغايةِ قبحِ ما فعلُوا أيْ والحالُ أنَّهم ما أُمِرُوا بَما أمروا في كتابِهم إلا لأجلِ أنْ [يعبدُوا الله، وقيلَ: اللامُ بمَعْنى أنْ أي إلا بأنْ يعبدُوا الله، ويعضدُه قراءةُ (إلا أنْ يعبدُوا الله)[(١)]][(٢)] ﴿**مُخلصينَ لهُ الدِّينَ**﴾ أي جاعلينَ دينَهُم خَالِصًا له تعالَى أو جاعلينَ أنفسَهُم خالِصةً لَهُ تعالَى في الدِّينِ. ﴿**حُنفاءَ**﴾ مائلينَ عن جميعِ العقائدِ الزائغةِ إلى الإسلام ﴿**ويقيمُوا الصَّلاةَ ويُؤتوا الزكاةَ**﴾ إنْ أُريدَ بهما ما في شريعتِهم من الصَّلاةِ والزَّكاةِ فالأمرُ ظاهرٌ وإنْ أُريدَ ما في شريعتِنا فمَعْنى أمرِهم بهما في الكتابينِ أنَّ أمرَهُم باتباعِ شريعتِنا أمرٌ لهم بجميعِ أحكامِها التي هُمَا من جُملتها.

﴿**وذَلِكَ**﴾ إشارةٌ إلى ما ذُكِرَ من عبادةِ الله تعالى بالإخلاصِ و[إقامةِ][(٣)] الصلاةِ وإيتاءِ الزكاةِ وما فيهِ من مَعْنى البُعدِ للإشعارِ بعلوِّ رتبتِه وبُعدِ منزلتِه. ﴿**دِينُ القيمةِ**﴾ أي دينُ الملةِ القيمةِ، وقرئ (الدينُ القيمةُ)[(٤)] على تأويلِ الدينِ بالملةِ. هذا وقد قيلَ: قولُه تعالى: ﴿لَمْ يكُنِ الذينَ كفرُوا﴾ [سورة البينة، الآية ١] إلى قولِه كتبٌ قيمةٌ حكايةٌ لما كانُوا يقولونَهُ قبلَ مبعثِه عليهِ السَّلامُ من أنَّهم لا ينفكونَ عنْ دينِهم إلى مَبْعثِه ويعدون أنْ ينفكُّوا عنه حينئذٍ ويتفقوا على الحقِّ.

---

(١) قرأ بها: عبد الله بن مسعود.
ينظر: تفسير القرطبي (٢٠/ ١٤٤)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٢٧٣).

(٢) سقط في خ. (٣) سقط في خ.

(٤) قرأ بها: ابن مسعود.
ينظر: الإعراب للنحاس (٣/ ٧٥٠)، وتفسير الطبري (٣٠/ ١٧٠)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٢٧٣)، والمعاني للفراء (٣/ ٢٨٢).

وقولُه تعالى: ﴿وَمَا تفرقَ الذين أوتُوا الكتابَ﴾ [سورة البينة، الآية ٤]. . .إلخ بيانٌ لإخلافِهم الوعدَ وتعكيسِهم الأمرَ بجعلِهم ما هُو سببٌ لانفكاكِهم عن دينِهم الباطلِ حسبَما وعدُوه سببًا لثباتِهم عليهِ وعدمِ انفكاكِهم عنه ومثلُ ذلكَ بأنْ يقولَ الفقيرُ الفاسقُ لمن يعظهُ: لا أنفكُّ عمَّا أنَا فيه حتَّى أستغني فيستغني فيزدادُ فسقًا فيقولَ له واعظُه لم تكنْ منفكا عن الفسقِ حتى توسرَ وما عكفتَ على الفسقِ إلا بعدَ اليسارِ، وأنت خبيرٌ بأنَّ هَذا إنَّما يتسنّى بعد اللَّتيا والتي على [تقديرِ][1] أنْ يرادَ بالتفرقِ تفرقهم عن الحقِّ بأنْ يقال التفرقُ عن الحقِّ مستلزمٌ للثباتِ على الباطلِ فكأنَّه قيلَ: وما أجمعُوا على دينِهم إلا منْ بعدِ ما جاءتْهُم البينةُ وأما على تقديرِ أنْ يُرادَ به تفرقُهم فرقًا فمنُهم من آمنَ ومنُهم من أنكرَ ومنُهم من عرفَ وعاندَ كَمَا جوَّزه القائلُ فلا فتأملْ.

﴿إنَّ الذينَ كفرُوا منْ أهلِ الكتابِ والمشركينَ في نارِ جهنَم﴾ بيانٌ لحالِ الفريقينِ في الآخرةِ بعد بيانِ حالِهم في الدُّنيا، وذَكَرَ المشركينَ لئلاًّ يتوهَم اختصاصُ الحكمِ بأهلِ الكتابِ حسبَ اختصاصِ مشاهدةِ شواهدِ النبوةِ في الكتابِ بهم ومَعْنى كونِهم فيها أنَّهم بصيرونَ [إليها][2] يومَ القيامةِ، وإيرادُ الجملةِ الاسميةِ للإيذان بتحقق مضمونِها لا محالةَ أو أنَّهم فيها الآنَ إما على تنزيل ملابستِهم لما يوجبُها منزلَة ملابستِهم لها وإما عَلى أنَّ ما هُم فيهِ من الكفرِ والمَعاصي عينُ النارِ إلا أنَّها ظهرتْ في هذِه النشأةِ [بصورٍ عَرَضيةٍ][3] وستخلعُها في النشأة الآخرةِ وتظهرُ بصورتِها الحقيقيةِ كَما في قولِه تعالى: ﴿وإنَّ جهنَم لمحيطةٌ بالكافرينَ﴾ [سورة التوبة، الآية ٤٩] في سورة الأعرافِ[4][5].

﴿خالدينَ فَيها﴾ حالٌ من المستكنِّ في الخبرِ، واشتراكُ الفريقينِ في دخولِ دارِ العذابِ بطريقِ الخُلودِ لا يُنافِي تفاوتَ عذابِهم في الكيفيةِ فإنَّ جهنَم دركاتٌ وعذابَها ألوانٌ ﴿أُولئكَ﴾ إشارةٌ إليهم باعتبارِ اتَّصافِهم بما هُم فيه من القبائحِ المذكورةِ وما فيهِ من مَعْنى البُعدِ للإشعارِ بغايةِ بُعدِ منزلتِهم في الشرِّ أي أولئكَ البعداءُ المذكورونَ ﴿هُم شرُّ البريةِ﴾ شرُّ الخليقةِ أي أعمالًا وهو الموافقُ لما سيأتِي في حقِّ المؤمنينَ فيكونُ

---

(١) سقط في خ.
(٢) سقط في خ.
(٣) في خ: بصوت عرضه.
(٤) في ط: التوبة.
(٥) هذه الآية غير واردة في سورة الأعراف إنما وردت في سورتي التوبة والعنكبوت وعليه تكون في سورة الأعراف خارجة عن سياق الكلام وواقعة في غير محلها.

في حيزِ التعليلِ لخلودِهم في النارِ، أو شرُّهم مقامًا ومصيرًا فيكونَ تأكيدًا لفظاعةِ حالِهم، وقرئ بالهمز[(١)] على الأصل.

﴿إِنَّ الذينَ آمنُوا وعملُوا الصالحاتِ﴾ بيانٌ لمحاسن أحوالِ المؤمنينَ إثرَ بيانِ سوءِ حالِ الكفرةِ جريًا على السنةِ القرآنيةِ من شفعِ [الترهيبِ بالترغيبِ][(٢)] ﴿أولئكَ﴾ المنعوتونَ بَما هُو في الغايةِ القاصيةِ من الشرفِ والفضيلةِ من الإيمانِ والطاعة. ﴿هُم خيرُ البريةِ﴾ وقرئ (خيارُ البريةِ)[(٣)] وهو جمعُ خيِّر، نحوُ جيدٌ وجيادٌ ﴿جَزاؤُهم﴾ بمقابلةِ ما لهُم من الإيمانِ والطاعةِ ﴿عندَ ربِّهم جنَّاتُ عدنٍ تجري منْ تحتِها الأنهارُ﴾ إنْ أُريد بالجنَّاتِ الأشجارُ الملتفةُ الأغصان كمَا هو الظاهرُ، فجريانُ الأنهارِ من تحتها ظاهرٌ، وإنْ أُريدَ بها مجموعُ الأرضِ ومَا عليها فهُو باعتبارِ الجزءِ الظاهرِ، وأيا ما كانَ فالمرادُ جريانُها بغيرِ أخدودٍ.

﴿خَالدينَ فيهَا أبدًا﴾ متنعيمنَ بفنونِ النعم الجُسمانيةِ والروحانيةِ وفي تقديم مدحِهم بخيرية البريةِ وذكرِ الجزاءِ المؤذنِ بكونِ ما مُنحوهُ في مقابلةِ ما وُصفوا بهِ وبيان كونِه من عندِه تعالَى والتعرضِ لعنوانِ الربوبيةِ المنبئةِ عن التربيةِ والتبليغ إلى الكمالِ مع الإضافةِ إلى ضميرِهم وجمع الجنَّاتِ وتقييدِها بالإضافةِ وبما يزيدُها نعيمًا وتأكيد الخلودِ [بالأبودِ][(٤)] من الدلالةِ على غايةِ حُسنِ حالِهم ما لا يَخْفى.

﴿رضيَ الله عنْهم﴾ استئنافٌ مبينٌ لما يتفضلُ عليهم زيادةً على ما ذُكرَ من أجزيةِ أعمالِهم ﴿ورضُوا عنْهُ﴾ حيثُ بلغُوا من المطالبِ[(٥)] قاصيتَها وملكُوا من المآرب ناصيتَها وأُتيحَ لهم ما لا عينٌ رأتْ ولا أذنٌ سمعتْ ولا خَطَر على قلبِ بشرٍ ﴿ذلِكَ﴾ أيْ ما ذُكرَ من الجزاءِ والرضوانِ ﴿لمن خشيَ ربَّه﴾ فإنَّ الخشيةَ التي هيَ من خصائصِ العلماءِ بشؤونِ الله عزَّ وجلَّ مناطٌ لجميع الكمالاتِ العلميةِ والعمليةِ المستتبعةِ للسعادةِ الدينيةِ والدنيويةِ. والتعرضُ لعُنوانِ الربوبيةِ المعربةِ عن المالكيةِ والتربيةِ للإشعارِ بعلَّةِ الخشيةِ والتحذيرِ من الاغترارِ بالتربيةِ.

عنِ النبيِّ ﷺ: **«مَنْ قرأَ سورةَ البينةِ[(٦)] كانَ يومَ القيامةِ مع خيرِ البريةِ مساءً ومَقيلًا»**[(٧)].

---

(١) قرأ بها: نافع، وابن عامر، وابن ذكوان، والأعرج.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٤٢)، والإعراب للنحاس (٣/ ٧٥٠)، والتيسير للداني ص (٢٢٤)، والسبعة لابن مجاهد ص (٦٩٣)، والغيث للصفاقسي ص (٣٩١)، والكشف للقيسي (٢/ ٣٨٥).

(٢) في خ: الترغيب والترهيب.

(٣) قرأ بها: عامر بن عبد الواحد، وحميد.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٤٩٩)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٢٧٥)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٣٦٩).

(٤) في خ: بالأبد.

(٥) في خ: المقاصد.

(٦) في ط: لم يكن.

(٧) تقدم تخريجه.

سُورَةُ الزلزلةِ

مُختلَفٌ فيهَا، وآيُها [ثمانٍ][1]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾

﴿إذَا زُلْزِلَتِ الأرضُ﴾ أيْ حُرِّكتْ تحريكًا عنيفًا مُتكررًا متداركًا ﴿زِلْزَالَها﴾ أي الزلزالُ المخصوصُ بها عَلَى مُقْتضى المشيئةِ الإلهيةِ المبنيةِ على الحكم البالغةِ وهُو الزلزالُ الشديدُ الذي لا غايةَ وراءَهُ أو زلزالُها العجيبُ الذي لا يُقَادرُ قدرُهُ أو زلزالُها الداخلُ في حيزِ الإمكانِ وقرئ بفتحِ الزَّاي[2] وهو اسمٌ وليسَ في الأبنيةِ فعلالٌ بالفتحِ إلا في المضاعفِ وقولُهم ناقة خَزْعَالٌ نادرٌ وقَدْ قيلَ: الزلزالُ بالفتحِ أيضًا مصدرٌ كالوَسواسِ والجرجارِ والقَلقالِ وذلكَ عندَ النفخةِ الثانيةِ لقولِه عزَّ وجلَّ ﴿وَأَخْرجتِ الأرضُ أثقالَها﴾ أي ما في جَوْفها من الأمواتِ والدفائنِ جمعُ ثَقَلٍ وهُو متاعُ البيتِ وإظهارُ الأرضِ في موقعِ الإضمارِ لزيادةِ التقريرِ أوْ للإيماءِ إلى تبدلِ الأرضِ غيرَ الأرضِ أو لأنَّ إخراجَ الأثقالِ حالُ بعضِ أجزائِها ﴿وقالَ الإنسانُ﴾ أيْ كُلُّ فردٍ من أفرادِه لما يَدهمُهُم منَ الطامَّةِ التامَّةِ ويبهرهُم مِنَ الدَّاهيةِ العامَّةِ ﴿ما لَها﴾ زُلزلتْ هذهِ المرتبةَ الشديدةَ منَ الزلزالِ وأخرجتْ ما فيَها منَ الأثقالِ استعظامًا لما شاهدُوه منَ الأمرِ الهائلِ وقد سيرتِ الجبالُ في الجَوِّ وصيرتْ هباءً وقيلَ: هُو قولُ الكافرِ إذْ لَمْ

(١) في ط: تسع، وفي خ: ثمان آيات مكية.

(٢) قرأ بها: عاصم الجحدري، وعيسى بن عمر.
ينظر: الإعراب للنحاس (٣/ ٧٥٢)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٥٧)، والبحر المحيط (٨/ ٥٠٠)، وتفسير القرطبي (٢٠/ ١٤٧)، وتفسير الرازي (٣٢/ ٥٧).

يكُنْ مؤمنًا بالبعثِ والأظهرُ هُو الأولُ عَلى أنَّ المؤمنَ يقولُه بطريقِ الاستعظامِ والكافرُ بطريق التعجبِ ﴿يومئذٍ﴾ بدلٌ منْ إذا وقولُه تعالَى: ﴿تُحدِّثُ أخبارَهَا﴾ عَامِلٌ فيهمَا ويجوزُ أن يكونَ إذَا منتصبًا بمضمرٍ أيْ يوم إذْ زلزلتْ الأرضُ تحدثُ الخلقَ أخبارها [إمَّا بلسانِ الحالِ حيثُ تدلُّ دلالةً ظاهرةً على ما لأجلِه زلزالُها وإخراجُ أثقالِها و][1] إما بلسانِ المقالِ حيثُ ينطقُها الله تعالَى فتخبرُ بما عُمِلَ عليهَا منْ خيرٍ وشرٍّ ورُوِيَ عنِ النبيِّ ﷺ: «أنها تشهدُ على كُلِّ أحدٍ بما عَمِلَ على ظَهرِهَا»[2] وقرئَ تُنَبِّئُ[3] أخبارَها وقرئَ تُنْبِئُ[4] منَ الإنباءِ ﴿بأنَّ ربَّك أَوْحَى لَها﴾ أي تحدثُ أخبارَهَا بسببِ إيحاءِ ربِّكَ لَها وَأمْرِهِ إيَّاهَا بالتَّحديثِ [عَلَى أَحَدِ الوجهينِ وَيَجُوزُ أَنْ يكُونَ بَدَلًا مِنْ أَخْبَارِهَا كَأنَّه قيلَ: تحدثُ بأخبارِهَا بأَنَّ ربَّكَ أوحى لأَنَّ التحديثَ][5] يستعملُ بالباءِ وبدونها وأَوْحَى لَها بمعنى أَوْحَى إليها.

﴿يومئذٍ﴾ أيْ يومَ إذْ يقعُ ما ذُكِرَ ﴿يصدُرُ النَّاسُ﴾ من قبورِهم إلى موقفِ الحسابِ ﴿أشتاتًا﴾ متفرقينَ بحسبِ طبقاتِهم بيضِ الوجوهِ آمنينَ وسودِ الوجوهِ فزعينَ كما مرَّ في قولِه تعالَى: ﴿فتأتونَ أفواجا﴾ وقيلَ: يصدرُون عن الموقفِ أشتاتًا ذاتَ اليمينِ إلى الجنةِ وذاتَ الشمالِ إلى النارِ ﴿ليُرَوا أعمالَهم﴾ أي أجزيةَ أعمالِهم خيرًا كانَ أَوْ شرا وقرئَ ليَروا[6] بالفتحِ.

---

(١) سقط في خ.

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٣٧٤)، والترمذي (٤/ ٦١٩) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، برقم (٢٤٢٩)، والنسائي في السنن الكبرى (٦/ ٥٢٠) برقم (١١٦٩٣)، وابن حبان (١٦/ ٣٦٠) برقم (٧٣٦٠)، والحاكم (٢/ ٢٨١)، والبيهقي في الشعب (٥/ ٤٦٤) برقم (٧٢٩٨)، من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه-.
قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.
وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٣) قرأ بها: ابن مسعود.
ينظر: الكشاف للزمخشري (٤/ ٢٧٦)، والمعاني للفراء (٣/ ٢٨٤).

(٤) قرأ بها: سعيد بن جبير، وابن مسعود.
ينظر: تفسير الطبري (٣٠/ ١٧٢)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٢٧٦).

(٥) سقط في خ.

(٦) قرأ بها: نافع، والأعرج، وقتادة، والزهري، وحماد بن سلمة، وأبو حيوة، وعيسى، والحسن، ونصر بن عاصم، وطلحة.
ينظر: الإعراب للنحاس (٣/ ٧٥٣)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٥٧)، والبحر المحيط (٨/ ٥٠١، ٥٠٢)، وتفسير القرطبي (٢٠/ ١٥٠)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٢٧٦).

وقولـه تعالَى: ﴿فَمَنْ يعملْ مثقالَ ذرَّةٍ خيرًا يَرَه * ومَنْ يعملْ مثقالَ ذرَّةٍ شرا يَرَه﴾ [تفصيلٌ][(١)] ليرَوا وَقرئ (يُرَه)[(٢)] والذرةُ النملةُ الصغيرةُ وَقيلَ ما يُرى في شُعاعِ الشمسِ منَ الهباءِ وَأيا مَا كان فمَعنى رؤية ما يعادلُها منْ خيرٍ وشرٍّ إما مشاهدةُ جزائِه فَمَنِ الأُولى مختصةٌ بالسُّعداءِ والثانيةُ بالأشقياءِ كيفَ لا وحسناتُ الكافرِ محبطةٌ بالكفرِ وسيئاتُ المؤمنِ المجتنبِ عن الكبائرِ معفوةٌ، وما قيلَ مِنْ أن حسنةَ الكافرِ تؤثرُ في نقصِ العقابِ يردُّه قولُه تعالَى: ﴿وَقَدمنا إلى ما عمِلُوا من عملٍ فجعلناه هباءً منثورًا﴾ [سورة الفرقان، الآية ٢٣] وأما مشاهدةُ نفسِه من غيرِ أنْ يعتبرَ مَعَهُ الجزاءُ ولاَ عدمُه بلْ يفوضُ كلٌّ منهما إلى سائرِ الدلائلِ الناطقةِ بعفوِ صغائرِ المؤمنِ المجتنبِ عنِ الكبائرِ وإثابتِه بجميعِ حسناتِه وبحبوطِ حسناتِ الكافرِ ومعاقبتِه بجميعِ معاصيهِ فالمَعْنى ما رُوِيَ عنِ ابنِ عباسٍ رضيَ الله عنهُما: «ليسَ منْ مؤمنٍ وَلاَ كافرٍ عملَ خيرًا أو شرا إلا أراهُ الله تعالَى إيَّاهُ أما المؤمنُ فيغفرُ له سيئاتِه ويثيبُه بحسناتِه وأما الكافِرُ فيردُّ حسناتِه تحسرًا ويعاقبُه بسيئاتِه».

عنِ النبيِّ ﷺ: «**مَنْ قرأَ سورةَ إذَا زلزلتْ أربعَ مراتٍ كانَ كمَنْ قرأَ القرآنَ كُلَّه**»[(٣)] **والله أعلمُ**.

(١) في خ: تفسير.
(٢) قرأ بها: عاصم، والكسائي، وأبان، وابن عباس، والحسين بن علي، وعبد الله بن مسلم، وزيد بن علي، والكلبي، وأبو حيوة، وخليد بن نشيط، وعيسى بن عمر، والسلمي.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٥٠٢)، والتبيان للطوسي (١٠/ ٣٩٢)، وتفسير القرطبي (٢٠/ ١٥١)، والمجمع للطبرسي (١٠/ ٥٢٥)، والسبعة لابن مجاهد ص (٦٩٤) وتفسير الرازي (٣٢/ ٦١).
(٣) تقدم تخريجه.

سُورَةُ وَالعَادِيَاتِ

[مختلَفٌ فيها][1]، وآيُها إحدَى عشرةَ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلۡعَٰدِيَٰتِ ضَبۡحٗا ﴿١﴾ فَٱلۡمُورِيَٰتِ قَدۡحٗا ﴿٢﴾ فَٱلۡمُغِيرَٰتِ صُبۡحٗا ﴿٣﴾ فَأَثَرۡنَ بِهِۦ نَقۡعٗا ﴿٤﴾ فَوَسَطۡنَ
بِهِۦ جَمۡعًا ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٞ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٞ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلۡخَيۡرِ لَشَدِيدٌ
﴿٨﴾ ۞ أَفَلَا يَعۡلَمُ إِذَا بُعۡثِرَ مَا فِي ٱلۡقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمۡ يَوۡمَئِذٖ
لَّخَبِيرُۢ ﴿١١﴾

﴿والعادياتِ﴾ أقسمَ سبحانَهُ بخيلِ الغُزاةِ التي تعدُو نحوَ العدوِّ وقولُه تعالَى: ﴿ضَبْحًا﴾ مصدرٌ منصوبٌ إما بفعلِه المحذوفِ الواقعِ حالًا منها أي تضبحُ ضَبْحًا وهُو صوتُ أنفاسِها عندَ عدوها أوْ بالعادياتِ فإن العدوَ مستلزمٌ للضبحِ كأنَّه قيلَ: والضابحاتِ أو حالٌ على أنَّه مصدرٌ بمعنى الفاعلِ أيْ ضابحاتٌ ﴿فالمُورِياتِ قَدحًا﴾ الإيراءُ إخراجُ النَّارِ والقدحُ الصَّكُّ يقالَ قدحَ فأَوْرَى أيْ فالتي تُورِي النارَ منْ حوافرِها وانتصابُ قَدحًا كانتصابِ ضبحًا على الوجوهِ الثلاثةِ ﴿فالمُغيراتِ﴾ أسند الإغارةَ التي هيَ مباغتةُ العدوِّ للنهبِ أو للقتلِ أو للأسرِ إليَها وهيَ حالُ أهلِها وإيذانًا بأنَّها العمدةُ في إغارتِهم ﴿صُبْحًا﴾ أي في وقتِ الصبحِ وهو المعتادُ في الغاراتِ يعدونَ ليلًا لئلا يشعر بهمْ العدوّ ويهجمونَ عليهمْ صباحًا ليَرَوا مَا يأتونَ ومَا يذرونَ.

وَقولُه تعالَى: ﴿فأَثَرنَ بهِ﴾ عطفٌ على الفعلِ الذي دلَّ عَلَيهِ اسمُ الفاعلِ إذِ المَعْنى واللاتِي عدونَ فأورينَ فأغرنَ فأثرنَ بهِ أيْ فهيجنَ بذلكَ الوقتِ ﴿نَقْعًا﴾ أيْ غُبارًا وتخصيصُ إثارتِه بالصُّبحِ لأنَّه لا يثورُ أو لا يظهرُ ثورانُه بالليلِ وبهذا ظهرَ أنَّ الإيراءَ الذي لا يظهرُ في النهارِ واقعٌ في الليلِ ولله درُّ شأنِ التنزيلِ وَقيلَ النقعُ الصياحُ والجَلَبةُ وقرئ (فأثَّرنَ)[2] بالتشديدِ بمَعْنى فأظهرنَ بهِ غُبارًا لأنَّ التأثيرَ فيهِ مَعْنى

(١) سقط في خ.
(٢) قرأ بها: أبو حيوة، وابن أبي عبلة.

=

الإظْهارِ ﴿فوسَطْنَ بِهِ﴾ أي توسطنَ بذلك الوقتِ أو توسطنَ ملتبساتٍ بالنقع ﴿جَمْعًا﴾ من جموعِ الأعداءِ والفاءاتُ للدلالةِ عَلَى ترتبِ ما بعدَ كُلٍّ مِنْها عَلى ما قبلَها كَما في قولِه: [السّريع]

يَا لَهفَ [زَيّابةَ][1] للحارثِ الصَّابحِ فالغَانمِ فالآيبِ[2]

فإنَّ توسطَ الجمعِ مترتبٌ عَلى الإثارةِ المترتبةِ على الإغارةِ المترتبةِ على الإيراءِ المترتبِ على العدوِ.

وقولُه تعالَى: ﴿إنَّ الإنسانَ لربِّه لكنودٌ﴾ أَيْ لكفورٌ مِنْ كندَ النعمةَ كنودًا جوابُ القسمِ والمرادُ بالإنسانِ [بعضُ][3] أفرادِه.

رُوِيَ أنَّ رسولَ الله ﷺ بعثَ إلى أناسٍ منْ بنِي كنانةَ سريةً واستعملَ عليَها المنذرَ بنَ عمروٍ الأنصاريَّ وكانَ أحدَ النقباءِ فأبطأَ عليه عليهِ الصلاةُ والسلامُ خبرُهَا شهرًا فقالَ المنافقونَ إنُهم قُتلوا فنزلتْ السورةُ إخبارًا للنبيِّ عليهِ عليه الصلاةُ والسلامُ بسلامتِها وبشارةً لهُ بإغارتِها على القومِ ونعيًا على المُرجفينَ في حقِّهم مَا هُم فيهِ من الكنودِ وفي تخصيصِ خيلِ الغُزاةِ بالإقسامِ بها منَ البراعةِ ما لا مزيدَ عليهِ كأنه قيلَ: وخيلِ الغُزاةِ التي فعلتْ كيتَ وكيتَ وقد أَرجفَ هؤلاءِ في حقِّ أربابِها ما أرجفُوا أنهم مبالغونَ في الكفرانِ.

﴿وإنَّهُ على ذلكَ﴾ أيْ وإنَّ الإنسانَ على كنودِه ﴿لَشَهيدٌ﴾ يشهدُ عَلى نفسِه بالكنودِ لظهورِ أثرِه عليهِ ﴿وإنَّه لحبِّ الخيرِ﴾ أي المالِ كَما في قولِه تعالَى إنْ تركَ خيرًا.

﴿لشديدٌ﴾ أيْ قويٌّ مطيقٌ مجدٌّ في طلبِه وتحصيلِه متهالكٌ عليهِ يقالُ هُوَ شديدٌ لهذا الأمرِ وقويٌّ لَهُ إذا كانَ مطيقًا لَهُ ضَابطًا وقيلَ: الشديدُ البخيلُ أيْ إنَّه لأجلِ حُبِّ المالِ وثقلِ إنفاقِه عليهِ لبخيلٌ ممسكٌ ولعَلَّ وصفَهُ بهذا الوصفِ القبيحِ بعدَ وصفِه بالكنودِ للإيماءِ إلى أنَّ من جملةِ الأمورِ الداعيةِ للمنافقينَ إلى النفاقِ حبَّ المالِ لأنَّهم بما يظهرونَ من الإيمانِ يعصمونَ أموالَهُم ويحوزونَ من الغنائمِ نصيبًا.

وقولُه تعالَى: ﴿أَفَلا يعلمُ إذَا بُعثرَ مَا في القُبورِ﴾ . . . إلخ تهديدٌ ووعيدٌ والهمزةُ [للإنكارِ، والفاءُ][4] للعطفِ على مقدرٍ يقتضيهِ المقامُ أي أيفعلُ ما يفعلُ من القبائحِ أو أَلا يلاحظُ فلا يعلمُ حالَهُ إذا بعثَ منْ فِي القبورِ من المَوْتى وإيرادُ ما لكونِهم إذْ

= ينظر: البحر المحيط (٨/ ٥٠٤)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٢٧٨)، والمجمع للطبرسي (١٠/ ٥٢٨)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٣٧٠)، وتفسير الرازي (٣٢/ ٦٦).

(١) في خ: زنابة.
(٢) تقدم.
(٣) سقط في خ.
(٤) سقط في خ.

ذاكَ بمعزلَ عنْ رتبةِ العقلاءِ وقرئَ (بُحْثِرَ)[١] و(بُحِثَ)[٢] و(بَحْثَر)[٣] وبَحَثَ على بنائِهما للفاعلِ ﴿وَحُصِّلَ﴾ أَيْ جمعَ محصلًا أوْ ميز خيره من شرِّهِ وقرئَ (وحَصَّلَ)[٤] مبنيا للفاعلِ و(حَصَلَ)[٥] مخففًا ﴿مَا فِي الصُّدورِ﴾ منَ الأسرارِ الخفيةِ التي منْ جُملتِها ما يخفيه المنافقونَ من الكفرِ والمعاصِي فضلًا عن الأعمالِ الجليةِ ﴿إِنَّ رَبَّهم﴾ أي المبعوثينَ كَنَّى عنْهُم بعدَ الإحياءِ الثاني بضميرِ العُقلاءِ بعدَ مَا عبرَ عنهُمْ قبلَ ذلكَ بَما بناءً على تفاوتِهم في الحالينِ كما فعلَ نظيرهُ بعد الإحياءِ الأولِ حيثُ التفتَ إلى الخطابِ في قولِه تعالَى: ﴿وجعلَ لكم السمعَ والأبصارَ﴾ [سورة السجدة، الآية ٩] الآيةَ بعدَ قولِه: ﴿ثُمَّ سواهُ ونفخَ فيهِ من روحه﴾ [سورة السجدة، الآية ٩] إيذانًا بصلاحيتِهم للخطابِ بعد نفخِ الروح وبعدمِها قبلَه كما أُشيرَ إليهِ هناكَ ﴿بِهِم﴾ بذواتِهم وصفاتِهم وأحوالِهم بتفاصيلِها ﴿يومئذٍ﴾ يومَ[٦] إذْ يكونُ ما ذكرَ من بعثِ ما في القبورِ وتحصيلِ مَا فِي الصدورِ ﴿لخبيرٌ﴾ أيْ عالمٌ بظواهرِ ما عملُوا وبواطنِه علمًا موجبًا للجزاءِ متصلًا بهِ كما ينبئُ عنْهُ تقييدُه بذلكَ اليوم وإلاَّ فمطلقُ علمِه سبحانَهُ محيطٌ بَما كانَ وما سيكونُ وقولُه تعالَى بِهم ويومئذ متعلقانِ بخبيرِ قدمَا عليه لمراعاة الفواصلِ واللامُ غيرُ مانعةٍ من ذلكَ وقرأ ابنُ السَّماكِ (أنَّ ربَّهم بهمْ يومئذٍ خبيرٌ)[٧].

عن رسولِ الله ﷺ: «**مَنْ قرأَ سورةَ والعادياتِ أُعطِيَ منَ الأجرِ عشرَ حسناتٍ بعددِ منْ باتَ بمزدلفة وشهدَ جَمْعًا**»[٨].

---

(١) قرأ بها: ابن مسعود.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٥٠٥)، وتفسير القرطبي (٢٠/ ١٦٣)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٢٧٩)، والمعاني للفراء (٣/ ٢٨٦).

(٢) قرأ بها: الأسود بن زيد، وابن مسعود.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٥٠٥)، وتفسير الطبري (٣٠/ ١٨١)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٢٧٩)، والمعاني للفراء (٣/ ٢٨٦).

(٣) قرأ بها: نصر بن عاصم.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٥٠٥)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٢٧٩).

(٤) قرأ بها: ابن يعمر، ونصر بن عاصم، ومحمد بن أبي سعدان.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٥٠٥)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٢٧٩).

(٥) قرأ بها: يحيى بن يعمر، ونصر بن عاصم، وعبيد بن عامر، وسعيد بن جبير.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٥٠٥)، وتفسير القرطبي (٢٠/ ١٦٣)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٢٧٩).

(٦) في خ: أي يوم.

(٧) قرأ بها: أبو السمال، والحجاج.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٥٠٥)، وتفسير القرطبي (٢٠/ ١٦٣)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٢٧٩)، وتفسير الرازي (٣٢/ ٦٩).

(٨) تقدم تخريجه، وزاد في خ: والله الموفق بمنه وكرمه.

سُورةُ القارعةِ

مَكِّيةٌ وآيُها [إحدى][1] عشر

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلۡقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ﴿٣﴾ يَوۡمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلۡفَرَاشِ
ٱلۡمَبۡثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ٱلۡمَنفُوشِ ﴿٥﴾ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾
فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ ﴿٩﴾ وَمَآ
أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةُۢ ﴿١١﴾

﴿الْقَارِعَةُ﴾ القرعُ: هو الضربُ بشدةٍ واعتمادٍ بحيثُ يحصلُ منهُ صوتٌ شديدٌ وَهيَ القيامةُ التي مبدؤُهَا النفخةُ الأُولى ومُنتهاهَا فصلُ القضاءِ بينَ الخلائقِ كما مرَّ في سورةِ التكويرِ سميتْ بها لأنَّها تقرعُ القلوبَ والأسماعَ بفنونِ الأفزاعِ والأهوالِ وتُخْرِجُ جميعَ الأجرامِ العلويةِ والسفليةِ منْ حالٍ إلى حالِ السماءَ بالانشقاقِ والانفطارِ والشمسَ والنجومَ بالتكويرِ والانكدارِ والانتشارِ والأرضَ [بالزلزالِ والتبديلِ][2] والجبالَ بالدكِّ والنسفِ وهيَ مبتدأٌ خبرُهُ قولُه تعالَى: ﴿مَا الْقَارِعَةُ﴾ على أنَّ مَا الاستفهاميةَ خبر القارعة مبتدأً لا بالعكسِ لَما مرَّ غيرَ مرةٍ أنَّ محطَّ الفائدةِ هُوَ الخبرُ لا المبتدأُ ولا ريبَ في أنَّ مدارَ إفادةِ الهولِ والفخامةِ هاهنا هُو كلمةُ مَا [لا][3] القارعةِ أيْ أيُّ شيءٍ عجيبٍ هيَ في الفخامةِ والفظاعةِ وقد وضع الظاهر موضعَ الضميرِ تأكيدًا [للتهويل، وقوله تعالى: ﴿وما أدراك ما القارعة﴾ تأكيد][4] لهولِها وفظاعتِها ببيانِ خروجِها عنْ دائرةِ علوم الخلقِ على مَعْنى أنَّ عِظَمَ شَأْنِها ومَدَى شِدَّتِها بحيثُ لا تكادُ تنالُه درايةُ أحدٍ حَتَّى يدريَكَ بها وَمَا فِي حيزِ الرفعِ على الابتداءِ وأدراكَ هو الخبرُ وَلا سبيلِ إلى العكسِ هاهنا ومَا القارعةُ جملةٌ كما مَرَّ محلّها النصبُ على نزعِ الخافضِ لأنَّ أَدْرى يتعدَّى إلى المفعولِ الثاني بالباءِ كما في قولِه تعالَى: ﴿ولا أدراكم بهِ﴾ [سورة يونس، الآية ١٦] فلما وقعتْ الجملةُ الاستفهاميةُ معلقةً لهُ كانتْ

(١) سقط في ط.
(٢) سقط في خ.
(٣) سقط في خ.
(٤) سقط في ط.

فِي مَوْقعِ المفعولِ الثاني له والجملةُ الكبيرةُ معطوفةٌ على ما قبلَها من الجملةِ الواقعةِ خبرًا للمبتدأِ الأولِ أيْ وأيُّ شيءٍ أعلمكَ مَا شأنُ القارعةِ ولما كانَ هذَا منبئًا عن الوعدِ الكريم بإعلامِها أنجزَ ذلكَ بقولِه تعالَى: ﴿يومَ يكُونُ النَّاسُ كَالفراشِ المَبْثوثِ﴾ عَلَى أنَّ يومَ مرفوعٌ عَلَى أَنَّهُ خبرُ مبتدأٍ محذوفٍ وحركتُه الفتحُ لإضافتِه إلى الفعلِ وإنْ كانَ مضارعًا كَما هُو رأيُ الكوفيينَ أيْ هيَ يومٌ يكونُ الناسُ فيهِ كالفراشِ المبثوثِ في الكثرةِ والانتشارِ والضعفِ والذلةِ والاضطرابِ والتطايرِ إلى الداعِي كتطايرِ الفَراشِ إلى النارِ أو منصوبٌ بإضمارِ اذكُرْ كأنَّه قيلَ بعدَ تفخيم أمرِ القارعةِ وتشويقِه - عليه الصلاةُ والسلامُ - إلى معرفتِها: اذكُرْ يومَ يكونُ الناسِ. . .إلخ فإنَّه يدريكَ ما هيَ هَذا وقد قيلَ: إنه ظرفٌ ناصبُه[1] مضمرٌ يدلُّ عليهِ القارعةُ أيْ تقرعُ يومَ يكونُ الناس. . .إلخ وقيلَ: تقديرُه ستأتيكُم القارعةُ يومَ يكونُ. . .إلخ.

﴿وتكُونُ الجبالُ كالعِهْنِ المَنْفُوشِ﴾ أي كالصوفِ الملونِ بالألوانِ المختلفةِ المندوفِ في تفرقِ أجزائِها وتطايرِها في الجوِّ حسبَما نطقَ بهِ قولُه تعالَى: ﴿وترَى الجبالَ تحسبُها جامدةً وهي تمرُّ مرَّ السحابِ﴾ [سورة النمل، الآية ٨٨] وكِلا الأمرينِ من آثارِ القارعةِ بعد النفخةِ الثانيةِ عندَ حشرِ الخلقِ يبدلُ الله عزَّ وجلَّ الأرضَ غيرَ الأرضِ [ويغيرُ هيئاتِها][2] ويسيرُ الجبالَ عن مقارِّهَا عَلى ما ذُكِرَ مِنَ الهيئات الهائلةِ ليشاهدَها أهلُ المحشرِ وهيَ وإنْ اندكتْ وتصدعتْ عندَ النفخةِ الأُولى لكن تسييرها وتسوية الأرضِ إنما يكونانِ بعد النفخةِ الثانيةِ كما ينطقُ به قولُه تعالَى: ﴿ويسألونكَ عن الجبالِ * فقُلْ ينسفها ربِي نسفًا * فيذرها قاعًا صفصفًا * لا ترَى فيها عوجًا ولا أمتًا * يومئذٍ يتبعون الداعي﴾ [سورة طٰه، الآية ١٠٥] وقولُه تعالَى: ﴿يومَ تبدلُ الأرضُ غيرَ الأرضِ والسموات وبرزوا لله الواحدِ القهارِ﴾ [سورة إبراهيم، الآية ٤٨] فإنَ اتّباعَ الداعِي الذي هُو إسرافيلُ عليهِ السلامُ وبروز الخلقِ لله سبحانَهُ لا يكونُ إلا بعدَ البعثِ قطعًا وقد مرَّ تمامُ الكلامِ في سورةِ النمل وقولُه تعالَى: ﴿فأمَّا من ثقُلتْ موازينُه﴾. . . إلخ بيانٌ إجماليٌّ لتحزبِ الناسِ إلى حزبينِ وتنبيهٌ على كيفيةِ الأحوالِ الخاصَّةِ بكل منهُمَا إثرَ بيانِ الأحوالِ الشاملةِ للكُلِّ والموازينُ إمَّا جمعُ الموزونِ وهُوَ العملُ الذي لَهُ وزنٌ وخطرٌ عندَ الله كما قالَهُ الفَرَّاءُ أو جمعُ ميزان قالَ ابنُ عباسٍ رضيَ الله عنهما إنه ميزانٌ له لسانٌ وكِفتانِ لا يوزنُ فيهِ إلا الأعمالُ قالوا توضعُ فيه صحائفُ الأعمالِ فينظرُ إليهِ الخلائقُ إظهارًا للمعدلةِ[3] وقطعًا للمعذرةِ وقيل: الوزنُ

---

(١) في خ: ناصب.
(٢) سقط في خ.
(٣) في خ: للعدالة.

عبارةٌ عن القضاءِ السويِّ والحكم العادلِ وبهِ قال مجاهدٌ والأعمشُ والضحاكُ واختارَهُ كثيرٌ من المتأخرينَ قالوا إنَّ الميزانَ لا يتوصلُ بِهِ إلا إلى معرفةِ مقاديرِ الأجسامِ فكيفَ يمكنُ أن يعرفَ به مقاديرُ الأعمالِ التي هيَ أعراض عرضية منقضيةٌ؟! وقيلَ: إن الأعمالَ الظاهرة في هذهِ النشأةِ بصورٍ عرضية تبرزُ في النشأةِ الآخرةِ بصورٍ جوهريةٍ مناسبةٍ لها في الحُسْنِ والقُبحِ وقد رُوي عنْ ابن عباس رضيَ الله عنهما أنَّه يُؤتى بالأعمالِ الصالحةِ على صُورٍ حسنةٍ وبالأعمالِ السيئةِ على صورٍ قبيحةٍ فتوضعُ في الميزانِ أيْ فمَنْ ترجحتْ مقاديرُ حسناتِه ﴿فَهُو في عيشةٍ راضيةٍ﴾ أي ذاتُ رِضا أو مرضيةٍ ﴿وأمَّا منْ خفتْ موازينُه﴾ بأنْ لم يكُنْ له حسنةٌ يعتدُّ بها أو ترجحتْ سيئاتُه على حسناتِه ﴿فأُمُّه﴾ أيْ فمأواهُ ﴿هَاوِيةٌ﴾ هيَ من أسماءِ النارِ سميتْ بها لغايةِ عُمْقِها وبعدِ مَهْواها.

رُويَ أنَّ أهلَ النارِ تهوِي فيها سبعينَ خريفًا[١]، وقيلَ إنها اسمٌ للبابِ الأسفلِ مِنْهَا[٢] وعبرَ عنِ المأْوى باللام لأنَّ أهلَها يأوونَ إليها كما يأوِي الولدُ إلى أمه وعنْ قتادةَ وعكرمةَ والكلبيِّ رضي الله عنهم أنَّ المعنى فأُمُّ رأسِه هاويةٌ في قعرِ جهنَم لأنَّه يطرحُ فيهَا منكوسًا والأولُ هو الموافقُ لقولِه تعالَى: ﴿وَمَا أدراكَ ما هيَه * نارٌ حاميةٌ﴾ فإنه تقريرٌ لهَا بعدَ إبهامِها والإشعار بخروجِها عنِ الحدودِ المعهودةِ للتفخيمِ والتهويلِ وهيَ ضميرُ الهاويةِ والهاءُ للسكتِ [وإذَا وصلَ][٣] القارئ حذفَها وقيلَ: حقُّه ألا يُدرجَ لئلا يسقطها الإدراجُ لأنها ثابتةٌ في المصحفِ وقد أجيز إثباتُها مع الوصلِ.

عنِ النبيِّ ﷺ: **«مَنْ قرأَ القارِعةَ ثَقَّلَ الله تعالَى [بِه ميزانَهُ][٤] يومَ القيامةِ»**[٥].

---

(١) رواه الحاكم (٤/٥٩٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ إن الرجل ليتكلم بالكلمة ما يظن أن تبلغ ما بلغت يهوي بها سبعين خريفًا في النار».
وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي ورواه أحمد في المسند (٢/٢٩٧، ٣٥٥، ٥٣٣) وأبو يعلى في مسنده (١١/١٠٩) رقم (٦٢٣٥) وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٤/٢٧٢) لإسحاق بن راهويه والبزار في مسنديهما وفيه أحاديث منها حديث أبي هريرة.
أخرجه البخاري (١٣/١٠١) كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان الحديث (٦٤٧٧، ٦٤٧٨) ومسلم (٩/٣٤٣-نووي) كتاب الزهد والرقائق، باب التكلم بالكلمة يهوي بها في النار الحديث (٢٩٨٨) والترمذي (٤/٥٥٧) كتاب الزهد، باب فيمن تكلم بكلمة يضحك بها الناس الحديث (٢٣١٤) وابن ماجه (٢/١٣١٣) كتاب الفتن، باب كف اللسان في الفتنة الحديث (٣٩٧٠): والبيهقي (٨/١٦٤) كتاب قتال أهل البغي، باب ما على الرجل من حفظ اللسان.

(٢) في خ: فيها.

(٣) في خ: وأوصل.

(٤) في خ: موازينه.

(٥) تقدم تخريجه، وزاد في خ: والله أعلم.

سُورَةُ التَّكَاثُرِ

[مختلَفٌ فيها، وآيُها ثمانٍ][1]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ
﴿٤﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴿٧﴾
ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴿٨﴾

﴿ألهاكُم التَّكَاثُرُ﴾ أيْ شغلكُم التغالبُ في الكثرةِ وَالتفاخرُ بها. رُوِيَ أنَّ بَنِي عبدِ مَنَافٍ وبَنِي سَهْم تَفَاخرُوا وَتعادُّوا وَتكاثرُوا بالسَّادةِ والأشرافِ في الإسلام فقالَ كلٌّ منَ الفريقينِ نحنُ أكثرُ منكُم سيدًا وأعزُّ عزيزًا وَأعظمُ نفرًا فكثرَهُمْ بنُو عبدِ مَنَافٍ فَقَالَ بنُو سَهْم: [إنْ البغي أفنانَا في الجَاهليةِ فعادُّونَا بِالأحياءِ وَالأمْواتِ فكثرهُمْ بنُو سَهْم][2] وَالمَعنى أنكُم تكاثرتُم بالأحياءِ ﴿حَتَّى زُرْتُم المقابر﴾ أيْ حَتَّى إذَا استوعبتُمْ[3] عددهُم صرتُمْ إلى التفاخرِ والتكاثرِ بالأمواتِ فعبرَ عنْ بلوغِهم ذكرَ المَوتى بزيارةِ القبورِ تهكُمًا بِهمْ وقيلَ كَانُوا يزورونَ المقابر فيقولونَ هَذَا قبرُ فُلانٍ وهَذا قبرُ فُلانٍ يفتخرونَ بذلكَ وقيلَ: المَعْنى ألهاكُم التكاثُر بالأموالِ وَالأولادِ إلى أَنْ متمْ وقبرتمْ مضيعينَ أعمارَكُم في طلبِ الدُّنيا معرضينَ عَمَّا يهمكُم من السعي لأُخرَاكُم فتكونُ زيارةُ القبورِ عبارةً عنِ الموتِ وقرئ (أألهاكُم)[4] عَلى الاستفهام التقريريِّ ﴿كَلاَّ﴾ رَدْعٌ وتنبيهٌ عَلَى أنَّ العاقل ينبغي ألا يكونَ معظمُ هَمِّه مقصُورًا عَلى الدُّنيا فإنَّ عاقبةَ ذلكَ وخَيمةٌ ﴿سوفَ تعلمونَ﴾ سوءَ مغبةِ مَا أنتُم عليهِ إذَا عاينتُمْ عاقبتَهُ.

﴿ثُمَّ كلا سوفَ تعلمُونَ﴾ تكريرٌ للتأكيدِ وثمَّ للدلالةِ عَلَى أنَّ الثَّانِي أبلغُ منَ الأولِ

---

(١) في خ: وآيها ثمانٍ مكية.
(٢) سقط في خ.
(٣) في خ: استوجبتم المقابر.
(٤) قرأ بها: الكسائي، وابن عباس، والشعبي، وأبو العالية، وأبو بكر، وابن أبي عبلة.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٥٠٨)، والتبيان للطوسي (١٠/ ٤٠١)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٢٨١).

[أوِ الأولُ][(١)] عندَ الموتِ أو في القبرِ والثَّانِي عندَ النشورِ ﴿كَلا لوْ تعلمونَ علمَ اليقينِ﴾ أَيْ لَوْ تعلمونَ ما بينَ أيديكُم علم الأمرِ اليقينِ أيْ كعلمكِم ما تستيقنونَهُ لفعلتُم ما لاَ يُوصفُ ولاَ يكتنهُ فحذفَ الجوابَ للتهويلِ.

وقولُه تعالَى: ﴿لترَونَّ الجَحيمَ﴾ جوابُ قسم مضمرٍ أُكِّدَ بهِ لَهُ الوعيدُ وشددَ بهِ التهديدُ وأوضحَ بِهِ مَا أُنذروُه بعدَ إبهامِهِ تفخيمًا ﴿ثُمَّ لترونَّها﴾ تكريرٌ للتأكيدِ أوِ الأُولى إذَا رأتهُمْ منْ مكانٍ بعيدٍ والثانيةُ إذَا وردُوها أوِ المرادُ بِالأولَى المعرفةُ وبالثانيةِ المشاهدةُ والمعاينةُ ﴿عَيْنَ اليقينِ﴾ أَيِ الرؤيةُ التي هيَ نفسُ اليقينِ فإنَّ علمَ المشاهدةِ أَقْصى مراتبِ اليقينِ ﴿ثُمَّ لتسألنَّ يومئذٍ عنِ النَّعيمِ﴾ أيْ عنِ النعيم الذي ألهاكُم الالتذاذُ بهِ عنِ الدينِ وتكاليفِه فإنَّ الخطابَ مخصوصٌ بمنْ عكفَ همتَهُ عَلى استيفاءِ اللذاتِ وَلَمْ يعشْ إلاَّ ليأكلَ الطيبَ ويلبسَ اللينَ ويقطعَ أوقاتَهُ باللهوِ والطَّرَبِ لاَ يعبأُ بالعلمِ وَالعملِ ولا يحملُ نفسَهُ مشاقهما فأمَّا منْ تمتعَ بنعمةِ الله تعالَى وتقوَّى بها عَلى طاعتِهِ وكانَ ناهضًا بالشكرِ - فهُوَ منْ ذلكَ بمعزلٍ بعيدٍ وَقيلَ: الآيةُ مخصوصةٌ بالكفارِ.

عنِ النبيِّ ﷺ: «**مَنْ قرأَ سورةَ التكاثرِ لَمْ يحاسبْهُ الله تعالَى بالنعيمِ الذي أنعمَ بهِ عليهِ في دارِ الدُّنيا وأُعطيَ منَ الأجرِ كأنما قرأَ ألفَ آيةٍ**»[(٢)].

---

(١) سقط في خ.
(٢) تقدم تخريجه، وزاد في خ: والله الموفق بمنه وكرمه.

سورةُ العصرِ(١)

مكيةٌ وآيُها ثلاثٌ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾

﴿والعصرِ﴾ أقسمَ سبحانَهُ بصلاةِ العصرِ لفضلِها الباهرِ أوْ بالعَشي الذَّي هُوَ ما بينَ الزوالِ والغروبِ كما أقسمَ بالضُّحى أو بعصرِ النبوةِ لظهورِ فضلِه عَلى سائرِ الأعصارِ [أو بالدهرِ](٢) لانطوائِه عَلى تعاجيبِ الأمورِ القارةِ والمارةِ ﴿إنَّ الإنسانَ لفي خُسرٍ﴾ أيْ خُسران في متاجرِهم ومساعيهم وصرفِ أعمارِهم في مباغيهم والتعريفُ للجنسِ والتنكيرُ [للتعظيم](٣) ﴿إلا الذينَ آمنُوا وعملُوا الصَّالِحاتِ﴾ فإنهم في تجارةٍ لنْ تبورَ حيثُ باعُوا الفانيَ الخسيسَ واشترَوا الباقيَ النفيسَ واستبدلُوا الباقياتِ الصالحاتِ بالعادياتِ الرائحاتِ فيا لهَا منْ صفقةٍ ما أربَحها وَهَذا بيانٌ لتكميلِهم لأنفسِهم وقولُه تعالَى: ﴿وتَوَاصَوْا بالحقِّ﴾... إلخ بيان لتكميلِهم لغيرِهم أيْ وَصَّى بعضُهم بعضًا بالأمرِ الثابتِ الذي لا سبيلَ إلى إنكارِه ولا زوالَ في الدارينِ لمحاسنِ آثارِه وهُو الخيرُ كُلُّه منَ الإيمانِ بالله عزَّ وجَلَّ واتباعِ كتبهِ ورسلِه في كُلِّ عقدٍ وعملٍ ﴿وتَوَاصَوْا بِالصَّبرِ﴾ أيْ عنِ المعاصِي التي تشتاقُ إليها النفسُ بحكمِ الجِبلّةِ البشريةِ وعَلى الطاعاتِ التي يشقُّ عليَها أداؤُها أوْ عَلى ما يبلُو الله عَزَّ وجلَّ بهِ عبادَهُ وتخصيص هَذا التواصِي بالذكرِ مع اندراجِه تحتَ التواصِي بالحقِّ لإبرازِ كمالِ الاعتناءِ بهِ أو لأنَّ الأولَ عبارةٌ عن رتبةِ العبادةِ التي هيَ فعلُ ما يَرضى بهِ الله تعالَى والثانِي عن رتبةِ العبوديةِ التي هي الرِّضا بما فعلَ الله تعالَى فإنَّ المرادَ بالصبرِ ليسَ

(١) في ط: والعصر.

(٢) في خ: أو بالعصر الدهر.

(٣) في خ: للتفخيم.

مجردَ حبسِ النفسِ عما تتشوقُ[١] إليهِ من فعلٍ وتركٍ بلْ هُو تلقي ما وردَ منْه تعالَى بالجميلِ والرِّضا بهِ ظاهرًا وباطنًا.

عنْ رسولِ الله ﷺ **«مَنْ قرأ سورةَ والعصرِ غفرَ الله تَعَالَى لَهُ وكانَ ممنْ تواصَى بالحقِّ وتواصَى بالصبر»**[٢].

(١) في خ: تتوق.

(٢) تقدم تخريجه.

سُورَةُ الهُمَزَةِ

مَكِّيةٌ وآيُها تسعٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ الَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ﴿٢﴾ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ﴿٣﴾
كَلَّا لَيُنۢبَذَنَّ فِى الْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا الْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ الَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى
الْأَفْـِٔدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ﴿٩﴾

﴿وَيلٌ﴾ مبتدأٌ خبرُهُ **﴿لِكُلِّ همزةٍ لمزةٍ﴾** وساغَ الابتداءُ بِه معَ كونِه نكرةً لأنهُ دعاءٌ عليهم بالهلكةِ أو بشدةِ الشرِّ والهَمْزُ الكسرُ كالهزمِ واللمز الطعنُ كاللهزِ شَاعا في الكسرِ مِنْ أعراضِ النَّاسِ والطعن فيهمْ وبناء فُعَلةٍ للدلالةِ عَلى أنَّ ذلكَ منْهُ عَادةٌ مُستمرةٌ قَد ضَرِي بها وكذلكَ اللُّعَنةُ والضُّحَكَةُ وقرئ (لكُلِّ هُمْزةٍ لُمْزةٍ)[1] بسكونِ الميم وهُوَ المسخرةُ[2] الذي يأتي بالأضاحيكِ فيضحكُ منْهُ ويُستهزأُ بِهِ وقيلَ: نزلتْ في الأخنسِ بْنِ شُرَيقٍ فإنَّهُ كانَ ضاريًا بالغِيْبةِ والوقيعةِ، وقيلَ: في أميةَ بنِ خَلَفٍ، وقيلَ: في الوليدِ بْنِ المغيرةِ واغتيابِه لرسولِ الله ﷺ وغضه مِنْ جنابِه الرفيعِ واختصاصُ السببِ لا يستدعي خصوصَ الوعيدِ بهم بلْ كلُّ منْ اتصفَ بوصفهِم القبيح فلَهُ ذنوبٌ منْهُ مثلُ ذنوبِهم **﴿الذي جمعَ مالا﴾** بدلٌ منْ كُلٍّ أوْ منصوبٌ أو مرفوعٌ على الذمِّ وَقرئ (جَمَّعَ)[3] بالتشديدِ للتكثيرِ وتنكيرُ مالًا للتفخيمِ والتكثيرِ الموافق لقولِه

---

(١) قرأ بها: أبو جعفر محمد بن علي، والأعرج.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٥١٠)، وتفسير القرطبي (٢٠/ ١٨٢)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٢٨٤)، وتفسير الرازي (٣٢/ ٩١).

(٢) في خ: الشيء.

(٣) قرأ بها: ابن عامر، وحمزة، والكسائي، وأبو جعفر، وروح، وخلف، وأبو عبيد، والأعمش، ويحيى بن وثاب، والحسن، وأبو العالية، ونصر بن عاصم.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٤٣)، والإعراب للنحاس (٣/ ٧٧٦)، والتيسير للداني ص (٢٢٥)، والغيث للصفاقسي ص (٣٩٤)، والكشف للقيسي (٢/ ٣٨٩)، والمعاني للأخفش (٢/ ٥٤٤).

تعالَى: ﴿وَعَدَّدَهُ﴾ وقيلَ: مَعْنى عَدَّدَهُ جعلَهُ عدةً لنوائبِ الدَّهرِ [وَقرئ (وَعَدَدَهُ)(١) أيْ جمعَ المالَ وضبطَ عَدَدَهُ أوْ جمعَ مالَهُ](٢) وعددَهُ الذينَ ينصرونَهُ منْ قولِك فلانٌ ذُو عُددٍ وَعَددٍ إِذَا كانَ لَهُ عددٌ وافرٌ منَ الأنصارِ والأعوانِ وقيلَ هُو فعلٌ ماضٍ بفكِّ الإدغامِ ﴿يحسبُ أنَّ مالَهُ أخلدَهُ﴾ أيْ يعملُ عملَ منْ يظنُّ أنَّ مالَهُ يبقيهِ حيا والإظهارُ في موقِعِ الإضمارِ لزيادةِ التقريرِ وقيلَ طَوَّلَ المالُ أَمَلَه وَمَنَّاهُ الأَمَانيِّ البعيدةَ حَتَّى أصبحَ لفرطِ غفلتِه وطولِ أملِه يحسبُ أنَّ المالَ تركَهُ خَالدًا في الدُّنيا لا يموتُ وقيلَ هُو تَعريضٌ(٣) بالعملِ الصالحِ والزهدِ في الدُّنيا وأنَّه هُوَ الذي أخلدَ صاحبَهُ في الحياةِ الأبديةِ والنعيمِ المقيمِ فأمَّا المالُ فليسَ بخالدٍ ولا مخلد. ورُوِيَ أنَّ الأخنسَ كانَ لَهُ أربعةُ آلافِ دينارٍ وقيلَ: عشرةُ آلافٍ والجملةُ مستأنفةٌ أو حالٌ منْ فاعلِ جَمَع ﴿كَلاَّ﴾ ردعٌ لهُ عنْ ذلكَ الحسبانِ الباطلِ وَقولُه تعالَى: ﴿لينبذنَّ﴾ جوابُ قسمٍ مقدرٍ وَالجملةُ استئنافٌ مبينٌ لعلةِ الردعِ أيْ واللهِ ليطرحنَّ بسببِ تعاطيه للأفعالِ المذكورةِ ﴿في الحُطَمة﴾ أيْ في النارِ التي شأنُها أنْ تحطمَ وتكسرَ كُلَّ مَا يُلْقَى فيهَا كَما أَنَّ شأنَهُ كسرُ أعراضِ النَّاسِ وجمعُ المالِ.

وَقولُه تعالَى: ﴿وما أدراك ما الحطمة﴾ لتهويلِ أمرِهَا ببيانِ أَنَّها ليستْ منِ الأمورِ التي تنالهَا(٤) عقولُ الخلقِ، وقولُه تعالَى: ﴿نارُ اللهِ﴾ خبرُ مبتدأٍ محذوفٍ والجملةُ بيانٌ لشأنِ(٥) المسؤولِ عَنْها أيْ هيَ نارُ اللهِ ﴿الموقدةُ﴾ بأمرِ اللهِ عزَّ سلطانُهُ وفي إضافتِها إليهِ سُبحانَهُ ووصفِهَا بالإيقادِ منْ تهويلِ أمرِهَا مَا لاَ مزيدَ عليهِ ﴿التي تطلع على الأفئدة﴾ أيْ تعلُو أوساطَ القلوبِ وتغشاهَا وتخصيصُها بالذكرِ لما أنَّ الفؤادَ ألطفُ ما في الجسدِ وأشدُّه تألمًا بأدْنى أَذى يمسُّهُ أوْ لأَنَّه محلُ العقائدِ الزائغةِ والنياتِ الخبيثةِ ومنشأُ الأعمالِ(٦) السيئةِ.

﴿إِنَّها عليهمْ مُؤصدةٌ﴾ أي مطبقة من أوصدت الباب وآصدته أي أطبقته. ﴿في عمدٍ ممددة﴾ إمَّا حالٌ منَ الضميرِ المجرورِ في عليهمْ أيْ كائنينَ في عمدٍ ممددةٍ أيْ موثقينَ فيهَا مثل المقاطرِ التي تُقطرُ فيهَا اللصوصُ أوْ خبرُ مبتدأ مضمرٍ أيْ هُمْ في

---

(١) قرأ بها: الحسن، والكلبي، ونصر بن عاصم، وأبو العالية.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٤٣)، والإعراب للنحاس (٣/ ٧٦٦)، والبحر المحيط (٨/ ٥١٠)، وتفسير القرطبي (٢٠/ ١٨٣)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٢٨٣)، والمعاني للفراء (٣/ ٢٩٠).
(٢) سقط في خ.
(٣) في خ: تعويض.
(٤) في خ: تتناولها.
(٥) في خ: لشمول.
(٦) زاد في خ: الخبيثة.

عمدٍ أو صفةٌ لمؤصدةٍ قالَه أبُو البقاءِ أيْ كائنةٌ في عمدٍ ممدودةٍ بأنْ تؤصدَ عليهمْ الأبوابُ وتمددَ على الأبوابِ العمدُ استيثاقًا في استيثاقٍ اللهمَّ [بفضلك وكرمك يا كريم ياأكرم الأكرمين وأرحم الراحمين][1] أجرنَا منها يا خيرَ مستجارٍ وَقرِئَ (عُمُدٍ)[2] بضمتينِ.

عن النبيِّ ﷺ: **«مَنْ قرأَ سورةَ الهمزةِ أعطاهُ الله تعالَى عشرَ حسناتٍ بعددِ منِ استهزأَ بمحمدٍ وأصحابِهِ»**[3].

---

(١) سقط في ط.

(٢) قرأ بها: حمزة، والكسائي، وعاصم، والحسن، وشعبة، والأعمش، وعلي، وابن مسعود، وزيد بن ثابت، ويحيى بن وثاب، وخلف.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٤٣)، والإعراب للنحاس (٣/ ٧٦٨)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٥٨)، والبحر المحيط (٨/ ٥١٠)، والتبيان للطوسي (١٠/ ٤٠٦)، والسبعة لابن مجاهد ص (٦٩٧)، والغيث للصفاقسي ص (٣٩٤).

(٣) تقدم تخريجه، وزاد في خ: والله الموفق بمنه وكرمه للصواب.

سُورةُ الفيلِ

مَكِّيةٌ وَآيُها خَمْسٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ
طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾

﴿أَلَم تَر كيفَ فعلَ ربُّكَ بأصحابِ الفيلِ﴾ الخطابُ لرسولِ الله ﷺ والهمزةُ لتقريرِ رؤيتِه - عليهِ الصلاةُ والسلامُ - بإنكارِ عَدَمِها وكيفَ معلقةٌ لفعلِ الرؤيةِ منصوبةٌ بما بعدَهَا والرؤيةُ عِلْميةٌ أيْ ألمْ تعلَمْ علمًا رصينًا متاخمًا للمشاهدةِ والعَيَانِ باستماعِ الأخبارِ المتواترةِ ومعاينةِ الآثارِ الظَّاهرةِ وَتعليقُ الرؤيةِ بكيفيةِ فعلِه عَزَّ وَجَلَّ لاَ بنفسِه بأَنْ يقالَ ألم ترَ ما فعلَ ربُّكَ. . .إلخ لتهويلِ الحادثةِ [والإيذانِ بوقوعِها][(١)] عَلَى كيفيةٍ هائلةٍ وهيئةٍ عجيبةٍ دالةٍ عَلَى عظم قُدرةِ الله تعالَى وكمالِ علمهِ وحكمتِه وعزةِ بيتِه وشرفِ رسولِه عليهِ الصلاةُ والسلامُ فإنَّ ذلكَ منَ الإرهاصاتِ لما رُوي أنَّ القصةَ وقعتْ في السنةِ التي ولدَ فيها النبيُّ عليهِ الصلاةُ والسلامُ وتفصيلُها أنَّ أبرهةَ بْنَ الصبَّاحِ الأشرمَ ملكَ اليمنِ مِنْ قبلِ أصحمةَ النجاشيِّ بنَى بصنعاءَ كنيسةً وسَمَّاها القُلَّيْسَ[(٢)] وأرادَ أنْ يصرفَ إليها الحاجَّ فخرجَ رجلٌ منْ كِنانةَ فقعدَ فيهَا ليلًا فأغضبهُ ذلكَ وقيلَ أججتْ رفقةٌ منَ العربِ نارًا فحملتها الريحُ فأحرقتَها فحلفَ ليهدمنَّ الكعبةَ فخرجَ معَ[(٣)] جيشِه ومعه فيلٌ له اسمه محمودٌ وكانَ قويا عظيمًا واثنا عشرَ فيلًا غيرهُ وقيلَ: ثمانيةٌ وقيل: ألفٌ وقيلَ: كانَ معه الفيل محمود وَحْدَهُ فلما بلغَ المُغمَّسَ خرجَ إليه عبدُ المطلبِ وعرضَ عليه ثلثَ أموالِ تهامةَ ليرجعَ فأبى وعبَّأَ جيشَهُ وقدَّمَ الفيلَ فكانَ كلمَا وجهوه إلى الحرم بركَ ولم يبرحْ وإذا وجهوه إلى اليمنِ أو إلى غيرِه منَ الجهاتِ هرولَ فأرسلَ الله تعالَى طيرًا سُودًا وقيلَ: خُضرًا وقيل: بيضًا مع كُلِّ طائرٍ

---

(١) في خ: والإنذار وقوعها.

(٢) في خ: التنيس.

(٣) في خ: من الحبشة ومعه.

حجرٌ في منقارِه وحجرانِ في رجليهِ أكبرُ من العدسةِ وأصغرُ من الحمصَةِ فكانَ الحجرُ يقعُ عَلى رأسِ الرجلِ فيخرجُ من دُبُرِه وعلى كُلِّ حجرٍ اسمُ منْ يقعُ عليهِ ففروا فهلكُوا في كلِّ طريقٍ ومنهلٍ. ورويَ أنَّ أبرهةَ تساقطتْ أناملُه وآرابُه[١] وما ماتَ حتى انصدعَ صدْرُهُ عن قلبهِ وانفلتَ وزيرُهُ أبو يكسومَ وطائرٌ يُحلِّقُ فوقَهُ حتى بلغَ النجاشي فقصَّ عليهِ القصةَ فلما أتمَّها وقعَ عليهِ الحجرُ فخرَّ ميتًا بينَ يديه وقيلَ: إنَّ أبرهةَ أخذَ لعبدِ المطلبِ مائتي بعيرٍ فخرجَ إليهِ في شأنِها فلما رآه أبرهةُ عظُمَ في عينِه وكانَ رجُلًا وَسيمًا جَسيمًا وقيلَ: هذا[٢] سَيِّدُ قُريشٍ وصاحبُ عِيرِ مكةَ الذي يطعمُ الناسَ في السهلِ والوحوشَ في رؤوسِ الجبالِ [فنزلَ أبرهةُ عن سريرِه وجلسَ عَلَى بساطِه وقيل: أجلَسه مَعَهُ على سريرِه ثم قالَ لترجمانِه قُلْ لَهُ ما حاجتُكَ][٣] فلما ذكرَ حاجتَهُ قالَ: سقطتَ مِنْ عَينِي حيثُ جئتُ لأهدمَ البيتَ الذي هُوَ دينُكَ ودينُ آبائِك وعصمتُكم وشرفُكم في قديمِ الدهرِ لا تكلمِني فيهِ ألهاكَ عنْهُ ذَودٌ[٤] أخذتُ لكَ فقالَ عبدُ المطلبِ أنا ربُّ الإبلِ وإنَّ للبيتِ ربا يحميهِ ثم رجعَ وأتى بابَ الكعبةِ فأخذَ بحلقتِه ومعه نفرٌ من قريشٍ يدعونَ الله عَزَّ وجَلَّ فالتفتَ وهو يدعُو فإذْ هو بطيرٍ منْ نحوِ اليمنِ فقالَ والله إنها لطيرٌ غريبةٌ مَا هيَ نجديةٌ ولا تهاميةٌ فأرسلَ حلقةَ البابِ ثمَّ انطلقَ معَ أصحابِه ينتظرونَ ماذَا يفعلُ أبرهةُ فأرسلَ الله تعالَى عليهم الطيرَ فكانَ ما كانَ وقيلَ: كانَ أَبْرهةُ جَدَّ النجاشيِّ الذي كانَ في زمنِ النبيِّ عليهِ الصلاةُ والسلامُ. وعنْ عائشةَ رضيَ الله عَنْهَا قالتْ: رأيتُ قائدَ الفيلِ وسائسَه أعميينِ مُقعدينِ يستطعمانِ وقرئ (أَلم تَرْ)[٥] بسكونِ الراءِ للجدِّ في إظهارِ أثرِ الجازمِ.

وقولُه تعالَى ﴿أَلم يجعل كيدَهُم في تضليلٍ﴾. . . إلخ بَيَانٌ إِجْمَاليٌ لمَا فعلَه الله تَعالَى بهمْ وَالهَمْزةُ للتقريرِ كَما سبقَ ولذلكَ عطفَ عَلَى الجُمْلَةِ الاستفهاميةِ ما بعدَهَا كأنَّه قيلَ: قدْ جعلَ كيدَهُم في تعطيلِ الكعبةِ وتخريبِها في تضييعٍ وإبطالٍ بأنْ دمَّرهُم أشنعَ تدميرٍ ﴿وأرسلَ عليهم طَيرًا أَبابيلَ﴾ أَيْ طوائفَ وجماعاتٍ جمعُ أبالةٍ وهيَ

---

(١) في خ: أعضاؤه.

(٢) في خ: لأبرهة هذا.

(٣) سقط في خ.

(٤) ذود: الذود للقطيع من الإبل الثلاث إلى التسع، وقيل: بين الثلاث إلى العشر وقيل أكثر من ذلك أقلها ثلاث وأكثرها ثلاثون.

(٥) قرأ بها: السلمي.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٥١٢)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٢٨٦)، والمجمع للطبرسي (١٠/ ٥٣٩)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٣٧٣).

الحزمةُ[1] الكبيرةُ شُبهتْ بها الجماعةُ من الطيرِ في تضامِّها وقيلَ: أبابيل مثلُ عبابيدَ وشماطيط لا واحدَ لهَا ﴿ترميهم بحجارةٍ﴾ صفةٌ لطيرًا. وقرئ (يَرْميهِمْ)[2] بالتذكيرِ لأنَّ الطيرَ اسمُ جَمْعٍ وتأنيثُهُ باعتبارِ المَعْنَى ﴿منْ سجيلٍ﴾ من طينٍ مُتحجرٍ مُعَرَّب سَنْك كل وقيلَ كأنهُ عَلَمٌ للديوانِ الذي كتبَ فيهِ عذابُ الكفارِ كما أنَّ سجينًا علمٌ للديوانِ الذي يكتبُ فيه أعمالُهم كأنَّه قيلَ بحجارةٍ من جملةِ العذابِ المكتوبِ المدونِ، وَاشتقاقُه منَ الإسجالِ وهُوَ الإرسالُ ﴿فجعلهم كعصفٍ مأكولٍ﴾ كورقِ زرعٍ وقعَ فيهِ الأكالُ وهُوَ أنْ يأكله الدودُ أوْ أكلَ حبُّه فبقَي [صِفرًا منْهُ][3] أوْ كتبنٍ أكلتْهُ الدوابُّ وَرَاثتْهُ أشيرَ إليهِ بأولِّ أحوالِه. عنِ النبيِّ ﷺ: **«منْ قرأَ سورةَ الفيلِ أعفاهُ اللهُ تعالَى أيام حياتِهِ منَ الخسفِ والمسخِ»**[4] وَاللهُ أعلمُ.

---

(١) في خ: الحركة.
(٢) قرأ بها: أبو حنيفة، وابن يعمر، وعيسى، وطلحة، والأعرج.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٥١٢)، وتفسير القرطبي (٢٠/ ١٩٨)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٢٨٦).
(٣) في خ: صغرانيها.
(٤) تقدم تخريجه، وزاد في خ: والله الموفق بمنه وكرمه للصواب.

سُورَةُ قُرَيْشٍ

مَكِّيةٌ وآيُها أربعٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴿٤﴾

﴿لإيلٰفِ قريشٍ﴾ متعلقٌ بقولِه تعالَى: (فليعبدُوا)، والفاءُ لما في الكلامِ منْ مَعْنى الشَّرطِ إِذِ المعْنَى أنَّ نِعمَ الله تعالَى عليهِمْ غيرُ محصورةٍ فإنْ لَمْ يعبدُوه لسائرِ نعمهِ فليعبدُوه لهذِه النعمةِ الجليلةِ وقيلَ: بمضمرة تقديرُهُ [فعلنَا مَا فعلنَا منْ إهلاكِ أصحابِ الفيلِ لإيلٰفِ. . .إلخ وقيلَ: تقديرُهُ][1] اعْجَبُوا لإيلٰفِ. . .إلخ وقيلَ: بمَا قَبْلَهُ منْ قولِه تعالَى: ﴿فجعلهُم كعصفٍ مأكولٍ﴾ [سورة الفيل، الآية ٥] ويؤيدُهُ أنهُمَا في مُصْحفِ أُبَيٍّ سورةٌ واحدةٌ بلا فصلٍ، وَالمَعْنى أهلكَ مَنْ قصدَهُم منَ الحبشةِ ليتسامعَ النَّاسُ بذلكَ فيتهيبُوا لَهُمْ زيادةَ تهيبٍ ويحترمُوهم فضلَ احترامٍ حَتَّى ينتظم لهُمْ الأمنُ في رحلتيهمْ فَلاَ يجترئ عليهمْ أحدٌ.

وكانتْ لقريشٍ رحلتانِ يرحلونَ في الشتاءِ إلى اليمنِ وفي الصيفِ إلى الشامِ فيمتارون ويتجرونَ وكانُوا في رحلتِيهمْ آمنينَ لأنَّهُم أهلُ حرمِ الله تعالَى وولاةُ بيتِه العزيزِ فَلاَ يُتَعرضُ لهُمْ والنَّاسُ بينَ مُتخطَّفٍ ومنهوبٍ. وَالإِيلافُ منْ قولِكَ آلفتُ المكانَ إيلافًا إذا أَلِفْتَهُ وقرئَ (لإلافِ قُريشٍ)[2] أيْ لمؤالفتِهِمْ، وقيلَ: يقالُ ألفتُهُ إلفًا وإلافًا وَقرئَ (لإلفِ قريشٍ)[3]، وقريشٌ ولدُ النَّضرِ بنِ كنانَةَ سُمُّوا بتصغيرِ القِرشِ وهُوَ

---

(١) سقط في خ.

(٢) قرأ بها: ابن عامر.

ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٤٤)، والإملاء للعكبري (٢/١٥٨)، والبحر المحيط (٨/ ٥١٤)، والسبعة لابن مجاهد ص (٦٩٨)، والغيث للصفاقسي ص (٣٩٥)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٤٠٣).

(٣) قرأ بها: أبو جعفر.

=

دابةٌ عظيمةٌ في البحرِ تعبثُ بالسفنِ وَلاَ تُطَاقُ إلاَّ بالنارِ، والتصغيرُ للتعظيمِ وقيلَ: منَ القَرْشِ وهُوَ الكسبُ لأنهمْ كانُوا كسَّابينَ بتجاراتِهمْ وضربِهمْ في البلادِ.

وقولُه تعالَى: ﴿إيلٰفهمْ رحلةَ الشتاءِ وَالصيفِ﴾ بدلٌ منَ الأولِ، ورحلةَ مفعولُ إيلٰفِهم وإفرادُهَا معَ أنَّ المرادَ رِحْلَتي الشتاءِ والصيفِ لأمنِ الإلباسِ، وَفي إطلاقِ الإيلافِ عنِ المفعولِ أولًا وإبدالُ هَذا منْهُ تفخيمٌ لأمرِهِ وتذكير لعظيمِ النعمةِ فيهِ. وَقرئ (ليألفَ قريشٌ إلفهم رحلةَ الشتاءِ والصيفِ)(١)، وقرئ (رُحلةَ)(٢) بالضمِّ وهيَ الجهةُ التي يُرحلُ إليها ﴿فليعبدُوا رَبَّ هَذا البيتِ * الذي أطعمَهُمْ﴾ بسببِ تينكِ الرحلتينِ اللتينِ تمكَّنوا فيهَما بواسطةِ كونِهم منْ جيرانِهِ ﴿منْ جُوعٍ﴾ شديدٍ كانُوا فيهِ قَبْلَهُما، وقيلَ: أريدَ بهِ القحطُ الذي أكلُوا فيهِ الجيفَ والعظامَ ﴿وآمنهُمْ مِنْ خوفٍ﴾ عظيمٍ لاَ يُقَادرُ قدرُهُ وهُوَ خوفُ أصحابِ الفيلِ أوْ خوفُ التخطفِ في بلدِهم وَفي مسايرِهِم وقيلَ: خوفُ الجُذَام فلاَ يصيبُهمْ في بلدِهِم.

عنِ النبيِّ ﷺ: **«مَنْ قرأَ سورةَ قريشٍ أعطاهُ الله تَعالَى عشرَ حسناتٍ بعدد مَنْ طَافَ بالكعبةِ واعتكفَ بَها»**(٣).

= ينظر: الإملاء للعكبري (٢/ ١٥٨)، والبحر المحيط (٨/ ٥١٤)، وتفسير الرازي (٣٢/ ١٠٥).

(١) قرأ بها: عكرمة، وابن مسعود.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٥١٤)، وتفسير القرطبي (٢٠/ ٢٠٢)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٢٨٨).

(٢) قرأ بها: أبو السمال.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٥١٤)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٢٨٨).

(٣) تقدم تخريجه، وزاد في خ: والله الموفق بمنه وكرمه.

سُورةُ الماعون(١)

[مُختلَفٌ فيهَا](٢) وآيُها سبعٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾

﴿أرأيتَ الذي يكذِّبُ بالدِّينِ﴾ استفهامٌ أريدَ بهِ تشويقُ السامعِ إلى معرفةِ مَنْ سيقَ لَهُ الكلامُ، والتعجيبُ منْهُ. والخطابُ لرسولِ الله ﷺ. وقيلَ: لكُلِّ عاقلٍ والرؤيةُ بمَعْنى المَعْرفةِ وقرئ (أرأيتكَ)(٣) بزيادةِ حَرْفِ الخطابِ والفاءُ في قولِه تعالَى: ﴿فذلكَ الذي يَدُعُّ اليتيمَ﴾ جوابُ شرطٍ محذوفٍ على أنَّ ذلكَ مُبتدأٌ والموصولُ خبرُهُ والمَعْنى هَلْ عرفتَ الذي يكذبُ بالجزاءِ أو بالإسلام إنْ لَمْ تعرفْهُ أو إنْ أردتَ أنْ تعرفَهُ فهُوَ الذي يدفعُ اليتيمَ دفعًا عنيفًا ويزجرُهُ زَجْرًا قَبيحًا ووضعُ اسم الإشارةِ المتعرضِ لوصفِ المشارِ إليهِ موضعَ الضميرِ للإشعارِ بعلةِ الحكمِ والتنبيهِ بمَا [فيهِ](٤) من مَعْنى البُعدِ على بُعْدِ منزلتِهِ في الشرِّ والفسادِ. قيلَ: هُوَ أبُو جهلٍ كانَ وصيا ليتيم فأتاهُ عُريانًا يسألُهُ من مالِ نفسِه فدفعَهُ دفعًا شنيعًا، وقيلَ: أبُو سفيانَ نحرَ جزورًا فسألَهُ يتيمٌ لحمًا فقرعَهُ بعصاهُ، وقيلَ: هُوَ الوليدُ بنُ المُغِيرَةِ وقيلَ: هُوَ العَاصُ بنُ وائلٍ السَّهْمِيُّ، وقيلَ: هُوَ رجُلٌ بخيلٌ مِنَ المنافقينَ، وقيلَ: الموصولُ على عمومِهِ. وقرئ (يَدَعُ اليتيمَ)(٥) أيْ يتركُه ويجفُوهُ ﴿وَلاَ يَحُضُّ﴾ أيْ أهلَهُ وغيرَهُم مِنَ الموسرينَ ﴿عَلَى

---

(١) في خ: الدين. (٢) سقط في خ.

(٣) قرأ بها: ابن مسعود.

ينظر: الإعراب للنحاس (٣/ ٧٧٤)، والبحر المحيط (٨/ ٥١٧)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٢٨٩)، والمعاني للفراء (٣/ ٢٩٤)، وتفسير الرازي (٣٢/ ١١١).

(٤) في خ: على ما.

(٥) قرأ بها: أبو رجاء، وعلي، والحسن، واليماني.

=

طعامِ المسكينِ﴾ وإذَا كانَ حالُ من تركَ حَثَّ غيرَه على ما ذُكرَ فمَا ظنُّكَ بحالِ من تركَ ذَلكَ[١] معَ القُدرةِ عليهِ. والفاءُ في قولِه تعالَى: **﴿فَوَيلٌ﴾**...إلخ، إما لربطِ مَا بعدَهَا بشرطٍ محذوفٍ كأنَّه قيلَ: إذَا كانَ مَا ذُكِرَ من عدَمِ المُبالاةِ باليتيمِ والمسكينِ مِنْ دَلائلِ التكذيبِ بالدِّينِ وموجباتِ الذمِّ والتوبيخِ فويلٌ **﴿للمُصَلِّينَ * الذينَ هُم عن صلاتهم سَاهُونَ﴾** غافلونَ غيرُ مبالينَ بهَا **﴿الذينَ هُم يُرآءُونَ﴾** أيْ يرونَ النَّاسَ أعمالَهُم ليروهُمْ الثناءَ عَليهَا **﴿ويمنعُونَ المَاعُونَ﴾** أي الزكاةَ أو مَا يُتعَاورُ عادةً فإنَّ عدمَ المبالاةِ باليتيمِ والمسكينِ حيثُ كانَ كمَا ذُكِرَ فعدمُ المبالاةِ بالصلاةِ التي هي عمادُ الدينِ والرياءُ الذي هُوَ شعبةٌ منَ الكفرِ ومنعُ الزكاةِ التي هيَ قنطرةُ الإسلامِ وسوءُ المعاملةِ مَعَ الخلقِ أحقُّ بذلكَ وإمَّا لترتيبِ الدعاءِ عليهم بالويلِ على ما ذكَرَ من قبائحِهم ووضعُ المصلينَ موضعَ ضميرِهم ليتوسلَ بذلكَ إلى بيانِ أنَّ لهُم قبائحَ أخَر غيرَ ما ذكرَ.

عنْ رسولِ الله ﷺ: **«مَنْ قرأَ سورةَ الدينِ غُفرَ[٢] لَهُ إنْ كانَ للزكاةِ مُؤديًا»**[٣].

= ينظر: الإعراب للنحاس (٣/ ٧٧٥)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٥٩)، والبحر المحيط (٨/ ٥١٧)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٢٨٩)، والمجمع للطبرسي (١٠/ ٥٤٤)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٣٧٤).

(١) في خ: ملك.

(٢) زاد في خ: الله.

(٣) تقدم تخريجه.

سُورَةُ الكَوثَرِ

مَكِّيةٌ وآيُها ثلاثٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴿٣﴾

﴿إِنَّا أَعْطَيناكَ﴾ وقرئ (أَنْطَيناكَ)[1] ﴿الكَوثَرَ﴾ أي الخير المفرط الكثير من شرفِ النبوةِ الجامعةِ لخيري الدارينِ والرياسةِ العامةِ المستتبعةِ لسعادةِ الدُّنيا والدين، فوعلٌ منَ الكثرةِ وقيلَ: هُوَ نهرٌ في الجنةِ وعنِ النبيِّ - عليهِ الصلاةُ والسلامُ - أنه قرأهَا فقالَ: «**أتدرونَ ما الكوثَرُ؟ إنَّه نهرٌ في الجنةِ وَعَدنيهِ ربِّي فيهِ خيرٌ كثيرٌ**»[2] ورُوِيَ في صفتِهِ أنَّه أَحْلَى من العسلِ وأشدُّ بياضًا من اللبنِ وأبردُ من الثلجِ وألينُ من الزبدِ حافتاهُ الزبرجدُ وأوانيهِ من فضةٍ عددَ نجومِ السماءِ[3]. ورُوي لا يظمأُ من شربَ منْهُ أبدًا أولُ وارديهِ فقراءُ المهاجرينَ الدَّنِسُو الثيابِ الشُّعْثُ الرؤوسِ الذينَ لا يزوجونَ المنعمّاتِ ولا تفتحُ لهم أبوابُ السُّدَدِ يموتُ أحدُهم وحاجتُهُ تتلجلجُ في صدرِه لو أقسمَ على الله لأبرَّهُ[4]. وعنِ ابنِ عباسٍ رضيَ الله عنهُما أنه فسرَ الكوثرَ بالخيرِ الكثيرِ

---

(١) قرأ بها: الحسن، وطلحة، وابن محيصن، والزعفراني، وأم سلمة.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٥١٩)، وتفسير القرطبي (٢٠/ ٢١٦)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٢٩٠).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٢/ ٣٤٨): كتاب الصلاة باب حجة من قال: البسملة آية من أول كل سورة سوى براءة حديث (٤٠٠) والنسائي في سننه (٢/ ١٣٥): كتاب الافتتاح، باب قراءة بسم الله الرحمن الرحيم، حديث (٩٠٤)، وأبو داود في سننه (٤/ ٢٣٧): كتاب السنة باب في الحوض، حديث (٤٧٤٧).

(٣) أخرجه الحاكم (٤/ ١٨٤) من حديث أبي برزة.
وقال: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي وله شاهد من حديث ثوبان.
أخرجه أحمد (٥/ ٢٧٥-٢٧٦) والطبراني في (الكبير) (٢/ ٩٩) رقم (١٤٣٧).

(٤) أخرجه ابن ماجه (٢/ ١٤٣٨-١٤٣٩) كتاب الزهد: باب ذكر الحوض حديث (٤٣٠٣) وأحمد (٥/ ٢٧٥-٢٧٦) والطبراني في (الكبير) (٢/ ٩٩) رقم (١٤٣٧) من حديث ثوبان.

فقالَ لَه سعيدُ بنُ جُبيرٍ: فإنَّ ناسًا يقولونَ[١]: هُوَ نهرٌ في الجنةِ فقالَ: هُو منَ الخيرِ الكثيرِ وقيلَ: هو حوضٌ فيهَا وقيلَ: هو وأولادُه وأتباعُه أو علماءُ أمتِه أو القرآنُ الحاوِي لخيرِ الدُّنيا والدينِ. والفاءُ في قولِه تعَالَى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾ لترتيبِ ما بعدَهَا على ما قبلَهَا فإنَّ إعطاءَهُ تعالَى إيَّاهُ عليهِ السلامُ ما ذكرَ من العطيةِ التي لم يُعطِهَا ولنْ يعطيهَا أحدًا منَ العالمينَ مستوجبٌ للمأمورِ بهِ أيَّ استيجابٍ أي فدُمْ على الصلاةِ لربكَ الذي أفاضَ عليكَ هذه النعمةَ الجليلةَ التي لاَ يضاهيهَا نعمةٌ خالصة لوجهِه خلافَ الساهينَ عنهَا المرائينَ[٢] فيهَا أداءً لحقوقِ شكرِهَا فإنَّ الصلاةَ جامعةٌ لجميعِ أقسامِ الشكرِ ﴿وَانْحَرْ﴾ البدنَ التي هيَ خيارُ أموالِ العربِ باسمِه تعالَى وتصدقْ على المحاويجِ خلافًا لمن يدعهُمْ ويمنعُ عنهُم الماعونَ. وعن عطيةَ: هيَ صلاةُ الفجرِ بجمعٍ والنحْرُ بمنًى وقيلَ: صلاةُ العيدِ والتضحيةُ وقيلَ: هيَ جنسُ الصلاةِ والنحرُ وضعُ اليمينِ على الشمالِ وقيلَ: هُوَ أنْ يرفعَ يديهِ في التكبيرِ إلى نحرِه هُوَ المرويُّ عنِ النبيِّ عليهِ الصلاةُ والسلامُ[٣]. وعنِ ابنِ عباسٍ رضيَ الله عنهمَا: استقبلِ القبلةَ بنحرِكَ وهُو قولُ الفَرَّاءِ والكَلْبي وأبي الأَحْوَص ﴿إِنَّ شَانِئَكَ﴾ أيْ مبغضكَ كائنًا منْ كانَ ﴿هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ الذي لاَ عقِبَ لَهُ حيثُ لا يبقَى منهُ نسلٌ ولا حُسنُ ذكرٍ، وأمَّا أنتَ فتبقَى ذريتُكَ وحسنُ [صيتكَ][٤] وآثارُ فضلكَ إلى يومِ القيامةِ ولكَ في الآخرةِ ما لا يندرجُ تحتَ البيانِ وقيلَ: نزلتْ في العاصِ بنِ وائلٍ وأيا ما كانَ فلا ريبَ في عمومِ الحكمِ.

عنِ النبيِّ ﷺ: **«مَنْ قرأَ سورةَ الكوثرِ سقاهُ الله تعالَى مِنْ كُلِّ نهرٍ في الجنةِ ويكتبُ لهُ عشر حسناتٍ بعددِ كُلِّ قُربانٍ قربَهُ العبادُ في يومِ النحرِ»**[٥].

(١) في خ: سيقولون. (٢) في خ: المرابين.

(٣) لم أقف عليه مرفوعًا، وأخرجه ابن جرير (٣٠/ ٣٢٦)، ومن طريقه الثعلبي في تفسيره (١٠/ ٣١٢) عن أبي جعفر في قوله «فصل لربك وانحر» قال: يرفع يديه أول ما يكبر في الافتتاح إلى النحر.

(٤) سقط في خ.

(٥) تقدم تخريجه، وزاد في خ: والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب.

سُورَةُ الكَافِرُونَ

مَكِّيةٌ وآيُها ستٌّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴿٦﴾

﴿قُلْ يأَيُّها الكافرونَ﴾ هم كفرةٌ مخصوصونَ قدْ علمَ الله تعالَى أنَّه لا يتأتَّى منهمْ الإيمانُ أبدًا. رُوِيَ أنَّ رهطًا مِنْ عُتاةِ قريشٍ قالُوا لرسولِ الله ﷺ: هلمَّ فاتبعْ دينَنَا ونتبعُ دينَكَ تعبدُ آلهتَنَا سنةً ونعبدُ إلٰهَكَ سنةً، فقالَ: «**معاذَ الله أنْ أشركَ بالله غيرَهُ**»، فقالُوا: فاستلمْ بعضَ آلهتِنَا نصدقكَ ونعبدَ إلٰهَكَ فنزلتْ، فغدَا إلى المسجدِ الحرامِ وفيهِ الملأُ من قريشٍ فقامَ على رؤوسِهم فقرأَهَا عليهم فأيِسوا(١).

﴿لا أعبدُ ما تعبدونَ﴾ أيْ فيمَا يُستقبلُ لأَنَّ «لاَ» لاَ تدخلُ غالبًا إلاَّ على مُضَارعٍ في مَعْنى الاستقبالِ كما أنَّ مَا لاَ تدخلُ إلاَّ على مضارعٍ في مَعْنى الحالِ والمَعْنى لا أفعلُ في المستقبلِ ما تطلبونَهُ مِنِّي من عبادةِ آلهتكم.

﴿ولا أنتم عٰبدُونَ ما أعبدُ﴾ أيْ ولا أنتُم فاعلونَ فيهِ ما أطلبُ منكُم من عبادةِ إلٰهِي ﴿ولا أنا عابدٌ ما عبدتُم﴾ أيْ وما كنتُ قطُّ عابدًا فيمَا سلفَ ما عبدتُم فيه أيْ لم يُعْهدْ مِنِّي عبادةُ صنمٍ في الجاهليةِ فكيفَ تُرْجَى مِنِّي في الإسلامِ ﴿ولا أنتم عٰبدونَ ما أعبدُ﴾ أيْ وما عبدتُّم في وقتٍ مِنَ الأوقاتِ مَا أنا على عبادتِهِ وقيلَ: هاتانِ الجملتانِ لنفي العبادةِ حالًا كما أنَّ الأولين لنفيها استقبالًا وإنَّما لم يقُلْ ما عبدتُ ليوافقَ ما عبدتُم لأنَّهم كانُوا موسومينَ قبلَ البعثةِ بعبادةِ الأصنامِ، وهُوَ عليهِ السلامُ لم

---

(١) ينظر: معالم التنزيل (٤/ ٥٣٥)، والكشاف (٤/ ٨١٣)، والكشف والبيان (١٠/ ٣١٥).

يكُنْ حينئذٍ موسومًا بعبادةِ الله تعَالَى وإيثارُ مَا في أعبدُ على مَنْ لأنَّ المرادَ هُوَ الوصفُ[١].

كأنَّه قيلَ: مَا أعبدُ مِنَ المعبودِ العظيمِ الشأنِ الذي لا يُقادَرُ قدرُ عظمتِهِ وقيلَ: إنَّ مَا مصدريةٌ أيْ لا أعبدُه عبادتَكُم ولا تعبدونَ عبادَتِي وقيلَ: الأوليانِ بمَعْنى الذي والأخريانِ مصدريتانِ.

وقيلَ: قولُه تعالَى: ﴿ولاَ أنَا عابدٌ ما عبدتُم﴾ [سورة الكافرون، الآية ٤] تأكيدٌ لقولِه تعَالَى: ﴿لا أعبدُ ما تعبدونَ﴾ [سورة الكافرون، الآية ٢].

وقولُه تعالَى: ﴿ولا أنتُم عٰبدونَ ما أعبدُ﴾ [سورة الكافرون، الآية ٣] ثانيًا تأكيدٌ لمثلِه المذكورِ أولًا.

وقولُه تعالَى: ﴿لكُم دينُكم﴾ تقريرٌ لقولِه تعَالَى: ﴿لا أعبدُ ما تعبدونَ﴾ وقولِه تعالَى: ﴿ولا أنا عابدٌ ما عبدتُم﴾.

كمَا أنَّ قولَه تعالَى: ﴿وَلِيَ دِينِ﴾ تقريرٌ لقولِه تعالَى: ﴿ولا أنتُم عٰبدونَ ما أعبدُ﴾ والمَعْنى: أنَّ دينَكُم الذي هُوَ الإشراكُ مقصورٌ على الحصولِ لكُم لا يتجاوزُهُ إلى الحصولِ لِي أيضًا كما تطمعونَ فيهِ فلاَ تعلقُوا بهِ أمانيَّكُم الفارغةَ فإنَّ ذلكَ مِنَ المُحالاتِ وأنَّ دينيَ الذي هُوَ التوحيدُ مقصورٌ على الحصولِ لي لا يتجاوزُه إلى الحصولِ لكُم أيضًا لأنَّكم علقتمُوه بالمحالِ الذي هُوَ عبادتِي لآلهتِكم [أو استلامِي][٢] إيَّاها ولأنَّ ما وعدتمُوه عينُ الإشراكِ.

وحيثُ كانَ مَبْنى قولِهم: تعبدُ آلهتَنَا سنةً ونعبدُ إلٰهَكَ سنةً على شركةِ الفريقينِ في كلتا العبادتينِ كان[٣] القصرُ المستفادُ من تقديمِ المسندِ قصر إفرادٍ حتمًا ويجوزُ أن يكونَ هذا تقريرًا لقولِه تعالَى: ﴿ولا أنا عابدٌ ما عبدتُم﴾ أيْ ولِي دِيني لا دينُكم كمَا هُوَ في قولِه تعَالَى: ﴿ولكُم ما كسبتم﴾ [سورة البقرة، الآية ١٣٤ و١٤١].

وقيلَ: المَعْنى إنِّي نبيٌّ مبعوثٌ إليكُم لأدعوَكُم إلى الحقِّ والنجاةِ فإذَا لم تقبلُوا

---

(١) في خ: المقصد.
(٢) في خ: واستلامه.
(٣) في خ: كما أن.

مِنِّي ولَمْ تتبعونِي فدعونِي كفافًا ولا تدعونِي إلى الشركِ فتأملْ.

عن النبيِّ ﷺ: **«مَنْ قرأَ سورةَ الكافرونَ فكأنَّما قرأَ ربعَ القرآنِ وتباعدتْ عنْهُ مردةُ الشياطينِ وبرئَ مِنَ الشركِ وتعافَى مِنَ الفزعِ الأكبرِ»**[١].

---

(١) حديث موضوع وتقدم الكلام عليه.

أما قوله ﷺ أنها ربع القرآن فله شاهد من حديث أنس أخرجه الترمذي (٥/ ١٦٥-١٦٦) كتاب فضائل القرآن: باب ما جاء في «إذا زلزلت» حديث (٢٨٩٣) من طريق ثابت عن أنس بلفظ: ومن قرأ «قل يا أيها الكافرون» عدلت له بربع القرآن.

وقال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث هذا الشيخ ا.هـ.

الشيخ هو الحسن بن سلم وهو مجهول كما قال الحافظ في «التقريب» (١/ ١٦٦) وأخرجه الترمذي (٢٨٩٥) وأحمد (٣/ ٢٢١) من طريق سلمة بن وردان عن أنس بلفظ: أليس معك «قل يا أيها الكافرون» قال: بلى قال: ربع القرآن.

وسلمة بن وردان ضعيف أيضًا.

وله شاهد آخر عن ابن عباس.

أخرجه الترمذي (٢٨٩٤) والحاكم (١/ ٥٦٦) بلفظ:

«قل يا أيها الكافرون» يعدل ربع القرآن.

وقال الترمذي: غريب لا نعرفه إلا من حديث يمان بن مغيرة ا.هـ.

وصححه الحاكم وتعقبه الذهبي فقال: بل يمان ضعفوه ا.هـ.

وأخرجه الحاكم (١/ ٥٦٩) من حديث ابن عمر وصححه وتعقبه الذهبي فقال: بل جعفر ابن ميسرة منكر الحديث جدًّا قاله أبو حاتم، وغسان ضعفه الدارقطني.

وللحديث طرق وشواهد أخرى لا تخلو من ضعف ولعل مجموعها يثبت أن للحديث أصلًا والله أعلم، وزاد في خ: والله الموفق بمنه وكرمه.

سُورَةُ النَّصرِ

مدنيةٌ وآيُها ثلاثٌ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴿٣﴾

﴿إِذَا جَاءَ نصرُ اللهِ﴾ أيْ إعانتُهُ تعالَى وإظهارُهُ إياكَ على عدوكَ ﴿والفتحُ﴾ أيْ فتحُ مكةَ وقيلَ: جنسُ نصرِ الله تعالَى ومطلقُ الفتح فإنَّ فتحَ مكةَ لمَّا كانَ مِفْتاحَ الفتوحِ ومناطَهَا كمَا أنَّ نفسَها أمُّ القُرَى [وإمامُها][1] جُعلَ مجيئُهُ بمنزلةِ مجيءِ سائرِ الفتوحِ وعلقَ بهِ أمرَهُ عليهِ السلامُ بالتسبيحِ والحمدِ والتعبيرُ عنْ حصولِ النصرِ والفتحِ بالمجيءِ للإيذانِ بأنهُمَا متوجهانِ نحوَهُ عليهِ السلامُ [وأنهُمَا على جناحِ الوصولِ إليهِ عليهِ السلامُ][2] عن قريبٍ. رُوي أنها نزلتْ قبلَ الفتحِ وعليهِ الأكثرُ. وقيلَ: في أيامِ التشريقِ بمِنًى في حجةِ الوداعِ، فكلمةُ إِذَا حينئذٍ باعتبارِ أنَّ بعضَ مَا في حيزِهَا أَعْنِي رؤيةَ دخولِ الناسِ. . .إلخ، غيرُ منقضٍ بعدُ وكانَ فتحُ مكةَ لعشرٍ مضينَ من شهرِ رمضانَ سنة ثمانٍ ومعَ النبيِّ عليهِ الصلاةُ والسلامُ عشرةُ آلافٍ منَ المهاجرينَ والأنصارِ وطوائفِ العربِ وأقامَ بهَا خمس عشرَةَ ليلةً وحينَ دخلَها وقفَ على بابِ الكعبةِ ثمَّ قالَ: **«لاَ إِلٰه إلا الله وَحْدَهُ لاَ شريكَ لَهُ صدقَ وعدَهُ ونصرَ عبدَهُ وهزمَ الأحزابَ وحدَهُ»**. ثمَّ قالَ: **«يا أهلَ مكةَ ما ترونَ أني فاعلٌ بكُم؟»** قالُوا: خيرًا أخٌ كريمٌ وابنُ أخٍ كريم، قالَ: **«اذهبُوا فأنتُمْ الطلقاءُ»**[3] فأعتقهُمْ رسولُ الله ﷺ وقدْ كانَ الله تعالَى أمكنَهُ مِن رقابِهم عنوةً وكانُوا[4] له فياءَ - ولذلكَ سميَ أهلُ مكةَ الطلقاءَ - ثمَّ

---

(١) في خ: وإما.

(٢) في خ: وأنها على منهاج الرسول ﷺ.

(٣) ذكره الزيلعي في تخريج الكشاف (٤/ ٣١٣)، وأخرجه ابن هشام في «السيرة» في فتح مكة من قول ابن إسحاق.

(٤) في خ: كان.

بايعُوه على الإسلام ثمَّ خرجَ إلى هوازنَ ﴿ورأيتَ النَّاسَ﴾ أيْ أبصرتهُمْ أو علمتهُمْ ﴿يدخلُون في دينِ اللهِ﴾ أيْ ملةُ الإسلامِ التي لا دينَ يضافُ إليهِ تعالَى غيرُهَا والجملةُ على الأولِ حالٌ من الناسِ وعلى الثاني مفعولٌ ثانٍ لرأيتَ وقولُه تعالَى: ﴿أَفْواجًا﴾ حالٌ من فاعلِ يدخلونَ أيْ يدخلونَ فيهِ جماعاتٍ كثيفةً كأهلِ مكةَ والطائفِ واليمنِ وهوازنَ وسائرِ قبائلِ العربِ وكانُوا قبلَ ذلكَ يدخلونَ فيهِ واحِدًا واحِدًا واثنينِ اثنينِ. رُويَ أنَّه عليهِ السلامُ لما فتحَ مكةَ أقبلتِ العربُ بعضُها على بعضٍ فقالوا: إذَا ظفِرَ بأهلِ الحرمِ فلنْ يقاومَهُ أحدٌ وقدْ كانَ الله تعالَى أجارَهُم من أصحابِ الفيلِ ومن كُلِّ من أرادهُم فكانُوا يدخلونَ في دينِ الإسلام أفواجًا من غيرِ قتالٍ وقرئَ (فتحُ الله والنصرُ)(١) وقرئَ (يُدخلونَ)(٢) على البناءِ للمفعولِ ﴿فسبِّحْ بحمدِ رَبِّكَ﴾ فقُلْ: سبحانَ الله حامدًا لهُ أو فتعجبَ لتيسيرِ الله تعالَى ما لَمْ يخطُرْ ببالِ أحدٍ من أنْ يغلبَ أحدٌ على أهْلِ حرمِهِ المحترمِ واحمدْهُ على جميلِ صُنعِه، هذا على الروايةِ الأُولى ظاهرٌ وأمَّا على الثانيةِ فلعلَّهُ عليهِ السلامُ أُمرَ بأنْ يداومَ على ذلكَ استعظامًا لنعمِه لا بإحداثِ التعجبِ لما ذُكرَ فإنَّهُ إنما يناسبُ حالةَ الفتحِ أو [فاذكُرْهُ مسبحًا حامدًا زيادةً في](٣) عبادتِهِ والثناءِ عليهِ لزيادةِ إنعامِه عليكَ أو فصلِّ لهُ حامدًا على نعمِه. رُويَ أنَّه لما فتحَ بابَ الكعبةِ [صلَّى صلاة الضحى](٤) ثمانِ ركعاتٍ(٥). أو فنزههُ عما يقولُه الظلمةُ حامدًا لهُ على أنْ صدقَ وعدهُ أو فأثن على الله تعالَى بصفاتِ الجلالِ حَامِدًا له على صفاتِ الإكرامِ ﴿واستَغْفِرْهُ﴾ هَضْمًا لنفسكَ واستقصارًا لعملكَ واستعظامًا لحقوقِ الله تعالَى واستدراكًا لما فرطَ منكَ من تركِ الأولَى. عن عائشةَ رضيَ الله عنهَا (أنه كانَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ يكثرُ قبلَ موتِه أنْ يقولَ: «**سُبْحانكَ اللهمَّ وبحمدكَ أستغفركَ وأتوبُ إليكَ**»)(٦) وعنهُ عليهِ السلامُ: «**إنِّي لأستغفرُ في اليومِ والليلةِ مائةَ مرةٍ**»(٧) ورُويَ

---

(١) قرأ بها: ابن عباس.
ينظر: الكشاف للزمخشري (٤/ ٢٩٤).

(٢) قرأ بها: ابن كثير (في رواية).
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٥٢٣)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٢٩٤).

(٣) في خ: فاذكره سبحانه حامدًا في زيادة.

(٤) في خ: قبل صلاة الضحى.

(٥) ليس له أصل بهذا اللفظ إنما المحفوظ عنه ﷺ أنه دخل بيت أم هانئ واغتسل عندها وصلى صلاة الضحى ثمان ركعات.
أخرجه البخاري (٣/ ٥١) كتاب التهجد: باب صلاة الضحى في السفر، حديث (١١٧٦).

(٦) أخرجه مسلم (١/ ٣٣٢) كتاب الصلاة: باب ما يقال في الركوع والسجود حديث (٤٨٤/ ٢١٨).

(٧) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٧٥) كتاب الذكر والدعاء: باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه حديث (٤١).

أنَّه لمَّا قرأَها النبيُّ عليهِ الصلاةُ والسلامُ على أصحابِه استبشرُوا وبكَى العباسُ فقالَ عليهِ السلامُ: **«ما يبكيكَ يا عمُّ؟»** فقالَ: نعيتْ إليكَ نفسُكَ، قالَ عليهِ السلامُ: **«إنَّها لكمَا تقولُ»** فلَمْ يُرَ عليهِ السلامُ بعدَ ذلكَ ضاحكًا مستبشرًا وقيلَ: إنَّ ابنَ عباسٍ هُو الذي قالَ ذلكَ فقالَ عليهِ السلامُ: **«لقدْ أُوتي هذا الغلامُ علمًا كثيرًا»**[١] أو لعلَّ ذلكَ للدلالةِ على تمامِ أمرِ الدعوةِ وتكاملِ أمرِ الدينِ كقولِه تعالَى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ [سورة المائدة، الآية ٣] ورُويَ أنَّها لمَّا نزلتْ خطبَ رسولُ الله ﷺ فقالَ: **«إنَّ عبدًا خيرهُ الله تعالَى بينَ الدُّنيا وبينَ لقائِه فاختارَ لقاءَ الله تعالَى»** فعلَم أبو بكرٍ رضيَ الله عنه فقالَ: فديناكَ بأنفسِنا وآبائِنا وأولادِنا[٢]. وعنْهُ عليهِ السلامُ (أنهُ دعَا فاطمةَ رضيَ الله عنْهَا فقالَ: **«يا بنتاهُ[٣] إنَّه نعيتْ إليَّ نفسِي»** فبكتْ فقالَ: **«لا تبكِي فإنكِ أولُ أَهْلي لحوقًا بِي»**)[٤] وعنِ ابنِ مسعودٍ رضيَ الله عنْهُ أنَّ هذه السورةَ تُسمَّى سورةَ التوديعِ[٥]، وقيلَ: هو أمرٌ بالاستغفارِ لأمتِه ﴿إنَّه كانَ توَّابًا﴾ منذُ خلقَ المكلفينَ أيْ مبالغًا في قبولِ توبتِهم فليكُنْ كُلُّ تائبٍ مستغفرٍ متوقعًا للقبولِ.

عنِ النبيِّ ﷺ: **«مَنْ قرأَ سورةَ النصرِ أعطيَ مِنَ الأجرِ كمنْ شهدَ معَ محمدٍ يومَ فتحِ مكةَ»**[٦].

---

(١) ذكره الزيلعي في «تخريج الكشاف» (٤/ ٣١٩) وقال: ذكره الثعلبي من قول مقاتل.

(٢) أخرجه البخاري (٧/ ٦٣٢) كتاب مناقب الأسفار: باب هجرة النبي ﷺ حديث (٣٩٠٤) ومسلم (٤/ ١٨٥٤) كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل أبي بكر رضي الله عنه، حديث (٢/ ٢٣٨٢) من حديث أبي سعيد الخدري.

(٣) في خ: يا ابنتاه.

(٤) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٧/ ١٦٧) من حديث ابن عباس.

(٥) ينظر «التسهيل في علوم التنزيل» (٤/ ٢٢١)، «والتفسير الكبير» (٣٢/ ١٤٣) والكشاف (٤/ ٨١٩) و«تفسير الثعلبي» (١٠/ ٣٢١).

(٦) حديث موضوع وتقدم تخريجه.

سُورَةُ المَسَد (١)

مَكِّيةٌ وآيُها خَمْسٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ
لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ﴿٥﴾

﴿تبَّت﴾ أيْ هلكَتْ ﴿يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ هُو عبدُ العُزَّى بنُ عبدِ المطلبِ وإيثارُ التبابِ على الهلاكِ وإسنادُهُ إلى يديهِ لما رُويَ أنَّهُ لما نزلَ ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ [سورة الشعراء، الآية ٢١٤] رَقَى رسولُ الله ﷺ الصَّفَا وجمعَ أقاربَهُ فأنذرهُم فقالَ أبُو لهب: تبًا لكَ ألِهذَا دعوتَنَا؟ وأخذَ حجرًا ليرميهِ عليهِ السلامُ بهِ[٢] ﴿وتَبَّ﴾ أيْ وهلكَ كُلُّه وقيلَ: المرادُ بالأولِ هلاكُ جملتِه كقولِه تعالَى: ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾ [سورة البقرة، الآية ١٩٥] ومَعْنى وتَبَّ وكانَ ذلكَ وحصلَ كقولِ من قالَ: [الطويل]

جَزَانِي جَزَاهُ الله شَرَّ جَزائِهِ ... جزاءَ الكلابِ العاوياتِ وَقَدْ فَعَلْ[٣]

ويؤيدُه قراءةُ من قَرأ (وقَدْ تَبَّ)[٤] وقيلَ: الأولُ إخبارٌ عن هلاكِ عملِه لأنَّ

---

(١) في ط: تبت.

(٢) أخرجه البخاري (٣/ ٢٥٩) كتاب الجنائز: باب ذكر شرار الموتى، حديث (١٣٩٤) ومسلم (١/ ١٩٣-١٩٤) كتاب الإيمان: باب «وأنذر عشيرتك الأقربين، حديث (٣٥٥).

(٣) ويروى صدر البيت هكذا:

جزى ربُّهُ عنِّي عديَّ بن حاتم

والبيت للنابغة الذبياني في ديوانه (ص ١٩١)، والخصائص (١/ ٢٩٤)، وله أو لأبي الأسود الدؤلي في خزانة الأدب (١/ ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٨١، ٢٨٧)، والدرر (١/ ٢١٧)، وللنابغة أو لأبي الأسود أو لعبد الله بن همارق في المقاصد النحوية (٢/ ٤٨٧)، ولأبي الأسود في ملحق ديوانه (ص ٤٠١)، وبلا نسبة في أوضح المسالك (٢/ ١٢٥) وفي لسان العرب (١٥/ ١٠٨)، وهمع الهوامع (١/ ٦٦).

(٤) قرأ بها: ابن مسعود، وأبي، والأعمش.
ينظر: تفسير الطبري (٣٠/ ٢١٧)، وتفسير القرطبي (٢٠/ ٢٣٤، ٢٣٦)، والكشاف للزمخشري (٤/ =

الأعمالَ تزاولُ غالبًا بالأيدِي والثانِي إخبارٌ عن الهلاكِ نفسه وقيل كلاهما دعاء عليه بالهلاك وقيلَ الأول دعاء والثاني إخبار وذِكرُ كنيتِه للتعريضِ بكونِه جُهنميا[١] ولاشتهارِه بهَا ولكراهةِ ذكرِ اسمِه القبيحِ وقرئ (أَبُو لهبٍ)[٢] كما قيلَ: عليُّ بنُ أبُو طالبٍ وقرئ (أبي لَهْبٍ)[٣] بسكون الهاء ﴿مَا أَغْنَى عنه مالُه وما كسبَ﴾ أيْ لَمْ يُغنِ عنْهُ حينَ حَلَّ بهِ التبابُ[٤] على أنَّ ما نافيةٌ أو أيُّ شيءٍ أغنَى عنْهُ على أنَّها استفهاميةٌ [في مَعْنى][٥] الإنكارِ منصوبةٌ بمَا بعدَها أصلُ مالِه وما كسبَهُ مِنَ الأرباحِ والنتائجِ والمنافعِ والوجاهةِ[٦] والأتباعِ أو مالُه الموروثُ من أبيهِ والذي كسبَهُ بنفسِه أو عملُه الخبيثُ الذي هُو كيدُه في عداوةِ النبيِّ عليهِ الصلاةُ والسلامُ أو عملُه الذي ظَنَّ أنَّه منْهُ على شيءٍ كقولِه تعَالَى: ﴿وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورًا﴾ [سورة الفرقان، الآية ٢٣] وعَنِ ابنِ عباسٍ رضيَ الله عنهُمَا ما كسبَ ولدُهُ[٧]، ورُوِيَ أنه كانَ يقولُ: إنْ كانَ ما يقولُ ابنُ أخِي حقًا فأنَا أفتدِي[٨] منْهُ نفسِي بمالِي وولدِي فأستخلصُ منهُ وقد خابَ مرجاهُ وما حصلَ ما تمناهُ فافترسَ ولدَهُ عتبةَ أسدٌ في طريقِ الشام بينَ العيرِ المكتنفةِ بهِ وقدْ كانَ عليهِ السلامُ دعَا عليهِ وقالَ: «**اللهمَّ سلطْ عليهِ كلبًا من كلابكَ**»[٩] وهلك نفسه بالعدسةِ بعدَ وقعةِ بدرٍ لسبعِ ليالٍ فاجتنبَهُ أهلُهُ مخافةَ العدوَى وكانتْ قريشٌ تتقيهَا كالطاعونِ فبقَي ثلاثًا حتى أنتنَ ثم استأجرُوا بعضَ السودانِ فاحتملُوه ودفنُوه فكانَ الأمرُ كما أخبرَ بهِ القرآنُ ﴿سيَصْلَى﴾ بفتحِ الياءِ وقرئ بضمِّها وفتحِ اللامِ بالتخفيفِ[١٠] والتشديدِ[١١] والسينُ لتأكيدِ الوعيدِ وتشديدِه أيْ سيدخلُ لا

= ٢٩٦)، والمعاني للفراء (٣/ ٢٩٨).

(١) في خ: جهميا.
(٢) ينظر: الكشاف للزمخشري (٤/ ٢٩٦).
(٣) قرأ بها: ابن كثير، وابن محيصن، ومجاهد، وحميد.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٤٥)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٥٩)، والتيسير للداني ص (٢٢٥)، وتفسير القرطبي (٢٠/ ٢٣٧)، والسبعة لابن مجاهد ص (٧٠٠)، والغيث للصفاقسي ص (٤٠٠)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٢٩٦).
(٤) في خ: التبات.
(٥) في خ: له بمعنى.
(٦) في خ: المواجهة.
(٧) تقدم تخريجه.
(٨) في خ: أفدي.
(٩) تقدم تخريجه.
(١٠) قرأ بها: ابن كثير، وعاصم، وشعبة، والحسن، وابن أبي إسحاق، وأبو رجاء، والأعمش، والرجمي.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٥٢٦)، وتفسير القرطبي (٢٠/ ٢٣٨)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٢٩٧)، والمجمع للطبرسي (١٠/ ٥٥٨).
(١١) قرأ بها: ابن مسعود، وأبو حيوة، وابن مقسم، وأبو سمال العدوي، ومحمد بن السميفع. =

محالةَ بعدَ هذا العذابِ العاجلِ في الآخرةِ ﴿نارًا ذاتَ لهبٍ﴾ أيْ نارًا عظيمةً ذاتَ اشتعالٍ وتوقدٍ وهيَ نارُ جهنمَ وليسَ هذا نصًا في أنَّه لا يؤمنُ أبدًا حَتَّى يلزمَ تكليفُه الإيمانَ بالقرآنِ مكلفًا بأن يؤمنَ بأنَّهُ لاَ يؤمنُ أبدًا فيكونَ مأمورًا بالجمعِ بينَ النقيضينِ كما هُوَ المشهورُ فإنَّ صِلي النارِ غيرُ مختصٍّ بالكفارِ فيجوزُ أنْ يفهمَ أبُو لهبٍ من هذا أنَّ دخولَهُ النارَ لفسقِه ومعاصيهِ لا لكفرِهِ فلا [اضطرارَ إلى الجوابِ][1] المشهورِ من أنَّ ما كلفَهُ هُوَ الإيمانُ بجميعِ ما جاءَ بِهِ النبيُّ عليهِ الصلاةُ والسلامُ إجمالًا لا الإيمانُ بتفاصيلِ ما نطقَ بِهِ القرآنُ حتَّى يلزمَ أنْ يكلفَ الإيمانَ بعدمِ إيمانِه المستمرِ.

﴿وامرأتُه﴾ عطفٌ على المستكنّ في سيصلَى لمكانِ الفصلِ بالمفعولِ وهيَ أمُّ جميلٍ بنتُ حربٍ أختُ أبي سفيانَ وكانتْ تحملُ حزمةً من الشوكِ والحَسَكِ والسعدانِ فتنثرها بالليلِ في طريقِ النبيِّ عليهِ الصلاةُ والسلامُ وكانَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ يطؤُه كمَا يطأُ الحريرَ وقيلَ: كانتْ تمشِي بالنميمةِ ويقالُ لمنْ يمشِي بالنمائمِ ويفسدُ بينَ الناسِ يحملُ الحطبَ بينهُمْ أيْ يوقدُ بينهُم النارَ ﴿حَمَّالةَ الحطبِ﴾ بالنصبِ على الشتمِ والذمِّ وقيلَ: على الحاليةِ بناءً على أنَّ الإضافةَ غيرُ حقيقيةٍ إذِ المرادُ أنَّها تحملُ يومَ القيامةِ حزمةً من حطبِ جهنمَ كالزقومِ والضريعِ. وعن قتادةَ أنَّها معَ كثرةِ مالِها كانتْ تحملُ الحطبَ على ظهرِهَا لشدةِ بُخْلها فعيرتْ بالبخلِ فالنصبُ حينئذٍ على الشتمِ حتمًا وقرئَ بالرفعِ[2] على أنَّه خبرٌ وامرأتُهُ مبتدأٌ وقرئَ حمالة للحطبِ بالتنوينِ نصبًا[3] ورفعًا[4] وقرئَ مُرَيَّتُهُ[5] بالتصغيرِ للتحقيرِ ﴿في جيدِها حبلٌ من مَسَدٍ﴾ جملةٌ

=

ينظر: البحر المحيط (٨/ ٢٢٥)، وتفسير القرطبي (٢٠/ ٢٣٨)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٢٩٧)، وتفسير الرازي (٣٢/ ١٧٠).

(١) في خ: والاضطرار للجواب.

(٢) قرأ بها: حمزة، والكسائي، وأبو عمرو، وابن عامر، وابن كثير، ونافع، وأبو جعفر، وخلف، ويعقوب. ينظر: الإملاء للعكبري (٢/ ١٥٩)، والبحر المحيط (٨/ ٥٢٦)، والتيسير للداني ص (٢٢٥)، والسبعة لابن مجاهد ص (٧٠٠)، والغيث للصفاقسي ص (٤٠٠)، والكشف للقيسي (٢/ ٣٩٠).

(٣) قرأ بها: ابن مسعود.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٥٢٦)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٢٩٧)، والمعاني للفراء (٣/ ٢٩٩).

(٤) قرأ بها: ابن مسعود.
ينظر: الكشاف للزمخشري (٤/ ٢٩٧)، والمجمع للطبرسي (١٠/ ٥٥٨)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٣٧٥).

(٥) قرأ بها: ابن مسعود.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٥٢٥)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٢٩٧).

من خبرٍ مقدم ومبتدأ مؤخرٍ والجملةُ حاليةٌ وقيلَ: الظرفُ خبرٌ لامرأته و(حبلٌ)[١] مرتفعٌ بِهِ على الفاعليةِ وقيلَ: هُو حالٌ من امرأته على تقديرِ عطفِها على ضميرِ سيصلَى وحبلٌ فاعلٌ كما ذُكرَ والمسدُ ما يُفتلُ من الحبالِ فتلًا شديدًا من ليفِ المقلِ وقيلَ: من أيِّ ليفٍ كانَ وقيلَ: من لحاءِ شجرٍ باليمنِ وقَدْ يكونُ من جلودِ الإبلِ وأوبارِها والمَعْنى في عنقِها حبلٌ ممَّا مسدَ من الحبالِ وأنها تحملُ تلكَ الحزمةَ من الشوكِ وتربطُها في جيدِها كما يفعلُ الحطابونَ تخسيسًا بحالِها[٢] وتصويرًا لهَا بصورةِ بعضِ الحطاباتِ من [المواهنِ لتمتعضَ من ذلكَ][٣] ويتمعضَ بعلُها وهُما في بيتِ العزِّ والشرفِ. قالَ مُرةُ الهَمْدانيُّ: كانتْ أمُّ جميلٍ تأتِي كُلَّ يوم بأبالةٍ من حَسَكٍ فتطرحُها على[٤] طريقِ المسلمينَ فبينَا هي ذاتَ ليلةٍ حاملةٌ حزمةً أعيتْ فقعدتْ على حجرٍ لتستريحَ فجذبَها الملكُ من خلفِها فاختنقتْ بحبلِها.

عنِ النبيِّ ﷺ: **«مَنْ قرأَ سورةَ تبتْ رجوتُ ألا يجمعَ الله بينَهُ وبينَ أبي لهبٍ في دارٍ واحدةٍ»**[٥].

---

(١) في خ: قيل.
(٢) في خ: لحالها.
(٣) في خ: الواهن فتنتقض لذلك.
(٤) في خ: في.
(٥) ينظر «الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ٢٤٠) و «روح المعاني» (٣٠/ ٢٦٣)، وزاد في خ: والله الموفق بمنه وكرمه.

سُورَةُ الإخلاصِ

[مختلَفٌ، فيهَا وآيُها أربعٌ][1]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾

﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ الضميرُ للشأنِ ومدارُ وضعِهِ وموضِعِهِ معَ عدم سبقِ ذكرِه الإيذانُ بأنَّه منَ الشهرةِ والنباهةِ بحيثُ يستحضرُهُ كلُّ أحدٍ وإليهِ يشيرُ كُلُّ مشيرٍ وإليهِ يعودُ كلُّ ضميرٍ كما ينبئُ عَنْهُ اسمُهُ الذي أصلُهُ القصدُ أطلقَ عَلى المفعولِ مبالغةً ومحلُّه الرفعُ عَلى الابتداءِ خبرُهُ الجملةُ بعدَهُ ولا حاجةَ إلى الربطِ[2] لأَنَّها عينُ الشأنِ الذي عبرَ عَنْهُ بالضميرِ والسرُّ في تصديرِ الجملةِ بهِ التنبيهُ منْ أولِ الأمرِ عَلى فخامةِ مضمونِهَا وجلالةِ حيزِهَا[3] معَ مَا فيهِ منْ زيادةِ تحقيقٍ وتقريرٍ فإنَّ الضميرَ لا يُفهمُ من أولِ الأمرِ إلا شأنٌ مبهمٌ لهُ خطرٌ جليلٌ فيبقى الذهنُ مترقبًا لما أمامَهُ[4] مما يفسرُهُ ويزيلُ إبهامَهُ [فيتمكنُ][5] عندَ ورودِهِ لَهُ فضل تمكنٍ، وهمزةُ أحدٍ مُبدلةٌ منْ الواوِ [و][6] أصلُهُ وَحَدٌ لاَ كهمزةِ ما يلازمُ النفيَ ويرادُ بهِ العمومُ كمَا في قولِهِ تعالَى: ﴿فما منكُم منْ أحدٍ عَنْه حاجزينَ﴾ [سورة الحاقة، الآية ٤٧] [وما في قوله ﴿منكم من أحد عنه حاجزين﴾][7] ومَا في قولِهِ عليهِ السلامُ: «ما أحلتْ الغنائمُ لأحدٍ سودِ الرؤوسِ غيرِكُم»[8] - فإنَّها أصليةٌ [وقالَ مكيٌّ: أصلُ][9] أحدٍ واحدٌ فأبدلتْ [الواوُ همزةً][10] فاجتمعَ ألفانِ لأنَّ الهمزةَ تشبهُ الألفَ فحذفتْ إحداهُمَا تخفيفًا.

وقالَ ثعلبٌ: إنَّ أحدٌ لا يُبنى عليهِ العددُ ابتداءً فلا يقالُ أحدٌ واثنانِ كَما يقالُ

---

(١) في خ: وآيها أربع مكية.
(٢) في خ: الرابط.
(٣) في خ: خبرها.
(٤) في خ: يعقبه.
(٥) في خ: فيمكن.
(٦) سقط في خ.
(٧) سقط في خ.
(٨) تقدم تخريجه في سورة البقرة.
(٩) في خ: ومكي أهل.
(١٠) في خ: الهمزة واو.

واحدٌ واثنانِ ولا يقالُ رجلٌ أحدٌ كما يقالُ رجلٌ واحدٌ ولذلكَ اختصَّ بهِ تعالَى أوْ هُوَ لما سئِلَ عَنْهُ أي الذي سألتُم عنْهُ هُو الله إذ رُوِيَ أنَّ قريشًا قالُوا صِفْ لَنَا ربكَ الذي تدعونَا إليهِ وانسُبْهُ فنزلتْ[١].

فالضميرُ مبتدأٌ والله خبرُهُ وأحدٌ بدلٌ منْهُ أو خبرٌ ثانٍ أو خبرُه مبتدأٍ محذوفٍ وقرئ (هُوَ الله أحدٌ)[٢] بغيرِ قُلْ وقرئ (الله أحدٌ)[٣] بغيرِ قُلْ هُوَ وقرئ (قُلْ هُوَ الله الواحدُ)[٤] وقولُهُ تعالَى: ﴿الله الصمدُ﴾ مبتدأٌ وخبر والصمدُ فَعَلٌ بمَعْنَى مفعولٍ مَنْ [صمد][٥] إليهِ[٦] إذَا قَصَدَهُ أيْ: هُوَ السيدُ المصمودُ إليهِ في الحوائجِ المُسْتغنى بذاتِهِ وَكُلَّ ما عداهُ محتاجٌ إليهِ في جميعِ جهاتِهِ وقيلَ الصمدُ الدائمُ الباقِي الذي لَمْ يزلْ وَلاَ يزالُ وقيلَ الذي يفعلُ مَا يشاءُ ويَحكمُ مَا يريدُ وتعريفُهُ لعلمِهِم[٧] بصمديتِهِ بخلافِ أحديَتِهِ وتكريرُ الإسم الجليلِ للإشعارِ بأنَّ منْ لم يتصفْ بذلكَ فهوَ بمعزلٍ منَ استحقاقِ الألوهيةِ وتعريةُ الجملةِ عنِ العاطفِ لأنَّها كالنتيجةِ للأولى بيَّنَ أولًا ألوهيتَهُ عزَّ وجلَّ المستتبعةَ لكافةِ نعوتِ الكمالِ ثمَّ أحديتَهُ الموجبةَ [تنزهَّهُ عنْ شائبةِ][٨] التعددِ والتركيبِ بوجهٍ منَ الوجوهِ وتوهم المشاركةِ في الحقيقةِ وخواصِّهَا ثُمَّ صمديتَهُ المقتضيةَ لاستغنائِهِ الذاتِيِّ عَمَّا سواهُ وافتقارِ جميعِ المخلوقاتِ إليهِ في وجودِهَا وبقائِهَا[٩] وسائرِ أحوالِهَا تحقيقًا للحقِّ وإرشادًا لهُم إلَى سننه[١٠] الواضحة ثُمَّ صرحَ ببعضِ أحكامٍ جزئيةٍ مندرجةٍ تحتَ الأحكامِ السابقةِ فقيلَ ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ تنصيصًا على إبطالِ زعمِ المفترينَ في حقِّ الملائكةِ والمسيحِ ولذلكَ وردَ النفيُ على صيغةِ الماضِي أيْ لَمْ يصدُرْ عنْهُ ولدٌ لأنَّهُ لا يجانسُهُ شيءٌ ليمكنَ أنْ يكونَ لهُ من جنسِهِ صاحبةٌ

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٤٥١-٤٥٢) كتاب التفسير: باب ومن سورة الإخلاص حديث (٣٣٦٤) وأحمد (٥/ ١٣٤) والحاكم (٢/ ٥٤٠) عن أُبي بن كعب أن المشركين قالوا لرسول الله ﷺ: انسب لنا ربك فنزلت وأخرجه الترمذي (٥/ ٤٥٢) عن أبي العالية مرسلًا.
وقال: وهذا أصح - أي مرسلًا.

(٢) قرأ بها: عبد الله بن مسعود، وأبي.
ينظر: الكشاف للزمخشري (٤/ ٢٩٨).

(٣) ينظر: الكشاف للزمخشري (٤/ ٢٩٨).

(٤) قرأ بها: الأعمش.
ينظر: الكشاف للزمخشري (٤/ ٢٩٨).

(٥) في ط: يصمد.

(٦) زاد في خ: بمعنى.

(٧) في خ: تعلمهم.

(٨) في خ: لنزاهته عن نائبة.

(٩) في خ: فنائها.

(١٠) في ط: سنته.

فيتوالد كما نطقَ بهِ قولُهُ تعالَى: ﴿أنى يكونُ لهُ ولدٌ ولمْ تكنْ له صاحبةٌ﴾ [سورة الأنعام، الآية ١٠١] ولا يفتقرُ إلى ما يعينُهُ أو يخلفُهُ[١] لاستحالةِ الحاجةِ والفناءِ عليهِ سبحانَهُ.

﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ أيْ لمْ يصدُرْ عنْهُ شيءٌ لاستحالةِ نسبةِ العدمِ سابقًا ولاحقًا والتصريحُ بهِ معَ كونِهِم معرفينَ[٢] بمضمونِهِ لتقريرِ ما قبلَهُ وتحقيقه بالإشارةِ إلى أنَّهما متلازمانِ إذِ المعهودُ أنَّ ما يلدُ يولدُ ومَا لاَ فَلاَ ومنْ قضيةِ الاعترافِ بأنَّهُ لا يلدُ فهو قريبٌ منْ عطفِ لا يستقدمونَ عَلَى لا يستأخرونَ كمَا مرَّ تحقيقُهُ.

﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفوا أحدٌ﴾ أيْ لم يكافئهُ أحدٌ ولَمْ يماثلهُ ولَمْ يشاكلهُ من صاحبةٍ وَغيرِهَا ولَهُ صِلةٌ لـ (كفوا) قدمتْ عليهِ معَ أنَّ حَقَّهَا التأخرُ عَنْهُ للاهتمامِ بِهَا لأنَّ المقصودَ نفيُ المكافأةِ عنْ ذاتِهِ تعالَى وقدْ جوزَ أنْ يكونَ خبرًا لا صلةَ ويكونَ (كُفوا) حالًا من[٣] أحدٍ وليسَ بذاكَ وأما تأخيرُ اسم كانَ فلمراعاةِ الفواصلِ ووجهُ[٤] الوصلِ بينَ هذهِ الجملِ غنيٌّ عن البيانِ وقرئَ بضمِّ الكافِ والفاءِ معَ تسهيلِ الهمزةِ وبضمِّ[٥] الكافِ وَكسرِهَا[٦] معَ سُكُونِ الفاءِ هَذا ولانطواءِ السورةِ الكريمةِ معَ تقاربِ قُطْريها عَلى أشتاتِ[٧] المعارفِ الإلهيةِ والردِّ عَلى منْ ألحَدَ فيهَا وردَ في الحديثِ النبويِّ أنَّها تعدلُ ثلثَ القرآنِ[٨]، فإنَّ مقاصدَهُ منحصرةٌ في بيانِ العقائدِ والأحكام والقصصِ ومَنْ عَدَلَها بكلمةٍ اعتبرَ المقصودَ بالذاتِ منْهُ. رُوِيَ عن النبيِّ ﷺ: أنَّهُ قالَ: «**أسست السمواتُ السبعُ والأرضونَ السبعُ عَلى قُلْ هُو الله أحدٌ**»[٩] أيْ ما خلقتْ إلا لتكونَ

---

(١) في خ: ويخلصه.
(٢) في خ: معترفين.
(٣) في خ: مقدم.
(٤) زاد في خ: البين.
(٥) قرأ بها: حمزة، ونافع، ويعقوب، وخلف، ورويس.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٤٥)، والإعراب للنحاس (٣/ ٧٩١)، والتبيان للطوسي (١٠/ ٤٢٩)، والتيسير للداني ص (٢٢٦)، والحجة لابن خالويه ص (٣٧٨)، والحجه لأبي زرعة ص (٧٧٧).
(٦) ينظر: تفسير الرازي (٣٢/ ١٨٤).
(٧) في خ: إثبات.
(٨) أخرجه البخاري (٩/ ٥٨-٥٩) كتاب فضائل القرآن: باب فضل (قل هو الله أحد) حديث (٥٠١٣) من حديث أبي سعيد الخدري.
(٩) أخرجه مالك (١/ ٢٠٨) رقم (١٨) والترمذي (٥/ ١٦٧-١٦٨) كتاب فضائل القرآن: باب ما جاء في سورة الإخلاص، حديث (٢٨٩٧)، والنسائي (١/ ١٢٠) والحاكم (١/ ٥٦٦) وقال الترمذي: حسن غريب.
=

دلائلَ عَلَى توحيدِ الله تعالَى ومعرفةِ صفاتِهِ التي [نطقتْ][1] بها هذِه السورةُ [الكريمة][2]. وعنهُ عليهِ السَّلامُ أنه سمعَ رجلًا يقرأُ قُل هُو الله أحدٌ فقالَ وجبتْ فقيلَ: وما وجبتْ يا رسولَ الله قالَ وجبتْ لَهُ الجنةُ[3] [والله الموفق بمنه وكرمه][4].

= وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(١) سقط في خ.

(٢) سقط في ط.

(٣) أخرجه الترمذي (٥/ ١٦٧، ١٦٨) كتاب فضائل القرآن، باب: ما جاء في سورة الإخلاص، حديث (٢٨٩٧)، والنسائي (٢/ ١٧١) كتاب الافتتاح، باب: الفضل في قراءة قل هوالله أحد، وفي التفسير رقم (٧٣٥)، والحاكم (١/ ٥٦٦) وصححه ووافقه الذهبي.

(٤) سقط في ط.

سُورَةُ الفَلَقِ

[مُختلَفٌ، فيهَا وآيُها خمسٌ][1]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن
شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾

﴿قل أعوذُ بربِ الفلقِ﴾ الفَلَقُ: الصُّبْحُ كالفرقِ؛ لأنَّه يفلقُ عنْهُ الليلُ [والفرقُ[2] فَعَلٌ بمعنى مفعولٍ فإنَّ كُلَّ واحدٍ منَ المفلوقِ والمفلوقِ عنْهُ مفعولٌ وقيلَ هُوَ ما انفلقَ][3] منْ عمودِهِ وقيلَ هُو كُل ما يفلقُهُ الله تعالَى كالأرضِ عنِ النباتِ والجبالِ عنِ العيونِ والسحابِ عنِ الأمطارِ والحبِّ والنَّوى عما يخرجُ منهُمَا وغيرُ ذلكَ وفِي تعليقِ العياذِ باسمِ الرَّبِّ المضافِ إلى الفلقِ المنبئِ عنِ النورِ عَقيبَ الظلمةِ والسَّعةِ بعدَ الضيقِ والفتقِ بعدَ الرتقِ عدةٌ كريمةٌ بإعاذةِ العائذِ مِمَّا يعوذُ منْهُ وإنجائِهِ منْهُ وتقويةٌ لرجائِهِ بتذكيرِ بعضِ نظائِرِهِ ومزيدُ ترغيبٍ لَهُ في الجدِّ والاعتناءِ بقرعِ بابِ الالتجاءِ إليهِ تعالَى، وأمَّا الإشعارُ بأنَّ منْ قدرَ أنْ يزيلَ ظلمةَ الليلِ منْ هذَا العالمِ قدرَ أنْ يزيلَ عنِ العائذِ ما يخافُهُ كما قيلَ فَلاَ إذْ لا ريبَ للعائذِ في قدرتِهِ تَعالَى عَلى ذلكَ حتى يحتاجَ إلى التنبيهِ عليهَا.

﴿من شرِّ ما خلق﴾ أَيْ مِنْ شَرِّ ما خلقَهُ منَ الثقلينِ وَغيرِهما كائنًا ما كانَ منْ ذواتِ الطبائعِ والاختيارِ وهَذَا كَمَا تَرَى شَاملٌ [لجميعِ الشرورِ][4] فمَنْ توهَم [أنَّ][5]

---

(١) في خ: وآيها خمس مدنية.
(٢) في ط: يفرق.
(٣) سقط في خ.
(٤) في خ: للجميع.
(٥) سقط في خ.

الاستعاذةَ هَهُنا من المضارِّ البدنيةِ وأنَّها تعمُّ الإنسانَ وغيرَهُ مِمَّا ليسَ بصددِ الاستعاذةِ ثُمَّ جعلَ عُمومَهَا مَدارًا لإضافةِ الربِّ إلى الفلقِ فقدْ نَأى عنِ الحَقِّ بمراحلَ وإضافةُ الشرِّ إليهِ لاختصاصِهِ بعالمِ الخلقِ المؤسسِ على امتزاجِ الموادِّ المتباينةِ وتفاعلِ كيفياتِهَا المتضادةِ المستتبعةِ للكونِ والفسادِ وأما عالمُ الأمرِ(١) فهُوَ خيرٌ محضٌ منزهٌ عنْ شوائبِ الشرِّ بالمرةِ.

وقولُهُ تعالَى: ﴿ومن شر غاسق﴾ تخصيصٌ لبعضِ الشرورِ بالذكرِ معَ اندراجِهِ فيما قبلَهُ لزيادةِ مساسِ الحاجةِ إلى الاستعاذةِ [منْهُ لكثرةِ وقوعِهِ ولأنَّ تعيينَ المستعاذِ منْهُ أدلّ على الاعتناءِ بالاستعاذةِ وأدعَى](٢) إلى الإعاذةِ أيْ وَمِنْ شرِّ ليلٍ مُعتكرٍ ظَلامُهُ مِنْ قوله تعالَى: ﴿إلى غسقِ الليلِ﴾ [سورة الإسراء، الآية ٧٨] وأصْلُ الغسْقِ الامتلاءُ يقالُ غسقتِ العينُ إذا امتلأتْ دمعًا وقيلَ هُوَ السيلانُ وغسقُ الليلِ انصبابُ ظَلامِهِ وغسقُ العينِ سيلانُ دمعِهَا وإضافةُ الشرِّ إلى الليلِ لملابستِهِ لَهُ بحدوثِهِ فيهِ وتنكيرُهُ لعدمِ شمولِ الشرِّ لجميعِ أفرادِهِ ولا لكُلِّ أجزائِهِ وتقييدُهُ بقولِهِ تعالَى: ﴿إذا وقب﴾ أيْ دخلَ ظلامُهُ في كُلِّ شيءٍ لأنَّ حدوثَهُ فيهِ أكثرُ والتحرزَ منْهُ أصعبُ وأعسرُ ولذلكَ قيلَ الليلُ أخْفَى للويلِ وقيلَ الغاسقُ هُوَ القمرُ إذَا امتلأَ ووقوبُهُ دخولُهُ في الخسوفِ واسودادُهُ لمَا رُوِيَ عَنْ عائِشَةَ رضيَ الله عنْهَا أنَّها قالتْ أخذَ رسولُ الله ﷺ بيدي فأشارَ إلى القمرِ فقالَ «**تعوذِي بالله تَعَالَى منْ شَرِّ هَذا فإنَّهُ الغاسقُ إذَا وقبَ**»(٣) وقيلَ التعبيرُ عنِ القمرِ بالغاسقِ لأنَّ جرْمَهُ(٤) مظلمٌ وإنما يستنيرُ بضوءِ الشمسِ ووقوبُهُ المحاقُ في آخرِ الشهرِ والمنجمونَ يعدونَهُ نحسًا ولذلكَ لا يشتغلُ السحرةُ بالسحرِ الموروثِ للتمريضِ إلاَّ في ذلكَ الوقتِ قيلَ وهُو المناسبُ لسببِ النزولِ وقيلَ الغاسقُ الثُّريا ووقوبُهَا سقوطُها لأنَّها إذَا سقطتْ كثرتِ الأمراضُ والطواعينُ وقيلَ هُو كلُّ شرٍّ يعترِي الإنسانَ ووقوبُهُ هجومُهُ.

---

(١) في خ: الخلق.

(٢) في خ: والدعاء.

(٣) أخرجه أحمد (٦/ ٦١، ٢٠٦، ٢١٥، ٢٣٧، ٢٥٢) والترمذي (٥/ ٤٥٢) كتاب التفسير: باب المعوذتين، حديث (٣٣٦٦) والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٣٠٤) والحاكم (٢/ ٥٤٠-٥٤١) من حديث عائشة.
وقال الترمذي: حسن صحيح.
وقال الحاكم صحيح الإسناد ووافقه الذهبي.

(٤) في خ: جزء منه.

﴿ومن شر النفّٰثٰت في العقد﴾ أيْ وَمِنْ شَرِّ النفوسِ أو النساءِ السواحرِ اللاتِي يعقدنَ عُقَدًا في خيوطٍ ويَنْفُثنَ عليهَا والنفثُ النفخُ معَ ريقٍ وقيلَ بدونِ ريقٍ وقرئ (النافثات)[(١)] كما قرئ (النَّفِثَاتُ)[(٢)] بغيرِ ألفٍ وتعريفُهَا إمَّا للعهدِ أوْ للإيذانِ بشمولِ الشرِّ لجميعِ أفرادِهِنَّ وتمحضهنَّ فيهِ وتخصيصُهُ بالذكرِ لما رَوَى ابْنُ عبَّاسٍ وعائشةُ رَضِيَ الله عنهُم: «أنَّهُ كانَ غلامٌ من اليهودِ يخدمُ النبيَّ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ وكانَ عندَهُ أسنانٌ منْ مشطِهِ عليهِ السلامُ فأعطَاهَا اليهودَ فسحرُوهُ عليهِ السلامُ فيهَا وتولاَّهُ لبَيْدُ بنُ الأعصمِ اليهوديُّ وبناتُهُ وهُنَّ النافثاتُ في العقدِ فدفَنَهَا في بئرِ أريسٍ فمرضَ النبيُّ عليهِ الصلاةُ والسلامُ فنزلَ جبريلُ عليهِ السلامُ بالمعوذتينِ وأخبرَهُ بموضعِ السحرِ وبمَنْ سحرَهُ وبِمَ سحرَهُ فأرسلَ[(٣)] عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ عليًّا كرمَ الله وجْهَهُ والزبيرَ وعمَّارًا رضيَ الله عنْهُما فنزحُوا ماءَ البئرِ فكأنَّهُ نُقَاعَةُ الحِنَّاءِ ثمَّ رفعُوا راعوثةَ[(٤)(٥)] البئرِ وهيَ الصخرةُ التي توضعُ في [أسفلِ البئرِ][(٦)] فأخرجُوا منْ تحتِهَا الأسنانَ ومعَها وترٌ قدْ عُقِدَ فيهِ إحدَى عشرةَ عقدةً مغرزةً بالأبرِ فجاءُوا بهَا النبيَّ ﷺ فجعلَ يقرأُ المعوذتينِ عليهَا فكانَ كلَّما قرأَ آيةً انحلتْ عقدةٌ ووجدَ عليهِ السلامُ خفةً حتَّى انحلتْ العقدةُ الأخيرةُ عندَ تمامِ السورتينِ فقامَ عليهِ السلامُ كأنَّما أنشطَ مِنْ عقالٍ فقالُوا يا رسولَ الله أفلا نقتلُ الخبيثَ فقالَ عليهِ السلامُ: «**أمَّا أنا فقد عافانِي الله عزَّ وجلَّ وأكرَهُ أنْ أثيرَ عَلى الناسِ شَرًّا**»[(٧)] قالتْ عائشةُ رضيَ الله عنهَا ما غضبَ النبيُّ عليهِ الصلاةُ

(١) قرأ بها: الكسائي، ورويس، وعاصم، وابن عمر، والحسن، وعبد الله بن القاسم، ويعقوب، وعبد الله بن عمرو، وعبد الرحمن بن سابط، وعيسى بن عمر، وأبو السمال.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٤٥)، والبحر المحيط (٨/ ٥٣١)، وتفسير القرطبي (٢٠/ ٢٥٩)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٤٠٤، ٤٠٥).

(٢) قرأ بها: الحسن، وأبو الربيع.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٥٣١)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٤٠٤، ٤٠٥).

(٣) في خ: فأبصر.

(٤) في خ: أراعونة.

(٥) يقال لراعوفة البئر راعوثة وهي صخرة تترك في أسفل البئر إذا احتفرت تكون هناك ويقال هي حجر يكون على رأس البئر يقوم عليها المستقي.

(٦) في خ: أصله.

(٧) أخرجه البخاري (٦/ ٣٣٤) كتاب بدء الخلق: باب صفة إبليس وجنوده حديث (٣٢٦٨) ومسلم (٤/ ١٧١٩-١٧٢٠) كتاب السلام: باب السحر، حديث (٤٣) من حديث عائشة.

والسلامُ غضبًا ينتقمُ لنفسِهِ قطُّ إلاَّ أنْ يكونَ شيئًا هُو لله تَعَالَى فيغضبُ لله وينتقمُ وقيلَ المرادُ بالنفثِ في العُقَدِ إبطالُ عزائمِ الرجالِ بالحيلِ مستعارٌ مِنْ تليينِ العقدةِ بنفثِ الريقِ ليسهلَ حلُّها ﴿**ومن شر حاسدٍ إذا حسد**﴾ أيْ إذَا أظهَرَ مَا في نفسِهِ من الحسدِ وعملَ بمقتضاهُ بترتيبِ مقدماتِ الشرِّ ومبادئِ الأضرارِ بالمحسودِ قولًا أو فعلًا والتقييدُ بذلكَ لما أنَّ ضررَ الحسدِ قبلَهُ إنما يحيقُ بالحاسدِ لا غير.

عَنِ النبيِّ ﷺ: «**مَنْ قرأَ المعوذتينِ فكأنَّما قرأَ الكتبَ التي أنزلَهَا الله تعالَى**»[1].

(١) هو جزء من الحديث الطويل في فضائل القرآن وهو حديث موضوع.

سُورَةُ النَّاسِ

[مُختلَفٌ فيهَا، وآيُها ستٌّ][1]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾

﴿قل أعوذُ﴾ وقُرِئ في السورتينِ بحذفِ الهَمزةِ ونقلِ حركتِهَا إلى اللامِ[2] ﴿بربِ الناسِ﴾ أيْ مالك أمورِهِم ومربيهِم بإفاضةِ مَا يُصْلحُهُم ودفعِ ما يضرُّهُم وقولُهُ تعالَى ﴿ملكِ الناس﴾ عطفُ بيانٍ جيءَ بهِ لبيانِ أنَّ تربيَتَهُ تعالَى إيَّاهِم ليستْ بطريقِ تربيةِ سائرِ المُلاَّكِ لما تحتَ أيديهِم منْ مماليكِهِم بلْ بطريقِ الملكِ الكاملِ والتصرفِ الكليِّ والسلطانِ القاهرِ وكَذَا قولُهُ تعالَى: ﴿إله الناس﴾ فإنَّهُ لبيانِ أنَّ ملكَهُ تعالَى ليسَ بمجردِ الاستيلاءِ عَلَيْهِم والقيامِ بتدبيرِ أمورِهِم وسياستِهِم والتولِي لترتيبِ مبادئِ حفظِهِم وحمايتِهِم كما هُوَ قُصَارَى أمرِ الملوكِ بلْ هُوَ بطريقِ المعبوديةِ المؤسسةِ عَلَى الألوهيةِ المقتضيةِ للقدرةِ التامةِ على التصرفِ الكليِّ فيهِمْ إحياءً وإماتةً وإيجادًا وإعدامًا، وتخصيصُ الإضافةِ بالنَّاسِ معَ انتظامِ جميعِ العالمينَ في سلك ربوبيتِهِ تَعَالَى وملكوتيتِهِ وألوهيتِهِ للإرشادِ إلى مِنْهاجِ الاستعاذةِ المرضيةِ عندَهُ تعالَى الحقيقة بالإعادةِ [فإنَّ توسلَ العائذِ بربِهِ وانتسابَهُ إليهِ تعالَى بالمربوبيةِ والمملوكيةِ والعبوديةِ في ضمنِ جنسٍ هُوَ فردٌ منْ أفرادِهِ - منْ دَوَاعِي مزيدِ الرحمةِ والرأفةِ وأمرُهُ تعالَى بذلكَ من دلائلِ الوعدِ الكريمِ بالإعاذةِ][3] لاَ محالةَ ولأنَّ المستعاذَ مِنْهُ شرُّ الشيطانِ المعروفِ

---

(١) في خ: وآيها ست مدنية.

(٢) ينظر: الكشاف للزمخشري (٤/ ٣٠٢)، وتفسير الرازي (٣٢/ ١٩٧).

(٣) سقط في خ.

بعداوتِهِم ففي التنصيصِ عَلَى انتظامِهِم في سلكِ عبوديتِهِ تعالَى وملكوتِهِ رمزٌ إلى إنجائِهِم من ملكةِ الشيطانِ وتسلطِهِ عليهِم حَسْبَما ينطقُ بهِ قولُهُ تعالَى: ﴿إنَّ عبادي ليسَ لكَ عليهِم سلطان﴾ [سورة الحجر، الآية ٤٢].

فمنْ جعلَ مدارَ تخصيصِ الإضافةِ مجردَ كونِ الاستعاذةِ منَ المضارِ المختصةِ بالنفوسِ البشريةِ فَقَدْ قصَّر في توفيةِ المقام حَقَّهُ وأمَّا جَعْلُ المستعاذِ منْهُ فيمَا سبقَ المضار البدنية فقدْ عرفتَ حالَهُ وتكريرُ المضافِ إليهِ لمزيدِ الكشفِ والتقريرِ والتشريفِ بالإضافةِ ﴿من شر الوسواس﴾ هُوَ اسمٌ بمعنى الوسوسةِ وَهِي الصوتُ الخفيُّ كالزَّلزالِ بمَعْنَى الزلزلةِ وأمَّا المصدَرُ[١] فبالكسرِ والمرادُ [به][٢]: الشيطانُ سُميَ لفعلِهِ مبالغةً كأنَّهُ نفسُ الوسوسةِ ﴿الخناس﴾ الذي عادتُهُ أنْ يخنسَ أيْ يتأخرُ إذَا ذَكَرَ الإنسانُ ربَّهُ ﴿الذي يوسوسُ في صدورِ الناس﴾ إذَا غَفَلُوا عنْ ذِكْرِهِ تعالَى ومحلُّ الموصولِ إمَّا الجَرُّ على الوصفِ وإمَّا الرفعُ أو[٣] النصبُ على الذم ﴿من الجنة والناس﴾ بيانٌ للذي يوسوسُ على[٤] أنهُ ضربانِ جنيٌّ وإنسيٌّ كما قالَ عزَّ وجلَّ: ﴿شياطين الإنس والجن﴾ [سورة الأنعام، الآية ١١٢] أو متعلقٌ بـ (يوسوسُ) أو يوسوسُ في صدورِهِم من جهةِ الجنِّ ومن جهةِ الإنسِ[٥] وقد جوزَ أن يكونَ بيانًا للناسِ علَى أنهُ يطلقُ على الجِنِّ أيضًا حسبَ إطلاقِ النفرِ والرجالِ عليهم ولا تعويلَ عليهِ، وأقربُ منهُ أنْ يرادَ بالناسِ الناسِي ويجعلَ سقوطُ الياءِ كسقوطِهَا في قولِهِ تعالَى: ﴿يوم يدع الداع﴾ [سورة القمر، الآية ٦] ثُمَّ يبين بالجنةِ والناسِ، فإنَّ كُلَّ فردٍ من أفرادِ الفريقينِ مُبتلى بنسيانِ حَقِّ الله تعالَى إلاَّ منْ تداركهُ شوافعُ عصمتِهِ، وتناولَهُ واسعُ رحمتِهِ عصمَنَا الله تعالَى منَ الغفلةِ عنْ ذكرِهِ ووفقنَا لأداءِ حقوقِ شُكْرِهِ.

---

(١) في خ: الصبر.
(٢) سقط في ط.
(٣) في خ: و.
(٤) سقط في خ.
(٥) في خ: الناس.

خَاتِمَةُ المؤلِّفِ

قالَ العبدُ الذليلُ مُتضرعًا إلى ربِّهِ الجليلِ: اللهمَّ يا وليَّ العصمةِ والإرشادِ، وهاديَ الغُواةِ إلى سَنَنِ الرشادِ، بارئَ البريةِ مالكَ الرقابِ عليكَ توكُّلِي وإليكَ متاب، أنتَ المُغيثُ لكلِّ حائرٍ ملهوفٍ، والمجيرُ من كلِّ هائلٍ مخوفٍ، ألوذُ بحرمكَ المأمونِ منْ غوائلِ رَيْبِ المَنُونِ، وألتجئُ إلى حِرْزِكَ الحريزِ، وآوِي إلى ركنكَ العزيزِ، وأسألُكَ منْ خزائنِ برِّكَ المخزونِ في مكامنِ سرِّكَ المكنُونِ خيرَ مَا جَرَى بهِ قلمُ التكوينِ مِنْ أمُورِ الدُّنيا والدِّينِ، وَأَعوذُ بكَ منْ فُنُونِ الفتنِ والشُّرورِ لاَ سيَّما الاطمئنانُ بدارِ الغرورِ والاغترارُ بنعيمِهَا وزهرتِهَا والافتنانُ بزخارفِهَا وزينتِهَا، فَأَعِذْنِي بحمايتِكَ، وأَعنِّي بعنايتِكَ وأفِضْ عليَّ مِنْ شوارقِ الأنوارِ الربَّانيةِ وبوارقِ الآثارِ السُّبحانيةِ مَا يُخلصُنِي منَ العوائقِ الظلمانيةِ وَيُجرِّدنِي منَ العَلائقِ الجُسمانيةِ، وهذِّبْ نَفْسِي الأبيةَ مِنْ دَنَسِ الطَّبائعِ والأخْلاقِ، ونوِّرْ قلبيَ القاسيَ بلوامعِ الإشراقِ، ليستعدَّ للعبورِ على سرائرِ الأُنسِ ويتهيأَ للحضورِ في حَظائرِ القُدسِ، وثبتنِي على مناهجِ الحَقِّ والهُدَى، وأَرْشدني إلى مَسالكِ البرِّ والتقوَى، وَاجعلْ أعزَّ مرامي ابتغاءَ رِضاكَ، وأشرفَ أيامي يومَ لقاكَ، يومَ يقومُ الناسُ لربِّ العالمينَ فَرِيقًا فريقًا، واحشرني مع الذينَ أنعمتَ عليهِمْ منَ النبيينَ والصِّديقينَ والشُّهداءِ والصَّالحينَ وحَسُنَ أولئِكَ رَفِيقًا(١).

---

(١) وهذه صورة ما وجد بخط المؤلف «رحمه الله تعالى» والحمد لله وحده، كتب المؤلف عفا الله عنه، وتقبل منه في آخر نسخة في الأصل:
اتفق الفراغ مع تسويدها بتلك الأوراق بتوفيق الله الملك الخلاق عز سلطانه ليلة الجمعة الأولى من شهر الله الحرام رجب الفرد لعام ثلاثة وسبعين وتسعمائة حامدًا لله رب العالمين، تم الكتابُ وتكاملت نعم السرور لصاحبه، فعفى الله بفضله وجوده عن كاتبه، وكان الفراغ من كتابته في يوم الجمعة المبارك تاسع شهر ذي الحجة الحرام خمسة عشر وألف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله، وصحبه، وسلم تسليمًا دائمًا أبدًا إلى يوم الدين، والحمد لله رب العالمين، وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.



فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

THE EXEGESIS OF THE HOLY QUR'AN

by

Al-qāḍi Abu al-Su^cūd al-^cImādi

Edited by

Ḫālid Abdul-Ǧani Maḥfūẓ

Volume VIII

